جمهورية السودان
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

التفسير اللغوي في لسان العرب

(حرف الكاف واللام والميم)

جمع وتوثيق ودراسة

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالبة
منال السر قسم السيد حسن

إشراف الدكتور :
الطاهر أحمد عبدالقادر

العام الجامعي

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

بسم الله الرحمن الرحيم

[وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ
لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥]

سورة الشعراء ، الآيات (١٩٢ – ١٩٥)

إهداء

يسعدني أن أهدي هذا الجهد المتواضع إلى علماء هذه الأمة ودعاتها الذين يجاهدون لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا هي السفلى .

وإلى والديَّ العزيزين أمدَّ الله في عمرهما ، وبارك فيهما .

وإلى أفراد أسرتي الكريمة :

الزوج الفاضل الشيخ: حاج حمد عمر سليمان .

والأبناء الأعزاء: أحمد وسعدية وتيسير وحسناء .

الباحثة .

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات ، أحمده تعالى حمداً يليــق بجلاله وعظيم سلطانه على نعمه التي لا تُحصى عدداً ، وآلائه المتعــددة ، كمــا يحب ربنا ويرضى.

ثم أتقدم – في هذا المقام – بوافر الشكر والعرفان ، وفائق الثناء والامتنــان للوالدين العزيزين من أضاءا لي طريق العلم ومهدا لي السبل إليه .

والشكر أجزله ، والتقدير أكمله لمشرفي على هذه الرسالة الدكتور/ الطــاهر أحمد عبدالقادر من أثرى هذا البحث بعلومــه المفيــدة ، وتوجيهاتــه الســديدة ، وملاحظاته العلمية الرشيدة .

وعظيم شكري وتقديري للزوج الكريم وإخواني وأخواتي الذين كانوا عونــاً لي وسنداً حتى اكتمل هذا البحث ، فجزاهم الله عني خير الجزاء .

والشكر موصول لجامعة أم درمان الإسلامية متمثلة في كلية الدراسات العليا والبحث العلمي وكلية أصول الدين وأسرة المكتبة المركزية على حســن تعــاونهم معي .

ولا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر لأسرة المكتبة المركزية بجامعــة القــرآن الكريم والعلوم الإسلامية .

والشكر موصول لمركز الأصالة للخدمات ممثل في الأخ الكــريم/ صــلاح خضر محمد الذي قام بطباعة هذا البحث ، وبذل في ذلك جهداً مقدراً.

وأخص بالشكر أيضاً الأستاذين الكريمين اللذين وافقا على مناقشــة البحــث وتقويمه:

الدكتور /

والدكتور/

جزى الله الجميع عني خير الجزاء ، واسأله تعالى أن يتقبل هــذا العمــل ، ويجعله خالصاً لوجهه ، ولله الحمد أولاً وآخراً .

الباحثة .

مقدمة البحث

الحمد لله الذي منَّ علينا بهدايته ، واستنقذنا من الضلالة بشريعته ، وأرشدنا إلى سبيل النجاة بنبيه – ﷺ – وعلمنا ما لم نكن نعلم من كتابه الذي جعله فرقاناً بين الحق والباطل بقدرته ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو تنزيل من حكيم حميد . أحمده تعالى على التوفيق للتحميد ، وأشكره على التحقيق في التوحيد، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يبقي ذخرها على التأبيد ، وأنَّ محمداً عبده ورسوله أرسله إلى الخلائق من الثقلين بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه ، وسراجاً منيراً ، ووهب له من فضله خيراً كثيراً فأنزل عليه كلاماً قرر صدق قوله بالتحدي بمثله تقريراً ، فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد :

فإنَّ أشرف العلوم على الإطلاق ، وأولاها بالتفضيل على الاستحقاق ، وأرفعها قدراً بالاتفاق هو علم التفسير لكلام القدير الخلاق .

ولما كان هذا العلم بهذه المنزلة الشامخة الأركان ، العالية البنيان ، المرتفعة المكان رغبتُ إلى الدخول إليه من أبوابه ، ونشطتُ إلى القعود في محرابه .

وقد عمل في هذا الميدان الفسيح جميع المفسرين الذين عكفوا على تفسير القرآن على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم في التفسير .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

تأتي أهمية الموضوع من اتصاله بعنوان هذه الأمة وسر هدايتها وسيادتها على العقائد والنحل القرآن الكريم الذي أنزله الله –تعالى– على نبيه محمد – ﷺ – نوراً وهدى ورحمة للعالمين .

ولا يخفى ما للغة العربية من صلة مباشرة بكلام الله – تعالى – فهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، ولا تفسر آياته ، ولا تبين أحكامه إلا بها ، حيثُ بيَّن تعالى أنَّ نزول هذا القرآن بلسان عربي مبين ، وأنَّه كتاب مصدق لساناً عربياً غير ذي عوج .

ومن هنا جاء اختياري لموضوع التفسير اللغوي في لسان العرب ، وقصدتُ منه إبراز جهود بعض أهل اللغة في التفسير كابن منظور ، فكثيراً ما يستشهد في معجمه على المعنى اللغوي للمادة اللغوية بالآيات القرآنية الكريمة .

ويهتم بشرح معاني بعض الكلمات القرآنية ذات الصلة بالمادة اللغوية التي هو بصدد الكلام عنها ، وقد اعتمد ابن منظور في ذلك على كثير من أهل اللغة وبعض أهل التفسير الذين كتبوا في معاني القرآن .

وتتمثل فائدة هذا الموضوع في جمع وتحقيق وتوثيق المادة العلمية وجمعها في مؤلف واحد حتى يتسنى للباحثين تناولها بسهولة ويسر ، ولا شك أنَّ في ذلك إثراءً للمكتبة الإسلامية بالعلوم النافعة .

حدود البحث :

يقتصر هذا البحث على دراسة النصوص القرآنية الواردة في لسان العرب لأبن منظور في حرف الكاف واللام والميم ، وذلك بجمع هذه النصوص وتخريجها ومناقشة ما ذكره ابن منظور وبعض أهل اللغة فيها من أقوال كبار المفسرين وغيرهم ، وبيان وجوه الاتفاق أو الاختلاف بينهم. وتتميماً للفائدة قمتُ بإيراد أسباب النزول والقراءات والمعنى العام للآيات.

أدوات البحث :

اعتمدتُ في هذا البحث على لسان العرب لابن منظور كمصدر أساسي ، لأنَّه المعنى بالدراسة والبحث ، وكذلك كبار التفاسير كتفسير جامع البيان والتفسير الكبير والجامع لأحكام القرآن وتفسير القرآن العظيم وغيرها من كتب التفاسير ، وقد استعنت في هذه الدراسة أيضاً ببعض كتب علوم القرآن والحديث والعقيدة والفقه ، كما رجعتُ إلى معاجم اللغة لشرح بعض الكلمات المبهمة التي وردت في البحث . ومعظم هذه المصادر قد تحصلتُ عليها من خلال بعض المكتبات الإلكترونية كمكتبة التفسير وعلوم القرآن ، والمكتبة الألفية للسنة النبوية ، ومكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية ، والمكتبة الشاملة ، والموسوعة القرآنية ، ومكتبة الأدب العربي ، ومكتبة النحو والصرف .

الدراسات السابقة :

إنَّ موضوع التفسير اللغوي في لسان العرب هو مشروع بحث مقترح من قبل قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم درمان الإسلامية ، وقد قُسِّم هذا الموضوع بين عدد من الباحثين والباحثات في تخصص التفسير بهذه الجامعة ، وكان هذا التقسيم مبنياً على الحروف الأبجدية . وقد تمت مناقشة بعض هذه البحوث ، ومنها :

١/ التفسير اللغوي في لسان العرب – الجزء الأول (حرف الهمزة والباء) جمع وتوثيق ودراسة ، للباحث : علي حمدان بن علي رحمن ، إشراف الأستاذ الدكتور عمر يوسف حمزة ، العام ٢٠٠٦م . رسالة ماجستير .

٢/ التفسير اللغوي في لسان العرب لابن منظور (في الحرف نون) للباحث : أمين خليل أحمد ، إشراف الدكتور جمعة سهل . رسالة ماجستير .

وقد خدم أهل الحديث كذلك هذا المعجم ، حيث قام عدد من الباحثين والباحثات بهذه الجامعة بجمع الأحاديث التي وردت في لسان العرب وتخريجها ودراسة أسانيدها . أسأل الله –تعالى – أن يتقبل من الجميع ، ويجعله في ميزان حسناتهم.

منهج البحث :

اتبعتُ في التمهيد والباب الأول من هذه الدراسة المنهج التاريخي ، حيثُ تكلمت عن الأحوال السياسية والاجتماعية والثقافية في عصر ابن منظور مع التعريف به وبكتابه "لسان العرب" في اللغة .

كما التزمتُ المنهج الوصفي التحليلي في الباب الثاني حين قمتُ بعرض النصوص اللغوية من كتاب ابن منظور ، وتحليلها ومناقشتها من أقوال كبار المفسرين وغيرهم من أهل اللغة والحديث والعقيدة والفقه في بعض النصوص .

وقد اتبعتُ في البحث الخطوات المنهجية التالية :

١/ قمتُ بجمع الآيات القرآنية التي وردت في لسان العرب في حرف الكاف واللام والميم ثم خرجتها ، ومن ثَمَّ قمتُ بدراستها بالمقارنة مع كبار المفسرين – حسب الأقدمية في تاريخ الوفاة وهم : ابن جرير الطبري ، الفخر الرازي ، القرطبي ، ابن كثير ومفسر خامس غير ثابت ، حيثُ أتجول في كتب التفاسير المختلفة .

٢/ بدأتُ في دراسة النصوص بذكر التفسير اللغوي لابن منظور ومن نقل عنهم من أهل اللغة ، ثم انتقلت إلى دراسة النص أو مجموعة النصوص ببيان من وافقه ابن منظور أو خالفه من المفسرين ، أو وافقوه أو خالفوه منهم . وتتميماً للفائدة ذكرتُ بعد ذلك سبب نزول الآية إن كان لها سبب نزول ، وأوردت وجوه القراءات في جزئية الآية التي وردت عند ابن منظور وليس في الآية كلها ، ثم بينت المعنى العام للآية كلها ، مع العلم بأنني قمتُ بإتمام الآية التي وردت في كتاب ابن منظور في هامش الصفحة التي وردت فيها ، وذلك في جميع الآيات موضوع الدراسة .

٣/ عزوتُ الآيات القرآنية التي وردت في ثنايا البحث إلى مواضعها من سور القرآن الكريم مبينة اسم السورة ورقم الآية ، وقد التزمتُ في جميع هذه الآيات بالرسم العثماني للمصحف برواية حفص عن عاصم . وإذا تكرر ورود الآية أو جزءٌ منها في دراسة النص الواحد اكتفي بتخريجها في المرة الأولى فقط تجنباً للتكرار والتطويل .

٤/ إذا تكرر ورود الآية عند ابن منظور في أكثر من مادة لغوية قمتُ بدراستها في الموضعين على أن لا أكرر المعنى العام لها ، وسبب نزولها ، ووجوه القراءات فيها ، مكتفية بإيراد ذلك في المرة الأولى فقط . ولا ألتفتُ لدراسة الآيات التي ذكرها ابن منظور في بعض المواد اللغوية إذا لم يكن في الآية أحد مشتقات المادة اللغوية التابعة لي في التقسيم ، لأنَّ موضوع البحث دراسة الآيات التي تتضمن إحدى المواد اللغوية التي تبدأ بحرف الكاف أو اللام أو الميم ، وذلك أنَّ ابن منظور ربما أورد الآية وليست تحتوى على المادة اللغوية التي يتعرض لها بالشرح والبيان ، فقط من أجل الاستشهاد وتعضيد المعنى .

٥/ درستُ النصوص القرآنية كلا في المادة اللغوية التي وردت فيها على حدة ، وربما صنفتها داخل المادة اللغوية الواحدة ، فما كان منها مختلفاً في الموضوع أفردته بالدراسة ، وما كان منها يربطها موضوع واحد جمعتها في الدراسة ، وربما كان سبب الجمع أحياناً كثرة النصوص القرآنية الواردة في المادة اللغوية فقمت بتقسيمها إلى مجموعات في الدراسة .

٦/ خرجتُ الأحاديث النبوية والآثار التي وردت في البحث بعزوها إلى مصادرها من كتب الحديث مبينة الكتاب والباب ورقميهما ورقم الحديث – إن وجد ذلك– والجزء والصفحة .

٧/ ترجمتُ لغير المشاهير من الأعلام الذين وردوا في متن البحث عند ذكرهم لأول مرة ، ولم أترجم للمعروفين من كبار الصحابة كالخلفاء الراشدين الأربعة وابن عباس وابن مسعود وابن عمر وأبي هريرة وبلال –رضوان الله عليهم جميعاً – كما لم أترجم للأئمة الأربعة ونحوهم من المشهورين ، ولم أترجم أيضاً للمعاصرين من الأعلام .

٨/ رجعتُ إلى معاجم اللغة في شرح وبيان بعض الكلمات من ناحية لغوية ، كما رجعتُ إلى كتب غريب القرآن وغريب الحديث لشرح وتفسير بعض الكلمات واستعنتُ بمعجم البلدان للتعريف ببعض المدن والأماكن ، لاسيما المجهولة منها .

٩/ أثبتُّ في الهامش المصادر والمراجع التي اقتبستُ منها النصوص والمعلومات ، وأشرتُ بكلمة (انظر) لما تصرفتُ فيه ، وإذا لم أكمل معلومات التوثيق فهذا يعني أنهما غير موجودة في الكتاب الذي نقلتُ عنه ، ولم استخدم عبارة (بدون) للإشارة لما لم أجده من معلومات التوثيق .

١٠/ وثقتُ للمصادر توثيقاً كاملاً عند ذكرها لأول مرة ، فإذا تكرر الأخذ منها اكتفي بذكر اسم الكتاب ، واسم المؤلف فقط ، مع بيان رقم الجزء –إن وجد– ورقم الصفحة .

١١/ ذكرتُ اسم الكتاب ، واسم مؤلفه كاملاً عند أول ذكره ، فإذا تكرر وروده ذكرت ذلك مختصراً ، مثلاً : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، لأبي محمد عبدالله بن أسعد اليافعي .

ومثلاً : البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادي.

ذكرتهما كذلك في المرة الأولى ، ولمَّا تكرر ذكرهما بعد ذلك قلتُ فيهما : مرآة الجنان ، لليافعي ، والبلغة ، للفيروز أبادي .

ثم لم أكرر توثيق الكتابين بعد المرة الأولى .

١٢/ من نقل عنهم بن منظور من أهل اللغة وغيرهم رجعتُ إليهم – قدر المستطاع – في كتبهم لتوثيق ما نسبه إليهم تحرياً للدقة والأمانة العلمية . وبعض هؤلاء وجدتُ كتبهم في المكتبة فرجعتُ إليها ، وبعضهم فُقِدت مؤلفاتهم ، ولذا لم أتمكن من الرجوع إليهم جميعاً .

١٣/ أعددتُ في آخر البحث الفهارس العامة تتميماً للفائدة ، وقد اقتصرتُ في فهرس الآياتُ القرآنية على بيان طرف الآية أو جزء منها اختصاراً ، ورتبتُ فهرس الأحاديث والآثار وفق الترتيب الهجائي مقتصرة على طرف الحديث أو الأثر ، ورتبتُ الأعلام ترتيباً هجائياً أيضاً ، وابتدأتُ فيها بذكر اسم العلم ، ثم ذكرت أمامه لقبه أو كنيته بين قوسين ، ورتبتُ المواد اللغوية التي وردت في البحث ترتيباً هجائياً أيضاً ، كما فهرستُ للأشعار التي وردت في البحث بذكر أول البيت وقافيته ، مع بيان الشاعر ، وفهرستُ كذلك للمصادر والمراجع التي استفدتُ منها في البحث بتصنيفها إلى مجموعات حسب تخصصاتها ، ثم رتبتها هجائياً ، وختمت الفهارس بفهرس لموضوعات البحث .

الهيكل العام للبحث :

تشتمل خطة البحث التي تعالج هذا الموضوع على تمهيد وبابين وخاتمة وفهارس عامة .

فالتمهيد فيه عرض للحالة السياسية والاجتماعية والثقافية في عصر عالمنا ابن منظور .

واشتمل الباب الأول – وهو بعنوان : التعريف بابن منظور وكتابه لسان العرب – على فصلين ، أحدهما : التعريف بابن منظور ، والآخر : التعريف بلسان العرب .

واشتمل الفصل الأول على ثلاثة مباحث ، تعرضتُ في الأول إلى حياة ابن منظور ونشأته ، وتكلمتُ في الثاني عن مكانته العلمية وعقيدته ومذهبه ، وذكرتُ في الثالث شيوخه وتلاميذه ومؤلفاته .

واشتمل الفصل الثاني أيضاً على ثلاثة مباحث ، الأول في وصف اللسان ومصادره ، والثاني في ظواهر ومميزات اللسان ، والثالث في بيان منهج تأليف اللسان .

أمَّا الباب الثاني فهو أساس البحث ، وفيه دراسة النصوص القرآنية الواردة في لسان العرب ، وقد قسمته إلى ثلاثة فصول ، وخصصتُ الفصل الأول لدراسة النصوص القرآنية الواقعة في حرف الكاف ، وجملتها (١٣٤) نصّاً ، وخصصتُ الفصل الثاني لدراسة النصوص القرآنية الوقعة في حرف اللام ، وجملتها (١١٠) نصّاً .

أما الفصل الثالث فقد جعلته لدراسة النصوص القرآنية الواقعة في حرف الميم ، وجملتها (١٦١) نصّاً .

وبذلك يكون عدد النصوص القرآنية التي تمت دراستها في هذا البحث (٤٠٥) نصّاً .

ثُمَّ ختمتُ هذا البحث بملخص الدراسة ذكرتُ فيه أهم النتائج والتوصيات .

وذيَّلتُ البحث بمجموعة من الفهارس العامة حتى تعين طالب العلم على تمام الاستفادة من البحث ، وهي بالترتيب : فهرس الآيات القرآنية ، فهرس الأحاديث النبوية والآثار ، فهرس الأعلام المترجم لهم في البحث ، فهرس المواد اللغوية ، فهرس الأبيات الشعرية ، فهرس المصادر والمراجع ، فهرس الموضوعات .

ولا أحسبُ أنني أتيتُ بهذا العمل على الوجه الأكمل ، فهو عمل بشر ، وأعمال البشر موصوفة بالنقص ، والكمال لله – تعالى – وحده ، وما حالفني فيه من التوفيق والصواب فهو من فضل الله وعظيم مننه عليَّ ، وما أخطأتُ فيه أو جانبتُ فيه الصواب فمن نفسي والشيطان ، وأسأل الله تعالى أن يتقبل مني ، ويجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم. إنَّه قريب مجيب الدعاء ، والحمد لله أولاً وآخراً .

الباحثة.

التمهيد

عصر ابن منظور

قبل أَن نبدأَ بدراسة حياة عالمنا ابن منظور – الذي وُلِد في النصف الأَول من القرن السابع الهجري، وتوفي في النصف الأَول من القرن الثامن الهجري* – لا بدَّ من تسليط الضوء على تلك الحقبة الزمنية التي عاش فيها ، للتعرف على عصره وبيئته ، وما في ذلك العصر من أحوال سياسية كانت أَو اجتماعية أَو ثقافية ، من أَجل أن تكون الدراسة متكاملة ، وحتى يتكون لدينا تصور واضح عن مقدار تأثره بتلك الأحوال ، فإنَّ الإنسان وليد عصره ونتاج له.

أولاً : الحياة السياسية في مصر في عصر ابن منظور : ـ

بما أَنَّ ابن منظور وُلِد – على الراجح** – في مصر وعاش فيها ، كان لابدَّ من الحديث عن التاريخ السياسي لمصر في عصره .

عاش ابن منظور طفولته ، وشيئاً من شبابه في عهد الدولة الأَيوبية بمصر وعاش أَكثر عمره في العهد المملوكي الذي بدأَ سنة ٦٤٨ هـ بعد أن قتل المماليك آخر سلاطين الأيوبيين بمصر(١) .

انتهت الدولة الفاطمية(٢) في مصر بقيام الدولة الأَيوبية على يد الناصر صلاح الدين الأيوبي(٣) سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م) ، والدولة الأيوبية كردية الأصل

---

* سيأتي تفصيل الكلام عن تاريخ ميلاد ابن منظور في الباب الأول من هذا البحث إن شاء الله تعالى .

** وسيأتي تفصيل مكان ميلاده في نفس الموضع المشار إليه في هامش (*) إن شاء الله تعالى .

(١) انظر : البداية والنهاية ، لعماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٦ م ، (١٨٠/١٣) .

وانظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، لأحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٤، ١٩٧٩ م ، (١٨٥/٥) .

(٢) الدولة الفاطمية : (٢٩٧-٥٦٧هـ) ، ذهب المؤرخون في نسب الفاطميين مذاهب شتى ، فبعضهم يقول إِنَّهم ينتسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، ومن سمّوا الإسماعيلية أيضاً ، وبعضهم يُرجعهم في نسبهم إلى رجل فارسي هو عبدالله بن ميمون القدَّاح الأهوازي ، الذي يقول بوجود إلهين اثنين : إله النور وإله الظلمة . (انظر تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، لحسن إبراهيم حسن ، القاهرة ، ط٧ ، ١٩٦٥م ، (١٤٤/٣)).

(٣) صلاح الدين الأيوبي: (٥٣٢- ٥٨٩هـ/ ١١٣٧-١١٩٣م)، يوسف بن أيوب بن شادي، أبو المظفر، الملقب بالملك الناصر. من أشهر ملوك الإسلام. كردي الأصل، وولد بتكريت. نشأ بدمشق ، وتفقه وتأدب وروى الحديث بها وبمصر والإسكندرية ، وحدَّث في القدس . كانت مدة حكمه بمصر ٢٤ سنة ، وبسورية ١٩ سنة . (انظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لأبي محمد عبدالله بن أسعد اليافعي ، مؤسسة الأعلمي، بيروت ، ط٢، ١٣٩٠ هـ، (٤٣٩/٣) ، وانظر : الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٩م (٢٢٠/٨)).

ولكنها جاءت عن طريق الدولة السلجوقية[١] التركية ومماليكها، ونقلت عنها الكثير من عاداتها وأَنظمتها التركية المشرقية ، وطبقتها في مصر والشام لأَوَّل مرة .

كذلك سار الأَيوبيون على سنة السلاجقة وأتابكتهم[٢] بالإكثار مــن المماليــك الأتراك ، واستخدامهم في الجيش ، غير أنَّه يُلاحظ أنَّ الأَيوبيين أَنفســهم كــانوا أكراداً أحراراً لم يمسسهم رق [٣] .

وفي رحاب عماد الدين زنكي [٤] تطورت الأُسرة الأَيوبية ، غير أنَّه قُتِل بعد أَن حقَّق انتصارات هائلة ضد الصليبيين، فواصل المسيرة بعده ابنه نور الدين [٥]، حيث بلغت حملات نور الدين على مصر ثلاثاً ؛ وذلــك ليكمــل التفافــه حــول الصليبيين ويقضي عليهم ، وكانت هذه الحملات الثلاث كلها بقيادة أَســد الــدين شيركوه[٦] ومعه ابن أخيه صلاح الدين ، وعادت مصر إلـــى أَحضـــان المـــذهب

---

(١) نسبة إلى رئيس السلاجقة : سلجوق بن دقاق . (انظر : سلاجقة إيران والعــراق ، لعبــدالنعيم محمــد حسنين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٠م ، ص١٧) .

(٢) اتخذ السلاجقة في أيام قوتهم أشخاصاً من كبار مماليكهم أُطلق عليهم الأتابكة ، والأتابك : لفظ تركــي معناه : الأب الأمير . (انظر : قيام دولة المماليك الأُولى في مصر والشام ، لأحمد مختار العبادي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ص٧٧) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص(٧٣، ٨٢) .

(٤) عماد الدين زنكي : أبوالجود ، عماد الدين زنكي بن أقسنقر بن عبدالله ، الملقــب بالملــك المنصــور ، صاحب الموصل . وُلد سنة سبع وسبعين وأربعمائة للهجرة ، وتولى ولاية بغــداد ســنة إحــدى وعشرين وخمسمائة .(انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لشمس الدين أحمد بن أبي بكــر ابن خلكان، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ترجمة رقم (٢٤٥) ، (٣٢٧/٢)).

(٥) نور الدين زنكي : محمود بن زنكي (عماد الدين) ابن أقسنقر، أبوالقاسم، نور الــدين، الملقــب بالملــك العادل، ملك الشام وديار الجزيرة ومصر،وهو أعدل ملوك زمانه وأجلهم وأفضــلهم،كــان مــن المماليك، سمع الحديث بحلب ودمشق من جماعة،وسمع منه جماعة،توفي بدمشق سنة (٥٦٩هــ). (انظر : الأعلام ، للزركلي ، (١٧٠/٧) .

(٦) أسد الدين شيركوه : أبوالحارث شيركوه بن شادي بن مروان ، الملقب الملك المنصور ، أسد الدين ، عمّ السلطان صلاح الدين – رحمه الله – تولى أسد الدين الوزارة في مصر سنة ٥٦٤هــ، وأقام بهــا شهرين وخمسة أيام، ثم توفي فجأة في نفس السنة المذكورة ،وتولى مكانه صلاح الدين . (انظــر: وفيات الأعيان،لابن خلكان ، ترجمة رقــم (٢٩٨)، (٤٧٩/٢) ، وانظــر: الأعــلام، للزركلــي، (١٨٣/٣)) .

السني ، ومات شيركوه فآلت الوزارة إلى صلاح الدين الذي بدأت سلطته بمصر سنة ٥٦٤هـ، ولكنه لم يسقط الخلافة الفاطمية إلا سنة ٥٦٧هـ ، وبدأ بإظهار العدل بين الناس ، وعاملهم بكريم السجايا ، وأظهر التسامح مع أتباع المذهب الشيعي الذي كان سائداً هناك ، كما سوَّى في معاملته بين أتباع الديانات المختلفة ، فأبرز صفة أصيلة في نفسه هي التسامح الديني ، وأتاح للأقباط حرية التدين إلى أقصى حد ، وكان من نتائج ذلك أن أحبَّه الأقباط محبة شديدة ، واتجه كذلك بجهوده نحو المصريين جميعاً فرفع عنهم المظالم ، وخفف الضرائب التي كانت ترهقهم ، فاستمال بذلك قلوب الناس . وكان صلاح الدين في تلك الأثناء يقف من الصليبيين موقفاً حازماً ، فراح يهاجمهم في محافلهم ، وطالما غنم منهم الغنائم في هجماته ، وأمَّن منهم تجَّار المسلمين وأرضهم .

واستطاع صلاح الدين – بعد موت نور الدين زنكي – أن يوسع مملكته ، ويضم إليها ممالك أُخرى لم يسبق لنور الدين أن حكمها ، وكان من أبرز تلك البقاع ما استعاده صلاح الدين من الفرنجة بالشام أرضنا المقدسة .

ثم توفي صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٩هـ ، وله من العمر خمس وخمسون سنة تاركاً ذكراً معطَّراً ، وسيرة زاهية (١) .

ويُمكن القول بأنَّ بذور انهيار دولة صلاح الدين قد بدأت مع وفاته ؛ فإنَّ ملكه الفسيح سرعان ما تقطَّعت أوصاله ، فقد ملأت حوادث الخلف والمنازعات الداخلية بين أبناء البيت الأيوبي معظم تاريخ الدولة الأيوبيَّة ، ويرجع ذلك إلى تطبيق مبدأ اعتبار المملكة إرثاً خاصّاً يُقَسَّمُ بين أبناء البيت المالك ، وهو ما جرى عليه العرف في دول الشرق والغرب أوائل العصور الوسطى ، كما يرجع إلى حرص صلاح الدين أن تكون أهم أقاليم المملكة لأبنائه دون غيرهم مثل أخيه وأقدر القادرين على امتلاك ناصية الدولة بعده(٢) .

---

(١) انظر : موسوعة التاريخ الإسلامي ، لأحمد شلبي ، (١٦٧/٥-١٨٣) ، وانظر : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، لليافعي ، (٤٣٩/٣-٤٦٦) .

(٢) انظر : المرجع السابق الأول ، (١٨٤/٥) ، وانظر قيام دولة المماليك الأولى ، للعبادي ، ص٨٨.

وكان من الطبيعي أَن تزداد أَعداد المماليك الأتراك مدة النزاع بين أَبناء صلاح الدين وعمهم العادل ، وأَن يستمر سلاطين الأَيوبيين وملوكهم على استجلاب المماليك لتغذية جيوشهم ، ممَّا أَدَّى إِلى تفوّق القوة المملوكية التركية على القوة الكردية في دولة بني أيوب ، وبلغ المماليك من القوة في الدولة الأَيوبية ما جعلهم يخلعون سلطاناً ويقيمون آخر ، ثُم آل الأمر إلى هؤلاء المماليك الاتراك بقتلهم آخر سلاطين الأيوبيين بمصر توران شاه(١) . وبموت توران شاه ينتهي عصر الدولة الأيوبية في مصر (٢) .

توسعت مصر في استخدام المماليك قبل قيام دولتهم بها وقت طويل ، فقد صار جند مصر وولاتها من المماليك الأتراك أَو ذراريهم (٣) .

أَفسح الأَيوبيين الطريق لهؤلاء المماليك سنة ٦٤٨هـ ، ومنذ ذلك الوقت بدأت سلطتهم على مصر ، وهؤلاء المماليك كان قد اشتراهم الملك الصالح نجم الدين أيوب (٤) وجعلهم خاصته وبطانته ، وقضي على غالبية أُمرائه ، وعيَّن المماليك محلهم ، فكانوا يُظهرون غاية الإِخلاص لسيّدهم ، ولكنهم بعد موته لم

---

(١) توران شاه : الملك المعظم ، شمس الدولة ، توران شاه بن أيوب بن شادي بن مروان ، الملقب فخر الدين ، وهو أخو السلطان صلاح الدين – رحمه الله تعالى – فتح بلاد اليمن سنة ٥٦٩هـ ، توفى بالإسكندرية سنة ٥٧٦هـ ، فنقلته أخته ست الشام بنت أيوب إلى دمشق ، ودفنته في مدرستها التي أنشأتها بظاهر دمشق. (انظر : وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، ترجمة رقم(١٢٧) ، (٣٠٦/١)) .

(٢) انظر : قيام دولة المماليك الأُولى ، للعبادي ، ص(٩٢ ، ٩٣ ، ١١٣) .

(٣) انظر : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، لتقي الدين أَحمد بن علي المقريزي ، ط بولاق ، ١٢٧٠هـ ، (١٥٢/١) .

(٤) نجم الدين أيوب : أبوالشكر أيوب بن شادي بن مروان ، الملقب الملك الأفضل ، نجم الدين ، والد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، من أهل دُوِين – من أعمال أذربيجان – ، تولى والده شادي قلعة تكريت وأقام بها مدة ، ثُمَّ توفى بها ، فتولى أَمرها بعد والده ، ووَلِد له بها السلطان صلاح الدين ، ثم اتصل بخدمة نور الدين زكي – صاحب الشام – ودخل هو وابنه صلاح الدين القاهرة ، ومات فيها بعد أن ألقاه فرسه سنة ٥٦٨هـ ، ودفن عند قبر أخيه أسد الدين شيركوه – رحمه الله تعالى – ثُمَّ نقلا لإلى مدينة رسول الله ﷺ – ودفنا هناك .

(انظر : وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، ترجمة رقم ١٠٧أ ، ١٠٧ ب ، (٢٥٥/١-٢٦١)) .

يستطيعوا أَن يظلوا على ولائهم لابنه توران شاه ، واتخذوا جانب شجرة الدر[١] – زوجة أَبيه – والتي تنحدر من المعين الذي ينحدرون منه ، وتآمروا معهــا علـــى توران شاه وقتلوه .

واستبدَّ المماليك بمصر ، وامتدَّ سلطانهم إلى دمشق وحلب مدة عشر سنوات حتى اكتسحها المغول في زحفهم المدمر على بلاد الإِسلام [٢] .

كان الاجتياح المغولي للعالم الإِسلامي في بداية النصف الثاني مــن القــرن السابع الهجري – الثالث عشر الميلادي – وسقوط حاضرته العتيدة بغــداد ســنة (٦٥٦هــ/١٢٥٨م) قد أَحدث تغييرات بعيدة المدى في الكيانات السياسية والإِدارية والاجتماعية في جميع المناطق التي تعرضت للغزو [٣] ، كما كان له آثار عميقــة في الأَحوال المعنوية والحياة العقلية والعلم والحضارة في ســائر بــلاد الشــرق الإِسلامي ، فأَدَّى هذا الحال بها إِلى أَسوء مراحل الانحطاط الماديّ والمعنويّ.

دخل التتار بغداد – كما مرَّ معنا – سنة ٦٥٦هــ ، وأَحــدثوا فيهــا فســاداً عظيماً ، فتصدَّى لهم سيف الدين قطز[٤] . وهزمهم هزيمة كبيرة في وقعة عــين جالوت [٥] ، وكانت في رمضان سنة ٦٥٨هــ ، فكانت تلك هــي بدايــة النهايــة

---

(١) شجرة الدر : الصالحية – أُم خليل ، الملقبة بعصمة الدين ، ملكة مصر – أصلها من جــواري الملــك الصالح نجم الدين أيوب ، اشتراها في أيام أبيه ، وحظيت عنده ، وولدت لــه ابنــه خلــيلاً ، فأعتقها وتزوجها ، ملكت أمر مصر بعد وفاة زوجها ، ثم تنازلت عن الملك لوزيرها عز الدين أيبك ، وتزوجت منه ، توفى سنة ٦٥٥هــ (انظر : الأعلام ، للزركلي ، (١٥٨/٣)) .

(٢) انظر : موسوعة التاريخ الإسلامي ، لأحمد شلبي ، (١٨٥/٥) .

(٣) انظر : موسوعة البصرة الحضارية – الموسوعة التاريخية – جامعــة البصــرة ، المركــز الثقــافي ، البصرة، ١٣٨١هــ ، ص١٣٨ .

وانظر في ذلك : الكامل في التاريخ ، لابن الأثير علي بن محمد الشيباني ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٦ ، (٣٥٨/١٢-٣٩٨) .

(٤) سيف الدين قطز : قطز بن عبدالله المعزي ، سيف الدين ، ثالث ملوك الترك المماليك بمصر والشــام ، نهض لقتال التتار ، فخرج من مصر ، ولقى جيشاً منهم في "عين جالوت" بفلسطين ، فكســره سنة ٦٥٨هــ . قتله أَتابك عسكره : "بيبرس"ودُفِن بالقصير ، ثم نُقل إلى القاهرة .

(انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير ، (١٩٩/١٣-٢٢٢) ، وانظر : الأعلام ، للزركلي ، (٢٠١/٥)).

(٥) عين جالوت : ذكرها الحموي "عين الجالوت" اسم أَعجمي لا ينصرف ، وهي بليدة لطيفة بــين بيســان ونابلس من أَعمال فلسطين .

(انظر : معجم البلدان ، لياقوت بن عبدالله الحموي ، دار الفكر ، بيروت ، (١٧٧/٤)).

لتسلط التتار على المسلمين ، وكان للعلماء دور عظيم في هذا النصـــر بحضـــهم الناس على الجهاد ، وارتفع شأن المماليك في العالم الإِسلامي ، فصارت مصـــر قبلة للعلماء والطلاب من جميع بلاد الإسلام .

وبالإِضافة إلى تسلط المغول على العالم الإِســلامي كـــان آنـــذاك الهجمـــة الصليبية على مصر والشام ، واستولى النصارى على طرابلس ، ولـــم يســـتردها المسلمون إلاَّ سنة ٦٨٨هــ ، وكانت خلافات الحكام ، وتنازعهم علـــى الســـلطة السبب الأَكبر في هزائم المسلمين في تلك الحروب ، وتَمَّ طرد النصارى من مصر والشام نهائياً في العهد المملوكي (١) .

وكان النشاط العسكري متقدماً في عصر المماليك ، فقد بنوا الأَسوار حـــول المدن ، وحفروا الخنادق والممرات المائية ، وبنوا الأَساطيل الضخمة ، ومنعـــوا قطع الأَشجار إِلا لبناء السفن ، وبنوا دور صناعة السلاح ، كمـــا عرفـــوا فنـــون الجاسوسية .

وبالرغم من التقدم العسكري والسياسي في ذلك العصر ، فقد ظهـــرت فيـــه بعض العيوب كالتآمر على السلطة ، ومبايعة الصبيان ، وكثرة الضـــرائب علـــى السلع في الموانئ ، وحتى على الحُجاج ، والإِسراف في الإِنفاق علـــى الأُمـــراء والحكام (٢) .

مِمَّا سبق يتبين لنا أَنَّ الإِمام ابن منظور عاش ونشأ في بيئة مليئة بالتقلبـــات السياسية ، والأحداث الحربية الشديدة ، ومع ذلك كان له عطاء كبير فـــي خدمـــة العلوم الإِسلامية لم تمنعه تلك الأَحداث من تقديمه للناس.

ثانياً : **الحياة الاجتماعية في عهد ابن منظور** :

إِنَّ اهتمام الأَيوبيين بالنواحي العسكرية لم يشغلهم عن النشـــاط الحضـــاري والاجتماعي ، فقد اهتموا بفتح المدارس ؛ وذلك ليوجهوا عقول الناس إلى التفكيـــر السني بعد أَن عاشت مصر ودمشق زهاء قرنين في إِطـــار التفكيـــر الشـــيعي و

(١) انظر البداية والنهاية ، لابن كثير ، (١٣/٢٢٠، ٢٢٢، ٣١٣) .

(٢) انظر : الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ، (١٢/٣٢٣-٣٢٥) .

وكانت مدارس الأَيوبيين كثيرة العدد بحيث تمكنت من تحقيق أَهدافها في وقت قصير .

ويمتاز هذا العهد بأَنَّ الأُمراء والأَميرات والتجار وغيرهم من الأَهلين حتى الخدم أَسهموا في إِنشاء المدارس ورعاية العلم(١) .

وخدم صلاح الدين فن العمارة خدمات عظيمة في القدس والقاهرة ، فأَمَّا في القدس فقد كان له فضل تجديد المسجد الأَقصى الذي اتخذه الصليبيون قصراً لهم ، وتزيينه بالفسيفساء* والرخام ، ليس هذا فقط ، بل أَقام فيه منبراً نفيساً لا يزال باقياً حتى اليوم ، أَمَّا في القاهرة فقد شيَّد القلعة الشاهقة المعروفة باسمه ، وبدأ في إنشاء السور الذي يمنع القاهرة من كل هجوم قد تتعرض إِليه (٢) .

أَمَّا التنظيم الإِداري فقد تحسَّن في عهد ابن منظور – تحسناً ملحوظاً ، فإِنَّ الدولة الأَيوبية لمَّا خلفت الدولة الفاطمية خالفتها في كثير من ترتيب الدولة وغيَّرت معالمها ، وجرت على ما كانت عليه دولة عماد الدين زنكي بالموصل ، ودولة ابنه نور الدين محمود بالشام ، ثُمَّ جاءت الدولة التركية . وقد تفتحت المملكة وترتبت ، فأَخذت في الزيادة في تحسين الترتيب ، وتنضيد الملك وقيام أُبَّهته(٣) .

وكانت دواوين الحكومة في عصر المماليك على نسق واحد من حيث تنظيمها إِدارياً ، فكان على رأس كل ديوان موظف كبير هو "الناظر" ، ويقوم بمهام الوزير اليوم ، ويليه في الرتبة "مستوفي الصحبة" و"مستوفي الدولة" ،

---

(١) انظر : موسوعة التاريخ الإسلامي ، لأحمد شلبي ، (١٩٢/٥) .

* الفسيفساء :ألوان تؤلف من الخرز ، فتوضع في الحيطان يؤلف بعضه على بعض ، ويركب في حيطان البيوت من داخل كأنه نقش مصور ، وأكثر من يتخذه أهل الشام ، والفسيفساء ليست عربية .

(انظر : تاج العروس من جواهر القاموس ، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحقيق : محمود محمد الطناجي ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٧٦م ، مادة (فسس) (٣٣٥/١٦)) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (١٩٣/٥) .

(٣) انظر : عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، لمحمود رزق سليم ، مكتبة الآداب ومطبعتها، الجمامير ، ط٢، ١٣٨١هـ ، (٨٤/١) .

ويُشرفان على موظفي الديوان على اختلافهم ، ويلي هؤلاء طبقة من الموظفين، مثل : الشاد والمستوفين والكُتَّاب وغيرهم .

وكان سلاطين المماليك في البداية يُعِينون المماليك في كل الوظائف أَو معظمها ، وقد احتفظوا بهذه القاعدة إِلى نهاية حكمهم فيما يختص بالوظائف الكبيرة ، ولكنهم اضطروا إِلى أَن يتخذوا موظفين من غير المماليك في وظائف كاتب السر، وصاحب ديوان الإِنشاء ، وما إِلى ذلك ، بل كانوا يُلحقون بها المسيحيين واليهود من أَهل الذمة ؛ لأَنَّ المماليك لم يكونوا يتقنون مثل هذه الأَعمال [1] .

وقد كانت مناصب الدولة – عدا منصب السلطنة – مقسَّمة بين نوعين من الرجال هما : المتعمِّمون والأُمراء ، وقد أُطلق لفظ المتعمِّمين على المثقفين من أَبناء الشعب المتخرجين في المساجد ، النابغين في علم أَو أَدب ، وهؤلاء يُختار منهم قضاة القضاة ونوابهم ومساعدوهم ، وكُتَّاب الدواوين ومعاونوهم ، وكتاب السر وشيوخ المدارس وما إِلى ذلك ، ولهؤلاء أُجور ورواتب وضروب من المعونة يُمنحونها من أَوقاف أَو نحوها لقاء أَعمالهم .

أَمَّا الأُمراء فأَصلهم من معتوقي المماليك الذين سمت بهم همتهم وحظهم إِلى مرتبة الإِمارة ، ولكل واحد من هؤلاء إِقطاع يُمنحه ، ويتغير إِقطاعه ، ويعطي أَوسع منه كلما ترقى ، ويُرَد الإِقطاع إِلى السلطان ليمنحه لأَمير آخر إِذا توفى صاحبه أَو عَطِل .

ويعتبر الأُمراء جميعاً أَعضاءً عاملين في الجيش ضبَّاطاً إِلاَّ من غضب عليه السلطان منهم ، فنفاه وجعله طرخاناً ، أَي : عاطلاً بلا عمل [2] .

من هذا السرد التاريخي للنواحي الاجتماعية في عصر ابن منظور يتبين لنا أَنَّ التنظيم الاجتماعي والإداري في عهده كان أَكثر استقراراً من التنظيم الحربي والعسكري الذي اتسم بالتقلبات والتغيرات المستمرة بسبب التآمر على السلطة والحرص على المناصب ، وهذا – للأسف– ما نجده بوضوح أَكثر في أَيامنا هذه.

---

(١) انظر : تاريخ المماليك البحرية ، لعلي إبراهيم ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٦٧م ، ص(٣٣٧ ، ٣٣٨) .

(٢) انظر : عصر سلاطين المماليك ، لمحمود رزق سليم ، (٨٤/١) .

ثالثاً : الحياة الثقافية في عهد ابن منظور :

كان عصر ابن منظور عامراً بالنشاط الديني والعلمي ، ففي عهد الدولة الأَيوبية بدأ صلاح الدين بتعميم حركة إِنشاء المدارس في مصر ، وقد كان الهدف من حركة إِنشاء المدارس منذ بدأها السلاجقة ، وتبعهم فيها الاتابكة هو محاربة المذهب الشيعي ، والدعوة للمذهب السني وتدريسه ، وقد كانت أَوّل مدرسة أَنشأها صلاح الدين في مصر هي المدرسة الناصرية التي أُنشئت في الفسطاط(1) لتدريس المذهب الشافعي ، ثُمَّ أَنشأ مدرسة أُخرى لتدريس المذهب المالكي ، ثُمَّ تبعه أَفراد أُسرته ورجال دولته فأَنشأوا مدارس أُخرى كثيرة في مختلف المدن المصرية (2) ، لذا يمكننا القول بأَنَّ الأَيوبيين هم الذين اهتموا في الواقع ببناء المدارس في أَنحاء مصر ، وكذلك الشام (3) .

أَمَّا المماليك فقد اتبعوا نفس التنظيم الديني السابق الموجود في مصر وفي الدولة الإِسلامية ، وهو : التشريع السني والقضاء والنظر في المظالم والحسبة والشرطة .

قد عرفنا أَنَّ الأَيوبيين عملوا على إِحلال الشريعة السنية مكان الشيعية التي كانت أساس الحكم في الدولة الفاطمية ، ومنذ ذلك والشريعة السنية قائمة أَيضاً في دولة المماليك، فكان التشريع السني له أهميته ليس فقط من حيث استنباط الأحكام، وإِنَّما يؤيد أَيضاً سلطة الدولة التي أَصبح طابعها سنياً . وفي الواقع أَنَّه لا انفصال بين القانون والعقيدة في نظم الدولة الإِسلامية ، فالشريعة جزء من الدين وفي عهد المماليك أَيضاً كان يوجد المفتي لكل مذهب من المذاهب السنية الأربعة(4) .

---

(1) الفسطاط : من مدن مصر ، بناها عمرو بن العاص ، وللعرب فيها ست لغات ، منها : فُسطاط(بضم أَوله وفِسطاط(بكسره) ، ومعناها : بيت من أَدم أَو شعر ، وقال صاحب العين : ضربٌ من الأَبنية ، وقيل : كل مدينة فسطاط . (انظر : معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، (٢٦٣/٤ ، ٢٦٤) ، وانظر : كتاب العين ، لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ، مادة (فسط) ، (٢١٧/٧)) .

(2) انظر : تاريخ مصر الإسلامية (من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي) ، لجمال الدين الشيَّال ، دار المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٦٧م ، (٢٦٤/١ ، ٢٦٥) .

(3) انظر : قيام دولة المماليك الأولى ، للعبادي ، ص٨٢ .

(4) انظر: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ، دراسة شاملة للنظم السياسية ، لعبدالمنعم ماجد، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٤م ، ص (٩١ ، ٩٢).
وانظر : عصر سلاطين المماليك ، لمحمود رزق سليم ، (٥٥/١) .

أمَّا بالنسبة للقضاء فحتى سقوط دولة المماليك كان هناك أَربعة قاضي قضاة يُسَمَّوْن الحكام الأَربعة ، كل منهم يحكم بمــذهب ، وهــم : الشــافعي والحنفــي والمالكي والحنبلي ، ولكن كان لقاضي قضاة الشافعية الأَولوية ، حيث أُضيفت له مهام زائدة ، وذلك راجع أَيضاً لأَنَّ أَهل مصر كان معظمهــم شــافعية ، وكــان المذهب الحنفي يليه في المرتبة . والسبب في هذا أَنَّ المماليك – وهم ترك– وكان أغلبهم على مذهبه الذي – بملاحظة المؤرخين – لم يكن لــه فــي مصــر قبــل المماليك كثير من الاتباع ، ويليه المالكي الذي كــان أَول مــذاهب الســنة التــي انتشرت بين المصريين إلا أَنَّ مذهب الشافعي طغى عليــه ، وأَخيــراً المــذهب الحنبلي الذي لم تكن له أَرض في مصر ، وإِنما كان نفوذه في العــراق ، حيــث قضى عليه بسقوط الخلافة العباسية في بغداد على يد المغول فانتقل إلى مصر [١].

وقد امتدت سلطة قاضي القضاة ، واتسعت وتضمنت أُموراً ليس لها علاقــة بالقضاء ، ولكنها ضُمَّت إِليه على حسب العرف والاصطلاح ، حتى إِنَّ أَحد قضاة القضاة تولى خمس عشرة أَو سبع عشرة وظيفــة ، فمنهــا علــى الخصــوص : الخطابة في الجامع الأَعظم بالقلعة ، والإشراف على الأَوقاف ، وتعلــيم العلــوم الشرعية ، وإِدارة المدرسة وأَوقافها ، ونظر المدرسة ، والنظر في بيت المــال ، ونظر الجيش الذي يشرف على إِقطاعات المماليك ، ونظــر الخزانــة ، ونظــر البيوت في قصر السلطان ، ونظر دار الضيافة ، إِلى غير ذلك من المهام .

يُضاف إِلى هذا أَنَّه كان لقضاة القضــاة دور سياســي ، فكــان الســلطان يستشيرهم في مهام السياسة العليا ، فهم يُسَمَّون أَهل الحل والعقد ، وقــد جعلهــم السلطان أَساساً لبيعه الخليفة ، وأَداة لعزله ، كما كانوا يبايعون الســلطان نفســه ، وكانت لهم اختصاصات أُخرى غير ذلك .

وبطبيعة الحال كان الحكم في القضايا يسير وفق الشريعة الســنية ، وكــان للقاضي حق التصرف في القانون وفق اجتهاده ، وقد يلجأ أَحياناً إِلى المفتي [٢] .

---

(١) انظر : المرجعين السابقين ، الأول : ص٩٤ ، ٩٥ ، والثاني (٦١,٦٢/١) .

(٢) انظر : نظم دولة سلاطين المماليك ، لعبدالمنعم ماجد ، ص(٩٧–١٠٣) .

ممَّا سبق تتبين أَهمية القضاء في نظم الدولة المماليكية ، لذلك كانوا يختارون له أَئمة الرجال المعروفين بعلمهم الواسع في الشرع ، حيث كان معظمهم بالإضافة إلى اشتغالهم بالقضاء يعملون في التدريس في المدارس ، كذلك كانوا يختارون من بين أئمة الدين ، وحتى من بين رجال الصوفية الذين كانوا طائفة كبرى في أيام المماليك ، ولهم احترام خاص فكان كبير الصوفية يلقب بشيخ الشيوخ (١) .

أمَّا النظر في المظالم – وهي ما تتعلق بالتعدِّي أو الفساد في الدولة الذي يعجز القضاة العاديون عن النظر فيه – فيرفع إلى صاحب السلطة العليا ، فهو أشبه بقضاء الاستئناف الحالي وإن اتخذ اسم النظر في المظالم .

وفيما يتعلق بالحسبة فقد كانت قبل المماليك تكفل لموظف واحد له حق استخدام النواب عنه بالقاهرة ومصر وجميع أعمال البلاد والإمبراطورية كنواب القضاء إلا أنَّه في عهد المماليك نسمع عن ثلاث وظائف للحسبة في مصر والقاهرة والإسكندرية ، فضلاً عن وجود محتسبين في كل نيابات الشام . وقد كان للقائم بالحسبة في أيام المماليك سلطة تنفيذية كسلطة قاضي القضاة ، وإن كانت العقوبات التي يفرضها لا تبلغ عقوبات الحدود ، وتختلف بحسب الذنب ، وهو ما أُطلق عليه التعزير .

أمَّا الشرطة فهي وظيفة من وظائف السيف توجد في العاصمة ، وموضوعها تنفيذ العقوبات الشرعية وغيرها ، ولذلك اعتبرت تابعة للوظائف الدينية ، وكان يُطلق عليها الولاية ، ومن يقوم بها يُسمَّى الوالي أو متولي أو صاحب ، ومهمته أيضاً – إلى جانب كونه أَداة تنفيذ – هي حفظ الأَمن ليلاً ونهاراً . وكان تنظيم الشرطة في عهد المماليك يتفق مع تنظيمها قبلهم في عهد الفاطميين من حيث التقسيم .

هذا هو التنظيم الديني في عهد المماليك نجده يتطور على حسب مقتضيات العصر دون أن يخرج في جملته عمَّا كان سائداً قبلهم في مصر أو في دول الإسلام (٢) .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص١٠٤.

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص(١٠٦–١٣٧) .

الباب الأوّل

التعريف بابن منظور وكتابه "لسان العرب"

ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول : **التعريف بابن منظور** .

الفصل الثاني : **التعريف بلسان العرب** .

الفصل الأوَّل

التعريف بابن منظور

ويحتوي على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : **حياته ونشأته** .

المبحث الثاني : **مكانته العلمية وعقيدته ومذهبه** .

المبحث الثالث : **شيوخه وتلاميذه ومؤلفاته** .

المبحث الأول

حياة ابن منظور ونشأته

لم تذكر المصادر التي ترجمت لابن منظور [1] كثيراً من التفاصيل عن حياته ونشأته ، وما يتعلق بأفراد أُسرته ، واكتفت بخطوط عامة عن حياته ، وهي مكررة في هذه المصادر ، وذلك يرجع إلى أنَّ المترجمين للأعلام في تلك المصادر ينقل بعضهم عن بعض ، وتميَّز بعضهم بإضافة بعض المعلومات .

وقد حاولتُ – قدر المستطاع – جمع تلك المعلومات الشحيحة ، والإفادة منها في إلقاء الضوء على حياة ذلك الإمام اللُّغويّ .

ويحتوي هذا المبحث على مطلبين :

المطلب الأول : **اسمه وكنيته ولقبه ونسبه** :

اسمه : محمد بن مُكَرَّم [2] بن عليّ بن أحمد بن أبي القاسم بن حَبْقَة بن محمد بن منظور بن مُعافى بن خِمِيِّر بن ريام بن سلطان بن كامل بن قرة بن

---

(١) انظر ترجمته في المصادر الآتية : * فوات الوفيات ، لمحمد بن شاكر الكتبي ، تحقيق علي محمد بن يعوض الله وعادل أحمد عبدالموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، (٤٣٦/٢،٤٣٧) ، * مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، لليافعي (٢٥١/٤) * شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لعبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي ، تحقيق : عبدالقادر ومحمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط١، ١٤٠٦هـ ، (٢٦/٦، ٢٧) * الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلانيّ، تحقيق :محمد عبدالمعيد ، مجلس دائرة المعارف ، حيدر أباد ، ط٢ ، ١٣٩٢هـ ، (١٥,١٦/٦) * بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، (٢٤٨/١) * الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٤٢٠هـ، (٣٧/٥، ٣٨) * من ذيول العبر ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، (٦٢/٦) * كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لمصطفى بن عبدالله (حاجي خليفة) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ، (١٢٩/١) *أبجد العلوم الواشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، لصديق بن حسن القنوجي ، تحقيق : عبدالجبار زكار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨م ، (١٠/٣) * الأعلام للزركلي ، (١٠٨/٧) .

(٢) مُكَرَّم : هكذا بضم الميم وفتح الكاف وتشديد الراء مع فتحها ، وقد بينت بعض المصادر تشديد الراء فقط . ولم أجدها بهذا الضبط التام إلا في لسان العرب .

(انظر: لسان العرب ، لمحمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت ، ط١،مادة (جرب) (٢٦٣/١) .

كامل بن سِرْحان بن جابر بن رفاعة بن جابر بن رويفع [١] بن ثابت بن سَكَن بن عدي بن حارثة الأنصاري .

هذا – باختصار – ما ذكره ابن منظور عن نسبه في كتابه "لسان العــرب" ، وقد أوصله إلى سيدنا آدم – عليه السلام [٢] .

وقد تواطأت المصادر التي ترجمت له على هذا النسب – على اختصارها له – إلاَّ ما جاء في بعضها من أنَّ اسم جد ابن منظور هو "رضوان"[٣] وليس عليّ. ولكن لا ينبغي الأخذ بهذه الرواية ، لأنَّ الإمام ابن منظور بيَّن في نسبه أنَّ اسـم جده هو عليّ وليس رضوان ، وهو أَعلم بنسبه من غيره ، فتُقَـدَّم روايــة ابـن منظور على رواية غيره عند التعارض ، إلاَّ إذا كان المراد بذلك أنَّ رضوان هذا هو لقب لعليّ ، والعلم عند الله تعالى .

أمَّا كنيته فهي "أبوالفضل" وقد أجمعت المصادر التي ذكرتها على ذلـك[٤] . وأمَّا لقبه فهو "جمال الدين" ، ولم يخالف في ذلك أحد ممَّن ذكره مـن أصـحاب التراجم [٥] .

---

(١) رويفع : هو رويفع بن ثابت بن السكن بن عدي بن حارثة ، من بني مالك بن النجار . نزل مصر وولاه معاوية على طرابلس سنة ست وأربعين فغزا إفريقية ، وروى عن النبي – ﷺ – وعنه بشر بـن عبيدالله الحضرمي وآخرون ، توفى ببرقة – وهو أمير عليها – سنة ست وخمسين .

(انظر : الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : علي محمد البجاوي، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ، (٥٠١/٢) . وانظر سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط٩ ، ١٤١٣هـ ، (٣٦/٣)).

(٢) انظر : لسان العرب ، لابن منظور ، مادة (جرب) ، (٢٦٣/١، ٢٦٤).

(٣) انظر : بغية الوعاة ، للسيوطي (٢٤٨/١) ، وانظر : أبجد العلوم ، للقنوجي ، (١٠/٣) .

(٤) انظر : الدرر الكامنة ، لابن حجر العسقلاني ، (١٥/٦) ، والوافي بالوفيـات ، للصـفدي ، (٣٧/٥) ، وأبجد العلوم ، للقنوجي ، (١٠/٣) ، والأعلام ، للزركلي ، (١٠٨/٧) .

(٥) انظر : المراجع السابقة في هامش (٤) ، وفوات الوفيات ، للكتبي ، (٤٣٦/٢) ، ومرآة الجنان، لليافعي ، (٢٥١/٤) ، ومن ذيول العبر ، لشمس الدين الذهبي ، (٦٢/٦) ، وكشـف الظنـون ، لحـاجي خليفة، (١٢٩/١) ، وشذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، (٢٦/٦) .

وأمَّا نسبته فيقال له : الرويفعيّ والأنصاريّ ، والإفريقيّ والمصريّ . فالرويفعيّ والأنصاريّ ؛ لأنَّه من ولد رويفع بن ثابت الأنصاريّ[١] ، والإفريقيّ؛ لأنَّ أجداده من إفريقية[٢] ، والمصري ؛ لأنَّه – على القول الصحيح– وُلد بمصر، وعاش فيها [٣] .

المطلب الثاني : **مولده ونشأته ووفاته** :

أجمعت مصادر التراجم على أنَّ ابن منظور وُلِد في المحرم سنة ثلاثين وستمائة من الهجرة المباركة [٤] ، إلا أنَّ معظم هذه المصادر خلت من تحديد مكان ميلاده ، ولم يتعرض لذلك إلا القليل منها ، فبيَّنت أنَّ هناك اختلاف حوله ، فقيل وُلد بمصر ، وقيل: بطرابلس الغرب [٥] ؛ لأنَّ أجداده منها [٦] .

---

(١) نقل ابن منظور عن أخيه "عبدالله بن مكرَّم" قوله : (رويفع بن ثابت هذا هو جدنا الأعلى من الأنصار ، كما رأيته بخط جَدِّي نجيب الدين والد المكرم) . (انظر : لسان العرب ، مادة (جرب) ، (٢٦٣/١) .

(٢) إفريقية : بكسر الهمرة ، وهو اسم لبلاد واسعة ، ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية ، وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس ، وهما في شماليها ، فصقلية منحرفة إلى الشرق ، والأندلس منحرفة عنها إلى جهة المغرب . [أمَّا اليوم فإذا أطلقت "أفريقيا" فيراد بها القارة الإفريقية ذات الحدود الجغرافية المعروفة] .

(انظر : معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، (٢٢٨/١)).

(٣) انظر على سبيل المثال : فوات الوفيات ، للكتبي ، (٤٣٦/٢) ، مرآة الجنان ، لليافعي (٢٥١/٤) ، كشف الظنون ، لحاجة خليفة ، (١٢٩/١) ، شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، (٢٦/٦) ، الدرر الكامنة ، لابن حجر العسقلاني ، (١٥/٦) ، وأبجد العلوم ، للقنوجي (١٠/٣) .

(٤) انظر : على سبيل المثال: فوات الوفيات، للكتبي، (٤٣٦/٢) ، أبجد العلوم، للقنوجي ، (١٠/٣) ، الدرر الكامنة، لابن حجر ، (١٥/٦) ، الوافي بالوفيات، للصفدي، (٣٧/٥)، الأعلام، للزركلي، (١٠٨/٧).

(٥) طرابلس الغرب : هي مدينة في آخر أَرض برقة ، وأوّل أرض أفريقية [وهي عاصمة الجماهيرية العربية الليبية اليوم] . (انظر : معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، (٢١٧/١) .

(٦) انظر : الأعلام ، للزركلي ، (١٠٨/٧) ، وقال الزركلي في هامش ترجمته لابن منظور : (وفي مجلة المجمع العلمي العربي (٣٢–٤٦٦) تحقيق في أنَّ ابن منظور من أسرة ليبية قديمة ، وأنه نشأ في ربوع طرابلس الغرب ، ثم كان له أعقاب فيها ، وفي تاجوراء التابعة لها يعرفون بآل ابن مكرم ، انقرضوا قبل قرن من الزمن تقريباً) . (انظر : الأعلام ، (١٠٨/٧) .

اكتفت المصادر التي ذكرت مكان ميلاد ابن منظور بإيراد الخلاف حوله فقط دون ترجيح أحد القولين على الآخر ، إلا أنَّ مجموع ما ورد في مصادر الترجمة لابن منظور من تَوَلِّيه للكتابة بديوان الإنشاء بمصر ، ثُمَّ تولِّيه القضاء بطرابلس[1]، فيه دلالة على أن ميلاده كان في مصر ، وكون أجداده من إفريقية لا يمنع ذلك ، والعلم عند الله تعالى .

وكذلك لم تذكر لنا تلك المصادر معلومات وافية عن نشأة ابن منظور،وكل الذي أشارت إليه أنَّ ابن منظور نشأ في بيت علم ومعرفة ، وكان له اجتهاد واسع في طلب العلم ، كما كانت له مساهمات واضحة في خدمة العلوم الإسلامية ، تمثلت في كثرة تآليفه واختصاراته،ولم يمنعه ذلك من أداء بعض الوظائف الرسمية في بلاده آنذاك ، فقد خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة مدة عمره ، ثم ذهب إِلى طرابلس وولي القضاء فيها[2] وتذكر بعض المصادر أنَّه عمى في آخر عمره[3] .

وقد خلت المصادر التي ترجمت لابن منظور من ذكرٍ لأفراد أسرته إلا ما ورد في بعضها من الإشارة إلى أحد أبنائه – وهو قطب الدين محمد بن محمد بن مكرّم[4] ، وقد ذكروه في تلاميذ أبيه ، وكان هذا الابن زاهداً كأبيه ، وعمل بوظيفته ، فقد كان أحد كتاب الإنشاء السلطاني بالقاهرة ، وكان يسرد الصوم ، ويكثر المجاورة بالحرمين الشريفين ، وبالقدس الشريف [5] .

---

(١) انظر على سبيل المثال : المرجع السابق (١٠٨/٧) والدرر الكامنة ، لابن حجر (١٥/٦) والوافي بالوفيات ، للصفدي ، (٣٧/٥) وفوات الوفيات ، للكتبي ، (٤٣٦/٢) .

(٢) انظر : المراجع السابقة ، وأبجد العلوم ، للقنوجي ، (١٠/٣) .

(٣) انظر : الدرر الكامنة ، لابن حجر ، (١٥/٦) ، والأعلام ، للزركلي ، (١٠٨/٧) .

(٤) انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي ، (٣٨/٥) ، والدرر الكامنة ، لابن حجر ، (١٥/٦) .
وستأتي ترجمة قطب الدين بالتفصيل في المبحث الثالث من هذا الفصل إن شاء الله تعالى .

(٥) انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي ، (١٦٥/١٠) .

كما ذكر ابن منظور نفسه أحد إخوانه – وهو عبدالله بن مُكَرَّم[1] – وذلك في معرض الحديث عن نسبه في "لسان العرب" . ويبدو أنَّ هذا الأخ لم تكن له شهرة واسعة كابن منظور ؛ ولذا لم نجد له ذكر في كتب التراجم .

ثُمَّ توفى ابن منظور بمصر في شعبان سنة إحدى عشر وسبعمائة من الهجرة المباركة ، عن عمر يُناهز الاثنين والثمانين عاماً [2] ، قضاها جميعاً في العطـــاء العلمي الواسع لأمته ، وخدم فيها مختلف العلوم الإسلامية بالتـــأليف والتـــدريس ، رحمه الله رحمة واسعة .

---

(١) انظر : لسان العرب ، لابن منظور ، مادة (جرب) (١/٢٦٣) .

(٢) انظر : مرآة الجنان ، لليافعي ، (٤/٢٥١) ، أبجد العلوم ، للقنوجي ، (٣/١٠) ، شذرات الذهب ، لابـــن العماد الحنبلي ، (٦/٢٦) ، الدرر الكامنة ، لابن حجر (٦/١٦) ، من ذيول العبر ، لشمس الـــدين الذهبي، (٦/٦٢)، الوافي بالوفيات ، للصفدي،(٥/٣٧)، فوات الوفيات، للكتبي، (٢/٤٣٦)، كشف الظنون، لحاجي خليفة، (١/١٢٩ ، ٢٩٤ ، ٨٢٥)، بغية الوعاة ، للسيوطي، (١/٢٤٨)، والأعلام، للزركلي، (٧/١٠٨)

المبحث الثاني

مكانة ابن منظور العلمية وعقيدته ومذهبه

المطلب الأول : مكانته العلمية ، وأقوال العلماء فيه :

اتصف الإمام ابن منظور بالصفات الفاضلة ، وتميز بالأخلاق الحسنة ، وقد أجمع المترجمون له على خصاله الحميدة ، وسيرته الطيِّبة ، وبراعته في كثير من العلوم ، ولم يؤثر عنه ما يقدح في أهل العلم والفضل .

فقد وصف بأنه الإمام اللُّغوي الحجة [1] ، وأنَّه كان صدراً رئيساً فاضلاً في الأدب ، مليح الإنشاء ، عارفاً بالنحو واللغة والتاريخ والكتابة [2] ، كما وُصف بأنَّه كان صاحب نكت ونوادر [3] .

وشهد له كثير من أصحاب التراجم بأنَّه كان رجلاً فاضلاً ، وهو كاتب الإنشاء الشريف ، واختصر كتباً كثيرة ، وكان كثير النسخ ، كما اشتهر بالخط الحسن ، وكان معروفاً بكثرة الحفظ . جمع وعمَّر وحدَّث ، وله أدب ونظم ونثر [4] فمن نظمه :

بالله إن جُزْتَ بوادي الأَراك
وقبَّلت عيدانُهُ الخُضْرُ فَاك
ابعث إِلى عبدِك من بعضِها
فإنَّني واللهِ مالي سواك[5]

ومن نظمه أيضاً :

الناسُ قد أثِمُوا فينا بظنِّهِم
وصَدَّقوا بالذي أدرى وتَدْرِيَنا

---

(1) انظر الأعلام ، للزركلي ، (١٠٨/٧) .

(2) انظر : بغية الوعاة ، للسيوطي ، (٢٤٨/١) ، وأبجد العلوم ، للقنوجي ، (١٠/٣) .

(3) انظر : الدرر الكامنة ، لابن حجر العسقلاني ، (١٥/٦) .

(4) انظر: الوافي بالوفيات ، للصفدي، (٣٧/٥) ، وفوات الوفيات، للكتبي، (٤٣٦/٢) ، والمرجع السابق، (١٥/٦) .

(5) انظر : الدرر الكامنة ، لابن حجر ، (١٦/٦) .

مـــاذاَ يضُــرُّك فـــي تصــديق قـــولِهم
بـــأَن نُحقِّـــقَ مـــا فينـــا يَظُنُّونـَــا
حَمْلِـــي وحَمْلُــك ذنبــاً واحــداً ثقــةً
بالعفوِ أجْمَلُ من إثْــمِ الــوَرَى فِينَــا[1]

ولعلَّ ذات المعنى نجده في منظومته التي قال فيها :

توهَّمَ فينـــا النَّـــاسُ أَمــراً وصَــمَّمَتْ
علـــى ذاك مـــنهم أنفـــسٌ وقلـــوبُ
وظَنُّـــوا وبعــض الظَّــنِّ إثْــمٌ وكُلُّهــم
لأقوالِـــــهِ فينـــــا عليـــــه ذُنُـــــوبُ
تَعـــالَ نُحقِّـــقُ ظـــنَّهم لنُـــريحَهم
مـــن الإثـــمِ فينـــا مـــرَّةً ونَتُـــوبُ[2]

هذا بعض ما ذكره أصحاب التراجم من شعر ابن منظور الرقيق ، ويبدو أنَّه لم يكن يكثر منه ، فقد انصرفت همته إلى الاختصار والتـأليف والتصـنيف فـي مناحي العلوم المختلفة ، والتخصصات المتنوعة ، ولم يكتف بذلك ، بل كـان لـه إسهامه الواضح في مجال التحديث والتدريس .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (١٦/٦) .

(٢) انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي (٣٨/٥) .

المطلب الثاني : **عقيدته ومذهبه** :

لم أقف في كتاب ابن منظور "لسان العرب" على ما يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة ، إلا أنَّ معظم المترجمين له ذكروا في ترجمته عبارة : (وعنده تشيع بلا رفض) [1] ، أو قالوا : (وفيه شائبة تشيع) [2] ، ولم يذكروا حقيقة ذلك .

والذي يعنينا هنا هو البحث عن مقصد هؤلاء المترجمين من تشيع ابن منظور ، هل يقصدون به محبة آل البيت وميله إليهم ؟ وهو أمر لا غضاضة فيه، بل دعا إليه الشارع الحكيم ، أم أنَّهم يقصدون به انتماء ابن منظور إلى إحدى فرق الشيعة ، التي نشأت في التاريخ الإسلامي وتطورت ، فكان لها مبادئ وعقائد معروفة في آل البيت وغيرهم من الصحابة ؟

وللرد على أسئلة البحث المفروضة أقولُ وبالله التوفيق : إن كان الأمر الأول هو مراد هؤلاء المترجمين ، فلا مشكلة إذاً بل هو أمرٌ يُحمد لابن منظور ، وإن كان الثاني فإنَّ هناك كثير من الأدلة التي يُمكن أن تكون كافية جداً لنفي هذا الاحتمال، منها :

١- ما ذكره ابن منظور في "لسان العرب" في مادة (ع م ر) من الرد على الأزهري [3] ، حيث نقل عنه قوله : (العُمَران : أبوبكر وعمر ، غَلَّب عمر ؛ لأنَّه أخفُّ الاسمين . قال : فإن قيل : كيف بُدِئَ بعمر قبل أبي بكر ، وهو قبله ، وهو أفضل منه؟ فإنَّ العرب تفعل هذا يبدأون بالأخس ، يقولون : ربيعة ومضر وسليم وعامر ، ولم يترك قليلاً ولا كثيراً) [4] .

---

(١) الدرر الكامنة ، لابن حجر ، (١٥/٦) ، أبجد العلوم ، للقنوجي ، (١٠/٣) ، الوافي بالوفيات ، للصفدي (٣٧/٥) ، فوات الوفيات ، للكتبي ، (٤٣٦/٢) .

(٢) مرآة الجنان ، لليافعي ، (٢٥١/٤) ، شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، (٢٦/٦) ، من ذيول العبر ، لشمس الدين الذهبي ، (٦٢/٦) .

(٣) الأزهري : محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة ، أبومنصور الهروي ، النحوي ، اللغوي ، الشافعي ، سمع الحديث بهراة ، ورحل إلى بغداد ، وصنف تهذيب اللغة في عشرة مجلدات ، والتقريب في التفسير ، وعلل القراءات ، وتفسير الأسماء الحسنى ، وغيرها . ولد سنة (٢٨٢هـ) ، وتوفى سنة (٣٧٠هـ) . (انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي ، (٣٥/٢) ، وشذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، (٧٢/٣) ،(وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، (٣٣٤/٤)).

(٤) لسان العرب ، لابن منظور ، (٦٠٨/٤)).

وانظر : تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق : علي محمد النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٧م ، مادة (عمر) ، (٣٨٧/٢).

فكان رد ابن المكرَّم على كلام الأزهري ردّاً عنيفاً ، حيث قال : (هذا الكلام من الأزهري فيه افتئات على عمر – رضي الله عنه – وهو قوله : إنَّ العرب يبدأون بالأخس، ولقد كان له غنية عن إطلاق هذا اللفظ الذي لا يليق بجلالة هذا الموضع المتشرف بهذين الإسمين الكريمين في مثال مضروب لعمر – رضي الله عنه – وكان قوله : غُلِّب عمر ؛ لأنَّه أخفُّ الاسمين يكفيه ، ولا يتعرض إلى هجنة هذه العبارة ، وحيث أضطر إلى مثل ذلك ، وأحوج نفسه إلى حجة أخرى ، فلقد كان قياد الألفاظ بيده ، وكان يمكنه أن يقول : إنَّ العرب يُقدِّمون المفضول أو يؤخرون الأفضل أو الأشرف ، أو يبدأون بالمشروف ، وأمَّا أفعل على هذه الصيغة ، فإنَّ إتيانه بها دلَّ على قلة مبالاته– بما يطلقه من الألفاظ في حق الصحابة – رضي الله عنهم– وإن كان أبوبكر –رضي الله عنه– أَفضل، فلا يقال عن عمر – رضي الله عنه – أخس، عفا الله عنا وعنه)(١).

فكان هذا الرد الشديد من ابن منظور على الأزهري دليلاً واضحاً على عدم تشيعه أصلاً فضلاً عن رفضه .

٢– ومن الأدلة كذلك على عدم تشيعه ورفضه ذكره لعبارة : "رضي الله عنه، ورضي الله عنهم" عند تعرضه لذكر الصحابة – رضوان الله عليهم–(٢) .

ومن المعلوم أنَّ كثيراً من فرق الشيعة تسب الخلفاء الراشدين ، وأمهات المؤمنين (٣) .

٣– لم يُعرَف والد ابن منظور ، ولا أحد من أجداده بالتشيع حتى يتأثر بهم ، كما لم يكن أحد شيوخه ولا تلاميذه من الشيعة حتى يكتسب منهم معتقدات الشيعة، أو يؤثر فيهم بها .

---

(١) المرجع السابق الأول ، (٤/٦٠٨ ، ٦٠٩) .

(٢)انظر : المرجع السابق ، على سبيل المثال : (٤/٦٠٨) ، (٨/٧٧) ، (١٢/٣٧) ، (١٤/١٩٨ ، ٢٧٠) ، (١٥/ ٣٨٥، ٣٩٤) .

(٣) من هذه الفرق فرقة الشيعة الإمامية ، فهم إضافة إلى قولهم بإمامة علي – رضي الله عنه – بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – نصّاً ظاهراً ، وتعييناً صادقاً – وقعوا في كبار الصحابة طعناً وتكفيراً . (انظر : الملل والنحل ، لمحمد بن عبدالكريم الشهرستاني ، مطبعة البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٣٩٦هـ ، (١/١٦٢–١٦٥)).

٤- ليس في مؤلفات ابن منظور ، أو مختصراته كتاب في عقائد الشيعة ولا أدبهم – كما سيأتي معنا- ولو كان متشيعاً لظهر له مصنف في ذلك .

٥- لم يكن التشيع – كما مرّ معنا في التمهيد – منتشراً بمصر أيام ابن منظور كما كان في العهد الفاطمي ، بل كان محارباً إلى درجة أنه لا تقبل شهادة شيعي ، ولا يُرشَّح لوظيفة ، وقد تولى ابن منظور – كما ذكرتُ آنفاً – وظيفتين هامَّتين في ذلك العصر ، وهما تولِّيه بديوان الإنشاء في القاهرة ، ثم تولِّيه القضاء في طرابلس ، ولو كان شيعياً لما سُمِح له بتولِّيهما .

هذه الأدلة التي ذكرتُها هنا تكفي وحدها للدلالة على سلامة عقيدة ابن منظور من التشيع ، بل تشير هذه الدلائل جميعها إلى أنَّه سني يعتقد بعقيدة أهل السنة والجماعة ، والعلم عند الله تعالى .

أمَّا مذهبه الفقهي فلم تّبينه مصادر الترجمة ، والذي يظهر من خلال مدارسة كتابه "لسان العرب" أنَّه كان شافعي المذهب ؛ لأنَّه يكثر من ذكر مذهب الشافعي في مسائل الخلاف ، وربما اكتفى به دون غيره من المذاهب الأخرى (١) .
ولا غرابة في ذلك فإِنَّه نشأ بمصر التي ساد فيها المذهب الشافعي .

---

(١) انظر : لسان العرب ، على سبيل المثال : (٢٥٤/٣ ، ٢٧٠) ، (٧٧/٨ ، ١٤٨ ، ٢٨١) ، (٢٠٧/١٢ ، ٢٣٣) ، (٣٥/١٣ ، ١٣٨) ، (٥٠/١٥ ، ٧٨) .

المبحث الثالث

شيوخ ابن منظور وتلاميذه ومؤلفاته

المطلب الأول : شيوخه وتلاميذه :

أولاً : شيوخه :

تذكر بعض المصادر التي ترجمت لابن منظور أَنَّ هناك طائفة من أهل العلم سمع منهم ابن منظور الحديث ورواه عنهم ، ولم تُسَمِّ من هؤلاء إلاَّ أربعة ، وهم: مرتضى بن حاتم وعبدالرحيم بن الطفيل ويوسف بن المخيلي وابن المقيّر[1] ، ولتمام الفائدة أُقدِّم – في هذا المقام – تراجم تعريفية لهؤلاء الشيوخ :

١ – مرتضى بن حاتم :

هو مرتضى بن أبي الجود حاتم بن المسلم الحارثيّ الحوفيّ المصريّ ، أبوالحسن المقرئ ، قرأ القراءات ، وسمع الكثير من السلفيّ[2] وجماعة ، وكان عالماً عاملاً كبير القدر ، قانعاً متعففاً ، يختم في الشهر ثلاثين ختمة . توفي في شوال سنة ٦٣٤هـ عن خمس وثمانين سنة[3] .

---

(١) انظر : الدرر الكامنة ، لابن حجر ، (١٥/٦) ، من ذيول العبر ، لشمس الدين الذهبي ، (٦٢/٦) ، الوافي بالوفيات ، للصفدي ، (٣٧/٥) ، شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، (٢٦/٦) .

(٢) السلفيّ : الحافظ ، العلامة الكبير ، مسند الدنيا ومعمر الحفاظ ، أبو طاهر أحمد بن محمد أحمد بن إبراهيم الأصبهاني ، و "سلفة" لقب جده "أحمد" ومعناه : غليظ الشفة ، سمع من أبي عبدالله الثقفي وخلق كثير ، عمل معجماً لشيوخ بغداد ، وتفقه فأتقن مذهب الشافعي ، وبرع في الأدب ، وجوّد القرآن بالروايات . توفي سنة ست وسبعين وخمسمائة .

(انظر : العبر في خبر من غبر ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ط٢ ، ١٩٨٤م ، (٢٢٧/٤ ، ٢٢٨)) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (١٤٠/٥) ، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الاتابكي ، وزارة الثقافة ، مصر ، (٢٩٩/٦) ، شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي، (١٦٨/٥)، المعين في طبقات المحدثين ، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق همام عبدالرحيم سعيد ، دار الفرقان ، عمّان ، الأردن ، ط١ ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٩٧ .

٢- عبدالرحيم بن الطفيل :

هو الشيخ المسند الثقة أبوالقاسم عبدالرحيم[١] ابن المحدث يوسف بن هبة الله ابن محمود بن الطفيل الدمشقي ، ثمَّ المصري ، عُرف بابن المكبس الصوفي ، سمع بدمشق في شهر ربيع الآخر سنة ستين وخمسمائة ، وسمع بالإسكندرية من أبي طاهر السلفيّ وجماعة .

وحدَّث عنه جمع غفير من المحدثين . وُلد في عاشر صفر سنة خمس وخمسين وخمسمائة (٥٥٥هـ) ، وتوفي في رابع ذي الحجة سنة سبع وثلاثين وستمائة (٦٣٧هـ) [٢] .

٣ - يوسف بن المخيلي :

هو الشيخ الجليل الصدر الإمام الفقيه ، جمال الدين أبوالفضل يوسف بن عبدالمعطي ابن منصور بن نجا بن منصور الغسَّاني الإسكندراني ، ابن المخيلي المالكي . من كبراء أهل الثغر ، و "مخيل" من بلاد برقة . سمع من الحافظ السلفي وجماعة ، وروى عنه جم غفير . وُلِد سنة ثمان وستين وخمسمائة (٥٦٨هـ) ، وتوفي في سابع جمادى الآخر سنة اثنين وأربعين وستمائة (٦٤٢هـ) [٣] .

٤ - ابن المقير :

هو عليّ بن الحسين بن عليّ بن منصور ، المسند الصالح المعمر ، أبوالحسن ابن أبي عبدالله بن المُقير[٤] ، البغدادي الأَزجي الحنبلي المقرئ النجَّار ، مسند الديار المصرية ، بل مسند الوقت ، حدَّث بدمشق وبغداد ومصر ومكة ،

---

(١) ورد في "الوافي بالوفيات" أنَّ اسمه "عبدالرحمن" ولعلَّه خطأ ، فإن جملة المصادر ذكرت أن اسمه "عبدالرحيم" وليس "عبدالرحمن" . (انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي ، (٣٧/٥)) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، (٤٣/٢٣ ، ٤٤) ، العبر ، لشمس الدين الذهبي ، (١٥٣/٥) .

(٣) انظر : المرجعين السابقين ، الأول ، (١١٦/٢٣ ، ١١٧) ، والثاني ، (١٧٣/٥) .

(٤) ضُبط " ابن المقيّر" بكسر المثناة التحتية المشددة ، وضُبط بفتحها "ابن المقيَّر" ، قيل : سقط بعض آبائه في حفير فيه قار ، فقيل له : "المقيَّر" وهذا يفيد أنه بفتحها . (انظر : ذيل تذكرة الحفاظ ، لمحمد ابن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ٣٥) .

وكان شيخاً صالحاً كثير التهجد ، صاحب تلاوة وذكر وأوراد ، صابراً على أهل الحديث ، وآخر من روى بالسماع والإجازة .

وُلِد ليلة عيد الفطر سنة (٥٤٥هـ) ، وتوفي بمصر سنة (٦٤٣هـ) [١] .

هؤلاء هم المذكورون في المصادر من شيوخ ابن منظور ، وإلاَّ فإنَّ عددهم أكبر من ذلك ، وعبارات أصحاب التراجم تشير إلى هذا المعنى ، وهؤلاء الشيوخ جميعهم – كما رأينا من خلال تراجمهم – قد أتاهم الله – تعالى أعماراً طويلة في العلم والعمل الصالح .

والذي يُلاحظ – كذلك من خلال تراجمهم – أنهم جميعاً ماتوا بعد ميلاد ابن منظور بزمن ليس بالطويل ، وهذا إن دلَّ إنَّما يدل على اجتهاد عالمنا ابن منظور في طلب العلم منذ نعومة أظفاره ، أي في سن مبكرة جداً ، وهذا دأب كثير من العلماء والصالحين .

ثانياً : تلاميذه :

إنَّ عالماً كابن منظور لابدَّ أن يكون له عددٌ كبيرٌ من التلاميذ تلقوا عنه العلوم ، وأخذوا منه الحديث فهو – كما ذكرت كتب التراجم – حدَّث بمصر ودمشق[٢] وهذا يعني أنَّ له في كل من المدينتين عدداً لا يستهان به من التلاميذ ، لاسيما أنَّ الإمام قد ذاع صيته في الآفاق وبلغ ذروة العلوم بمختلف تخصصاتها وألوانها ومع ذلك لم تفصح المصادر إلا عن ثلاثة منهم وهم : الذهبي والسبكي وقطب الدين (ولد ابن منظور) [٣] ، ولعلَّ بقية التلاميذ لم يكن لهم من الشهرة والصيت مثل أولئك حتى يُذكَروا كما ذُكِروا .

وفيما يلي تراجم موجزة للذين ذُكِروا في المصادر :

---

(١) انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي ، (٢٤/٢١ ، ٢٥) ، العبر ، لشمس الدين الذهبي ، (١٧٨/٥) ، شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، (٢٢٣/٥) .

(٢) انظر : المرجع السابق الأخير ، (٢٦/٦) ، ومن ذيول العبر ، لشمس الذهبي ، (٦٢/٦) .

(٣) انظر : أبجد العلوم ، للقنوجي ، (١٠/٣) ، والدرر الكامنة ، لابن حجر ، (٥٠٩/٥) .

١ – الإمام الذهبي :

هو الإمام الحافظ شمس الدين ، أبوعبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي الشافعي ، محدث العصر ، إمام الوجود حفظاً ، وهو بَصَرٌ لا نظير له ، وكنز هو الملجأ إذا نزلت المعضلة ، إمام الوجود حفظاً ، وذَهَبُ العصر معنىً ولفظاً ، وشيخ الجرح والتعديل ، ورجل الرجال في كل سبيل . وفي شيوخه كثرة فقد بلغوا في معجمه الكبير نحو (١٣٠٠) وسمع منه الجم الغفير ، فلا نطيل بتعدادهم .

من شعره :

العلمُ قال اللهُ قال رسولُهُ

إن صحَّ والإجماعُ فاجْهَدْ فيهِ

وحذارِ من نَصْبِ الخلافِ جَهَالةً

بين الرسولِ وبين رأي فقيهِ

وله أوراد هائلة ، وتصانيف كثيرة مفيدة منها : تاريخ الإسلام الكبير ، ومختصره سير أَعلام النبلاء ، ومختصر العبر في خبر من غبر ، ومختصر الإعلام بوفيات الأعلام ، واختصر تهذيب الكمال وسمَّاه : تذهيب التهذيب ، واختصر منه مجلداً سمَّاه : الكاشف ، وله ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، والمغني في الضعفاء ، والنبلاء في شيوخ السنة ، والمقتنى في سرد الكنى ، وطبقات الحفاظ ، وطبقات مشاهير القراء ، والتاريخ الممتع ، والتجريد في أسماء الصحابة ، واختصر تاريخ بغداد ، واختصر تاريخ دمشق ، وصنَّف الروع والأدجال في بقاء الدجال ، ومؤلفات ومختصرات أُخرى كثيرة يصعب استيفاء سردها في هذا المقام .

وُلِد بدمشق سنة (٦٧٣هـ) ، وتوفي ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة سنة (٧٤٨هـ) [1] .

---

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين علي بن عبدالكافي السبكي ، تحقيق : محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو ، هجر للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٤١٣هـ ، (١٠٠/٩) ، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، لمحمد بن علي الشوكاني ، دار المعرفة ، بيروت ، (١١٠/٢) ، وشذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، (١٥٣/٦ – ١٥٧) ، والنجوم الزاهرة، ليوسف بن تغري بردي ، (١٨٢/١٠) ، والوافي بالوفيات ، للصفدي ، (١١٤/٢) .

٢ – السبكي :

هو قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي علي بن عبدالكافي بن علي بن تمَّام بن يوسف ، الشيخ الإمام العالم العلامة العامل الورع المحقِّق المدقِّق، المفسِّر المقرئ المحدِّث الأُصولي الفقيه المنطقي النحوي اللغوي الأَديب الحافظ شيخ الإسلام حبر الأُمة ، أبوالحسن الأنصاري الخزرجي المصري . وُلِد أول صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة ، وقرأ القرآن العظيم بالسَبْعِ ، واشتغل بالتفسير والحديث والفقه والأُصول والنحو والمنطق والخلاف والفرائض ، وشيء من الجبر والمقابلة ، ونظر في الحكمة ، وشيء من الهندسة والهيئة ، وشيء يسير من الطب . له مشايخ كثر ، وصنَّف كثيراً ، من ذلك : الدر النظيم في تفسير القرآن العظيم ، وتكملة المجموع في شرح المهذِّب ، والابتهاج في شرح المنهاج في الفقه، والتحقيق في مسألة التعليق في الطلاق ، وكتاب شفاء السقام في زيارة خير الأنام – ﷺ – وضوء المصابيح في صلاة التراويح ، وله تصانيف أُخرى كثيرة جداً يصعب سردها في هذا الموجز ، له شعر هادف ، من ذلك قوله :

ابني لا تهملْ نصيحتي التي
أُوصيكَ واسمع من مقالي تَرْشُدِ
احفظ كتاب اللهِ والسننَ التي
صحَّت وفقه الشافعيّ مُحَمَّدِ
وتعلَّمِ النحوَ الذي يُدْنِي الفتى
من كلّ فهمٍ في القرآنِ مُسَدَّدِ
واعلم أُصولَ الفقهِ علماً محكماً
يهديك للبحثِ الصحيحِ المُؤيَّدِ
واسلُكْ سبيل الشافعِيّ ومالكٍ
وأَبي حنيفةَ في العُلُومِ وأَحَمْدِ
وارفع إلى الرَّحمنِ كُلَّ مِلمَّةٍ
بضراعةٍ وتمسكنٍ وتعبُّدِ

واقطع عن الأَسـباب قَلْبَـكَ واصـطبر

واشكر لمـن أَولاَكَ خيـراً وأحْمُـدِ[1]

ومن نظمه كذلك :

إنَّ الولايـة لـيس فيهـا راحـةٌ

إلا ثَـلاَثٌ يبتغيهـا العَاقِـلُ

حُكـمٌ بحـقّ أو إزالـةُ باطـل

أو نَفْـعُ محتـاجٍ سـواها باطـلُ

توفي بمصر سنة ست وخمسين وسبعمائة[2] .

٣ – قطب الدين :

هو أبوبكر ، محمد بن محمد بن مكرَّم بن علي بن أحمد الأنصاري ، قطب الدين ، القاضي الكبير ، الزاهد الأوحد ، أحد كُتَّاب الإنشاء السلطاني بالقاهرة ، سمع من أبيه "ابن منظور" وآخرون ، وقد حدَّث بالكثير . كانت له دار ملاصقة بالمسجد الحرام ، وكان يسرد الصوم ، ويكثر المجاورة بالحرمين الشريفين ، وبالقدس الشريف ، ولد سنة ٦٧٠هـ ، وتوفي في أواخر شعبان سنة إحدى وخمسين وسبعمائة (٧٥١هـ) ، وقيل: سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة (٧٥٢هـ) بالقدس الشريف عن اثنتين وثمانين سنة وأشهر رحمه الله تعالى[3] .

المطلب الثاني : **آثاره ومؤلفاته العلمية** :

تنوعت مؤلفات الإمام ابن منظور فشملت عدداً من العلوم والتخصصات المختلفة ، فمنها المجموع ومنها المختصر ، ومنها مؤلفات في اللغة ، ومنها مختصرات في الأدب والتاريخ والطب[4] .

---

(١) انظر : المرجع السابق الأخير ، (١٦٦/٢١) ، الوفيات لمحمد بن رافع السلامي ، تحقيق : صالح مهدي عباس وبشار عوّاد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٢هـ ، (١٨٥/٢) ، البداية والنهاية ، لابن كثير ، (٢٥٢/١٤) .

(٢) انظر : شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، (١٨١/٦) .

(٣) انظر : الوافي بالوفيات ، (للصفدي (١٦٥/١٠ ، ١٦٦) ، الدرر الكامنة ، لابن حجر ، (٥٠٩/٥ ، ٥١٠).

(٤) انظر : في أسماء مؤلفات ابن منظور ومختصراته المصادر الاتية : الوافي بالوفيات ، للصفدي ، (٣٨/٥) ، الدرر الكامنة ، لابن حجر ، (١٥/٦) ، مرآة الجنان ، لليافعي (٢٥١/٤) ، كشف الظنون ، لحاجى خليفة ، (١٢٩/١ ، ٢٩٤ ، ٨٢٥) ، شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، (٢٦/٦) ، أبجد العلوم للقنوجي ، (١٠/٣) ، بغية الوعاة ، للسيوطي (٢٤٨/١) ، والأعلام ، للزركلي ، (١٠٨/٧) .

قال ابن حجر(١) : كان مُغرى باختصار ، كتب الأدب المُطوَّلة(٢) ، وقال الصفديّ(٣) : ما أعرفُ في كتب الأدب شيئاً إلاَّ وقد اختصره جمال الدين ابن المكرم(٤) .

وقد بلغ عدد مؤلفاته هذه الشيء الكثير ، فقد أخبر ابنه قطب الدين أن والده مات وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد(٥) ، وهذا يدلنا على محبته التامة للقراءة والتصنيف والاختصار ، ممَّا جعله ينصرف لذلك انصرافاً كلياً طيلة عمره ، ولم تمنعه وظائفه في الدولة من هذا الإنجاز العظيم ، محقِّقاً بذلك ثروة علمية هائلة ساهم بها في إثراء المكتبة الإسلامية .

وهذا بيان تفصيلي بأسماء الكتب التي ذكرتها المصادر في مؤلفات ابن منظور ومختصراته :

١ – لسان العرب :

ألَفه الشيخ ابن منظور في اللغة ، وهو أشهر كتبه ، جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح وحواشيه والنهاية ، ورتبه ترتيب الصحاح .

---

(١) ابن حجر : أحمد بن علي بن محمد الكناني ، العسقلاني ، أبوالفضل ، شهاب الدين ، ابن حجر ، شيخ الإسلام،علم الأعلام،أمير المؤمنين في الحديث،حافظ العصر. أصله من "عسقلان" بفلسطين،ومولده ووفاته بالقاهرة . كان فصيح اللسان ، راوية للشعر ، عارفاً بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين. له تصانيف كثيرة، منها : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ولسان الميزان ، والكاف الشاف في تحرير أحاديث الكشاف ، وفتح الباري في شرح صحيح البخاري ، وغيرها كثير . ولد سنة (٧٧٣هـ) ، وتوفي سنة (٨٥٢هـ) . (انظر : شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، (٧/٢٧٠) ، والأعلام ، للزركلي ، (١/١٧٨)) .

(٢) انظر : الدرر الكامنة ، لابن حجر ، (٦/١٥) .

(٣) الصفدي : خليل بن أيبك بن عبدالله ، الأديب صلاح الدين ، أبو الصفاء ، ولد سنة (٦٩٦هـ) أو (٦٩٧هـ) بصفد في فلسطين ، وهو مؤرخ أديب وشاعر ، جمع تاريخه الكبير وسماه : الوافي بالوفيات، وله كتب غيره كثيرة ، توفي سنة (٧٦٤هـ) ، (انظر : المرجع السابق ، (٢/٢٠٧)) .

(٤) انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي ، (٥/٣٨) .

(٥) انظر : المرجع السابق ، (٥/٣٨) ، والدرر الكامنة ، لابن حجر (٦/١٥) .

أَوَّلُه : الحمد لله رب العالمين تبركاً بفاتحة الكتاب العزيز[1] ، قال في "الأعلام" : (لسان العرب – ط [إشارة إلى أنَّه مطبوع] ... جمع فيه أُمهات كتب اللغة ، فكاد يُغني عنها جميعاً) [2] .

٢ – مختار الأغاني في الأخبار والتهاني :

من كتب الأدب ، اختاره ابن منظور من كتاب : "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني[3] ، ورتبه على حروف المعجم وسماه : مختار الأغاني في الأخبار والتهاني ، وهو مطبوع[4] .

٣ – مختصر مفردات ابن البيطار[5] :

اختصر ابن منظور كتاب ابن البيطار في الطب ، وهو المسمىَّ بجامع مفردات الأدوية والأذية ، استدرك فيه مؤلِّفه على العشابين أحوالاً كثيرة ، أدَّاه إليها حسن اجتهاده[6] ، وهذا المختصر بيَّن صاحب "الأعلام" أنَّه مخطوط[7] .

٤ – نثار الأزهار في الليل والنهار :

وهو الجزء الأول من كتابه : "سرور النفس بمدارك الحواس الخمس" هذَّب فيهما كتاب : "فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب" لأحمد بن يوسف التيفاشي[8] ، ونثار الأزهار مطبوع ، وسرور النفس مخطوط[9] .

---

(١) انظر : كشف الظنون ، لحاجي خليفة ، (١٥٤٩/٢) .

(٢) الأعلام ، للزركلي ، (١٠٨/٧) .

(٣) أبو الفرج الأصبهاني : هو علي بن الحسين بن محمد ، صاحب كتاب "الأغاني" وكتاب "أيام العرب" كان شاعراً أديباً كاتباً عالماً بأخبار الناس وأيامهم . قال ابن الجوزي : ومثله لا يوثق به ، فإنه يصرح في كتبه بما يوجب العشق ، ويهون شرب الخمر ، وربما حكى ذلك عن نفسه . ولد سنة (٢٨٤هـ) ، ومات سنة (٣٥٦هـ) . (انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير ، (٢٦٣/١١)) .

(٤) انظر : كشف الظنون ، لحاجي خليفة ، (١٢٩/١) ، والأعلام ، للزركلى ، (١٠٨/٧) .

(٥) ابن البيطار : هو عبدالله بن أحمد ، الحكيم العلامة ، ضياء الدين ، ابن البيطار الأندلسي ، المالقي ، النباتي الطبيب ، مصنف كتاب "الأدوية المفردة" و "المغني في الطب" ، وإليه انتهت معرفة النبات . توفي بدمشق سنة (٦٤٦هـ) . (انظر : فوات الوفيات ، للكتبي ، (٥٢١/١)) .

(٦) نظر : كشف الظنون ، لحاجي خليفة ، (١٧٧٢/٢) .

(٧) انظر : الأعلام ، للزركلي ، (١٠٨/٧) .

(٨) التيفاشي : هو أحمد بن يوسف بن أحمد القيسي ، التيفاشي ، وتيفاش هذه هي قرية بإفريقية ، وكان أديباً . ولد سنة (٥٨٠هـ) ، وتوفي سنة (٦٥١هـ) . (انظر : المرجع السابق ، (٢٧٣/١)) .

(٩) انظر : كشف الظنون ، لحاجي خليفة ، (٩٩٠/٢) ، والأعلام ، للزركلي ، (١٠٨/٧) .

٥ – لطائف الذخيرة :

وهو مخطوط ، اختصر فيه ابن منظور كتاب : "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" يعني جزيرة الأندلس – لأبي الحسن علي ، المعروف بابن بسام(١) . قال الصفدي : (ولا أعرفُ في الأدب كتاباً مثله في بابه في الاستطراد بالنظائر والأمثال والأشباه وذكر السرقات) (٢) .

٦ – مختصر تاريخ دمشق :

وهو مخطوط ، اختصر فيه ابن منظور كتاب : "تاريخ دمشق" لابن عساكر (٣) .

٧ – مختصر ذيل تاريخ بغداد :

وهو مخطوط ، اختصر فيه ابن منظور كتاب ذيل تاريخ بغداد ، للسمعاني(٤) ، وهو كتاب عظيم الحجم والنفع ، ذيَّل فيه مؤلفه تاريخ بغداد على طريقة المحدثين ، جمع فيه رجالها ومن ورد بها ، وضمَّ إليه فوائد جمَّة(٥) .

---

(١) انظر : المرجعين السابقين ، الأول ، (٨٢٥/١) ، والثاني ، (١٠٨/٧) .

وابن بسام هو : عليّ بن بسَّام ، أبو الحسن الشنتريني ، صاحب كتاب : "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" توفي سنة (٤٠٣هـ) . (انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي ، (١٦٢/٢٠) ، وانظر : معجم الأدباء ، لأبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ ، (٥٦٥/٣)).

(٢) الوافي بالوفيات ، للصفدي ، (١٦٢/٢٠) .

(٣) انظر : الأعلام ، للزراكلي ، (١٠٨/٧) .

وابن عساكر : هو أبوالقاسم علي بن الحسين بن هبة الله ، وعساكر لعله اسم أحد أجداده ، الأمام، العلامة ، الحافظ الكبير ، المجوِّد ، محدِّث الشام ، ثقة الدين الدمشقي ، الشافعي ، صاحب تاريخ دمشق، وُلِد سنة ٤٩٩هـ، ومات سنة ٥٧١هـ.(انظر : سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، (٥٥٤/٢٠))

(٤) السمعاني : الإمام الحافظ الكبير ، الأوحد ، الثقة ، محدث خراسان ، أبوسعد عبدالكريم ابن الإمام الحافظ الناقد أبي بكر محمد ابن العلامة مفتي خراسان أبي المظفر منصور بن محمد بن عبدالجبار التميمي السمعاني ، المروزي ، صاحب كتاب الأنساب . وُلد بمرو سنة (٥٠٦هـ) ، وتوفي بها سنة (٥٦٢هـ).

(انظر : المرجع السابق ، (٤٥٦/٢٠ – ٤٦٥) ، وانظر : كشف الظنون ، لحاجي خليفة ، (٢٨٨/١)).

(٥) انظر : المرجع السابق الأخير ، (٢٢٨/١) ، والأعلام ، للزركلي ، (١٠٨/٧) .

٨ – **اختصار كتاب الحيوان :**

وهو مخطوط ، اختصر فيه ابن منظور كتاب "الحيوان" للجاحظ[١] ، وهو كبير ويبحث في أحوال الحيوانات وخواصها وعجائبها ومنافعها ومضارها[٢] .

٩ – أخبار أبي نوَّاس[٣] :

هذا الكتاب ليس من مختصرات ابن منظور ، وأنَّما هو مصنف جمع فيه أخبار هذا الشاعر ، وهو مطبوع[٤] .

١٠ – مختصر نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة :

وهو مخطوط اختصر فيه ابن منظور كتاب التنوخي[٥] "نشوار المحاضرة"[٦].

١١ – المنتخب والمختار في النوادر والأشعار :

وهو – كما يبدو من اسمه – اختار فيه ابن منظور بعض النوادر والأشعار ، انتقاها دون غيرها ، وجمعها في هذا المصنَّف ، وهو مخطوط[٧] .

---

(١) الجاحظ : هو أبوعثمان ، عمرو بن بحر بن محبوب ، البصري ، المعتزلي ، العلامة المتبحر ، ذو الفنون ، صاحب التصانيف ، أخذ عن النظَّام ، من تصانيفه : كتاب "الحيوان" وأضاف إليه كتاب "النساء" . مات سنة (٢٥٠هـ)، وقيل سنة (٢٥٥هـ) . (انظر : سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، (٥٢٦/١١)).

(٢) انظر : كشف الظنون ، لحاجي خليفة ، (٦٩٥/١) ، والأعلام ، للزركلي (١٠٨/٧) .

(٣) أبو نوَّاس : هو الحسن بن هانئ بن صباح بن عبدالله بن الجرَّاح ، ويقال له : أبو نواس البصري ، تأدب وروى الحديث، وحدث عنه جماعة، له شعر منكر معروف في الخمريات والمردان، قيل : تاب في آخر عمره . توفي في بغداد سنة خمس وتسعين ومائة . (انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير، (٢٢٧/١٠)).

(٤) انظر : الأعلام ، للزركلي ، (١٠٨/٧) .

(٥) التنوخي : العلامة ، أبو علي المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم ، التنوخي ، البصري ، الأديب الشاعر ، صاحب التصانيف . وُلد بالبصرة سنة (٣٢٧هـ) ، وتوفي سنة (٣٨٤هـ) ، له كتاب : الفرج بعد الشدة، وكتاب النشورا وغير ذلك . (انظر : سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، (٥٢٤/١٦)، والوافي بالوفيات ، للصفدي ، (٢٦٨/١٠) ، والنجوم الزاهرة ، ليوسف بن تغري بردي ، (١٦٨/٤)) .

(٦) انظر : الأعلام ، للزركلي ، (١٠٨/٧) ، والوافي بالوفيات ، للصفدي ، (١٠٨/٤) .

(٧) انظر : المرجع السابق الأول ، (١٠٨/٧) .

١٢ – مختصر العقد الفريد :

ومِمَّا اختصره ابن منظور من المؤلفات في الأدب ، كتاب : "العقد الفريـــد" لابن عبد ربه[١] وكتاب العقد مطبوع[٢] .

١٣ – مختصر يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر :

ومِمَّا اختصره كذلك من كتب الأدب المُطوَّلة ، كتاب : "اليتيمة" للثعـــالبي[٣] وهو كتاب مطبوع[٤] .

١٤– مختصر زهر الآداب وثمر الألباب :

ومن مختصرات ابن منظور كذلك في الأدب ، كتاب : زهر الآداب وثمـــر الألباب ، لأبي إسحق إبراهيم بن علي الحصري[٥] ، وهو كتاب جمع فيه صـــاحبه كل غريب[٦] .

---

(١) ابن عبد ربه : هو أحمد بن حبيب بن جرير بن سالم بن عبد ربه ، أبوعمر القرطبي ، كان من الفضلاء المكثرين ، والعلماء بأخبار الأولين والمتأخرين ، وكتابه "العقد" يدل على فضائل جمـــة ، وعلـــوم كثيرة مهمة. وُلِد في رمضان سنة (٢٤٦هـ) ، وتوفي بقرطبة سنة (٣٢٨هـ") .
(انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير ، (١١/١٩٣)).

(٢) انظر : المرجع السابق ، (١١/١٩٣) ، والدرر الكامنة ، لابن حجر ، (٦/١٥) ، وأبجد العلوم ، للقنوجي ، (٣/١٠) .

(٣) الثعالبي : هو أبو منصور الثعالبي ، عبدالملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري ، الأديب ، الشـــاعر ، صاحب التصانيف الأدبية السائرة في الدنيا ، منها يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، وهو أكبر كتبه وأحسنها . ونسبته إلى خياطة جلود الثعالب وعملها ، قيل له ذلك لأنه كان فرَّاء . ولد ســـنة (٣٥٠هـ) وتوفي سنة (٤٣٠هـ). (انظر : شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، (٣/٢٤٦)) .

(٤) انظر : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ، تحقيـــق : د. مفيد محمد قمحية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ ، ج ١ ، صفحة الغـــلاف . وانظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي ، (٥/٣٨) .

(٥) الحصري : هو أبوإسحاق ، إبراهيم بن علي بن تميم ، القيرواني ، الحصري ، الشاعر المشهور ، له من المصنفات كتاب : "زهر الآداب" ، وهو مشهور من أمهات كتب الأدب . توفي سنة (٤١٣هـ) ، وقيل سنة (٤٥٣هـ) . (انظر : المرجع السابق الأخير ، (٦/٤١)) .

(٦) انظر : كشف الظنون ، لحاجي خليفة ، (٢/٩٥٧) ، والوافي بالوفيات ، للصفدي ، (٥/٣٨) .

١٥ – مختصر ذيل ابن النَّجار[١] :

وذَيْلُ ابن النجار يُقصد به ذيله على تاريخ الخطيب البغدادي[٢] ، وهو ذيـل عظيم جمع فيه فأوعى ، وقد قام ابن منظور باختصاره كما فعل بذيل السـمعاني على تاريخ الخطيب نفسه[٣] .

هذه المؤلفات والمختصرات التي ذكرتها المصادر ، والتي أوردتُّها هنا تُعـدُّ شيئاً يسيراً بالنسبة إلى ما أَلَّفه ابن منظور ، فإنَّ مؤلفاته بلغت خمسمائة مجلـد – كما أشارت بعض المصادر – وإذا نظرنا إلى هذه المصنفات التي بين أيدينا يتبين لنا اهتمام ابن منظور الكبير بالأدب ، فإنَّ معظم مؤلفاته سارت في هذا الاتجـاه ، ولم تشر المصادر إلى أيِّ مُؤَلفٍ له في العلوم الشرعية ، وربما كانت له تـآليف فيها ، ولكنها غُمرت .

---

(١) ابن النجار : هو محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله ، الحافظ الكبير ، محب الدين ، أبوعبدالله، ابن النجار ، البغدادي ، ولد سنة (٥٧٨هـ) ببغداد ، مصنف تاريخ بغداد الذي ذيل به علـى تـاريخ الخطيب، وله مصنف حافل في مناقب الشافعي ، وتصانيف أُخر كثيرة في السنن والأحكام وغيرها . توفي ببغداد سنة (٦٤٣هـ) . (انظر : طبقات الشافعية ، لأبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة ، تحقيق: الحافظ عبدالعليم خان ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ ، (١٢٤/٢) ، وانظـر طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين السبكي ، (٩٨/٨)) .

(٢) الخطيب الحافظ أبوبكر أحمد بن علي ، البغدادي ، المعروف بالخطيب ، صاحب "تاريخ بغداد" وغيـره من المصنفات ، كان من الحفاظ المتقنين ، والعلماء المتبحرين ، وكان فقيهاً ، وغلب عليه الحديث والتاريخ : ولد سنة (٣٩٢هـ) ، وتوفي ببغداد سنة (٤٦٣هـ) .

(انظر : وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، (٩٢/١) ، وانظر : طبقات الفقهاء ، لأبي إسحاق إبـراهيم بـن علي بن يوسف الشيرازي ، تحقيق : خليل الميس ، دار القلم ، بيروت ، ص ٢٣٥) .

(٣) انظر : كشف الظنون ، لحاجي خليفة ، (٢٨٨/١) ، والوافي بالوفيات ، للصفدي (٣٨/٥) .

الفصل الثاني

التعريف بلسان العرب

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : **وصف اللسان ومصادره**

المبحث الثاني : **ظواهر ومميزات اللسان** .

المبحث الثالث : **منهج تأليف اللسان** .

المبحث الأول

وصف اللسان ومصادره

لسانُ العرب من المعاجم المشهورة في اللغة ، تصحُّ نسبته إلى ابن منظور ، جاء في "كشف الظنون" ما نصُّه : (لسانُ العرب في اللغة ، للشيخ جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرَّم الأنصاري ، الإفريقي المصري ...) (1) . ثم فرَّق حاجي خليفة(2) بينه وبين كتاب ابن سينا، فقال : (وقد كتب الشيخ الرئيس ابن سينا(3) كتاباً في اللغة ، وهو المسمىَّ بلسان العرب في عشرة مجلدات ، لكنه بقى في المُسُّوَّدة ولم يظهر ، وقد غَلَط من نسب الأَول إليه) (4) .

فهو يبينُ بهذه العبارة أنَّ هناك كتاباً آخر في اللغة يُسمى بلسان العرب أيضاً، وهو منسوب لابن سينا ؛ ولكنه لم ينل حظه من الذيوع والنشر ، فلا تصح نسبة كتاب ابن منظور إلى ابن سينا ، وبهذا تتحقق نسبة كتاب ابن منظور إليه .

وفي هذا المبحث مطلبان :

المطلب الأول : **وصف اللسان** :

يبتدئ معجم لسان العرب بمقدمة فصيحةً أولها : الحمدُ لله رب العالمين ، تبركاً بفاتحة الكتاب العزيز ... الخ ، ثُمَّ عقَّب المؤلف ابن منظور بذكر صيغةٍ للصلاة والسلام علي النبي وآله الأطهار ، وصحبه الأبرار ، وأتباعهم الأخيار ،

---

(1) كشف الظنون ، لحاجي خليفة ، (1549/2) .

(2) حاجي خليفة : (1017 – 1067هـ) ، هو مصطفى بن عبدالله ، المعروف بالحاج خليفة ، مؤرخ بحاثة، تركي الأصل ، مولده ووفاته في القسطنطينية . من كتبه : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وهو أنفع وأجمع ما كتب في موضوعه بالعربية .
(انظر : الأعلام ، للزركلي ، (236/7 ، 237) .

(3) ابن سينا : هو الحسين بن عبدالله بن سينا ، البلخي البخاري ، أبوعلي ، الشيخ الرئيس ، فيلسوف الإسلام، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق ، له كتاب الشفا في المنطق ، والحاصل والمحصول، والإنصاف والقانون في الطب ، ولسان العرب في اللغة (لم ينقله إلى البياض) ، وكتاب الإشارات والتنبيهات . ولد سنة (370هـ) ، وتوفي سنة (428هـ) . (انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي، (242/12) ، وسير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، (531/17) ، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء ، لأبي العباس أحمد بن القاسم السعدي ، تحقيق : نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ص 437) .

(4) كشف الظنون ، لحاجي خليفة ، (1549/2) .

ثم تحدث عن تكريم الله – تعالى – للإنسان ، وتفضيله بالنطق ، وذكر فضل اللغة العربية وشرفها ؛ لارتباطها بالقرآن الكريم ؛ ولأنَّها لغة أهل الجنة .

ثُمَّ بيَّن شغفه بمطالعة كتب اللغات السابقة لمعجمه ، وانتقدها لعنايتها بواحد من أمرين : إِمَّا الاستقصاء مع إساءة الوضع ، وإمَّا الترتيب مع رداءة الجمع(١).

ثُمَّ أخذ في ذكر المصادر التي جمع منها مادة معجمه ، فبين أنه جمع مادته من خمسة كتب هي : التهذيب والمحكم والصحاح وحواشيه والنهاية(٢) ، ورتب معجمه ترتيب الصحاح ، وذكر فيما ذكر محاسن ومساوئ هذه المعاجم .

ثُمَّ مدح جهده الذي أخرجه من هذه الكتب ، فوصف كتابه بأنه واضح المنهج، سهل السلوك ، عظم نفعه بما اشتمل من العلوم عليه ، وجمع من اللغات والشواهد والأدلة ما لم يجمع مثلُهُ مثلَهُ ، فقد جمع في كتابه هذا من الفوائد ما تفرق ، وقرن بين ما غرَّب منها وبين ما شَرَّق ، ووصفه بأنه جاء وفق البُغية وفوق المنية .

ثُمَّ بين أنَّ غاية جهده هي جمع ما تفرق في تلك الكتب من العلوم بتوسع وإسهاب، فما كان من صوابٍ أو خطأٍ فمرجعه إلى الكتب التي نقل عنها ؛ لأنَّه نقل من كل أصل مضمونه ، ولم يبدل منه شيئاً .

ثم ذكر دوافع تأليفه لمعجمه ، فبين أنه أراد حفظ هذه اللغة العربية ، وضبط فضلها ، إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنة النبوية . دفعه إلى ذلك ما

(١) انظر : مقدمة ابن منظور في لسان العرب (٧/١) ، وانظر : المعجم العربي نشأته وتطوره ، لحسين نصَّار ، دار مصر للطباعة ، الفجالة ، ط ٤ ، ١٩٨٨م ، (٤٢٩/٢) .

(٢) ذهب بعض المؤلفين إلى أنَّ كتاب "الجمهرة" لابن دريد يُعد أيضاً من مراجع ابن منظور في جمع مادته ، واعتبروا الصحاح وحواشيه كتاباً واحداً ، ومن هؤلاء : ابن حجر في الدرر الكامنة ، (١٥/٦) ، وحاجي خليفة في كشف الظنون ، (١٥٤٩/٢) ، والقنوجي في أبجد العلوم (٤٧٤/٢) ، وعبدالسميع محمد أحمد في كتابه : المعاجم العربية ، مطبعة مخيمر ، ط ١ ، ١٩٦٩م ، ص ١٠٠ ، وغيرهم ، إلاَّ أنَّ ابن منظور نفسه لم يذكر هذا الكتاب مع مصادره ، ولعل هؤلاء وجدوا في لسان العرب كثير من النصوص الموجودة في الجمهرة ، فعدوها من مراجعه ، ويُمكن تفسير ذلك بأن المصادر التي أخذ عنها أبن منظور نقلت هي من الجمهرة ، وبهذا يمكن القول بأن الجمهرة لا تعتبر من المصادر المباشرة لابن منظور في اللسان .

ظهر في زمانه من اختلاف الألسنة والألوان لاختلاط العجم بالعرب ، وحدوث الغزو المغولي والصليبي في بلاد الإسلام ، فتنافس الناس في تصنيف الترجمانات في اللغة الأعجمية ، وتفاصحوا في غير اللغة العربية ، وتفاخروا بذلك ، فجمع ابن منظور كتابه هذا في اللغة ، وسماه : "لسان العرب" . ثم ختم مقدمته تلك بالدعاء لكتابه ولنفسه[١] .

وقبل أن يخوض في كلام الناس – كما ذكر – عقد ابن منظور في معجمه بابين : الأول في تفسير الحروف المقطعة التي وردت في أوائل بعض سور القرآن العزيز ، نقله من أواخر التهذيب ، وبيَّن أنه قدّمه في صدر كتابه لفائدتين هما : التبرك بتفسير كلام الله – تعالى – الخاص به ، والذي لا يعلم معناه إلاَّ هو، ولأنَّ تقديمه في أوّل الكتاب يجعله أقرب إلى كل مطالع من آخره .

والباب الثاني ذكره بعد ذلك ، وهو في ألقاب الحروف وطبائعها وخواصها، جعله كالتمهيد لمعجمه[٢] .

ثم شرع ابن منظور في شرح معاني الكلمات اللغوية[٣] مبيناً دلالاتها النحوية والصرفية ، مستشهداً عليها بالشواهد العربية من القرآن والحديث والشعر[٤] ، وهذا ديدنه في جميع كتابه .

المطلب الثاني : **مصادر اللسان** :

كنتُ قد ذكرتُ – ذكراً مجملاً – في المطلب السابق أسماء الكتب الخمسة التي صدَرَ عنها ابن منظور ، وجمع منها مادة اللسان ، وفي هذا المطلب – إن شاء الله تعالى – أُفصِّل الكلام عنها ، وأبدأ بما بدأ به ابن منظور في مقدمته ، فهي :

---

(١) انظر : مقدمة اللسان (١/٧-٩) .

(٢) انظر : لسان العرب ، (١/ ٩-١٦) .

(٣) شمل معجمه ثمانين ألف مادة ، ولم يسبقه في هذا إلاَّ الزبيدي في معجمه "تاج العروس" إذ أورد قرابة المائة والعشرين ألف مادة . (انظر : المكتبة العربية والمعاجم ، لأمين أبوليل ، دار البركة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠٠٥م ، ص ١٣٤) .

(٤) راجع : لسان العرب من الجزء الأول وحتى الجزء الخامس عشر .

أولاً : تهذيب اللغة :

ومؤلفه هو : أبومنصور محمد بن أحمد الأزهري . قال في مقدمة معجمه في سبب تسمية كتابه بهذا الاسم ما نصُّه : (سميتُ كتابي هذا "تهذيب اللغة" لأنِّي قصدتُ بما جمعتُ فيه نفي ما أُدخل في لغة العرب من الألفاظ التي أزالها الأغبياء عن صيغها ، وغيَّرها الغُتْمُ عن سننها ، فهذبتُ ما جمعتُ في كتابي من التصحيف والخطأ بقدر علمي ، ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذي لم أعرف أصله ، والغريب الذي لم يسنده الثقات إلى العرب) [1].

أمَّا منهجه فيتمثل في الاتي :

١ – نَهِجَ نَهْج الخليل بن أحمد [2] في مراعاة الأبجدية الصوتية ونظام التقليبات .

٢ – قسَّم الكتاب أبواباً ، وجعل الأبنية ست .

٣ – انفرد بكثير من المواد التي أُهملت عند سابقيه .

٤ – عنى بذكر البلدان والمواضع ومساقط المياه ، فاعتبره المؤرخون مصدراً لذلك .

٥ – اهتمَّ كثيراً بالاستشهاد بالقرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف، وربطهما باللغة ، كما اهتمَّ بنوادر الأخبار [3] .

ويؤخذ عليه ما يأتي :

١ – صعوبة البحث عن معاني المفردات شأنه شأن سابقيه .

٢ – تكرار الكثير من المواد .

٣ – تحامله الشديد على الخليل ومعجمه "العين" [4] .

---

(١) تهذيب اللغة ، للأزهري ، (٥٤/١) .

(٢) الخليل بن أحمد : الإمام ، صاحب العربية ، ومنشئ علم العروض ، أبوعبدالرحمن الفراهيدي، البصري، يقال إنه دعا الله أن يرزقه علماً لا يسبق إليه ، ففتح له بالعروض ، وله كتاب العين في اللغة ، وكان – رحمه الله – مفرط الذكاء . وُلد سنة مائة ، ومات سنة بضع وستين ومائة ، وقيل بقي إلى سنة سبعين ومائة . (انظر : سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، (٤٢٩/٧) ، والوافي بالوفيات ، للصفدي ، (٢٤٠/١٣) ، ومعجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، (٣٠٠/٣)) .

(٣) (٤) انظر : المكتبة العربية والمعاجم ، لأمين أبوليل ، ص ١١٤ . وانظر : المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها ، لإميل يعقوب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨١م ، ص ٥٧–٦٠.

ثانياً : المحكم والمحيط الأعظم :

ومؤلفه هو : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسيّ [1] ، ويعتبر هذا المعجم آخر حلقة في سلسلة معاجم مدرسة التقليبات الصوتية ، لكنه يختلف في هدفه عن الخليل بن أحمد في "العين" والأزهري في "التهذيب" ؛ لأنَّه رمي إلى جمع المشتت من المواد اللغوية في الكتب والرسائل في كتاب واحد يُغني عنها ، إضافة إلى تحري الدقة في التعبير عن المعاني ، وتصحيح ما ورد فيما سبق من أخطاء لغوية أو آراء نحوية ، إلاَّ أنَّه اتفق مع الأزهري في ربط اللغة بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، وسار على منهج أستاذه الخليل بن أحمد مع بعض التغييرات التي لا تحدث تغيراً في المنهج أو خروجاً عنه [2] .

ومن مميزاته :

١ – التنظيم وفق المنهاج الذي اتبعه .

٢ – جمعه الأقوال في تفسير اللفظ الواحد .

٣ – الاستقصاء في ذكر كل المواد التي ظهرت في كتب سابقيه إلاَّ الشواهد الشعرية .

٤ – إيجاز عبارات التفسير ، وتجنب التكرار .

٥ – كثرة الأحكام النحوية والصرفية .

ومِمَّا يؤخذ عليه :

١ – يُعتبر صورة مكررة عن كتابات سابقيه .

٢ – تصحيف بعض الألفاظ .

---

(١) ابن يسده الأندلسي : هو علي بن إسماعيل ، وقيل : علي بن أحمد ، وقيل : علي بن محمد ، أبوالحسن الضرير ، وكان أبوه أيضاً ضريراً من أهل الأندلس ، لم يكن في زمنه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب ، وكان حافظاً ، وله في اللغة مصنفات ، منها : كتاب المحكم والمحيط الأعظم ، وكتاب المخصص، وكتاب شرح إصلاح المنطق وغيرها . مات بالأندلس سنة (٤٥٨هـ) .

(انظر : معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، (٣/٥٤٤)) .

(٢) انظر : المكتبة العربية والمعاجم ، لأمين أبوليل ، ص ١١٥ .

٣ – اختلال في بعض الشواهد التي ساقها من القرآن أو الحديث أو الشعر [١] .

ثالثاً : الصحاح [٢] :

ألفه إسماعيل بن حمّاد الجوهري [٣] ، وقد سميّ معجمه بالصحاح ، لأنه ألزم نفسه بما صحّ عنده رواية ودراية وسماعاً ، مشافهة من أصحاب اللُغة الأُصلاء .

منهجه :

يتمثل منهجه في الاتي :

١ – رتَّب الكلمات حسب أُصولها وفق النظام الألفبائي المعروف ما عدا حرف الواو فقد وضعه بين النون والهاء ، وجعل لكل حرف باباً خاصاً به ، وقسَّم كل باب إلى ثمانية وعشرين فصلاً ، وقد تقل في بعض الحروف .

واستعمل في الأبواب والفصول الترتيب العادي على حسب الجذور ، فباب العين مثلاً ، يشتمل على جميع الكلمات المنتهية بحرف العين مثل : برع ، جمع ، صرع ، صدع ... الخ ، مرتبة في فصول أولها الهمزة وثانيها الباء وثالثها التاء ورابعها الثاء ... الخ .

٢ – تجنباً للتصحيف سار الجوهري على طريقة لضبط الكلمات بالحركات.

٣ – أشار في كثير من الأحيان إلى الضعيف والردئ والمتروك والمذموم من اللغات .

٤ – عنى بذكر كثير من مسائل النحو والصرف وفقه اللغة والاشتقاق الكبير[٤] .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص (١١٥ ، ١١٦) .

(٢) وقد أطلق عليه ابن منظور في مقدمة اللسان "المختصر" . (انظر : مقدمة لسان العرب ، ص ٧) .

(٣) الجوهري : هو إسماعيل بن حماد الجوهري ، أبونصر الفارابي ، إمام في النحو واللغة والصرف، وبخطه يضرب المثل في الجودة ، طاف ديار ربيعة ومضر ، وصنف الصحاح ، وله قول في العروض. مات سنة (٣٩٨هـ) . (انظر : البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق : محمد المصري ، جمعية إحياء التراث ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ ، ص ٦٦ ، وانظر : يتيمة الدهر ، لأبي منصور الثعالبي ، (٤/٤٦٨)) .

(٤) انظر : المعاجم اللغوية العربية ، لإميل يعقوب ، ص (١٠٥-١١٠) .

أمَّا هناته ومآخذه فكثيرة ، أهمها :

١ – التصحيف والتحريف .

٢ – خطأه في رواية الشعر ، وتغيير أشطره .

٣ – غلطه في ترتيب المواد .

٤ – وقوعه في بعض الأخطاء النحوية والصرفية ، مع كونه أنحى اللغويين[١] .

رابعاً : حواشي الصحاح :

ألَّفه أبو محمد عبدالله بن بري المقدسي[٢] ، وقد تتبع فيه التصحيف والأخطاء التي وقعت في صحاح الجوهري ، وبيَّن الصواب فيها ، واسمه : التنبيه والإيضاح عمَّا وقع في كتاب الصحاح[٣] ، وأطلق عليه ابن منظور في مقدمته : الأمالي[٤] .

وقد أورد المؤلف في هذا الكتاب أسماء الرواة ، وفيه بعض التكرار ، ولم يكن هذا الكتاب مرجعاً لابن منظور في المادة اللغوية كبقية المراجع ، وإنما في الشواهد وإصلاح الصحاح ، لهذا كان قليل الظهور في اللسان[٥] .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ١١٠ .

(٢) ابن بري المقدسي : الأمام العلامة ، نحويّ وقته ، أبومحمد عبدالله بن بري بن عبدالجبار بن بري المقدسي، ثم المصري النحوي الشافعي . وُلد في رجب سنة (٤٩٩هـ) قرأ الأدب ، وكان عالماً بكتاب سيبويه وعلله ، قيماً باللغة وشواهدها ، له جواب المسائل العشر ، وحواشي على الصحاح ، وكان ثقة دِيِّناً . مات في شوال سنة (٥٨٢هـ) .

(انظر : سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، (١٣٦/٢١) ، ومعجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، (٤٤٨/٣) ، وطبقات الشافعية ، لأبي بكر بن قاضي شهبة ، (٢٦/٢)) .

(٣) انظر : المعاجم اللغوية العربية ، لإميل يعقوب ، ص (١١١ ، ١١٢) .

(٤) انظر : مقدمة اللسان ، ص ٧ .

(٥) انظر : المعجم العربي نشأته وتطوره ، لحسين نصَّار ، (٤٤٩/٢ ، ٤٥٠) .

خامساً : النهاية في غريب الحديث والأثر :

مؤلف هذا الكتاب هو الإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري بن الأثير[١] . وموضوعه – كما يظهر من عنوانه – في شرح غريب حديث رسول الله – ﷺ – وآثار الصحابة والتابعين .

لقد انتهى إلى ابن الأثير من كتب مَنْ سبقوه حصادٌ طيبٌ في شرح غريب الحديث أفاد منه ، وأربي عليه في استقصاء معجز ، ودأب مشكور ، بحيث جاء كتابه بحق النهاية في هذا الفن الشريف .

وقد ظهرت ثقافة ابن الأثير المتعددة الجوانب في كتابه : "النهاية" ، فهو لم يقف عند حدود المادة اللغوية في شرح غريب حديث رسول الله – ﷺ – وآثار الصحابة والتابعين ، بل ناقش بعض المسائل الفقهية ، كما أنه آثار قضايا صرفية، وحاول التوفيق بين الأحاديث المتعارضة في الظاهر ، كل ذلك في إيجاز وافٍ بليغ[٢] .

وقد قام الإمام ابن منظور – كما ذكر في مقدمته – بإفراغ هذا الكتاب في معجمه مع بعض التصرف والترتيب[٣] .

---

(١) ابن الأثير : مجد الدين ابن الأثير الجزري ، أبوالسعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني . أخذ النحو وسمع الحديث ، له من المصنفات : جامع الأصول في أحاديث الرسول ، والنهاية في غريب الحديث والأثر ، والبديع في شرح الفصول في النحو ، وغير ذلك. ولد سنة (٥٤٤هـ) ، وتوفي سنة (٦٠٦هـ) . (انظر : وفيات الأعيان ، لابن خلكان (١٤١/٤) ، وطبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين السبكي ، (٣٦٦/٨)) .

(٢) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، للمبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ، تحقيق : الطاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحى، المكتبة العلمية، بيروت ، ١٣٩٩هـ ، مقدمة التحقيق ، (٧/١ ، ٨) .

(٣) انظر : مقدمة اللسان ، ص ٨ .

المبحث الثاني

ظواهر ومميزات اللسان

اعتمد ابن منظور في تأليفه "لسان العرب" على خمسة مراجع ، هي – كما مرّ معنا في المبحث السابق – :التهذيب والمحكم والصحاح وحواشي ابن بري ونهاية ابن الأثير . وقد اختلفت معاملته لكل واحد من هذه المراجع ، وكانت له ظواهره ومميزاته الخاصة به يمكن أن نجملها في الآتي :

١ – اهتمَّ بأشعار العرب واللغات والقراءات والنوادر وقواعد اللغة ؛ ممَّا جعل كتابه أشبه بالموسوعة اللغوية منه بالمعجم(١) .

٢ – أكثر من الشواهد على المعاني المختلفة ، يسوق في ذلك نصوصاً من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر والأمثال والخطب(٢).

٣ – دوَّن كل ما وقف عليه من المواد والمشتقات ، ويظهر أنَّه كان يرى أنَّ المعجم يجب ألا يقتصر على تدوين الصحيح فقط كما فعل الجوهري في الصحاح، بل من حق جميع المفردات العربية أن تسجل فيه(٣).

٤ – اتَّبع نظام القافية الذي ابتكره الجوهري ، رغم طول المدة بينهما، ورغم ظهور بعض المعاجم التي اتبعت الترتيب الهجائي العادي

---

(١)و(٢) انظر: مقدمة اللسان ، ص ٧ ، ٨ ، حيث قال ابن منظور : (وقصدت توشيحه [أي معجمه] بجليل الأخبار وجميل الآثار ، مضافاً إلى ما فيه من آيات القرآن الكريم ، والكلام على معجزات الذكر الحكيم، ليتحلى بترصيع دررها عقده ، ويكون على مدار الآيات والأخبار والآثار والأمثال والأشعار حله وعقده) وانظر : المعاجم اللغوية العربية ، لإميل يعقوب ، ص (١١٤ – ١١٦) .

(٣) انظر : المرجعين السابقين ، الأول ص ٨ ، حيث قال ابن منظور : (وجَمَعَ [أي معجمه] من اللغات والشواهد والأدلة ما لم يجمع مثلُهُ مثلَهُ؛ لأنَّ كل واحد من هؤلاء العلماء [يشير إلى الذين نقل عنهم] انفرد برواية رواها ، وبكلمة سمعها من العرب شفاهاً ، ولم يأت في كتابه بكل ما في كتاب أخيه ... فصارت الفوائد في كتبهم مفرقة ، وسارت أنجم الفضائل في أفلاكها هذه مغرّبة وهذه مشرّقة ، فجمعت منها في هذا الكتاب ما تفرق ، وقرنت بين ما غرّب منها وبين ما شرّق، فانتظم شمل الأصول كلها في هذا المجموع) . والثاني ، ص ١١٦.

حسب أوائل الكلمات، مثل: المجمل لابن فارس[1] ، وأساس البلاغة للزمخشري[2].

٥ – لا تختلف صورة الأبواب والفصول في اللسان عن الصحاح إلا في ضخامتها[3] إلا أنَّ ابن منظور صدر بعض أبوابه بكلمة عن الحرف المعقود له الباب ، ذاكراً فيها مخرجه وأنواعه ، وخلاف النحويين فيه ، وائتلافه مع غيره[4].

وأخذ هذه الكلمات – في أغلب الأحيان – من أحد مراجعه الخمسة ، وفي أحيان أخرى من بعض كتب النحو والصرف .

٦ – لا يترك ابن منظور شيئاً من مراجعه الأُمهات إلا ما لا يدخل في مادته، ويَفْصِلِ اقتباساته كل منها على حدة حينا ، ويُلفِّق بينها حيناً آخر . ويميل إلى التصرف في نص التهذيب بالاختصار دون رفاقه ، ويؤثر نص المحكم والصحاح عليه حيث تشترك في التفسير . وتتمثل الأشياء التي حذفها من التهذيب في بعض المعاني وروايات الأشعار والأشياء الاستطرادية ، مثل بعض المترادفات ، والمواد التي ليست في موضعها ، وأكثر أسماء الرواة واللغويين التي كان الأزهري يحب إيرادها والإكثار منها ، ولكن المحذوف من كل ذلك أشياء

---

(١) ابن فارس : أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب ، أبوالحسين ، اللغوي ، القزويني ، الشافعي، وانتقل في آخر عمره إلى مذهب مالك ، وكان كريماً جواداً لا يُبقى شيئاً ، وله من التصانيف كتاب المجمل ، وكتاب متخير الألفاظ ، وكتاب فقه اللغة ، وكتاب غريب إعراب القرآن وغيرها. مات بالري سنة (٣٩٥هـ) .

(انظر: الوافي بالوفيات ، للصفدي ، (١٨٢/٧) ، وسير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي (١٠٣/١٧).

(٢) انظر : المعاجم اللغوية العربية ، لإميل يعقوب ، ص ١١٤.

والزمخشري : هو أبوالقاسم الزمخشري ، محمود بن عمر الخوارزمي ، النحوي اللغوي المفسر المعتزلي، كان رأساً في البلاغة والعربية والمعاني والبيان ، وله نظم جيد ، صاحب الكشاف والفائق في غريب الحديث وأساس البلاغة ، كان داعية إلى الاعتزال ، كثير الفضائل ، ولد بزمخشر سنة (٤٦٧هـ) ، توفي سنة (٥٣٨هـ) . (انظر : العبر في خبر من غبر ، لشمس الدين الذهبي ، (١٠٦/٤)، وسير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، (١٥١/٢٠)) .

(٣) انظر : مقدمة اللسان ، ص ٧ ، حيث قال ابن منظور : (ورتبته ترتيب الصحاح في الأبواب والفصول).

(٤) انظر على سبيل المثال : ما ذكره عن حرف الهمزة في اللسان (١٧/١ – ٢٢) ، وما ذكره عن حرف الباء في اللسان كذلك ، (٢٠٤/١) .

متناثرة قليلة ، إلا أسماء اللغويين والرواة فقد حذفها كلها أو معظمها ، ولم يحذف ابن منظور من الصحاح والمحكم شيئاً عدا الأمور الاستطرادية فيهما ، وكذلك الأمر مع النهاية لم يحذف منها إلا ما حذفه من الصحاح والمحكم من استطردات، كما حذف منها خاصة أسماء المحدثين أو أكثرها . وحذف من حواشي ابن بري أسماء الرواة وما تكرر في أصل من أصوله الأخرى ، واختصر عباراته أحياناً ، وتصرف في ترتيبها . وإذا اتهم ابن بري الجوهري بالتصحيف أو الخطأ أورد كلام الجوهري على حاله ، ثم ذكر نقد ابن بري عليه . ولكن ابن بري لم يعط ابن منظور شيئاً ذا خطر في التنظيم أو العلاج ، بل تعتبر هذه الحواشي مرجعاً له في الشواهد وإصلاح الصحاح فقط[١].

٧ – امتاز لسان العرب على الصحاح بتجنبه ما فيه من تصحيفات بفضل جهود ابن بري والأزهري والمراجع الأخرى ، كما امتاز بالعناية بالشواهد بفضل توجيهات ابن بري .

٨ – احتوى اللسان على الظواهر الموجودة في المحكم ، فقد سار على نظام ابن سيده في الترتيب الداخلي للمواد ، وإن كان حشوها بالزيادات من المراجع أخفى هذا الاهتمام .

٩ – أخذ ابن منظور عن ابن الأثير في "النهاية" فقط الأحاديث التي أدخلها في مواده بشرحها مع بعض الترتيب .

١٠ – وخلاصة القول : إنّ أهم الظواهر والمميزات التي تسود اللسان هي استقصاء الصيغ والمعاني واتساع المواد ، وسهولة ترتيب الأبواب والفصول، والانتظام الداخلي للمواد – إلى حدّ ما – والإكثار من الشواهد من القرآن والحديث والشعر ، والإطالة في الشواهد الشعرية ، يلي ذلك كثرة الأحكام والتفسيرات النحوية والصرفية ، والعناية بالمترادفات والنوادر[٢].

أمَّا ما يؤخذ عليه من عيوب ، فأهمها عدم الانتظام الدقيق داخل مواده أدّى به إلى بعض التكرار الممل للشواهد في مواضع متقاربة ، ويؤخذ عليه كذلك تركه

---

(١) انظر : المعجم العربي نشأته وتطوره ، لحسين نصَّار ، (٤٣١/٢ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٤٥٠/٢ ، ٤٥١) .

بعض الصيغ والمعاني التي يوردها أحد مراجعه ، واقتصاره في المراجع على التهذيب والمحكم والصحاح والتنبيه والنهاية ، وإهمال غيرها ، ففاته بذلك من الصيغ والمعاني والشواهد والنقود الموجودة في بعض المراجع الهامة الأخرى[١].

ومهما يكن القول في اللسان فهو من أشمل المعاجم للألفاظ ومعانيها ، بل إنَّ اللسان يُمكن أن يوصف بأنه موسوعة يفيد منه اللغوي والأديب والمحدث وعالم التفسير والفقيه ، ولم تصرفه منزلة العلماء الذين استفاد من كتبهم عن أن يبدي رأيه أحياناً ، أو يتطوع ببعض التفسيرات والإضافات ، أو يخالف بعض آراء من التزم مناهجهم مع وجاهتها[٢].

---

(١) انظر: المرجع السابق،(٤٥١/٢)، وانظر : المعاجم اللغوية العربية ، لإميل يعقوب ، ص (١١٦، ١١٧).

(٢) انظر : المعاجم العربية ، لعبد السميع محمد أحمد ، ص (٩٩ ، ١١١) .

المبحث الثالث
منهج تأليف اللِّسان

اختطَّ ابن منظور لنفسه في لسان العرب منهجاً واضحاً سار عليه في جميع كتابه ، فهو لم يكتفِ بشرح معاني الكلمات اللغوية فقط ، وإنَّما استعان بالنحو، والصرف ، إمعاناً في التوضيح ، كما اهتمَّ كثيراً بذكر الشواهد العربية ، فاستشهد على المعاني بالقرآن الكريم وتفسيره ، وبيان وجوه القراءات فيه ، واستشهد كذلك بالحديث النبوي الشريف ، وأشعار العرب وأمثالهم وخطبهم ، كما كان له اتجاه فقهي، فيذكر أحياناً بعض الأحكام الفقهية ومذاهب العلماء فيها ، فصار كتابه بحق موسوعة علمية يستفيد منها اللغويّ والأديب والمفسّر والمحدّث والفقيه.

ولبيان حقيقة هذا القول أذكرُ هنا بعض الأمثلة اليسيرة على هذه المرتكزات المنهجية التي اعتمد عليها ابن منظور ، فساقها في معجمه :

أولاً : النحو والصرف في لسان العرب :

ملأ ابن منظور معجمه بكثير من الاتجاهات النحوية والصرفية عند شرحه لمعاني الكلمات اللغوية ، فمثلاً عند شرحه لمادة (برأ)، قال : (... وقوله عزَّ وجل : [بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ](1) ، قال* : في رفع "براءة" قولان : أحدهما على خبر الابتداء، المعنى: هذه الآيات براءة من الله ورسوله ، والثاني : براءة : ابتداء ، والخبر : [إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم](2) ، قال : وكلا القولين حَسَنٌ) (3).

وقال في نفس المادة : (وحكى الفرَّاء(4) ، في جمعه : بُراء غير مصروفٍ على حذف إحدى الهمزتينِ) (5).

---

(1) سورة التوبة ، الآية (1) .

* يُريد الأزهري كما يتضح مما سبق في النص .

(2) سورة التوبة ، الآية (1) .

(3) لسان العرب ، (1/32) .

(4) الفرَّاء : هو أبوزكريا ، يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الأسدي ، مولاهم الكوفيّ ، النحويّ ، صاحب الكسائي ، العلامة ، صاحب التصانيف ، أمر المأمون الفرَّاء أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو، كما أملى كتاب معاني القرآن . قال بعضهم : الفرَّاء أمير المؤمنين في النحو ، وقيل : عُرِف بالفرَّاء لأنه كان يفري الكلام . مات بطريق الحج سنة (207هـ) . (انظر : سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي، (10/118) ، وانظر : الأنساب لأبي سعد عبدالكريم بن محمد السمعاني ، تحقيق: عبدالله عمر البارودي ، دار الفكر ، بيروت ، ط 1 ، 1998م ، (4/352)).

(5) لسان العرب ، (1/32) .

وفي مادة (شتت) يقول ابن منظور : (وشَتَّانَ مصروفة عن شَتُتَ ، فالفتحة التي في النون هي الفتحة التي كانت في التاء ، وتلك الفتحة تدل على أنه مصروف عن الفعل الماضي ، وكذلك وَشْكَان وسَرْعَان مصروف من وَشُكَ وسَرُع) [١].

وقال في مادة (أخر) : (والآخَرُ : بمعنى غَير ، كقولك : رجلٌ آخَرُ وثوبُ آخَرُ ، وأصله (أفْعَلُ) ، من التَّأَخُّر ، فلمَّا اجتمعت همزتان في حرف واحد استُثْقِلتا، فأُبدلت الثانية ألفاً لسكونها ، وانفتاح الأولى قبلها) [٢].

وقال في نفس المادة : (قال الزجَّاج [٣] في قوله تعالى : [وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ][٤] : (أُخَرُ) لا ينصرف ؛ لأنَّ وحدانَّها لا تنصرِفُ ، وهو : أُخْرَى وآخَرُ ، وكذلك كل جمع على (فُعَل) لا ينصرفُ إذا كانت وحدانُه لا تنصرِف ، مثل: كُبَرَ وصُغَر ، وإذا كان فُعَلٌ جمعاً لِفُعْلَةٍ فإنه ينصرفُ ، نحو : سُتْرةٍ وسُتَرٍ وحُفْرَةٍ وحُفَر ، وإذا كان فعل اسماً مصروفاً عن فاعلٍ لم ينصرف في المعرفة ، وينصرف في النكرةِ ، وإذا كان اسماً لطائرٍ أو غيره فإنَّه ينصرفُ ...) [٥].

هذا غيض من فيض بالنسبة لما ذكره ابن منظور من مسائل في النحو والصرف، وإلا فإنَّ ما أوردتُّه هنا يعتبر أمثلة يسيرة ذكرتها للتدليل والتمثيل فقط.

---

(١) المرجع السابق ، (٥٠/٢) .

(٢) المرجع السابق ، (١٢/٤) .

(٣) الزجَّاج : أبوإسحاق إبراهيم بن محمد بن السري البغدادي ، الإمام نحويّ زمانه ، كان يعمل في خرط الزجَّاج ، له تآليف جمة ، منها : كتاب معاني القرآن ، وكتاب الإنسان وأعضائه ، وكتاب العروض وكتاب الاشتقاق ، وكتاب النوادر ، وغيرها ، مات سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، وقيل : مات سنة عشرة، وقيل : سنة ست عشرة . (انظر : سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، (٣٦٠/١٤) ، وانظر: الأنساب ، لعبدالكريم السمعاني ، (١٤١/٣)) .

(٤)سورة ص ، الآية (٥٨) .

(٥) لسان العرب ، (١٣/٤) ، وهذا الكلام الذي نسبه ابن منظور للزجَّاج لم أجده في كتابه معاني القرآن للزجَّاج ، (انظر : معاني القرآن وإعرابه ، لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجَّاج ، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ ، (٢٥٥/٤)) .

ثانياً : تفسير القرآن الكريم وبيان وجوه القراءات في لسان العرب :

اعتمد ابن منظور في شرحه لمواد اللسان على كثير من الشواهد العربية، ومن ذلك ما استعان به من استشهاد بآيات القرآن الكريم ، وتفسير لموضع الشاهد في هذه الآيات ، وبيان لوجوه القراءات المختلفة فيها ، فمثلاً عند شرحه لمادة (أنس) ، نجده يقول : (وقوله تعالى : [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ...][1] ، قال الزجَّاج : معنى تستأنسوا في اللغة : تستأذنوا ، ولذلك جاء في التفسير : تستأنسوا فتعلموا أيريد أهلها أن تدخلوا أم لا[2]؟ قال الفرَّاء : هذا مقدَّم ومؤخَّر ، إنَّما هو : حتى تسلموا وتستأنسوا: السلام عليكم . أأدخل ؟ قال : والاستئناس في كلام العرب النظر) [3].

ثمَّ ذكر وجوه القراءات في الآية فقال : (وكان ابن عبَّاس – رضي الله عنهما- يقرأ هذه الآية : (حتى تستأذنوا) ، قال : تستأنسوا خطأ من الكتاب .

قال الأزهري : قرأ أُبيّ[4] . وابن مسعود : (تستأذنوا) ، كما قرأ ابن عباس، والمعنى فيهما واحد) [5].

وفي شرحه لمادة (زرع) يقول : (والله يَزْرَعُ الزرعَ : يُنَمِّيه حتى يبلغ غايته، على المثل . والزرعُ : الإنباتُ ، يُقال : زرعه الله أي : أنبته . وفي التنزيل: [أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ * ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ][6]. أي : أأنتم تُنَمُّونه أم نحن المنمون له ، وتقول للصَّبي : زرعه الله، أي جَبَره الله وأنبته . وقوله

---

(١) سورة النور ، الآية (٢٧) .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٣١/٤) .

(٣) لسان العرب ، (١٥/٦) ، وانظر : معاني القرآن ، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرَّاء ، عالم الكتب، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، (٢٤٨/٢) .

(٤) أُبي : هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري ، أبوالمنذر ، وأبوالطفيل ، سيد القراء ، كان من أصحاب العقبة الثانية ، وشهد بدراً والمشاهد كلها ، كان عمر يسميه سيد المسلمين ، عَدَّه مسروق في الستة من أصحاب الفتيا . قال الواقدي : وهو أول من كتب للنبي – ﷺ – اختلف في وفاته ، فقيل مات سنة (٢٠هـ) ، أو (١٩هـ) ، وقيل : سنة (٢٢هـ) ، وقيل : سنة (٣٠هـ) .
(انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ، (٢٧/١)) .

(٥) لسان العرب ، (١٦/٦) ، وانظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (أنس) ، (٨٧/١٣) .

(٦) سورة الواقعة ، الآيتان (٦٣ ، ٦٤) .

تعالى : [يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ][1] . قال الزجَّاج : الزُّراع : محمد – ﷺ – وأصحابه الدعاة إلى الإسلام – رضوان الله عليهم) [2].

وقال في شرحه لمادة (سمع) . (وقوله تعالى : [وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٍ][3]، فسر ثعلب[4] ، فقال: اسْمَعْ لاسَمِعْتَ . وقوله تعالى : [إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا][5] ، أي : ما تُسْمعُ إلا من يؤمن بها ، وأراد بالإسماع هاهنا القبول والعمل بما يسمع ؛ لأنَّه إذا لم يقبل ولم يعمل، فهو بمنزلة من لم يسمع ، وسَمَّعه الصوت وأسمعَه : استَمَعَ له . وتسمَّع إليه : أصغى ، فإذا أدْغمْت قلتَ : اسَّمَّع إليه ، وقُرِئ : [لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ][6]. يقال : تَسَمَّعت إليه ، وسمعْتُ له ، كله بمعنى ؛ لأنَّه تعالى قال : [وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ][7] ، وقُرِئ : (لا يَسْمَعُون إلى الملأ الأعلى) مخففاً) [8].

ثالثاً : **الحديث الشريف في لسان العرب** :

وممَّا استعان به ابن منظور في شرح مواد اللسان من الشواهد العربية كذلك الحديث النبوي الشريف ، فإن كان في المادة حديث ذكره وشرحه ليستعين بشرحه في توضيح معنى مادته التي هو بصدد الكلام عنها ، فمن ذلك ما ذكره عند شرحه

---

(١) سورة الفتح ، الآية (٢٩) .

(٢) لسان العرب ، (١٤١/٨) ، وانظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٢٤/٥) .

(٣) سورة النساء ، الآية (٤٦) .

(٤) ثعلب : هو أحمد بن يحيى بن سيّار ، أبوالعباس ثعلب الشيباني ، مولاهم النحوي اللغوي، إمام الكوفيين في النحو واللغة والثقة والديانة ، ولد سنة (٢٠٠هـ) ومات سنة (٢٩١هـ) ، له من الكتب: المصون في النحو ، ومعاني القرآن ، ومعاني الشعر وغيرها .

(انظر: الوافي بالوفيات ، للصفدي ، (١٥٨/٨) ، وسير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، (١٥/١٤)).

(٥) سورة النمل ، الآية (٨١) .

(٦) سورة الصافات ، الآية (٨) .

(٧) سورة فصلت ، الآية (٢٦) .

(٨) لسان العرب ، (١٦٢/٨ ، ١٦٣) .

لمادة (حنف) حيث قال : (وفي الحديث : (خلقتُ عبادي حنفاء) [١] ، أي : طاهري الأعضاء من المعاصي ، لا أنَّهم خلقهم مسلمين كلهم ، لقوله تعالى : [ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ][٢] وقيل : أراد أنَّه خلقهم حنفاء مؤمنين لَمَّا أخذ عليهم الميثاق : [أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ][٣] ، فلا يوجد أَحد إلا وهو مقر بأن له رباً وإن أشرك به، واختلفوا فيه . والحُنَفاءُ : جمعُ حِنيفٍ ، وهو المائل إلى الإسلام الثابت عليه . وفي الحديث : (بُعثتُ بالحنيفية السمحة السهلة) [٤] [٥].

وقال في مادة (حوف) : (وحَيْفُ النَّاحِلِ : أن يكون للرجل أولاد فيعطي بعضاً دون بعض ، وقد أُمر بأن يسوّي بينهم ، فإذا فَضَّل بعضهم على بعض فقد حاف. وجاء بشير الأنصاري[٦] بابنه النعمان[٧] إلى النبي – ﷺ – وقد نحله

---

(١) الحديث في صحيح مسلم ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث ، بيروت ، ٥١ – كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٦ – باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ، حديث رقم (٢٨٦٥) ، (٢١٩٧/٤) .

(٢) سورة التغابن ، الآية (٢) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية (١٧٢) .

(٤) جزء من حديث طويل في مسند أحمد بن حنبل ، لأحمد بن حنبل أبوعبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة. مصر ، حديث أبي أمامة الباهلي الصدي بن عجلان بن عمرو بن وهب الباهلي عن النبي – ﷺ – حديث رقم (٢٢٣٤٥) ، (٢٦٦/٥) .

ولكن كلمة (السهلة) لم أجدها إلا في الرواية التي ذكرها الخطيب في تاريخ بغداد ، من حديث جابر عن النبي – ﷺ – قال : (بعثتُ بالحنيفية السمحة أو السهلة ، ومن خالف سنتي فليس مني). (انظر: تاريخ بغداد ، لأحمد بن علي أبوبكر الخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (٢٠٩/٧)) .

وقال في "مجمع الزوائد" : (رواه أحمد والطبراني ، وفيه علي بن يزيد الألهاني ، وهو ضعيف).

(مجمع الزوائد ، لعلي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ ، (٢٧٩/٥)) .

(٥) لسان العرب ، (٥٨/٩) .

(٦) بشير الأنصاري : بشير بن سعد بن ثعلبة بن جُلاس الأنصاري البدري ، والد النعمان ، له ذكر في صحيح مسلم وغيره في قصة الهبة لولده . استشهد بعين التمر مع خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر – رضي الله عنه – سنة (١٢هـ) . (انظر : الإصابة ، لابن حجر ، (٣١١/١)).

(٧) النعمان : النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس ، الأنصاري ، الخزرجي ، يُكنى أبا عبدالله، له ولأبيه صحبة . قال الواقدي : كان أول مولود في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة بأربعة عشر شهراً، قتل النعمان سنة (٦٥هـ) . (انظر : المرجع السابق ، (٤٤٠/٦)).

نحلاً، وأراد أن يُشْهِدَه عليه ، فقال له : أكُلَّ ولَدِكَ قد نَحَلْتَ مِثْلَه؟ قال : لا ، فقال: إنّي لا أشْهَدُ على حَيْف ، وكما تُحِبّ أن يكون أولادك في برّك سواء فسَوِ بينهم في العَطاء) [1])[2].

وقال في مادة (رفَقَ) : (والرّفْقُ : لين الجانب، خلاف العنف ، وفي الحديث: (ما كان الرّفق في شيء إلا زانه) [3] ، أي : اللطف ، وفي الحديث: (في إرْفاقِ ضعيفهم وسَدّ خَلَّتِهم) [4] ، أي : إيصال الرفق إليهم) [5].

وهكذا فإنَّنا نلاحظ أنَّ ابن منظور أورد في معجمه كثيراً من الأحاديث النبوية منها الصحيح ، ومنها لضعيف الذي تكلم أئمة الحديث في بعض رجال سنده، ومنها ما ورد في الصحيحين ، ومنها ما ورد في كتب السنن ، ومنها ما ورد في غير ذلك من كتب الحديث . وقد علمنا من قبل أنَّ ابن منظور جمع هذه الأحاديث التي أوردها في معجمه من كتاب "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير الجزري ، فقد قام بإفراغ مادة هذا الكتاب بجميع أحاديثه في معجمه مع بعض التبويب والترتيب.

رابعاً : الشعر في لسان العرب :

وممَّا استعان به ابن منظور من شواهد العرب في توضيح المعاني : الشعر العربي، فكثيراً ما يستشهد على المعاني بأبيات من الشعر ، وقد ملأ به معجمه فصار ذا طابع أدبي ، حتى إنَّ الأديب يجد فيه بغيته .

---

(١) رواه البخاري ومسلم بألفاظ مختلفة . صحيح البخاري ، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، ٥٥- كتاب الهبة وفضلها ، ١١- باب الهبة للولد ، وإذا أعطي بعض ولده شيئاً لم يجز حتى يعدل بينهم ، و ١٢- باب الإشهاد في الهبة ، حديث رقم (٢٤٤٦) ، وحديث رقم (٢٤٤٧) ، (٩١٣/٢ ، ٩١٤) .ورواه مسلم في صحيحه ، ٢٤- كتاب الهبات ، ٣- باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة،حديث رقم (١٦٢٣) ، (١٢٤٢/٣).

(٢) لسان العرب (٩/ ٦٠) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه بلفظ : (إنَّ الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينُزع من شيء إلا شانه)، ٤٥- كتاب البر والصلة والأداب ، ٢٣ – باب فضل الرفق ، حديث رقم (٢٥٩٤) ، (٢٠٠٣/٤) .

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير الجزري ، باب الراء مع الفاء (رفق)، (٢٤٦/٢) .

(٥) لسان العرب ، (١١٨/١٠) .

ومن الأمثلة الشعرية في لسان العرب قول ابن منظور في مـــادة (أثـــر) : (الأَثَرُ : الأَجَلُ وسُمِّي به ، لأنه يتبع العمر. قال زهير[1] :

والمرءُ ما عــاش ممــدودٌ لـــه أمَــلٌ

لا ينتهي العمْرُ حتى ينتهـــي الأثـــرُ[2]

وقال في مادة : (بوق) : (والبوقُ : الباطلُ ، قال حسان بن ثابت[3] يرثـــي عثمان – رضي الله عنه – :

يَـــا قاتَـــلَ اللهُ قومـــاً كـــان شـــأنُهُمُ

قتْلَ الإمـــامِ الأمـــينِ المســـلمِ الفَطِـــنِ

مـــا قَتَلُـــوه[4] علـــى ذَنْـــبٍ ألَـــمَّ بِـــهِ

إلا الذي نطَقُوا بُوقـــاً ولـــم يكُـــنِ) [5]

---

(١) زهير: (٥٢٠م – ٦١٠م) هو زهير بن ربيعة بن رياح بن أبي سلمى (بضم السين)، من الشعراء القدماء، ومن الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية ، وهو أشدهم أمراً ، وأمدحهم وأجرأهم على الكلام ، وابنه كعب بلغه الإسلام فأسلم ، ومدح رسول الله – ﷺ – بعدما هجاه، وتاب بعد ما عصاه، وأنشد عنده قصيدته المشهورة : (بانت سعاد) ، فعفى عنه النبي – ﷺ – بعد أن أهدر دمه وأجازه ببردة لـــه . وأسلم فحسن إسلامه . (انظر : أبجد العلوم ، للقنوجي، (٨٨/٣)) وانظر ترجمته في مقدمة ديوان شعره ، شرح وتحقيق: محمد محمود ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٥ م ، ص ٥) .

(٢) لسان العرب ، (٦/٤) .

وقد نسب ابن منظور هذا البيت الشعري إلى زهير ونسبه الصفدي إلى ابنه كعب ، وهو الحـــق ، فقـــد وجدته منسوباً إلى كعب في ديوانه . وقال فيه : (لا تنتهي العَيْنُ) بدل : لا ينتهي العمر. ومعناه : أمـــل المرء مبسوط له ، وإنَّما يأتيه ما قُدِّر له ، ومن ورائه الموت . (انظر : الوافي بالوفيـــات ، للصـــفدي، (٢٥٩/٢٤) ، وانظر : شرح ديوان كعب بن زهير ، لأبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيدالله السكري، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ص ٢٢٩) .

(٣) حسان بن ثابت : هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام ، الأنصاري ، الخزرجي ، شاعر رسول الله – ﷺ – يُكنى (أبا الوليد) ، وهي الأشهر ، روى عن النبي – ﷺ – أحاديث ، روى عنه ســـعيد بـــن المسيب وأبوسلمة بن عبدالرحمن وعروة بن الزبير وآخرون . مات سنة (٥٤هـــ) ، مع خـــلاف في ذلك. والجمهور على أنه عاش مائة وعشرين سنة . (انظر : الإصابة ، لابن حجر ، (٦٢/٢)، وانظر : ريح النسرين فيمن عاش من الصحابة مائة وعشرين ، لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، تحقيق : عدنان أحمد مجود ، دار الوفاء ، جدة ، السعودية ، ط ١ ، ١٤٠٥هـــ، ص ٤٣) .

(٤) وردت (ما قاتلوه) بدل (ما قتلوه) في شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، لعبدالرحمن البرقوقي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٧٨م ، في قافية النون من قصيدة يرثـــي بهـــا ســـيدنا عثمان بن عفان – رضي الله عنه – ص ٤٧٠.

(٥) لسان العرب ، (٣٠/١٠) ، وانظر : المرجع السابق ، ص ٤٧٠.

وقال في مادة (تمم) : (قال أبومنصور* ، التَّمَائِمُ : واحدتُها تَمِيمَةٌ ، وهي خرزات كان الأعرابُ يعلقونها على أولادهم يتقون بها النفس والعين بزعمهم فأبطله الإسلام ، وأيّاها أراد الهُذَليّ[١] بقوله :

وإذا المَنِيَّةُ أنْشَبَتْ أظْفارَها

ألْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمةٍ لا تَنْفَعُ)[٢]

وقال في مادة (قسم) : (وقول العجَّاج) [٣] :

الحمدُ للهِ العَليّ الأعْظَمِ * باري* السَّمواتِ بَغيْرِ سُلَّم

وَربّ هذا الأثَرِ المُقَسَّمِ * من عَهْد إبراهيم لَمَّا يُطْسَمِ**

أراد المُحَسَّن ، يعني مقام إبراهيم – عليه السلام – كأنه قُسِّمَ، أي حُسِّنَ) [٤] .

---

* يقصد : محمد بن أحمد الأزهري ، وقد سبقت ترجمته .

(١) الهذلي : أبوذؤيب الهذلي ، خوليد بن خالد بن محرث ، من بني هذيل بن مدركة المضري . شاعر فحل مخضرم . أدرك الجاهلية والإسلام ، وسكن المدينة واشترك في الغزو والفتوح وعاش إلى أيام عثمان –رضي الله عنه– وفد على النبي – ﷺ – ليلة وفاته فأدركه وهو مسجى ، وشهد دفنه . له ديوان أبي ذؤيب (انظر: معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، (٣٠٦/٣ – ٣٠٩) وانظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي ، (٢٧٤/١٣) ، وانظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لأبي الحسن علي بن محمد بن الأثير الجزري ، تحقيق : الشيخ خالد طرطوسي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ (٧١/٢) .

(٢) لسان العرب ، (٧٠/١٢) ، وانظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (تمم) ، (٢٦٠/١٤) ، وانظر : شرح أشعار العرب الهذليين ، لأبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ، تحقيق : عبدالستار أحمد فراج، مكتبة دار العروبة ، القاهرة (٨/١) .

(٣) العجاج : هو عبدالله بن رؤبة بن لبيد بن صخر ، التميمي السعدي ، يُكنى أبا الشعثاء ، ويعرف بالعجاج، الراجز ، المشهور ، وكان يُقال له عبدالله الطويل ، وهو والد رؤبة بن العجاج الراجز المشهور ، وللعجَّاج رواية عن أبي هريرة ، قيل : وُلد في الجاهلية ، وعاش إلى خلافة الوليد بن عبدالملك ، (انظر: الإصابة ، لابن حجر ، (٨٧/٥)).

* باري : وردت في ديوان العجَّاج ،(بَنَى) (انظر : ديوان العجَّاج ، رواية وشرح عبدالملك بن قريب الأصمعي، تحقيق: سعدي ضنَّاوي ، دار صادر ، بيروت، ط ١ ، ١٩٩٧م، ص ٢٣٧) .

** يُطسم: قال في "لسان العرب": (وطَسَمَ يَطْسِمْ طُسُوماً : دَرَسَ) . (لسان العرب ، مادة (طسم) ، (٣٦٢/١٢)) ،وانظر : ديوان العجاج ، للأصمعي ، ص (٢٣٧ ، ٢٣٨) .

(٤) المرجع السابق ، (٤٨٢/١٢) .

وهكذا ، فإنَّنا نجد في لسان العرب مادة غزيرة جداً من أشعار العرب استعان بها ابن منظور كشواهد لتوضيح المعاني ، وما ذكرتُه في هذا المقام من أمثلة شعرية ، فهي يسيرة جداً بالنسبة لما ذكره في معجمه .

خامساً : الاتجاه الفقهي في لسان العرب :

اعتنى ابن منظور في معجمه كذلك بالفقه ، فيذكر مذاهب أهل العلم، واختلافاتهم في بعض المسائل الفقهية ، ومن ذلك ما ذكره في مادة (أمم)، حيث قال : (وأُمُّ الكتاب : فاتحته ؛ لأنّه يُبتدأ بها في كل صلاة ، وقال الزجَّاج : (أُمُّ الكتاب أصْلُ الكتاب) [1] ، وقيل : اللَّوْحُ المحفوظ . التهذيب* : أمُّ الكتاب كلُّ آية محكمة من آيات الشرائع والأحكام والفرائض ، وجاء في الحديث : إنَّ أمَّ الكتاب هي فاتحة الكتاب[2] ؛ لأنَّها هي المقدمة أمامَ كُلِّ سورة في جميع الصلوات، وابُتْدئ بها في المصحف فقدّمت ، وهي القرآن العظيم ، وأما قول الله – عزَّ وجل – : [وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا...][3] ، فقال : هو اللوح المحفوظ ، وقال قتادة[4] : أم الكتاب أصل الكتاب ، وعن ابن عباس : أم الكتاب القرآن من أوله إلى آخره) [5] .

ومن ذلك ما ذكره في مادة (أمن) ، حيث قال : (والتأمين : قول آمين. وفي حديث أبي هريرة : إنَّ النبي – ﷺ – قال : (آمين خَاتَمُ ربِّ العالمين على عباده

(١) معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٣٠٨/٤) .

* يعني : (وفي التهذيب) أو (قال في التهذيب) أو (قال صاحب التهذيب) .

(٢) جاء هذا المعنى في حديث رواه أبوبكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في صحيحه (صحيح ابن خزيمة تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ٢- كتاب الصلاة، ١٠٢- باب فضل قراءة الفاتحة مع البيان أنَّها السبع المثاني ، حديث رقم (٥٠١) ، (٢٥٢/١).
ونص الحديث عند ابن خزيمة : (عن أُبي بن كعب قال : قال رسول الله – ﷺ – ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ، ولا في القرآن مثل أم الكتاب ، وهي السبع المثاني) .

(٣) سورة الزخرف ، الآية (٤) وتمام الآية : [وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ]

(٤) قتادة : هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز ، أبوالخطاب السدوسي (٦١ – ١١٨هـ) ، مفسر ، حافظ ، ضرير ، أكمه ، قال الإمام أحمد بن حنبل : قتادة أحفظ أهل البصرة ، وكان مع علمه بالحديث رأساً في العربية ، ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب . مات بالطاعون في واسط .
(انظر : الأعلام ، للزركلي، ١٨٩/٥) ، وسير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، (٢٦٩/٥) .

(٥) لسان العرب ، (٣١/١٢) .

المؤمنين) (١) . قال أبوبكر : معناه أنَّه طابَعُ الله على عباده ؛ لأنَّه يدفعُ بـه عـنهم الآفات والبلايا ، فكان كخاتم الكتاب الذي يصونه ، ويمنع من فساده ، وإظهار ما فيه لمن يكره علمه به ، ووقوفه على ما فيه . وعن أبي هريـرة – ﷺ – قـال: آمين درجةٌ في الجنة ، قال أبوبكر : معناه أنَّها كلمةٌ يكتسب بها قائلها درجة فـي الجنة . وفي حديث بلال : (لا تَسبِقْنِي بآمين) (٢) ، قال ابن الأثير : يشبه أن يكون بلالٌ كان يقرأ الفاتحةَ في السَّكتة الأولى من سكْتَتي الإمامِ ، فربمـا يبقـى عليـه شيءٌ، ورسول الله – ﷺ – قد فرغ من قراءتها ، فاستَمْهَله بلال في التَّأمينِ بَقَدْرِ ما يُتِمُّ فيه قراءة بقية السورة حتى ينال بركة موافقتهِ في التَّأمين) (٣) .

وقال في مادة (نفي) : (نَفَيْت الرجلَ وغيرهَ أنْفِيه نَفْياً إذا طردتـه . قـال الله تعالى : [أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ](٤) قال بعضَهم : معناه من قَتَله فدَمه هَدَرٌ ، أي : لا يطالب قاتله بدمه ، وقيل: أو يُنْفَوا من الأرض: يُقاتَلون حَيْثُما تَوَجَّهوا منها ، لأنَّه كونٌ ، وقيل: نَفْيُهم إذا لم يَقْتُلُوا ولم يأخذوا مالاً أن يُخَلَّدوا في السجن إلا أن يتوبوا قبل أن يُقْدَرَ عليهم. ونفي الزاني الذي لم يُحْصَن أن يُنفي من بلده الذي هو به إلى بلدٍ آخر سَنَةً، وهو التغريب الذي جاء في الحديث ، ونَفْيُ المُخَنَّث أن لا يقرَّ فـي مدن المسلمين) (٥) .

وهكذا نجد ابن منظور يذكر أحياناً الأحكام الفقهية عند ذكره لآيات الأحكام، ويورد الأقوال المختلفة في هذه الأحكام دون أن يعلق عليها أو يرجِّح بينها، فجمع بذلك في معجمه مادة فقهية يمكن للفقيه أن يجد فيها بغيته .

(١) ورد هذا الحديث في كتاب : الكامل في ضعفاء الرجال ، لأبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني، تحقيق: يحيى مختار غزاوي ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م ، في (١٩١٦) ، حديث مؤمل بن عبدالرحمن الثقفي ، (٤٤٠/٦) .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ، حديث بلال – ﷺ – حديث رقم (٢٣٩٦٦) ، (١٥/٦) .

(٣) لسان العرب ، (٢٧/١٣) .

(٤) سورة المائدة ، الآية (٣٣) .

(٥) لسان العرب ، (٣٣٧/١٥) .

الباب الثاني
دراسة النصوص القرآنية الواردة في لسان العرب

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : **دراسة النصوص القرآنية الواقعة في حرف الكاف .**

الفصل الثاني : **دراسة النصوص القرآنية الواقعة في حرف اللام .**

الفصل الثالث : **دراسة النصوص القرآنية الواقعة في حرف الميم .**

الفصل الأول

دراسة النصوص القرآنية الواقعة في حرف الكاف

النص رقم (١)

يقول تعالى : [يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّرِبِينَ][١] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (الكأسُ مؤنثــة . قــال الله تعــالى : (بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * بَيْضَآءَ) ... ابن سيده * : (الكأسُ : الخمر نفسها اسم لها ، وفي التنزيل العزيز : (يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّرِبِينَ)[٢] .والكَأْسُ أَيضاً الإنــاء إذا كان فيه خمر . قال بعضهم : هي الزجَّاجة ما دام فيها خمر ، فإذا لم يكن فيها خمر فهي قدح ، كل هذا مؤنث ... وقيل : هو اسم لهما على الانفراد والاجتمــاع ... واللفظة مهموزة ، وقد يُترك الهمز تخفيفاً ، والجمع من كــل ذلــك : أَكْــؤُسٌ وكُؤُوس وكِئَاسٌ) [٣] .

دراسة النص :

وافق ابْنُ منظور في ذلك من المفسرين ابن جرير الطبري [٤] ، حيثُ فسَّــر ابن جرير الكأس بكأس الخمر ، ونقل عن الضحاك بن مزاحم [٥] قوله : كل كأس

---

(١) سورة الصافات ، الآيتان [٤٥ ، ٤٦] .

* يُريد : قال ابن سيده .

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المُرسي ، تحقيق : عبدالحميد هنداويّ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ، (٧٧/٧) .

(٣) لسان العرب ، مادة (كأس) ، (١٨٨/٦، ١٨٩) .

(٤) ابن جرير الطبري : أبوجعفر ، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ، صــاحب التفســير الكبيــر والتاريخ الشهير ، كان إماماً في فنون كثيرة منها : التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك ، وكان من الأئمة المجتهدين لم يقلد أحداً . ولد بآمل طبرستان سنة (٢٢٤هـ) ، وتوفي ببغداد سنة (٣١٠هـ)

(انظر : طبقات المفسرين ، لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : علي محمد عمر ، مكتبــة وهبة ، القاهرة ، ط١، ١٣٩٦هـ ، ص٩٥ ، وانظر: وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، (١٩١/٤)) .

(٥) الضحاك بن مزاحم : البلخيّ ، الخرسانيّ ، أبوالقاسم ، مفِّسر ، كان يؤدب الأطفال ، ويُقال : كان فــي مدرسته ثلاثة آلاف صبي ، كان يطوف عليهم على حمار ، وذكره ابن حبيــب تحــت عنــوان : أشراف المعلمين وفقهاؤهم . له كتاب في التفسير ، توفي بخرسان سنة (١٠٢هـ) .

(انظر : العبر، لشمس الدين الذهبي ، (١٢٤/١))

في القرآن فهو خمر ، ثم قال : والكأس عند العرب كل إناء فيه شراب ، فإن لم يكن فيه شراب لم يكن كأساً ؛ ولكنه يكون إناءً ، وقوله (بَيۡضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ) ، يعني بالبيضاء الكأس، ولتأنيث الكأس أُنثت البيضاء ، ولم يقل : أَبيض [1] .

ووافق ابن منظور أيضاً فخر الدين الرازي [2] والقرطبي[3] في تفسير الكأس بالخمر . قال الرازي : يُقال للزجَّاجة التي فيها الخمر كأس ، وتسمى الخمرة نفسها كأساً ، إلا أنَّ الرازي خالف في المراد ببيضاء ، حيثُ جعلها صفة للخمر، وليس للكأس ، أمَّا القرطبي فقد نقل القولين في المراد ببيضاء ، فقال : هي صفة الكأس وقيل للخمر [4] .

ووافقه الإمام ابن كثير [5] .في تفسير الكأس بالخمر ، إلا أنَّه خالفه في أنَّ (بيضاء) صفة للخمر ، وليس للكأس [6] .

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، (٥٢/٢٣) .

(٢) فخر الدين الرازي : محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن عليّ ، العلاّمة فخر الدين ، أَبو عبدالله ، القرشيّ البكريّ التيميّ الطبرستانيّ الأصل ، الرازي ، الشافعيّ المفسر المتكلم صاحب التصانيف، وُلد سنة (٥٤٤هـ) وتوفى سنة (٦٠٤هـ) ، صنَّف التفسير الكبير وسمَّاه : مفاتيح الغيب ، وله المصنف في إعجاز القرآن ، وكتاب المطالب العالية،وكتاب في الهندسة ومصنفات أخرى كثيرة .
(انظر : طبقات المفسرين ، لأَحمد بن محمد الأدنروي ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي ، مكتبة العلوم والحكم ، السعودية (المدينة المنورة) ، ط١ ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، ص٢١٣) .

(٣) القرطبي : أَبوعبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاريّ الخزرجيّ القرطبيّ ، صاحب كتاب التذكرة بأُمور الآخرة ، والتفسير الجامع لأحكام القرآن ، كان حسن التصنيف جيد النقل ، توفى بمدينة بني خصيب من صعيد مصر سنة (٦٧١هـ) .
(انظر : المرجع السابق ، ص٢٤٦، وانظر : شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، (٣٣٥/٥)) .

(٤) انظر : التفسير الكبير "مفاتيح الغيب" ، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١، ١٤٢١هـ ، (١١٩/٢٦، ١٢٠) ، وانظر: الجامع لأحكام القرآن،لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي،دار الشعب،القاهرة،(٧٧/١٥، ٧٨) .

(٥) ابن كثير : إسماعيل بن عمر بن كثير ، القرشيّ البصريّ ، ثُمَّ الدمشقي ، الفقيه الشافعي ، الحافظ عماد الدين ، ابن الخطيب شهاب الدين ، وكنيته أبوالفداء . قال الذهبي : إمام محدِّث مفت بارع . من مصنفاته: التاريخ الكبير والتفسير الكبير . ولد سنة (٧٠٠هـ) وتوفى بدمشق سنة (٧٧٤هـ) .
(انظر : طبقات المفسرين ، للأدنروي ، ص٢٦٠ ، وانظر : الدرر الكامنة ، لابن حجر العسقلانيّ ، (٤٤٥/١)).

(٦) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لعماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ، (٧/٤) .

المعنى العام للآيتين :

يطوف الخدم على كل عبد من عباد الله المخلصين في الجنَّة بكأس من معين، وهو الإناء بشرابه من خمر يجري على وجه الأرض كأنهار الماء ، وهذه الخمر أشدّ بياضاً من اللبن ، لذيذة للشاربين بخلاف خمر الدنيا فإنَّها كريهة عند الشرب (١) .

النص رقم (٢)

يقول تعالى : [أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦ...] (٢) .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (كَبَّ الشيءَ يَكُبُّهُ ، وكَبْكَبَه : قَلَبه ... وكَبَّه لوجهه فانكبَّ ، أي : صرعه ... وأَكَبَّ على الشيء أقبل عليه يفعله ... ورجل مُكبٌّ ومِكْبَابٌ : كثير النظر إلى الأرض ، وفي التنزيل العزيز : (أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦ))(٣) .

دراسة النص :

فَسَّر ابن جرير الطبري قوله تعالى : (مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦ) بالكافر الذي لا يبصر ما بين يديه ، وما عن يمينه وشماله ، ثم فسَّر قوله : (أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا)(٤) . بأنه مشى بني آدم على قدميه .

---

(١) انظر : تفسير الجلالين ، لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي ، دار الحديث القاهرة ، ط١ ، ص٥٩٠ .

(٢) سورة الملك ، الآية [٢٢] . وتمام الآية : (أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ).

(٣) لسان العرب ، مادة (كبب) ، (١/٦٩٥، ٦٩٦) .

(٤) سورة الملك ، الآية [٢٢] .

ثُمَّ أورد قولاً آخر ، وهو أنَّ (مكباً) فعل غير واقع ، ولمَّا كان كذلك أدخلوا عليه الأَلف ، فقالوا : أكبّ فلانٍ على وجهه فهو مكب ، وإذا كان واقعاً حذفوا من الألف ، فقيل : كبيتُ فلاناً على وجهه ، وكبَّه الله على وجهه (١) .

يتضح من هذا السر أنَّ ابن جرير يُورد قولين في معنى (مكبا) :

الأول : أنَّ الله –عزَّ وجل – يحشر الكفار يوم القيامة وهم يمشون على وجوههم حقيقة ، يدل على تفسيره (من يمشي سوياً) بأنه مشى بني آدم على قدميه [يُريد المؤمن] .

الثاني : ذكره عن أهل التأويل ، وهو أنَّ (مكبا) فعل غير واقع ، وإنَّما المراد به الكافر ، ومن يمشي سوياً يُراد به المؤمن .

وقد اختار ابن جرير القول الأول كما يتضح ذلك من تفسيره (٢) ، وبهذا يظهر أَنّه لا يلتقي معه ابن منظور الذي فسَّر (مكبا) بأنَّه كثير النظر إلى الأرض.

وذكر الرازي في تفسير الآية وجوهاً ، منها هذين الوجهين اللَّذين أوردهما الطبري ، وذكر الخلاف بين من قال بعموم ذلك في حق جميع المؤمنين والكفار، ومن قال بأن المراد منه شخص معين ، ولم يُرجّح بين الأقوال ، ولم يذكر بين الوجوه هذا الذي ذكره ابن منظور (٣) .

وذكر القرطبي أنَّ الله تعالى ضرب بهذه الآية مثلاً للمؤمن والكافر ، ثم قال : مكباً ، أي : منكساً رأسه ، لا ينظر أَمامه ولا يمينه ولا شماله ، فهو لا يأمن من العثور والانكباب على وجهه ، كمن يمشي سوياً : معتدلاً ناظراً ما بين يديه وعن يمينه وعن شماله ، ثم ذكر الوجوه الأُخرى من التفسير(٤) .

ويظهر أَنَّ ابن منظور يوافق الإمام القرطبي في تفسير (مكباً) ، فمن كان منكساً رأسه ،لا ينظر أَمامه ولا عن يمينه وشماله ؛ لأنه لا يأمن من العثور والإنكباب على وجهه فإنَّ حالة أن يكون كثير النظر إلى الأرض .

---

(١) انظر : جامع البيان، للطبري ، (٩/٢٩) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٩/٢٩) .

(٣) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٦٤/٣٠) .

(٤) انظر : الجامع : لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢١٩/١٨) .

ولا يختلف كلام ابن كثير في هذه الآية عن كلام القرطبي حيث قال ابن كثير : (وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مكباً على وجهه ، أي يمشي منحنياً لا مستوياً على وجهه ، أي : لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب ، بل تائه حائر ضال ، أهذا أهدى أم من يمشي سوياً، أي : منتصب القامة على صراط مستقيم وطريقة مستقيمة؟) [١] .

ثُمَّ بيَّن أنَّ هذا حال الكافر والمؤمن في الدنيا ، وكذلك يكونون في الآخرة ، فالمؤمن يُحشر يمشي سوياً عل صراط مستقيم يفضى به إلى الجنة ، وأمَّا الكافر فإنَّه يُحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم [٢] .

وذكر ابن عطية [٣] في "المحرر الوجيز" خلاف أهل التأويل في الآية ، فذكر عن جماعة أنَّها خاصة نزلت مثلاً لأبي جهل بن هشام[٤] وحمزة بن عبدالمطلب ، وقال ابن عباس وغيره: نزلت مثلاً لأبي جهل بن هشام ومحمد – ﷺ– ، وعن ابن عباس أيضاً ومجاهد[٥] والضحاك : نزلت مثالاً للمؤمنين

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤/٤٠٠) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٤/٤٠٠).

(٣) ابن عطية : هو عبدالحق بن غالب بن عبدالملك بن غالب بن تمام بن عطية ، الإمام الكبير ، قدوة المفسرين ، أبومحمد الغرناطي ، القاضي ، كان فقيهاً عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير ، بارع الأدب ، بصيراً بلسان العرب ، وله التفسير المشهور ذُكِر في "أسامي الكتب" أنَّه المسمى بالمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز توفى سنة (٥٤٦هـ) . (انظر : طبقات المفسرين ، للأدنروي ، ص١٧٥) .

(٤) أبوجهل بن هشام : هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي ، من أشراف قريش . كان أشد الناس عداوة للنبي – ﷺ – وأكثرهم أذىً له ولأصحابه ، وكنيته أبوالحكم وأمَّا أبوجهل فكناه به المسلمون ، وهو الذي قتل سمية أم عمار بن ياسر وأفعاله مشهورة ، وقتل ببدر ، قتله ابن عفرَّاء ، وأجهز عليه عبدالله بن مسعود . (انظر : الكامل في التاريخ ، لعلي بن محمد الشيباني ، (١/٥٩٤) ،وانظر : البداية والنهاية ، لابن كثير ، (٣/٤٧)) .

(٥) مجاهد : هو مجاهد بن جبر ، أبوالحجَّاج المكيّ . قال خصيف : كان أعلمهم بالتفسير . قال مجاهد : عرضتُ القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، وقال لي ابن عمر : وددتُ أنَّ نافعاً يحفظ كحفظك . توفى سنة (١٠٣هـ).

(انظر : العبر، لشمس الدين الذهبي ، (١/١٢٥) ، وانظر : مرآة الجنان، لليافعي ، (١/٢١٤)

والكافرين على العموم ، وقال قتادة : نزلت مخبرة عن حال القيامة ، وإنَّ الكفار يمشون فيها على وجوههم والمؤمنين يمشون عل استقامة .

ثُمَّ ذكر ابن عطية أنَّ المشي في الأقوال الثلاثة الأُولى مجازٌ يُتخيل ، وفي القول الرابع هو حقيقة يقع يوم القيامة (١) .

ويُلاحظ أنَّ الأقوال التي أوردها ابن عطية هنا ليس فيها القول الذي ذكره ابن منظور .

المعنى العام للآية :

إنَّ هذه الآية مثل ضُرِب للمشرك والموحد توضيحاً لحالهما ، وتحقيقاً لشأن مذهبهما ، والمكب : الساقط على وجهه والمعنى : أفمن يمشي ، وهو يعثر في كل ساعة ، ويخر على وجهه في كل خطوة لتوعر طريقة واختلال قواه ، أَهدى إلى المقصد الذي يؤمه (أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا) أي قائماً سالماً من الخبط والعثار (عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ) مستوى الأجزاء لا عوج فيه والإنحراف . قيل : خبر (من) الثانية محذوف لدلالة خبر الأولى عليه ولا حاجة إلى ذلك ، فإنَّ الثانية معطوفة على الأولى عطف المفرد على المفرد ، كقولك : أزيد أفضل أم عمرو ، وقيل : أُريد بالمكب الأعمى وبالسوي البصير ، وقيل : من يمشي مكباً هو الذي يحشر على وجهه إلى النار [أي الكافر] ، ومن يمشي سوياً الذي يحشر على قدميه إلى الجنة [أي المؤمن] (٢) .

---

(١) انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسيّ ، تحقيق عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣هـ/، (٥/٤٢) .

(٢) انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي ، دار إحياء التراث ، بيروت ، (٩/٩) .

النص رقم (٣)

يقول تعالى : [فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ][(١)] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (... والكَبْكَبَةُ : الرمي في الهوة ... وفي التنزيل العزيز : (فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ) قال الليث [(٢)] : أَي دُهْورُوا * وجُمِعُوا ، ثم رُمى بهم في هُوَّة النار. وقال الزجَّاج : كُبْكِبُوا طُرِحَ بعضُهم على بعض ، وقال أهل اللغة: معناه : دُهْوِرُوا ، وحقيقة ذلك في اللغة تكرير الإنْكِباب ، كأنه إِذا أُلقى يَنْكَبُّ مَرَّة بعد مَرَّةٍ حتى يستَقِرَّ فيها[(٣)] ... وقيل : قوله (فكبكبوا فيها) ، أي : جمعوا مأخوذ من الكَبْكَبَة . وكَبْكَبَ الشيء : قلب بعضه على بعض) [(٤)] .

دراسة النص :

لا يخرج ما ذكره الطبري في تفسيره هذه الآية عن هذه المعاني التي ذكرها ابن منظور ومن معه من أهل اللغة ، حيثُ قال الإمام الطبري : وقوله : (فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ) يقول : فرمى ببعضهم في الجحيم على بعض ، وطرح بعضهم على بعض ، مُنْكَبِّين على وجوههم) [(٥)] .

ثُمَّ ذكر ما قاله أهل التأويل في ذلك ، منها ما روى عن مجاهد أنه قال في معنى (فكبكبوا) : فدهوروا ، وما روى عن ابن عباس قوله : فكبكبوا فيها ، أي : فجمعوا فيها [(٦)] .

---

(١) سورة الشعراء ، الآية [٩٤] .

(٢) الليث : هو الليث بن نصر بن سيَّار الخراسانيّ اللغويّ النحويّ ، صاحب الخليل ، أخذ عنه النحو واللغة ، وأَملى عليه ترتيب كتاب العين ، ويُقال : إنَّ الخلل الواقع فيه من جهته ، من أكتب الناس في زمانه ، بصيراً بالشعر والغريب والنحو .

(انظر : البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، ص١٧٨ ، وانظر : معجم الأُدباء ، لياقوت الحموي ، (٥/٣٠)) .

* قال ابن منظور : (والدهورة جمعك الشيء ، وقذفك به في مهواة) .(لسان العرب مادة (دهر) (٤/٢٩٤)).

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجّاج ، (٤/٧٣) .

(٤) لسان العرب ، مادة (كبب) ، (١/٦٩٧) ، وانظر كذلك مادة (دهر) ، (٤/٢٩٤) .

(٥) جامع البيان، للطبري ، (١٩/٨٨) .

(٦) انظر : المرجع السابق ، (١٩/٨٨) .

وكذا وافق ابن منظور الرازي الذي قال : (قوله : فكبكبوا فيها هم والغاوون، أي : الآلهة وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم ، والكبكبة : تكرير الكب، جُعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى ، كأنه إذا أُلقي في جهنم ينكب مرَّة بعد مرَّة حتى يستقر في قعرها) [(١)] .

ووافق ابن منظور القرطبي الذي قال في تفسيره لهذه الآية : (فكبكبوا فيها ، أي : قُلِبُوا على رؤوسهم ، وقيل : دهوروا ، وأُلقي بعضهم على بعض ، وقيل : جُمعوا ، مأخوذ من الكبكبة، وهي الجماعة ... وقال ابن عباس : جُمعوا ، فطرحوا في النار ، وقال مجاهد ، دُهوروا ، وقال مقاتل [(٢)] : قُذفوا ، والمعنى واحد) [(٣)] .

ولم يُخالف ابن كثير الذي قال : (وقوله : (فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ) قال مجاهد : يعني : فدُهوروا فيها وقال غيره ، كُبُّوا فيها ، والكاف مكررة ، كما يُقال: صرصر ، والمراد أَنه أُلقى بعضهم على بعض من الكفار وقادتهم الذين دعوهم إلى الشرك) [(٤)] .

وذكر النحاس [(٥)] كذلك بعض الأقوال التي أوردها ابن منظور في معنى الآية ، واختار منها : أنَّ كبكبوا معناها : قُلبوا على رءوسهم[(٦)] .

---

(١) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٣١/٢٤) .

(٢) مقاتل : هو أبوالحسن مقاتل بن سليمان الأزديّ ، الخراسانيّ ، أَصله من بلخ ، كان مشهوراً بتفسير كتاب الله العزيز ، وله التفسير المشهور ، وقد اختلف العلماء في أمره ، فمنهم من وثقه في الرواية ، وطعن فيه خلق كثير من الأئمة ، ونسبوه إلى الكذب . توفى سنة (١٥٠هـ) .

(انظر : مرآة الجنان ، لليافعي ، (٣٠٩/١) ، وانظر : وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، (٢٥٥/٥)) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١١٦/١٣) .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣٤٠/٣، ٣٤١) .

(٥) النحاس : هو أبوجعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوي النحاس ،من أهل مصر ، له تصانيف في التفسير والنحو جياد ، صاحب كتاب "معاني القرآن" توفى في ذي الحجة سنة (٣٣٨هـ) .

(انظر : الأنساب ، للسمعاني ، (٤٦٥/٥) .

(٦) انظر : معاني القرآن ، لأبي جعفر أحمد بن إسماعيل النحاس ، ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط١، ١٤٠٩هـ ، (٨٩/٥) .

المعنى العام للآية :

قوله (فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ) ، أي : الآلهة والغاوون وعبدتهم الذين بُرِّزت لهم الجحيم ، والكبكبة : تكرير الكب ، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى ، كأنَّه إذا أُلقى في جهنم ينكب مرَّة بعد مرَّة حتى يستقر في قعرها ، وأُلقى معهم جنود إبليس * . أي : شياطينه أو متبعوه من عصاة الجن والإنس [1] .

النص رقم (٤)

يقول تعالى : [...كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ...][2] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (... وفي التنزيل العزيز : (كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ) وفيه : (أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ)[3] .قال أبو اسحق : (معنى كبتوا أُذِلُّوا وأُخْزُوا بالعذاب ، وبأَن غُلبوا كما نزل بمن كان قبلهم ممن حادّ الله) [4] . وقال الفرَّاء : كُبتوا ، أي : غِيظوا ، وأُحزنوا يوم الخندق ، كما كبت من قاتل الأَنبياء قبلهم[5] ، قال الأَزهري : وقال من احتجّ للفرَّاء : أَصلُ الكَبْتِ الكَبْـدُ ، ، فقلبت الدال تاءً ، أُخذ من الكبد وهو معدن الغيظ والأَحقاد ، فكأَنَّ الغيظ لَمَّا بلغ بهم

---

* هذا المعنى ، وهو إلقاء جنود إبليس في النار مع الآلهة والغاوين وعبدتهم نجده في الآية التي تليها ، وهي قوله تعالى : (وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ) سورة الشعراء ، الآية (٩٥) .

(١) انظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق : عبدالرزاق المهدي ، دار إحياء التراث ، بيروت، (٣٢٦/٣، ٣٢٧) .

(٢) سورة المجادلة ، الآية [٥] . وتمام الآية (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية [١٢٧] .

(٤) انظر : معاني القرآن ، وإعرابه ، للزجَّاج ، (١٠٨/٥) .

(٥) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (١٣٩/٣) .

مبلغه أصاب أكبادهم فأحرقها ، ولهذا قيل للأعداء: هم سود الأكباد [١] .

الجوهريّ: الكَبْتُ : الصَّرْفُ والإذلال ، يُقال : كبت اللهُ العدو ، أي : صَرَفه وأَذَلّهُ ، وكبته ، أي : صرعه لوجهه[٢] . والكبت : كسْرُ الرجُلِ وإخزاؤه ، وكَبَتَ اللهُ العَدُوَّ كَبْتاً : رَدّه بغيظه) [٣] .

دراسة النص :

قال ابن جرير : (وأمَّا قوله : ﴿كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ، فإنَّه يعني غيظوا وأُخْزُوا ، كما غيظ الذين من قبلهم من الأمم الذين حادوا الله ورسوله وخُذوا ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل) [٤] .

يتضح من هذا النص أنَّ الإمام ابن جرير يتفق معه ابن منظور ، ومن نقل عنهم من أهل اللغة من أقوال متضافرةٍ وليست متنافرة . إلا أنّ ابن جرير أضاف معنى آخر نقله عن بعض أهل العلم ، حيث قال : (وكان بعض أَهل العلم بكلام العرب يقول : معنى (كبتوا) أهلكوا) [٥] .

وفسَّر الإَمام الرازي الكبت بالخذلان والإذلال في قوله : (... فأعلم الله رسوله أنَّهم كبتوا ، أي : خذلوا . قال المبرد [٦] : يُقال : كبت الله فلاناً إذا أذله ، والمردود بالذل يُقال له مكبوت) [٧] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة ، لأبي منصور الأزهري ، مادة (كبت) ، (١٥٣/١٠) .

(٢) انظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، لإسماعيل بن حمَّاد الجوهري ، تحقيق : أحمد عبدالغفور عطَّار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٩٠م ، (٢٦٢/١) .

(٣) لسان العرب ، مادة (كبت) ، (٧٦/٢) .

(٤) و (٥) جامع البيان، للطبري ، (١١/٢٨) .

(٦) المبرد : هو محمد بن يزيد بن عبدالأكبر ، الأزديّ البصريّ ، أَبوالعباس المبرد ، إِمام العربية ببغداد في زمانه ، كان فصيحاً بليغاً مفوهاً ثقةً إخبارياً علاَّمة صاحب نوادر وظرافة ، له تصانيف مشهورة ، منها : كتاب الكامل والمقتضب والروضة ومعاني القرآن وغيرها . توفى سنة (٢٨٥هـ) . (انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي، (١٤١/٥)،وانظر : سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، (٥٧٦/١٣) .

(٧) التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٢٩/٢٩) .

وهذا المعنى الذي ذكره الرازي هنا هو أحد المعاني التي نقلها ابن منظور . وذكر القرطبي بعض المعاني التي ذكرها ابن منظور في معنى كبتوا ، وزاد عليها دون أن يُرجّح بينها ، وهي : أَنَّ معنى كبتوا أَهلكوا ، وقيل : أُخْذُوا كما أُخزي الذين من قبلهم ، وقيل : عُذِّبوا ، وقيل لُعنُوا ، وقيل : غِيظُوا [١] .

ولم يخالف ابن كثير الذي فسر الكبت بالإهانة واللعن والخزي[٢] .

وجمع هذه المعاني كذلك الإمام السمعانيّ [٣] ، حيث فسَّر الكبت بالخزي والإهلاك واللعن [٤] .

المعنى العام للآية :

إِنَّ الذين يحادُّون اللهَ ورسولِه ، أي : يعادون ويشاقُّون أُخِذُوا وأُهلكوا كما أُخزِي وأُهلك الذين من قبلهم من أعداء الرسل ، وقد أنزل الله آيات بينات تدل على صدق الرسول ، وصحة ما جاء به ، وللكافرين بهذه الآيات عذاب مهين يذهب بعزَّهم وكبرهم [٥] .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٨٨/١٧) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣٢٣/٤) .

(٣) السمعانيّ (صاحب التفسير): هو أبوالمظفر منصور بن محمد بن عبدالجبار السمعانيّ ، إمام عصره بلا مدافعة ، وعديم النظر في فنه ، صنَّف التفسير الحسن المليح ، وصنَّف في الحديث منهاج أهل السنة والانتصار والرد على القدرية ، وغيرها كان فقيهاً مناظراً . توفى سنة (٤٨٩هـ) (انظر: الأنساب، للسمعاني ، ٢٩٩/٣) .

(٤) انظر : تفسير القرآن ، لأبي المظفر منصور بن محمد السمعانيّ ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس ، دار الوطن ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، (٣٨٥/٥).

(٥) انظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، لعبدالله بن أحمد بن محمود النسفيّ ، بهامش تفسير الخازن ، دار الفكر ، (٢٣٩/٤) .

النص رقم (٥) :

يقول تعالى : (...أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ)) [١].

دراسة النص :

لم تختلف أقوال المفسرين في معنى الكبت في هذه الآية عن معناها في الآية السابقة في النص رقم (٤) ، لأنَّ معناهما واحد ، فقد قال ابن جرير عند تفسير هذه الآية : (وأمَّا قوله : أو يكبتهم ، فإنَّه يعني بذلك : أو يخزيهم بالخيبة بما رجوا من الظفر بكم ، وقد قيل : إنَّ معنى قوله : أو يكبتهم ، أو يصرعهم لوجوههم)[٢].

وقال الرازي : (أو يكبتهم : الكبتُ في اللغة : صرع الشيء على وجهه، يقال: كبته فانكبت ، هذا تفسيره ، ثم قد يذكر والمراد به الإخزاء والإهلاك واللعن والهزيمة والغيظ والإذلال ، فكل ذلك ذكره المفسرون في تفسير الكبت) [٣].

وقال القرطبي : (ومعنى يكبتهم : يحزنهم ، والمكبوت المحزون، ورُوى أنَّ النبي – ﷺ– جاء إلى أبي طلحة[٤] ، فرأى ابنه مكبوتاً فقال : ما شأنه؟ فقيل: مات بعيره[٥] ، وأصله فيما ذكر بعض أهل اللغة يكبدهم ، أي : يصيبهم بالحزن والغيظ في أكبادهم ، فأُبدلت الدال تاءً ... كبت الله العدو كبتاً ، إذا صرفه وأذله، كبده : أصابه في كبده) [٦].

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٢٧) ، وتمام الآية : (لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ) .
وقد سبق التفسير اللغوي لهذه الآية في النص رقم (٤) ، ولا حاجة لإعادته .

(٢) جامع البيان ، للطبري ، (٨٥/٤) .

(٣) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٨٩/٨) .

(٤) أبوطلحة : هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو ، الأنصاري ، الخزرجي ، أبوطلحة مشهور بكنيته، كان من فضلاء الصحابة ، وهو زوج أم سليم ، ذكروه فيمن شهد بدراً ، واختلف في وفاته ، فقيل : سنة (٣٤هـ) ، وقيل : قبلها بسنتين : وقيل سنة (٥٠هـ) أو (٥١هـ) .
(انظر : الإصابة ، لابن حجر ، (٦٠٧/٢)) .

(٥) ورد هذا الحديث بغير لفظه في بعض كتب الغريب ، منها : النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري ، (١٣٨/٤) ، ومنها : غريب الحديث ، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: عبدالمعطي أمين قلعجي ،دار الكتب العلمية ، بيروت، ط ١ ، ١٤٠٥هـ . (٢٧٧/٢) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٩٨/٤) .

وقال الزمخشري : (أو يكبتهم : أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة ... ويُقال : كَبَتَه بمعنى كَبَدَهُ ، إذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة) [١].

المعنى العام للآية :

يقول : لقد نصركم الله ليقطع طرفاً ، أي : ليهلك طائفة من الذين كفروا ، وقيل: ليهدم ركناً من أركان الشرك بالقتل والأسر ، فقتل من قادتهم وسادتهم يوم بدر سبعون واسر سبعون ، ومن حمل الآية على حرب أُحد فقد قتل منهم يومئذ ستة عشر، وكان النصر للمسلمين حين خالفوا أمر الرسول - ﷺ - فانقلب عليهم ، أو يكبتهم ، قيل : يهزمهم ، وقيل : يصرعهم لوجوههم ، وقيل : يلعنهم ، وقيل : يهلكهم ، وقيل : يحزنهم ، والمكبوت : الحزين ، وقيل : يكبدهم : أي يصيب الحزن والغيظ أكبادهم ، والتاء والدال يتعاقبان، وقيل : يكبتهم بالخيبة ، فينقلبوا خائبين لم ينالوا شيئاً ممَّا كانوا يرجون من الظفر بكم[٢].

النص رقم (٦) :

يقول تعالى : [لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَـٰنَ فِي كَبَدٍ][٣].

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (والكَبَدُ : الشدَّةُ والمشَقَّةُ ، وفي التنزيل العزيز : (لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَـٰنَ فِي كَبَدٍ) قال الفرَّاء : يقول : خلقناه منتصباً مُعتدلاً[٤] ، ويُقال : في كَبَد : أي أنَّه خُلِقَ يُعَالِجُ ويُكابدُ أمر الدنيا وأمر الآخرة ، وقيل : في شدة ومشقة ، وقيل في كبد : أي خلق منتصباً يمشي على رجليه ، وغيره من سائر

(١) الكشاف ، للزمخشري ، (١/٤٤٠) .

(٢) انظر : معالم التنزيل ، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغويّ ، تحقيق : خالد عبدالرحمن العك، دار المعرفة ، بيروت (١/٣٤٩) .

(٣) سورة البلد ، الآية (٤) .

(٤) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٣/٢٦٤) .

الحيوان غير منتصب ... قال أبومنصور : مكابدة الأمر معاناة مشقته[1] ، وكَابَدْتُ الأمر إذا قاسيت شدته ... وقيل : (في كبد) خُلق في بطن أُمه ورأسه قبل رأسها ، فإذا أرادت الولادة انقلب الولد إلى أسفل) [2].

دراسة النص :

بيَّن ابن جرير عند تفسيره لهذه الآية خلاف أهل التأويل في تأويل قوله : (في كبد) فذكر عدة أقوال ، منها :

(١) معناها : لقد خلقنا ابن آدم في شدة وعناء ونصب .

(٢) معناه : يكابد مصائب الدنيا ، وشدائد الآخرة .

(٣) معناه : خُلِقَ منتصباً معتدل القامة ، أو منتصباً على رجلين لم تخلق دابة على خلقه .

(٤) معناه : خُلِق في السماء[3].

ثُم قال بعد ذلك : (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك أنَّه خُلق يكابد الأمور ويعالجها ، فقوله : في كبد معناه : في شدة ، وإنَّما قلنا ذلك أولى بالصواب لأنَّ ذلك هو المعروف في كلام العرب من معاني الكبد) [4].

يُلاحظ ممَّا سبق أنَّ ابن جرير أورد ذات الأقوال التي أوردها من بعده ابن منظور إلا القول الأخير ، فإنَّه ليس عند ابن منظور ، كما أنَّ القول الأخير عند ابن منظور ليس عند ابن جرير ، ثُمَّ اختار ابن جرير ما اختاره ابن منظور ، وهو أنَّ الكبد في الآية هو الشدة والمشقة ، ومكابدة الأمور ومعالجتها .

وذكر الرازي كذلك بعض الوجوه في معنى الكَبَدَ ، ثُمَّ اختار منها أنَّ اللفظ استعمل في كل تعب ومشقة ، ومنه اشتقت المكابدة ، وذكر أنَّ ذلك هو اللائق بالآية[5].

---

(١) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (كبد) ، (١٢٧/١٠) .

(٢) لسان العرب ، مادة (كبد) ، (٣٧٦/٣) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري (١٩٦/٣٠ – ١٩٨) .

(٤) المرجع السابق ، (١٩٨/٣٠) .

(٥) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٦٥/٣١) .

وهذا الذي اختاره الرازي هنا يوافقه فيه ابن منظور .

وكذا يوافق القرطبي ، حيث يقول : ((في كبد) ، أي : في شدة وعناء من مكابدة الدنيا ، وأصلُ الكبد : الشدة ، ومنه تكبد اللبن : غلظ وخثر واشتد ، ومنه الكبد ؛ لأنه دم تغلظ واشتد ، ويُقال : كابدتُ هذا الأمر : قاسيتُ شدته) [١].

ثُمَّ ذكر وجوهاً أخرى في معنى الكبد[٢].

ونقل ابن كثير كذلك مثل هذه الوجوه ، ولم يُرجِحّ بينها[٣].

أما ابن عطية فقد نقلها ، ثمَّ صحَّح منها ما نسبه على جمهور الناس ، وهو أنَّ الكبد المشقة ، والمراد أنَّ الإنسان خُلق يكابد أمر الدنيا والآخرة[٤]. فلم يخالفه ابن منظور في ذلك .

المعنى العام للآية :

يُخبر الله تعالى أنه خلق الإنسان في تعب ومشقة ، فإنه لا يزال يقاسي فنون الشدائد من وقت نفخ الروح إلى نزعها وما وراءه . يُقال : كبد الرجل كبداً، إذا وُجعت كبده ، وأصله : كبده إذا أصاب كبده ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل نصب ومشقة ، ومنه اشتقت المكابدة ، كما قيل : كَبَتَهُ بمعنى : أهلكه ، وهو تسلية لرسول الله – ﷺ– مما كان يكابده من كفار قريش[٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٦٢/٢٠) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٦٢/٢٠ ، ٦٣) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٥١٣/٤) .

(٤) انظر : المحرر الوجيز ، لابن عطية ، (٤٨٤/٥) .

(٥) انظر : إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (١٦١/٩) .

النص رقم (٧) :

يقول تعالى : [...قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ...][١].

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (كَبُرَ (بالضم) ، يَكْبُرُ ، أي : عَظُمَ ، فهو كبير . ابن سيده: (الكِبَرُ : نقيض الصغر) [٢] ... وقال مجاهد في قوله تعالى : (قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ) ، أي: أعلمهم ، لأنَّه كان رئيسهم ، وأمَّا أكبرهم في السن فَرُوبيلُ ، والرئيس كان شمعون ، وقال الكسائي[٣] في روايته : كبيرهم يهوذا) [٤].

دراسة النص :

نقل ابن جرير خلاف أهل التأويل في معنى (كبيرهم) في هذه الآية ، فذكر لهم قولان ، هما :

الأول : أنَّ المراد بالكبير هنا كبيرهم في العقل والعلم لا في السن ، وهو شمعون ، وكان روبيل أكبر منه في الميلاد ، وقد نُسب هذا القول إلى مجاهد.

الثاني : أنَّ المراد به كبيرهم في السن وهو روبيل . وقد نُسب هذا القول إلى قتادة[٥].

ثُمَّ قال : (وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال عنى بقوله : (قال كبيرهم) روبيل : لإجماع جميعهم أنه كان أكبرهم سناً ، ولا تفهم العرب في

---

(١) سورة يوسف ، الآية (٨٠) . وتمام الآية : (فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ) .

(٢) المحكم ، لابن سيده ، مادة (كبر) ، (١١/٧).

(٣) الكسائي : إمام القراء ، أبوالحسن علي بن حمزة بن عبدالله بن بهمن بن فيروز الأسدي ، الكوفيّ ، المعروف بالكسائي النحوي ، صنَّف معاني القرآن ، والآثار في القراءات . مات هو ومحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة في يوم واحد سنة (١٨٩هـ) ، وقيل: سنة (١٨٢هـ) ، أو (١٨٣هـ). (انظر: الأنساب ، لعبدالكريم بن محمد السمعاني،(٦٥/٥)، وانظر:الوافي بالوفيات،للصفدي، (٤٨/٢١)).

(٤) لسان العرب ،مادة (كبر) ، (١٢٦/٥) .

(٥) انظر : جامع البيان، للطبري ، (١٣/ ٣٣ ، ٣٤) .

المخاطبة إذا قيل لهم : فلان كبير القوم مطلقاً بغير وصل إلا أحد معنيين ، إمَّا في الرياسة عليهم والسؤدد ، وإمَّا في السن ، فأما في العقل ، فإنَّهم إذا أرادوا ذلك وصلوه ، فقالوا : هو كبيرهم في العقل .... وقد قال أهل التأويل : لم يكن لشمعون – وإن قد كان من العلم والعقل بالمكان الذي جعله الله به – على إخوته رياسةً وسؤدد ، فيُعلم بذلك أنَّه عُنِيَ بقوله : (قال كبيرهم) ، فإذا كان ذلك كذلك فلم يبق إلا الوجه الآخر ، وهو الكبر في السن) (١).

نلاحظ من النص السابق أنَّ ابن منظور يخالف الإمام ابن جرير فهمه لمعنى (كبيرهم) في الآية.

أمَّا الرازي فقد نقل القولين كذلك ولم يُرجِّح بينهما ، حيثُ قال : (أمَّا قوله تعالى : (قَالَ كَبِيرُهُمْ) ، فقيل : المراد كبيرهم في السن وهو: روبيل ، وقيل : كبيرهم في العقل وهو يهوذا ،وهو الذي نهاهم عن قتل يوسف – عليه السلام) (٢).

وكذلك فعل القرطبي فقد نقل هذين القولين، ولم يُرجّح بينهما ، حيث قال : (قال كبيرهم قال قتادة : هو روبيل ، كان أكبرهم في السن ، وقال مجاهد: هو شمعون ، كان أكبرهم في الرأي ، وقال الكلبي(٣) : هو يهوذا ، وكان أعقلهم، وقال محمد بن كعب(٤) وابن إسحاق(٥) : هو لاوى ، وهو أبوالأنبياء) (٦).

---

(١) المرجع السابق ، (٣٤/١٣) .

(٢) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٥٠/١٨) .

(٣) الكلبي : هو أبوالنضر ، محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث ، الكلبيّ ، صاحب التفسير، من أهل الكوفة ، كان سبئياً من أصحاب عبدالله بن سبأ . مات سنة (١٤٦هـ) .
(انظر : الأنساب ، لعبدالكريم السمعاني ، (٨٥/٥)) .

(٤) محمد بن كعب : هو محمد بن كعب بن سليم ، وقال ابن سعد : محمد بن كعب بن حبان بن سليم ، الإمام العلامة، الصادق، أبوحمزة ، وقيل: أبوعبدالله القرظي المدني ، من حلفاء الأوس ، وكان من أئمة التفسير. قيل : وُلد محمد بن كعب في حياة النبي – ﷺ – ولم يصح ذلك ، قال العجلي : مدني ، تابعي ، رجل صالح ، عالم بالقرآن ، توفي سنة (١٠٨هـ) ، وقيل : سنة (١١٧هـ) ، وقيل : سنة (١١٩هـ) ، وقيل : سنة (١٢٠هـ) .
(انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي،(٦٥/٥)،وانظر:الإصابة،لابن تحجر (٣٤٥/٦)) .

(٥) ابن إسحق : هو محمد بن إسحق بن يسار ، المطلبي ، المخزومي، مولاهم المدني ، صاحب المغازي ، قيل عنه : إنه صالح الحديث ، وإنه في المغازي أقوى منه في الأحكام ، ومن كُتُب محمد بن إسحق أَخَذَ عبدالملك بن هشام سيرة رسول الله – ﷺ – كتاب المبدأ ، وكتاب الخلفاء . توفي سنة (١٥٢هـ) .
(انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي ، (١٣٢/٢) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (٢٤١/٩) .

وفسَّر ابن كثير (كبيرهم) هنا : بأنَّه روبيل ، ثمَّ ذكر القول الثاني ، وهو أنَّ المراد به يهوذا[1].

وبهذا يكون قد خالف ابن منظور كذلك ، فقد اختار أنَّ المراد بالكبير (روبيل) وهو أكبرهم سناً كما ذُكر عنه .

ويرى البغوي[2] أنَّ قوله : (كبيرهم) يعني في العقل والعلم لا في السن ، ثم ذكر الخلاف في تحديد اسم هذا الكبير ، والقول الآخر من التفسير[3].

وبهذا تتبين لنا موافقة ابن منظور للإمام البغوي في ذلك .

المعنى العام للآية :

لمَّا يئس إخوة يوسف منه – عليه السلام – وإسعافهم إلى مطلبهم ، وهو أن يرد عليهم أخيهم بنيامين انفردوا وليس معهم أخوهم متناجين فيما يعملون به في ذهابهم إلى أبيهم من غير أخيهم ، قال كبيرهم قيل : هو روبيل ؛ لأنه الأسن ، وقيل: هو يهوذا ؛ لأنه الأوفر عقلاً ، وقيل : شمعون ؛ لأنَّه رئيسهم ، قال : ألم تعلموا أنّ أباكم قد أخذ عليكم عهداً بإذن الله في حفظ ابنه ، وردّه إليه ، وتعلموا تفريطكم في يوسف من قبل ، أي : قصرتم في شأنه ، ولم تحفظوا عهد أبيكم فيه، فلن أبرح الأرض ، أي: ألزمها حتى يأذن لي أبي في مفارقتها ، والخروج منها ، أو يحكم الله لي بمفارقتها ، والخروج منها . وقيل : المعنى : أو يحكم الله لي بخلاص أخي من الأسر ، حتى يعود إلى أبي وأعود معه ، وقيل المعنى : أو يحكم الله لي بالنصر على من أخذ أخي فأحاربه ، وآخذ أخي منه ، أو أعجز فأنصرف بعد ذلك ، وهو خير الحاكمين ؛ لأنَّ أحكامه لا تجري إلا على ما يوافق الحق ، ويطابق الصواب[4].

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٨٨/٢) .

(٢) البغوي : الإمام الحافظ ، أبومحمد، الحسين بن مسعود البغويّ ، المعروف بابن الفرَّاء ، رحل إلى البلاد، وسمع الكثير ، وحدَّث وألَّف وصنف ، وكان يُقال له: محي السنة . مات بمرو الروذ سنة (٥١٦هـ).

(انظر : النجوم الزاهرة ، ليوسف بن تغري بردي ، (٢٢٣/٥)) .

(٣) انظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٤٤٢/٢) .

(٤) انظر : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ،لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر ، بيروت ، (٤٦/٣) .

النص رقم (٨) :

يقول تعالى : [...إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ...] (١).

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (وقوله تعالى : (إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ)، أي : مُعلِّمكم ورئيسكم ، والصبي بالحجاز إذا جاء من عند معلمه قال : جئتُ من عند كبيري ، واستكبر الشيء رآه كبيراً ، وعظم عنده) (٢).

دراسة النص :

وافق ابنُ منظور – في هذا المعنى – ابنَ جرير الطبري الذي قال : (إنَّه لكبيركم ، يقول* : إنَّ موسى لعظيمكم الذي علمكم السحر) (٣).

ووافق الرازي كذلك ، حيث قال : (قوله : (إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ) يعني أنكم تلامذته في السحر، فاصطلحتم على أن تظهروا العجز من أنفسكم ترويجاً لأمره وتفخيماً لشأنه) (٤).

فقوله : (يعني أنَّكم تلامذته في السحر) يعني به على – لسان فرعون – أنَّ موسى هو الذي علمهم السحر ، وهو المعنى الذي ذكره ابن منظور .

وكذا وافق القرطبي الذي قال : (إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ) أي : رئيسكم في التعليم ، وإنَّما غلبكم ؛ لأنه أحذق به منكم ، وإنما أراد فرعون بقوله هذا ليشبه على الناس حتى لا يتبعوهم فيؤمنوا كإيمانهم ، وإلا فقد علم فرعون أنَّهم

---

(١) سورة طه الآية (٧١)، وتمام الآية : (قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبۡقَىٰ) .

وقد ورد هذا الجزء من الآية أيضاً في سورة الشعراء الآية (٤٩) .

(٢) لسان العرب ، مادة (كبر) ، (١٢٦/٥) .

* يريد : فرعون .

(٣) جامع البيان ، للطبري ، (١٦/ ١٨٨) .

(٤) التفسير الكبير ، للرازي ، (٧٦/٢٢) .

لم يتعلموا من موسى – عليه السلام – بل قد علموا السحر قبل قدوم موسى – عليه السلام – وولادته) [1].

ووافقه ابن كثير كذلك ، حيثُ قال : (إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ)، أي : أنتم إنما أخذتم السحر عن موسى واتفقتم أنتم وإياه علي وعلى رعيتي لتظهروه) [2].

فقوله : (إنما أخذتم السحر عن موسى) يعني به التعليم ، وهو المعنى الذي يرمي إليه ابن منظور.

ووافق الألوسي[3]، حيثُ قال في "روح المعاني" (لكبيركم : لعظيمكم في فنكم ،وأعلمكم به واستأذكم) [4].

وهكذا يظهر أنه ليس هاهنا خلاف بين ابن منظور ، وبين هؤلاء المفسرين فإنَّهم – وإن اختلفت ألفاظهم في تفسير هذه الآية – يتفقون على معنى واحد ، وهو معنى التعليم الذي ذكره ابن منظور .

المعنى العام للآية :

قال فرعون للسحرة : آمنتم له قبل أن آذن لكم ، يعني : قبل أن آمركم ، إنَّه لكبيركم ، يعني :موسى لعالمكم الذي علَّمكم السحر ، وإنَّما أراد به التلبيس على قومه ؛ لأنَّه علم أنَّهم لم يتعلموا من موسى ، وإنّما علموا السحر قبل قدوم موسى – عليه السلام – وقبل ولادته .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١١/٢٢٤) .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، (٣/١٥٩) .

(٣) الألوسي : هو أبوالثناء ، السيد محمود شهاب ابن العلامة صلاح الدين السيد عبدالله . رئيس المدرسين في بغداد ، متمكن في العلم ، عريق في الأدب ، وقرأ في علم الكلام . له مؤلفات كثيرة ، منها : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ونزهة الألباب، وشرح درة الغواص في أوهام الخواص . (انظر : أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع ، لخليل مردم بك ، لجنة التراث العربي، بيروت ، ط ١، ١٩٧١م ، ص (٤٧ – ٥٢)) .

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، دار إحياء التراث ، بيروت ، (١٦/٢٣١) .

ثمَّ قال : فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، اليد اليمنى والرجل اليسرى، ولأصلبنكم في جذوع النخل ، يعني : على أصول النخل على شاطئ النيل ، ولتعلمنّ أيَّنا أشد عذاباً وأبقى ، يعني : وأدوم أنا أم رب موسى(١).

النص رقم (٩) :

يقول تعالى : [...فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ...](٢).

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (أكبرتُ الشيءَ ، أي : استعظمته ... وأمَّا قوله تعالى : (فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ) فأكثر المفسرين يقولون : أعظمنه ، ورُوي عن مجاهد أنَّه قال : أكبرنه : حِضْنَ، وليس ذلك بالمعروف في اللغة ... وروى الأزهري بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى : (فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ) قال: حِضْنَ . قال أبومنصور: فإن صحت الرواية عن ابن عباس سلَّمنا له ، وجعلنا الهاء في قوله : (أكبرنه) هاء وقفة ، لا هاء كناية ، والله أعلم بما أراد(٣)) (٤).

دراسة النص :

فسَّر ابن جرير الطبري قوله : (أكبرنه) بما وافقه فيه ابن منظور ، وهو أنَّ معناه : أعظمنه وأجللنه ، وذكر بعض الروايات في ذلك ، ثّمَّ نفى القول الآخر الذي يقضي بأنَّ معناه : حِضْنَ، بعد أن أورد بعض الروايات فيه(٥) . قال : (وهذا

---

(١) انظر : بحر العلوم ، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي ، تحقيق : محمود مطرجي، دار الفكر ، بيروت ، (٤٠٥/٢) .

(٢) سورة يوسف ، الآية (٣١) . وتمام الآية : (فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ) .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (كبر) ، (٢١٢/١٠) .

(٤) لسان العرب ، مادة (كبر) ، (١٢٦/٥) .

(٥) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٠٤/١٢) .

القول ... إن لم يكن عنى به أنَّهن حِضْن من إجلالهن يوسف ، وإعظامهن له لما كان الله قسم له من البهاء والجمال ، ولما يجد من مثل ذلك النساء عند معـــاينتهنَّ إياه ، فقول لا معنى له ؛ لأنَّ تأويل ذلك فلما رأين يوسف أكبرنه ، فالهاء التي في أكبرنه من ذكر يوسف ولا شك أن من المحال أن يحضن يوسف ، ولكن الخبر إن كان صحيحاً عن ابن عباس – على ما رُوي – فخليق أن يكون كان معناه في ذلك أنهن حضن لمَّا أكبرن من حسن يوسف وجماله في أنفسهن ووجدن ما يجد النساء من مثل ذلك) [١].

ونقل الإمام الرازي في تفسيره القولين معا[٢]، ثُمَّ ذكر ما يُفهم منه أنه اختار القول الأول – وهو أن معناه : أعظمنه ، حيثُ قال : (... وكان الجمال العظـيم مقروناً بتلك الهيبة والهيئة ، فتعجب من تلك الحالة ، فلا جرم أكبرنه وعظَّمنـــه ، ووقع الرعب والمهابة منه في قلوبهن) [٣].

أمَّا القرطبي فقد نقل أربعة أقوال في تفسير (أكبرنه) ، ولم يذكر ما يُشير إلى اختياره واحداً منها ، وهي : القولين اللذين ذكرهمـا ابــن منظــور ، وذكرهمـا الطبري والرازي ، وزاد عليهما أنَّ المعنى : أَمْنَيْنَ وأَمْذَيْن مــن الــدهش ، أو أنَّ معنى أكبرنه عشقنه[٤].

ولم يذكر ابن كثير إلا قولاً واحداً ، وهو القول الذي اختاره ابن منظور. قال ابن كثير في تفسير قوله : (أكبرنه) : (أي: أعظمنه ، أي : أعظمن شأنه ، وأجللن قدره، وجعلن يقطعن أيديهن دهشاً برويته) [٥].

---

(١) المرجع السابق ، (١٢/٢٠٥) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٨/١٠٢) .

(٣) المرجع السابق ، (١٨/١٠٢) .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٩/١٨٠) .

(٥) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢/٤٧٧) .

وكذا وافقه الكلبي(١) ، حيثُ قال في "التسهيل" : (أكبرنه : أي : عظَّمن شأنه وجماله ، وقيل : معنى أكبرن : حضن ، والهاء للسكت ، وهذا بعيد جداً) (٢).

وهكذا يتبين لنا أنَّ معظم المفسرين يختارون القول بأن (أكبرنه) تعني أعظمنه ، كما ذكر ذلك ابن منظور .

المعنى العام للآية :

لمَّا سمعت امرأة العزيز بمكر بعض النسوة في مدينة مصر ، وهو غيبتهن لها بقولهن : امرأة العزيز تراود عبدها عن نفسه ، قد دخل حبه شغاف قلبها ، أي غلافه، إنا لنراها في خطأٍ بين بحبها إياه ، فلمَّا سمعت بذلك أرسلت إليهن ، وأعدَّت لهن متكأً طعاماً يُقطَّع بالسكين للاتكاء عنده وهو الاترج* ، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً ، وقالت ليوسف – عليه السلام – : اخرج عليهن ، فلمَّا رأينه أعظمنه ، وقطعن أيديهن بالسكاكين ، ولم يشعرن بالألم لشغل قلوبهن بيوسف ، وقلن حاش لله تنزيهاً له ، ما هذا ، أي : يوسف بشراً ، ما هذا إلا ملك كريم ، لما حواه من الحُسن الذي لا يكون عادة في النسمة البشرية ، فإنَّه – عليه السلام – قد أُعطى شرط الحسن(٣).

---

(١) الكلبي : (صاحب التسهيل) : هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ، يكنى أبا القاسم ، من أهل غرناطة، وذوي الأصالة والنباهة فيها ، فقيهاً حافظاً ، قائماً على التدريس ، مشاركاً في فنون من عربية وأصول وقراءات، وحديث وأدب ، حافظاً للتفسير ، ألف الكثير من فنون شتى ، منها : كتاب وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم ، وكتاب الدعوات ، وتقريب الوصول إلى علم الأصول وغيرها . مات شهيداً سنة (٧٤١هـ).(انظر : الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب ، لإبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص (٢٩٥ ، ٢٩٦)).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ، لمحمد بن أحمد بن محمد الكلبي ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ط٤، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، (١١٨/٢) .

* الاترُجّ : بضم الهمزة وتشديد الجيم ، فاكهة معروفة ، الواحدة أُتْرُجَّةٌ ، وفي لغة ضعيفة تَرنْجٌ . قال الأزهري: والأولى هي تكلم بها الفصحاء ، وارتضاها النحويين ، ويقال للذي يكون في جوف الاترج : حُماضة ويُجمع الحُمَّاض. (انظر : العين للفراهيدي ، مادة حمض (١١١/٣) ، وانظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي ، المكتبة العلمية ، بيروت، (٧٣/١)).

(٣) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، (٣٠٧/١ ، ٣٠٨) .

النص رقم (١٠)

يقول تعالى : [إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ][(١)] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (واستكبار الكفار أن لا يقولوا : لا إله إلاَّ الله ، ومنه قوله: (إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ) ، وهذا هو الكِبْرُ الذي قال فيه النبي ﷺ: (إنَّ من كان في قلبه مثقالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ لَم يدخل الجنة) [(٢)] ، يعنى به الشرك ، والله أعلم ، لا أن يتكبر الإنسان على مخلوق مثله وهو مؤمن بربه ، والاستكبار : الامتناع عن قبول الحق معاندةً وتكبراً) [(٣)] .

دراسة النص :

يقول ابن جرير الطبرى في تفسيره هذه الآية : (يقول تعالى ذكره – : وإنَّ هؤلاء المشركين بالله الذين وصف صفتهم في هذه الآيات كانوا في الدنيا إذا قيل لهم : قولوا : لا إله إلاَّ الله يستكبرون ، يقول : يتعظمون عن قيل ذلك ويتكبرون، وترك من الكلام : قولوا ، اكتفاءً بدلالة الكلام عليه من ذكره) [(٤)] .

يظهر من هذا النص – آنف الذكر – أنَّ ابن منظور يتفق مع الطبري ، وإن اختلف عنه في التعبير عن هذا المعنى من حيث اللفظ ، لأنَّ ملخص ما يرمى إليه كل منهما هو امتناع الكفار عن قبول الحق ، وهو قول لا إله إلاَّ الله معاندةً منهم وتكبرا .

وقال الرازي في تفسير قوله : (يستكبرون) : (يعنى ينكرون ويتعصبون لإثبات الشرك ويستنكفون* عن الإقرار بالتوحيد) [(٥)] .

---

(١) سورة الصافات ، الآية (٣٥) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرَّة من كبر) من حديث عبدالله بن مسعود ، في ١– كتاب الإيمان ، ٣٩– باب تحريم الكبر وبيانه ، حديث رقم (٩٤) ، (٩٣/١) .

(٣) لسان العرب ، مادة (كبر) ، (١٢٦/٥) .

(٤) جامع البيان ، للطبري ، (٥١/٢٣) .

* يستنكفون : من نَكِفَ الرجلُ عن الأمر (بالكسر) ، نَكْفاً واسْتَنْكَفَ : أنف وامتنع ، والمفسرون يقولون : الاستنكاف والاستكبار بمعنى واحد ، والاستكبار : أن يتكبر ويتعظم . (انظر : لسان العرب ، مادة (نكف) ، (٣٤١/٩)) .

(٥) التفسير الكبير ، للرازي ، (١١٨/٢٦) .

يتبين من النص السابق أنَّ ابن منظور يوافق الرازي كذلك ، مع اختلاف عبارتيهما في التفسير ، فهما يرميان إلى امتناع الكفار عن قبول الحق وهو الإقرار بالتوحيد.

وذكر القرطبي أنَّ (يستكبرون) معناها : أَبَوْا وأَنِفُوا من قول لا إله إلاَّ الله ، وهو المعنى الذي ذكره ابن منظور(١) .

وكذا قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : (إنَّهم كانوا ، أي : في الدار الدنيا ، إذا قيل لهم لا إله إلاَّ الله يستكبرون ، أي : يستكبرون أن يقولوها كما يقولها المؤمنون) (٢).

وبهذا يظهر اتفاقه مع ابن منظور .

ووافقه الشوكاني(٣) الذي قال بعد أن ذكر الأية : (أي : إذا قيل لهم قولوا : لا إله إلاَّ الله يستكبرون عن القبول) (٤) ، فهو ذات المعنى الذي شرح به ابن منظور معنى الاستكبار .

المعنى العام للآية :

يُخبر الله تعالى عن المشركين في هذه الآية أنَّهم كانوا في الدنيا إذا قيل لهم قولوا كلمة التوحيد – وهي قول لا إله إلاَّ الله – يتكبرون عنها ، أي يتعظمون ويمتنعون منها(٥) .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٧٦/١٥) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٦/٤) .

(٣) الشوكانيّ : هو محمد بن علي بن محمد الشوكانيّ ، الإمام العلاَّمة ، مفتى الأُمة وإمام الأئمة ، ترجمان القرآن والحديث ، من علماء اليمن . كان ميلاده في سنة (١١٧٢هـ) ، له مؤلفات في أغلب العلوم ، منها : نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، وله التفسير الكبير المسمى : فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ، وله إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول وغيرها . توفي سنة (١٢٥٠هـ) . (انظر : أَبجد العلوم ، للقنوجيّ ، (٢٠١/٣)) .

(٤) فتح القدير ، للشوكانى ، (٣٩٢/٤) .

(٥) انظر : زاد المسير في علم التفسير ، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٤هـ ، (٥٥/٧) . وانظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٢٦/٤) .

النص رقم (١١)

يقول تعـالى : [قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا * أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ ...][١] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (... وكَبُرَ الأَمْرَ كِبَراً وكَبارةً : عظم . وكلّ ما جَسُمَ ، فقد كَبُرَ. وفي التنزيل العزيـز:[قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا * أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ] ، معناه: كونوا أشد ما يكون في أنفسكم ، فإنِّى أميتكم وأبليكم)[٢].

دراسة النص :

أورد ابن جرير عند تفسير هاتين الآيتين خلاف أهل التأويـل ، ثـم قـال : (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقال : إنَّ الله – تعالى ذكره – قال : أو خلقاً ممَّا يكبر في صدوركم ، وجائز أن يكون عنى به الموت ؛ لأنَّه عظيم في صدور بنى آدم ، وجائز أن يكون أراد به السماء والأرض ، وجائز أن يكون أراد به غير ذلك ، ولا بيان في ذلك أبين ممَّا بيَّن – جل ثناؤه – وهو كل ما كبر في صـدور بنى آدم من خلقه ؛ لأنَّه لم يخصص منه شيئاً دون شيء) [٣] .

وبذلك تظهر موافقة ابن منظور له من وجهين :

الأول : في معنى قوله (يكبر) وهو : العِظَم .

الثاني : في اختيارهما عدم التخصيص للخلق المذكور في الآية ، أي عـدم تقييده بالموت ، أو السماء والأرض ، أو غير ذلك .

---

(١) سورة الإسراء ، الآيتان (٥٠ ، ٥١) . وتمام الآية (٥١) : [أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا] .

(٢) لسان العرب ، مادة (كبر) ، (١٢٨/٥) .

(٣) جامع البيان ، للطبري ، (٩٨/١٥ ، ٩٩) .

وقال الرازى : (أمَّا قوله تعالى : [قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا] فـالمعنى : إنَّ القوم استبعدوا أن يردهم إلى حال الحياة بعد أن صاروا عظاماً ورفاتاً ، وهي وإن كانت صفة منافية لقبول الحياة بحسب الظاهر ، لكن قدروا انتهاء هذه الأجسام بعد الموت إلى صفة أخرى أشد منافاة لقبول الحياة من كونها عظاماً ورفاتاً ، مثل أن تصير حجارة أو حديداً ... فإن قيل ما المراد بقوله : (أو خلقاً) ، قلنا : المراد أنّ كون الحجر والحديد قابلاً للحياة أمر مستبعد ، فقيل لهم : فافرضوا شيئاً آخر أبعد عن قبول الحياة من الحجر والحديد ، بحيث يستبعد عقلكم كونه قابلاً للحياة وعلى هذا الوجه فلا حاجة إلى أن يتعين ذلك الشيء) (١) .

وبهذا يثبت لنا اتفاق ابن منظور مع الرازى أيضاً في الوجهين السابقين ، بدليل قوله: (أشد) وقوله : (وعلى هذا الوجه فلا حاجة إلى أن يتعين ذلك الشيء).

أمَّا القرطبي فقد نقل أقوالاً مختلفة لبعض المفسرين من التابعين ، ولم يرجّح بينها ، وجميع هذه الأقوال تعتمد على أنَّ معنى قوله (يكبر) هو : يَعْظُمُ(٢) ، وهو المعنى الذي ذكره ابن منظور .

وفسر ابن كثير قوله : (أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) بما فسَّره به ابن منظور ، حيثُ قال : (... فسيقولون من يعيدنا ، أي : من يعيدنا إذا كنَّا حجارة أو حديداً أو خلقاً آخر شديداً) (٣) .

ووافق ابنُ منظور كذلك الإمامَ الزمخشري الذي قال في تفسير الآية : (أو خلقاً ممَّا يكبر في صدوركم يعنى : أو خلقاً ممَّا يكبر عندكم عن قبول الحياة ، ويعظم في زعمكم على الخالق إحياؤه فإنَّه يحييه) (٤) .

---

(١) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٨٠/٢٠) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٧٤/١٠) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٦/٣) .

(٤) الكشاف ، للزمخشري ، (٦٢٨/٢) .

المعنى العام للآيتين :

يخبرُ الله تعالى في الآية السابقة عن إنكار مشركى مكة للبعث بعد الموت ، وفى هاتين الآيتين يقول لمحمد – ﷺ – قل لهم : كونوا حجارة أو حديداً في الشدة والقوة ، وليس هذا بأمر إلزام ، بل هو أمر تعجيز ، أي : استشعروا في قلوبكم أنَّكم حجارة ، أو حديد في القوة ، أو خلقاً ممَّا يكبر في صدوركم. قيل: يعظم عن قبول الحياة فضلاً عن العظام والرفات فلا بَّد من إيجاد الروح فيكم ، وقيل : السماء والأرض والجبال وقال أكثر المفسرين : إنَّه الموت ، فإنه ليس في نفس ابن آدم شيء أكبر من الموت ، أي : ولو كنتم الموت بعينه لأُميتتكم ولأبعثنكم ، فسيقولون من يبعثنا بعد الموت قل الذي خلقكم أول مرة ، ومن قدر على الإنشاء قدر على الإعادة ، فسيحركون إليك رؤوسهم إذا قلت لهم ذلك مستهزئين بها، ويقولون : متى البعث والقيامة ؟ قل هو قريب ؛ لأنَّ (عسى) من الله واجب(١) .

النص رقم (١٢)

يقول تعالى : [...وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ...](٢) .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (وقوله – عزّ وجل – : (وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ) ، يعنى : وإن كان اتباع هذه القبلة ، يعنى قبلة بيت المقدس إلا فعلة كبيرة ، المعنى : إنَّها كبيرة على غير المخلصين ، فأمَّا من أخلص فليست بكبيرة

---

(١) انظر: معالم التنزيل ، للبغوي ، (١١٨/٣) . وانظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٣٧١.

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٤٣) . وتمام الآية : [وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ] .

عليه . التهذيب* : إذا أردت عظم الشيء قلت : كَبُرَ يَكْبُرُ كِبَراً ، كما لو قلت : عَظُمَ يعظم عظماً[1])[2].

دراسة النص :

يرى أبن جرير أنَّ معنى قوله (لكبيرة) هنا ، أي : لعظيمة ، وهذا هو القدر الذي يوافقه فيه ابن منظور ، أمَّا المقصود من الكبيرة فقد خالفه فيه ، فابن منظور يرى أنَّ المقصود هو إتباع هذه القبلة أي : قبلة بيت المقدس ، أمَّا ابن جرير فقد أورد ثلاثة أقوال في ذلك ، منها قول ابن منظور – آنف الذكر – وهي :

١ – المراد بالكبيرة التولية من بيت المقدس شطر المسجد الحرام والتحويل، وإنَّما أنثت الكبيرة لتأنيث التولية .

٢ – المراد قبلة بيت المقدس التي كان يتوجه إليها قبل التحويل (وهو قول ابن منظور) .

٣ – المراد الصلاة التي كانوا يصلونها إلى القبلة الأولى[3] .

ثم اختار ابن جرير القول الأول ، حيث قال : (وهذا التأويل أولى التأويلات عندي بالصواب ؛ لأنَّ القوم إنَّما كبر عليهم تحويل النبي وجهه عن القبلة الأولى إلى الأُخرى ، لا عين القبلة ولا الصلاة ؛ لأنَّ القبلة الأولى والصلاة قد كانت وهي غير كبيرة عليهم ، إلا أن يوجه موجه تأنيث الكبيرة إلى القبلة ، ويقول : اجتزئ بذكر القبلة من ذكر التولية والتحويل لدلالة الكلام على معنى ذلك ... فيكون ذلك وجهاً صحيحاً ، ومذهباً مفهوماً) [4] .

وذكر الرازى أنَّ معنى (لكبيرة) لثقيلة شاقة مستنكرة ، وهو ذات المعنى الذي يرمى إليه ابن منظور ، فقوله ذلك لا يخالفه قول ابن منظور : إنَّ معناها عظيمة ، والله أعلم.

---

* يريد قال أبومنصور الأزهرى في تهذيب اللغة .

(١) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهرى ، مادة (كبر) ، (٢١٤/١٠) .

(٢) لسان العرب ، مادة (كبر) ، (١٢٨/٥) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٥/٢ ، ١٦) .

(٤) المرجع السابق ، (١٦/٢) .

ولكنَّ ابن منظور يخالف الرازي في المراد والمقصود ، حيث يرى الرازي أنَّ المحنة حصلت بسبب التحويل ؛ لأنَّ الشبهة في أمر النسخ أعظم من الشبهة الحاصلة بسبب تعيين القبلة ، وقد وصفها الله بالكبيرة[١] .

وأمَّا القرطبي فلم يشرح معنى الكبيرة هنا ، وقد خالفه ابن منظور أيضاً في المقصود ، حيثُ يرى القرطبي أنَّ المراد بالكبيرة هو تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، وليس إتباع قبلة بيت المقدس كما ذكر ابن منظور[٢] .

ووافق ابن كثير ابن منظور في معنى الكبيرة ، إلاَّ أنَّه خالفه في المراد منها، حيثُ يقول : (وإن كانت لكبيرة ، أي : هذه الفعلة ، وهو صرف التوجه عن بيت المقدس إلى الكعبة ، أي : وإن كان هذا الأمر عظيماً في النفوس إلا على الذين هدى الله قلوبهم ، وأيقنوا بتصديق الرسول ، وأنَّ كل ما جاء به فهو الحق الذي لا مرية فيه ...) [٣] .

وذكر الثعالبي[٤] في تفسيره هذين الوجهين المشار إليهما دون أن يرجح أحدهما ، حيثُ قال – بعد أن ذكر الشاهد من الآية – : (الضمير في (كانت) راجع إلى القبلة إلى بيت المقدس ، أو إلى التحويلة إلى الكعبة حسبما تقدم من الخلاف في القبلة ، وكبيرة هنا ، معناها : شاقة صعبة ، تكبر في الصدور) [٥] .

يتضح لنا مما سبق من أقوال المفسرين أنَّ ابن منظور لم يشذ برأيه ، وإنَّما أخذ قوله من الأقوال التي ذكرها المفسرون في تفسير هذه الآية ، ولكن الذي

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٩٥/٤ ، ٩٦) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٥٧/٢) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١٩٢/١) .

(٤) الثعالبى (صاحب التفسير) : هو عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبى الجزائرى المغربي المالكى ، كان إماماً علامة ، اختصر تفسير ابن عطيه في جزءين ، وشرح ابن الحاجب الفرعى في جزءين ، وعمل في الوعظ والرقائق وغير ذلك . مات سنة (٨٧٦هـ) ، أو أواخر سنة (٨٧٥هـ) .

(انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاويّ ، منشورات دار المكتبة ، بيروت ، (١٥٢/٤)) .

(٥) الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، لعبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبى ، موسسة الأعلمى ، بيروت ، (١١٥/١) .

نلاحظه هنا أنَّ ابن منظور يخالف معظم المفسرين الذين وقفتُ عليهم في اختيارهم أنَّ المراد في الآية هو تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، ويتفق معهم في معنى قوله (لكبيرة) .

سبب نزول الآية :

روى البخاري عن البراء بن عازب[(١)] أنَّ النبي – ﷺ – كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده ، أو قال أخواله من الأنصار ، وأنَّه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنَّه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر ، وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه ، فمر على أهل مسجد ، وهم راكعون ، فقال : أشهدُ بالله لقد صليتُ مع رسول الله – ﷺ – قبل مكة ، فداروا كما هم قبل البيت ، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلى قِبَل بيت المقدس وأهل الكتاب ، فلمَّا ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك ، وقال البراء في حديثه هذا : إنَّه مات على القبلة قبل أن تحول رجال قُتِلوا ، فلم ندرِ ما نقول فيهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾[(٢)].

المعنى العام للآية :

يخاطب الله تعالى – في هذه الآية أُمة الإسلام ونبيها – ﷺ – يقول : وكذلك كما هديناكم إلى دين الإسلام جعلناكم يا أمة محمد خياراً عدولاً ، لتكونوا شهداء على الناس يوم القيامة أنَّ رسلهم بلَّغتهم ، ويكون الرسول عليكم شهيداً أنَّه بلَّغكم ، وما صيرنا لك الآن الجهة التي كنت عليها أولاً وهي الكعبة ، وكان ﷺ يُصلى

(١) البراء بن عازب : هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدى ، الأنصاريّ الأوسيّ ، يُكنى أبا عمارة، ويُقال : أبوعمرو ، له ولأبيه صحبة ، غزا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة غزوة ، وفي رواية خمس عشرة . مات سنة (٧٢هـ) .

(انظر: الإصابة،لابن حجر ، (٢٧٨/١)، وانظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي ، (١٩٤/٣)) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٤٣) . والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، ٢- كتاب الإيمان ، ٢٩ – باب الصلاة من الإيمان وقول الله تعالى (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ) يعنى صلاتكم عند البيت ، حديث رقم (٤٠) ، (٢٣/١) .

إليها ، فلمَّا هاجر أُمر باستقبال بيت المقدس تألفاً لليهود ، فصلى إليه ستة أو سبعة عشر شهراً ، ثم حُوّل ، إلاَّ لنعلم علم ظهور من يتبع الرسول فيصدقه ممن يرجع إلى الكفر شكّاً في الدين ، وظناً أنَّ النبي – ﷺ – في حيرة من أمره ، وقد ارتد لذلك جماعة ، وإن مخففة من الثقيلة ، واسمها محذوف ، أي : وإنها كانت ، أي : التولية إليها لشاقة على الناس إلاّ على الذين هدى الله منهم ، وما كان الله ليضيع صلاتكم إلى بيت المقدس ، بل يثيبكم عليه ؛ لأنَّ سبب نزولها السؤال عمَّن مات قبل التحويل ، إنَّ الله بالمؤمنين لرؤوف رحيم في عدم إضاعة أعمالهم ، والرأفة شدة الرحمة ، وقدم الأبلغ للفاصلة[1] .

النص رقم (١٣) :

يقول تعالى : [...وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ][2].

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (وتقول : كَبُرَ الأمْرُ يَكْبُر كَبَارةً ، وكُبْرُ الشيء أيضاً : معظمه – ابن سيده* : والكِبْرُ : معظم الشيء ، (بالكسر) . وقوله تعالى : (وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ) . قال ثعلب: يعني معظم الإفك[3] ... وقيل: الكبر : الإثم ،وهو الكبيرة كالخطء من الخطيئة) [4].

(١) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٣٠ .

(٢) سورة النور ،الآية (١١) . وتمام الآية : (إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

* يُريد : قال ابن سيده الأندلسي في المحكم والمحيط الأعظم .

(٣) انظر : المحكم ، لابن سيده ، مادة (كبر) ، (١٢/٧) .

(٤) لسان العرب ، مادة (كبر) ، (١٢٨/٥ ، ١٢٩) .

دراسة النص :

وافق ابنُ منظور في ذلك الإمامَ ابنَ جرير الذي قال في تفسيره هذه الآية : (وقوله : (وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ) يقول : والذي تحمَّل معظم ذلك الإثم والإفك منهم هو الذي بدأ بالخوض فيه) (1).

ووافق الرازي كذلك ، حيث قال : (قرئ (كبره) بالضم والكسر ، وهو عظمه) (2).

ولم يخالف القرطبي ، الذي قال بعد أن ذكر القراءة الأخرى بالضم ، (قال الفرَّاء : وهو وجه جيد ؛ لأن العرب تقول : فلان تولى عُظْم كذا وكذا ، أي أكبره) (3).

وقال ابن كثير : (والذي تولى كبره منهم : قيل ابتداء به ، وقيل الذي كان يجمعه ويستوشيه ويُذيعه ويُشيعه) (4).

فليس في كلام ابن كثير هذا شيئاً مما ذكره ابن منظور في ذلك .

ونقل الألوسي في تفسير (كبره) ثلاثة أقوال : القولين اللذين ذكرهما ابن منظور، وقول ثالث هو الذي اعتمد عليه الإمام ابن كثير –كما مرّ معنا – وذلك أنَّ (كبره) بضم الكاف وبكسرها مصدران لكبر الشيء ، عظم ، ومعناهما واحد ، وقيل: الكبر بالضم المعظم ، وبالكسر البداءة بالشيء . وقيل : الإثم ، ثُمَّ ذكر الألوسي أنَّ الجمهور على القول الأول ، أي : والذي تحمل معظمه(5).

ممَّا سبق يتبين لنا موافقة ابن منظور لما عليه جمهور المفسرين ، ولم يخالفه منهم إلا الإمام ابن كثير .

---

(1) جامع البيان ، للطبري ، (٨٧/١٨) .

(2) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٥٢/٢٣) .

(3) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٠٠/١٢) .

(4) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٧٣/٣) .

(5) انظر : روح المعاني ، للألوسي ، (١١٥/١٨) .

وجوه القراءات :

اختلفوا في (كبره) فقرأ يعقوب[١] بضم الكاف ، وقرأ الباقون بكسرها ، وهما لغتان في مصدر كبرٌ الشيء : عظم ، لكن غلب المضموم في السن والمكانة ، وقيل بالضم معظم الإفك ، وبالكسر البداءة أو الإثم[٢].

سبب النزول:

قوله تعالى : (إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ...)[٣] الآيات ، أخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : كان رسول الله – ﷺ – إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، فأقرع بيننا في غزوة غزاها ، فخرج سهمي فخرجت، وذلك بعدما نزل الحجاب ، فأنا أُحمل في هودجي، وأُنزل فيه ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله – ﷺ – من غزوه وقفل، ودنونا من المدينة آذن ليلةً بالرحيل ، فقمتُ فمشيتُ حتى جاوزت الجيش ، فلمَّا قضيتُ شأني أقبلتُ إلى الرَّحُل فلمستُ صدري فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع، فرجعتُ فالتمستُ عقدي ...) [٤] الخ .

---

(١) يعقوب : هو يعقوب بن يوسف بن عمر ، أبومحمد الحربي المقرئ . قرأ القراءات ، وأقرأ الناس مدةً، وكان عارفاً ثقة ، مبرزاً في الأداء ، والخلاف . توفي في شوال سنة (٥٨٧هـ).

(انظر : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ابن قايماز الذهبي، تحقيق : بشار عوَّاد معروف وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١، ١٤٠٤هـ (٥٦١/٢)) .

(٢) انظر : تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة ، لمحمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م ، ص ١٥١.

وانظر : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدالغني الدمياطي، تحقيق : أنس مهرة ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ ، ص ٤٠٩.

(٣) سورة النور ، الآية (١١) .

(٤) أخرج البخاري جانباً منه في ٦٠ – كتاب الجهاد والسير ، ٦٣ – باب حمل الرجل امرأته في الغزو دون بعض نسائه ، حديث رقم (٢٧٢٣) ، (١٠٥٥/٣) ، وأخرجه مسلم في ٤٩ – كتاب التوبة ، ١٠ – باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف ، حديث رقم (٢٧٧٠) ، (٢١٢٩/٤) . وانظر في سبب النزول كذلك : لباب النقول في أسباب النزول ، للسيوطي ، ص (١٥٤ – ١٥٧) .

المعنى العام للآية :

نزلت هذه الآية وما بعدها إلى تمام ست عشرة آية في شأن سيدتنا عائشة – رضي الله عنها – وفي براءتها ممَّا رماها به أهل الإفك ، ولقد تضمنت هذه الآيات الغاية القصوى في الاعتناء بها والكرامة لها ، والتشديد على من قذفها ، وملخص حديث الإفك الذي ورد في سبب نزول هذه الآيات أنَّ عائشة – رضي الله عنها – خرجت مع رسول الله – ﷺ – في غزوة بني المصطلق ، فضاع لها عقد ، فتأخرت على التماسه حتى رحل الناس ، فجاء رجل يقال له صفوان بن المعطل(١) ، فرآها فنزل عن ناقته وتنحى عنها حتى ركبت عائشة ، وأخذ يقودها حتى بلغ الجيش ، فقال أهل الإفك في ذلك ما قالوا ، فنزلت هذه الآية وما بعدها .

ويخبر الله – تعالى – في هذه الآية أنَّ الذين جاءوا بالإفك ، وهو أشد الكذب عصبة منكم وهم الجماعة من العشرة إلى الأربعين * ، ولم يُذكر في الحديث من أهل الإفك إلا أربعة ، لا تحسبوه شرًّاً لكم ، بل هو خير لكم خطاب للمسلمين ، والخير في ذلك من خمسة أوجه : تبرئة أم المؤمنين ، وكرامة الله لها بإنزال

---

(١) صفوان بن المعطل : هو صفوان بن المعطل بن ربيعة بن خزاعى بن محارب بن مرة ، السلمي ثم الذكواني ، سكن المدينة ، وشهد الخندق والمشاهد ويقال : أول مشاهده المريسيع ، جرى ذكرها في حديث الإفك المشهور في الصحيحين وغيرهما . يُكنى أبا عمرو . قُتل صفوان في خلافة عمر في غزاة أرمينية شهيداً سنة (١٩هـ) ،وقيل : مات سنة (٦٠هـ) .

(انظر : الإصابة ، لابن حجر ، (٤٤٠/٣ ، ٤٤١) ، وانظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي (١٨٥/١٦ ، ١٨٦) ، وانظر : مولد العلماء ووفياتهم ، لمحمد بن عبدالله بن أحمد بن سليمان بن زبر الربعي، تحقيق: عبدالله أحمد سليمان الحمد ، دار العاصمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٠هـ ، (١٦٧/١)).

* معظم أهل اللغة وأهل التفسير على أنَّ العُصْبَة هم الجماعة ما بين العشرة إلى الأربعين . (انظر: لسان العرب ، مادة (عصب) ، (٦٠٧/١) ، ومختار الصحاح ، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، تحقيق: محمد خاطر، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م ، مادة (عصب) ص ١٨٣ ، والنهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير الجزري، (٢٤٣/٣) ، وانظر: التسهيل ، للكلبي (٦١/٣) ، والكشاف ، للزمخشري ، (٢٢١/٣) ، وقال السمرقندي والسمعاني: (العصبة عشرة فما فوقها) . انظر : بحر العلوم ، للسمرقندي ، (٥٠٢/٢) ، وتفسير القرآن ، للسمعاني (٥٠٩/٣)، وقال الآلوسي : (وأصل العصبة : الفرقة المتعصبة قلَّت أو كثرت ، وكثر إطلاقها على العشرة فما فوقها إلى الأربعين ، وعليه اقتصر في الصحاح ، وتطلق على أقل من ذلك ، ففي مصحف حفصة : (عصبة أربعة). انظر : روح المعاني ، للألوسي ، (١١٤/١٨) .

الوحي في شأنها ، والأجر الجزيل لها في الفرية عليها ، وموعظة المؤمنين ، والانتقام من المفترين، والذي تولى كبره أي تحمل معظم هذا الإثم هو عبدالله بن أُبي بن سلول[1] المنافق، وقيل الذي بدأ بهذه الفرية غير معين ، والعذاب العظيم هنا يحتمل أن يُراد به الحد أو عذاب الآخرة[2].

النص رقم (١٤) :

يقول تعالى : [ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ...][3].

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (ابن سيده : (والكِبْرُ : الإثم الكبير ، وما وعد الله عليه النار، والكَبيرةُ : كالكبر ، التأنيث على المبالغة) [4]. وفي التنزيل العزيز : (ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ) . وفي الأحاديث ذكر الكبائر في غير موضع ، واحدتُها كبيرة ، وهي : الفَعْلَةُ القبيحة من الذنوب المنَهْيّ عنها شرعاً ، العظيم أمرها كالقتل والزنا والفرار من الزحف وغير ذلك ، وهي من الصفات الغالبة)[5].

---

(١) عبدالله بن أُبي بن سلول : رأس المنافقين ، مات سنة تسع من الهجرة بعد أن مكث عشرين يوماً مريضاً، ولما توفي جاء ابنه عبدالله إلى النبي – ﷺ – فسأله قميصه فكفنه فيه ، وجاء رسول الله – ﷺ – ليصلي عليه ، فقال عمر : يا رسول الله أتصلي عليه وقد قال يوم كذا وكذا وكذا وكذا ؟ وأنزل الله تعالى : (وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓ) سورة التوبة ، الآية (٨٤) .

(انظر : الكامل في التاريخ ، لابن الأثير علي بن محمد الشيباني ، (١٦١/٢) .

(٢) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل ، للكلبي ، (٦١/٣) .

وانظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية ، (١٦٨/٤ ، ١٦٩) .

(٣) سورة النجم ، الآية (٣٢) . وتمام الآية : (ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ)

(٤) انظر : المحكم ، لابن سيده ، مادة (كبر) ، (١٢/٧) .

(٥) لسان العرب ، مادة (كبر) ، (١٢٩/٥) .

دراسة النص :

قال ابن جرير بعد أن أورد أقوال أهل التأويل في ذلك : (وأولى ما قيل في تأويل الكبائر بالصحة ما صحّ به الخبر عن رسول الله – ﷺ – دون ما قاله غيره، وإن كان كل قائل فيها قولاً من الذين ذكرنا أقوالهم قد اجتهد ، وبالغ في نفسه، ولقوله في الصحة مذهب ، فالكبائر إذاً الشرك بالله وعقوق الوالدين ، وقتل النفس المحرم قتلها وقول الزور ، وقد يدخل في قول الزور شهادة الزور وقذف المحصنة واليمين الغموس والسحر ، ويدخل في قتل النفس المحرم قتلها قتل الرجل ولده من أجل أن يطعم معه الفرار من الزحف والزنا بحليلة الجار، وإذ كان ذلك كذلك صحَّ كل خبر روى عن رسول الله – ﷺ – في معنى الكبائر ، وكان بعضه مصدقاً بعضاً ، وذلك أنَّ الذي روي عن رسول الله – ﷺ –أنه قال: هي سبع ، يكون معنى قوله حينئذ هي سبع على التفصيل ، ويكون معنى قوله في الخبر الذي روى عنه أنَّه قال : هي الإشراك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقول الزور على الإجمال ، إذ كان قوله : وقول الزور يحتمل معاني شتى وأنه يجمع جميع ذلك قول الزور)(١).

وبذلك يتضح لنا عدم مخالفة ابن منظور لابن جرير، إلا أنَّ ابن جرير عدَّد الكبائر دون أن يذكر لها معنى يجمعها كابن منظور.

كما ذكر الرازي أقوالاً مختلفة في معنى الكبيرة ثم قال : (إنَّ الكبائر هي التي مقدارها عظيم ، والفواحش هي التي قبحها واضح ، فالكبيرة صفة عائدة على المقدار ، والفاحشة صفة عائدة على الكيفية ... وعلى هذا فنقول على ما قلنا: إنَّ الأصل في كل معصية أن تكون كبيرة ؛ لأنَّ نعم الله كثيرة ، ومخالفة المنعم سيئة عظيمة ، غير أنَّ الله تعالى حطّ عن عباده الخطأ والنسيان ؛ لأنهما لا يدلان على ترك التعظيم ، إما لعمومه في العباد ، أو لكثرة وجوده منهم كالكذبة والغيبة مرة أو مرتين والنظرة والقبائح التي فيها شبهة ، فإنَّ المُجتَنِبَ عنها قليل في جميع الأعصار ... وعلى هذا كل ذنب كبيرة إلا ما علم المكلف ، أو ظن خروجه بفضل الله وعفوه عن الكبائر) (٢).

---

(١) جامع البيان ، للطبري ، (٥/٤٣ ، ٤٤) .

وهذا النص ذكره ابن جرير في تفسير سورة النساء ، الآية (٣١) وهي قوله تعالى : (إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلاً كَرِيمًا) فأغناه ذلك عن ذكره هنا .

(٢) التفسير الكبير ، للرازي (٨/٢٩) .

وبهذا تبدو مخالفة ابن منظور الواضحة للإمام الرازي في ذلك .

وقال القرطبي عند تفسيره لآية النساء – آنفة الذكر – بعد أن ذكر نحواً من الأقوال التي أوردها الطبري في معنى الكبيرة: (وقد اختلف الناس في تعدادها وحصرها ؛ لاختلاف الآثار فيها ، والذي أقول : إنَّه قد جاءت فيها أحاديث كثيرة صحاح وحسان، لم يُقصد بها الحصر، ولكن بعضها أكبر من بعض بالنسبة إلى ما يكثر ضرره، فالشرك أكبر ذلك كله...فكل ذنب عظَّم الشرع التوعد عليه بالعقاب، وشدَّده أو عظَّم ضرره في الوجود كما ذكرنا فهو كبيرة، وما عداه صغيرة) [١].

وقال في موضع آخر : (قلتُ : وأيضاً فإنَّ من نظر إلى نفس المخالفة كما قال بعضهم: لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر من عصيت، كانت الذنوب بهذه النسبة كلها كبائر) [٢].

وكلام القرطبي هنا يشبه – إلى حدٍّ ما – كلام الرازي ، وبهذا تظهر مخالفة ابن منظور له . أمَّا قوله الأول فقد تضمنه كلام ابن منظور .

وقال ابن كثير في قوله تعالى :(ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ): (أي لا يتعاطون المحرمات الكبائر ، وإن وقع منهم بعض الصغائر ، فإنَّه يغفر لهم ، ويستر عليهم ... إلا اللمم ، وهذا استثناء ، منقطع لأن اللمم من صغائر الذنوب ، ومحقِّرات الأعمال)[٣].

وكلام ابن كثير وإن ظهر اختلافه مع كلام ابن منظور من حيث الألفاظ إلا أنَّه من حيث المعنى يبدو ظاهر التوافق معه .

ووافقه أبوالسعود[٤]، حيثُ قال: (وكبائر الإثم ما يكبر عقابه من الذنوب، وهو ما رتّب عليه الوعيد بخصوصه ، وقرئ (كبير الإثم) على إرادة الجنس ، أو الشرك) [٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٦٠/٥) .

(٢) المرجع السابق ، (١٥٩/٥) .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، (٢٥٦/٤) .

(٤) أبوالسعود: هو المولى الأعظم ، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبوالسعود، سلطان المفسرين، مفتي الأنام ، ومفتي البدع والآثام. ولد في صفر سنة (٨٩٦هـ). صنف إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم في التفسير، وكان تفسيره من أكمل التفاسير، توفي في جمادى الأولى سنة (٩٨٢هـ) .

(انظر : طبقات المفسرين ، للأدنري ، ص ٣٩٩) .

(٥) إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود (١٦٢/٨) .

وجوه القراءات :

قرأ حمزة[1] والكسائي : (يجتنبون كبير الإثم) بغير ألف ، يعني الشرك ، كذا روى عن ابن عباس، وقرأ الباقون : (كبائر الإثم) ، وحجتهم أنه لو كان (كبير الإثم) لقال : (والفحش) أو (الفاحشة) [2].

سبب النزول :

ذكر ابن الجوزي[3] : أنَّ في سبب نزول هذه الآية قولان :

أحدهما : أنَّ اليهود كانوا إذا هلك لهم صبي صغير قالوا : صديق ، فنزلت هذه الآية ، وهو قول عائشة – رضي الله عنها – .

وثانيهما : أنَّ ناساً من المسلمين قالوا : قد صلينا وصمنا وفعلنا يزكون أنفسهم ، فنزلت هذه الآية ، وهو قول مقاتل بن سليمان[4].

---

(١) حمزة : هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل ، الإمام أبوعمارة ، التيمي ، الزيات ، أحد القراء السبعة ، ولد سنة ثمانين وأدرك الصحابة السن فلعله رأى بعضهم ، تصدر للإقراء مدة ، وقرأ عليه عدد كثير منهم الكسائي وسليم بن عيسى وهما أجل أصحابه . كان إماماً حجة قيماً بكتاب الله تعالى ، حافظاً للحديث بصيراً بالفرائض والعربية عابداً خاشعاً . مات سنة (١٥٦هـ) وقيل سنة (١٥٨هـ) .

(انظر : معرفة القراء الكبار ، لشمس الدين الذهبي ، (١/١١١ – ١١٨)) .

(٢) انظر : حجة القراءات ، لأبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة ، تحقيق سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٦٨٦.

وانظر : الحجة في القراءات السبع ، لأبي عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه ، تحقيق: عبدالعال سالم مكرم، دار الشروق ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠١هـ ، ص ٣١٩.

(٣) ابن الجوزي : هو عبدالرحمن بن علي بن محمد ، القرشي ، البكري ، الحافظ الفقيه المفسر الواعظ الأديب، جمال الدين ، أبوالفرج ، ابن الجوزي ، شيخ وقته وإمام عصره ، من تصانيفه : المغني في علوم القرآن، وزاد المسير في علم التفسير ، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب وغيرها . توفي سنة (٥٩٧هـ) . (انظر : المقصد الأرشد في ذكر أصحاب أحمد ، لبرهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن محمد بن مفلح، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٠هـ ، (٢/٩٣) ، وانظر: الوافي بالوفيات ، للصفدي (١٨/١٠٩)).

(٤) انظر : زاد المسير ، لابن الجوزي ، (٨/٧٦ ، ٧٧) .

المعنى العام للآية :

بيَّن الله – تعالى – في هذه الآية المحسنين الذين يجزيهم بالجنة ، وذكرهم في الآية السابقة ، فقال في هذه الآية : هم الذين يبتعدون عن كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم ، وهو صغار الذنوب ، كالنظرة والقبلة واللمسة ، فهو استثناء منقطع ، والمعنى: لكن اللمم يغفر باجتناب الكبائر ، إنَّ ربك واسع المغفرة بذلك، وبقبول التوبة ، ونزلت فيمن كان يقول من المسلمين : صلاتنا صيامنا حجنا ، هو أعلم أي : عالم بكم إذ خلق آباكم آدم من التراب ، وإذ أنتم أجنة ، جمع جنِّين في بطون أمهاتكم ، فلا تمدحوا أنفسكم على سبيل الإعجاب أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن ، هو عالم بمن اتقى(١).

النص رقم (١٥)

يقول تعالى : [وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا](٢).

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (ويقال : رجلٌ كَبِيرٌ وكُبَارٌ وكُبَّارٌ . قال الله عزَّ وجل : (وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا)(٣).

دراسة النص :

اتفق ابن منظور مع ابن جرير الطبري في ذلك ، فقد قال ابن جرير : (وقوله : (وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا) ، يقول : ومكروا مكراً عظيماً ... والكُبَّار هو الكبير ... تقول العرب : أمرٌ عَجِيبٌ وعُجَاب (بالتخفيف) وعُجَّاب (بالتشديد) ... وكذلك كبير وكبار (بالتخفيف والتشديد) (٤).

---

(١) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي السيوطي ، ص ٧٠٣.

(٢) سورة نوح ، الآية (٢٢) .

(٣) لسان العرب ، مادة (كبر) ، (١٢٩/٥) .

(٤) جامع البيان ، للطبري ، (٩٨/٢٩) .

واتفق كذلك مع الرازي الذي قال : (قُرِئ كُبَارا وكُبَّارا (بالتخفيف والتثقيل) وهو مبالغة في الكبير ، فأول المراتب الكبير والأوسط الكبار بالتخفيف والنهاية بالتثقيل) (١).

ثُمَّ قال : (المكر الكبار هو أنَّهم قالوا لاتباعهم : لا تذرنَّ وُدّاً ، فهم منعوا القوم عن التوحيد ، وأمروهم بالشرك ، ولمَّا كان التوحيد أعظم المراتب ، لا جرم كان المنع منه أعظم الكبائر ، فلهذا وصفه الله تعالى بأنه كبار) (٢).

واتفق مع القرطبي ، حيثُ قال : (أي كبيراً عظيماً ، يقال : كبير وكُبَار وكُبَّار مثل عجيب وعجاب وعجَّاب) (٣).

ولم يُخالفه ابن كثير ، حيثُ قال : (قال مجاهد : كباراً ، أي : عظيماً ، وقيل: كبيراً والعرب تقول : أمرٌ عَجِيبٌ ، وعُجَابٌ وعُجَّابٌ ، ورجلٌ حُسَان وحُسَّان ، وجُمَال وجُمَّال بالتخفيف والتشديد بمعنى واحد) (٤).

ووافقه كذلك الشوكاني ، حيث قال : ((وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا) ، أي: مكراً كبيراً عظيماً ، يُقال : كِبِيرٌ وكُبَار وكُبَّار ، مثل : عَجيبٌ وعُجَاب وعُجَّاب ، وجَميلٌ وجُمَال وجُمَّال. قال المبرد: كُبَّاراً بالتشديد للمبالغة ، ومثل كُبَّارا : قَرَّاء لكثير القراءة) (٥).

وجوه القراءات:

(كُبَّارا) بالتشديد للمبالغة ، وقرأ ابن محيصن(٦) ، (كبارا) بكسر الكاف وتخفيف الباء ، جمع كبير(٧).

---

(١) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٢٦/٣٠) .

(٢) المرجع السابق ، (١٢٦/٣٠) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ، (٣٠٦/١٨) .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (٤٢٧/٤) .

(٥) فتح القدير ، للشوكاني ، (٣٠٠/٥) .

(٦) ابن محيصن : هو محمد بن عبدالرحمن بن محيصن السهميّ ، مولاهم المكيّ ، قارئ أهل مكة مع ابن كثير وحميد الأعرج ، ومنهم من يسميه عمر ، ومن القراء من سماه عبدالرحمن بن محمد بن محيصن ، ومنهم من سماه محمد بن عبدالله بن محيصن ، وقيل غير ذلك ، وهو في الحديث ثقة احتج به مسلم، توفي بمكة سنة (١٢٣هـ) .
(انظر : معرفة القراء الكبار ، لشمس الدين الذهبي ، (٩٨/١ ، ٩٩) .

(٧) انظر : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، للدمياطي ، ص ٥٥٨ .

المعنى العام للآية :

هذه الآية فيمن كفر من قوم نوح – عليه السلام – والماكرون هم الرؤساء ، ومكرهم احتيالهم في الدين ، وكيدهم لنوح – عليه السلام – وتحريش الناس على أذاه ، وصدهم عن الميل إليه ، والاستماع منه ، وقولهم لهم : لا تذرنَّ آلهتكم إلى عبادة رب نوح ، ومكراً كبارا ، قرئ بالتخفيف والتثقيل من الكبير ، ونحوه : طِوال وطُوَّال[1].

النص رقم (١٦)

يقول تعالى:[...إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ][2] .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (وفي الحديث : (لا يَدْخُلُ الجنةَ من في قَلْبه مثقالُ حبَّة خَرْدلٍ من كِبْر)[3] ، قال ابن الأثير : (يعني كبر الكفر والشرك ، كقوله تعالى : [إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ] ألا ترى أنَّه قابله في نقيضه بالإيمان ، فقال : (ولا يدخل النار من في قلبه مثل ذلك من

---

(١) انظر : الكشاف ، للزمخشري ، (٦٢١/٤) ، وانظر : زاد المسير ، لابن الجوزي ، (٣٧٣/٨) .

(٢) سورة غافر،الآية (٦٠) . وتمام الآية : (وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ : (لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء) في : ١- كتاب الإيمان ، ٣٩ – باب تحريم الكبر وبيانه ، حديث رقم (٩٣) ، (٩٣/١) .

وأخرجه الترمذي في سننه بلفظه : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان) سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث ، بيروت ، أخرجه في ٢٨- كتاب البر والصلة ، ٦١ – باب ما جاء في الكبر ، حديث رقم (١٩٩٨) ، (٣٦٠/٤) . وقال أبوعيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح .

الإيمان) [1] ، أراد دخول تأبيد ، وقيل : أراد إذا أدْخل الجنَّة نُزِع ما في قلبه من الكِبْرِ ، كقوله تعالى : [وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ][2] ، ومنه الحديث : (ولكنَّ الكِبْرَ مَنْ بَطِرَ الحَقّ[3]) [4] [5] .

دراسة النص :

ذكر ابن جرير القولين اللذين ذكرهما ابن منظور في معنى : (يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي) مع اختيارهم للأول منهما كما يظهر ذلك من قوله : (وقوله : (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي) ، يقول : إنّ الذين يتعظمون عن إفرادي بالعبادة ، وإفراد الإلوهية لي سيدخلون جهنم داخرين ، بمعنى : صاغرين ... وقد قيل : إنَّ قوله : (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي) إنَّ الذين يستكبرون عن دعائي) [6] .

فقول ابن جرير الأول معناه : كبر الكفر والشرك ، والثاني معناه : كبر من بَطِر الحق ، وهما القولين اللذين أوردهما ابن منظور دون أن يُرجح أحدهما كما هو واضح .

وبيَّن الرازي اختلاف الناس في هذه الآية ، فذكر في ذلك القولين السابقين، ويتضح من تفسيره أنَّه يؤيد القول بأنَّ المراد في الآية هو الأمر بالدعاء ، واستدلَّ عليه بأنَّ الدعاء هو اعتراف بالعبودية والذلة والمسكنة ، فكأنه قيل : إنَّ تارك الدعاء إنَّما تركه لأجل أن يستكبر عن إظهار العبودية ، وأجاب عن قولهم : إنّ

---

(١) جزء من الحديث الذي سبق تخريجه في هامش (٢) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (٤٣) .

(٣) جزء من حديث أخرجه الترمذي في : ٢٨ – كتاب البر والصلة ، ٦١ – باب ما جاء في الكبر، حديث رقم (١٩٩٩) ، (٣٦١/٤) . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير الجزري ، مادة (كبر) ، (١٤٣/٤) .

(٥) لسان العرب ، مادة (كبر) ، (١٢٩/٥) .

(٦) جامع البيان ، للطبري ، (٧٩/٢٤) .

الدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن، بأن ترك الظاهر لا يُصار إليه إلا بدليل منفصل(١) .

أمَّا القرطبي فقد أورد ثلاثة أقوال في ذلك ، منها القولين آنفي الذكر، وقول ثالث هو أن المراد بالدعاء في الآية ترك الذنوب ، وقد نحا منحى ابن جرير، فاختار القول بأنّ الدعاء هو العبادة ، وذكر أنَّ ذلك قول أكثر المفسرين ، وأن المعنى . وحِّدوني واعبدوني أتقبل عبادتكم وأغفر لكم(٢) .

وتكلَّم الإمام ابن كثير عن معنى واحد في الآية ، وهو الأمر بالدعاء، مبيناً أنَّ قوله [يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي) معناه عن دعائي وتوحيدي(٣) .

وهذا هو مذهب الإمام أبي حيان الاندلسي(٤) ، حيث أورد الأقوال الثلاثة التي ذكرها القرطبي ، وقال : (والظاهر حمل الدعاء والاستجابة على ظاهرهما، إلا أنَّ الاستجابة مقيدة بمشيئة الله) (٥) .

ثمَّ قال : (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي) ، أي عن دعائي) (٦) .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٧٠/٢٧ ، ٧١) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (٣٢٦/١٥ ، ٣٢٧) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (٨٦/٤ ، ٨٧) .

(٤) أبوحيان الأندلسي : الإمام العلامة ، فريد عصره ، أثير الدين ، أبوحيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان ، الغرناطي ، المغربي ، المالكي ثم الشافعيّ ، مولده بغرناطة سنة (٦٥٤هـ) ، قرأ القرآن بالروايات ، واشتغل وسمع الحديث ، وبرع في النحو والتصريف ، وكانت له اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع ، وتراجم الناس وطبقاتهم وتواريخهم . له من التصانيف البحر المحيط في التفسير ومختصره النهي وإتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب ، توفي سنة (٧٤٥هـ) انظر : (النجوم الزاهرة ،لابن تغري ، بردي ، (١١١/١٠) ، وانظر : شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، (١٤٥/٦ - ١٤٧) .

(٥) تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي محمد بن يوسف ، تحقيق : عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوّض وآخرون ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط ٢ ، ٢٠٠٧م ، (٤٥٢/٧) .

(٦) المرجع السابق ، (٤٥٢/٧) .

وجوه القراءات :

اختلفوا في ضم الياء وفتحها من قوله (سيدخلون) في هذه الآية ، فقرأ ابن كثير[1] وشعبة[2] بضم الياء ، وفتح الخاء على البناء للمفعول ، وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الخاء على البناء للفاعل[3] .

المعنى العام للآية :

أخبر الله تعالى أنَّه إن دعاه العبد ، وعبده بحق استجاب له ، فالدعاء في نفسه عبادة، والدعاء هو : السؤال بجلب النفع ودفع الضر ، ودعاء غير الله لا يفيد شيئاً ، فإن القادر على إجابة الدعاء هو الله ، والله – سبحانه – هو الذي أمر عباده بدعائه ، ووعدهم بالإجابة ، ووعده الحق ، وإنَّ الذين يتكبرون ويتعظمون عن دعاء الله وعبادته وحده سيدخلون جهنم صاغرين أذلاء[4] .

---

(١) ابن كثير (المقرئ) : هو عبدالله بن كثير بن المطلب ، الإمام أبومعبد ، مولى عمرو بن علقمة، الكناني، الداري ، المكي ، إمام المكيين في القراءة ، أصله فارسي ، قرأ على عبدالله بن السائب المخزومي، ومجاهد ودرباس مولى ابن عباس ، وحديثه مخرج في الكتب الستة . مات سنة (١٢٠هـ) .

(انظر: معرفة القراء الكبار ، لشمس الدين الذهبي ، (٨٦/١ – ٨٨)).

(٢) شعبة : هو أبوبكر بن عياش بن سالم ، الأسدي الكوفي ، أحد الأعلام ، مولى واصل الأحدب، وكان حنَّاطاً بالنون ، قيل : اسمه شعبة ، وقيل : محمد ، وقيل : مطرف، وقيل : رؤبة وسالم وعتيق وعطاء وحمَّاد . قرأ القرآن ثلاث مرات على عاصم ، كان سيداً إماماً حجة ، كثير العلم والعمل ، منقطع القرين، توفي سنة ١٩٣هـ) ، (انظر : المرجع السابق ، (١٣٤/١ – ١٣٨) .

(٣) انظر : التحفة المرضية في تحرير وجمع القراءات السبع من طريق الشاطبية ، لمحمد إبراهيم محمد سالم، دار البيان العربي ، مصر ، ط ١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م ، (٣٩٧/٢) . وانظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص ٦٣٥. وانظر : تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان ، (٤٥٢/٧) .

(٤) انظر : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، لوهبة الزحيلي ، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، مج ١٢ ، (٤٧٣/٢٤) .

النص رقم (١٧)

يقول تعالى : [...وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ...] (١) .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (والكِبْرُ : الرفعة في الشرف . ابن الأنباري (٢) : الكبرياء الملك في قوله تعالى : [وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ] ، أي : الملك . ابن سيده : الكِبْرُ (بالكسر) والكبرياء : العظمة والتجبر(٣)) (٤) .

دراسة النص :

أورد ابن جرير أقوال أهل التأويل في ذلك ، وهي تدور حول الملك والسلطان في الأرض والطاعة ، ثم قال : (وهذه الأقوال كلها متقاربات المعاني ، وذلك أنَّ الملك سلطان والطاعة ملك ، غير أنَّ معنى الكبرياء هو ما ثبت في كلام العرب ، ثم يكون ذلك عظمة بملك وسلطان ، وغير ذلك) (٥) .

وبهذا يتبين لنا موافقة ابن منظور له ، حيث إنَّ المعاني التي ذكرها ابن منظور ، والتي ذكرها ابن جرير كلها معاني متقاربة ، ويمكن القول أنَّ الاختلاف في الألفاظ إنَّما هو اختلاف تنوع،وذكر للمعاني المترادفة ، وليس اختلاف تضاد .

وقال الرازي في تفسير هذه الآية : (قال المفسرون : المعنى : ويكون لكما الملك والعز في أرض مصر ، والخطاب لموسى وهارون – عليهما السلام :

---

(١) سورة يونس ، الآية [٧٨] . وتمام الآية : (قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ).

(٢) يريد قال ابن الأنباري . وابن الأنباري هو : أبوبكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ، المقرئ النحوي البغدادي ، صاحب كتاب الوقف والابتداء ، وغيره من الكتب النافعة والمصنفات الكثيرة ، كان من بحور العلم في اللغة العربية والتفسير والحديث وغير ذلك ، كان ثقة صدوقاً أديباً ديناً فاضلاً ، من أهل السنة ، ومن أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظاً له . توفى سنة (٣٢٨هـ) .
(انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير ، (١٩٦/١١) ، وشذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، (٣١٥/٢) ، ومعرفة القراء الكبار ، لشمس الدين الذهبي ، (٢٨٠/١)) .

(٣) انظر : المحكم ، لابن سيده ، مادة (كبر) ، (١٢/٧) .

(٤) لسان العرب ، مادة (كبر) ، (١٢٩/٥) .

(٥) جامع البيان ، للطبري ، (١٤٧/١١) .

سميَّ الملك كبرياء ؛ لأنه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا ، وأيضاً فالنبي إذا اعترف القوم بصدقه ، صارت مقاليد أمر أمته إليه ، فصار أكبر القوم) [١] .

وبذلك يوافق ابن منظور الإمام الرازي أيضاً .

ويوافق القرطبي الذي قال في معنى الكبرياء : (أي العظمة والملك والسلطان في الأرض ، يريد أرض مصر ، ويُقال للملك كبرياء ؛ لأنه أعظم ما يُطلب في الدنيا)[٢].

ووافقه ابن كثير الذي فسَّر الكبرياء في هذه الآية بالعظمة والرياسة [٣] . ووافقه كذلك سيِّد قطب [٤] الذي أشار في تفسيره "في ظلال القرآن" إلى أنَّ الكبرياء هي السلطان في الأرض [٥] .

وجوه القراءات :

اختلفوا في (وَتَكُونَ لَكُمَا) ، فقرأ أبوبكر بالتذكير (ويكون لكما) ؛ لأنه تأنيث مجازي ، وقرأ الباقون بالتأنيث نظراً للفظ ، وبه قرأ أبوبكر من طريق آخر [٦] .

---

(١) التفسير الكبير ، للرازي (١١٤/٧) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣٦٧/٨) .

(٣) لنظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٢٧/٢) .

(٤)سيد قطب : هو سيد قطب إبراهيم ، صاحب الظلال ، وُلِد بأسيوط في صعيد مصر عام ١٩٠٦م ، مفكر إسلامي ، تخرج من كلية دار العلوم بالقاهرة عام ١٩٣٤م ، عمل في جريدة الأهرام ، وكتب في مجلتي الرسالة والثقافة ، وانضمَّ للأخوان المسلمين ، ترأس قسم الدعوة وتحرير جريدتهم ، سُجن معهم وأُعدم سنة ١٩٦٦م . (انظر : الأعلام ، للزركليّ ، (١٤٧/٣) ، وانظر : المستدرك على معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٠٦هـ ، باب السين ، ص ٢٤٨) .

(٥) انظر : في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ط٣٦ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، مج٣ ، (١٨١٤/١١) .

(٦) انظر : اتحاف فضلاء البشر لدمياطي ، ص٣١٧.

المعنى العام للآية :

يخبرُ الله تعالى في هذه الآية عن فرعون وقومه لمَّا أُرسل إليهم موسى – عليه السلام– أنَّهم قالوا : أجئتنا لتصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا من عباده الأصنام ويكون لكما –والخطاب لموسى وهارون عليهما السلام– الملك فيها ، سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر أو التكبر على الناس باستتباعهم ، وما نحن لكما بمؤمنين أي بمصدقين فيما جئتما به [١] .

النص رقم (١٨)

يقول تعالى : [سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ...][٢] .

التفسير اللغويّ:

قال ابن منظور : (وقد تَكَبَّرَ واستكْبَر وتَكَابَر، وقيل : تَكَبَّرَ ، من الكبْر ، وتكابر من السِّنّ ، والتكبر والاستكبار : التعظُّم ، وقوله تعالى : (سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ) ، قال الزجَّاج : أي أجعل جزاءهم الإضلال عن هداية آياتي ، قال : ومعنى يتكبرون ، أي : أنَّهم يرون أنَّهم أفضل الخلق . وأنَّ لهم من الحق ما ليس لغيرهم ، وهذه الصفة لا تكون إلا لله خاصة ؛ لأنَّ الله –سبحانه وتعالى– هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لأحد مثله ، وذلك الذي يستحق أن يقال له : المُتَكبِّر[٣])[٤] .

---

(١) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، لناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد البيضاويّ ، دار الفكر ، بيروت ، (٢١٠/٣) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية [١٤٦] . وتمام الآية : (سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ) .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٣٠٤/٢ ، ٣٠٥) .

(٤) لسان العرب ، مادة (كبر) ، (١٣٠/٥).

دراسة النص

قال ابن جرير الطبري في معنى التكبر : (وتكبرهم فيها بغير الحقِّ : تجبرهم فيها ، واستكبارهم عن الإيمان بالله ورسوله ، والإذعان لأمره ونهيه ، وهم لله عبيد يغذوهم بنعمته ، ويريح عليهم رزقه بكرة وعشيا) [1] .

وعلى هذا يمكن القول بأن ابن منظور لم يخالف ابن جرير في هذا المعنى.

وتطابق كلام ابن منظور الذي نقله عن الزجَّاج مع كلام الرازي ، حيث قال : (معنى يتكبرون أنَّهم يرون أنَّهم أفضل الخلق ، وأنَّ لهم من الحق ما ليس لغيرهم ، وهذه الصفة – أعني التكبر – لا تكون إلا لله تعالى ؛ لأنه هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لأحد ، فلا جرم يستحق كونه متكبراً ، وقال بعضهم التكبر إظهار كبر النفس على غيرها ، وصفة التكبر صفة ذم في جميع العباد ، وصفة مدح في الله – جلَّ جلاله – ؛ لأنه يستحق إظهار ذلك على من سواه ، لأن ذلك في حقه حق ، وفي حق غيره باطل) [2] .

ووافق ابن منظور كذلك القرطبي ، الذي قال : (يتكبرون) : يرون أنهم أفضل الخلق ، وهذا ظن باطل ، فلهذا قال : (بغير الحق) ، فلا يتبعون نبياً ، ولا يصغون إليه لتكبرهم) [3] .

أمَّا ابن كثير فلم يُفَصِّل القول في معنى التكبر في هذه الآية ، واكتفى بقوله : (سأمنع فهم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي ، ويتكبرون على الناس بغير حق ، أي : كما استكبروا بغير حق أذلهم الله بالجهل) [4] .

---

(1) جامع البيان ، للطبري ، (٦٠/٩) .

(2) التفسير الكبير ، للرازي ، (٤/١٥) .

(3) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٨٣/٧) .

(4) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٤٨/٢) .

ويتفق ابن منظور مع النحَّاس،حيث قال في معنى يتكبرون: (يحقَّرون الناس، ويرون أنَّ لهم فضلاً عليهم ، ويتكبرون عن الإيمان ، واتباع النبي-ﷺ)[1].

وجوه القراءات:

قرأ ابن عامر [2] وحمزة (آياتي) بإسكان الياء [3] .

المعنى العام للآية :

يخبر الله تعالى في هذه الآية أنَّه سيمنع المتكبرين عن فهم آياته ، فلا يتفكرون ، ولا يتدبرون بما فيها ، ويطمس على قلوبهم عقوبة لهم على تكبرهم، وفيه إنذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن آيات الله لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم فيسلك بهم سبيلهم .

وإن يشاهد أولئك المتكبرون كل آية قرآنية من الآيات المنزلة عليهم ، أو يروا كل معجزة ربانية لا يصدقوا بها ، وإن يروا طريق الهدى والفلاح لا يسلكوه، وإن يروا طريق الضلال والفساد سلكوه . ذلك الانحراف عن هدى الله وشرعه بسبب تكذيبهم بآيات الله ، وغفلتهم عنها ، وهي التي بها سعادتهم ، حيث لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون [4] .

---

(١) معاني القرآن ، لأبي جعفر النحاس ، (٧٩/٣) .

(٢) ابن عامر : المقرئ عبدالله بن عامر اليحصبي ، واختلف في كنيته ، فقيل : أبونعيم ، أبونعيم وقيل : أبوعمران ، وهو أحد القراء السبعة ، قيل : قراءة أهل الشام موقوفة على قراءة ابن عامر اليحصبيّ ، توفى سنة (١١٨هـ) ، وكان يقول : قُبض رسول الله -ﷺ- ولي سنتان ، وانتقلتُ إلى دمشق ولي تسع سنين ، وروى له مسلم والترمذي . (انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي ، (١١٩/١٧ ، ١٢٠) ، وانظر : معرفة القراء الكبار ، لشمس الدين الذهبي، (٨٢/١-٨٦)) .

(٣) انظر : إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع ، لأبي شامة عبدالرحمن بن إسماعيل ابن إبراهيم ، تحقيق : إبراهيم عوض عوضة ، شركة مكتبة مصطفى ، مصر ، (٤٨٨/٢) .

(٤) انظر : صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني ، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١٠، (٤٥٨/١) . وانظر الكشاف ، للزمخشري ، (١٥٠/٢) .

النص رقم (١٩)

يقول تعالى : [لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ...][1] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (وقوله تعالى : (لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ)، أي : أعجب) [2] .

دراسة النص :

قال ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية : (لابتداع السموات والأرض وإنشاؤها من غير شيء أعظم أيها الناس عندكم إن كنتم مستعظمي خلق الناس وإنشائهم من غير شيء)[3] .

ويظهر من هذا النص الذي ذكره ابن جرير مخالفة ابن منظور له .

وذكر الرازي هذه الآية ، ثم قال : (فبيَّن أنَّ عجائب الخلقة ، وبدائع الفطرة في أجرام السماوات أكثر وأعظم وأكمل ممَّا في أبدان الناس) [4] .

وبهذا يجمع الإمام الرازي بين القولين : الذي ذكره ابن منظور ، والذي ذكره الطبري .

ونقل القرطبي في تفسير هذه الآية قولين ، يشتمل الأول منهما على أنَّ معنى أكبر هو أعظم ، ولم يوضح الثاني معناها [5] .

وهذا القول الأول الذي ذكره القرطبي يخالفه ابن منظور كما هو واضح وفسّر الإمام ابن كثير قوله (أكبر) بأعظم ، ولكن في موضع آخر [6] .

---

(١) سورة غافر ، الآية [٥٧] . وتمام الآية : (لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) .

(٢) لسان العرب ، مادة (كبر) ، (١٣٠/٥) .

(٣) جامع البيان ، للطبري ، (٧٧/٢٤) .

(٤) التفسير الكبير ، للرازي ، (٩٩/١٤) .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣٢٥/١٥) .

(٦) ذكر ذلك عند تفسير قوله تعالى : (فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ) سورة الصافات ، الآية [١١] .
انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤/٤) .

وبذا يخالف ابن منظور أيضاً .

وممن خالف ابن منظور كذلك الإمام الألوسي ، حيث قال في تفسيره هذه الآية : (لخلق الله – تعالى – السماوات والأرض أعظم من خلقه سبحانه الناس ؛ لأن الناس بالنسبة إلى تلك الأجرام العظيمة كلاشيء ، والمراد أنَّ من قدر على خلق ذلك فهو – سبحانه – على خلق ما لا يُعد شيئاً بالنسبة إليه بدءاً وإعادة أقدر)[1] .

المعنى العام للآية :

لمَّا كانت مجادلة المشركين في آيات الله مشتملة على إنكار البعث ، وهو أصل المجادلة ومدارها ، حُجُّوا بخلق السماوات والأرض ؛ لأنهم كانوا مقرين بأنَّ الله خالقها ، فإنَّ من قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الإنسان مع مهانته أقدر ، ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون ؛ لأنَّهم لا يتأملون ، لغلبة الغفلة عليهم [2] .

النص رقم (٢٠)

يقول تعالى : [إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ][3] .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (والكُبْرى : تأنيث الأكْبر ، والجمع : الكُبَرُ ، وجمع الأكْبَر : الأكابرُ والأكْبَرون ... ومنه قوله تعالى : (إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ)[4] . وكان قد ذكر في شرح هذه المادة : (ويقال : كَبُرَ(بالضم) يَكْبُرُ ، أي : عَظُمَ) [5] .

دراسة النص :

قال ابن جرير الطبري في تفسيره هذه الآية : (يقول تعالى ذكره : إنَّ جهنم لإحدى الكبر ، يعني الأُمور العظام، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل)[6].

---

(١) روح المعاني ، للألوسي ، (٧٩/٢٤) .

(٢) انظر : مدارك التنزيل ، للنسفي ، (٧٤/٤) .

(٣) سورة المدثر ، الآية [٣٥] .

(٤) لسان العرب ، مادة (كبر) ، (١٣٠/٥) .

(٥) المرجع السابق ، مادة (كبر) ، (١٢٦/٥) .

(٦) جامع البيان ، للطبري ، (١٦٣/٢٩) .

يُلاحظ من النص الذي ذكره ابن منظور أنَّ كَبُرَ بمعنى عظم ، وأنَّ كُبَر جمع كبرى ، وهذا هو القدر الذي يوافق فيه ابن جرير ، فابن منظور لم يوضح المراد من(إحدى الكبر) ، وذكر ابن جرير أنَّ المراد بذلك جهنم .

ونقل الرازي عن صاحب "الكشاف" قوله : (الكُبَر جمع الكبرى ، جُعلت ألف التأنيث كتاء التأنيث ، فكما جُمعت فعلة على فعل ، جُمعت فُعْلى عليها) [1] .

ثم فسَّر الآية بقوله : (يعني أنَّ سقر التي جرى ذكرها لإحدى الكُبَر ، والمراد من الكُبَر دركات جهنم ، وهي سبعة : جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية ،أعاذنا الله منها) [2] .

هذا يعني أنَّ ابن منظور يوافق الرازي في القول الذي نقله عن الكشاف ، أمَّا معنى الآية ، فلم يخض فيه ابن منظور .

وذكر القرطبي في تفسير هذه الآية أنَّ هذه النار لإحدى الكبر ، أي : لإحدى الدواهي ، ثم ذكر أقوالاً أُخرى ، ثم بيَّن أنَّ الكبر هي : العظائم من العقوبات[3] .

فوافقه ابن منظور في آخر قوله .

وفسَّر ابن كثير هذه الآية بقوله : (أي العظائم ، يعني النار ، قاله ابن عباس والضحَّاك ، وغير واحد من السلف) [4] .

فوافق بذلك ابنَ منظور في تفسير الكبر بالعظائم .

وفي هذا القدر أيضاً وافق ابن منظور الإمام البغوي الذي قال في تفسير هذه الآية : (يعني أنَّ سقر لإحدى الأمور العظام ، وواحد الكُبَر كُبْرىَ ، قال مقاتل والكلبي : أَراد بالكبر دركات جهنَّم ، وهي سبعة : جهنَّم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية) [5]. أعاذنا الله منها جميعاً .

---

(١) التفسير الكبير ، للرازي ، (٣٠/١٨٤) ، والكشاف ، للزمخشري ، (٤/٦٥٥) .

(٢) المرجع السابق الأول ، (٣٠/١٨٤) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٩/٨٥) .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤/٤٤٧) .

(٥) معالم التنزيل ، البغويّ ، (٤/٤١٨) .

وجوه القراءات :

قرأ الجميع : (لإحدى الكبر) بهمز إحدى إلا ابن كثير قرأ : (لحدي الكبر) لا يهمز ولا يكسر [(١)].

المعنى العام للآية :

وجَّه الله –تعالى– في الآيات السابقة تحذيراً رادعاً للناس أن لا سبيل لإنكار وجود النار في الآخرة ، وأقسم بالقمر، وبالليل إذا مضى ، وبالصبح إذا ظهر إِنَّ سقر (جهنم) لإحدى الدواهي العظام ، والبلايا الكبار ، لإنذار البشر وتخويفهم من عقاب الله – عزَّ وجل – على العصيان [(٢)].

النص رقم (٢١)

يقول تعالى : [...ٱڪۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُڪۡرَةً وَأَصِيلاً][(٣)].

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (والكِتْبَةُ : اكْتِتابُك كتاباً تنسخه ، ويُقال : اكتتب فلانٌ فلاناً، أَي : سأله أن يكتب له كتاباً في حاجة . واستكتبه الشيء ، أي : سأله أن يكتبه له ... وفي التنزيل العزيز : (ٱڪۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُڪۡرَةً وَأَصِيلاً) ، أي : اسْتَكْتَبها) [(٤)].

دراسة النص :

لم يفسر الطبري قوله (اكتتبها) ؛ لكنه شرح معنى (فهي تملى عليه) بقوله : (فهذه الأساطير تُقرأ عليه ، من قولهم : أمليتُ عليك الكتاب وأمللتُ) [(٥)].

---

(١) انظر : السبعة في القراءات ، لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغداديّ ، تحقيق : شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٤٠٠هـ، ص (٦٥٩ ، ٦٦٠) .

(٢) انظر : التفسير المنير ، لوهبة الزحيليّ ، مج ١٥ ، (٢٥٣/٢٩) .

(٣) سورة الفرقان ، الآية [٥] . وتمام الآية : (وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱڪۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُڪۡرَةً وَأَصِيلاً) .

(٤) لسان العرب ، مادة (كتب) ، (٦٩٨/١) .

(٥) جامع البيان ، للطبري ، (١٨٣/١٨) .

ولذلك لا يمكن الحكم عليه من حيث موافقة ابن منظور له أو مخالفته .

وقال الرازي : (اكتتبها : انتسخها محمد من أهل الكتاب ... ومعنى اكتتب هاهنا أَمر أن يُكتب له ، كما يُقال : احتجم وافتصد إذا أمر بذلك ، فهي تملى عليه ، أي تقرأ عليه ، والمعنى أنَّها كُتبت له ، وهو أُميّ ، فهي تُلقى عليه من كتابه ليحفظها ؛ لأن صورة الإلقاء على الحافظ كصورة الإلقاء على الكاتب) [١].

يُلاحظ من ذلك أنَّ ابن منظور والرازي يتفقان في معنى الاكتتاب في الآية ، فكلاهما يقصد أنَّ الكتابة لم تقع من النبي -ﷺ- ، وذكر الرازي أنَّ الإملاء المذكور في الآية هو الإلقاء ليس من أجل الكتابة ، بل من أجل الحفظ ، وعلَّل ذلك بأنَّ النبي -ﷺ- كان أُميَّاً .

ولم يفسر القرطبي كذلك قوله (اكتتبها) ؛ لكنه ذكر بعد ذلك ما يشير إلى أنَّ هناك من كتب للنبي -ﷺ- ؛ لأنَّه بيَّن أنَّ الإملاء هنا هو الإلقاء عليه ، والقراءة من أجل الحفظ [٢].

وفسَّر ابن كثير قوله (اكتتبها) ، أي : استنسخها ، وتملى عليه : تقرأ عليه[٣].

ويظهر أنَّه فهم من الاكتتاب في هذه الآية أنَّ مراد الكفار هو أنَّ النبي -ﷺ- هو من قام بهذه الكتابة ؛ لأنه ردَّ عليهم - بعد ذلك- بقوله : (وهذا الكلام لسخافته وكذبه وبهته منهم كل أحد يعلم بطلانه ، فإنَّه قد علَم بالتواتر وبالضرورة أنَّ محمداً رسول الله -ﷺ- لم يكن يعاني شيئاً من الكتابة ، لا في أول عمره ، ولا في آخره) [٤].

وهذا الفهم من ابن كثير يجعل مخالفته لابن منظور واضحة .

وذكر أبوحيَّان ثلاثة أقوال في ذلك ، فالقول الثاني وافقه فيه ابن كثير ، ووافق ابن منظور في قوله الثالث . جاء في "البحر المحيط" ما نصبه : (اكتتبها ، أي : جمعها ، من قولهم : كتب الشيء ، أي : جمعه ، أو من الكتابة ، أي : كتبها

---

(١) التفسير الكبير ، للرازي ، (٤٥/٢٤).

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٤/١٣) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣١٠/٣) .

(٤) المرجع السابق ، (٣١٠/٣) .

بيده ، فيكون ذلك من جملة كذبهم عليه ، وهم يعلمون أنَّه لا يكتب ، ويكون كاستكب الماء واصطبه ، أي : سكبه وصبه ، ويكون لفظ (افتعل) مشعراً بالتكلف والاعتمال ، أو بمعنى : أَمر أن يُكتب له ، كقولهم : احتجم وافتصد إذا أَمر بذلك ، فهي تملى عليه ، أي : تُلقى عليه ليحفظها ؛ لأنَّ صورة الإلقاء على المتحفظ كصورة الإملاء على الكاتب) (١).

وجوه القراءات :

قرأ طلحة (٢) : (اكتتبها) بضم التاء الأولى ، وكسر الثانية ، على معنى : اكتتبت له ، وقرأ (تتلى) بتاء بدل الميم ، وأَمال (تُملى) حمزة والكسائي وخلف(٣)، وقلَّل الأزرق (٤).

المعنى العام للآية :

أخبر الله تعالى عن الكافرين في هذه الآية أنَّهم قالوا : إنَّ هذا القرآن أَحاديث الأولين ، وما سطَّروه من الأخبار ، وواحد الأساطير أُسطورة ، مثل أَحاديث وأُحدوثة ، وقال غيره : أساطير : جمع أسطار ، مثل : أقاويل وأقوال . اكتتبها ، أي : استكتبها أو كتبها ، لنفسه ، ويجوز أن يكون معنى اكتتبها : جمعها من

---

(١) البحر المحيط ، لأبي حيَان ، (٤٤١/٦ ، ٤٤٢) .

(٢) طلحة : هو طلحة بن مصرف اليامىّ الهمدانيّ الكوفيّ ، وكان يسمى سيد القراء ، قال أبومعشر : ما ترك بعده مثله ، وكان أقرأ أهل الكوفة ، فبلغه إجماعهم على ذلك ، فذهب يقرأ على الأعمش رفيقه لينزل رتبته في أعينهم ، سمع عبدالله بن أبي أوفى ، وصغار الصحابة ، ومات كهلاً سنة (١١٢هـ) .

(انظر : العبر ، لشمس الدين الذهبي ، (١٣٩/١) ، وانظر : مرآة الجنان ، لليافعي ، (٢٤٣/١) .

(٣) خلف : هو خلف بن هشام بن ثعلب ، وقيل : ابن طالب بن غراب ، أبومحمد البغداديّ ، المقرئ البزار، أحد الأعلام ، وله اختيار أقرأ به ، وخالف فيه حمزة ، حدَّث عنه مسلم في صحيحه ، وأبوداود في سننه ، وأحمد بن حنبل ، وأبوزرعة الرازي ، وأبويعلى الموصليّ ، وأبوالقاسم البغوي وعدد كثير ، كان عابداً فاضلاً ، ولد سنة (١٥٠هـ) ومات سنة (٢٢٩هـ) .

(انظر : معرفة القراء الكبار ، لشمس الدين الذهبي ، (٢٠٨/١)) .

(٤) انظر المحرر الوجيز ، لابن عطية الأندلسيّ ، (٢٠٠/٤) . وانظر : اتحاف فضلاء البشر ، للدمياطيّ ، ص٤١٥. والأزرق هو : أبو يعقوب يوسف بن عمرو بن يسار المدنيّ، ثمَّ المصري ، لزم ورشاً مدة طويلة ، وأتقن عنه الأداء ، وجلس للإقراء ، وانفرد عن ورش بتغليط اللامات ، وترقيق الراءات ، وهو الذي خلف ورشاً في الإقراء بالديار المصرية . توفى سنة (٢٤٠هـ) .

(انظر : معرفة القراء الكبار ، لشمس الدين الذهبي، (١٨١/١)) .

الكتب ، وهو الجمع ، لامن الكتابة بالقلم ، والأول أولى ، فهي تملي عليه ، أي : تلقي عليه تلك الأساطير بعد ما اكتتبها ليحفظها من أفواه من يمليها عليه من ذلك المكتتب ، لكونه أُمياً بكرة وأصيلاً : غدوةً وعشيّاً ، وقيل : يُعَلّمونه دائماً في جميع الأوقات [(١)].

النص رقم (٢٢)

يقول تعالى : [... نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ ...][(٢)].

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (والكِتَابُ مُطْلَقٌ : التوراة ، وبه فسَّر الزجَّاج قوله تعالى : (نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ)[(٣)]. وقوله : (كِتَابَ اللهِ) جائز أن يكون القرآن ، وأن يكون التوراة ؛ لأنَّ الذين كفروا بالنبي قد نبذوا التوراة) [(٤)].

دراسة النص :

وافق ابنُ منظور في ذلك الإمامَ ابن جرير الذي فسَّر (الكتاب) بالتوراة التي أُعطي علماء اليهود العلم بها ، إلا أنَّ ابن جرير قطع في (كتاب الله) أنَّ المراد به، التوراة أيضاً [(٥)].

وذكر الرازي في معنى قوله تعالى : [مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ] قولين : أحدهما أنَّ المراد : ممن أُوتى علم الكتاب من يدرسه ويحفظه ، وثانيهما : المراد من يدعى التمسك بالكتاب سواء علمه أو لم يعلمه [(٦)].

---

(١) انظر : فتح القدير ، للشوكاني : (٦١/٤ ، ٦٢) .

(٢) سورة البقرة ، الآية [١٠١] وتمام الآيـة : (وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجّاج ، (١٦١/١) .

(٤) لسان العرب ، مادة (كتب) ، (٦٩٩/١) .

(٥) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٤٤٧/١) .

(٦) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٨٤/٣) .

وهو في كل ذلك يريد بالذين أوتوا الكتاب اليهود أصحاب التوراة ، كما تبيَّن ذلك من تفسيره [١]، وبهذا يوافقه ابن منظور .

أمَّا قوله : (كتاب الله) فذكر أنَّ فيه قولين : فقيل : إنَّه التوراة ، وقيل : إنَّه القرآن ، ثم رجَّح أنَّ المراد به التوراة ، وذكر في سبب ترجيحه ذلك وجهين [٢].

ويفهم من تفسير القرطبي للآيات السابقة لهذه الآية أنَّ المراد بالذين أوتوا الكتاب اليهود ، وهم الذين أنزل عليهم التوراة ، وهذا ما يوافقه فيه ابن منظور . ثُمَّ إنَّه يختار أنَّ المراد بكتاب الله (التوراة) ، وينقل عن السُدِّي [٣] الوجه الثاني وهو أنَّ المراد به القرآن في قول بعضهم [٤].

وفسَّر ابن كثير الذين أُوتوا الكتاب باليهود وكتابهم التوراة ، وفسّر كتاب الله بالتوراة أيضاً [٥]، وعلى هذا يكون قد وافق ابن منظور في القول الأول ، واختار أحد قوليه في الثاني .

وتطابق تفسير ابن منظور مع تفسير ابن الجوزي الذي قال في هذه الآية : (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب ، يعني : اليهود ، والكتاب : التوراة ، وفي قوله تعالى : (كتاب الله) قولان : أحدهما : القرآن ، والثاني : إنَّه التوراة ؛ لأنَّ الكافرين بمحمد –ﷺ– قد نبذوا التوراة) [٦].

المعنى العام للآية :

لمّا جاء رسول من عند الله تعالى –وهو النبي محمد–ﷺ– مصدق لما مع أهل الكتاب – وهم اليهود أصحاب التوراة – نبذ فريق من هؤلاء اليهود التوراة

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (١٨٣/٣) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (١٨٤/٣) .

(٣)السُدِّيّ : هو أبومحمد ، إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي ذئب ، وقيل : ابن أبي كريمة ، السديّ الأعور ، مولى زينب بنت قيس ، حجازيّ الأصل ، سكن الكوفة ، وهو السدّيّ الكبير، صاحب التفسير ، ثقة مأمون – مات سنة (١٢٧هـ) . (انظر : الأنساب ، لعبدالكريم بن محمد السمعانيّ ، (٢٣٨/٣)).

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٤١/٢) .

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١٣٥/١) .

(٦) زاد المسير ، لابن الجوزي ، (١٢٠/١) .

وراء ظهورهم ، أَي : لم يعملوا بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره ، كــأنَّهم لا يعلمون ما فيها من أنَّه نبي حق ، أَو أنَّها كتاب الله . وقيل المراد بكتاب الله فـــي الآية القرآن الكريم (١).

النص رقم (٢٣)

يقول تعالى : [وَٱلطُّورِ * وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ](٢).

التفسير اللغويّ

قال ابن منظور : (وقوله تعالى : (وَٱلطُّورِ * وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ) ، قيــل : الكِتَابُ ما أُثبت على بني آدم من أعمالهم) (٣).

دراسة النص :

بيَّن ابن جرير أنَّ الكتاب المسطور هو الكتاب المكتوب ، وقال فـــي تفســير هذه الآية والتي بعدها ما نصه : (ومعنى الكلام : وكتاب سطر ، وكتب في ورق منشور) (٤).وبهذا يكون ابن جرير قد اكتفى ببيان معنى الكتاب المســطور ، دون توضيح المراد منه ، كما فعل ابن منظور .

وذكر الرازي في تفسير الكتاب المسطور عدة وجوه ، وفيها الوجــه الــذي أورده ابن منظور . قال الرازي : (وأمَّا الكتاب ففيه أيضاً وجوه ، أحدها : كتاب موسى–عليه السلام– ثانيها : الكتاب الذي في السماء . ثالثها : صحائف أعمــال الخلق . رابعها : القرآن ، وكيفما كان فهي في رقوق) (٥).

ثمَّ ذكر ما يؤيد كون المراد منه القرآن ، أو اللوح المحفوظ (٦).

---

(١) انظر : تفسير الجلالين ، المحلي والسيوطي ، ص ١٩ . وانظر أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، (٣٧٠/١) .

(٢) سورة الطور ، الآيتان (١ ،٢) .

(٣) لسان العرب ، مادة (كتب) ، (٦٩٩/١) .

(٤) جامع البيان ، للطبري ، (١٥/٢٧، ١٦) .

(٥) التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٠٥/٢٨) .

(٦) انظر : المرجع السابق ، (٢٠٦/٢٨) .

وكذا قال القرطبي في تفسير الكتاب المسطور : (أي مكتوب ، يعني القرآن، يقرؤه المؤمنون من المصاحف ، ويقرؤه الملائكة من اللوح المحفوظ ... وقيل : يعني سائر الكتب المنزلة على الأنبياء ... وقال الكلبيّ : هو ما كتب الله لموسى بيده من التوراة ، وموسى يسمح صرير القلم ، وقال الفرَّاء : هو صحائف الأعمال ... وقيل : المراد ما كتب الله في قلوب الأولياء من المؤمنين ... قلت : وفي هذا القول تجوز) [١].

يُلاحظ من كلام القرطبي السابق أنّه يؤيد القول بأنَّ المراد من الكتاب المسطور القرآن الكريم موافقةً للرازي ، وخلافاً لابن منظور .

وذكر ابن كثير وجهين في ذلك ، ولم يرجِّح بينهما . قال : (وكتاب مسطور: قيل : هو اللوح المحفوظ ، وقيل : الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهاراً) [٢].

وبهذا يخالف ابن منظور في ذلك .

أمَّا الزمخشري فقد اختار ما وافقه فيه ابن منظور ، ثمَّ ذكر بعض الوجوه الأُخرى ، قال : (والكتاب المسطور في الرق المنشور ، والرق : الصحيفة ، وقيل : الجلد الذي يكتب فيه الكتاب الذي يكتب فيه الأعمال . قال الله تعالى : (وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا)[٣]، وقيل : هو ما كتبه الله لموسى وهو يسمع صرير القلم ، وقيل : اللوح المحفوظ ، وقيل القرآن ، ونُكِّر ؛ لأنه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب) [٤].

المعنى العام للآية :

(والطور) أراد به الجبل الذي كلَّم الله –تعالى– عليه موسى – عليه السلام– بالأرض المقدسة ، أقسم الله تعالى به تشريفاً له وتكريماً ، كما أقسم بالكتاب

---

(١)الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٥٩/١٧) .

(٢)تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٤٠/٤)

(٣) سورة الإسراء ، الآية (١٣) .

(٤) الكشاف ، للزمخشري ، (٤١١/٤) .

المسطور ، أي : المكتوب ، واختلفوا فيه ، فالمراد به القرآن ، وقيل : اللوح المحفوظ ، وقيل : جميع الكتب المنزلة ، وقيل : ألواح موسى – عليه السلام- ، وقيل : ما تكتبه الحفظة [1].

النص رقم (٢٤)

يقول تعالى : [أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ][2].

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (ابن الأعرابي [3]: الكاتب عندهم العالم . قال الله تعالى : (أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ) ... سُمِّي به لأنَّ الغالب على من كان يعرفُ الكتابةَ أنَّ عنده العلمَ والمعرفةَ ، وكان الكاتب عندهم عزيزاً ، وفيهم قليلاً)[4].

دراسة النص :

قال الطبري في تفسير هذه الآية : (أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون ذلك للناس ، فينبئونهم بما شاءوا ، ويخبرونهم بما أرادوا)[5].

يظهر هذا النص أنَّ الطبري يُفسر الكتابة على حقيقتها ، وفَسَّرها ابن منظور بالعلم .

---

(١) انظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٢٣٦/٤) . وانظر : فتح القدير ، للشوكاني ، (٩٤/٥) .

(٢) سورة الطور ، الآية (٤١) ، وقد وردت هذه الآية أيضاً في سورة القلم ، الآية (٤٧) .

(٣) يُريد : قال ابن الأعرابي . وابن الأعرابي هو : أبوعبدالله محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشميّ ، صاحب اللغة ، وكان إليه المنتهى في معرفة لسان العرب . له بضعة عشر مصنفاً ، منها : كتاب النوادر وكتاب الخيل وكتاب تفسير الأمثال ، وكتاب معاني الشعر ، وكان يحضر مجلسه مائة مستفيد . توفى بسامراء سنة (٢٣١هـ) .

(انظر شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، (٧٠/٢، ٧١) ، والأنساب ، للسمعاني ، (١٨٧/١ ، ١٨٨) ، والوافي بالوفيات ، للصفدي ، (٦٦/٣، ٦٧) ، وسير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي (٦٨٧/١٠)).

(٤) لسان العرب ، مادة (كتب) ، (٦٩٩/١) .

(٥) جامع البيان ، للطبري ، (٣٥/٢٧) .

ولا يخالف ابن منظور الرازي الذي قال في ذلك : (المسألة الرابعة : ما الفائدة في قوله : (فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ) ؟ نقول : وضوح الأمر ، وإشارة إلى أنَّ ما عند النبي -ﷺ- من علم الغيب علم بالوحي أموراً وأسراراً وأحكاماً وأخباراً كثيرة كلها هو جازم بها ... فقوله : (أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ) يعني هل صاروا في درجة محمد -ﷺ- حتى استغنوا عنه وأعرضوا) [(١)].

وفسَّر القرطبي هذه الآية بما فسَّرها به ابن جرير الطبري ، ولذا يخالفه ابن منظور أيضاً .

ثم ذكر القرطبي وجوهاً أخرى للتفسير ، منها : أنَّ الكتابة معناها العلم – وهو قول ابن منظور – ، ومنها : أنَّ معناها الحكم [(٢)].

وأمَّا ابن كثير فهو – كالرازي – وافق ابن منظور . قال في تفسير هذه الآية: (أي ليس الأمر كذلك؛ فإنه لا يعلم أحد من أهل السماوات والأرض الغيب إلا الله) [(٣)].

وممَّن وافقهم ابن منظور الإمام البغوي الذي قال في تفسير هذه الآية : (أم عندهم الغيب ، أي : علم ما غاب عنهم حتى علموا أنَّ ما يخبرهم الرسول من أمر القيامة والبعث باطل) [(٤)].

ثم ذكر البغوي وجوهاً أخرى من التفسير [(٥)].

المعنى العام للآية :

يخبر الله تعالى عن المكذبين المنكرين لرسالة النبي -ﷺ- من قومه ، فيقول: أيدَّعون أنَّ عندهم علم الغيب – وهو ما في اللوح المحفوظ- فيكتبون للناس ما أرادوا من علم الغيب ؟ ليس الأمر كذلك ، فإنّه لا يعلم أحدٌ الغيبَ إلا الله . قال

---

(١) التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٢٨/٢٨، ٢٢٩) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٧٦/١٧) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٤٥/٤) .

(٤) معالم التنزيل ، للبغوي ، (٢٤٢/٤) .

(٥) انظر : المرجع السابق ، (٢٤٢/٤) .

قتادة : لمَّا قالوا : نتربص به ريب المنون ، قال الله تعالى : (أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ) . حتى علموا متى يموت محمد –ﷺ– أو إلى ما يؤول إليه أمره[1].

النص رقم (٢٥) و (٢٦) و (٢٧) و (٢٨) :

يقول تعالى : [...كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى...][2].

ويقول تعالى : [...كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ...][3].

ويقول تعالى : [وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ...][4].

ويقول تعالى : [...كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ ...][5].

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (والكِتَابُ يُوضَع موضع الفَرْض . قال الله تعالى : (كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى) ، وقال عزَّ وجل – (كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ) ، معناه

---

(١) انظر : التفسير المنير ، لوهبة الزحيلي ، مج١٤ ، (٨٧/٢٧) .

(٢) سورة البقرة ، الآية : (١٧٨) . وتمام الآيــة : [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ].

(٣) سورة البقرة ، الآية : (١٨٣) . وتمام الآيــة : [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ] .

(٤) سورة المائدة ، الآية (٤٥) . وتمام الآية : [وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ] .

(٥) سورة النساء ، الآية (٢٤) . وتمــام الآيــة : [وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا].

: فُرضَ ، وقال : (وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ)، أي : فرضنا ... وقوله تعالى : (كِتَـٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ)، مصدر أريد به الفعل ، أَي : كتب الله عليكم) [١].

دراسة النصوص :

وافق كلام ابن منظور – آنف الذكر– جميع أقوال المفسرين الذين وقفتُ عليهم في دراسة هذه النصوص ، ولم يخالف منهم إلا الكلبي في تفسير الآية (١٧٨) من سورة البقرة ، فابن جرير الطبري بيَّن أنَّ معنى (كتب عليكم) في كل من آيتي البقرة : فُرِض عليكم ، وقال في معنى (وكتبنا) في آية المائدة : وفرضنا[٢]، وقال في آية النساء (يعني تعالى ذكره كتاباً من الله عليكم ، فأخرج الكتاب مصدراً من غير لفظه ....بمعنى كتب الله تحريم ما حرَّم من ذلك ، وتحليل ما حلل من ذلك عليكم كتاباً) [٣] .

وكذلك الرازي فسَّر قوله (كُتِبَ) في آيتي البقرة بقوله : فرض ، و(كتبنا) في آية المائدة ، بقوله : فرضنا [٤] ، كما قال في آية النساء : (مصدر مؤكد من غير لفظ الفعل ، فإنَّ قوله (حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ)[٥] يدل على معنى الكتبة ، فالتقدير كتب عليكم تحريم ما تقدم ذكره من المحرمات ، كتاباً من الله) [٦].

والقرطبي أيضاً ذكر في معنى قوله : (كُتبَ) في سورة البقرة ، الآية (١٧٨) : فُرِضَ وأُثبت ، وفي معنى قوله (كتب) في سورة البقرة ، الآية (١٨٣) : ألزمهم الصيام ، وأوجبه عليهم ، [وهذا بمعنى فُرِض] ، وفي معنى كتبنا في آية المائدة : فرضنا[٧]. وقال أية النساء :(كتاب الله عليكم : نصب على المصدر المؤكد ، أي

---

(١) لسان العرب ، مادة (كتب) ، (٦٩٩/١، ٧٠٠) .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٠٦/٢) ، (١٢٨/٢) ، (٢٥٨/٦) .

(٣) المرجع السابق ، (٩/٥) .

(٤) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٤١/٥) ، (٦٠/٥) ، (٧/١٢) .

(٥) النساء ، الآية (٢٣) .

(٦) التفسير الكبير ، للرازي ، (٣٥/١٠) .

(٧) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٤٤/٢) ، (٢٧٢/٢) ، (١٩١/٦) .

: حرمت هذه النساء كتاباً من الله عليكم ، ومعنى حرمت عليكم : كتب الله عليكم)[1].

أمَّا ابن كثير فلم يشرح قوله (كُتِب) في آية البقرة [١٧٨] ، وبيَّن قوله (كُتِبَ) في آية البقرة [١٨٣] بقوله (أوجبه عليهم) ، وذكر في معرض كلامه ما يشير إلى أنَّ (كتب) بمعنى : فُرض ، ولم يشرح ابن كثير معنى (وكتبنا) في آية المائدة لكن يفهم من كلامه الفرض[2].وقال في معنى : (كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ) في آية النساء ما نصه : (أي هذا التحريم كتاب كتبه الله عليكم يعني الأربع ، فألزموا كتابه ، ولا تخرجوا عن حدوده ، وألزموا شرعه وما فرضه) [3].

وخالف الكلبي "صاحب التسهيل" في معنى قوله (كُتِب عليكم) في آية البقرة [١٧٨] ، حيثُ قال : (كتب عليكم القصاص ، أَي : شُرِعَ لكمَ ، وليس بمعنى فُرِضَ ؛ لأَن ولي المقتول مخيَّر بين القصاص والدية والعفو ، وقيل : بمعنى فُرِض ، أي : فُرِض على القاتل الانقياد على القصاص ، وعلى وليّ المقتول أَن لا يتعداه إلى غيره كفعل الجهلة) [4].

ووافق الكلبي ابن منظور في تفسير قوله (كُتِبَ عَلَيۡكُمُ) من آية البقرة [١٨٣] فذكر أنَّ معناه : فُرِض ، وقال في معنى قوله : (وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ) كتبنا بمعنى الكتابة في الألواح ، أَو بمعنى الفرض والإلزام : ووافقه كذلك في معنى قوله : (كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ) حيثُ بيّن أنَّ (كتاب) منصوب على المصدرية ، أي كتب الله عليكم كتاباً ، وهو تحريم ما حرّم [5].

---

(١) المرجع السابق ، (١٢٣/٥) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢١٠/١) ، (٢١٤/١) ، (٦٢/٢) .

(٣) المرجع السابق ، (٤٧٥/١) .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ، للكلبي ، (٧٠/١) .

(٥) انظر ، المرجع السابق ، (٧١/١) ، (١٧١/١) ، (١٣٧/١) .

سبب النزول :

قال السيوطي في سبب نزول الآية [١٧٨] من سورة البقرة :

(عن سعيد بن جبير[١] . قال : إنَّ حيَّين من العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الإسلام بقليل ، وكان بينهم قتل وجراجات ، حتى قتلوا العبيد والنساء ، فلم يأخذ بعضهم عن بعض حتى أسلموا ، فكان أحد الحيين يتطاول على الآخر في العدد والأموال ، فحلفوا أن لا يرضوا حتى يقتل بالعبد منهم الحر منهم ، وبالمرأة منهم الرجل منهم ، فنزل فيهم : (ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ) [٢])[٣].

المعنى العام للآيات :

البقرة (١٧٨) :

يا أيها الذين آمنوا فُرض عليكم المماثلة في القتلى وصفاً وفعلاً ، الحر يقتل بالحر ولا يُقتل بالعبد ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى ، وبينت السنة أنَّ الذكر يُقتل بها ، وأنه تعتبر المماثلة في الدين ، فلا يقتل مسلم ولو عبداً بكافر ولو حراً ، فمن عفى له من القاتلين من دم أخيه المقتول شيء بأن ترك القصاص منه فعلى العافي اتباع للقاتل بالمعروف ، بأن يطالبه بالدية بلا عنف ، وعلى القاتل أداء الدية إلى العافي – وهو الوارث– بإحسان بلا مطل ولا بخس . ذلك الحكم المذكور من جواز القصاص والعفو عنه على الدية تسهيل من ربكم عليكم ورحمة بكم ، حيث وسَّع في ذلك ولم يحتم واحداً منهما كما حتَّم على اليهود القصاص ، وعلى النصارى الدية ، فمن ظلم القاتل بأن قتله بعد ذلك العفو فله عذاب مؤلم في الآخرة بالنار ، أو في الدنيا بالقتل[٤] .

---

(١) سعيد بن جبير : هو أبوعبدالله ، سعيد بن جبير بن هشام الأسديّ ، كان فقيهاً ورعاً ، من الطبعة الثالثة ، كان يقال له جهبذ العلماء ، من سادات التابعين علماً وفضلاً وصدقاً وعبادة ، قتله الحجَّج سنة (١٧٥هـ)

(انظر : طبقات المفسرين ، لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي ، تحقيق : علي محمد عمر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٢، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م ، ترجمة رقم (١٨١) ، (١٨١/١)) .

(٢) سورة البقرة ، الآية [١٧٨] .

(٣) لباب النقول ، للسيوطي ، ص (٣٢ ، ٣٣) ، وانظر : أسباب النزول ، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، دار المنار للنشر والتوزيع ، القاهرة في ذيل المصحف الشريف ، ص ٣٤ .

(٤) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٣٦ .

البقرة (١٨٣) :

فرض الله تعالى – الصيام على المؤمنين في هذه الأُمة ، كما فرضه على المؤمنين أَتباع الملل الأُخرى من لدن آدم – عليه السلام – وناداهم بوصف الإيمان المقتضي للامتثال ، وأبان أنَّ الصوم فرض على جميع الناس ترغيباً فيه ، وتوضيحاً أنَّ الأمور الشاقة إذا عمَّت سهل تحملها ، وشعر المؤدُّون لها بالراحة والطمأنينة لقيامها على الحق والعدل والمساواة ، ثُمَّ إِنَّ الصوم يُعدّ النفوس لتقوى الله في السر والعلن ، ويعلم الصبر وتحمل المشاق ، وضبط النفس عند المكاره ، وترك الشهوات(١) .

المائدة (٤٥) :

هذه الأحكام من جملة الأحكام التي في التوراة . فإنَّ الله أوجب على الذين هادوا أنَّ النفس إذا قتلت تقتل بالنفس ، والعين تقلع بالعين ، والأنف تجدع بالأنف، والأذن تؤخذ بالأُذن ، والسن يُنزع بالسن بشرط العمد والمكافأة في كل ذلك ، وكذلك الجروح قصاص ، والاقتصاص أن يُفعل به كما فعل ، فمن جرح غيره عمداً اقتص منه مثل جرحه للمجروح حدّاً وموضعاً وطولاً وعرضاً وعمقاً ، وليعلم أنَّ شرع من قبلنا شرع لنا ، ما لم يرد شرعنا بخلافه ، فمن عفا عمَّن جنِّي وثبت له الحق قبله فهو كفارة للجاني ، لأنَّ الآدمي عفا حقه ، والله تعالى أحق وأولي بالعفو عنه حقه ، وكفارة أيضاً عن العافي ؛ فإنه كما عفا عمَّن جنِّي عليه، فإنَّ الله يعفو عن زلاته وجناياته ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ، أي : هو ظلم أكبر عند استحلاله ، وعظيمة كبيرة عند فعله غير مستحل له (٢).

النساء(٢٤) :

حرَّم الله تعالى في هذه الآية ذوات الأزواج ، أنهنَّ أحصنَّ فروجهن بالتزويج، إلا ملك اليمين بالسبي وزوجها في دار الحرب ، فتحل الغنائم بملك اليمين بعد الاستبراء ، كتب الله ذلك عليكم كتابا ً، وفرضه فريضة وهو تحريم ما

---

(١) انظر : التفسير المنير ، لوهبة الزحيلي ، مج١ ، (٤٩٧/٢) .

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن بن ناصر السعديّ ، تحقيق : ابن عثيمين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م، ص٢٣٣.

حرَّم ، وأَحل لكم ما سوى المحرمات المذكورة ؛ لتبتغوا بأموالكم يعني المهــور ، وفيه دليل على أنَّ النكاح لا يكون إلا بمهر ، محصنين غير مسافحين ، أي : فــي حال كونكم محصنين لئلا تضيعوا أموالكم ، وتفقروا أنفسكم فيما لا يحــل لكــم ، والإحصان : العفة ، والمسافح : الزاني ، فما نكحتموه منهن فــآتوهن مهــورهن فرض ذلك فريضة ، ولا جناح عليكم فيما تحط عنه من المهر ، أو تهب له مــن كله ، أو يزيد لها على مقداره ، أو فيما تراضيا به من مقــام أو فــراق ، إن الله كان عليما بالأشياء قبل خلقها ، حكيماً فيما فرض لكم من عقد النكاح الذي حُفظت به الأنساب(١).

النص رقم (٢٩)

يقول تعــالى [...وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرًا...](٢) .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (المُكَاتَبُ : العَبْدُ يُكَاتَبُ على نفسه بثمنه ، فإذا سعى وأدَّاه عُتِقَ ... قال ابن الأثير: (الكِتابةُ أَن يُكَاتِبَ الرجلُ عبدَه على مال يُؤدِّيه إليه مُنَجَّماً ، فإذا أداه صار حرّاً ، وسُمِّيت كتابةً لمَصْدر كَتَبَ ؛ لأنَّه يَكْتُبُ على نفسه لمــولاه ثَمَنه، ويَكْتُبُ مولاه له عليه العِتْقَ ، وقد كاتبه مُكاتَبةً ، والعَبْدُ مُكَاتَبٌ ، وإنَّما خُصَّ العبد بالمفعول؛لأنَّ أصل المكاتب من المَوْلى، وهو الذي يُكاتِبُ عبــده) (٣). ابــن

---

(١) انظر : مدارك التنزيل ، للنسفي ، (٣٣٧,٣٣٦/١).

(٢) سورة النور : الآية (٣٣) . وتمام الآيــة [وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرًاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنًا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ] .

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير الجزري ، (١٤٨/٤) .

سيده:(وكاتبتُ العبدَ : أعطاني ثَمَنَه على أن أعْتِقَهُ)[1].وفي التنزيل العزيز: (وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرًا)[2] .

دراسة النص :

لم يشرح ابن جرير معنى الكتابة بالتفصيل الذي ذكره ابن منظور . قال ابن جرير في تفسير هذه الآية : (والذين يلتمسون المكاتبة منكم من مماليككم ، فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً)[3] .

لكن ابن جرير ذكر في معنى قوله (إن علمتم فيهم خيراً) ما يفيد في توضيح معنى المكاتبة ، حيث قال : (وأمَّا الخير الذي أمر الله تعالى ذكره عباده بكتابة عبيدهم إذا علموه فيهم ، فهو القدرة على الاحتراف والكسب لأداء ما كوتبوا عليه)[4] .

وبهذا تثبت لنا موافقة ابن منظور للطبري في ذلك .

واختار الرازي في معنى الكتابة ما نقله عن مُحْي السنة (البغوي) ، حيثُ قال : (الكتابة أن يقول لمملوكه : كاتبتك على كذا ، ويُسَمّى مالاً معلوماً يؤديه في نجمين أو أكثر ، ويبين عدد النجوم ، وما يُؤدَّى في كل نجم ، ويقول : إذا أَديتَ ذلك المال فأنت حر ، أو نوى ذلك بقلبه ، ويقول العبد : قبلتُ)[5] .

وبذلك يتضح أنَّ ابن منظور لا يُخالف كُلاًّ من الرازي والبغوي في ذلك .

كما وافق ابن منظور – فيما نقله عن ابن الأثير – اختيار القرطبي في ذلك، حيث ذكر القرطبي أنَّ الكتاب والمكاتبة سواء ، والمكاتبة مفاعلة ممَّا لا تكون إلاَّ بين اثنين ؛ لأنَّها معاقدة بين السيّد وعبده ، وبَيَّن أنَّ المكاتبة في الشرع هي أن يكاتِب الرجلُ عبدَه على مال يؤدّيه منجّماً عليه ، فإذا أدَّاه فهو حرٌ[6] .

---

(١) المحكم ، لابن سيده ، مادة (كتب) ، (٦/٧٧٧) .

(٢) لسان العرب ، مادة (كتب) ، (١/٧٠٠) .

(٣) جامع البيان ، للطبري ، (١٨/١٢٦) .

(٤) المرجع السابق ، (١٨/١٢٧) .

(٥) التفسير الكبير : للرازي ، (٢٣/١٨٨) ، وانظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٣/٣٤٢) .

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٢/٢٤٤) .

ولم يُفَصِّل ابن كثير في معنى المكاتبة ، إلاَّ أنَّه ذكر في تفسير الآية ما يجعله موافقاً لابن منظور في معناها ، حيثُ قال : (هذا أمر من الله تعالى للسادة إِذا طلب عبيدهم منهم الكتابة أن يكاتبوهم بشرط أن يكون للعبد حيلة وكسب يؤدِّى إلى سيده المال الذي شارطه على أدائه) (١) .

فيفهم من كلام ابن كثير – آنف الذكر – أَنَّ المكاتبة هي معاقدة بين السيد والعبد يلتزم فيها العبد بأداء المال الذي شارطه عليه السيد ، ويلتزم فيها السيد بعتق العبد ، إذا أدَّى المال الذي عليه . وهذا تأويل كلام ابن منظور أيضاً .

سبب النزول :

قال الواحدى (٢): (نزلت في غلام لحويطب بن عبدالعزى (٣) يُقال له صبيح (٤) سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وكاتبه حويطب على مائة دينار ، ووهب له منها عشرين ديناراً ، فأدَّاها ، وقتل يوم حنين في الحرب) (٥) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٨٨/٣) .

(٢) الواحدىّ : هو أبوالحسن عليّ بن أحمد ، الواحدىّ ، النيسابورىّ ، المفسّر ، تلميذ أبى أسحق الثعلبى وأحد من برع في العلم ، وكان شافعيّ المذهب ، وكان رأساً في اللغة والعربية ، والنحو والشعر ، إمام عصره في التفسير ، صنف البسيط والوسيط وأسباب النزول ، ونفى التحريف عن القرآن الشريف وكتاب الدّعوات وكتاب المغازى وغيرها . مات بنسيابور سنة (٤٦٨هـ) . (انظر : شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، (٣٣٠/٣) ، وانظر : العبر ، لشمس الدين الذهبي ، (٢٦٩/٣)) .

(٣) حويطب بن عبد العزى : هو حويطب بن عبدالعزى بن أبي قيس ، القرشيّ العامرى ، يكنى أبا محمد ، وقيل : أبو الأصبغ ، وهو من مسلمة الفتح ، ومن المؤلفة قلوبهم ، شهد حنيناً مع النبي – ﷺ – فأعطاه النبي – صلى الله عليه وسلم – مائة من الإبل ، وهو أحد النفر الذين أمرهم عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – بتجديد أنصاب الحرم . مات بالمدينة آخر خلافة معاوية ، وقيل : مات سنة (٥٤هـ) .

(انظر : أُسد الغابة لابن الأثير الجزرىّ ، (٥٧١/١ ، ٥٧٢) . وانظر : البداية والنهاية : لابن كثير ، (٦٩/٨)) .

(٤) صبيح : مولى حويطب بن عبد العزى ، يُقال له صحبة ، قال : كنت مملوكاً لحويطب ، فسألته الكتابة ، ففىَّ أنزلت : [وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ] الآية . (انظر : الإصابة ، لابن حجر ، (٤٠٧/٣)) .

(٥) أسباب النزول ، للواحدىّ ، ص ٣٢٨ ، وانظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ١٥٩ .

المعنى العام للآية :

في هذه الآية أمر بالاستعفاف لكل من تعذر عليه النكاح ، وهو هنا اسم لما يمهر وينفق في الزواج كاللحاف واللباس ، ويؤيده قوله : حتى يغنيهم الله من فضله ، وهو أمر ندب لقوله تعالى قبلُ : [إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ][1] وحتى يغنيهم: ترجئة للمستعففين ، وتقدم للوعد بالتفضيل عليهم ، ولما بعث السيد على تزويج الصالحين من العبيد والإماء رغبهم في أن يكاتبوهم إذا طلبوا ذلك ليصيروا أحراراً فيتصرفون في أنفسهم ، وسمى هذا العقد مكاتبه لما يُكتب للعبد على السيد من العتق إذا أدى ما تراضيا عليه من المال ، وما يكتب للسيد على العبد من النجوم التي يؤديها ، والظاهر وجوب المكاتبة لقوله : (فكَاتِبُوهُم) ، وهذا مذهب عطاء والضحاك وابن سيرين [2] وظاهر قول عمر – رضي الله عنه – ، وذهب مالك وجماعة إلى أنَّه أمر ندب ، والخير المذكور في الآية يراد به الدين ، وقيل :الصدق والوفاء ، وقيل : الأمانة والقوة على الكسب ، وقيل : المال ، وآتوهم :أمر للمكاتبين ، وقيل : أمر للناس جميعاً بمواساة الكاتب وإعانته ، وقيل : الخطاب لولاة الأُمور أن يعطوا المكاتبين من مال الصدقة حقهم ، وهو الذي تضمنه قوله تعالى : [وَفِي الرِّقَابْ][3].

(وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ) نزلت في جاريتين لعبد الله بن أُبي كان يُكرههما على الزنا ، فشكتا ذلك إلى رسول الله – ﷺ – (إن إردن تحصنا) النهى عن الإكراه على الزنا مشروط بإرادة التعفف منهن ؛ لأنَّه لا يمكن الإكراه إلاَّ مع إرادة التحصن ، وقال بعضهم : هذا الشرط ملغى ، وقيل : جاء بصيغة الشرط لتفحيش

---

(١) سورة النور ، الآية (٣٢) .

(٢) ابن سيرين :هو محمد أبوبكر محمد بن سيرين ، شيخ البصرة وإمام المعبرين ، كان سيرين أبو محمد عبداً لأنس بن مالك، فكاتبه على عشرين ألفاً وأدى المكاتبة ، وكانت أُمه صفية مولاة لأبي بكر الصديق : وكان محمد أصمّاً ، وحبس بدين عليه ، وولد له ثلاثون ولداً من امرأة واحدة ، ولم يبق منهم غير عبدالله بن محمد ، كان ابن سيرين غاية في العلم ، نهاية في العبادة ، توفي سنة (١١٠هـ)

(انظر : شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، (١/١٣٨) ، وانظر : وفيات الأعيان ، لابن خلكان (١٨١/٤)).

(٣) سورة التوبة ، الآية (٦٠) .

الإكراه على ذلك ، وعرض الحياة الدنيا هو ما يكسبه بالزنا ، (وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ، قيل : لهنَّ ، لأن الإكراه يزيل الإثم والعقوبة من المُكْره فيما فعل ، وقيل : للمُكْرِه بشرط التوبة [1] .

النص رقم (٣٠)

يقول تعالى : [... وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً][2]

التفسير للغويّ :

قال ابن منظور: (وانْكَثَبَ الرمل:اجتمع،والكثيبُ من الرمل:القِطْعَةُ تَنْقادُ مُحْدَودِبةً، وقيل : هو ما اجتمع واحْدَوْدَبَ ، والجمع : أَكْثِبَةٌ وكُثُبٌ وكُثْبانٌ ، مُشْتَقٍ من ذلك،وهي تلال الرمل.وفي التنزيل العزيز:[وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً] وقال الفرَّاء:(والكثيبُ : الرَّمْل ، والمَهِيلُ : الذي تُحرّكُ أسْفَلَهُ ، فيَنْهالُ عليك من أعلاه). [3]) [4]

دراسة النص :

وافق ابن منظور في ذلك الإمامَ ابن جرير الذي فَسَّر الكَثيب بالمرمل السائل المتناثر ، والمهيل بما حُرّك أُسفله ، فانهال عليه من أعلاه[5] والفرق بينهما أنَّ ابن جرير أضاف قوله : السائل المتناثر في تعريف الكثيب .

ووافق ابن منظور الرازي في تفسير (الكثيب) وخالفه في معنى (المهيل) . قال الرازي (والكثيب : القطعة العظيمة من الرمل تجتمع محدودبة ، وجمعة : الكثبان ... وقوله : مهيلا ، أي سائلاً قد أُسيل) [6]

وكذلك القرطبي وافقه ابن منظور في (الكثيب) ، وحالفه في (المهيل) أيضاً . قال المقرطبي : (والكثيب : الرمل المجتمع ، ... والمهيل : الذي يمر تحت الأرجل) [7] ثم ذكر أقوالاً أخرى في معنى المهيل[8]

---

(١) انظر : تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان ، (٤١٥/٦-٤١٧) .

(٢) سورة المزمل ، الآية (١٤) . وتما الآية [يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً] .

(٣) معاني القرآن ، للفرَّاء ، (١٩٨/٣) .

(٤) لسان العرب ، مادة (كثب) ، (٧٠٢/١) .

(٥) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٣٦/٢٩) .

(٦) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٦٠/٣٠) .

(٧) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (٤٧/١٩) .

(٨) انظر : المرجع السابق ، (٤٧/١٩) .

أمَّا ابن كثير ففسَّر (الكثيب) – ووافق فيه ابن منظور – ، ولم يفسِرّ (المهيـــل) . قال : (وكانت الجبال كثيباً مهيلا : أي تصير ككثبان الرمل بعدما كانت حجارة صماء ، ثُمَّ إنَّها تنسف نسفاً فلايبقى منها شيء إلاَّ ذهب) [1] .

ووافق ابن منظور الزمخشري في معنى (الكثيب) وخالفه في معنى (المهيل) فقد ذكر الزمخشري أنَّ الكثيب هو الرمل المجتمع ، ومهيلاً من هيل هيلاً، أي:نثر وأُسيل[2]

المعنى العام للآية :

يقول تعالى ذكره : إنَ لدينا لهؤلاء المشركين من قريش الذين يؤذونك يا محمد ﷺ العقوبات التي وصفها – وذلك في الآيات السابقة – في يوم ترجف الأرض والجبـــال ، ورجفان ذلك اضطرابه بمن عليه ، وذلك يوم القيامة ، ويم تكون الجبال رمـــلاً ســـائلاً متناثراً مهيلاً ، إذا حرك أسفله انهال عليه من أعلاه[3] .

النص رقم (٣١)

يقول تعالى : [وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا][4]

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور:(الكثرة والكَثْرَةُ والكُثْرُ : نقيض القلة ... وقوله تعـــالى [وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا] قال تقلب: معناه: دَمْ عليه ، وهو راجع إلى هذا ؛ لأنه إذا دام عليه كثر)[5].

دراسة النص :

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية : (واختلفوا في قراءة قوله : (لعنـــاً كبيـــراً) ، فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار بالثاء ، وكثيراً : من الكثرة ، سوى عاصم[6] فإنَّه قرأه

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٣٨/٤ ، ٤٣٩) .
(٢) انظر : الكشاف ، للزمخشري ، (٦٤٢/٤) .
(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٣٥/٢٩ ، ١٣٦)
وانظر : زاد المسير ، لابن الجوزي ، (٢٩٣/٨) .
(٤) سورة الأحزاب ، الآية (٦٨) . وتمام الآية [رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا]
. وهذه الآية لم يذكرها ابن منظور على رواية حفص عن عاصم ، وإنَّما ذكرها على قـــراءة غيـــره ، وسيأتي بيان ذلك عند الحديث عن وجوه القراءات في الآية إن شاء الله تعالى .
(٥) لسان العرب ، مادة (كثر) ، (١٣١/٥ ، ١٣٢) .
(٦) عاصم : هو عاصم بن أبي النجود العدويّ ، أحد القراء السبعة ، الإمام القارئ أبوبكر الأسدىّ ، وهـــو كوفيّ ، أحد الأعلام ، كان رجلاً صالحاً ، ثبتٌ في القراءة ، حسن الحديث . روى لـــه الأربعـــة والبخارى ومسلم . مات سنة (١٢٧هـ) أو سنة (١٢٨هـ) أو سنة (١٢٩هـ) .
(انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدى،(٣٢٦/١٦ ، ٣٢٧) ، ومعرفة القراء الكبار ، للذهبي ، (٨٨/١-٩٣)) .

(لعناً كبيراً) من الكبر ، والقراءة في ذلك عندنا بالثاء لاجماع الحجة من القراء عليها)[1].

فاكتفى الطبري بذكر الخلاف في القراءة ، ولم يوضح معنى الكثرة أو الكبر في هذا الموضع .

وقال الرازي : (وفى قوله تعالى : ضعفين ، والعنهم لعناً كثيراً معنىً لطيف، وهو أنَّ الدعاء لا يكون إلاَّ عند عدم حصول الأمر المدعو به ، والعذاب كان حاصلاً لهم ، واللعن كذلك ، فطلبوا ما ليس بحاصل ، وهو زيادة العذاب بقولهم : ضعفين، وزيادة اللعن بقولهم : لعناً كبيراً) [2] .

ولم يبين الرازي كذلك معنى الكثرة أو الكبر ، ولكنه ذكر الزيادة ، وذلك يُفيد في بيان المعنى الذي ذكره ابن منظور بقوله : نقيض القلة .

وقال الطبري – بعد أن ذكر الخلاف في القراءة هنا – : (وقراءة الباء ترجع في المعنى إلى الثاء ؛ لأنَّ ما كبر كان كثيراً عظيم المقدار) [3] .

فالقرطبي إذن يبين أن الخلاف في القراءة لا يؤثر في المعنى ؛ لأنَّ القراءتين معناهما واحد . ولم يذكر المعنى الذي أشار إليه ابن منظور .

ونحا ابن كثير منحى القرطبي في ذلك ، فبعد أن ذكر أوجه الخلاف في القراءة ، بيَّن أنَّ القراءتين قريبتان في المعنى ، لكنه لم يُفَصِّل في معناهما[4] .

أمَّا السمرقندى[5] فقد فرَّق في المعنى بين القراءتين ، حيثُ قال : (والعنهم لعناً كبيراً : قرأ عاصم وابن عامر في إحدى الروايتين (كبيراً) بالباء من الكِبَر والعِظَم ،

---

(١) جامع البيان ، للطبري ، (٥٠/٢٢) .

(٢) التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٠١/٢٥) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٥٠/١٤) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٥٢٠/٣) .

(٥) السمرقنديّ : هو نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ، أبوالليث السمرقنديّ ، إمام الهدى ، له تفسير القرآن ، كتاب النوازل في الفقه وخزانة الأكمل وتبنيه الغافلين وبستان العارفين وغيرها. توفي سنة (٣٩٣هـ) . (انظر : طبقات المفسرين ، للداوودي ، ترجمة رقم (٦٥٨) ، (٣٤٥/٢)) .

يعنى : عذبهم عذاباً عظيماً ، وقرأ الباقون : (كثيراً) من الكثرة ، يعنى : عذبهم عــذاباً كثيراً دائماً) [١] .

وقوله : (دائماً) يدلُ على معنى الدوام ، وهو ما يوافقه فيه ابن منظور .

وجوه القراءات :

قرأ عاصم : (وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنًا كَبِيرًا) بالباء الموحدة التحتية ، أي : لعناً عظيمــاً ، فالكبر مثل العظم ، والكبر وصف للفرد كالعظم . وقرأ البــاقون[٢] : (كثيــراً) بالثــاء المثلثة الفوقية ، أي : جمًّا ، فالكثرة أشبه بالمعنى ، لأنهم يلعنون مرةً بعد مرة ، وقــد جاء : (يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ)[٣] وفي هذا كثرة[٤].

المعنى العام للآية :

يخبر الله تعالى في هذه الآية عمن أطاعوا كبراءهم ورؤساءهم مــن الكــافرين ، فأضلوهم عن السبيل أنهم يدعون عليهم في الموقف فيقولون : ربنا آتهم مثل عــذابنا مرتين ، وقال قتادة : عذاب الدنيا والآخرة ، وقيل : عذاب الكفر وعذاب الإضــلال ، والعنهم لعناً كبيراً في نفسه ، شديداً عليهم ، ثقيل الموقع ، وذلك على قراءة عاصــم ، وعلى قراءة الجمهور ، أي : لعناً كثير العدد ، عظيم القدر شديد الموقع[٥] .

---

(١) بحر العلوم ، للسمرقندىّ ، (١٧/٣) .

(٢) منهم ابن كثير ونافع وأبوعمرو وحمزة والكسائى .

(انظر : زاد المسير ، لابن الجوزي ، (٤٢٤/٦)) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (١٥٩) .

(٤) انظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص ٥٨٠ .

وانظر : الحجة في القراءات السبع ، لابن خالويه ، ص ٢٩١ .

وانظر : متن حرز الأمانى ووجه التهانى (المعروف بالشاطبية) ، لأبي القاسم بن فيرة بن خلــف بــن أحمد الرعينىّ الشاطبىّ ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢هـــ ، ص ١٩٢ .

وانظر : الوافى فى شرح الشاطبية ، لعبدالفتاح القاضى ، دار السلام للطباعة والنشــر ، القــاهرة ، ط ٤ ، ١٤٢٧هـــ / ٢٠٠٦م ، ص ٢٨٣ .

(٥) انظر فتح القدير ، للشوكانىّ ، (٣٠٦/٤) .

النص رقم (٣٢)

يقول تعالى : [أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ][(١)] .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (والتَّكاثُر : المُكاثَرة ... الفرَّاء* في قوله تعالى : [أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ] : (نزلت في حَيَّيْنِ تَفاخَرُوا أيُّهم أكثْر عَدداً ، وهم بنوعبد مناف وبنو سهم ، فكثرت بنو عبد مناف بنى سهم ، فقالت بنو سهم : إنَّ البغى أهلكنا في الجاهلية ، فعادونا بالأحياء والاموات ، فَكَثَرَتَهْم بنو سهم ، فأنزل الله تعالى : [أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ] ، أي حتى زرتم الأموات) [(٢)] ، وقال غيره : ألهاكم التفاخر بكثرة العدد والمال حتى زرتم المقابر ، أي حتى متم) [(٣)]

دراسة النص :

قال الطبري في تفسير الآيتين : (يقول تعالى ذكره : ألهاكم أيها الناس المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم ، وعمَّا ينجيكم من سخطه عليكم) [(٤)].

ثم قال في موضع آخر : (وقوله : [حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ] يعنى : حتى صرتم إلى المقابر فدفنتم فيها)[(٥)].

وافق قول ابن منظور الثاني قول الطبري في معنى (التكاثر) وتفسير قوله [حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ] إلاَّ أن الطبري لم يذكر سبب نزول الآيتين الذي ذكره ابن منظور .

وذكر الرازي في تفسير هاتين الآيتين أربعة أقوال ، القول الأول وافقه في ابن منظور في قوله الأول أيضاً ، فقد ذكر فيه أن المعنى : ألهاكم التكاثر بالعدد وذكر سبب

---

(١) سورة التكاثر ، الآيتان (١ ، ٢) .

* أي : قال الفرَّاء .

(٢) معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٢٨٧/٣) .

(٣) لسان العرب ، مادة (كثر) ، (١٣٢/٥) .

(٤) جامع البيان ، للطبري ، (٢٨٣/٣٠)" .

(٥) المرجع السابق ، (٢٨٤/٣٠) .

النزول الذي أوردة ابن منظور ، ثم بيَّن أنَّ هذه الرواية مطابقة لظاهر القرآن ؛ لأنهم زاروا المقابر بسبب قساوة القلب والاستفراق في حب الدنيا ، فهم قد ذهبوا من أجل عد أمواتهم لا من أجل ترقيق القلب[١] .

وقال القرطبي : (أي شغلكم المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة الله حتى متم، ودفنتم في المقابر) [٢] ، ثم ذكر أقوالاً أخرى في معنى الآيتين ، وذكر أسباباً مختلفة لنزول الآيتين منها السبب الذي ذكره ابن منظور ، ثم قال : قلت : الآية تعم جميع ما ذكر وغيره[٣] .

وهذا يدل على موافقة ابن منظور له في قوله الثاني .

وقال ابن كثير : (يقول تعالى : أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها ، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها) [٤] .

ثم ذكر أقوالاً أخرى وأسباباً مختلفة لنزول الآيتين ليس فيها سبب النزول الذي ذكره ابن منظور[٥].

وبذلك يخالف ابن كثير ابن منظور فى كلا قوله . ولم يوافقه إلاَّ في تفسير الآية الثانية [حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ] يوافق فيها قوله الثانى .

وجوه القراءات :

أمال (ألهاكم) حمزة والكسائى وخلف ، وقلله الأزرق بخلفه[٦] .

سبب النزول :

قيل : نزلت في قبيلتين من الأنصار في بنى حارثة وبنى الحرث تفاخروا وتكاثروا ، فقالت إحداهما : فيكم مثل فلان وفلان ، وقال الآخرون مثل ذلك ، تفاخروا

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٧٣/٣٢ ، ٧٤) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٦٨/٢٠) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (١٦٨/٢٠ ، ١٦٩) .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٥٤٥/٤) .

(٥) انظر : المرجع السابق ، (٥٤٥/٤ ، ٥٤٦) .

(٦) انظر : اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، للدمياطى ، ص ٥٩٧ ، وانظر : التحفة المرضية ، لمحمد إبراهيم محمد سالم ، (٧٧٥/٢) .

بالأحياء ، ثم قالوا : انطلقوا بنا إلى القبور ، فجعلت إحدى الطائفتين تقول : فيكم مثل فلان ومثل فلان ، يشيرون إلى القبر ، وتقول الأُخرى مثل ذلك ، فأنزل الله : (ألهكم التكاثر حتى زرتم المقابر) (١) .

وقيل : نزلت في بنى عبد مناف وبنى سهم ، تفاخروا أيهم أكثر عدد ، فكثرهم بنو عبد مناف ، فقالت : بنو سهم : إنَّ البغى أهلكنا في الجاهلية : فعادونا بالأحياء والأموات ، فكثرتهم بنو سهم(٢).

المعنى العام للآيتين :

يقول تعالى : شغلكم التبارى في الكثرة والتباهى بها ، بأن يقول هؤلاء : نحن أكثر ، وهؤلاء : نحن أكثر ، حتى إذا استوعبتم عدد الأحياء صرتم إلى المقابر وذكرتم من فيها فتكاثرتم بالأموات . وقيل : المراد ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متم وقبرتم منفقين أعماركم في طلب الدنيا والاشتياق إليها والتهالك عليها وأولى بكم العمل لأخرتكم(٣) .

النص رقم (٣٣)

يقول تعالى : [إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ](٤) .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (وجاء في التفسير أن الكوثر القرآن والنبوة . وفي التنزيل العزيز : [إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ] ، قيل : الكوثر ههنا : الخير الكثير الذي يعطيه الله أُمته يوم القيامة ، وكله راجع إلى معنى الكثرة . وفي الحديث عن النبي ﷺ يوم القيامة أن الكوثر نهر في الجنة أضد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، في حافتيه قباب

---

(١) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ٢٣٤ .

(٢) انظر : أسباب النزول : للواحدىّ ، ذيل بالمصحف الشريف ، ص ٥٠٦ .

(٣) انظر : روح المعاني ، للألوسى ، (٢٢٣/٣٠ ، ٢٢٤) .

(٤) سورة الكوثر ، الآية (١) .

الدر المجوف[١] ، وجاء أيضاً في التفسير أن الكوثر : الإسلام والنبوة ، وجميع ما جاء في تفسير الكوثر قد أعطيه النبي ﷺ) [٢] .

دراسة النص :

ذكر ابن جرير اختلاف أهل التأويل في معنى الكوثر ، فأورد قول من قال هو : نهر في الجنة أعطاه الله نبيه محمداً -ﷺ- وقول من قال هو الخير الكثير ، وقول من قال هو القرآن والحكمة ، والنبوة والإسلام ، وقول من قال : هو حوض أُعطيه رسول الله في الجنة[٣] .

ثم قال : (وأولى هذه الأقوال بالصواب عندى قول من قال : هو اسم النهر الذي أُعطيه رسول الله في الجنة وصفه الله بالكثرة لعظم قدره ... ذلك لتتابع الأخبار عن رسول الله بأنّ ذلك كذلك) [٤] .

فابن منظور ذكر هذه الأقوال في معنى الكوثر دون أن يختار أحدها ، وأمَّا ابن جرير فقد ذكرها ، ثم رجَّح أنَّ المراد بالكوثر هنا هو النهر الذي أُعطيه رسول الله -ﷺ- في الجنة .

---

(١) أخرج البخاري من حديث أنس ﷺ قال : لما عُرج بالنبي ﷺ إلى السماء ، قال : أتيتُ على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفاً ، فقلت : ما هذا ياجبريل ؟ قال هذا الكوثر) .

أخرجه في ٦٨ – كتاب التفسير ، ٤٦١ – تفسير سورة [إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ] ، حديث رقم (٤٦٨٠) ، (٤/١٩٠٠) وأخرج الحاكم في المستدرك من حديث ابن عمر ﷺ يقول : لمّا نزلت [إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ] ، قال رسول الله ﷺ هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب يجرى على الدر والياقوت ، شرابه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، فقال : صدق والله ابن عباس هذا والله الخير الكثير . أخرجه في ٣١– كتاب معرفة الصحابة ، ٢٢٣ – ذكر مناقب عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب ﷺ حديث رقم (٦٣٠٨) ، (٣/٦٢٥) . انظر : المستدرك على الصحيحين ، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابورى ، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .

(٢) لسان العرب ، مادة (كثر) ، (٥/١٣٣) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٣٠/٣٢٠) .

(٤) المرجع السابق ، (٣٠/٣٢٣) .

أما الرازي فقد ذكر خمسة عشر قولاً للعلماء في معنى الكوثر ، منها الأقوال التي أوردها ابن منظور * ، وقال في تفسير هذه الآية : [إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ] أي : الخير الكثير في الدنيا والدين) [1] .

وذكر القرطبي كذلك ستة عشر قولاً في معنى الكوثر الذي أُعطيه النبي – ﷺ – ثم رجع منها القول الأول والثاني وهما : إنَّ الكوثر نهر في الجنة ، وهو حوض النبي – ﷺ – في الموقف . قال القرطبي : (قلتُ : أصح هذه الأقوال : الأول والثاني ، لأنه ثابت عن النبي – ﷺ – نص في الكوثر ... وجميع ما قيل بعد ذلك في تفسيره قد أُعطيه رسول الله – ﷺ – زيادة على حوضه ﷺ تسليماً كثيراً) [2] .

ورجَّح ابن كثير كذلك من الأقوال أنَّ المراد بالكوثر النهر الذي أُعطيه النبي – ﷺ – في الجنة وهو الحوض[3] .

وجمع السيوطي[4] عدداً من الأقوال في معنى الكوثر ، حيثُ قال في تفسير الآية: (إنا أعطيناك يا محمد الكوثر ، هو نهر في الجنة هو حوضه ترد عليه أُمته ، والكوثر : الخير الكثير من النبوة والقرآن والشفاعة ونحوها) [5] .

وجوه القراءات :

قرأ العامة من الجمهور (إنا أعطيناك) بالعين ، وقرأ طلحة بن مصرف وابن محيصن : [أنطيناك] بالنون ، وهى قراءة مروية عن رسول الله – ﷺ – ، وهي لغة في العطاء ، أنطيته : أعطيته[6] .

---

* زاد الرازي على ما أورده ابن منظور من الأقوال في معنى الكوثر أنَّ المراد به الحوض ، وقيل : أولاده ﷺ وقيل : علماء أُمته ، وقيل كثرة الاتباع والأشياع ، وقيل : الفضائل الكثيرة التي فيه ، وقيل : رفعة الذكر ، وقيل : العلم ، وقيل : الخلق الحسن ، وقيل المقام المحمود، وقيل : المراد به هذه السورة ، وقيل : جميع نعم الله تعالى على محمد ﷺ عليه السلام.(انظر : التفسير الكبير، للرازي،(١١٦/٣٢ – ١٢٠)).

(١) المرجع السابق ، (١١٣/٣٢) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢١٦٥/٢٠–٢١٨) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٥٥٩/٤) .

(٤) السيوطي : هو الحافظ جلال الدين ، أبوالفضل ، عبدالرحمن بن أبي أبكر بن محمد ، السيوطي ، الشافعيّ ، المسند ، المحقق ، الموقف ، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة ، أخذ عن الجلال المحلي والزين العتبى ، ولد سنة (٨٤٩هـ) . وتوفى سنة (٩١١هـ) .

(انظر : شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلى ، (٥١/٨)) .

(٥) تفسير الجلالين للمحلي والسيوطي ، ص ٨٢٤ .

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢١٦/٢٠) .

وانظر : البحر المحيط ، لأبى حيان ، (٥٢٠/٨) .

سبب النزول :

قيل في سبب نزول هذه السورة : إنَّه لمَّا مات إبراهيم ولد النبي ﷺ قالت قريش : أصبح محمد أبتر ، فغاظه ذلك ، فنزلت : [إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ] تعزية له(١) .

المعنى العام للآية :

[إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ] ، الكوثر : الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين ، وروى عنه ﷺ أنه نهر في الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير ، وقيل : حوض فيها ، أو أولاده وأتباعه ، أو علماء أُمته والقرآن العظيم والإسلام والنبوة وقيل غير ذلك(٢).

النص رقم (٣٤)

يقول تعالى : [وَأَعۡطَىٰ قَلِيلًا وَأَكۡدَىٰٓ](٣) .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (وكَدَى الرجلُ يَكْدِي وأكْدَى : قلَّلَ عطاءه ، وقيل : بخل . وفي التنزيل العزيز : [وَأَعۡطَىٰ قَلِيلًا وَأَكۡدَىٰٓ] ، وقيل : أي وقطع القليل ، قال الفرَّاء : أكدى : أمسك من العَطِيَّة وقَطَعَ(٤) ، وقال الزجَّاج : معنى أكْدَى : قطع ، وأصله من الحفر في البئر ، يُقال للحافر إذا بلغ في حفر البئر إلى حجر لا يُمَكِّنه من الحفر : قد بلغ إلى الكُدْية : وعند ذلك يقطع الحفر(٥))(٦).

---

(١) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ٢٣٦ .

(٢) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للبيضاويّ ، (٥/٥٣٦) ، وانظر : زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي ، (٩/٢٤٨ ، ٢٤٩) .

(٣) سورة النجم ، الآية (٣٤) .

(٤) الذي وجدته في كتاب الفراء في معنى أكدى أنه قال : أي أَعطى قليلاً ، ثم أمسك عن النفقة . (انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٣/١٠١)) .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٥/٦١) .

(٦) لسان العرب ، مادة (كدا) ، (١٥/٢١٦) .

دراسة النص :

وافق ابن منظور الإمام ابن جرير في ذلك ، حيثُ قال ابن جرير في تفسير هـذه الآية والتى قبلها ما نصه : (يقول تعالى ذكره : أفرأيت يا محمد الذي أدبر عن الإيمان بالله ، وأعرض عنه ، وعن دينه ، وأعطى صاحبه قليلاً من ماله ، ثم منعه فلم يعطه فبخل عليه) [١] .

كما وافق ابن منظور الرازي الذي قال : (أكدى ، قيل : هو من بلـغ الكُدْيَـةَ ، وهى الأرض الصلبة لا تحفر ، وحافر اللبئر إذا وصل إليها فامتنع عليه الحفر أو تعسر ، يقال : أكدى الحافر ، والأظهر أنه الرد والمنع ، يقال : أكديته ، أي : رددته) [٢] .

وكذا وافق القرطبي حيث قال : (أكدى : من الكُدْية . يُقال لمن حفر بئراً ثم بلـغ إلى حجر لا يتهيأ له فيه حفر : قد أكدى ، ثم استعملته العرب لمن أعطى ولم يـتمم ، ولمن طلب شيئاً ولم يبلغ آخرة ... وقولـه : (وَأَعۡطَى قَلِيلاً وَأَكۡدَىٓ) ، أي : قطـع القليل) [٣] ووافقه بان كثير ، حيث نقل قولاً لابن عباس في معنـى الآيـة ، وهـو أنَّ المعنى : أطاع قليلاً ثم قطعه[٤].

وذكر ابن الجوزى في معنى الآية أربعة أقوال ، قال : (أحدها : أطاع قليلاً ثـم عصى ، قاله ابن عباس ، والثاني : أعطى قليلاً ثم من نفسـه بالاسـتماع ثـم أكـدى بالانقطاع ، قاله مجاهد ، والثالث : أعطى قليلاً من ماله ثم منـع ، قالـه الضـحاك ، والرابع ك أعطى قليلاً من الخير بلسانه ثم قطع ، قاله مقاتل) [٥] .

فابن الجوزى وإن ذكر أربعة أقوال في معنى الآية ــ إلاَّ أنَ ابن منظور لا يخالفه في معنى قوله : (وأكدى) ، فهو بمعنى قطع أو منع عند كليهما .

(١) جامع البيان ، للطبري ، (٧٠/٢٧) .

(٢) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٢/٢٩) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١١٢/١٧) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٥٨/٤) .

(٥) زاد المسير ، لابن الجوزي ، (٧٨/٨) .

سبب النزول :

ذكر السيوطي في سبب نزول الآيات من قوله : (أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ) إلى قوله: (ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ)[١] أنَّ النبي ﷺ خرج في غزوة ، فجاء رجل يُريد أن يُحمل، فلم يجد ما يخرج عليه ، فلقى صديقاً له، فقال: أعطنى شيئاً، فقال: أعطيك بَكْرى[٢] هذا على أن تتحمل ذنوبى ، فقال له : نعم ، فأنزل الله : (أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ) الآيات[٣] .

وذكر الواحديّ أنَّها نزلت في الوليد بن المغيرة[٤] ، وكان قد اتَّبع رسول الله ﷺ على دينه ، فعيَّره بعض المشركين ، وقال : لم تركت دين الأشياخ وضللتهم ، وزعمت أنهم في النار؟ قال : إنّي خشيت عذاب الله – سبحانه وتعالى – فأعطى الذي عاتبه بعض ماكان ضمن له ، ثمّ بخل ومنعه ، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٥] .

المعنى العام للآية :

يقول تعالى: (أَفَرَءَيْت ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ * وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ * أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ)[٦] أي : أعلمت وأخبرت شأن الذي تولى عن الخير ، وأعرض عن اتباع الحق ، وأعطى قليلاً من المال ، ثم أحجم عن العطاء في سبيل أن يتحمل عنه غيره وزره ، أو كما قال ابن عباس : أطاع قليلاً ثم قطعه ، أفعند هذا الكافر الذي آثر الكفر على الإيمان علم ما غاب عنه من أمر العذاب ، فهو يعلم أن صاحبه يتحمل عنه أوزاره يوم القيامة ؟ ليس الأمر كما يظن[٧] .

---

(١) سورة النجم ، الآيات (٣٣ – ٤١) .

(٢) بَكْرِي : البَكْرُ (بالفتح) الفَتِيُّ من الإبل ، والأُنثى بَكْرَة .

(انظر : المصباح المنير : لأحمد بن محمد المقرى الفيوميّ ، (٥٩/١) ، وانظر : مختار الصحاح ، لمحمد ابن أبى بكر الرازي ، ص ٢٥) .

(٣) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ٢٠١ .

(٤) الوليد بن المغيرة : هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، يكنى أبا شمس ، كان يكسو البيت وحده، من المستهزئين،وكان أشد الأذى على النبي ﷺ وكان يقول: أصلح ما قيل في النبي أنه ساحر؛ لأنه يفرق بين المرء وأخيه وزوجته. مات بعد ثلاثة أشهر من الهجرة ودفن بالحجون.

(انظر : الكامل في التاريخ ، لأبي الحسن على بن محمد الشيبانىّ ، (٥٩٢/١ ، ٥٩٣)) .

(٥) انظر : أسباب النزول ، للواحدىّ ، ذيل بالمصحف الشريف ، ص (٤١٥ ، ٤١٦) .

(٦) سورة النجم ، الآيات (٣٣ – ٣٥) .

(٧) انظر : التفسير المنير ، لوهبة الزحيلى ، مج١٤ ، (١٣٩/٢٧) .

النص رقم (٣٥) :

يقول تعالى : [وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ ...][١] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (الكَذِبُ : نقيض الصدق ... ، والكُذُبُ : جمع كَذُوب ، مثل : صَبُور وصُبُر ، ومنه قرأ بعضهم : (وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ) فجعله نعتاً للألسنة)[٢] .

دراسة النص :

ذكر الطبري اختلاف القراء في قراءة قوله (الكذب) ، فأورد لهم ثلاث قراءات في ذلك ، منها القراءة التي ذكرها ابن منظور ، وهى (الكُذبُ) بالرفع ، وبيَّن أنَّ (الكُذُب) على هذه القراءة يكون من صفة الألسنة ، وهو جمع كذوب ، مثل : شكُور وشُكُر[٣] .

وعلى هذا يوافقه ابن منظور .

أمَّا الرازي فلم يذكر أوجه القراءات هنا ، وإنَّما فسَّر الآية على قراءة العامة ، وهى انتصاب الكذب ، فذكر في المعنى وجهين[٤] .

ونحا القرطبي منحى ابن جرير في ذلك فذكر القراءات الثلاث ، منها القراءة التي ذكرها ابن منظور ، وهى : (الكُذُبُ) بضم الكاف والذال والباء ، وبين أنَّ ذلك نعتٌ للألسنة[٥] ، فوافقه ابن منظور في ذلك .

ونحا ابن كثير والواحدىّ منحى الرازي في ذلك ، فلم يذكرا إلاّ قراءة العامة ، وفسرا عليها الآية ، وهى القراءة بنصب (الكَذِبَ)[٦] .

---

(١) سورة النحل ، الآية : (١١٦) . وتمام الآية : [وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ] .

(٢) لسان العرب ، مادة (كذب) ، (١/٧٠٤ ، ٧٠٥) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٤/١٨٩) .

(٤) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٠/١٠٥ ، ١٠٦) .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٠/١٩٦) .

(٦) انظر : تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢/٥٩١) ، وانظر : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدىّ ، تحقيق : صفوان عدنان داوودى ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٥هـ، (١/٦٢٢) .

وعلى هذا فلا وجه للمقارنة بينهم وبين ابن منظور في ذلك .

وجوه القراءات :

اختلفوا في قراءة قوله (الكذب) على وجوه ، فقرأ عامة قراء الحجاز والعراق (الجمهور) بالنصب ، أي (الكَذِبَ) على أنه مفعول به، وناصبه (تصف) وما : مصدرية، وقرأ الحسن البصرى[1] بخفض (الكَذِبِ) على أنه بدل من الموصول، وحكى عن بعضهم أنَّه قرأ بضم الكاف والذال والباء، أي : (الكُذُبُ) على أنَّه صفة للألسنة[2] .

المعنى العام للآية :

لا تقولوا أيها المشركون في شأن ما تصفه ألسنتكم من الكذب هذا حلال وهذا حرام ، من غير دليل ولا برهان ، لتفتروا على الله الكذب ، أي : لتكذبوا على الله بنسبة ذلك إليه . إنَّ الذين يختلقون الكذب على الله لا يفوزون ولا يظفرون بمطلوبهم ، لا في الدنيا ولا في الأخرة[3] .

النص رقم (٣٦)

يقول تعالى [حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ...][4]

التفسير اللغويّ :

ذكر ابن منظور في قوله (كذبوا) ثلاث قراءات ، فقراءة أهل المدينة وقراءة عائشة – رضي الله عنها – بالتشديد وضم الكاف ، أي : (كُذِّبُوا) ، رُوى عن عائشة – رضي الله عنها – ﵂ أنها قالت : لمَّا استيأس الرسل ممن كَذَّبَهم من قومهم أن يُصَدّقُوهم ، وظنت الرسل أنَّ من قد آمن من قومهم قد كَذَّبُوهم جاءهم نصرنا .

---

(١) الحسن البصريّ : هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصريّ ، كان من سادات التابعين وكبرائهم، وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة ، ومولد السحن بالمدينة المنورة لسنتين بقيتا من خلافة سيدنا عمر بن الخطاب – ﵁ – ، وتوفي بالبصرة سنة (١١٠هـ) .

(انظر : وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، (٦٩/٢ – ٧٣) .

(٢) انظر : اتحاف فضلاء البشر ، للدمياطى ، ص ٣٥٤ ، وانظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٨٩/١٤) .

(٣) انظر : صفوة التفاسير ، لمحمد علي الصابونىّ ، (١٤٢/٢) . وانظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٣٦٢ .

(٤) سورة يوسف ، الآية (١١٠) . وتمام الآية : [حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ] .

وقراءة عاصم وحمزة والكسائى: (كُذِبُوا) بالتخفيف . وروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنَّه قال في معناها : كانوا بشراً – يعنى الرسل – يذهب إلى أنَّ الرسل ضَعُفُوا ، فظنوا أنهم قد أخلفوا . قال أبو منصور : إن صحَّ هذا عن ابن عباس فوجهه عندى ، والله أعلم أنَّ الرسل خطر في أوهامهم ما يخطر في أوهام البشر من غير أن حقَّقُوا تلك الخواطر ، ولا ركنوا إليها ، وقد رُوى عن ابن عباس أيضاً أنَّه قال : حتى إذا استيأسَ الرسلُ من قومهم الإجابة ، وظنَّ قومُهم أنَّ الرُسُل قد كَذَبهم الوعيد . قال ابن منصور : وهذه الرواية أسلم .

وقرأ بعضهم : (وظنوا أنهم قد كَذَبُوا) ، أي : ظنَّ قومهم أنَّ الرسل قد كَذَبُوهم .

قال أبو منصور : وأصح الأقاويل ما روينا عن عائشة – رضي الله عنها – [1] .

دراسة النص :

ذكر ابن جرير كذلك القراءات الثلاث ، وبيَّن المعنى على كل قراءة عند أهل التأويل ، واختار منها القراءة بالتخفيف : (كُذِبُوا) ، وذكر أنَّ المعنى على هذه القراءة أنَّ الرسل لمَّا يئسوا من قومهم أن يؤمنوا بالله ، ويصدقوهم فيما أتوهم به ، وظنَّت الأُمم المكذبة من المُرسل إليهم أنَّ الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم عن الله من وعده إياهم نصرهم عليهم جاءهم نصرنا[2] .

وعلى هذا يخالفه ابن منظور في بيان معنى الآية على هذه القراءة ، فابن منظور يذكر معنى الآية على القراءة الثالثة (كَذَبُوا) بما فسر به ابن جرير الآية على قراءة التخفيف (كُذِبُوا) .

وأمَّا الرازي فقد ذكر قراءتين فقط ، وهما : القراءة بالتخفيف (كُذِبُوا) ، والقراءة بالتشديد (كُذِّبُوا) ، وذكر وجهين في معنى الآية على كل قراءة ، أمَّا هو فقد اختار القراءة بالتشديد ، وأنَّ الظن في الآية يعنى الحسبان ، أي : إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم ، فظن الرسل أن الذين آمنوا بهم كذبوهم ، وذكر أنَّ هذا التأويل منقول عن عائشة – رضي الله عنها – وهو أحسن الوجوه المذكورة في الآية[3] .

وبهذا يوافقه ابن منظور في معنى الآية على هذه القراءة .

---

(١) انظر : لسان العرب ، مادة (كذب) ، (١/٧٠٥ ، ٧٠٦) ، وانظر : تهذيب اللغة ، لأبي منصور الأزهرى ، مادة (كذب) ، (١٠/١٦٨ ، ١٦٩) .

(٢) انظر: جامع البيان ، للطبري ، (١٣/٨٢-٨٩) .

(٣) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٨/١٨٠ ، ١٨١) .

وذكر القرطبي القراءات الثلاث ، وبيَّن معنى الآية على كل قراءة ، واختار قراءة السيدة عائشة – رضي الله عنها – بالتشديد ، أي (كُذِّبُوا) ، وأنَّ المعنى على هذه القراءة : أنَّ الرسلَ أيقنوا أنَّ قومهم كَذَّبُوهم ، وقيل : المعنى حسبوا أنَّ من آمن بهم من قومهم كذبوهم ، لا أنَّ القوم كَذَّبُوا ، فيكون (وظنوا) على بابه في هذا التأويل ، ثُمَّ بيَّن القرطبي أنَّ هذه القراءة الأولى(١) .

وعلى هذا يخالفه ابن منظور في معنى الآية على هذه القراءة ؛ لأنه ذكر المعنى الذي بيَّنه ابن منظور في قراءة التشديد على أنَّه قولٌ آخر وليس قوله .

أمَّا ابن كثير فقد ذكر كذلك القراءات الثلاث في قوله (كذبوا) ، وبيَّن المعنى الوارد على كل قراءة ، ثم لم يختر أحدى القراءات ، ولم يرجِّح شيئاً في معنى الآية(٢).

وأورد السمعاني كذلك القراءات الثلاث ، وذكر في معنى الآية على قراءة التخفيف قولين : أحدهما ما روى عن ابن عباس أنَّه قال : ضعفت قلوب الرسل – وقد كانوا بشراً – بتطاول الزمان وكثرة الإمهال ، والقول الثاني وهو منقول أيضاً عن ابن عباس – أنَّ معنى الآية : وظنَّ من آمن بالرسل أنَّ الرسل قد كُذِبُوا (بالتخفيف) ، أو ظن القوم الذين بُعث إليهم أنَّ الرسل قد كُذِبوا (بالتخفيف) . وبيَّن السمعاني أنَّ هذا القول الثاني هو الصحيح(٣) .

وعلى هذا يوافقه ابن منظور في معنى الآية على هذه القراءة .

وجوه القراءات :

قرأ ابن كثير في رواية البزيّ(٤): (حتى إذا استايس) بغير همز ، وتقديم الألف ، والأصل الهمز ؛ لأنه من اليأس ، والعرب تقول : يئست ، وأَيست ، لغتان ، فمن قال (استايس) بغير همز ، فهي على لغة من يقول : أَيستُ ، نقل العين إلى موضع الفاء .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٧٥/٩-٢٧٧) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٩٨/٢ ، ٤٩٩) .

(٣) انظر : تفسير القرآن ، للسمعاني ، (٧٣/٣) .

(٤) البزىّ : هو أحمد بن محمد بن عبدالله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة ، أبوالحسن البزىّ المكىّ ، قارئ مكة ، ومؤذن المسجد الحرام ، ومولى بنى مخزوم . ولد سنة (١٧٠هـ) . قرأ على ابن كثير . وتوفى البزىّ سنة (٢٥٠هـ) رحمه الله تعالى .

(نظر : معرفة القراء الكبار ، لشمس الدين الذهبى ، (١٧٣/١-١٧٨)) .

وقرأ الباقون (حتى إذا استيأس) بالهمز ، من اليأس ، على لغة من يقول: يئست ، فالياء فاء الفعل ، والهمز عينه .

وقرأ أهل الكوفة : (وظنوا أنهم قد كذِبُوا) بالتخفيف ، من قولك : كذبتك الحديث أي : لم أصدقك ، وقرأ أهل الحجاز والبصرة والشام (كُذِّبُوا) بالتشديد[١] .وقرأ مجاهد والضحاك وابن عباس (كَذَبُوا) بفتح الكاف والذال[٢] .

المعنى العام للآية :

اختلف القراء في قراءة قوله (كذبوا) ، فقرأ أهل الكوفة بالتخفيف ، وكانت عائشة – رضي الله عنها – تنكر هذه القراءة ، وقرأ الآخرون – وفيهم عائشة – بالتشديد ، فمن شدَّده ، قال : معناه حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم ، وظن الرسل ، أي : أيقنوا أنَّ الأُمم قد كَذَّبوهم تكذيبا ، وهذا يعنى قول قتادة ، وقال بعضهم : معناه : حتى إذا استيأس الرسل ممن كَذَّبهم من قومهم أن يصدقوهم ، وظنوا أن من آمن بهم من قومهم قد كَذَّبوهم ، وارتدُّوا عن دينهم لشدة المحنة والبلاء عليهم استبطاءً للنصر ، ومن قرأ بالتخفيف قال : معناه : حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم ، وظنَّ قومُهم أن الرسل قد كذبتهم في وعيد العقاب ، وروى عن ابن عباس أنَّ معناه : ضعف قلوبهم ، يعنى : وظنَّت الرسل أنهم قد كذبوا فيما وعدوا من النصر ، وكانوا بشراً فضعفوا ويئسوا ، وظنوا أنهم قد أُخلفوا* ، جاء الرسل نصرنا فنجى من نشاء عن نزول العذاب وهم المؤمنون المطيعون ، وقراءة العامة بنونين ، أي نحن ننجى من نشاء ، وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب بنون واحدة مضمومة ، ولا يُرد بأسنا ، أي عذابنا عن القوم المشركين[٣] .

---

(١) انظر:حجة القراءات، لابن زنجلة، ص (٣٦٦ ، ٣٦٧).وانظر:تحبير التيسير، لابن الجزرىّ ص ١٢٨

(٢) انظر : المحرر الوجيز ، لابن عطية ، (٣/٢٨٧) .

* وهذا القول من أضعف الأقوال ، وأبعدها عن الصواب ، لأنه يتنافى مع عصمة الأنبياء ومكانتهم ، فلا ينبغى الأخذ به .

(٣) انظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٢/٤٥٥) .

النص رقم (٣٧)

يقول تعالى : [لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ][1] .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (وقوله تعالى : (لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ) . قال الزجَّاج : أي ليس يَرُدُّها شيءٌ ، ... قال : وكاذبة : مصدر ، كقولك : عافاهُ اللهُ عافيةً ، وعاقَبَه عاقِبةً ، وكذلك كَذَبَ كاذبةً ، وهذه أسماء وضعت موضع المصادر[2] ... وقال الفرَّاء : ليس لوَقْعَتِها كاذبةٌ ، أي : ليس لها مُرْدُودٌ ولا رَدٌّ[3])[4] .

دراسة النص :

وافق ابن منظور الإمام الطبري في ذلك ، فقد قال الطبري في تفسير هذه الآية : (وقوله : [لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ] ، يقول تعالى : ليس لوقعة الواقعة تكذيب ولا مردودية ، ولا مثنوية ، والكاذبة في هذا الموضع مصدر مثل العاقبة والعافية) [5] .

ولم يفسر الرازي قوله (كاذبة) إلاَّ بقوله : (فلا يوجد لها كاذبة ، ولا متأول يظهر ... فيكون كما يقول القائل : ليس في الأمر شك ولا خطأ) [6] .

وهذه العبارات وإن خالفها ابن منظور من حيث اللفظ ، إلاَّ أنها تؤدى ذات المعنى الذي ذكره .

وذكر القرطبي أن الكاذبة مصدر بمعنى الكذب ، وقيل : الكاذبة صفة ، والموصوف محذوف ، أي : ليس لوقعتها حال كاذبة ، أو نفس كاذبة ، أي كل من يخبر عن وقعتها صادق ، ثم نقل قول الزجَّاج الذي أورده ابن منظور ، أي : لا يردها شيء[7].

---

(١) سورة الواقعة ، الآية (٢) .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٨٥/٥) .

(٣) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (١٢١/٣) .

(٤) لسان العرب ، مادة (كذب) ، (٧٠٦/١) .

(٥) جامع البيان ، للطبري ، (١٦٦/٢٧) .

(٦) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٢٣/٢٩) .

(٧) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٩٥/١٧) .

وبهذا تتبين لنا مخالفة ابن منظور له في ذلك .

وقال ابن كثير في معنى الآية : (أي ليس لوقوعها إذا أراد الله كونها صارف يصرفها ، ولا دافع يدفعها،كما قال تعالى:[ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ][1]،وقال:(سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ * لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ)[2] .... ومعنى كاذبة – كما قال محمد بن كعب – : لا بدَّ أن تكون ، وقال قتادة : ليس فيها مثنوية ولا ارتداد ولا رجعة) [3] .

فوافق ابن كثير ابن منظور في ذلك .

وخالف ابن منظور الإمام البيضاوى[4] في ذلك : حيث قال البيضاوى في تفسير هذه الآية : (أي : لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله تعالى ، أو تكذب في نفيها ، كما تكذب الآن ... أو : ليس لأحد في وقعتها كاذبة ، فإنه من أخبر عنها صدق ، أو : ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها بإطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها ، من قولهم : كذبت فلاناً نفسه في الخطب العظيم إذا شجعته عليه ، وسولت له أنه يطيقه) [5] .

المعنى العام للآية :

يخبر الله تعالى في الآيتين الأولى والثانية من سورة الواقعة أنَّ القيامة إذا قامت، وسميت القيامة الواقعة لصوتها ، وهى النفخة الأخيرة ، وقيل : هي الصيحة ، أسمعت

---

(١) سورة الشورى ، الآية (٤٧) .

(٢) سورة المعارج ، الآيتان (١ ، ٢) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤/٢٨٣) .

(٤) البيضاويّ : هو القاضي ناصر الدين ، أبو الخير ، عبد الله بن عمر بن محمد بن على ، قاضى القضاة ، البيضاويّ، نسبة إلى البيضاء من بلاد فارس ، الشافعيّ ، صاحب المصنفات ، وعالم أذربيجان ، ولى قضاء شيراز ومن تصانيفه : الطوالع في علم الكلام ، ومختصر الكشاف ، والغاية القصوى في رواية الفتوى ، وغير ذلك . توفى بمدينة تبريز سنة (٦٩١هـ) ، وقيل : سنة (٦٨٥هـ) .

(انظر : شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبليّ ، (٥/٣٩٢ ، ٣٩٣) ، وانظر : طبقات الشافعية الكبرى ، للسبكيّ ، (٨/١٥٧ ، ١٥٨)).

(٥) أنوار التنزيل ، للبيضاويّ ، (٥/٢٨٣) .

القريب والبعيد ، ليس لوقعتها كاذبة ، يعنى : ليس لها مثنوية ولا ارتداد ولا خلف ، ويُقال ليس لقيامها تكذيب[1] .

النص رقم (٣٨)

يقول تعالى : [مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ][2]

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (وقوله تعالى : (مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ) ، يقول : ما كَذَبَ فُؤَادُ محمد ما رأى ، يقول : قد صَدَقَهَ فؤاده الذي رأى . وقُرِئَ : ما كَذَّبَ الفؤادُ ما رأى ، وهذا كله قول الفرَّاء[3]. وعن أبي الهيثم[4] : أي لم يَكْذب الفؤادُ رُؤْيَته ، (وما رأى) بمعنى الرؤية ، كقولك : ما أنكرتُ ما قال زيدٌ ، أي : قول زيد . ويُقال : كَذَبني فلانٌ ، أي : لم يَصْدُقْني فقال لي الكذب ... يقول : ما أُوْهَمه الفُؤَادُ أنه رَأى ، ولم يَرَ ، بل صَدَقَه الفُؤادُ رُؤْيَتَه) [5] .

دراسة النص :

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية : (يقول تعالى : ما كذب فؤاد محمَّد محمداً الذي رأى ، ولكنه صدقه) [6] .

فوافقه ابن منظور في ذلك .

وذكر الرازي في معنى قوله (ما كذب) بمعنى الوجوه ، (فقال : (الوجه الأول : ما قاله الزمخشري ، وهو أنَّ قلبه لم يكذب ، وما قال : إنَّ ما رآه بصرك ليس بصحيح

---

(١) انظر : بحر العلوم ، للسمرقندىّ ، (٣/٣٦٩) .

(٢) سورة النجم ، الآية (١١) .

(٣) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٣/٩٦) .

(٤) أبي الهيثم : هو القاضى أبو الهيثم عتبة بن خيثمة بن محمد بن حاتم النيسابورىّ الحنفى ، شيخ الحنفية ، نعمان زمانه ، وصار أوحد عصره في المذهب ، بقى إلى حدود نيف وثمانين وثلاث مئة .

(انظر : سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، (١٣/١٧ ، ١٤)) .

(٥) لسان العرب ، مادة (كذب) ، (١/٧٠٦) .

(٦) جامع البيان ، للطبري ، (٢٧/٤٧) .

... وهو قريب ممَّا قاله المبرد ، حيثُ قال : معناه : صدق الفؤاد فيما رأى ... الثاني : قرئ : (ما كَذَّبَ الفُؤَادُ) بالتشديد ، ومعناه : ما قال إنَّ المرئى خيال لا حقيقية له) [١] .

وكذا قال القرطبي : ((ما كَذَّبَ) بالتشديد ، أي : ما كذب قلب محمد ما رأى بعينه تلك الليلة ، بل صدقه ... الباقون مخففاً ، أي : ما كَذَبَ فؤاد محمد فيما رأى) [٢] .

وهذا يَدُلُّ على موافقة ابن منظور لهما في ذلك .

أمَّا ابن كثير فلم يتعرض لتفسير قوله (ما كذب) ، وإنَّما تكلم مباشرة عن خلاف العلماء فيما رآه النبي ﷺ تلك الليلة[٣] .

وعلى هذا فلا وجه للمقارنة بينه وبين ابن منظور في ذلك .

ووافق ابن منظور ابن الجوزى الذي ذكر القراءتين في قوله : (ما كذب) بالتشديد والتخفيف ، وبينَّ أنَّ من شدَّد أراد ما أنكر فؤاده ما رأته عينه ، ومن خفف أراد ما أوهمه فؤاده أنَّه رأى ، ولم ير ، بل صدق الفؤاد رؤيته[٤] .

وجوه القراءات :

قرأ هشام بن عمَّار[٥] : (ما كَذَّب الفؤاد) بتشديد الذال ، وقرأ الباقون بتخفيفها[٦] .

المعنى العام للآية :

(مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ) على قراءة جمهور القراء بالتخفيف ، معناها : لم يكذب قلب محمد – ﷺ – الشيء الذي رأى ، بل صدقه وتحققه نظراً . قال أهل التأويل ومنهم ابن عباس : رأى الله – تعالى – بفؤاده ، وقال جماعة آخرون من المتأولين : المعنى ما رأى بعينه لم يكذب ذلك قلبه ، بل صدقه وتحققه وهو معنى

---

(١) التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٨/٢٤٩) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٧/٩٣) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤/٢٥٠-٢٥٤) .

(٤) انظر : زاد المسير ، لابن الجوزي ، (٨/٦٨) .

(٥) هشام بن عمَّار : هو هشام بن عمَّار بن نصير بن ميسرة ، أبوالوليد السلميّ ، ويقال : الظفريّ الدمشقي ، شيخ أهل دمشق ومفتيهم وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم . أخذ القراءة عن عبدالله بن عامر اليحصبيّ . وثقه يحيى بن مبعين ، وقال النسائى : لا بأس به . ولد سنة (١٥٣هـ) ، ومات سنة (٢٤٥هـ) . (انظر : معرفة القراء الكبار ، لشمي الدين الذهبي ، (١/١٩٥) ، وانظر : الوافى الوفيات ، للصفدى ، (٢٦/٥٦)) .

(٦) انظر : التيسير في القراءات السبع ، لأبي عمرو عثمان بن سعيد ابن عمرو الدانىّ ، تحقيق : أوتوتريزل، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م ، ص ٢٠٤ .

قراءة التشديد عن هشام ، وقال ابن عباس – فيما روى عنه – وكعب الأحبار : أن محمداً رأى ربه بعيني رأسه ، وأبت ذلك السيدة عائشة – رضي الله عنها – وقالت : لقد قفَّ شعري من سماع هذا(١) ، وتلت : [لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ](٢) ، وذهبت هي وابن مسعود وقتادة وجمهور العلماء إلى أنَّ المرئى هو جبريل – عليه السلام – في المرتين ، في الأرض وعند سدرة المنتهى ليلة الإسراء(٣) .

ومبحث الرؤية من أكثر مباحث العقيدة التي ثار حولها الجدل ، وممَّن خالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة ، ومن تبعهم من الخوارج والإمامية ، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة ، وقد قال يثبتون رؤية الله – تعالى – في الآخرة الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين ، وأهل الحديث وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة .

واتفقت الأمة على أنَّه لا يرى الله أحدٌ في الدنيا بعينه ، ولم يتنازعوا في ذلك إلاَّ في نبينا – ﷺ – خاصة ، منهم من نفى رؤيته بالعين ، ومنهم من أثبتها له – ﷺ – ورؤية الله في الدنيا ممكنة لكن لم يرد نص بأنه – ﷺ – رأى ربه بعيني رأسه ، بل ورد ما يدل على نفى الرؤية ، وهو ما رواه مسلم في صحيحه

---

(١) أخرجه البخارى في صحيحه ، في ٦٨– كتاب التفسير ، ٣٣٧– باب تفسير سورة والنجم ، حديث رقم (٤٥٧٤) ، (١٨٤٠/٤) .

وأخرجه مسلم في صحيحه في ١– كتاب الإيمان ، ٧٧– باب معنى قول الله عزَّ وجل: (وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ) وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء،حديث رقم(١٧٧) وحديث رقم (١٧٩)،(١٥٩/١ ، ١٦٠) .

ولفظ الحديث عن البخاري : (عن مسروق قال : قلتُ لعائشة رضي الله عنها – : يا أمتاه ، هل رأى محمد ﷺ ربه ؟ فقالت : لقد قفَّ شعري مما قلت . أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب ، من حدثك أنَّ محمداً ﷺ رأى ربه ، فقد كذب ، ثم قرأت : (لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ) ، (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ) ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت : (وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٌ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ) ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ، ثم قرأت : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ) الآية ، ولكنه رأى جبريل – عليه السلام – في صورته مرتين) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (١٠٣) .

(٣) انظر : المحرر الوجيز ، لابن عطية الأندلسي ، (١٩٨/٥) .

عن أبي ذر – رضي الله عنه – قال : سألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هل رأيت ربك ؟ فقال : نورٌ أنَّى أُراه) [1] فهذا صريح في نفي الرؤية ، والله أعلم[2] .

النص رقم (٣٩) و (٤٠)

يقول تعالى : [وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا][3] .

ويقول تعالى : [لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا][4]

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (وكذلك كَذَّبَ بالأمر تَكْذيباً وكِذَّاباً . وفي التنزيل العزيز : (وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا) وفيه : (لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا) أي كذباً ، عن اللحيانى[5] قال الفرَّاء : خففهما علي بن أبي طالب – عليه السلام – جميعاً ، وثقلهما عاصم وأهل المدينة ، وهي لغة يمانية فصيحة . يقولون : كَذَّبْتُ به كِذَّابا ، وخَرَّقْتُ القميصَ خِرَّاقاً ، وكل فَعَّلْتُ فمصدره فِعَّالٌ في لغتهم مشدَّدة ... وقال : كان الكسائى يخفف : لا يسمعون فيها لغواً ولا كِذَاباً ، لأنَّها مقيَّدة بفعل يصيرها مصدراً ، ويشدد : وكذبوا بآياتنا كِذَّاباً ، لأن كَذَّبُوا يقيد الكذاب . قال : والذي قال حَسَنٌ ، ومعناه : لا يسمعون فيها لغواً ، أي: باطلاً ، ولا كِذَّاباً ، أي : لا يكذب بعضهم بعضا[6])[7] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، في ١– كتاب الإيمان ، ٧٨– باب في قوله – عليه السلام – نور أنَّى أراه ؟ وفي قوله : رأيت نوراً ، حديث رقم (١٨١) ، (١/١٦١) .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفى ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٣٩١هـ، ص ١٨٨ .

وانظر في موضوع رؤية الله تعالى: لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة (الجوينى أبوالمعالى) لعبدالملك بن عبدالملكين يوسف،تحقيق:فوقية حسن محمود،عالم الكتب،بيروت، ط٢، ١٩٨٧م،ص ١١٥.

(٣) سورة النبأ ، الآية (٢٨) .

(٤) سورة النبأ ، الآية (٣٥) .

(٥) اللحيانىّ : هو عليّ بن المبارك اللحيانىّ ، وقيل : عليّ بن حازم ، ويُكنى أبا الحسن ، من بنى لحيان بن هذيل ، وقيل سمي اللحيانىّ لعظم لحيته ، صاحب كتاب النوادر ، (انظر : معجم الأدباء ، لياقوت الحموىّ ، (٤/٢١٠ ، ٢١١) ، والبلغة ، للفيروز آبادى ، ص ١٥٠) .

(٦) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٣/٢٢٩) .

(٧) لسان العرب ، مادة (كذب) ، (١/٧٠٦) .

دراسة النصين :

وافق ابن منظور ابن جرير الطبري في ذلك ، حيثُ قال الطبري في تفسير الآية (٢٨) : (يقول تعالى ذكره : وكَذَّب هؤلاء الكفار بحججنا وأدلتنا تكذيباً ، وقيل : كـذاباً ولم يقل تكذيباً تصديراً على فعله ... وقال بعض نحويي الكوفة : هـذه لغـة يمانيـة فصيحة ، يقولون : كَذَّبتُ به كذَّاباً ، وخرَّقتُ القميص خرَّاقاً ، وكلَّ فَعَّلْتُ ، فمصـدرها فِعَّالٌ بلغتهم مشددة ... وأجمعت القراء على تشديد الذال من الكذَّاب في هذا الموضع ، وكان الكسائى يخفف الثانية ، وذلك في قوله : لا يسمعون فيها لغـواً ، ولاَ كـذاباً ... ويُشدِّد هذه ، ويقول : قوله كَذَّبُوا يُقيد الكِذَّاب بالمصدر) [١] .

وقال في تفسير الآية (٣٥) : (لا يسمعون في الجنة لغواً يعنى باطلاً من القول ، ولا كذاباً ، يقول : ولا مكاذبة ، أي لا يكذب بعضهم بعضاً) [٢] .

ثم تكلَّم عن قراءتي التخفيف والتشديد ، واختار القراءة بالتشديد لإجماع الحجة من القراء عليها[٣] .

كما وافق ابن منظور الإمام الرازي في ذلك ، حيثُ قال الرازي : (وقوله (كِذَّاباً) أي : تكذيباً ، وفِعَّال من مصادر التفعيل ... قال الفرَّاء : هي لغة فصـيحة يمانيـة ، ونظيره : خَرَّقْتُ القميصَ خِرَّاقا ... وقرئ بالتخفيف) [٤] .

وقال في تفسير الآية (٣٥) : (المقصود المبالغة في أنَّهـم لا يسـمعون الكـذب البتة)[٥] .

ووافق كذلك القرطبي الذي قال : (وقراءة العامة (كِذَّابا) بتشـديد الـذال وكسـر الكاف ، على كَذَّبَ ، أي كَذَّبُوا تكذِيباً كبيراً . قال الفرَّاء : هي لغة يمانيـة فصـيحة ، يقولون : كَذَّبْتُ به كِذَّاباً ، وخرَّقْتُ القميص خَرَّاقاً ، وكل فعل في وزن (فَعَّلَ) فمصدرة (فِعَّال) ، مشدد في لغتهم ... وقرأ علي – ﷺ –: (كِذَاباً) بـالتخفيف ، وهـو مصـدر أيضاً) [٦].

---

(١) جامع البيان ، للطبري ، (١٦/٣٠) .

(٢) المرجع السابق ، (٢٠/٣٠) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (٢٠/٣٠) .

(٤) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٧/٣١) .

(٥) المرجع السابق ،(٢٠/٣١) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٨١/١٩) .

وقال في تفسير الآية (٣٥) : (اللغو الباطل ، وهو ما يُلغى من الكلام ويُطرح ، ... (ولا كذاباً) تقدمَّ ، أي : لا يكذب بعضهم بعضاً ، ولا يسمعون كذباً ، وقرأ الكسائى : (كذاباً) بالتخفيف ، من كَذَبْتُ كِذَاباً ، أي : لا يتكاذبون في الجنة ، وقيل : هما مصدران للتكذيب ، وإنَّما خفضها ها هنا ؛ لأنها ليست مقيدة بفعل يصير مصدراً له ، وشُدّد قوله : (وكذبوا بآياتنا كِذَّاباً) ؛ لأنَّ (كَذَّبُوا) يُقيد المصدر بالكِذَّاب) [1] .

ولم يُفصّل ابن كثير في قوله (كذاباً) كما فعل ابن منظور والمفسرون من قبله ، حيثُ قال في تفسير الآية (٢٨) : (وقوله (كِذَّاباً) ، أي : تكذيباً ، وهو مصدر) [2] .

وقال في تفسير الآية (٣٥) : (أي ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة ، ولا إثم كذب ، بل هي دار السلام ، وكل ما فيها سالم من النقص) [3] .

ويتفق ابن منظور كذلك مع الإمام السمعاني الذي قال في تفسير الآية (٢٨) : (وقوله : وكذبوا بآياتنا كذابا ، أي تكذيباً . قال الفرَّاء : هي لغة فصيحة يمانية) [4] وقال في تفسير الآية (٣٥) : (اللغو : هو الكلام المطرح ، وقوله : (كذاباً) أي : لا يكذب بعضهم بعضاً ، وقرئ (كِذَابا) بالتخفيف ، ومعناه : الكذب لا غير) [5] .

وجوه القراءات :

اتفقوا على تشديد ذال : (وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا) ، واختُلِف في : (ولا كِذَّابا) الآية (٣٥) ، فالكسائى يقرأ بتخفيف الذال ، مصدر كاذب ، كقاتل قتالاً ، أو مصدر كذب ، ككتب كتاباً ، وقرأ الباقون بتشديدها ، مصدر (كَذَّبَ) تكذيباً وكِذَّاباً[6] .

المعنى العام للآيتين :

الآية (٢٨) :

(وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا) : أي كَذَّب الكفار بالآيات القرآنية ، أو كذبوا بما هو أعَمَّ منها تكذيباً شديداً[7] .

---

(١) المرجع السابق ،(١٨٤/١٩) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٦٥/٤) .

(٣) المرجع السابق ، (٤٦٦/٤) .

(٤) تفسير القرآن ، للسمعاني ، (١٤٠/٦) .

(٥) المرجع السابق ، (١٤١/٦) .

(٦) انظر : إتحاف فضلاء البشر ، للدمياطىّ ، ص ٥٦٩ ، وانظر : الحجة في القراءات السبع ، لابن خالويه ، ص ٣٦١ .

(٧)انظر : فتح القدير ، للشوكانىّ ، (٣٦٧/٥) .

الآية (٣٥) :

(لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا) : أي لا يسمعون في الجنة عند شرب الخمر وغيرها من الأحوال لغواً باطلاً من القول ، ولا كذاباً بالتخفيف معناها كذباً ، وبالتشديد، أي : تكذيباً من واحد لغيره ، بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر[١] .

النص رقم (٤١)

يقول تعالى : [...فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ...](٢) .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (وفي التنزيل العزيز : (فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ) ، قُرِئت بالتخفيف والتثقيل . وقال الفرَّاء : وقرئ : (لا يُكْذِبُونك) ، قال : ومعنى التخفيف والله أعلم ، لا يجعلونك كذاباً ، وأنَّ ما جئت به باطل ؛ لأنهم لم يجربوا عليه كذباً فيُكذّبُوه ، إنّما أكذبوه ، أي : قالوا : إنَّ ما جئت به كَذِبٌ ، لا يعرفونه من النبوة . قال : والتكذيب أن يُقال : كَذَبْتَ[٣] ، وقال : الزجَّاج : معنى كَذَّبْتُه ، قلتُ له : كَذَبْتَ ، ومعنى أكْذَبْتُه : أرَيْتُه أن ما أتى به كذب . قال : وتفسير قوله : (لا يُكَذّبُونَك) : لا يقدرون لك فيما أنبأت به ممَّا في كتبهم : كَذَبْتَ . قال: ووجه آخر : لا يُكْذِّبُونَك بقلوبهم ، أي : يعلمون أنك صادق . قال : وجائز أن يكون : فإنهم لا يُكْذِبُونَكَ ، أي : أنت عندهم صدوق ، ولكنهم جحدوا بألسنتهم ما تشهد قلوبهم بكذبهم فيه[٤])[٥]..

دراسة النص :

ذكر الطبري في هذه الآية القراءتين المشهورتين في قوله : (لا يكذبونك) وهما : قراءتى التثقيل والتخفيف ، وبيّن المعنى على قراءة التثقيل بقوله : (إنَّهم لا يُكَذِّبُونك

---

(١) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٧٨٨ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (٣٣) . وتمام الآية [قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ] .

(٣) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٣٣١/١) .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (١٩٥/٢ ، ١٩٦) .

(٥) لسان العرب ، مادة (كذب) ، (٧٠٧/١) .

فيما أتيتهم به من وحى الله ، ولا يدفعون أن يكون ذلك صحيحاً ، بل يعلمون صحته ، ولكنهم يجحدون حقيقته قولاً فلا يؤمنون به ، وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يحكى عن العرب أنهم يقولون : أكذبت الرجل إذا أخبرت أنه جاء بالكذب ورواهُ ، قال : ويقولون : كَذَّبْتهُ إذا أخبرت أنه كاذب) [١] .

ثمَّ بين المعنى على قراءة التخفيف بقوله ، (إنهم لا يُكْذِبُونك علماً ، بل يعلمون أنَّك صادق ، ولكنهم يكذبونك قولاً عناداً وحسداً) [٢] .

ثمَّ بيَّن أنَّ القراءتين مشهورتان ، وأنَّ المعنى على كل قراءة يُعتبر صحيحاً وواقعاً ؛ لأنَّ لكل واحدة من القراءتين في الصحة مخرج مفهوم[٣] .

وبهذين المعنيين الذين ذكرهما يمكن القول بأن ابن منظور قد وافقه في ذلك .

وكذلك الرازي ذكر القراءتين ، ثم ذكر وجوهاً متعددة لمعنى الآية ، ويظهر أنه يميل إلى القراءة بالتثقيل ، حيثُ يقول : (معنى الآية على هذا التقدير أن القوم لا يُكَذِّبُونك بقلوبهم، ولكنهم يجحدون نبوتك بألسنتهم وظاهر قولهم ، وهذا غير مستبعد)[٤].

وهذا أحد الوجوه التي ذكرها ابن منظور في معنى الآية على قراءة التثقيل .

وذكر القرطبي كذلك القراءتين الواردتين في قوله (لا يكذبونك) ، وهما : قراءة التخفيف وقراءة التثقيل ، ونقل – فيما نقل – قول الكسائى عن العرب : أكذبتُ الرجل إذا أخبرتُ أنَّه جاء بالكذب ورواه ، وكَذَّبته إذا أخبرتُ أنَّه كاذب ، وكذلك ذكر قول الزجَّاج : كَذَّبته إذا قلتُ له : كذبتَ ، وأكذبته إذا أردتُ أنَّ ما أتى به كذب[٥] .

وهذا ما نقله ابن منظور عَن الفرَّاء والزجَّاج في معنى الآية .

وقال ابن كثير في معنى الآية : (أي : لا يتهمونك بالكذب في نفس الأمر ... ولكنهم يعاندون الحق ، ويدفعونه بصدورهم) [٦] .

ثمَّ ذكر عدداً من الروايات الواردة في سبب نزول الآية ، ولم يذكر شيئاً عن وجوه القراءات[٧] .

---

(١) جامع البيان ، للطبري ، (٧/١٨٠ ، ١٨١) .

(٢) المرجع السابق ، (٧/١٨١) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (٧/١٨١) .

(٤) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٢/١٦٨ ، ١٦٩) .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٦/٤١٦ ، ٤١٧) .

(٦) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢/١٣٠) .

(٧) انظر : المرجع السابق ، (٢/١٣٠ ، ١٣١) .

وهذا المعنى الذي ذكره ابن كثير هنا هو ما ذكر ابن منظور في معنى الآية على قراءة التخفيف .

وقال السمعانيّ : (ويُقرأ : (فإنهم لا يُكْذِبونَك) مخففاً ، والفرق بين التكذيب والإكذاب أنّ التكذيب هو أن يقول له : كَذَبْتَ ، والإِكذاب هو أن يجده كاذباً) [1] فوافقه ابن منظور في ذلك .

وجوه القراءات :

اختلفوا في قراءة قوله : (لا يكذبون) فقرأ نافع[2] والكسائى بالتخفيف ، من (أَكْذَبَ) وقرأ الباقون بالتشديد ، من (كَذَّب) ، قيل : هما بمعنى واحد كنَزّل وأَنْزل ، وقيل : بالتشديد نسبة الكذب إليه ، وبالتخفيف نسبة الكذب إلى ما جاء به[3] .

سبب النزول :

ذكر السيوطي في سبب نزول هذه الآية عن علي بن أبي طالب أنَّ أبا جهل قال للنبي – ﷺ – إنَّا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به ، فأنزل الله ، (فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ) [4] .

المعنى العام للآية :

قد نعلم إنَّه ليحزنك الذي يقولون ، أي : قد أحطنا علماً بتكذيب قومك لك ، وحزنك وتأسفك عليهم ، والخطاب في هذه الآية للنبي محمد – ﷺ –، وكانوا يقولون :

---

(١) تفسير القرآن ، للسمعاني ، (٢/٩٩) .

(٢) نافع : هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثيّ ، مولاهم أبو دويح المقرئ المدنيّ ، أحد الأعلام ، وقيل : يُكنى أبا الحسن ، وقيل : أبا عبدالرحمن ، وقيل : أبوعبدالله ، وقيل : أبونعيم ، وأشهرها : أبودويح ، من تابعى أهل المدينة ، وأصله من أصبهان . قال مالك : نافع إمام الناس في القراءة . مات سنة (١٦٩هـ) . (انظر : معرفة القراء الكبار ، لشمس الدين الذهبي ، (١/١٠٧–١١١) ، وانظر : وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، (٥/٣٦٩ ، ٣٧٠)) .

(٣) انظر:إتحاف فضلاء البشر ، للدمياطى، ص ٢٦٢، وانظر: الحجة في القراءات السبع،لابن خالويه، ص ١٣٨ .

(٤) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ١٠٠ .

وهذا الحديث أخرجه الترمذي في سننه، ٤٨– كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، ٧– باب ومن سورة الأنعام ، حديث رقم (٣٠٦٤) ، (٥/٢٦١) .

وأخرجه الحاكم في المستدرك مع اختلاف في ألفاظ الحديث ، في ٢٧– كتاب التفسير ، ٧– تفسير سورة الأنعام ، حديث رقم (٣٢٣٠) ، (٢/٣٤٥) .

إنه ساحر وشاعر وكاهن ومجنون ، فإنهم لا يكـذبونك ولكـن الظـالمين بآيـات الله يجحدون، أي : فإنهم في دخيلة نفوسهم لا يكذبونك ، بل يعتقـدون صـدقك ، ولكـنهم يجحدون عن عناد فلا تحزن لتكذيبهم . قال ابن عباس : كـان رسـول الله ﷺ يُسـمىَّ الأمين ، فعرفوا أنه لا يكذب في شيء ، ولكنهم كانوا يجحدون ، فكان أبوجهل يقول : ما نكذبك يا محمد ، وإنَّك عندنا لمصدق ، وإنَّما نكذب ما جئتنا به(١) .

النص رقم (٤٢)

يقول تعالى : [فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ](٢) .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (وقال الفرَّاء في قوله تعـالى : (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ) ، (يقول : فما الذي يكذبك بأنَّ الناس يدانون بأعمالهم ، كأنه قال : فمن يقدر على تكذيبنا بالثواب والعقاب بعدما تبين له خَلْقُنَا للإنسان على ما وصفنا لك) (٣) ، وقيـل : قولـه تعالى : (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ) ، أي : ما يجعلك مُكَذِّباً ، وأي شيء يجعلك مكذباً بالدين أي بالقيامة) (٤) .

دراسة النص :

وافق ابن منظور في ذلك الإمام الطبري الذي قال في تفسير هذه الآية – بعد أن أورد أقوال أهل التأويل – : (وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول مـن قـال : (ما) في معنى (من) ، ووجه تأويل الكلام : فمن يكذبك يا محمد بعد الذي جاءك مـن هذا البيان من الله بالدين ، يعنى : بطاعة الله ، ومجازاته العباد على أعمـالهم . وقـد تأول ذلك أهل العربية بمعنى : فما الذي يكذبك بأنَّ الناس يدانون بأعمالهم ، وكأنَّه قال: فمن يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب بعد ما تبيَّن له خلقنا الإنسان على ما وصفنا)(٥).

---

(١) انظر : صفوة التفاسير ، لمحمد علي الصابونيّ ، (٣٧٨/١) .

(٢) سورة التين ، الآية (٧) .

(٣) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٢٧٧/٣) .

(٤) لسان العرب ، مادة (كذب) ، (٧٠٧/١) .

(٥) جامع البيان ، للطبري ، (٢٤٩/٣٠) .

إلاَّ أنَّ ابن جرير أضاف قوله : بطاعة الله ، وهي ليست عند ابن منظور ، وهذا الذي نقله عن أهل العربية هو كلام الفرَّاء الذي أورده ابن منظور .

وذكر الرازي في المخاطب بقوله : (فما يكذبك) قولين ، أحدهما : إنـــه خطـــاب للإنسان على طريقة الالتفات ، والمعنى : فما الذي يُلجئك إلى هذا الكذب ، والثاني : – قال وهو اختيار الفرَّاء – : إنَّه خطاب مع محمد ﷺ ، والمعنى : فمن يكذبك يـــا أيهـــا الرسول بعد ظهور الدلائل بالدين[1] .

إذاً فقد نقل الرازي قول الفرَّاء الذي أورده من بعدها ابن منظور ، ولم يذكر ابن منظور القول الأول الذي ذكره الرازي ، والذي يقضى بأنَّ الخطاب في الآية للإنسان . كما أن الرازي لم يذكر القول الثاني الذي أورده ابن منظور .

وذكر القرطبي كذلك قولين : أولهما : إنَّ الخطاب في الآية للكافر توبيخاً وإلزاماً للحجة (أي الإنسان) ، وثانيهما : إنَّه خطاب للنبي – ﷺ – وذكر في ذلـــك معنـــين : الأول : استيقن أيَّها النبي مع ما جاءك من الله – عزَّ وجل – أنَّه أحكـــم الحـــاكمين ، ونسبه إلى قتادة ، الثاني : ونسبه إلى قتادة أيضاً والفرَّاء ، وذكر أنه اختيار الطبري ، وأورد قول الطبري والفرَّاء آنف الذكر[2] .

إذاً فقد وافقه ابن منظور في المعنى الثاني للقول الثاني الذي ذكر أنه قول الفرَّاء واختيار الطبري ، وخالفه في القول الأول ، والمعنى الأول للقول الثاني ، حيـــثُ لـــم يوردهما ابن منظور في معنى الآية .

وخالف ابن كثير فقد اختار أن يكون الخطاب في الآية للإنسان (ابن آدم) ، ولـــم يذكر خلاف ذلك . قال : (فما يكذبك)، أي : يا ابن آدم (بعد بالدين) ، أي : بالجزاء في المعاد ، ولقد علمت البداءة ، وعرفت أنَّ من قدر على البداءة ، فهو قادر على الرجعة ، بطريقة الأولى ، فأي شيء يحملك على التكذيب بالمعاد ، وقد عرفت هذا) [3] .

وخالف كذلك الإمام السيوطي ، حيث اختار أيضاً أن يكون الخطاب فـــي الآيـــة للإنسان (الكافر) [4] .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٢/٣٢) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١١٦/٢٠) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٥٢٨/٤) .

(٤) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٨١٣ .

المعنى العام للآية :

قيل : إنَّ هذه الآية خطاب للإنسان ، أي : فما الذي يجعلك مكذباً بالجزاء بعد أن جُعلتُ في أحسن تقويم ، وقيل : هي خطاب للنبي ﷺ وهذا أظهر ، فإنَّ الإنسان إنَّما ذكر مخبراً عنه لم يخاطب ، والرسول هو الذي أنزل عليه القرآن ، والخطاب في هذه السورة له ، كقوله : (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ)(١) ، وقوله : (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)(٢) ، وقوله (ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ)(٣) ، والإنسان إذا خوطب قيل له : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ)(٤) ، (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ)(٥) . وعلى قول : إن الخطاب للنبي - ﷺ - يكون المعنى كما قال الفرَّاء : فمن يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب بعد ما تبين له أنَّا خلقنا الإنسان على ما وصفنا(٦) .

النص رقم (٤٣)

يقول تعالى : [وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ...](٧) .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (وفي التنزيل العزيز : (وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ) . رُوى في التفسير أنَّ إخوة يوسف لمَّا طَرَحوه في الجُبّ ، أخذوا قميصه وذبحوا جَدْياً ،

---

(١) سورة الضحى ، الآية (٣) .

(٢) سورة الشرح ، الآية (١) .

(٣) سورة العلق ، الآية (١) .

(٤) سورة الانفطار ، الآية (٦) .

(٥) سورة الانشقاق ، الآية (٦) .

(٦) انظر : دقائق التفسير ، لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية ، تحقيق : محمد السيد الجليند ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ ، (٣/١٥٧-١٦٠) .

(٧) سورة يوسف ، الآية (١٨) . وتمام الآية : [وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ] .

فَلَطَخُوا القميص بدم الجدي ، فما رأى يعقوب – عليه السلام – القميص قال : كَذَبْتُم، لو أكله الذئبُ لمَزَّقَ قميصه . وقال الفرَّاء في قوله تعالى (بِدَمٍ كَذِبٍ) معناه : مكذوب . قال : والعرب تقول للكَذِب : مَكْذُوبٌ ، وللضَّعْفِ : مَضْعوفٌ ، وللجَلَدِ : مَجْلودٌ ، وليس له مَعْقُودُ رَأيٍ ، يريدون عَقْدَ رأيٍ ، فيجعلون المصادرَ في كثير من الكلام مفعــولاً[١] ... قال الأخفش[٢] : بدم كِذب ، جعل الدم كذباً ، لأنَّه كُذِب فيه[٣] ... وقال الزجَّــاج : بدمٍ كذبٍ ، أي : ذو كذِب ، والمعنى : دَمٍ مكَذوب فيه[٤] . وقُرِئ : (بدم كدب) بالــدال المهملة) [٥] .

وقال في مادة (كدب) : (والكَدِبُ : الدَّمُ الطَّرِئُّ) [٦] .

دراسة النص :

وافق ابنُ منظور فيما نقله في تفسير هذه الآية الإمام الطبري الذي قال : (وسَّماه الله كذباً لأنَّ الذي جاءوا بالقميص ، وهو فيه (أي الدم) كذبوا ، فقالوا ليعقوب : هو دم يوسف ، ولم يكن دمه وإنَّما كان دم سخلة* فيما قيل) [٧] .

ثُمَّ ذكر روايات أهل التأويل في ذلك ، وذكر في بيان معنى قولــه (بــدم كــذب) وجهين ، أحدهما : إنَّه قال (بدم كذب) ؛ لأنه كذب فيه . قال : وذلك قول بعض نحويي البصرة . والوجه الآخر : إنَّه مصدر بمعنى مفعول ، وتأويله وجاءوا على قميصه بدم مكذوب ، كما يُقال : ماله عقل ولا معقول ولا له جلد ولا له مجلود والعرب تفعل ذلك

---

(١) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٣٦/٢) .

(٢) الأخفش : هو سعيد بن مسعدة المجاشعى الأخفش ، مولى بني مجاشع بن دارم ، من أهل بلــخ ، ســكن البصرة ، وقرأ النحو على سيبويه ، ولم يأخذ عن الخليل ، وكان معتزلياً ، وله روايــة ، ومــن تصانيفه : كتاب الأوسط ، وأمره الكسائى أن يضع كتاباً في معاني القرآن فوضع كتابــاً . وكــان الأخفش أبرع أصحاب سيبوبه . توفي سنة (٢١٥هــ) . (انظر : البلغة ، للفيــروز آبــادى ، ص (١٠٤ ، ١٠٥) ، وانظر : الوافى بالوفيات ، للصفدىّ ، (١٦١/١٥)).

(٣) انظر : معاني القرآن ،لأبي الحسين سعيد بن مسعدة المجاشعي الأخفش ، تحقيق :عبدالأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م ، (٥٨٦/٢) .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٧٧/٣) .

(٥) لسان العرب ، مادة (كذب) ، (٧٠٧/١ ، ٧٠٨) .

(٦) المرجع السابق ، مادة (كدب) ، (٧٠٤/١) .

*سخلة : يُقال : السَّخْلَة لولد الغنم من الضأن والمعز ساعة وضعه ، ذكراً كان أو أنثى ، وجمعه : سَــخْلٌ بوزن فَلس ، وسِخَالٌ بالكسر . (انظر : مختار الصحاح ، لمحمد بن أبي بكر الرازي ، ص ١٢٢) .

(٧) جامع البيان ، للطبري ، (١٦٣/١٢) .

كثيراً ، تضع كلا من المفعول والمصدر في موضع الآخر ، وهو قول بعض نحـــويي البصرة[١] .

وممن وافقهم ابن منظور من المفسرين الإمام الرازي حيث قال : (قال أصـــحاب العربية، وهم : الفرَّاء والمبرد والزجَّاج وابن الأنبارى : بدم كذب ، أي : مكذوب فيه، إلاَّ أنه وُصِف بالمصدر على تقدير : دم ذي كذب ، ولكنه جُعل نفسه كذباً للمبالغـــة ، قالوا : والمفعول والفاعل يُسميان بالمصدر) [٢] .

ووافق القرطبي الذي قال في تفسير قوله : (بدم كذب) : (قال مجاهد : كـــان دم سخلة أو جدى ذبحوه ، وقال قتادة : كان دم ظبية ، أي : جاءوا علـــى قميصـــه بـــدم مكذوب فيه ، فوصف الدم بالمصدر ، فصار تقديره : بـــدم ذي كـــذب ... والفاعـــل والمفعول قد يسُميان بالمصدر ... وقرأ الحسن وعائشة : (بدم كـــدب) بالـــدال غيـــر المعجمة ، أي بدم طري ... وحُكى أنه المتغير ... والكذب أيضاً البياض الذي يخـــرج في أظفار الأحداث) [٣] .

كما وافق ابن كثير ابن منظور في ذلك ، حيث قال ابن كثير في تفســـيره هـــذه الآية: (بدم كذب ، أي : مكذوب مفترى ، وهذا من الأفعال التي يؤكدون بها ما تمالئوا عليه من المكيدة ، وهو أنَّهم عمدوا إلى سخلة – فيما ذكره مجاهد والسدى وغير واحد – فذبحوها ولطخوا ثوب يوسف بدمها) [٤] .

ووافق ابن منظور البيضاوي ، حيثُ قال : (أي ذي كذب ، بمعنى : مكذوب فيه، ويجوز أن يكون وصفاً بالمصدر للمبالغة ، وقرئ بالنص على الحال من الواو ، أي : جاءوا كاذبين ، و (كدب) بالدال غير المعجمة أي : كدر أو طري) [٥] .

وجوه القراءات :

قرئ قوله (بدم كذب) في الشاذ بالدال ، أي : (كدب) ، والكدب : النقط الخارجـــة على أطراف الأحداث ، فشبه الدم اللاصق على القميص بها، وقيل: الكدب: الطرئ[٦] .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (١٢/١٦٣-١٦٥) .

(٢) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٨/٨٢) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٩/١٤٩) .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢/٤٧٢) .

(٥) أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، (٣/٢٧٨) .

(٦) انظر : إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات ، لأبي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري ، تحقيق : إبراهيم عطوه عوض ، المكتبة العلميـــة ، باكســـتان ، (٢/٥٠) . وانظـــر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، لأبي عبدالله الحسين بن أحمد بـــن خالويـــه ، مكتبـــة المتنبي ، القاهرة ، ص ٦٧.

المعنى العام للآية :

وجاءوا على قميصه بدم كذب ، أي: ذي كذب ، أو وصف بالمصدر مبالغة ، ورُوى أنَّهم لطخوا قميصه بدم جدي ، وقالوا ليعقوب : هذا دمه في قميصه ، فقال لهم : مال الذئب أكله ولم يخرق قميصه ، فاستدل بذلك على كذبهم ، قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً ، أي : زيّنت ، فصبر جميل : وعد من نفسه بالصبر ، وقوله : والله المستعان على ما تصفون : تسليم لأمر الله تعالى وتوكل عليه ، والتقدير : على احتمال ما تصفون(١) .

النص رقم (٤٤)

يقول تعالى : [...وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ...](٢) .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور بعد أن ذكر النص القرآني السابق : (في بعض التفاسير : الكُرْسِيّ العلم ، وفيه عدة أقوال . قال ابن عباس : كُرْسِيُّهُ عِلْمُهُ ، روى عن عطاء أنَّه قال : ما السموات والأرض في الكرسي إلا كحلقة في أرض فلاة . قال الزجَّاج : وهذا القول بيّنٌ ؛ لأنَّ الذي نعرفه من الكرسي في اللغة الشيء الذي يُعتمد عليه ويجلس عليه، فهذا يدل على أنَّ الكرسي عظيم دونه السموات والأرض ، والكُرسيّ في اللغة والكُرّاسة إنّما هو الشيء الذي قد ثبت ولزم بعضهُ بعضاً . قال : وقال قوم : كُرْسيه قدرته التي بها يمسك السموات والأرض . قالوا : وهذا كقولك : اجعل لهذا الحائط كرسياً ، أي : اجعل له ما يَعْمِدُه ويُمْسِكه . قال : وهذا قريب من قول ابن عباس ؛ لأنَّ علمه الذي وسع السموات والأرض لا يخرج من هذا ، والله أعلم بحقيقة الكرسي ، إلاَّ أنَّ جملته أمرٌ عظيّم من أمر الله – عزَّ وجل(٣) – ... عن ثعلب : الكرسي ما تعرفه

---

(١) انظر : التسهيل ، للكلبي ، (١١٦/٢) ، وانظر : المحرر الوجيز ، لابن عطية ، (٢٢٧/٣ ، ٢٢٨) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٥٥) . وتمام الآية : [ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ] .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٢٨٨/١) .

العرب من كِرْاسي الملوك ، ويُقال : كرسي أيضاً ، قال أبو منصور : الصحيح عن ابن عباس في الكرسي ... أنَّه قال : الكرسي موضع القدمين ، وأمَّا العرش فإنه لا يقـدر قدره ، قال : وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها . قال : ومـن روى عنـه فـي الكرسي أنه العلم فقد أبطل[1])[2] .

دراسة النص :

نقل الطبري لأهل التأويل في معنى الكرسي عدة أقوال ، فقال بعضهم : هو علم الله تعالى ذكره ، وقال آخرون : الكرسي موضع القدمين ، وقال آخرون : الكرسي هو العرش نفسه ، ثم قال أبوجعفر الطبري : (ولكل قول من هذه الأقوال وجه ومـذهب ، غير أنَّ الذي هو أولى بتأويل الآية ما جاء به الأثر عن رسـول الله – ﷺ – ... عـن عبدالله بن خليفة[3] قال : أتت امرأة النبي ، فقالت : ادع الله أن يدخلنى الجنة ، فَعَظَّـم الرَّب – تعالى ذكره – ، ثمَّ قال : إنَّ كرسيه وسع السموات والأرض ، وإنَّه ليقعد عليه فما يفضل منه مقدار أربعة أصابع ، ثُمَّ قال بأصابعه فجمعها ، وإنَّ له أطيطاً* كأطيط الرحل الجديد إذا ركب من ثقله) [4]) [5] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (كرس) ، (١٠/٥٤) .

(٢) لسان العرب ، مادة (كرس) ، (٦/١٩٤) .

(٣) عبدالله بن خليفة : قال ابن فتحون في "الذيل" : ذكره الطبري وأخرج له حديثاً في صفة العرش . قلت : وهو خطأ نشأ عن سقط ، وإنَّما يروى الحديث المذكور من طريق عبدالله بن خليفة هكذا أخرجـه ابن خزيمة في كتاب التوحيد وأبويعلى وابن أبي عاصم والطبرانى في كتاب السنة كلهم من طريق أبي إسحاق السبيعىّ ، وذكره البخارى وغيره في التابعين . (انظر : الإصـابة ، لابـن حجـر العسقلانىّ ، ترجمة رقم (٦٦٠٢) ، (٥/١٨٧)) .

* الأطيط هو : نقيض صوت المحامل والرِّحال إذا ثقل عليها الرُّكبان ، وأطَّ الرَّحْلُ والنِّسْعُ يئطُّ أطاً وأَطيطاً : صوَّتّ ، وكذلك شيء أشبه صوت الرَّحل الجديد ، وأطِيطُ الإبل : صوتها .

(انظر : لسان العرب ، مادة (أطط) ، (٧/٢٥٦)) .

(٤) ذكره ابن الجوزي في "العلل المتناهية" عن عبدالله بن خليفة عن عمر بن الخطاب ﷺ فـي ١– كتـاب التوحيد ، ٢– باب ذكر الاستواء على العرش ، حديث رقم (٣) ، (١/٢١) . انظر : العلل المتناهيـة ، لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، تحقيق : خليل المـيس ، دار الكتـب العلميـة ، بيـروت ، ط ١، ١٤٠٣هـ ، (١/٢١) .

وقال المؤلف : هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ ، وإسناده مضطرب جداً ، وعبدالله بن خليفة ليس من الصحابة ، فيكون الحديث مرسلاً ، فلا يعول عليه .

(٥) جامع البيان ، للطبري ، (٣/٩ ، ١٠) .

ثُمَّ قال : (وأمَّا الذي يدل على صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس : ... هو علمه ، وذلك لدلالة قوله – تعالى ذكره – : (وَلَا يَئُودُهُۥ حِفْظُهُمَا)[1] على أنَّ ذلك كذلك ... وأصل الكرسي : العلم ، ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب : كراسة . ... ومنه يُقال للعلماء : الكراسيّ ؛ لأنهم المعتمد عليهم) [2] .

يتضح ممَّا سبق أنَّ ابن منظور ذكر في معنى الكرسي ذات الأقوال التي أوردها الطبري ، إلاَّ أنه زاد عليه معنى القدرة ، وزاد عليه معنى العرش نفسه .

ثُمَّ إنَّ الطبري رجّح أن يكون المراد في الآية هو الكرسي على حقيقته على وجه يليق به سبحانه .

وذكر الرازي اختلاف المفسرين في معنى الكرسي على أربعة أقوال ، أحدها : إنَّه جسم عظيم يسع السماوات والأرض ، وقال بعض هؤلاء : هو نفس العرش ، وقال بعضهم : هو غير العرش ، والقول الثاني : إنَّ المراد من الكرسي السلطان والقدرة والملك ، والقول الثالث : إنَّ الكرسي هو العلم ، والقول الرابع : إنَّ المقصود تصوير عظمة الله وكبريائه[3] .

ثم اختار الرازي القول الأول منها ، حيث قال : (واعلم أنَّ لفظ الكرسي ورد في الآية ، وجاء في الأخبار الصحيحة أنَّه جسم عظيم تحت العرش وفوق السماء السابعة ، ولا امتناع في القول به ، فوجب القول باتباعه) [4] .

وقال في موضع آخر : (المعتمد هو الأول ؛ لأنَّ ترك الظاهر بغير دليل لا يجوز، والله أعلم) [5] .

فيتبيَّن لنا – ممَّا سبق – أنَّ ابن منظور أورد أقوال الرازي ، وزاد الرازي عليه القول الرابع من أقوال المفسرين ، وقد اختار الرازي ما اختاره سابقه الطبري كما هو واضح – ولم يُرجِّح ابن منظور من الأقوال التي ذكرها شيئاً .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٥٥) .

(٢) جامع البيان ، للطبري ، (١١/٣) .

(٣) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١١/٧ ، ١٢) .

(٤) المرجع السابق ، (١١/٧) .

(٥) المرجع السابق ، (١٢/٧) .

وذكر القرطبي من الأقوال في معنى الكرسي ما أورده ابن منظور مـن بعـده ، ونحا منحى الطبري والرازي في الأخذ بالظاهر في معنى الكرسي ، حيث قال : (وقال الحسن بن أبي الحسن* : الكرسي هو العرش نفسه ، وهذا ليس بمرضـى ، والـذي تقتضيه الأحاديث أنَّ الكرسي مخلوق بين يدي العرش ، والعرش أعظم منه) (١) .

وقال أيضاً : (وهذه الآية منبئة عن عظم مخلوقات الله تعالى ، ويستفاد من ذلـك عظم قدرة الله – عزَّ وجل – إذ لا يؤده حفظ هذا الأمر العظيم) (٢).

وكذلك ابن كثير ، فبعد أن ذكر الأقوال المختلفة في معنى الكرسي ، قال : (روى ابن جرير ... عن الحسن البصرى أنه كان يقول : الكرسي هو العرش ، والصحيح أنَّ الكرسي غير العرش ، والعرش أكبر منه كما دلّت على ذلك الآثار والأخبـار ، وقـد اعتمد ابن جرير على حديث عبدالله بن خليفة عن عمر في ذلك ، وعندي في صـحته نظر ، والله أعلم) (٣) .

فابن كثير بذلك يسلك مسلك من سبقه من أهل التفسير الذين ذُكِـروا فـي هـذه الدراسة .

وعلى نهجهم سار السيوطي في "الدر المنثور" ، حيثُ اختار ما اختاروه في معنى الكرسي ، فلم يفسره بخلاف الظاهر ، قال : (وسع كرسيه السموات والأرض : يُريـد هو أعظم من السموات السبع ، والأرضين السبع) (٤) .

ولأنَّ هذه المسألة من مسائل العقيدة المهمة التي ثار حولها الجدل ، نتوقف فيهـا قليلاً لنرى أقوال بعض أهل العقيدة ، حيث جاء في "أقاويل الثقات" أنَّ الكرسي في هذه الآية من المتشابه ، وقد اختلف فيه أهل التأويل ، فقيل هو علمه تعـالى : أي : أحـاط علمه بأهل السماء والأرض ، وقيل : هو السلطان والقدرة ، وقيل : هو تمثيل لعظمـة شأنه وإحاطة علمه بالأشياء قاطبة ، وليس ثمة كرسي ، ولا قاعد ولا قعود ، وقيـل : هو مكان لعبادة الملائكة ، والإضافة كما في الكعبة بيت الله ، وقيل : هو العرش نفسه،

---

* يريد : الحسن البصري ، وقد سبقت ترجمته .

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣/٢٧٦-٢٧٨) .

(٢) المرجع السابق ، (٣/٢٧٨) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١/٣١٠ ، ٣١١) .

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطيّ ، دار الفكر ، بيروت، ١٩٩٣م ، (٢/١٠) .

والمشهور أنَّه جسم عظيم بين يدي العرش ، يسع السَّبع سموات والأرض ، كما دلَّت عليه الأحاديث والآثار ، وقيل : السموات والأرض في جوف الكرسي ، والكرسي بين يدي العرش وهو موضع قدميه ، ومثل هذا لم يفسره السلف ، ولم يشتغلوا بتأويله ، مع اعتقادهم أنَّ الله تعالى غير متبعض ولا ذي حاجة ، وأمَّا الخلف فأوّلوا . قال ابن عطية : يريد أنَّ الكرسي من عرش الرحمن كموضع القدمين في أسِرَّة الملوك ، وما جاء في شأن الكرسي من أحاديث ونحوها فيجب أن تُروى كما جاءت ، ويُفوَّض معناها إلى الله أو تؤول بما يليق بجلاله سبحانه ، ولا تُرد بمجرد العناد والمكابرة[١] .

هذا رأى بعض أهل العقيدة ، والذي تميل إليه النفس فيما جاء في معنى الكرسي في هذه الآية هو المشهور من قول أهل التفسير وأهل العقيدة في ذلك وهو أنَّ الكرسي هو جسم عظيم بين يدي العرش ، يسع جميع السموات والأرض ، وهو ما دلت عليه الأحاديث[٢] والآثار .

فلا ينبغي إذاً أن نتجاوز الظاهر من المعنى إلى غيره بلا دليل ، ولا شك أنَّ هذا القول لا يعنى بالضرورة تشبيه الله بمخلوقاته ، بل لا بدَّ أن يُفهم ذلك على وجه يليق به سبحانه وتعالى ، والله أعلم .

وجوه القراءات :

(وسع كرسيه) : قراءة الجمهور بفتح الواو وكسر السين على أنَّه فعل ، والكرسي فاعله ، وقرئ بسكون السين مع فتح الواو ، كما قرئ بفتح الواو وسكون السين ورفع العين ، وكرسيّه بالجر[٣] .

---

(١) انظر : أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات ، لمرعى بن يوسف الكرمي المقدسي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ ، ص (١١٦-١١٨) .

(٢) ومن أصح الأحاديث في هذا الباب ما أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث طويل جاء فيه : (قال : يا رسول الله ، وما المقام المحمود ؟ قال : يوم ينزل الله على كرسيه يئط به كما يُئط الرحل من تضايقه ، كسعة ما بين السماء والأرض) وقال الحاكم بعد رواية هذا الحديث : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . أخرجه الحاكم في : ٢٧- كتاب التفسير ، ١٨- تفسير سورة بني إسرائيل ، حديث رقم (٣٣٨٥) ، (٢/٣٩٦) .

(٣) انظر : إملاء ما منّ به الرحمن ، لأبى البقاء العكبري ، (١/١٠٧) .

المعنى العام للآية :

قال المحلي[^1] في معنى آية الكرسي : (الله لا إله ، أي : لا معبود بحق في الوجود إلاَّ هو الحي : الدائم بالبقاء ، القيوم : المبالغ في القيام بتدبير خلقه ، لا تأخذه سنة : نعاس ولا نوم ، له ما في السموات وما في الأرض ملكاً وخلقاً وعبيداً ، من ذا الذي ، أي : لا أحد يشفع عنده إلاَّ بإذنه له فيها ، يعلم ما بين أيديهم ، أي : الخلق وما خلفهم ، أي : من أمر الدنيا والآخرة ، ولا يحيطون بشيء من علمه ، أي : لا يعلمون شيئاً من معلوماته إلاَّ بما شاء أن يعلمهم به منها بأخبار الرسل ، وسع كرسيه السموات والأرض ، قيل : أحاط علمه بهما ، وقيل : الكرسي نفسه مشتمل عليهما لعظمته ، ... ولا يؤوده : يثقله حفظهما ، أي : السموات والأرض وهو العلي فوق خلقه بالقهر، العظيم : الكبير) [^2] .

النص رقم (٤٥)

يقول تعالى : [...إِنِّىٓ أُلۡقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ][^3] .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (وفى التنزيل العزيز : (إِنِّىٓ أُلۡقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ) . قال بعضهم : معناه حسن ما فيه ، ... وقيل : أُلقي إليَّ كتابٌ كريمٌ ، عَنَتْ* أَنَّه جاء من عند رجل كريم ، وقيل : كتاب كريم ، أي : مختوم) [^4] .

---

(١) المحلي : هو محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد ، الإمام العلامة ، أوحد الأئمة ، جلال الدين ، المحلي الشافعيّ ، ولد بمصر سنة (٧٩١هـ) ، وبرع في الفنون فقهاً وأصلاً وكلاماً ونحواً ومنطقاً وغيرها ، وظهرت له كرامات كثيرة وأحوال خارقة ، من مؤلفاته : جمع الجوامع في الأصول ، وشرح المنهاج في الفقه ، وله مؤلفاتٌ لم تكمل ، ومن أجلِّها : تفسير القرآن العظيم ، وصل فيه إلى سورة الإسراء ، وأكمله بعده السيوطي حتى آخر الناس ، وفسر سورة الفاتحة أيضاً . ومات المحلي سنة (٨٦٤هـ) .

(انظر: طبقات المفسرين ، للداوودى،(٢/٨٠ ، ٨١)،وانظر:طبقات المفسرين ، للأدنروى ، ص ٣٣٦) .

(٢) تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٥٦ .

(٣) سورة النمل ، الآية (٢٩) . وتمام الآية [قَالَتۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّىٓ أُلۡقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ] .

* الإشارة إلى بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان ، غلبت بعد أبيها على مُلْك أرض اليمن كلها ، لأنه لم يكن له ولد غيرها . (انظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود ، (٦/٢٨١)).

(٤) لسان العرب ، مادة (كرم) ، (١٢/٥١٣) .

دراسة النص :

ذكر الطبري في معنى قوله (كريم) في هذه الآية قولين . قال : (واختلف أهل العلم في سبب وصفها الكتاب بالكريم ، فقال بعضهم : وصفته بذلك لأنه كان مختوماً ، وقال آخرون : وصفته بذلك لأنه كان من مَلِكٍ ، فوصفته بالكرم لكرم صاحبه) (١) .

وبذلك يكون ابن منظور قد وافق الطبري في نقل هذين القولين ، وزاد عليه قولاً ثالثاً كما هو واضح .

ووافق ابن منظور أيضاً الإمام الرازي ، فقد نقل الرازي الأوجه الثلاثة التي عند ابن منظور ، وبنفس الترتيب ، فيغنى ذلك عن إعادتها(٢) .

وذكر القرطبي الأقوال الثلاثة التي أوردها ابن منظور من بعده ، وزاد عليها ، وممَّا زاده قول بعضهم : إنَّ الكتاب وُصِفَ بالكريم ، لأنه بدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم ، وقول بعضهم : لأنه بدأ فيه بنفسه ، ولا يفعل ذلك إلاَّ الجلة ، وقول بعضهم : إنَّها توهمت أنَّه كتاب جاء من السماء ، إذا كان الموصل طيراً ، وقول بعضهم : وصفته بذلك لما تضمن من لين القول والاستلطاف غير سبٍّ ولا لعن ولا ما يغير النفس، ومن غير كلام نازل ولا مستغلق على عادة الرسول في الدعاء إلى الله – عزَّ وجل – ، وكلها وجوه حسان ، وهذا أحسنها(٣) .

وجاء ابن كثير بتفسير آخر لمعنى الكريم غير الذي ذكره ابن منظور ، حيث قال: (تعنى بكرمه ما رأته من عجيب أمره كون الطائر أتي به فالقاه إليها ، ثم تولى عنها أدباً ، وهذا أمر لا يقدر عليه أحد من الملوك ، ولا سبيل لهم إلا ذلك) (٤) .

إلاَّ أنَّ هذا التفسير الذى ذكره ابن كثير يدور معناه حول القول الثاني الذي ذكره ابن منظور وإن اختلف عنه في اللفظ .

وأورد البيضاوي أيضاً الأقوال الثلاثة التي ذكرها بعده ابن منظور ، وزاد عليها: إنَّ الكتاب وصف بالكريم لغرابة شأنه ، إذا كانت مستلقية في بيت مغلقةً الأبواب ، فدخل الهدهد من كوةٍ* وألقاه على نحرها ، بحيث لم تشعر به(٥) .

---

(١) جامع البيان ، للطبري ، (١٥٣/١٩) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٦٧/٢٤) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٩١/١٣ ، ١٩٢) .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣٦٢/٣) .

* الكُوَّةُ : بالضم ، والكَوَّةُ بالفتح : الثقبة في الحائط ، ويُجمع المضموم على كُوىً ، ويجمع المفتوح على كَوَّات وكِوَاء أيضاً ، وقيل : كُلُّ كُوَّةٍ غير نافذة مشكاة أيضاً .

(انظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، لأحمد بن محمد المقرى ، (٥٤٥/٢)) .

(٥) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، لناصر الدين البيضاوى ، (٢٦٥/٤) .

وجوه القراءات :

قرأ نافع بفتح ياء الإضافة في (إني) من قوله تعــالى : (قَالَتۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَـٰبٞ كَرِيمٌ) ، وقرأ الباقون بالإسكان[1] .

المعنى العام للآية :

(قَالَتۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَـٰبٞ كَرِيمٌ) ، قالت ، أي : بلقــيس ، وفــي الكلام حذف وتفسير ، أي : فذهب الهدهد ، فألقاه إليهم ، فسمعها تقول : يا أيها الملأ .. الخ ، ووصفت الكتاب بالكريم لكونه من عند عظيم في نفسها ، فعظمته إجلالاً لسليمان – عليه السلام – ، وقيل : وصفته بذلك لأشتماله على كلام حسن ، وقيل : وصفته به، لأنَّه وصل إليها مختوماً بخاتم سليمان – عليه السلام – ، وكرامة الكتاب ختمه ، وقيل : لأنها ظنته من عند الله – عزَّ وجل – وقيل : لأنَّ سليمان – عليه السلام – كان مهيباً ، وقيل : لتسخير الهدهد لحمله ، وقيل : لأنها رأت في صــدره : بســم الله الــرحمن الرحيم[2] .

النص رقم (٤٦)

يقول تعالى : [لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ][3] .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (وقوله تعالى : (لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ) . قال الفــرَّاء : العــرب تجعل الكريم تابعاً لكل شيء نفت عنه فعلاً تنوى به الذم ، ويقال : أسمينٌ هذا ؟ فيقال : ما هو بسمين ولا كريم ، وما هذه الدار بواسعة ولا كريمة[4])[5] .

---

(١) انظر : ابراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع ، لأبي شامة الدمشقى ، (٢٩٦/١) ، وانظر : السبعة في القراءات ، لابن مجاهد البغدادى ، ص ٤٨٨ .

(٢) انظر : فتح القدير ، للشوكانى ، (١٣٧/٤) ، وانظر : زاد المسير ، لابن الجوزي ، (١٦٨/٦) .

(٣) سورة الواقعة ، الآية (٤٤) .

(٤) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (١٢٥/٣) .

(٥) لسان العرب ، مادة (كرم) ، (٥١٣/٢) .

دراسة النص :

قال الطبري في تفسير هذه الآية : (وقوله : لا بارد ولا كريم ، يقول تعالى ذكره: ليس ذلك الظل* ببارد كبرد ظلال سائر الأشياء ، ولكنه حار ، لأنَّه دخان من سعير جهنم ، وليس بكريم لأنَّه يؤلم من استظل به ، والعرب تتبع كل منفى عنه صفة حمد نفى الكرم عنه ، فتقول : ما هذا الطعام بطيب ولا كريم ، وما هذا اللحم بسمين ولا كريم ، وما هذه الدار بنظيفة ولا كريمة) (١) .

وبهذا يمكن القول باتفاق ابن منظور مع الطبري ، إلاَّ أنَّ ابن منظور لم يُفصِّل في تفسير الآية كما فعل الطبري .

وذكر الرازي في تفسير الآية : (لا بارد يطلب لبرده ، ولا ذي كرامة قد أعد للجلوس فيه) (٢) .

ثم نقل قول الفرَّاء – آنف الذكر – : (إنَّ العرب تتبع كل منفى بكريم إذا كان المنفى أكرم ، فيقال : هذه الدار ليست بواسعة ولا كريمة) (٣) .

وهذا هو معنى قول الفرَّاء الذي نقله ابن منظور ، فوافق فيه الرازي ، إلاَّ أنَّ الرازي فَصَّل في تفسير الآية كما فعل الطبري .

أمَّا القرطبي فقد ذكر قولين في معنى قوله (ولا كريم) ، أحدهما : ولا عذب ، ونسبه إلى الضحاك ، وثانيهما : ولا حسن منظره ، وكل ما لا خير فيه فليس بكريم ، ونسبه إلى سعيد بن المسيب(٤) .

ولم يذكر القرطبي قول الفرَّاء الذي نقله ابن منظور(٥) ، فلا توافق بينهما على ذلك .

---

* إشارة إلى الآية التي قبل الآية المذكورة ، وهي قوله تعالى : [وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ] سورة الواقعة ، الآية (٤٣) .

(١) جامع البيان ، للطبري ، (١٩٣/٢٧) .

(٢) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٤٨/٢٩) .

(٣) المرجع السابق ، (١٤٨/٢٩) .

(٤) سعيد بن المسيب : هو أبومحمد سعيد بن المسيب المخزوميّ المدنيّ ، أحد أعلام الدنيا وسيد التابعين ، من فقهاء المدينة ، جمع بين الحديث والتفسير والفقه والورع والعبادة – كان مولده لسنتين مضتا من خلافة عمر ، ووفاته بالمدينة سنة (٩٤هـ) . (انظر : شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلى، (١٠٢/١ ، ١٠٣)، وانظر : مرآة الجنان، لليافعى، (١٨٥/١-١٨٧).

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢١٣/١٧) .

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية : (أي ليس طيب الهبوب ، ولا حسن المنظر)[1] . ثم نقل فيما نقل قول ابن جرير الطبري – آنف الذكر[2]– ، وهو قول الفرَّاء الذي نقله عنه ابن منظور كما مرَّ معنا .

ولهذا يكون ابن كثير شأنه في ذلك شأن الطبري والرازي ، حيثُ فسَّر الآية ، ثم حكى قول الفرَّاء فوافق فيه ابن منظور .

وسار على نهج هؤلاء كذلك الإمام السمعاني حيثُ فسَّر الآية ، ثم نقل قول الفرَّاء أيضاً[3] .

المعنى العام للآية :

يخبر الله – تعالى – في هذه الآية والآيتان السابقتان عن حال أهل الشمال الذين يُعطون كتبهم بشمالهم يوم القيامة أنَّهم في سموم وحميم ، أي : في ريح حارة من النار تنفذ في المسام ، وماء شديد الحرارة ، وظل من يحموم ، أي : في ظل من دخان أسود شديد السواد ، لا بارد يستروح به الإنسان من شدة الحر ، ولا كريم ، أي : ولا حسن المنظر يُسرُّ به من يستفئ بظله ، وإنَّ فائدة الظل ترجع إلى أمرين : أحدهما : دفع الحر ، والثاني : حسن المنظر ، وكون الإنسان فيه مكرماً ، وظل أهل النار بخلاف هذا[4] .

النص رقم (٤٧)

يقول تعالى : [إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ][5] .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (وقوله : (إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ) ، أي : قرآن يُحمد ما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة) [6] .

---

(١) تفسير القرآن ، لابن كثير ، (٢٩٥/٤) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٢٩٥/٤) .

(٣) انظر : تفسير القرآن ، للسمعاني ، (٣٥٢/٥) .

(٤) انظر : صفوة التفاسير ،لمحمد علي الصابوني ، (٣٠٢/٣) ، وانظر : لباب التأويل في معاني التنزيل ، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الخازن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ، (١٠٣/٦) .

(٥) سورة الواقعة ، الآيتان (٧٧ ، ٧٨) .

(٦) لسان العرب ، مادة (كرم) ، (٥٣١/١٢) .

دراسة النص :

لم يتعرض الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية لشرح كلمة (كريم) التي وُصِف بها القرآن[1] ، وبالتالي فلا وجه للمقارنة هنا بينه وبين ابن منظور .

وقال الرازي في معنى قوله (لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ) : (أي : لا يهون بكثرة التلاوة ، ويبقى أبد الدهر كالكلام الغض ، والحديث الطرى ... والكريم اسم جامع لصفات المدح ، وقيل : الكريم هو الذي كان طاهر الأصل ظاهر الفضل ... فالقرآن أيضاً كريم بمعنى طاهر الأصل ، ظاهر الفضل ، لفظه فصيح ، ومعناه صحيح ، لكن القرآن أيضاً كريم على مفهوم العوام ، فإنَّ كل من طلب منه شيئاً أعطاه ، فالفقيه يستدل به ، ويأخذ منه ، والحكيم يستمد منه ويحتج به ، والأديب يستفيد منه ، ويتقوى به ... فلكونه كريماً كل من أقبل عليه نال منه ما يريده) [2] .

إذاً فلا توافق بين ابن منظور والرازي وإن كان كلا قوليهما صحيح وينطبق على القرآن الكريم .

وذكر القرطبي في معنى الكريم أربعة أقوال . قال : (ذكر المُقْسَم عليه ، أي : أُقسم بمواقع النجوم إنَّ هذا القرآن قرآن كريم ، ليس بسحر ولا كهانة ، وليس بمفترى ، بل هو قرآنٌ كريمٌ محمودٌ ، جعله الله تعالى معجزة لنبيه – ﷺ – وهو كريم على المؤمنين ، لأنه كلام ربهم وشفاء صدورهم ، كريم على أهل السماء ؛ لأنه تنزيل ربهم ووحيه ، وقيل : كريم ، أي : غير مخلوق ، وقيل : كريم ، لما فيه من كرم الأخلاق ومعالي الأمور ، وقيل : لأنه يُكرم حافظه ، ويُعظم قارئه) [3] .

وأقرب هذه الأقوال التي ذكرها القرطبي إلى كلام ابن منظور هو القول الثالث .

أمَّا ابن كثير فقد فسَّر الكريم هنا بالعظيم . قال : (أي : إنَّ هذا القرآن الذي نزل على محمَّد لكتاب عظيم) [4] .

وكلمة (عظيم) هذه لفظة جامعة يُمكن أن يدخل تحت لوائها كل ما هو خير ، ويمكن أن تشمل كل المعاني والأقوال التي ذكرت في هذا الصدد .

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٧/٢٠٤) .

(٢) التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٩/١٦٦ ، ١٦٧) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٧/٢٢٤) .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤/٢٩٩) .

وتطابق قول ابن منظور في معنى قوله (كريم) مع تفسير ابن الجوزي لهذه الكلمة حيث قال ابن الجوزي في "زاد المسير" ما نصه : (والكريم : اسم جامع لما يُحمد ، وذلك أنَّ فيه البيان والهدى والحكمة ، وهو معظم عند الله – عزَّ وجل –)(١) .

وكل هذه الأقوال التي ذكرها المفسرون في هذا المعنى – وإن اختلفت في ألفاظها ومعانيها – يُمكن الحكم عليها جميعاً بالصحة ، وبانطباقها على القرآن .

المعنى العام للآية :

أقسم الله تعالى في الآيتان السابقتان بمواقع النجوم،وبيَّن أنه قسم عظيم ، وفي هذه الآية التي بين أيدينا ذكر المُقْسَم عليه ، فقال : (إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ) ، أي : كَرَّمه الله وعزَّه ، ورفع قدره على جميع الكتب ، وكرَّمه عن أن يكون سحراً أو كهانة أو كذباً ، وقيل : إنَّه كريم لما فيه من كرم الأخلاق ومعالي الأمور ، وقيل : لأنه يكرم حافظه ، ويعظم قارئه ، وهذا القرآن في كتاب مكنون ، أي : مستور مصون ، وقيل : محفوظ عن الباطل ، وهو اللوح المحفوظ ، وقيل : هو كتاب ، وقيل : هو التوراة والإنجيل فيهما ذكر القرآن ومن ينزل عليه ، وقيل : الزبور ، وقيل : هو المصحف الذي في أيدينا(٢) .

النص رقم (٤٨)

يقول تعالى : [...وَقُل لَّهُمَا قَوۡلاً كَرِيمًا](٣) .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور: (وقوله تعالى:(وَقُل لَّهُمَا قَوۡلاً كَرِيمًا) : أي : سهلاً لَيِّناً) (٤).

دراسة النص :

قال الطبري في بيان معنى القول الكريم في هذه الآية ما نصه : (يقول جلَّ ثناؤه : وقل لهما قولاً جميلاً حسناً) (٥) .

---

(١) زاد المسير ، لابن الجوزي ، (١٥١/٨) .

(٢) انظر : فتح القدير ، للشوكاني ، (١٦٠/٥) .

(٣) سورة الإسراء ، الآية (٢٣) . وتمام الآية : [وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلاً كَرِيمًا] .

(٤) لسان العرب ، مادة (كرم) ، (٥١٤/١٢) .

(٥) جامع البيان ، للطبري ، (٦٥/١٥) .

ثُمَّ ذكر روايات أهل التأويل في تأييد قوله ذلك ، وذكر فيما ذكر قول من قـال : أي قولاً لَيّناً سهلاً[1] .

فهذا يدل على أنَّ القول الجميل الحسن هو القول اللَّيّن السهل نفسه ، وإذن فـابن منظور يوافق الطبري في ذلك .

وفسَّر الرازي القول الكريم بالقول الحسن ، والكلام الطيب ، وأن يخاطب الولـد والديه بالكلام المقرون بأمارات التعظيم والاحترام[2] .

وهذا الكلام وان خالفه كلام ابن منظور من حيث اللفظ ، إلاَّ أنَّ مؤداهما واحـد ، وإنَّ المعنىين مترادفان .

وقال الطبري في معنى القول الكريم للوالدين : (أي : ليّناً لطيفاً ، مثل يا أبتاه ويا أماه ، من غير أن يسميهما ويكنيهما) [3] .

فعلى ذلك يكون ابن منظور قد وافقه في المعنى أيضاً .

ووافق ابن كثير ابن منظور كذلك ، حيث قال في القول الكريم : (أي : ليّنا طيّباً حسناً بتأدب وتوقير وتعظيم) [4] .

ووافق ابن منظور البغوي كذلك ، حيث قال في تفسير هذه الآية : (حسناً جمـيلاً ليناً . قال ابن المسيب : كقول العبد المذنب للسيد الفظ ، وقال مجاهد : لا تسميهما ولا تكنيهما ، وقل لهما : يا أبتاه ، يا أماه) [5] .

وهكذا فإنَّ جميع أقوال المفسرين في معنى القول الكريم فـي هـذه الآيـة ، وإن تعددت ألفاظها إلاَّ أنَّ معناها ومؤداها واحد ، يدور حول بر الوالدين بكل ما من شـأنه أن يدخل تحت القول الكريم .

المعنى العام للآية :

لمّا نهى الله – تعالى – عن الشرك في الآية السابقة أمر في هذه الآية بالتوحيد ، فقال : وقضى ربك ، أي : قضاء دينياً ، وأمراً شرعياً أن لا تعبدوا أحـداً مـن أهـل

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (٦٥/١٥) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٥٢/٢٠) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٤٣/١٠) .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣٥/٣) .

(٥) معالم التنزيل : للبغوي ،(١١٠/٣) .

الأرض والسموات والأحياء والأموات إلاَّ إيَّاه ؛ لأنَّه الواحد الأحد ، الفرد الصمد الذي له كل صفة كمال ، وهو المنعم بالنعم الظاهرة والباطنة ، الدافع لجميع النقم ، الخـــالق الرازق المدبر لجميع الأمور ، والمتفرد بذلك كله ، ثم ذكر بعد حقه تعالى القيام بحـــق الوالدين ، فقال : وبالوالدين إحساناً ، أي : أحسنوا إليهما بجميع وجوه الإحسان القولي والفعلي ، إمَّا يبلغن عندك الكبر ، أحدهما أو كلاهما ، أي : إذا وصلا إلى السن التـــي تضعف فيها قواهما ويحتاجان من اللطف والإحسان ما هو معروف فلا تقل لهما أُف ، وهذا أدنى مراتب الأذى ، نبَّه به على ما سواه ، ولا تنهرهمـــا ، أي : لا تزجرهمـــا، وتتكلم كلاماً خشناً ، وقل لهما قولاً كريماً : أي : تأدب وتلطف معهما بكلام لين حسن يلذ على قلوبهما ، وتطمئن به نفوسهما[١] .

النص رقم (٤٩)

يقول تعالى : [...وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقًا كَرِيمًا][٢] .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (وقوله تعالى: (وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقًا كَرِيمًا)، أي : كثيراً) [٣] .

دراسة النص :

فسَّر ابن جرير الطبري الرزق الكريم هنا بما خالفه فيه ابن منظور ، حيثُ قـــال في تفسير الآية : (وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقًا كَرِيمًا)، يقول : وأعتدنا لها في الآخرة عيشـــاً هنيئاً في الجنة) [٤] .

فقد فسَّر الطبري قوله (كريماً) بما في الجنة من العيش الهنيئ في الآخرة ، وهذا ما لم يذكره ابن منظور .

---

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ٤٥٦ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٣١) . وتمام الآية : [وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحًا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقًا كَرِيمًا]

(٣) لسان العرب ، مادة (كرم) ، (٥١٤/٢١) .

(٤) جامع البيان ، للطبري ، (١/٢٢) .

وذكر الرازي في تفسير الرزق الكريم في الآية أنَّه رزق الآخرة ، وَوُصف بكونه كريماً مع أنَّ الكريم لا يكون إلاَّ وصفاً للرزَّاق ؛ لأنَّ رزق الآخرة يأتي بنفسه بخلاف رزق الدنيا الذي هو مقدر على أيدي الناس ، يُسخَّر بعضهم لبعض(1) .

ولعلَّ الرازي يُريد برزق الآخرة الرزق في الجنة ، وهو قول الطبري ، فيدل ذلك على مخالفة ابن منظور للرازي أيضاً .

وذهب القرطبي مذهب سابِقَيْه ، فبيَّن أنَّ أهل التفسير على أنَّ الرزق الكريم هو الجنة ، ونسب ذكر ذلك إلى النحَّاس(2) .

فيكون القرطبي بذلك ممَّن خالفهم ابن منظور أيضاً .

وسار على ذات النهج الإمام ابن كثير ، فقد قال في بيان معنى الرزق الكريم ما نصَّه : (أي في الجنة ، فإنَّهن [أي : نساء النبي ﷺ] في منازل رسول الله – ﷺ – في أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق ، في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش) (3) . فخالف ابنُ كثير ابنَ منظور في ذلك .

وخالفه كذلك الإمام السيوطي الذي فسَّر الرزق الكريم بالجنة أيضاً(4) .

وهكذا تضافرت جميع أقوال المفسرين على أنَّ المراد بالرزق الكريم في الآية هو الجنة ويبدو أنَّ ابن منظور فسَّر اللفظة من الناحية اللغوية فقط ، ولم يرجع إلى أقوال المفسرين فيها .

المعنى العام للآية :

هذه الآية والآيات التي قبلها خطاب لنساء النبي – ﷺ – عندما طلبن منه من زينة الدنيا ما ليس عنده ، فخيَّرهن بين متعة الطلاق من غير ضرار ، وبين خيرة الله ورسوله والدار الآخرة أي : الجنة ، فاخترن الآخرة على الدنيا ، وفي الآية السابقة بيان لهن بمضاعفة العذاب عند إتيان الفاحشة ، وفي هذه الآية بيان لهن بمضاعفة الأجر عند الطاعة ، قال : ومن يقنت ، أي : ومن يطع منكن لله ورسوله ، وتعمل صالحاً يكون لها من الأجر على الطاعة مثلي ما يستحقه غيرهن من النساء إذا فعلن تلك الطاعة ، وأعتدنا لها زيادة على الأجر مرتين رزقاً كريماً ، وهو نعيم الجنة(5) .

---

(1) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (25/180) .

(2) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (14/176) .

(3) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (3/483) .

(4) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص 554 .

(5) انظر : المرجع السابق ، ص 554 . وانظر : فتح القدير ، للشوكانيّ ، (4/277) .

النص رقم (٥٠)

يقول تعالى : [وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا][1] .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (وقوله تعالى : (وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا) . قالوا : حسناً، وهو الجنة) [2] .

دراسة النص :

قال الطبري في بيان معنى المدخل الكريم ما نصَّه : (وأمَّا المدخل الكريم فهو الطيب الحسن ، المكرم بنفى الآفات والعاهات عنه ، وبارتفاع الهموم والأحزان ودخول الكدر في عيش من دخله ؛ فلذلك سمَّاه الله كريماً) [3] .

ثُمَّ أيَّد كلامه بما نقله عن السدى ، حيث قال : الكريم هو الحسن في الجنة[4] .

فوافقه ابن منظور في ذلك .

وبيَّن الرازي أنَّ في قوله : (مدخلاً) قراءتان : الأولى بفتح الميم ، أي : (مَدْخَلاً)، والثانية : بالضم ، أي : (مُدْخَلاً) ، وذكر أنَّه على قراءة الفتح يُراد موضع الدخول ، وعلى قراءة الضم المراد المصدر ، وهو الإدخال ، أي : ويدخلكم إدخالاً كريماً ، وصف الإدخال بالكرم ، بمعنى أنَّ ذلك الإدخال يكون مقروناً بالكرم ، على خلاف من قال الله فيهم : (ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ)[5] .

ولم يُصرِّح الرازي بأنَّ المراد من المدخل الكريم الجنة[6] ، إلاَّ أنَّ ذلك يفهم من كلامه ؛ لأنَّه ذكر في مقابل ذلك الذين يحشرون يوم القيامة إلى جهنم على وجوههم .

وعلى هذا فلا خلاف بين ابن منظور والرازي في ذلك .

---

(١) سورة النساء ، الآية (٣١) . وتمام الآية : [إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا] .

(٢) لسان العرب ، مادة (كرم) ، (١٢/٥١٤) .

(٣) جامع البيان ، للطبري ، (٥/٤٦) .

(٤) انظر : المرجع السابق ، (٥/٤٦) .

(٥) سورة الفرقان ، الآية (٣٤) .

(٦) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٠/٦٤) .

وكذلك القرطبي ذكر القراءتين في ذلك ، وبيَّن أنَّه على قراءة الضم يحتمل أن يكون مصدراً ، أي : وندخلكم الجنة إدخالاً ، ويحتمل أن يكون بمعنى المكان ، فيكون مفعولاً ، وعلى قراءة الفتح يجوز أن يكون مصدراً ، والمعنى : وندخلكم فتدخلون مَدْخَلاً ، ويجوز أن يكون اسم مكان ، أي : وندخلكم مكاناً كريماً ، وهو الجنة(١) .

وعلى كل فابن منظور يوافق القرطبي أيضاً في المعنى .

ووافق ابن كثير كذلك ابن منظور ، حيثُ فسَّر المُدخل الكريم في الآية بالجنة(٢) .

ووافق ابن منظور كذلك السمرقندي الذي قال في تفسير المُدْخل الكريم ما نصُّه : (وندخلكم مدخلاً كريماً في الآخرة ، وهو الجنة . قرأ نافع (مَـدْخَلاً) بنصب الميم ، والباقون بالضم ، فمن قرأ بالنصب فهو اسم الموضع ، ومن قرأ بالضم فهو المصدر والموضع جميعاً) (٣) .

وجوه القراءات :

قرأ نافع بفتح ميم (مَدْخَلاً) من قوله : (مُّدْخَلاً كَرِيمًا) ، وقرأ الباقون بضمها ، أي : (مُدْخَلاً)(٤) .

المعنى العام للآية :

(إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ) قال على بن أبي طالب – رضي الله عنه –: الكبائر : الشرك بالله والسحر وقذف المحصنة وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف وعقوق الوالدين ، وقال عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه –: الكبائر : الشرك بالله ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله ، وأمن مكر الله ، وقيل لابن عباس : الكبائر سبع ؟ قال : هي إلى السبعين أقرب ، وحقيقة الكبيرة في اللغة أنَّها ما كبر وعظم مِمَّا وعد الله – عزَّ وجل – عليه النار ، أو أمر بعقوبه فيه ، فما كان على غير هذين جاز أن يكون كبيرة ، وأن يكون صغيرة (نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ) التي هي دون الكبائر بالصلوات الخمس . (وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا) يعنى به الجنة ، والله أعلم(٥) .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٦١/٥) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٨١/١) .

(٣) بحر العلوم ، للسمرقندي ، (٣٢٤/١) .

(٤) انظر : السبعة في القراءات ، لابن مجاهد البغداديّ ، ص ٢٣٢ ، وانظر : البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة ، لعبدالفتاح القاضي ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ، ٢٠٠٣م ، (١٨٩/١) .

(٥) انظر : معاني القرآن ، للنحاس ، (٢/٧١-٧٣) . وانظر : الوجيز للواحدىّ ، ، (٢٦١/١) .

النص رقم (٥١)

يقول تعالى : [... هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمۡتَ عَلَىَّ ...][1] .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (وقوله : (هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمۡتَ عَلَىَّ) ، أي : فَضَّلْت) [2] .

دراسة النص :

لم يشرح الطبري معنى (كَرَّمت) [3] ، ولعله اعتمد على وضوح معناها ، وبالتالي فلا وجه للمقارنة بينه وبين ابن منظور .

أمَّا الرازي والقرطبي فقد وافقهما ابن منظور ؛ لأنَّهما فسَّرا قولــه : (كَرَّمۡتَ عَلَىَّ) بقولهما : فضلته عليَّ[4] .

وذكر ابن كثير أنَّ معنى (كَرَّمۡتَ عَلَىَّ) شرَّفته وعظمته عليَّ[5] .

وهذا القول لا يخالف قول ابن منظور من حيث المعنى ، وإن خالفه مـن حيث اللفظ ، فإنَّ التفضيل والتشريف والتعظيم كلها معاني مترادفة .

ووافق ابن منظور الإمام النسفي في ذلك ، فقد فسَّر النسفي قوله (كرَّمت) بقوله : فضلَّت[6] .

وهكذا ، فإنَّ معظم المفسرين قد وافقهم ابن منظور في بيان معنى التكريم في هذه الآية الكريمة ، ومن المفسرين من سكت عن شرح الكلمة معتمداً على وضوح معناها .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية (٦٢) . وتمـام الآيــة : [قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمۡتَ عَلَىَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلاً] .

(٢) لسان العرب ، مادة (كرم) ، (٥١٤/١٢) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١١٦/١٥) .

(٤) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٤/٢١) . وانظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٨٧/١٠) .

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٥٠/٣) .

(٦) انظر : مدارك التنزيل ، للنسفي ، (٢٩٣/٢) .

المعنى العام للآية :

(قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ) الكاف من (أرأيتك) للخطاب لا موضع لها من الإعراب ، والمعنى : أخبرني عن هذا الذي كَرَّمته عليَّ ، أي : فضَّلته، وأنا خير منه ، يخاطب إبليس بهذا الكلام الله سبحانه وتعالى ، وقيل : المعنى أتأملت ونحوه، لا بمعنى أخبرني . لأحتنكنَّ ذريته معناها : لأستولينَّ عليهم ، ولأقودنَّهم، ولأميلنّهم ، وهو مأخوذ من تحنيك الدابة ، وهو أن يشد على حنكها بحبل فتنقاد .

واستثنى إبليس القليل من ذرية آدم لعلمه أنَّه لا بد أن يكون في ذريته من يصلب في طاعة الله[١] .

النص رقم (٥٢)

يقول تعالى : [...رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ][٢] .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (وقوله : (رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ) ، أي : العظيم) [٣] .

دراسة النص :

ليس هناك وجه للمقارنة بين ابن منظور والطبري حول معنى لفظة (الكريم) ، لأنَّ الطبري لم يتعرض أثناء شرحه للآية لمعناها[٤] .

وذكر الرازي في بيان معنى (العرش الكريم) ثلاثة أقوال : الأول : المراد السموات بما فيها من العرش الذي تطوف به الملائكة . والثاني : المراد المُلْك العظيم ، والثالث : – وهو قول الأكثرين – المراد هو العرش حقيقة ، وإنَّما وصفه بالكريم ، لأنَّ الرحمة تنزل منه والخير والبركة ، ولنسبته إلى أكرم الأكرمين ، كما يُقال : بيت كريم، إذا كان ساكنوه كراماً[٥] .

---

(١) انظر : التسهيل ، للكلبي ، (١٧٥/٢) . وانظر : المحرر الوجيز ، لابن عطية ، (٤٦٩/٣ ، ٤٧٠) .

(٢) سورة المؤمنون، الآية(١١٦). وتمام الآية:[فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ] .

(٣) لسان العرب ، مادة (كرم) ، (٥١٤/١٢) .

(٤) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٦٤/١٨) .

(٥) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١١١/٢٣) .

وعلى هذا فلا توافق بين ابن منظور والرازي إلا فيما ذكره الرازي في القول الثاني، وهو أنَّ المراد بالكريم العظيم .

أمَّا القرطبي – فهو كالطبري – لم يتعرض لشرح الكلمة وبيان المراد منها[1] ، فلا وجه للمقارنة بينه وبين ابن منظور كذلك .

وفسَّر ابن كثير (العرش الكريم) بقوله : (أي : الحَسَن البهى ، فقد جمع العرش بين العظمة في الاتساع والعلو ، والحسن الباهر) [2] .

إذاً فقد اتفق ابن كثير مع ابن منظور في هذا ، مع بعض التفصيل والزيادة في المعنى .

وخالف ابن منظور السمعاني الذي قال في تفسير العرش الكريم : (أي : المرتفع، وقيل : الحسن) [3] .

المعنى العام للآية :

(فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ) ، أي : تنزَّه وتقدَّس الله صاحب الملك الواسع ، الثابت الذي لا يزول ، أن يخلق شيئاً عبثاً ، فإنَّه الملك الحق ، المنزَّه عن ذلك ، وكل ما سواه مملوك له ، مقهور تحت ملكوته . (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) فإنَّ كل ما عداه عبيد له . (رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ) ، أي : ذو العرش العظيم ، الحسن البهي ، الذي يدبر فيه نظام الكون بحكمة ومقصد سام ، وقيل : وصفه بالكرم ، لأنَّه ينزل منه الوحى الذي منه القرآن الكريم أو الخير والبركة والرحمة ، أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين[4] .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٢/١٥٧) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣/٢٥٤) .

(٣) تفسير القرآن ، للسمعاني ، (٣/٤٩٥) .

(٤) انظر : التفسير المنير ، لوهبة الزحيلىّ ، مج٩ ، (١٨/٤٤٣) . وانظر : إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (٦/١٥٣) .

النص رقم (٥٣)

يقول تعالى : [فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ][١] .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (وقوله : (فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ) ، أي : عظيم مُفْضِل) [٢] .

دراسة النص :

قال الطبري في بيان معنى قوله : (كريم) ما نصُّه : (كريم ، ومن كرمه إفضاله على من يكفر نعمه ، ويجعلها وصلة يتوصل بها إلى معاصيه) [٣] .

فوافق ابن منظور على ذلك الطبري ، إلاَّ أنَّ الطبري لم يذكر (عظيم) في معنى الكريم .

وقال الرازي في هذا المعنى : (فإنَّ ربى غني كريم ، غني عن شكره لا يضره كفرانه ، كريم لا يقطع عنه نعمه بسبب إعراضه عن الشكر) [٤] .

وهذا الذي ذكره الرازي هنا هو معنى الإفضال الذي بيَّنه ابن منظور ، فالخلاف بينهما إذاً هو خلاف لفظيّ فقط .

ووافق ابن منظور كذلك الإمام القرطبي الذي قال في بيان معنى (كريم) : (كريم في التفضل) [٥] .

وزاد ابن منظور على القرطبي قوله: (عظيم) .

وقال ابن كثير في هذا المعنى : (كريم ، أي : كريم في نفسه وإن لم يعبده أحد ، فإنّ عظمته ليست مفتقرة إلى أحد) [٦] .

فما ذكره ابن كثير هنا يتضمن معنى العظمة ، وأمَّا الإفضال فيؤخذ من المعنى العام لكلامه ، وعلى هذا فهو يتفق مع ابن منظور في ذلك .

---

(١) سورة النمل ، الآية (٤٠) . وتمام الآيــة : [قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّى لِيَبۡلُوَنِىٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ] .

(٢) لسان العرب ، مادة (كرم) ، (٥١٤/١٢) .

(٣) جامع البيان ، للطبري ، (١٦٥/١٩) .

(٤) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٧٠/٢٤) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٠٦/١٣) .

(٦) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣٦٥/٣) .

وخالف ابن منظور الإمام السمعاني الذي قال في بيان معنى (كريم) : (كريم في قبول شكره ، وإثابته عليه) (١) .

ويبدو أن الخلاف بينهما لفظيّاً أيضاً ، لأنَّ قول السمعاني يتضمن معنى الإفضال الذي ذكره ابن منظور ، فإنَّه من تفضل الله – عزَّ وجل – على خلقه أن يقبل شكرهم ويجزيهم عليه .

المعنى العام للآية :

قال الذي عنده علم من الكتاب المنزل ، وهو آصف بن برخيا ، كان رجلاً صالحاً عالماً عند سليمان – عليه السلام – ، يُعلِّم اسم الله الأعظم الذي إذا دعا به أُجيب ، وقيل : هو من الملائكة ، قال : أنا آتيك به ، أي : عرش بلقيس قبل أن يرتدَّ إليك طرفك إذا نظرت به إلى شيء ، فقال له : انظر إلى السماء فنظر إليها ، ثم ردَّ بطرفه ، فوجده موضوعاً بين يديه ، ففي نظره إلى السماء ، دعا آصف بالاسم الأعظم أن يأتي الله به ، فحصل بأن جرى تحت الأرض حتى نبع تحت كرسي سليمان – عليه السلام – فلمَّا رآه مستقراً ساكناً عنده ، قال : هذا – أي : الاتيان لي به – من فضل ربي ليختبرني أأشكر أم أكفر النعمة ، ومن كفر النعمة فإنَّ ربي غني عن شكره ، كريم بالإفضال على من يكفرها(٢).

النص رقم (٥٤)

يقول تعالى : [كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٌ لَّكُمۡ ...](٣) .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (وقال الزجَّاج في قوله تعالى : (وَهُوَ كُرۡهٌ لَّكُمۡ) ، يُقال : كَرَهْتُ الشيء كَرْهاً وكُرْهاً وكَرَاهةً وكَرَاهِيَةً ... قال : ومعنى كراهيتهم القتال أنَّهم إنَّما

---

(١) تفسير القرآن ، للسمعاني ، (١٠٠/٤) .

(٢) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٤٩٩ . وانظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ٦٠٥ . وانظر : مدارك التنزيل ، للنسفي ، (٢١٣/٣ ، ٢١٤) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٢١٦) . وتمام الآية : [كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٌ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ] .

كرهوه على جِنْس غِلْظِه عليهم ومشقَّته ، لا أنَّ المؤمنين يكرهون فرض الله ؛ لأنَّ الله تعالى لا يفعل إلاَّ ما فيه الحكمة والصلاح [1]... ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٌ لَّكُمۡ﴾ ، لم يقرأ أحدٌ بفتح الكاف فيصير الكَرْه ، (بالفتح) فعل المضطر ، والكُره (بالضم) فعل المختار) [2] .

دراسة النص :

قال الطبري في شرح قوله : ﴿كُرۡهٌ لَّكُمۡ﴾ : (وهو ذو كره لكم ، فترك ذكر (ذو) اكتفاء بدلالة قوله ﴿كُرۡهٌ لَّكُمۡ﴾ عليه ... والكُرْه (بالضم) هو ما حمل الرجل نفسه عليه ، من غير إكراه أحد إياه عليه ، والكَرْه (بفتح الكاف) هو ما حمله غيره ، فأدخله عليه كرها) [3] .

ثم فسَّره بقول بعضهم : الكُرْه : المشقة ، والكَرْه : الإجبار [4] .

فعلى هذا يوافق ابن منظور الطبري في معنى الكُرْه والكَرْه ، حيثُ إنَّ المشقة ، وما حمل الرجل نفسه عليه هو فعل المختار ، والإجبار وما حمله غيره عليه هو فعل المضطر ، إلاَّ أنَّ الطبري لم يُفَصِّل في المراد من الكراهية في الآية كما فعل ابن منظور ، حيثُ نقل كلام الزجَّاج في المراد منها .

وذكر الرازي في معنى (الكُرْه) وجهين : الأول : إنَّ المراد من الكُرْه كونه شاقاً على النفس ، والمكلف وإن علم أنَّ ما أمره الله به فهو صلاحه ، لكن لا يخرج بذلك عن كونه ثقيلاً شاقاً على النفس ، ومن المعلوم أنَّ أعظم ما يميل إليه الطبع الحياة ، فلذلك أشق الأشياء على النفس القتال .

الثاني : أن يكون المراد كراهتهم للقتال قبل أن يُفرض لما فيه من الخوف ، ولكثرة الأعداء .

ثم بيَّن الرازي معنى الكُرْه والكَرْه (بالضم والفتح) من حيث اللغة ، وذكر في ذلك بعض الوجوه والأقوال منها قول ابن منظور آنف الذكر [5] .

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (١/٢٤٨) .

(٢) لسان العرب ، مادة (كره) ، (١٣/٥٣٤) .

(٣) جامع البيان ، للطبري ، (٢/٣٤٥) .

(٤) انظر : المرجع السابق ، (٢/٣٤٥) .

(٥) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ،(٦/٢٤) .

إذاً فقد وافق ابن منظور الرازي أيضاً فيما نقله عن الزجَّاج ، فهو الوجه الأول في معنى (الكُرْه) عند الرازي ، وزاد الرازي الوجه الثاني .

ووافق ابن منظور الإمام القرطبي الذي بيَّن أنَّ الكُرْه في الآية هو كُرْه في الطباع، ونقل قول من قال : الكُرْه : المشقة ، وهو الاختيار ، والكَرْه (بالفتح) ما أُكرهت عليه ، ويجوز الضم في معنى الفتح ، فيكونان لغتين(١) .

ثُمَّ قال القرطبي : (وإنَّما كان الجهاد كُرْهاً ، لأنَّ فيه إخراج المال ، ومفارقة الوطن والأهل ، والتعرض بالجسد للشجاج والجراح وقطع الأطراف وذهاب النفس ، فكانت كراهيتهم لذلك ، إلا أنهم كرهوا فرض الله تعالى) (٢) .

وقال ابن كثير : (وهو كُرْهٌ لكم ، أي : شديد عليكم ومشقة ، وهو كذلك ، فإنَّه إمَّا أن يقتل أو يجرح ، مع مشقة السفر ، ومجالدة الأعداء) (٣) .

وهذا هو معنى كلام الزجَّاج الذي نقله عنه ابن منظور .

أمَّا السيوطي فقد فسَّر الكُرْه بمشقة القتال ، ثُمَّ أورد رواية عن عكرمة في قوله : (وهو كُرْهٌ لكم) قال : نسختها هذه الآية : (وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا)(٤)

وتفسيره الكُرْهٌ بالمشقة في القتال يوافق به ابن منظور فيما نقله عن الزجَّاج ، أمَّا الرواية التي نقلها السيوطي عن عكرمة فنفاها البغوي في تفسيره ، حيث قال : (وهو كُرْهٌ لكم ، أي : شاق عليكم . قال بعض أهل المعاني : هذا الكره من حيثُ نفور الطبع عنه ، لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح ، لا أنَّهم كرهوا ثم أحبوا ، فقالوا : سمعنا وأطعنا) (٥) .

والحق مع الإمام البغوي في ذلك ، فالأفضل أن نفسر الكراهية هنا بالمشقة ونفور الطباع عن القتال لغلظته وليست لمجرد كراهيتهم الفرض وليس لأنهم كرهوا القتال ثم أحبوه ، كما تقتضي رواية عكرمة آنفة الذكر.

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣٨/٣ ، ٣٩) .

(٢) المرجع السابق ، (٣٩/٣) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٥٣/١) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٢٨٥)، وانظر : الدر ، لجلال الدين للسيوطي ، (٥٨٦/١ ، ٥٨٧) .

(٥) معالم التنزيل ، للبغوي ، (١٨٨/١) .

المعنى العام للآية :

هذه الآية فُرِض فيها القتال في سبيل الله بعدما كان المؤمنون مـأمورين بتركـه لضعفهم ، وعدم احتمالهم لذلك ، فلما هاجر النبي - ﷺ - إلى المدينـة وكثـر عـدد المسلمين ، وقووا أمرهم الله - تعالى - بالقتال ، وأُخبروا أنَّه مكروه للنفوس ، لما فيه من المشقة والتعب ، وحصول المخاوف والتعرض للمتالف ، وهو مع هذا خيرٌ محض، لما فيه من الثواب العظيم، والتحرز من العقاب الأليم، وما فيه من النصر على الأعداء، والظفر بالغنائم وغير ذلك على ما فيه من الكراهية ، وعسى أن تحبوا شيئاً، وهو شـر لكم ، وذلك مثل القعود عن الجهاد طلباً للراحة ، ويعقب عن ذلك تسلط الأعداء علـى المسلمين ودينهم وحدوث الذل والهوان ، وفوات الأجر العظيم ، وحصول العقاب .

وهذا مطرد في أنَّ جميع أعمال الخير التي تكرهها النفوس لما فيها من المشـقة هي خيرٌ بلاشك ، وأنَّ أفعال الشر التي تحبها النفوس لما تظنه من الراحة واللذة فيهـا في شر بلا شك ، والله يعلم ما هو خير لكم ، وأنتم لا تعلمون ذلك(١) .

النص رقم (٥٥)

يقول تعالى : [...لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ ...](٢) .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (قال ابن جنِّي(٣) : قولـه تعـالى : (لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ) عبّر عن الحسنة بِكَسَبَتْ ، وعن السيئة باكْتَسَبَتْ ، لأنَّ معنـى كسـب دون

---

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن، للسعدي ، ص (٩٦ ، ٩٧)، وانظر:مدارك التنزيل، للنسفي ، (١٠٣/١) .

(٢) سورة البقـرة ، الآيـة (٢٨٦) . وتمـام الآيـة : [لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرًا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ] .

(٣) ابن جنِّي : بكسر الجيم وتشديد النون ، هو أبوالفتح عثمان بن جنِّي الموصلي ، النحويّ اللغويّ صاحب التصانيف ، كان أبوه (جنِّي) مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد بن أحمـد الأزدي الموصـلي ، ولـه أشعار حسنة ، ويُقال إنه أعور . من تصانيفه : كتاب الخصائص وسر الصناعة والكافي في شرح القوافي وغيرها . توفي سنة (٣٩٢هـ) .

(انظر: شذرات الذهب،لابن العماد الحنبلى ، (١٤٠/٣) ، والبداية والنهاية ، لابن كثير ، (٣٣١/١١)) .

معنى اكتسب ، لما فيه من الزيادة ، وذلك أنَّ كسب الحسنة بالإضافة إلى اكساب السيئة أمر يسير ومستصغر ، وذلك لقوله – عز اسمه – : (مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا)(١) أفلا ترى أن الحسنة تصغر باضافتها إلى جزائها ، ضعف الواحد إلى العشرة ؟ ولما كان جزاء السيئة إنَّما هو بمثلها لم تحتقر إلى الجزاء عنها ، فعلم بذلك قوة فعل السيئة على فعل الحسنة ، فإذا كان فعل السيئة ذاهباً بصاحبه إلى هذه الغاية البعيدة المترامية ، عُظِّم قدرها ، وفُخِّم لفظ فعل العبارة عنها ، فقيل : لها ما كسبت ، وعليها ما اكتسبت(٢)) (٣) .

دراسة النص :

وافق ابن منظور – فيما نقله عن ابن جنِّي – الإمام الطبري الذي قال في معنى الكسب والاكتساب في هذه الآية ما نصَّه : (يقول : لكل نفس ما اجترحت وعملت من خير وعليها ، يعني : وعلى كل نفس ما اكتسبت ما عملت من شر) (٤) .

أمَّا الرازي فقد نقل الخلاف في الفرق بين الكسب والاكتساب في اللغة ، ونسب إلى الواحدي قوله : إنَّ الصحيح عند أهل اللغة أنَّ الكسب والاكتساب بمعنى واحد ، وأنه لا فرق بينهما ، والقرآن الكريم ناطق بذلك ، ومنه قوله تعالى : (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ)(٥) ، وقوله : (وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا)(٦) ، وقوله : (مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ)(٧) .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٦٠) .

(٢) لسان العرب ، مادة (كسب) ، (٧١٦/١) .

(٣) انظر : الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جنِّي ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ، ط٢ ، (٢٦٥/٣) .

(٤) جامع البيان ، للطبري ، (١٥٤/٣) .

(٥) سورة المدثر ، الآية (٣٨) .

(٦) سورة الأنعام ، الآية (١٦٤) .

(٧) سورة البقرة ، الآية (٨١) .

ثم ذكر الرازي قول من قال بالفرق بينهما ، ولهؤلاء في ذلك قولان ، أحـدهما : إنَّ الاكتساب أخصَّ من الكسب ؛ لأنَّ الكسب ينقسم إلى كسبه لنفسه ولغيره ، والاكتساب لا يكون إلاَّ ما يكتسب الإنسان لنفسه خاصة .

والثاني : خُصَّ الخير بالكسب، والشر بالاكتساب . ونسب هذا القول إلى صاحب الكشاف(١) .

والذي يظهر أنَّ الرازي يميل إلى القول بأنَّه لا فرق بين الكسب والاكتساب في الآية ، بدليل أنَّه استشهد على هذا القول ببعض الآيات الكريمة ، وعلى هذا فإن ابن منظور يخالفه بما نقله عن ابن جنِّي .

أمَّا القرطبي فقد وافقه ابن منظور في هذا المعنى ، فقد قال القرطبي : (لها ما كسبت وعليه ما اكتسبت ، يريد من الحسنات والسيئات ، قاله السدىّ وجماعة المفسرين لا خلاف بينهم في ذلك ... وجاءت العبارة في الحسنات بـ لها من حيث هي مما يفرح المرء بكسبه ، ويُسر بها ، فتضاف إلى ملكه ، وجاءت في السيئات بـ عليها من حيث هي أثقال و أوزار ومتحملات صعبة ، وهذا كما تقول : لي مَالٌ وعليَّ دَيْنٌ ، وكـرَّر فعل الكسب ، فخالف بين التصريف ، وذلك حسنٌ لنمط الكلام) (٢) .

كما وافق ابن كثير ابن منظور بقوله : (لها ما كسبت ، أي : من خير ، وعليها ما اكتسبت ، أي : من شر ، وذلك في الأعمال التي تدخل تحت التكليف) (٣) .

وفسَّر ابن عطية الكسب بالحسنات ، والاكتساب بالسيئات(٤) ، وذكر كلاماً قريباً في معناه من كلام ابن جنِّي الذي نقله عنه ابن منظور . قال ابن عطية : (والذي يظهر لي في هذا أنَّ الحسنات هي مما يُكسب دون تكلف ، إذ كاسبها على جادة أمر الله ورسم شرعه ، والسيئات تكتسب ببناء المبالغة ، إذ كاسبها يتكلف في أمرها خَرْق حجاب نهى الله –تعالى–ويتخطاه إليها ، فيحسن في الآية مجئ التصريفين إحرازاً لهذا المعنى) (٥) .

فوافق ابن منظور ابن عطية في ذلك .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٢٣/٧ ، ١٢٤) . وانظر : الكشاف ، للزمخشري ، (٣٥٩/١) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٤٣٠/٣ ، ٤٣١) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣٤٣/١) .

(٤) انظر : المحرر الوجيز ، لابن عطية الأندلسيّ ، (٣٩٣/١) .

(٥) المرجع السابق ، (٣٩٣/١) .

سبب النزول :

روى الواحدى بسنده عن ابن عباس قال : لمَّا نزلت هذه الآية : ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾[1] دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها من قبل شيء ، فقال النبي – ﷺ – قولوا : سمعنا وأطعنا وسلمنا ، فالقى الله تعالى الإيمان في قلوبهم فقالوا: سمعنا وأطعنا ، فانزل الله تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ حتى بلغ ﴿أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾ ، فقال: قد فعلت – إلى آخر البقرة– كل ذلك يقول : فعلت) [2] .

المعنى العام للآية :

لا يكلف الله نفساً إلاَّ وسعها ، أي : ما تسعه قدرتها ، لها ما كسبت من الخير ، أي : ثوابه ، وعليها ما اكتسبت من الشر ، أي : وزره ، ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد ، ولا بما يكسبه ممَّا وسوست به نفسه ، قولوا : ربنا لا تؤاخذنا بالعقاب إن نسينا أو أخطأنا تركنا الصواب لا عن عمد كما أخذت به من قبلنا ، ولا تحمل علينا إصراً أمراً يثقل علينا حمله كما حملته على الذين من قبلنا ، أي : بنى إسرائيل ، مثل قتل النفس عند التوبة ، وإخراج ربع المال في الزكاة ، وقرض موضع النجاسة بدل غسلها بالماء، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، أي : قوة من التكاليف والبلاء ، واعف عنا امح ذنوبنا واغفر لنا وارحمنا زيادة على المغفرة ، أنت مولانا ، أي : سيّدنا ومتولي أمورنا ، فانصرنا على القوم الكافرين بإقامة الحجة والغلبة في قتالهم ، فإنَّ من شأن المولى أن ينصر مواليه على الأعداء[3] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٨٤) .

(٢) انظر : أسباب النزول ، للواحديّ ، ص (٣٦ ، ٦٤) .

وهذه الرواية أخرجها أيضاً مسلم في صحيحه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع مع اختلاف في بعض الألفاظ بين رواية مسلم ، ورواية الواحدي . أخرجها مسلم في : ١- كتاب الإيمان ، ٥٧- باب بيان أنَّه سبحانه وتعالى لم يكلف إلاَّ ما يطاق ، حديث رقم ، (١٢٦) ، (١١٦/١) .

(٣) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٦٤ .

النص رقم (٥٦)

يقول تعالى : [مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ][1] .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (وقوله تعالى : (مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ) ، قيل : ما كَسَبَ هنا ولَدُهُ... وفي الحديث : (أطيب ما يأكل الرجلُ من كسبه ، وولَدُه من كَسْبِهِ) [2] . قال ابن الأثير : إنَّما جعل الولد كسباً ، لأنَّ الوالد طلبه ، وسعى في تحصيله ، والكَسْبُ : الطّلَبُ ، والسَّعْيُ في طلب الرزق والمعيشة ، وأراد بالطيب ها هنا الحلال ، ونفقة الوالدين واجبة على الولد إذا كانا محتاجين ، عاجزين عن السعى عند الشافعى ، وغيره لا يشترط ذلك*[3])[4] .

دراسة النص :

وافق ابن منظور الطبري في ذلك ، حيث قال الطبري في بيان معنى قوله : (وما كسب) : (وما كسب ، وهم ولده) [5] .

أمَّا الرازي فقد ذكر في قوله : (مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ) ستة أوجه لأهل العلم ، لم يرجّح بينها :

---

(١) سورة المسد ، الآية (٢) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك عن عائشة – رضي الله عنها – بلفظ : (أنَّ من أطيب ما أكل الرجل من كسبِهِ ، وولده من كسبه) ، في : ١٩– كتبا البيوع ، حديث رقم (٢٢٩٥) ، (٥٣/٢) .

وأخرجه أبوداود في سننه عن عائشة – رضي الله عنها – أيضاً ، في : ١٨– كتاب الإجارة ، ٤٣– باب في الرجل يأكل من مال ولده ، حديث رقم (٣٥٢٨) ، (٢٨٨/٣) ، سنن أبي داود ، لسليمان بن الأشعث أبوداود السجستاني ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الفكر .

*حكى ابن المنذر إجماع أهل العلم على نفقة الوالدين الفقيرين اللذين لا كسب لهما ولا مال ، والأُم أحق بحسن الصحبة من الأب ، وأولى منه بالبر ، حيث لا يتسع مال الابن إلا لنفقة واحد منهما ، وإليه ذهب الجمهور كما حكاه القاضى عياض ، وقيل : إنَّهما سواء ، وهو مروى عن مالك وبعض الشافعية.

(انظر : المغنى في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيبانيّ ، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسيّ ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ ، (١٦٩/٨) . وانظر : نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٣م ، (١٣٦/٧ ، ١٣٧)).

(٣) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، (١٧١/٤) .

(٤) لسان العرب ، مادة (كسب) ، (٧١٦/١) .

(٥) جامع البيان ، للطبري ، (٣٣٧/٣٠) .

الأول : لم ينفعه ماله وما كسب بماله ، يعنى رأس المال والأرباح .

الثاني : المال هو الماشية وما كسب من نسلها ونتاجها ، فإنه كان صاحب النعم والنتاج .

الثالث : ماله الذي ورثه من أبيه ، والذي كسبه بنفسه .

الرابع : ما كسب ، أي : ولده . ونسبه إلى ابن عباس رضي الله عنهما ، واستشهد عليه ببعض الأحاديث .

الخامس : ما ينفعه ماله وعمله الخبيث ، يعنى كيده في عداوة رسول الله – ﷺ – ونسبه إلى الضحاك .

السادس : وما كسب ، أي : عمله الذي ظنَّ أنَّه منه على شيء . ونسبه إلى قتادة[1] .

وإن كان الرازي لم يرجِّح بين هذه الوجوه ، إلاَّ أنَّ الذي يظهر أنَّه يميل إلى الوجه الرابع ، لأنَّه ذكر في الدليل عليه بعض الأحاديث ، وهذا القول الرابع هو ما نقله ابن منظور .

أمَّا القرطبي فقد خالفه ابن منظور ، حيثُ فسَّر الكسب هنا بالجاه ، ثم ذكر قولاً آخر ، وهو قول ابن منظور الذي يقضى بأن (ما كسب) في الآية يعنى ولده . قال القرطبي في تفسير هذه الآية ما نصَّه : (أي ما دفع عنه عذاب الله ما جمع من المال ، ولا ما كَسَبَ من جاه ، وقال مجاهد : من الولد ، وولد الرجل من كسبه) [2] ، ثُمَّ ذكر القرطبي على قول مجاهد بعض الأدلة من الأثر والحديث[3] .

ووافق ابن كثير الذي قال في تفسير هذه الآية : (قال ابن عباس وغيره : (وما كسب) ، يعنى : ولده ، ورُوى عن عائشة ومجاهد وعطاء والحسن وابن سيرين مثله)[4] .

وخالف الشنقيطي[1] ، الذي قال في تفسير قوله : (وما كسب) : (فقيل : أي : من المال الأول ، أو ما ورثه أو ما كسب من عمل جرَّ عليه هذا الهلاك ، وهو عداوه لرسول الله ﷺ) [2] .

---

(١) انظر : التفسير الكبير للرازي ، (٣٢/١٥٦) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٠/٢٣٨) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (٢٠/٢٣٨) .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤/٥٦٥) .

ولم يذكر الشنقيطي قول ابن منظور الذي فسَّر فيه الكسب في الآية بالولد[٣] والصحيح – والله أعلم – هو قول أكثر المفسرين ، وهو قول ابن منظور آنف الذكر ، أي : أنَّ المراد من قوله : (وما كسب) ولده ؛ لتظاهر الأدلة على ذلك ، ومنها الحديث الذي ذكره ابن منظور ، وورد في المستدرك ، وسنن أبي داود[٤] .

سبب النزول :

قال السيوطي في سبب نزول سورة المسد : (أخرج البخاري[٥] وغيره ، عن ابن عباس قال : (صعد رسول الله – ﷺ – ذات يوم على الصفا فنادى: يا صباحاه ، فاجتمعت إليه قريش ، قال : أرأيتم لو أخبرتكم أنَّ العدو مصبحكم أو ممسيكم ، أكنتم

---

(١) الشنقيطيّ : هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر بن محمد ، الجكني الشنقيطي . ولد سنة (١٣٥٠هـ) في كيفا بشنقيط ، وشنقيط هي دولة موريتانيا الإسلامية الآن ، اشتهر مع الدرس والفتيا بالقضاء وبالفراسة فيه ، من مصنفاته : منع جواز المجاز في المُنزل للتعبد والإعجاز ، ودفع إيهام الاضطراب عن الكتاب ، وكتابه في التفسير : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، وصل فيه رحمه الله إلى نهاية سورة المجادلة ثُمَّ توفي ، وأكمله من بعده تلميذه الشيخ عطية محمد سالم . توفي سنة (١٣٩٣هـ) بمكة المكرمة .

(انظر : ترجمة الشيخ عطية محمد سالم للإمام الشنقيطي في تفسير أضواء البيان ، لمحمد الأمين الشنقيطي، تحقيق : محمد عبدالعزيز الخالدي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٧،٢هـ ، ص ٢١٦٧) . وانظر : ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان ، لعبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط٢ ، ١٤١١هـ ، ص (٩ – ١٩) .

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطيّ ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر للطباعة ، بيروت ، ١٤١٥هـ ، (١٤٤/٩) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (١٤٤/٩) .

(٤) أبو داود: هو الإمام أبوداود السجستانيّ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزديّ، صاحب السنن، والتصانيف المشهورة ، كان رأساً في الحديث ، رأساً في الفقه، ذا جلالة وحرمة وصلاح وورع حتى كان يُشبَّه بشيخه الإمام أحمد بن حنبل.ولد سنة (٢٠٢هـ)،وتوفي بالبصرة سنة (٢٧٥هـ) .
(انظر : العبر ، لشمس الدين الذهبى ، (٦٠/٢ ، ٦١) ، وانظر : شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلى ، (١٦٧/٢ ، ١٦٨)) .

(٥) البخاريّ : هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، أبو عبدالله الجعفيّ البخاريّ ، صاحب الجامع الصحيح والتاريخ ، ولد سنة (١٩٤هـ) ، مَهَرَ البخاري في علم الحديث ورزق الحفظ والمعرفة له ، ورحل في طلب العلم . قال أحمد بن حنبل : ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل البخاري . توفي ليلة عيد الفطر سنة (٢٥٦هـ) .

(انظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٣٥٨هـ ، ترجمة رقم (١٥٨٦) ، (١١٣/١٢-١١٩) ، وانظر : شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، (١٣٤/٢) ، وانظر : المقصد الأرشد ، لابن مفلح ، ترجمة رقم (٩٠١) ، (٣٧٥/٢)) .

تصدقونى ؟ قالوا : بلى . قال : فإنِّى نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبولهب : تباً لك. ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله [تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ][1] إلى آخرها) [2]

كما ذكر رواية أُخرى مفادها أنَّ امرأة أبي لهب[3] كانت تلقي في طريق النبـي- ﷺ - الشوك، فنزلت:(تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ)[4]إلى (وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ)[5].

المعنى العام للآية :

نزلت هذه الآية – كما بيَّنتُ سابقاً – في عم النبي – ﷺ – أبـي لهـب ، وهـو عبدالعزى بن عبد المطلب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، يُحتمل أن تكون (ما) نافية ، ويكون الكلام خبراً عن أنَّ جميع أحواله الدنيوية لم تغن عنه شيئاً ، حيثُ حتم عذابه بعد موته ، ويُحتمل أن تكون ما استفهاماً على وجه التقرير ، أي : أين الغناء الذي لماله ولكسبه ، وما كسب يُراد به بنوه كما قال كثير من المفسرين ، وقيل غير ذلك[6] .

النص رقم (٥٧) و (٥٨)

يقول تعالى : [وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ...][7] .

ويقول تعالى : [أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا ...][8] .

---

(١) سورة المسد ، الآية (١) .

(٢) لباب النقول ، للسيوطي ، ص ٢٣٧ ، وانظر : أسباب النزول ، للواحدىّ ، ص ٥١٦ .

(٣) امرأة أبي لهب : هي أُم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان بن حرب ، عمة معاوية بن أبي سفيان ، كانت مؤذية لرسول الله ﷺ وللمؤمنين بلسانها وغاية قدرتها ، قال ابن عباس : كانت تجئ بالشوك ، فتطرحه في طريق النبي ﷺ وطريق أصحابه ليعقرهم ، فلذلك سميت حمالة الحطب .

(انظر : المحرر الوجيز ، لابن عطية ، (٥/٥٣٥) ، وانظر : البداية والنهاية ، لابن كثير ، (٣/٤١)) .

(٤) سورة المسد ، الآية (١) .

(٥) سورة المسد ، الآية (٤) . وانظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ٢٣٧ .

(٦) انظر: المحرر الوجيز،لابن عطية ، (٥/٥٣٤) . وانظر: تفسير الجلالين، للمحلي والسيوطي،ص ٨٢٦ .

(٧) سورة الطور ، الآية (٤٤) . وتمام الآية : [وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ] .

(٨) سورة الإسراء ، الآية (٩٢) . وتمام الآية : [أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا] .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (وكَسَفَ الشَّيءَ يَكِسفُه كَسْفاً وكَسَّفَهُ ، كلاهما : قطعه ، وخص بعضهم به الثوب والأديم . والكِسْفُ والكِسْفَةُ والكَسيفة : القطعة ممَّا قطعت ... وكِسْفُ السحاب وكِسَفُه : قِطَعُه ، وقيل : إذا كانت عريضة فهي كسف . وفي التنزيل : (وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ) . الفرَّاء في قوله : (أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا) ، قال : (الكِسْفُ والكِسَفُ وجهان) [١] ... وقال الزجَّاج : قرئ كِسْفاً وكِسَفاً) ، فمن قرأ (كِسَفاً) ، جعلها جمع كِسْفَة ، وهي القطعة ، ومن قرأ (كِسْفاً) جعله واحداً ، قال أو تسقطها طبقاً علينا ، واشتقاقه من كَسَفْتُ الشيءَ إذا غطَّيتُه[٢])[٣] .

دراسة النص :

قال الطبري في تفسير الكسف الوارد في آية الطور : (يقول تعالى ذكره : وإن يرَ هؤلاء المشركون قطعاً من السماء ساقطاً ، والكسف جمع كسفة ، مثل : التمر جمع تمرة ، والسدر جمع سدرة ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل) [٤] وقال في الكسف الذي في آية الإسراء بعد أن أورد قراءتين فيه ، إحداهما بسكون السين ، والأخرى بفتحها : (وأولي القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأه بسكون السين ؛ لأنَّ الذين سألوا رسول الله – ﷺ – ذلك لم يقصدوا في مسألتهم إيَّاه ذلك أن يكون بحد معلوم من القطع ، إنَّما سألوا أن يُسقط عليهم من السماء قطعاً ، وبذلك جاء التأويل أيضاً عن أهل التأويل) [٥] .

---

(١) معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٢/١٢٠) .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٣/٢١٢) .

(٣) لسان العرب ، مادة (كسف) ، (٩/٣٠٠) .

(٤) جامع البيان ، للطبري ، (٢٧/٣٥) .

(٥) المرجع السابق ، (١٥/١٦١) .

وبذلك يكون ابن منظور قد وافق الطبري في معنى الكسف الوارد في الآيتين

وقال الرازي في آية الطور : (والكِسْفَةُ : القطعة . يُقال : كسفةٌ من ثوب ، أي : قطعة)(1) ، وبيَّن في آية الإسراء وجهي القراءة ، فذكر أنَّها تقرأ بسكون السين وبفتحها، ونقل عن بعضهم أنَّه قال : يُقال : كَسَفْتُ الثوبَ أكسفه كسفاً ، إذا قطعته قطعاً ، وذكر فيما ذكر قول الزجَّاج الذي أورده ابن منظور(2) .

فوافق ابن منظور الرازي أيضاً فيما يتعلق بمعنى الكسف في الآيتين .

وقال القرطبي في آية الطور : (والكِسْفُ : جمع كِسْفَة ، وهي القطعة من الشيء، يُقال : أعطني كِسفاً من ثوبك ، ويُقال في جمعها أيضاً : كِسَفٌ) (3) .

وذكر في آية الإسراء القراءتين الواردتين فيها عن الفرَّاء ، وبيَّن أن معنى كِسَفاً : أي : قطعاً ، ونسب ذلك إلى ابن عباس وغيره ، وذكر قول الزجَّاج آنف الذكر إلاَّ أنَّه نسبه إلى الأخفش ، وذكر أيضاً قول الجوهرى : الكِسْفَةُ : القطعةُ من الشيء ، يُقال : أعطني كِسْفَةً من ثوبك ، والجمع : كِسْفٌ وكِسَفٌ ، ويُقال : الكِسْفُ والكسفةُ واحد(4) .

وبذلك يتفق ابن منظور مع القرطبي أيضاً في بيان معنى الكسف في الآيتين معاً .

أمَّا ابن كثير فلم يفسر الكسف الوارد في آية الطور(5) ، فلا وجه للمقارنة بينه وبين ابن منظور في هذا .

أمَّا آية الإسراء فقد فسَّر فيها الكسف بالقطع(6) ، فوافق في ذلك ابن منظور .

ولعلَّ ابن كثير لمَّا أعرض عن بيان المعنى في سورة الطور اعتمد في ذلك على بيانه له في سورة الإسراء ؛ لأنَّ وسورة الإسراء سابقة لسورة الطور في الترتيب .

ووافق ابن منظور النسفي في الآيتين ، حيثُ فسَّر النسفي الكسف في آية الطور بالقطعة(7) ، وفي آية الإسراء بالقطع(8) .

---

(1) التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٣١/٢٨) .

(2) انظر : المرجع السابق ، (٤٨/٢١) .

(3) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٧٧/١٧) .

(4) انظر : المرجع السابق ، (٣٣٠/١٠) .

(5) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٤٦/٤) .

(6) انظر : المرجع السابق ، (٦٥/٣) .

(7) انظر : مدارك التنزيل ، للنسفي ، (١٨٦/٤) .

(8) انظر : المرجع السابق ، (٢٩٩/٢ ، ٣٠٠) .

وبهذا يتفق ابن منظور في ذلك مع المفسرين ، ولم أجد له مخالف من أهل التفسير .

وجوه القراءات :

١ – آية الطور : ليس فيها خلاف . اتفقوا على قراءتها (كِسْفاً) بسكون السين[١] .

٢ – آية الإسراء : قرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح السين هنا خاصة ، جمع كِسْفَة كقطعة وقطع ، وقرأ الباقون بإسكان السين ، جمع كِسْفة أيضاً كسِدْرَة وسدر[٢] .

المعنى العام للآيتين :

١ – أية الطور :

قال الزمخشري : (الكِسْفُ : القطعةُ ، وهو جواب قولهم : (أو تسقط السماء زعمت علينا كسفا) ، يريد أنهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم ، بعضه فوق بعض يمطرنا ، ولم يُصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب) [٣].

٢ – آية الإسراء :

بيَّن الله – جلَّ وعلا– في هذه الآية والآيات التي قبلها والتي بعدها شدة عناد الكفار وتعنتهم ، وكثرة اقتراحاتهم لأجل التعنت ، لا لطلب الحق ، فذكر أنهم قالوا للنبي ﷺ فيما قالوا : إنَّهم لن يؤمنوا به – أي : لن يصدقوه – حتى يُسقط السماء عليهم كسفاً ، أي : قطعاً ، كما زعم ، أي : في قوله تعالى : (إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ)[٤] ، أو يأتيهم بالله والملائكة قبيلاً ، أي : معاينة ، وقال بعض العلماء : قبيلاً ، أي : كفيلاً ، وقيل : شهيداً ، وقيل : هو جمع قبيلة ، أي : تأتي بأصناف الملائكة[٥] .

---

(١) انظر : اتحاف فضلاء البشر ، للدمياطيّ ، ص ٣٦١ .

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٣٦١. وانظر: التيسير في القراءات السبع ، لابن عمرو الداني ، ص ١٤١ . وانظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص ٤١٠ .

(٣) الكشاف ، للزمخشري ، (٤/٤١٧) .

(٤) سورة سبأ ، الآية (٩) .

(٥) انظر : أضواء البيان ، للشنقيطيّ ، (٣/١٨٣ ، ١٨٤) .

النص رقم (٥٩)

يقول تعالى : [وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ][1] .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (كَشَطَ الغطاءَ عن الشيء ، والجِلْدَ عن الجَزُور ، والجُلَّ عن ظهر الفرس يَكْشِطُهُ كَشْطاً : قَلَعه وَنزَعَه وكَشَفه عنه ، واسم ذلك الشيء الكشاط ، والقَشْطُ لغة فيه ... وفي التنزيل العزيز : [وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ] . قال الفرَّاء : يعنى نُزعت فطُويت ، وفي قراءة عبدالله* : قُشِطَتْ (بالقاف) ، والمعنى واحد ... وإذا تقارب الحرفان تعاقبا في اللغات[2] . وقال الزجَّاج : معنى كشطت وقشطت قلعت كما يقلع السقف[3] . وقال الليث : الكشط رفعك شيئاً عن شيء قد غطاه وغشيه من فوقه ، كما يكشط الجلد عن السنام وعن المسلوخة) [4] .

دراسة النص :

قال الطبري في بيان معنى الكشط في الآية : (يقول تعالى ذكره : وإذا السماء نزعت وجذبت ثم طويت ... وذُكِر في قراءة عبدالله (قُشِطتْ) بالقاف : والقشط والكشط بمعنى واحد ، وذلك تحويل من العرب الكاف قافاً لتقارب مخرجيهما) [5] .

فوافق ابن منظور الطبري في ذلك .

ولم يخالف ابن منظور الرازي الذي قال في تفسير هذه الآية : (وإذا السماء كشطت ، أي : كشفت وأُزيلت عمَّا فوقها ، وهو الجنة وعرش الله تعالى ، كما يُكْشَط الإهاب عن الذبيحة ، والغطاء عن الشيء ، وقرأ ابن مسعود : (قُشِطَت) واعتقاب القاف والكاف كثير ... قال الفرَّاء : نُزِعتْ فَطُوِيَتْ")[6] .

---

(١) سورة التكوير ، الآية (١١) .

*يعنى عبدالله بن مسعود ﷺ كما بيَّن ذلك الإمام الرازي. (انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٦٥/٣١)) .

(٢) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٢٤١/٣) .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٢٢٥/٥) .

(٤) لسان العرب ، مادة (كشط) ، (٣٨٧/٧) .

(٥) جامع البيان ، للطبري ، (٧٣/٣٠) .

(٦) التفسير الكبير ، للرازي ، (٦٥/٣١) .

فكل هذه المعاني التي ذكرها الرازي وابن منظور من معاني الكشط في اللغة ، فإنَّ القلع والنزع والكشف مؤداها جميعاً واحد .

كما لم يخالف ابن منظور القرطبي الذي قال في تفسير الآية : (الكَشْطُ : قلع عن شدة التزاق ، فالسَّماء تُكْشَط كما يكشط الجلد عن الكبش وغيره ، والقَشْطُ لغة فيه ، وفي قراءة عبدالله : (وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ قُشِطَتْ) ... فالسماء تنزع من مكانها كما يُنزع الغطاء عن الشيء ، وقيل : تُطوى ... فكأن المعنى : قُلِعَت فَطُوِيَت ، والله أعلم) [1] .

وقال ابن كثير في معنى الآية : (وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ) قال مجاهد : اجتذبت ، وقال السدىّ ، كُشِفَت ، وقال الضحاك ، تنكشط فتذهب) [2] .

وكل هذه المعاني التي نقلها ابن كثير عن هؤلاء المفسرين لا تخرج عن معاني الكشط في اللغة ممَّا ذكره ابن منظور .

كما وافق ابن منظور البغوي الذي نقل في تفسيره قول الفرَّاء وقول الزجَّاج اللذين أوردهما ابن منظور ، ونقل أيضاً قول مقاتل : كُشطت ، أي : تكشف عمَّن فيها، ومعنى الكشط : رفعك شيئاً عن شيء قد غطَّاه ، كما يُكشط الجلد عن السنام[3] ، وبعض هذا القول أورده ابن منظور أيضاً ، ونسبه إلى الليث كما مرَّ آنفاً .

المعنى العام للآية :

تتحدث هذه السورة من بدايتها عن جملة من الأحداث التي تقع يوم القيامة ، فإذا حصلت هذه الأمور الهائلة تميز الخلق ، وعَلِم كلٌّ ما قدَّمه لآخرته ، وما أحضره فيها من خير وشر ، ومن جملة هذه الأحداث انكشاط السماء ، أي : قلعها وإزالتها ، كما يكشف الإهاب عن الذبيحة ، والغطاء عن الشيء المستور به ، فأصل الكشط السلخ ، واستعير هنا للإزالة[4] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٣٥/١٩) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٧٩/٤) .

(٣) انظر : معالم التنزيل : للبغوي ، (٤٥٢/٤) .

(٤) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ٩٢١ . وانظر : روح المعاني ، للألوسي ، (٥٦/٣٠) .

النص رقم (٦٠)

يقول تعالى : [لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ][1] .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (وكَشَفَ الأمرُ يَكْشِفُ كَشْفاً : أظهره ... والكاشفةُ : مصدر كالعافية والخاتمة . وفي التنزيل العزيز : (لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ) ، أي : كشف ، وقيل : إنَّما دخلت الهاء ليساجع* قوله : (أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ)[2] ، وقيل : الهاء للمبالغة ، وقال ثعلب : معنى قوله : (لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ) أي : لا يكشف الساعةَ إلا ربُّ العالمين ، فالهاء على هذا للمبالغة) [3] .

دراسة النص :

يقول الطبري في تفسير هذه الآية والتي قبلها ما نصَّه : (يقول تعالى ذكره : ليس للآزفة التي قد أزفت ، وهي الساعة التي قد دنت من دون الله كاشف ، يقول : ليس تنكشف فتقوم إلاَّ بإقامة الله إياها ، وكشفها دون من سواه من خلقه ؛ لأنَّه لم يطلع عليها ملكاً مقرباً ، ولا نبياً مرسلاً) [4] .

فوافق ابن منظور الطبري في ذلك ، وأضاف ذكر سبب ورود الهاء لتأنيث (كاشفة) .

وذكر الرازي في تفسير الآية وجهين:أحدهما:لا مظهر للساعة إلاَّ الله ، فهو كقوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ)[5]،وقوله تعالى: (لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَ)[6] .

---

(١) سورة النجم ، الآية (٥٨) .

*السجع : هو أحد المحسنات اللفظية في علم البديع ، وهو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد ، وهذا معنى قول السكاكي : الإسجاع في النثر ، كالقوافي في الشعر ، وهو ثلاثة أضرب : مُطَرَّفٌ ومتواز وترصيع . (انظر : الإيضاح في علوم البلاغة ، لمحمد عبدالمنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني، ط٣ ، (ص ٤٧٧ ، ٥٣٥ ، ٥٤٧) .

(٢) سورة النجم ، الآية (٥٧) .

(٣) لسان العرب ، مادة (كشف) ، (٩/٣٠٠) .

(٤) جامع البيان ، للطبري ، (٢٧/٨) .

(٥) سورة لقمان ، الآية (٣٤) .

(٦) سورة الأعراف ، الآية (١٨٧) .

الثاني : لا يأتي بها إلاَّ الله ، كقوله تعــالى : (وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرࣲّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ)[1] ، ثم بيَّن العلة من تأنيث (كاشفة) ، فقال : (كاشفة صفة لمؤنــث ، أي : نفس كاشفة وقيل : هي للمبالغة) [2] .

وهذين الوجهين اللذين ذكرهما الرازي يؤديان إلى نتيجة واحدة.وهي أنَّ القيامة لا يعلم بها، ولا يظهرها،ولا يأتي بها أحدٌ إلاَّ الله ، وهذا المعنى هو ما أراده ابن منظور .

أمَّا القرطبي فقد ذكر أنَّ المراد من الآية أنَّ الساعة ليس لها مــن دون الله مــن يؤخرها أو يقدمها . ثم ذكر أقوالاً أخرى في المعنى ، منها : إنَّ معناهــا الانكشــاف ، أي: لا يكشف عنها ولا يبديها إلاَّ الله ، فالكشف اسم بمعنى المصدر ، ومنها إنَّ معناها: لا أحد يرد ذلك ، أي : إنَّ القيامة إذا قامت لا يكشفها أحد من آلهتهم ، ولا ينجيهم غير الله – تعالى – ، ومنها إنَّ كاشفة معناها كاشف ، والهاء المبالغة[3] .

وعلى هذا فإنَّ ابن منظور يخالف القرطبي في قوله الذي اختاره .

وكذلك ابن كثير فإنه يخالف ابن منظور في معنى هذه المفردة ، حيثُ قال : (أي: لا يدفعها إذاً من دون الله أحد ، ولا يَطَّلع على علمها سواه) [4] .

وكذلك خالف الشوكانيّ الذي ذكر في تفسير هذه الآية بعض الأقوال التي ذكرهــا ابن منظور ، إلاَّ أنَّه اختار قولاً آخر ، وهو أنَّ معناها : لا يقدر على كشف الساعة إذا غشيت الخلق بشدائدها وأهوالها أحد غير الله تعالى ، ونسب الشوكانيّ هذا القول إلــى عطاء والضحاك وقتادة وغيرهم[5] .

المعنى العام للآية :

يخبر الله – تعالى – في الآية السابقة لهذه الآية عن اقتراب الساعة ، وفيه إشعار بأنَّ تعذيب الكافرين مؤخر إلى يوم القيامة ، وفي هذه الآية يبين أنَّه ليس للساعة نفــس قادرة على كشفها عند وقوعها إلاَّ الله تعالى ، لكنه لا يكشفها ، أو ليس لها الآن نفــس كاشفة بتأخيرها إلاَّ الله – تعالى – ، أو ليس لها كاشفة لوقتها إلاَّ الله تعالى ، أو لــيس لها من غير الله – تعالى – كشف على أن (كاشفة) مصدر كالعافية[6] .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٧) . وانظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٤/٢٩) .

(٢) المرجع السابق ، (٢٤/٢٩) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٢٢/١٧) .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٦٠/٤) .

(٥) انظر : فتح القدير ، للشوكانيّ ، (١١٨/٥) .

(٦) انظر : إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (١٦٦/٨) ، وانظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٢٥٧/٤) .

النص رقم (٦١)

يقول تعالى : [...وَٱلۡكَـٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ...][1] .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (الليث : كَظَمَ الرجل غيظه إذا اجترعه . كَظَمَه يَكْظِمُهُ كَظْماً : ردَّه وحَبَسَه ، فهو رجلٌ كظيمٌ ، والغيظُ مكظومٌ . وفي التنزيل العزيز : (وَٱلۡكَـٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ) . فسَّره ثعلب فقال : يعنى : الحابسين الغيظ ، لا يُجازون عليه ، ... كَظْمُ الغيظِ : تجرُّعُه واحتمال سببه والصبر عليه) [2] .

دراسة النص :

قال الطبري في بيان معنى كظم الغيظ ما نصُّه : (يعنى : والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه ، يقال منه : كظم فلان غيظه ، إذا تجرَّعه ، فحفظ نفسه من أن تمضى ما هي قادرة على إمضائه ، باستمكانها ممن غاظها ، وانتصارها ممن ظلمها)[3].

فوافق ابن منظور الطبري في ذلك .

وقال الرازي : (يُقال : كظم غيظه ، إذا سكت عليه ، ولم يظهره لا بقول ولا بفعل ، قال المبرد : تأويله أنَّه كتم على امتلائه منه ... ومعنى قوله : (والكاظمين الغيظ) الذين يكفون غيظهم عن الإمضاء ، يردون غيظهم في أجوافهم ، وهذا الوصف من أقسام الصبر والحلم) [4] .

إذن فابن منظور يوافق الرازي أيضاً في معنى كظم الغيظ ، وإن اختلفت ألفاظهما في توضيح المعنى بعض الاختلاف .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٣٤) . وتمام الآية : [ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَـٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ] .

(٢) لسان العرب ، مادة (كظم) ، (٥١٩/١٢ ، ٥٢٠) .

(٣) جامع البيان ، للطبري ، (٩٣/٤) .

(٤) التفسير الكبير ، للرازي ، (٧/٩) .

وقال القرطبي : (وكَظْمُ الغيظ : ردُّه في الجوف ، يُقال : كَظَم غيظه إذا سكت عليه ، ولم يُظهره مع قدرته على إيقاعه بعدوه ، وكظمتُ السقاء ، أي : ملاتهُ وسددتُ عليه) (١) .

وعلى هذا فلا خلاف بين ابن منظور والقرطبي في ذلك أيضاً .

وقال ابن كثير في تفسير قوله : (وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ) : (أي : إذا ثار بهم الغيظ كتموه فلم يُعلموه ، وعفوا مع ذلك عمَّن أساء إليهم) (٢) .

وما ذكره ابن كثير هنا لا يختلف في معناه عمَّا ذكره ابن منظور .

وكذا وافق ابن منظور الإمام البغوي في هذا المعنى ، حيث قال البغوي : (والكاظمين الغيظ ، أي : الجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه ، والكظم حبس الشيء عند امتلائه ، وكَظْمُ الغيظ أن يمتلئ غيظاً فيرده في جوفه ولا يظهره) (٣) .

المعنى العام للآية :

وصف الله – عزَّ وجل – المتقين الذين أُعدت لهم الجنة ، فقال في هذه الآية : إنَّ من أعمالهم أنهم ينفقون في يسرهم وعسرهم ، إن أيسروا أكثروا من النفقة ، وإن أعسروا لم يحتقروا من المعروف شيئاً ولو قلَّ ، والكاظمين الغيظ ، أي : إذا حصل لهم من غيرهم أذية توجب غيظهم ، وهو امتلاء قلوبهم من الحنق الموجب للانتقام القول والفعل فإنَّ هؤلاء لا يعملون بمقتضى الطباع البشرية ، بل يكظمون ما في القلوب ، ويصبرون عن مقابلة المسيء إليهم ، والعافين عن الناس ، أي : يعفون عن كل من أساء إليهم بقول أو فعل ، والعفو أبلغ من الكظم ؛ لأنَّ العفو ترك المؤاخذة مع السماحة عن المسيء ، ثم ذكر حالة أعمَّ من غيرها ، وأحسن وأعلى وأجل ، وهي الإحسان ، فقال : (والله يحب المحسنين) ، والإحسان نوعان : الإحسان في عبادة الخالق ، والإحسان إلى المخلوقات(٤) .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٠٦/٤) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٠٥/١) .

(٣) معالم التنزيل ، للبغوي ، (٣٥٢/١) .

(٤) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص (١٤٨ ، ١٤٩) .

النص رقم (٦٢)

يقول تعالى : [...ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ][1] .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (ورجل مكظوم وكظيم : مكروب قد أخذ الغم بِكَظَمِـهِ . وفي التنزيل العزيز : (ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ))[2] .

ثم بيَّن معنى الكظم في موضع آخر ، فقال : (الكَظَمُ : مخرج النَّفسَ ... وأخذ بكظمه ، أي بحلقه) [3] .

دراسة النص :

يقول الطبري في تفسير هذه الآية : (وإذا بُشِر أحد هؤلاء الذين جعلوا لله البنات بولادة ما يضيفه إليه من ذلك ، ظل وجهه مسودّاً من كراهته له ، وهو كظيم ، يقول : قد كظم الحزن ، وامتلأ غمًّا بولادته له فهو لا يظهر ذلك) [4] .

وما قاله الطبري هنا هو بعينه ما يعنيه ابن منظور .

ولم يخالف ابن منظور كذلك الإمام الرازي الذي قال : (وهو كظيم ، أي : ممتلئ غمّاً وحزناً) [5] .

كما لم يخالف القرطبي الذي قال في معنى (كظيم) : (أي : ممتلئ من الغم) [6] ، وذكر أقوالاً أخرى كلها تدور حول ذات المعنى[7] .

ولم يخالف ابن كثير المعنى الذي ذكره ابن منظور ، فقد قال في تفسير قوله : (وهو كظيم) : (ساكت من شدة ما هو فيه من الحزن) [8] .

---

(١) سورة النحل ، الآية (٥٨) . وتمام الآية : [وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ] .

(٢) لسان العرب ، مادة (كظم) ، (٥٢٠/١٢) .

(٣) المرجع السابق ، مادة (كظم) ، (٥٢٠/١٢) .

(٤) جامع البيان ، للطبري ، (١٢٣/١٤) .

(٥) التفسير الكبير ، للرازي ، (٤٥/٢٠) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١١٦/١٠) .

(٧) انظر : المرجع السابق ، (١١٦/١٠) .

(٨) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٥٧٤/٢) .

ولم يخالف ابن منظور ما ذكره النسفي في ذلك ، حيث قال النسفي في معنى (كظيم) : (مملوء حنقاً على المرأة) (١) .

وهكذا ، فإنَّ التفسير اللغوي الذي ذكره ابن منظور في هذه المفردة يتفق مع أقوال المفسرين في تفسيرها ، وإن كان هناك اختلافاً في بعض الألفاظ التي استخدمها هؤلاء للوصول إلى المعنى .

المعنى العام للآية :

في هذه الآية الكريمة إخبارٌ عن حال العرب في كراهيتهم البنات ، (وظل) هنا يحتمل أن تكون على بابها ، أو بمعنى صار ، والسَّواد هو عبارة عن عبوس الوجه والغم ، وقد يكون معه سواد حقيقة ، والكظيم هو المكروب والمكمود الذي بلغ به الحزن أنه لا يتكلم(٢) .

النص رقم (٦٣)

يقول تعالى : [...وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ ....](٣) .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (والكَعْبُ : العظم لكل ذي أربع ، والكَعْبُ : كل مَفْصِلٍ للعظام، وكَعْبُ الإنسانِ : ما أشرف فوق رُسْغِهِ عند قَدَمه ، وقيل : هو العظم الناشز فوق قدمه ، وقيل : هو العظم الناشز عند ملتقى الساق والقدم . قال ابن الأثير : (الكعبان : العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم عن الجنبين) (٤)) (٥) .

---

(١) مدارك التنزيل ، للنسفي ، (٢/٢٦٠) .

(٢) انظر : التسهيل ، للكلبي ، (٢/١٥٦) . وانظر : الدر المنثور ، للسيوطي ، (٤/٥٦٩) .

(٣) سورة المائدة ، الآية (٦) . وتمام الآية : [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ] .

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير الجزري ، (٤/١٧٨) .

(٥) لسان العرب ، مادة (كعب) ، (١/٧١٨) .

دراسة النص :

قال الطبري في بيان موضع الكعبين من الإنسان : (والصواب من القول في ذلك أنَّ الكعبين هما : العظمان اللذان في مفصل الساق والقدم ، تسميهما العرب المنجمين)[١].

فخالف ابن منظور على ذلك الطبري ، ووافقه ابن الأثير .

وذكر الرازي أنَّ مذهب جمهور الفقهاء هو أنَّ الكعبين عبارة عن العظمين الناتئين من جانبى الساق ، ومذهب الإمامية من الشيعة أن الكعب عبارة عن عظم مستدير ، مثل كعب البقر والغنم ، موضوع تحت عظم الساق ، حيث يكون مفصل الساق والقدم[٢] ، ثُمَّ اختار الرازي مذهب الجمهور ، وردَّ مذهب الشيعة ، حيثُ قال : (والجواب أنَّ مناط التكاليف الظاهرة يجب أن يكون شيئاً ظاهراً ، والذي ذكرناه أظهر)[٣] . يعنى مذهب الجمهور .

فخالف ابن منظور الرازي أيضاً ؛ لأن الرازي ذهب إلى ما ذهب إليه الإمام الطبري . وذكر القرطبي اختلاف العلماء في الكعبين ، وبيَّن مذهب الجمهور – آنف الذكر –[٤] ثُمَّ قال : (قلتُ هذا – أي مذهب الجمهور – هو الصحيح لغة وسنة) [٥]

فخالفه ابن منظور كذلك .

وذكر ابن كثير كذلك الخلاف بين الشيعة الروافض وبين الجمهور في تحديد موضع الكعبين ، وبيَّن أنَّ الشيعة بقولهم :إنَّ الكعبين في ظهر القدم يخالفون الأئمة والسلف ، وبيَّن مذهب الجمهور ، واستدلَّ عليه ببعض الأدلة ، ثم اختاره ، وبيَّن أنَّه مذهب أهل السنة[٦] ، فخالف بذلك ابن منظور .

وقال البغوي في بيان موضع الكعبين : (فالكعبان هما العظمان الناتئان من جانبى القدمين ، وهما مجمع مفصل الساق والقدم) [٧] .

---

(١) جامع البيان ، للطبري ، (١٣٦/٦) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٢٨/١١) .

(٣) المرجع السابق ، (١٢٨/١١) .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٩٦/٦) .

(٥) المرجع السابق ، (٦٩/٦) .

(٦) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٩/٢ ، ٣٠) .

(٧) معالم التنزيل ، للبغوي ، (١٧/٢) .

وهذا الذي ذكره البغوي هنا هو مذهب الجمهور – كما بينتهُ سابقاً – فخالفه ابن منظور في ذلك .

وجوه القراءات :

قرأ نافع وابن عامر والكسائى وحفص : (وأرجلَكم) بفتح اللام ، وقُرِئت بكسرها ، أمَّا قرأءة النصب فوجهها العطف على وجوهكم وأيديكم ، لأنَّ الجميع ثابت غسله من جهة السنة ، وإنمَّا فُصل بين المعطوف والمعطوف عليه بقوله : وامسحوا برءوسكم ، للتنبيه على الترتيب المشروع ، وأمَّا قراءة الجر فوجهها ظهار ، وهو العطف على (برءوسكم) ، والمراد به المسح على الخفين ، وعلى ذلك حمل الشافعى القراءتين ، فقال : أراد بالنصب قوماً ، وبالجر آخرين[١] .

المعنى العام للآية :

يا أيها الذين آمنوا إذا أردتم القيام إلى الصلاة وأنتم محدثون ، فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ، أي : معها – كما بيَّنته السنة – وامسحوا برءوسكم ، الباء للإلصاق ، أي : ألصقوا المسح بها من غير إسالة ماء ، والشافعي على أنَّه يكفي في المسح بعض الشعر ، وأرجلكم إلى الكعبين ، أي : معهما – كما بيَّنته السنة – وهما العظمان الناتئان في كل رِجْلٍ عند مفصل الساق والقدم ، والفصل بين الأيدى والأرجل المغسولة يفيد وجوب الترتيب في طهارة هذه الأعضاء ، وهذا قول الشافعى أيضاً ، ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه كغيره من العبادات ، وإن كنتم جنباً فاغتسلوا ، وإن كنتم مرضى مرضاً يضره الماء أو مسافرين أو أحدث أحدكم أو لا مستم النساء ، فلم تجدوا ماءً بعد طلبه ، فاقصدوا صعيداً طيباً ، وهو التراب الطاهر فامسحوا بوجوهكم وأيديكم مع المرفقين منه بضربتين ، والباء للإلصاق ، ما يُريد الله ليجعل عليكم من ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم ، ولكن يريد أن يطهركم من الأحداث والذنوب، ويتم نعمته عليكم بالإسلام ببيان شرائع الدين لعلكم تشكرون نعمه[٢].

---

(١) انظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص ٢٢١ .

وانظر : إبراز المعاني من حرز الأماني ، لأبي شامة الدمشقي ، (٤٢٧/٢) .

(٢) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ١٣٧ .

النص رقم (٦٤)

يقول تعالى : [وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا][1] .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (وكَعَبَتِ الجارِيةُ ، تَكْعُبُ وتَكْعِبُ ، الأَخيرةُ عن ثعلب ، كُعُوباً وكُعُوبةً وكِعَابة وكَعَّبت : نَهَدَ ثَدْيُهَا . وجاريةٌ كَعابٌ ومُكعِّبٌ وكاعِبٌ ، وجمع الكاعِبِ كواعبُ . قال الله تعالى : (وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا)) [2] .

دراسة النص :

قال الطبري في تأويل قوله : (وَكَوَاعِب أَتْرَابًا) : (يقول : ونواهد في سن واحدة)[3] .

فوافقه ابن منظور في ذلك ، حيث فسَّر الكواعب بالنساء اللاتي نهد ثديهن .

كما وافق الرازي الذي قال في تفسير هذه الآية : (كواعب جمع كاعب ، وهي النواهد التي تكعبت ثديهن وتفلكت ، أي : يكون الثدى في النتوء كالكعب والفلكة) [4] .

ووافق كذلك القرطبي الذي قال في بيان معنى الكواكب : (جمع كاعب ، وهي الناهد ، يُقال : كعبت الجارية تكعب كعوباً ، وكعبت تكعب تكعيباً ، ونهدت تنهد نهوداً ، وقال الضحاك : ككواعب العذارى) [5] .

أمَّا ابن كثير فقد فسَّر الكواعب بالحور الكواعب ، حيث قال : (وكواعب أتراباً ، أي : وحوراً كواعب . قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : كواعب ، أي : نواهد ، يعنون أنَّ ثديهن نواهد لم يتدلين ؛ لأنهن أبكار عرب أتراب ، أي : في سن واحد) [6] .

فابن كثير لم يخالف ابن منظور في معنى الكواعب ، وإن كان هذا الأخير لم يُصرح بأن هؤلاء الكواعب من الحور .

---

(١) سورة النبأ ، الآية (٣٣) .

(٢) لسان العرب ، مادة ، (كعب) ، (٧١٩/١) .

(٣) جامع البيان ، للطبري ، (١٨/٣٠) .

(٤) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٩/٣١) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٨٣/١٩) .

(٦) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٦٦/٤) .

وممن وافق ابن منظور كذلك في معنى الكواعب الإمام الشوكاني الـذي قـال : (الكواعب جمع كاعبة ، وهي الناهدة ، يُقال : كعبت الجارية تكعب تكعيبـاً وكعوبـاً ، ونهدت تنهد نهوداً ، والمراد أنهنَّ نساء كواعب ، تكعبت ثديهن وتفلكت ، أي : صارت ثديهن كالكعب في صدورهن[1] .

المعنى العام للآية :

وكواعب أتراباً : هذا من جملة ما للمتقين في اللآخرة من عطاء ، والكواعب هنَّ النواهد التي لم ينكسر ثديهن من شبابهن وقوتهن ونضارتهن ، أتراباً ، أي : على سـن واحدة ، ومن عادة الاتراب أن يكنَّ متآلفات متعاشرات ، وذلك السن الذي هن فيه ثلاث وثلاثون* سنة ، أعدل ما يكون من الشباب ، وفي بعض التفاسير : نساء الجنة كلهـن بنات ست عشرة سنة ، ورجالهن أبناء ثلاث وثلاثين[2] .

النص رقم (٦٥)

يقول تعالى : [وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ][3] .

التفسير اللغوي:

يقول ابن منظور : (والُكفـْءُ : النظير والمساوى ... وتَكَافَأ الشَّيْئانِ : تَمـاثَلا . وكافَأه مكافأةً وكفَاءً : ماثَلَه ... وقال الزجَّاج في قوله تعالى : [وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ] أربعةُ أوجه للقراءة ، منها ثلاثة : كُفُؤاً (بضم الكاف والفاء) ، وكُفْأ (بضم الكاف واسكان الفاء) ، وكِفْأ (بكسر الكاف وسكون الفاء) ، وقد قرئ بها ، وكِفَاءً (بكسر الكاف والمد) ، ولم يُقرأ بها . ومعناه : لم يكن أحد مثلاً لله تعالى ذكره) [4] .

---

(١) فتح القدير ، للشوكاني ، (٣٦٩/٥) .

* يُلاحظ التوافق العجيب بين رقم هذه الآية والسن التي عليها نساء الجنة ، وهي : ثلاث وثلاثون ، فسبحان الله !.

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ٩٠٧ . وانظر : روح المعاني ، للألوسي ، (١٨/٣٠) .

(٣) سورة الإخلاص ، الآية (٤) .

(٤) لسان العرب ، مادة (كفأ) ، (١٣٩/١) .

دراسة النص :

ذكر الطبري اختلاف أهل التأويل في معنى قوله (كفواً) ، ونقل لهم في ذلك قولين، أحدهما : إنَّ معنى ذلك لم يكن له شبيه ولا مثل ، وثانيهما : إنَّ المراد : لم يكن له صاحبة .

ثم اختار الطبري القول الأول ، حيثُ ذكر أنَّ الكفؤ والكفيء والكفاء في كلام العرب واحد ، وهو المثل والشبيه .

ثم ذكر خلاف القراء في قراءة قوله (كفواً) ، ونقل لهم قراءتين ، ثم بيَّن أنَّهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب[1] .

وبهذا يوافق ابن منظور الإمام الطبري في اختياره لمعنى الكفء في الآية .

وذكر الرازي في ذلك ثلاث قراءات ، وبيَّن أنَّ القراءة بالضم مع التخفيف هي الأصل ، ثم ذكر للمفسرين في معنى المفردة ثلاثة أقاويل : الأول : لم يكن له مثل ولا عديل . والثاني : لم يكن له صاحبة . والثالث : قال : وهو التحقيق ، أنَّه –تعالى– لمَّا بيَّن أنَّه هو المصمود إليه ي قضاء الحوائج ، ونفى الوسائط من البين ، بقوله : لم يلد ولم يولد ، على ما بيَّناه ، فحينئذ ختم السورة بأنَّ شيئاً من الموجودات يمتنع أن يكون مساوياً له في شيء من صفات الجلال والعظمة[2] .

واضح من كلام الرازي أنه يختار القول الثالث ، وإذا كان كذلك فابن منظور لا يوافقه ، ولكنى لا أرى أنَّ هناك فرقاً واضحاً بين القول الثاني والقول الثالث ممَّا ذكره الرازي.

ووافق ابن منظور القرطبي الذي قال في تفسير هذه الآية : (أي : لم يكن له مثلاً أحد ، وفيه تقديم وتأخير ... فقُدِّم خبر كان على اسمها ، لينساق أواخر الآي على نظم واحد) [3] .

ثم ذكر أوجه القراءات في قوله (كفوا) [4] .

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٣٤٧/٣٠ ، ٣٤٨) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٦٩/٣٢) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٤٦/٢٠) .

(٤) انظر : المرجع السابق ، (٢٤٦/٢٠) .

أمَّا ابن كثير فقد خالف ابن منظور حيثُ فسَّر الكفء بالصاحبة ، ونسب هذا القول إلى مجاهد ، وذكر قول الله – عزَّ وجل – : (بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ)[1] ، قال : أي : هو مالك كل شيء وخالقه ، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه ، أو قريب يدانيه ؟ تعالى وتقدس وتنزَّه[2] وابن كثير وأن خالف ابن منظور باللفظ ، إلاَّ أنَّ لفظ الصاحبة يحمل في معناه معنى النظير ونفى المماثلة ، كما يتبين ذلك من آخر كلام ابن كثير .

ووافق ابن منظور في ذلك ابن عطية الذي قال في تفسير هذه الآية : (معناه : ليس له ضد ولا ند ولا شبيه ، والكفأ والكفؤ والكفاء : النظير) [3] . وذكر وجوه القراءات[4] .

فكل هذه المعاني التي ذكرها ابن عطية تدور حول معنى المماثلة والمساواة .

وجوه القراءات :

قرأ حمزة : (كفئاً) ساكنة الفاء ، وقرأ الباقون بضم الفاء ، وهما لغتان .

وقرأ حفص[5] : (كفواً) مضمومة الفاء ، مفتوحة الواو ، غير مهموزة ، أبدل من الهمزة واواً ، والعرب تقول : ليس فلان كفو ولا مثل ولا نظير ، والله – عزَّ وجل – لا نظير له ولا مثل[6] .

سبب النزول :

ذكر الواحدي في سبب نزول سورة الإخلاص عن أُبي بن كعب – رضي الله عنه – : أنَّ المشركين قالوا لرسول الله ﷺ : أنسب لنا ربك ، فأنزل الله تعالى : [قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ][7] .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٠١) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٥٧١/٤) .

(٣) المحرر الوجيز ، لابن عطية ، (٥٣٧/٥) .

(٤) انظر : المرجع السابق ، (٥٣٧/٥) .

(٥) حفص : هو حفص بن سليمان ، أبوعمر الأسدى ، مولاهم الكوفي ، المقريء ، الإمام ، صاحب عاصم وابن زوجته . ولد سنة (٩٠هـ) . كان أعلمهم بقراءة عاصم ، وهو في القراءة ثقة ثبت ضابط لها بخلاف حالة في الحديث . مات سنة (١٨٠هـ) . (انظر : معرفة القراء الكبار ، لشمس الدين الذهبي ، (١٤٠/١) ، ومعجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، (٢٢٥/٣)) .

(٦) انظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص ٧٧٧ .

(٧) سورة الإخلاص ، الآيتان (١ ، ٢) ، وانظر : أسباب النزول ، للواحديّ ، ص ٥٣٨ .

المعنى العام للآية :

بعد أن أثبت الله وحدانيته وصمديته ، ونفى عن نفسه الولد والوالد ، نفى في هذه الآية عن نفسه أن يكون له أحدٌ يكافئه ، أو يماثله من صاحبة أو غيرها ، وكان الأصل تأخير قوله (كفواً) لأنه خبر ، لكن لما كان المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى قُــدِّم تقديماً للأهم(١) .

النص رقم (٦٦)

يقول تعالى : [أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ۞ أَحۡيَآءً وَأَمۡوَٰتًا](٢) .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (وكَفَتَ الشيءَ يَكْفِتُه كَفْتاً ، وكَفَّتَه : ضَمَّه وقَبَضَه ... ويُقــال : كفته الله ، أي : قبضه الله . والكِفَاتُ : الموضع الذي يُضَمُّ فيه الشيءُ ويُقبض . وفــي التنزيل العزيز : (أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ۞ أَحۡيَآءً وَأَمۡوَٰتًا) . قال ابن ســيده : ... (وعندى أنَّ الكفات هنا مصدر من كفت إذا ضم وقبض ، وأنَّ (أحيــاءً وأمواتــاً) منتصبٌ به، أي : ذات كفات للأحياء والأموات) (٣) . وكفِاتُ الأرض : ظهرُها للأحياء، وبطنُها للأموات ، ومنه قولهم للمنازل : كِفَاتُ الأحياء ، وللمقابر : كفاتُ الأموات) (٤) .

دراسة النص :

قال الطبري في معنى قوله (كِفَاتًا) : (يقول : وعاءً ، تقول : هــذا كفــت هــذا وكفيته ، إذا كان وعاءه ، وإنَّما معنى الكلام : ألم نجعل الأرض كفات أحيائكم وأمواتكم ، تكفت أحياءكم في المساكن والمنازل ، فتضمهم فيها وتجمعهم ، وأمواتكم في بطونها في القبور ، فيدُفنون فيها . وجائز أن يكون عنى بقولــه : (كِفَاتًا * أَحۡيَآءً وَأَمۡوَٰتًا) تكفت أذاهم في حال حياتهم ، وجيفهم بعد مماتهم) (٥) .

---

(١) انظر : أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، (٥/٥٤٩) .

(٢) سورة المرسلات ، الآيتان (٢٥ ، ٢٦) .

(٣) المحكم ، لابن سيده ، مادة (كفت) ، (٦/٧٧٤) .

(٤) لسان العرب ، مادة (كفت) ، (٢/٧٩) .

(٥) جامع البيان ، للطبري ، (٢٩/٢٣٦ ، ٢٣٧) .

فوافق ابن منظور الطبري في قوله الأول ، وأمَّا الثاني فلم يورده ابن منظور .

وقال الرازي في هذا المعنى : (ومعنى الكفات في اللغة : الضم والجمع ، يُقال : كَفَتُّ الشيء ، أي : ضممتهُ) .

ثم ذكر في معنى الآيتين وجوهاً ، أحدها : أنَّها تكفت أحياءً على ظهرها ، وأمواتاً في بطنها ، بمعنى أنَّ الأحياء يسكنون في منازلهم، والأموات يُدفنون في قبورهم .

وثانيها : أنَّها كِفات الأحياء ، بمعنى أنَّها تكفت ما ينفصل من الأحياء من الأمور المستقذرة .

وثالثها : أنَّها كِفات الأحياء ، بمعنى أنَّها جامعة لما يحتاج إليه الإنسان من مأكل ومشرب ؛ لأن كل ذلك يخرج من الأرض والأبنية الجامعة للمصالح الدافعة للمضار مبنية منها .

ورابعها : أن قوله (أَحۡيَآءً وَأَمۡوَٰتًا) معناه راجع إلى الأرض ، والحي ما أنبت ، والميت ما لم ينبت[1] .

يُلاحظ من كلام الرازي موافقة ابن منظور له في المعنى اللغويّ ، أمَّا معنى الآية فقد ذكر الرازي فيه عدة وجوه ، أحدها – وهو الأول – قول ابن منظور ، أمَّا الوجوه الثلاثة الأُخرى فلم يذكرها ابن منظور ، ولم يرجِّح الرازي بين هذه الوجوه التي ذكرها.

وبيَّن القرطبي أنَّ معنى (كفاتاً) : ضامَّة تضم الأحياء على ظهرها ، والأموات في بطنها ، وذكر المعنى اللغوي للمفردة ، فقال : يُقال : كفت الشيء أكفته إذا جمعته وضممته ، والكفت : الضم والجمع . ثمَّ ذكر القرطبي وجهين آخرين للمعنى ، وهما : الوجه الثاني والرابع اللذين ذكرهما الرازي[2] .

وبهذا يوافق ابن منظور القرطبي فيما اختاره .

وذكر ابن كثير في معنى (كفاتاً) ثلاثة أقوال : الأول : كفاتاً : كَنًّا ، والثاني : يكفت الميت فلا يُرى منه شيء ، والثالث : بطنها لأمواتكم ، وظهرها لأحيائكم[3] ، (وهو قول ابن منظور) .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٤٠/٣٠) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٦١/١٩) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٦١/٤) .

وممن وافق ابن منظور كذلك الإمام الشوكاني في قوله : (معنى الكفت في اللغة : الضم والجمع ، يُقال : كفت الشيء إذا ضمه وجمعه ... والمعنى ألم نجعل الأرض ضامة للأحياء على ظهرها ، والأموات في باطنها ، تضمهم وتجمعهم ، قال الفرَّاء : يُريد تكفتهم أحياءً على ظهرها في دورهم ومنازلهم ، وتكفتهم أمواتاً في بطنها ، أي : تحوزهم(1)) (2) .

ثمَّ ذكر الشوكاني الوجهين الآخرين اللَّذين ذكرهما القرطبي في معنى الكفات(3) .

المعنى العام للآية :

(أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ۞ أَحۡيَآءً وَأَمۡوَٰتًا) ، يخاطب الله تعالى بذلك المكذبين من عباده بعدما شاهدوا الآيات : يقول : أما مننَّا عليكم ، وأنعمنا بتسخير الأرض لمصالحكم ، فجعلناها كفاتاً لكم أحياءً في الدور ، وأمواتاً في القبور ، فكما أنَّ الدور والقصور ، من نعم الله على عباده ومنته ، فكذلك القبور رحمة في حقهم وستر لهم من السباع وغيرها(4) .

النص رقم (٦٧)

يقول تعالى : [...إِنَّا بِكُلٍّ كَـٰفِرُونَ](5) .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (الكُفْرُ : نقيض الإيمان ... والكُفْرُ : جحود النعمة ، وهو ضد الشكر . وقوله تعالى : (إِنَّا بِكُلٍّ كَـٰفِرُونَ) ، أي : جاحدون . وكَفَرَ نعمةَ اللهَ يَكْفُرها كُفوراً وكُفْراناً وكَفَر بها : جحدها وسترها) (6) .

---

(١) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٣/٢٢٤) .

(٢) فتح القدير ، للشوكاني ، (٥/٣٥٨) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (٥/٣٥٨) .

(٤) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ٩٠٤ .

(٥) سورة القصص ، الآية (٤٨) . وتمام الآية : [فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَـٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَـٰفِرُونَ] .

(٦) لسان العرب ، مادة (كفر) ، (٥/١٤٤) .

دراسة النص :

لم يتعرض الطبري لتفسير قوله : (كَٰفِرُونَ) في هذه الآية مكتفياً بقوله : (يقول تعالى ذكره : وقالت اليهود : إنَّا بكل كتاب في الأرض من توراة وإنجيل وزبور وفرقان كافرون) [١].

وبالتالي فلا وجه للمقارنة بينه وبين ابن منظور في ذلك .

وكذلك الرازي والقرطبي وابن كثير ، فعلوا كما فعل الطبري ، اكتفوا بتفسير الآية دون أن يذكر أحدهم المراد من الكفر في الآية[٢] ، ولعلهم تعرضوا لبيان معنى الكفر في مواضع أخرى .

وعلى هذا فلا نستطيع أن نقارن بينهم وبين ابن منظور في هذه الآية .

أمَّا السمرقندي فقد بيَّن معنى الكفر في الآية ، ووافقه فيه ابن منظور . قال السمرقندي في المعنى : (وقالوا إنا بكل كافرون ، يعنى جاحدين) [٣] .

المعنى العام للآية :

(فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا) : قيل : المراد بالحق محمد ﷺ ، وقيل : المراد القرآن ، قالوا : (قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ) ، قال المشركون : هلا أوتي محمد مثل ما أوتي موسى ، أي: من العصا واليد البيضاء ، (أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ) يعنى : أنَّ المشركين كفروا بموسى عليه السلام ، قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا) : يعنى موسى ومحمداً ، وقيل : موسى وهارون، وقُرئ (سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا) واختلفوا فيه ، فقال بعضهم: التوارة والقرآن، وقال آخرون : التوراة والإنجيل، وقوله : (تظاهرا) ، أي : تعاونا ، وقوله : (إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ) ، أي : جاحدون[٤] .

---

(١) جامع البيان ، للطبري ، (٢٠/٨٥) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٣/٢٢٣) . وانظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٣/٢٩٤) . وانظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣/٣٩٣) .

(٣) بحر العلوم ، للسمرقندي ، (٢/٦١١) .

(٤) انظر : تفسير القرآن ، للسمعانىّ ، (٤/١٤٤ ، ١٤٥) .

النص رقم (٦٨)

يقول تعالى : [...فَأَبَىٰ ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا][١] .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (الكُفْرُ : نقيض الإيمان ... والكُفْرُ : كُفْرُ النعمة ، وهو نقيض الشكر ... وكَفَرَ نعمة الله يَكْفُرها كفوراً وكُفُرانا وكُفْر بها : جحدها وسترها ... وقوله تعالى : (فَأَبَىٰ ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا). قال الأخفش:هو جمع الكفر مثل : برد وبُرُود[٢])[٣].

دراسة النص :

وافق ابن منظور الطبري في معنى الكفر في هذه الآية . قال الطبري : (فأبي الظالمون إلاَّ كُفُوراً ، يقول : فأبى الكافرون إلاَّ جحوداً بحقيقة وعيده الذي أوعدهم، وتكذيباً به) [٤] .

ووافق الرازي الذي قال : (فأبي الظالمون إلاَّ كفوراً ، أي : بعد هذه الدلائل الظاهرة أبوا إلاَّ الكفر والنفور والجحود) [٥] .

ووافق القرطبي كذلك حيثُ فسَّر الكفر في هذه الآية بالجحود أيضاً[٦]

أمَّا ابن كثير فقد خالف ابن منظور ، حيثُ فسَّر الكفر في هذه الآية بالتمادي في الباطل والضلال[٧] .

وممن وافقه ابن منظور في معنى الكفر في هذه الآية الإمام الزمخشري فقد فسَّر الصغر بالجحود أيضاً[٨] .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية (٩٩) . وتمام الآية : [أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا] .

(٢) انظر :معاني القرآن ، للأخفش ، (٦٠٩/٢) .

(٣) لسان العرب ، مادة (كفر) ، (١٤٤/٥) .

(٤) جامع البيان ، للطبري ، (١٧٠/١٥) .

(٥) التفسير الكبير ، للرازي ، (٥٢/٢١) .

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣٣٤/١٠) .

(٧) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٦٧/٣) .

(٨) انظر : الكشاف ، للزمخشري ، (٦٥١/٢) .

المعنى العام للآية :

يقول تعالى في هذه الآية ردًّاً على منكري البعث بعد الموت : أولم يعلموا أنَّ الله الذي خلق السموات والأرض مع عظمهما قادرٌ على أن يخلق مثلهم ، أي : الأناسي في الصغر ، وجعل لهم أجلاً للموت والبعث لا ريب فيه ، أي : لا شك ، فأبي الظالمون إلاَّ جحوداً له ، ظلماً منهم وافتراء[1] .

النص رقم (٦٩)

يقول تعالى : [إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ][2] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (قال بعض أهل العلم*: الكفر على أربعة أنحاء : كفر إنكـار ، بأن لا يعرف الله أصلاً ، ولا يعترف به ، وكفر جحود ، وكفر معاندة ، وكفر نفـاق ، من لقي ربه بشيء من ذلك لم يغفر له ما دون ذلك لمن يشاء . فأمَّا كفر الإنكار فهو أن يكفر بقلبه ولسانه ، ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد ، وكذلك روى في قوله تعالى : (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ) ، أي : الذين كفروا بتوحيد الله) [3] .

دراسة النص :

خالف ابن منظور في ذلك ابن جرير الطبري ، فبعد أن أورد الطبري الآية ذكر عدة وجوه لتأويلها ، ثمَّ اختار قول ابن عباس الذي يقضى بأنَّ الذين كفروا هـم مـن كفروا بما أُنزل إلى النبي – ﷺ – من ربه : وإن قالوا : إنَّهم قد آمنوا بما قد جاءهم من

---

(١) انظر: تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٣٧٧ ، وانظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسـعديّ ، ص ٤٦٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٦) .

* ومن هؤلاء الإمام البغوي ، قال : ذلك في تفسيره "معالم التنزيل" ، (٤٨/١) ، والإمام السمعاني في تفسير القرآن ، (٤٥/١ ، ٤٦) .

(٣) لسان العرب ، مادة (كفر) ، (١٤٤/٥) .

قبله ، وهم اليهود الذين كانوا بنواحي المدينة على عهد رسول الله – ﷺ – فقد نزلت فيهم هذه الآية توبيخاً لهم في جحودهم نبوة محمد – ﷺ – وتكذيبهم به مع علمهم به ، ومعرفتهم بأنَّه رسول الله – ﷺ – إليهم ، وإلى النَّاس كافة[١] .

ففسَّر ابن جرير الكفر في هذه الآية بأنه كفر الجحود ، وليس الإنكار كما يري ابن منظور .

أمَّا فخر الدين الرازي فقد ذكر خلاف أهل التفسير في المراد بالذين كفروا ، ونقل لهم قولين في ذلك دون أن يُرجح بينهما ، الأول : قول ابن عباس الذي ذكره الطبري . الثاني : أنَّ المراد بهم قوم من المشركين ، وهم الذين جحدوا ، وأبعدوا البينة ، وأنكروا بعد المعرفة[٢] .

وعلى هذين القولين اللَّذين ذكرهما الرازي فالكفر في الآية بمعنى الجحود ، وليس الإنكار أيضاً على ما ذكره ابن منظور .

وذكر القرطبي أنَّ الكفر ضد الإيمان ، وهو المراد في الآية ، وقد يكون بمعنى جحود النعمة والإحسان ، ثم أورد ثلاثة أقوال للعلماء في ذلك ، واختار منها القول الأول ، وهو : إنَّ الآية عامة ، ومعناها الخصوص فيمن حقت عليه كلمة العذاب ، وسبق في علم الله أنه يموت على كفره دون تعيين لأحد[٣] .

والذي يظهر لي لهذا القول أنَّ ابن منظور يوافق القرطبي في قوله بعموم الآية .

وذكر ابن كثير أنَّ الذين كفروا هم الذين غطوا الحق وستروه ، ثمَّ بيَّن خلاف العلماء في ذلك ، فأورد لهم ثلاثة أقوال ، واختار القول الأول منها ، وهو مرويّ عن ابن عباس أيضاً ، قال : كان رسول الله – ﷺ – يحرص أن يؤمن جميع الناس ، ويُتابعوه على الهدي ، فأخبره الله – تعالى – أنَّه لا يؤمن إلاَّ من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول ، ولا يضل إلاَّ من سبق له من الله الشقاوة في الذكر الأول[٤] .

ولعلَّ ابن كثير بهذا الاختيار ينحو منحى القرطبي ، ويرى أنَّ الآية عامة . وهو بذلك يتفق مع ابن منظور أيضاً .

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٠٨/١) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٣٧/٢) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٨٣/١ ، ١٨٤) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٦/١) .

وكذلك النحَّاس يرى أن اللفظ عام يُراد به الخاص ، وهم الكفار الذين ثبت في علم الله – تعالى – أنَّهم كفار[1] .

وبهذا لا يختلف معه ابن منظور .

المعنى العام للآية :

لمَّا قدَّم الله تعالى – في الآيات السابقة – ذكر أوليائه ، وخالصة عبادة بصفاتهم التي أهَّلتهم لإصابة الزلفى عنده ، وبيَّن أنَّ الكتاب هدى ولطف لهم خاصة ، قفى على أثره بذكر أضدادهم ، وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ، ولا يجدي عليهم اللطف ، وسواءٌ عليهم وجود الكتاب وعدمه ، وإنذار الرسول – ﷺ – وسكوته.

والتعريف في (الذين كفروا) يجوز أن يكون للعهد ، وأن يُراد بهم ناس بأعيانهم ، ويجوز أن يكون للجنس متناولاً كل من صمَّم على كفره تصميماً لا يرعوى بعده[2] .

النص رقم (٧٠)

يقول تعالى : [...فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ...][3] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (وأمَّا كفر الجحود فأن يعترف بقلبه ، ولا يقر بلسانه ، فهو كافر جاحد ، ككفر إبليس وكفر أمية بن أبي الصَّلْتِ[4] ، ومنه قوله تعالى : (فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ)[5] .

---

(١) انظر : معاني القرآن ، للنحَّاس ، (٨٧/١) .

(٢) انظر : الكشاف ، للزمخشري ، (٨٦/١ ، ٨٧) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٨٩) . وتمام الآية : [وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ] .

(٤) أُمَيَّة بن أبي الصَّلْت : هو أمية بن أبي الصلت عبدالله بن أبي ربيعة بن عوف ، أبو الحكم الثقفيّ ، شاعر جاهليٌّ ، قدم دمشق قبل الإسلام ، وقيل : إنه كان مستقيماً ، وإنَّه كان في أول أمره على الإيمان ، ثمَّ زاغ عنه ، ولم يختلف أصحاب الأخبار أنه مات كافراً ، وكان موته بالطائف سنة تسع من الهجرة .

(انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير ، (٢٢٠/٢) ، وانظر : الإصابة ، لابن حجر ، (٢٤٩/١)) .

(٥) لسان العرب ، مادة (كفر) ، (١٤٤/٥) .

دراسة النص :

يتفق ابن منظور مع ابن جرير الطبري فيما ذهب إليه من أنَّ المراد بالكفر هنا كفر الجحود . قال الطبري : (فمعنى الآية : فخزي الله وإبعاده على الجاحدين ما قد عرفوا من الحق عليهم لله ولأنبيائه ، المنكرين لما قد ثبت عندهم صحته من نبوة محمد - ﷺ - ففي إخبار الله - عزَّ وجل - عن اليهود بما أخبر الله عنهم ... البيان الواضح أنَّهم تعمدوا الكفر بمحمد - ﷺ - بعد قيام الحجة بنبوته عليهم ، وقطع الله عذرهم بأنَّه رسوله إليهم)(١).

كما يتفق كلك مع الرازي الذي قال : (المسألة الثالثة : إنَّه – تعالى– كفَّرَهم بعد ما بيَّن كونهم عالمين بنبوته ، وهذا يدل على أنَّ الكفر ليس هو الجهل بالله - تعالى - فقط) (٢) .

وهذا الذي ذكره الرازي هنا هو معنى كفر الجحود الذي أشار إليه ابن منظور .

أمَّا القرطبي فلم يبيِّن معنى الكفر في الآية(٣) ؛ ولهذا فلا وجه للمقارنة بينه وبين ابن منظور .

ولا يخالف ابنُ كثير ابنَ منظور في ذلك ، فقد أورد ابن كثير في تفسير هذه الآية روايةً عن ابن عباس – رضي الله عنهما - ذكر فيها أنَّ يهوداً كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله - ﷺ - قبل مبعثه ، فلمَّا بعثة الله – تعالى - من العرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه(٤).

ووافق ابن منظور السمرقنديّ الذي قال في تفسير هذه الآية : (فلعنة الله على الكافرين ، يعنى : سخط الله وعذابه على الجاحدين بمحمد ﷺ) (٥) .

سبب النزول :

ذكر السيوطي في "لباب النقول" عن ابن عباس – رضي الله عنهما - أنَّ يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله - ﷺ - قبل مبعثه ، فلمَّا بعثه الله

(١) جامع البيان ، للطبري ، (١/٤٥٤) .

(٢) التفسير الكبير ، للرازي ، (٣/١٦٥) .

(٣) انظر : جامع أحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢/٧٢) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١/١٧٥) .

(٥) تفسير بحر العلوم ، لأبي الليث السمرقنديّ ، (١/٩٩) .

من العرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل[1] وبشر بن البراء[2] وداود بن سلمة[3] : يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك ، وتخبروننا بأنَّه مبعوث ، وتصفونه بصفته ، فقال سلام بن مشكم[4] – أحد بني النضير – : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكر لكم، فأنزل الله : (وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٌ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ)[5] الآية[6] .

المعنى العام للآية :

لمَّا جاء اليهود كتاب من عند الله مصدق لما معهم من التوراة – وهو القرآن الكريم – وكانوا من قبل مجيئه يستنصرون على الذين كفروا يقولون : اللَّهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث آخر الزمان ، فلمَّا جاءهم ما عرفوا من الحق – هو بعثه النبي – ﷺ – كفروا به حسداً وخوفاً على الرياسة . وجواب (لمَّا) الأولى دلَّ عليه جواب الثانية ، فلعنة الله على اليهود الكافرين[7] .

---

(١) معاذ بن جبل : هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس ، أبو عبدالرحمن الأنصاريّ ، الخزرجيّ ، الإمام المقدَّم في علم الحلال والحرام . شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها ، وروى عن النبي ﷺ أحاديث ، وأمَّرَه النبي ﷺ على اليمن ، وكانت وفاته بالطاعون في الشام سنة (١٧هـ) ، أو التي بعدها ، وهو قول الأكثر. (انظر : الإصابة ، لابن حجر ، ترجمة رقم (٨٠٤٣) ، (١٣٦/٦) ، وانظر : سير أعلام النبلاء، للذهبي ، (٤٤٣/١)) .

(٢) بشر بن البراء : هو بشر بن البراء بن معرور ، الأنصاريّ الخزرجيّ ، من بني سلمة ، ومن أشراف قومه ، شهد العقبة مع أبيه ، وشهد بدراً وما بعدها ، ومات بعد خيبر سنة سبع من أكلة أكلها مع النبي ﷺ من الشاة التي سُمَّ فيها . (انظر : الوافي بالوفيات ، للصفديّ ، (٩٠/١٠) ، وانظر : المرجع السابق الأول ، ترجمة رقم (٦٥٤) ، (٩٤/١)) .

(٣) داود بن سلمة : هو داود بن سلمة الأنصاريّ ، له ذكر في رواية ابن أبي حاتم في التفسير ، وهي الرواية التي ورد ذكرها في سبب النزول . (انظر : المرجع السابق الأخير ، (٣٨٣/٢)) .

(٤) سلام بن مشكم : هو سلام بن مشكم القرظيّ ، أحد رؤساء اليهود بالمدينة ، وسيد بني النضير في زمانه ، وصاحب كنزهم ، يُقال : إنَّ امرأته زينب بنت الحارث سمَّت شاة ثم أحضرتها إلى رسول الله ﷺ سنة (٧هـ) ، فأخبرته الذراع بأنَّها مسمومة فلفظها ، وأكل معه بشر بن البراء بن معرور ، وازدرد لقمته فمات منها . (انظر : تاريخ ابن خلدون ، لعبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرميّ ، دار القلم ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٤م ، (٤٥٤/٢)) .

(٥) سورة البقرة ، الآية (٨٩) .

(٦) انظر : لباب النقول ، للسيوطيّ ، (٢١/١) .

(٧) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ١٩ .

النص رقم (٧١)

يقول تعالى : [...إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ...][١] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (قال شمر[٢] : والكفر أيضاً بمعنى البراءة ، كقوله تعالى حكاية عن الشيطان في خطيئته إذا دخل النار : (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ) ، أي : تبرأتُ) [٣] .

دراسة النص :

لم يذكر الطبري أنَّ معنى الكفر في هذه الآية هو البراءة ، بل قال : (إنِّي كفرتُ بما أشركتمون من قبل ، يقول : إنِّي جحدتُ أن أكون شريكاً لله فيما أشركتموني فيه من عبادتكم من قبل في الدنيا) [٤] .

وخالف ابن منظور أيضاً الرازي الذي ذكر في معنى الكفر في الآية قولين ، أحدهما : إنَّ (ما) في قوله (بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ) مصدرية ، والمعنى : كفرتُ بإشراككم إياي مع الله – تعالى – في الطاعة ، أي : أنه جحد ما كان يعتقده أولئك الاتباع من كون إبليس شريكاً لله –تعالى– في تدبير هذا العالم وكفر به ، أو أنَّهم كانوا يطيعون الشيطان في أعمال الشر ، كما كانوا قد يطيعون الله في أعمال الخير ، وهذا هو المراد

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية (٢٢) . وتمام الآية : [وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] .

(٢) شمر : هو شمر بن حمدويه ، أبو عمرو الهرويّ ، كان عالماً فاضلاً ثقة نحوياً لغوياً ، رواية للأشعار والأخبار ، أخذ عن الفرَّاء وغيره ، صنف كتاب الجيم لم يُسبق إلى مثله ، أودعه تفسير القرآن وغريب الحديث ، وله غير ذلك : كتاب السلاح وكتاب الجبال والأودية وغير ذلك . مات سنة (٢٥٥هـ) .

(انظر : معجم الادباء ، لياقوت الحموي ، (٣/٤١٠) ، وانظر : البلغة ، للفيروز آبادي ، ص ١١١) .

(٣) لسان العرب ، مادة (كفر) ، (٥/١٤٥) .

(٤) جامع البيان ، للطبري ، (١٣/٢٠٠) .

بالإشراك . وثانيهما – وهو قول الفرَّاء – : إنَّ المعنى أنَّ إبليس قال : إنِّي كفرتُ بالله الذي أشركتموني به من قبل كفركم ، والمعنى أنَّه كان كفره قبل كفر أولئك الاتباع ، ويكون المراد بقوله (ما) في هذا الموضع (من)[1].

فالذي يُلاحظ أنَّ الرازي لم يذكر معنى البراءة في كلامه .

كما خالف ابن منظور كذلك القرطبي الذي اختار القول الأول الذي ذكره الرازي، ثمَّ ذكر أقوال أخرى لأهل التفسير[2] ليس فيها معنى البراءة الذي ذكره ابن منظور .

ورجّح ابن كثير قول الطبري – آنف الذكر – حيثُ قال : (قال قتادة : أي : بسبب ما أشركتموني من قبل ، وقال ابن جرير : إنِّي جحدتُ أن أكون شريكاً لله – عزَّ وجل – وهذا الذي قاله هو الراجح) [3] .

فخالف ابن كثير ابن منظور في ذلك .

وخالفه أيضاً الكلبي حيث قال في "التسهيل" : (بما أشركتمون : (ما) مصدرية ، أي : بإشراككم لي مع الله في الطاعة) [4] .

وجوه القراءات :

أثبت الياء في قوله (بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ) في الوصل أبو عمرو وحده[5] .

المعنى العام للآية :

وقال الشيطان ، أي : وقال إبليس لاتباعه من الأنس بعدما قضى الله بين عباده ، فأدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار : إنَّ الله وعدكم على ألسنة رسله بالبعث والجزاء وعد الحق ، وأمَّا أنا فوعدتكم ألا بعث ولا جزاء ولا جنة ولا نار ، فأخلفتكم موعدي ، وما كان لي عليكم من سلطان ، أي : ما كان لي عليكم من دليل ولا حجة ولا قوة ولا تسلط فيما وعدتكم به ، ولكن حينما دعوتكم استجبتم لي بمجرد ذلك ، فلا توجهوا اللَّوم إليَّ اليوم ، ولوموا أنفسكم لأنكم أسرعتم إلى إجابتي باختياركم ، ما أنا

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٩/١٩) ، وانظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٦٧/٢) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣٥٨/٩) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٥٣٠/٢) .

(٤) التسهيل ، للكلبيّ ، (١٤٠/٢) .

(٥) انظر : إبراز المعاني من حرز الأماني ، لأبي شامة الدمشقي ، (٥٥٤/٢) . وانظر : التيسير في القراءات السبع ، لأبي عمرو الدانيّ ، ص ١٣٥ .

بمغيثكم ولا منقذكم ممَّا أنتم فيه من العذاب ، وما أنتم بمغيثيَّ ولا نافعيّ بإنقاذي ممَّا أنا فيه من العذاب والنكال ، إنِّي انكرتُ أو جحدتُ اليوم بإشراككم إياي من قبل ، أي : في الدنيا مع الله –تعالى– في الطاعة . إنَّ الظالمين لهم عذاب أليم، هذا في الأظهر من قول الله –عزَّ وجل– ، ويحتمل أن يكون من جملة قول إبليس المحكي في القرآن قطعاً لأطماع أولئك الكفار عن الإعانة والإغاثة ، ومعناه : إنَّ الكافرين في إعراضهم عن الحق ، وإتباعهم الباطل لهم عذاب مؤلم[1] .

النص رقم (٧٢)

يقول تعالى : [إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ...][2] .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (وفي التنزيل العزيز : (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ) ، قال أبو إسحق : قيل فيه غير قول ، قال بعضهم : يعني به اليهود ؛ لأنهم آمنوا بموسى ثم كفروا بعزير ثم كفروا بعيسى – عليهم السلام – ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد – ﷺ – وقيل : جائز أن يكون مُحاربٌ آمن ثم كفر ثم آمن ثم كفر ، وقيل : جائز أن يكون منافقٌ أظهر الإيمان ، وأبطن الكفر ،ثم آمن بعد ، ثم كفر ، وازداد كفراً بإقامته على الكفر[3])[4] .

---

(١) انظر : التفسير المنير ، لوهبة الزحيليّ مج٧ ، (٢٥٦/١٣ ، ٢٥٧) .

(٢) سورة النساء ، الآية (١٣٧) . وتمام الآية : (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا) .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٩٧/٢) .

(٤) لسان العرب ، مادة (كفر) ، (١٤٥/٥) .

دراسة النص :

ذكر الطبري اختلاف أهل التأويل في تأويل ذلك ، ونقل لهم فيه ثلاثة أقوال، الأول – وذكره ابن منظور – : إنَّ المراد الذين آمنوا بموسى ثمَّ كفروا به ، ثمَّ آمنوا – يعني النصارى بعيسى ثم كفروا به ، ثم ازدادوا كفراً بمحمد – عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام .

والثاني – ذكره ابن منظور أيضاً – : المراد أهل النفاق آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ثمَّ ازدادوا كفراً بموتهم على كفرهم .

والثالث – ولم يذكره ابن منظور – : المراد أهل الكتابين التوراة والإنجيل أتوا ذنوباً في كفرهم فتابوا ، فلم تقبل منهم التوبة مع إقامتهم على كفرهم .

ثم اختار الطبري من بين هذه الأقوال القول الأول(١) .

يُلاحظ مما سبق أنَّ كلا من ابن منظور والطبري سرد الأقوال المختلفة في تأويل الآية ، إلاَّ أنَّ الطبري رجَّح أحد هذه الأقوال ، ولم يفعل ذلك ابن منظور ، كما أنَّ الطبري لم يذكر الكفر بعزير كما فعل ذلك ابن منظور ، وكذلك زاد الطبري على ابن منظور القول الثالث ، وزاد ابن منظور عليه قوله الثاني .

ونقل الرازي كذلك الأقوال المختلفة لأهل العلم في معنى هذه الآية ، وذكر لهم في ذلك أربعة أقوال ، الأول : المُراد الذين يتكرر منهم الكفر بعد الإيمان مرَّات وكرَّات ، وهذا القول لم يذكره ابن منظور .

الثاني : هو القول الأول الذي ذكره ابن منظور ، ونسبه إلى أبي اسحق .

الثالث : هو القول الثاني الذي ذكره ابن منظور ، وذكره أبوإسحق أيضاً .

الرابع : المراد طائفة من أهل الكتاب قصدوا تشكيك المسلمين ، فكانوا يظهرون الإيمان تارة والكفر أُخرى(٢) . وهذا القول لم يذكره ابن منظور أيضاً .

أمَّا القرطبي فلم يذكر إلاَّ قولاً واحداً في المراد بالآية ، وهو القول الأول من الأقوال التي ذكرها ابن منظور(٣) .

وجعل ابن كثير المعنى في الآية عامّاً ، فبيّن أنَّ الله – تعالى – يُخبر في هذه الآية عمَّن دخل في الإيمان ، ثمَّ رجع عنه ، ثمَّ عاد فيه ، ثمّ رجع واستمرَّ

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٣٢٦/٥ – ٣٢٨) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٦٢/١١) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٤١٥/٥) .

على ضلاله ، وازداد حتى مات ، فإنَّه لا توبة بعد موته ، ولا يغفر الله لــه ، ولا يجعل له مِمَّا هو فيه فرجاً ولا مخرجاً ولا طريقاً إلى الهدى .

كما ذكر ابن كثير أنَّ المنافقين الذين ذُكروا في قوله –تعالى– بعد هذه الآية: (بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)[1] هم من هذه الصفة ، فإنَّهم آمنــوا ، ثــمَّ كفروا[2] .

ولعل هذا المسلك الذي سلكه ابن كثير برؤيته عموم الآية هو أسلم المســالك وأقربها إلى الصحة والصواب ؛ لأنَّ التعميم لا يوهم نــزول الآيــة فــي أقــوام مخصوصين .

واتفق ابن منظور مع الإمام السمرقندي في ذلك ، فقــد نقــل الســمرقندي الأقوال الثلاثة التي نقلها ابن منظور ، ونسب القول الأول إلى مقاتــل ، ونســب القولين : الثاني والثالث إلى الزجَّاج ، ولم يرجِّح بين هذه الأقوال كما لم يــرجح بينها ابن منظور[3] .

المعنى العام للآية :

اختلف أهل التأويل في المراد بالآية الكريمة ، فقالت طائفة : الآية في اليهود والنصارى ، آمنت اليهود بالتوراة وموسى –عليه السلام– ثم كفــروا ، وآمنــت النصارى بالإنجيل وعيسى –عليه السلام– ثم كفروا ، ثم ازدادوا كفــراً بمحمــد– ﷺ– وقيل : الآية في الطائفة من أهل الكتاب التــي قالــت : (ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ)[4] ، وقيل : الآية في المنافقين، فإنَّ منهم من كان يؤمن ثم يكفر ثم يؤمن ثم يكفر ، يتردد في ذلك ، فنزلت هــذه الآية فيمن ازداد كفراً بأن استمرَّ على نفاقه حتى مات . لم يكن الله ليغفر لهم مــا أقاموا على ذلك ، ولا ليهديهم سبيلاً ، أي : طريقاً إلى الحق[5] .

---

(١) سورة النساء ، الآية (١٣٨) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٥٦٧/١) .

(٣)انظر : بحر العلوم ، للسمرقندي ، (٣٧٣/١) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : (٧٢) .

(٥) انظر : المحرر الوجيز ، لابن عطية الاندلسيّ، (١٢٤/٢) .وانظر: معالم التنزيل، للبغوي ، (٤٩٠/١) .

النص رقم (٧٣)

يقول تعالى : [وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ][(١)] .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (وقوله –سبحانه وتعالى– : (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ) معناه : إنَّ من زعم أنَّ حكماً من أحكام الله الذي أتت به الأنبياء – عليهم السلام – باطل فهو كافر . وفي حديث ابن عباس ، قيل له : ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، وليسوا كمن كفر بالله واليوم الآخر . قال : وقد أجمع الفقهاء أنَّ من قال : إنَّ المحصنَيْن لا يجب أن يُرجما إذا زنيا وكانا حرين كافر[(٢)] ، وإنَّما كفر من ردَّ حكماً من أحكام النبي ؛ لأنه مكذب له ، ومن كذب النبي فهو كافر ... وأصل الكفر : تغطية الشيء تغطية تستهلكه)[(٣)] .

دراسة النص :

ذكر الطبري في تأويل هذه الآية أنَّ من كتم حكم الله الذي أنزله في كتابه ، وجعله حكماً بين عباده ، فأخفاه وحكم بغيره ، كحكم اليهود في الزانيين المحصنين بالتجبيه والتحميم * وكتمانهم الرجم ، وقضائهم في بعض قتلاهم بدية كاملة ، وفي

---

(١) سورة المائدة ، الآية (٤٤) . وتمام الآيـة : [إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ] .

(٢) أخرج الحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : إنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه ، وإنَّه ليس كفراً ينقل عن الملة (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) كفر دون كفر) وقال الحاكم : هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .
أخرجه في : ٢٧– كتاب التفسير ، ٦– تفسير سورة المائدة ، حديث رقم (٣٢١٩) ، (٣٤٢/٢) .

(٣) لسان العرب ، مادة (كفر) ، (١٤٥/٥) .

* التجبيه والتحميم : التجبيه : أن تُحمَّم وجوه الزانيَيْن ، ويحملا على بعير أو حمار ، ويُخالَف بين وجوههما ، والتجبيه أيضاً : أن ينكِّس رأسه ، فيحتمل أن يكون المحمول على الدابة إذا فُعِل به ذلك نكَّس رأسه ، فسمى ذلك الفعل تجبيهاً ، ويحتمل أن يكون من الجَبْهِ ، وهو : الاستقبال بالمكروه. والتحميم : من حمَّم الرجل إذا سخم وجهه بالحُمَم ، وهو : الفحم .
(انظر : لسان العرب ، مادة (جبه) ، (٤٨٣/١٣ ، ٤٨٤) ، ومادة (حمم) ، (١٥٧/١٢)).

البعض بنصف الدية ، وفي الأشراف بالقصاص ، وقد سوَّى الله تعالى بين الجميع في الحكم عليهم في التوراة ، فأولئك هم الكافرون ، أي : الذين ستروا الحق وغطوه عن الناس ، وأظهروا لهم غيره وقضوا به .

ثم ذكر الطبري خلاف أهل التأويل في تأويل الكفر في هذا الموضع ، فذكر قول من قال : عُنى به اليهود الذين حَّرفوا كتاب الله وبدَّلوا حكمه ، وقول من قال: نزلت في أهل الكتاب ، ويراد بها جميع الناس مسلمهم وكافرهم ، وذكر قول من قال : يُراد بالكفر من جحد بما أنزل الله ، فأمَّا الظلم والفسق فهو للمقر به[(١)].

وعلى هذا فابن جرير يُفَصِّل في المعنى أكثر من ابن منظور -كما هو واضح - وليس هناك خلاف ظاهر بينهما .

وذكر الرازي أنَّ المقصود من هذا الكلام تهديد اليهود في إقدامهم على تحريف حكم الله تعالى في حد الزاني المحصن ، يعني أنَّهم لمَّا أنكروا حكم الله المنصوص عليه في التوراة ، وقالوا : إنَّه غير واجب فهم بذلك كافرون مطلقاً لا يستحقون اسم الإيمان .

ثم ذكر الرازي أقوال المفسرين والمتكلمين في المراد بالكفر في الآية ، واختار منها قول من قال : إنَّ ذلك الكفر يتناول من أنكر بقلبه وجحد بلسانه ، أمَّا من عرف بقلبه كونه حكم الله ، وأقرَّ بلسانه كونه حكم الله إلاَّ أنَّه أتي بما يضاده، فهو حاكم بما أنزل الله -تعالى- ، ولكنه تارك له ، فلا يلزم دخوله تحت هذه الآية ، وبيَّن الرازي أنَّ هذا هو الجواب الصحيح ، والله أعلم[(٢)] .

وبهذا لا يخالف ابن منظور الرازي كذلك .

ولا يخالف القرطبي الذي ذكر أقوال أهل التفسير في ذلك ، واختار منها قول من قال : إنَّ الآية نزلت في الكفار ، وأمَّا المسلم فلا يكفر وأن ارتكب كبيرة[(٣)] .

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٥٢/٦-٢٥٧) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٦/١٢) .

(٣)انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٩٠/٦) .

وأمَّا ابن كثير فقد أورد أقوال المفسرين في هذا الصدد ، ولكنه لـم يُـرجّح بينها ، وهذه الأقوال تدور حول نزول الآية في اليهود ، وقيل : في أهل الكتـاب عامة ، وقيل : نزلت في المسلمين ، وأنَّ الكفر على ذلك لا ينقل عن الملة(١) .

ونقل السمعاني الخلاف في هذه المسألة ، فذكر فيها قولين ، الأول : الآيـة نزلت في المشركين ، والثاني : نزلت في المسلمين .

ثُمَّ بيَّن أنَّ المعنى على هذا القول الثاني هو أنَّ المراد كفر دون كفر ، وللآية تأويلان ، أحدهما : معناها : ومن لم يحكم بما أنزل الله ردًّا وجحداً فأولئـك هـم الكافرون ، والثاني : معناها : ومن لم يحكم بكل مـا أنـزل الله ، فأولئـك هـم الكافرون(٢) .

وعلى هذا يمكن القول بأنَّ اختيار ابن منظور لا يتضارب مـع اختيـارات المفسرين في هذا الصدد ، إلاَّ أنَّ المفسرين قد أضافوا على قول ابـن منظـور ، وكانوا أكثر تفصيلاً منه .

سبب النزول :

ذكر الواحديّ في سبب نزول هذه الآية عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : زنـي رجل من اليهود وامرأة ، فقالوا : اذهبوا بنا إلى هذا النبيّ ، فإنه مبعوث للتخفيف ، فإذا أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها واحتجبناها عند الله ، وقلنا : فتيـا نبـيّ مـن أنبيائك ، فأتوا النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو جالس في المسجد مع أصحابه ، فقالوا : يا أبـا القاسم ، ما ترى في رجل وامرأة زنيا ، فلم يكلمهما حتى أتي بيت مدارسهم ، فقام على الباب ، فقال : أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما تجـدون فـي التوراة على من زني إذا أحصن ؟ قالو : يُحمَّمْ ويُجبه ويُجلد . قال : وسكت شاب منهم ، فلمَّا رآه النبي – صلى الله عليه وسلم – سكت ألح به في النشدة ، فقال : اللهم إذ أنشـدتنا ،

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢/٦٢) .

(٢) انظر : تفسير القرآن ، للسمعانيّ ، (٢/٤٢) .

فإنا نجد في التوراة الرجم ، فقال النبي – عليه السلام – : فما أول ما ارخصتم أمر الله – عزَّ وجل ؟ قال : زني رجل ذو قرابة من ملك من ملوكنا ، فأخر عنه الرجم ، ثم زني رجل من سراة الناس ، فأراد رجمه ، فأحال قومه دونه ، فقالوا : لا يُرجم صاحبنا حتى يجئ بصاحبكم فيرجمه ، فأصطلحوا على هذه العقوبة بينهم، فقال النبي – ﷺ – فإنِّي أحكم بما في التوراة . فأمر بهما فرجما(١) .

المعنى العام للآية :

يخبر الله – تعالى – في هذه الآية أنَّه أنزل التوراة فيها هدىً من الضلالة، ونور بيان للأحكام ، يحكم بها النبيون من بني إسرائيل الذين انقادوا لله –تعالى– للذين هادوا ، والربانيون العلماء منهم ، والأحبار الفقهاء بسبب الذي استحفظوا استودعوه، أي : استحفظهم الله إياه من كتاب الله أن يبدلوه ، وكانوا عليه شهداء إنَّه حق ، فلا تخشوا الناس أيها اليهود في إظهار ما عندكم من نعت محمد – ﷺ – والرجم وغيرها ، واخشونِ في كتمانه ، ولا تشتروا ، أي : لا تستبدلوا بآياتي ثمناً قليلاً من الدنيا تأخذونه على كتمانها ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون به ، قيل : نزلت في اليهود ، وقيل : هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من اليهود والمسلمين وغيرهم ، إلاَّ أنَّ الكفر في حق المسلمين كفر معصية لا يخرجهم عن الإيمان ، وقيل : الكافرون في المسلمين ، والظالمون في اليهود ، والفاسقون في النصارى(٢) .

---

(١) انظر : أسباب النزول ، للواحديّ ، ص (١٦٢ ، ١٦٣) .

وقد روى مسلم في صحيحه حديث رجم اليهودي واليهودية بألفاظ مختلفة عن البراء بن عازب . أخرجه في : ٢٩– كتاب الحدود ، ٦– باب الرجم اليهود أهل الزمة في الزنا ، حديث رقم (١٧٠٠) ، (١٣٢٧/٣) .

(٢) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ١٤٤ . وانظر : التسهيل ، للكلبي ، (١٧٨/١) .

النص رقم (٧٤)

يقول تعالى : [...كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ...][١] .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (والكافر : الزارع لستره البذر بالتراب ، والكفَّار : الزرَّاع ... ومنه قوله تعالى : (كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ) ، أي : أعجب الزارع نباته ، وإذا أعجب الزارع نباته مع علمهم به ، فهو غاية ما يستحسن ، والغيث : المطر هاهنا ، وقد قيل: الكفار في هذه الآية الكفار بالله ، وهم أشد إعجاباً بزينة الدنيا ، وحرثها من المؤمنين) [٢] .

دراسة النص :

سكت الطبري عن ذكر معنى الكُفَّار في هذه الآية[٣] ، فلا وجه للمقارنة بينه وبين ابن منظور في ذلك .

أمَّا الرازي فقد وافقه ابن منظور في ذلك ، حيثُ قال الرازي في المراد من الكفار : (وقوله (أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ) ، فيه قولان : الأول : قال ابن مسعود : المراد من الكفار الزراع ، قال الأزهري : والعرب تقول للزارع كافر ؛ لأنَّه يكفر البذر الذي يبذره بتراب الأرض،وإذا أعجب الكفار نباته مع علمهم به فهو في غاية الحُسن[٤]، الثاني : إنَّ المراد بالكفار في هذه الآية الكفار بالله، وهم أشد إعجاباً بزينة الدنيا وحرثها من المؤمنين ؛ لأنَّهم لا يرون سعادة سوى سعادة الدنيا) [٥] .

---

(١) سورة الحديد ، الآية (٢٠) . وتمام الآية : [ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ] .

(٢) لسان العرب ، مادة (كفر) ، (١٤٦/٥ ، ١٤٧) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٣٢/٢٧) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (كفر) ، (١٩٩/١٠) .

(٥) التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٠٤/٢٩) .

وكذا وافق ابن منظور الإمام القرطبي الذي ذكر أنَّ الكفار هنا بمعنى الزراع، وأورد القول الآخر الذي يقضي بأنَّ معناها الكافرون بالله -عزَّ وجل- ، وذكر أنَّه قول حسن[1] .

ووافقه ابن كثير الذي أورد القولين كذلك في معنى الكفَّار في هذه الآية[2] .

أمَّا البغوي فقد أورد اختيار ابن منظور فقط ، ولم يورد القول الآخر ، فذكر أنَّ المراد بالكفار هنا الزُرَّاع[3] .

المعنى العام للآية :

يُعلمنا الله -سبحانه وتعالى- في هذه الآية أنَّ الحياة في دار الدنيا لعب ولهو، أي : غرور ينقضي عن قليل ، وذهب بعض المفسرين إلى أنه يُشار بهذا إلى حال الكافر في دنياه ، لأنَّ حياته تنقضي على لعب ولهو وتزيين الدنيا ، ويفاخر قرناءه وجيرانه ، ويكاثرهم بالأموال والأولاد ، ولا يلتفت إلى العمل للآخرة ، ثُمَّ بيَّن لهذه الدنيا شبهاً ، فقال : كمثل غيث ، يعني : مطراً ، أعجب الكفَّار ، ويُراد بهم الزُرَّاع ، لأنَّ الزارع إذا ألقي البذر في الأرض كفره ، أي : غطَّاه نباته من ذلك الغيث ، ثم ييبس فتراه مصفراً بعد خضرته وريّه ، ثم يكون حطاماً ، أي : ينحطم وينكسر بعد يبسه ، وفي الآخرة عذاب شديد لأعداء الله ومغفرة من الله ورضوان لأوليائه وأهل طاعته ، وما الحياة الدنيا إلاَّ متاع الغرور لمن اغتر بها ، ولم يعمل لآخرته[4] .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٧/٢٥٥ ، ٢٥٦) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١٤/٣١٤) .

(٣) انظر : معالم التنزيل ، للبغويّ ، (٤/٢٩٨) .

(٤) انظر : زاد الميسر ، لابن الجوزيّ ، (٨/١٧١ ، ١٧٢) . وانظر : فتح القدير ، للشوكانيّ ، (٥/١٧٥) .

النص رقم (٧٥)

يقـــول تعـــالى : [وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥ ...][1] .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (وكل شيءٍ غطَّي شيئاً فقد كفــره . وفـــي الحـــديث : إنَّ الأوس والخزرج ذكروا ما كان منهم في الجاهلية ، فثار بعضـــهم إلـــى بعـــض بالســـيوف ، فـــأنزل الله تعـــالى : (وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥ)[2] ، ولم يكن ذلك على الكفر بالله، ولكن على تغطيتهم ما كانوا عليه من الألفة والمودة)[3].

دراسة النص :

خالف ابن منظور الطبري في ذلك ، فقد قال الطبري عند تفسير هذه الآية : (يعني بذلك جلَّ ثناؤه : وكيف تكفرون أيها المؤمنون بعد إيمانكم بالله وبرســوله ، فترتدوا على أعقابكم ، وأنتم تتلى عليكم آيات الله ، يعني : حجج الله عليكم التــي أنزلها في كتابه على نبيه محمد - ﷺ- ...) [4] .

ثمَّ ذكر الطبري بعد ذلك القول الآخر – وهو اختيار ابن منظــور – الــذي يقضي بأنَّ الآية نزلت في الأوس والخزرج[5] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٠١) . وتمـــام الآيـــة : [وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ] .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، باب وما أسند عبدالله بن عباس – رضي الله عنهما – أبو نصـــر الأسدي عن ابن عباس ، حديث قم (١٢٦٦٧) ، (١٢/١٢٧) .

المعجم الكبير ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ط٢ ، ١٤٠٤هـــ / ١٩٨٣م .

(٣) لسان العرب ، مادة (كفر) ، (٥/١٤٨) .

(٤) جامع البيان ، للطبري ، (٤/٢٦) .

(٥) انظر : المرجع السابق ، (٤/٢٧) .

إذن فالطبري يفسِّر الكفر على حقيقته ، وليس كما يقول ابن منظور: إنَّ المراد به تغطيتهم الألفة والمودة .

وأمَّا الرازي فقد وافقه ابن منظور ، لأنَّه ذكر سبب النزول الذي ذكره ابن منظور ، وبيَّن أنَّ ذلك نزل في الأوس والخزرج ، كما فسَّر الكفر في الآية بما فسَّره به ابن منظور[1] .

ولم يخالف ابن منظور كذلك القرطبي الذي نقل رواية ابن عباس في سبب نزول هذه الآية ، وهي ذات الرواية التي نقلها ابن منظور ، وبينت أنَّ الآية نزلت في الأوس والخزرج ، ثمَّ ذكر القرطبي أنَّ هذه الآية يدخل فيها من لم ير النبي - ﷺ - لأنَّ ما فيهم من سنته يقوم مقام رؤيته[2] .

وخالف ابن كثير حيثُ ذكر أنَّ هذه الآية نزلت في عموم المؤمنين ، وفسَّر الكفر على حقيقته لكنه لم يقع من هؤلاء المؤمنين[3] ، حيث قال في تفسير هذه الآية : (يعني أنَّ الكفر بعيد منكم ، وحاشاكم منه ، فإنَّ آيات الله تتنزل على رسوله ليلاً ونهاراً ، وهو يتلوها عليكم ويبلغها إليكم) [4] .

وخالف كذلك أبوالسعود ، فهو – وإن ذكر أنَّ الآية نزلت في الأوس والخزرج على ما ذكر ابن منظور – يبين أنَّ المراد في الآية حقيقة الكفر ، وأنَّ الاستفهام الإنكاري في الآية بمعنى إنكار الوقوع ، لا بمعنى إنكار الواقع .

ولعلَّ هذا الاتجاه الذي اتجه إليه عالمنا أبوالسعود ، ومن سلك مسلكه من المفسرين هو الأصح ، وذلك بأن نصرف الكفر في الآية إلى حقيقته لا أن نعتقد أنَّ المراد منه تغطيتهم ما كانوا عليه من الألفة والمودة ، وإن لم يقع منهم الكفر على هذا الوجه . والذي يجعل هذا الاختيار صائباً هو قوله تعالى في الآية السابقة لهذه الآية : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٣٩/٨) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٥٦/٤) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣٨٨/١) .

(٤) المرجع السابق ، (٣٨٨/١) .

بَعۡدَ إِيمَـٰنِكُمۡ كَـٰفِرِينَ)[1] ثم قال بعد ذلك : (وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ) استبعاداً لوقوع هـذا الكفر منهم ، والعلم عند الله تعالى .

سبب النزول :

رُوى عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن قال : كان الأوس والخـزرج يتحدثون ، فغضبوا حتى كان بينهم حرب ، فأخذوا السلاح ، ومشى بعضهم إلـى بعض ، فنزلـت : (وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ) إلـى قولـه : (فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَا)[2].

المعنى العام للآية :

الآية نزلت في الأوس والخزرج على ما سبق بيانه ، وفي هذه الآية يحـذر الله –تعالى– عباده المؤمنين من الاغترار بأهل الكتاب ، ويبين لهم أنَّ هذا الفريق حريصون على إضرارهم ، وردهم إلى الكفر بعد الإيمان ، ولكن – ولله الحمد – فأنتم يا معشر المؤمنين بعد أن منَّ الله –تعالى– عليكم بالـدين، وعلمـتم آياتـه ومحاسنه ومناقبه وفضائله ، وفيكم رسول الله – ﷺ – الذي أرشدكم إلى مصالحكم يستحيل أن يردوكم عن دينكم ؛ لأنَّ الدين الذي بُني على هذه الأصول والـدعائم الثابتة تنجذب إليه الأفئدة ، ويأخذ بمجامع القلوب ، ومـن يعتصـم بـالله ، أي : يتوكل عليه ، فقد هدي إلى صراط مستقيم ، وفي هذا حث على الاعتصام بـالله ، وأنه سبيل إلى الهداية والسلامة[3] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٠٠) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٠٣) .

وهذا الحديث سبق تخريجه من معجم الطبراني في دراسة هذا النص .

وانظر في سبب النزول : العجاب في بيان الأسباب ، لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن على بن حجـر العسقلانيّ ، تحقيق : عبدالحكيم الأنيس ، دار ابن الجوزي ، السعودية ، ط١ ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، (٧٢٥/٢) .

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعديّ ، ص ١٤١ . وانظر : أنوار التنزيل ، للبيضاوى ، (٧٢/٢) .

النص رقم (٧٦)

يقول تعالى: [إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا][١].

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (والكافورُ : أخْلاطٌ تجمع من الطيب ، تركب من كافور الطلع ... وقوله – عزَّ وجل – : (إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا) قيل : هي عين في الجنة ... قال الفرَّاء : يُقال : إنَّها عين تسمي الكافور : قال : وقد يكون : كان مزاجها كالكافور لطيب ريحه[٢])[٣] .

دراسة النص :

وافق ابنُ منظور الإمامَ الطبري في ذلك ، حيثُ ذكر الطبري القولين اللذين أوردهما ابن منظور : القول الأول – وهو اختيار الطبري – : إنَّ الشراب الذي في الكأس كان مزاجه كافوراً ، يعني في طيب رائحته كالكافور .

والقول الثاني : إنَّ الكافور اسم لعين ماء في الجنة .

ثم بيَّن الطبري أن القول الأول – وهو كون الكافور صفة للشراب – هو قول عامة أهل التأويل[٤] .

وذكر الرازي هذين القولين في المراد بالكافور دون أن يرجِّح أحدهما على الآخر ، فكأنَّه يريد أنَّ كلا القولين محتملان[٥] .

وذكر القرطبي عدة أقوال في معنى الكافور ، منها أنَّه اسم عين ماء في الجنة ، يقال له : عين الكافور ، وقيل : يُمزج الشراب الذي في الكأس لهم بالكافور ويختم بالمسك ، وهنا اختلفوا ، فقيل : مزاجها طعمها ، وقيل : في ريحها لا في طعمها ، وقيل : أراد كالكافور في بياضه ، وطيب رائحته وبرده ،

---

(١) سورة الإنسان ، الآية (٥) .

(٢) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٢١٥/٣) .

(٣) لسان العرب ، مادة (كفر) ، (١٥٠/٥) .

(٤) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٠٦/٢٩ ، ٢٠٧) .

(٥) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢١٣/٣٠) .

لأنَّ الكافور لا يُشرب ، وقيل : ليس بكافور الدنيا ، ولكن سمي الله ما عنده بما عندكم حتى تهتدي لها القلوب[١] .

وهذه الأقوال التي ذكرها القرطبي هنا فيها مزيد فائدة ، ولكنها لا تخرج عن القولين اللذين ذكرهما ابن منظور ، لأنَّ معظم هذه الأقوال تمثل خلاف العلماء حول كيفية ممازجة الكافور للشراب الذي في الكأس . وكلاً من ابن منظور والقرطبي لم يرجّح أحد القولين .

وحكى ابن كثير القولين معاً ، والذي يظهر من تفسيره للآية أنَّه يختار القول الثاني منهما ، وهو كون الشراب الذي يشربه هؤلاء الأبرار مُزج لهم من الكافور، وقد عُلِم ما فيه من التبريد والرائحة الطيبة ، مع ما يُضاف إلى ذلك من اللذاذة في الجنة[٢] .

فعلى ذلك يمتاز ابن كثير على ابن منظور باختياره أحد القولين .

وذكر القاسمي [٣] في تفسيره قولاً واحداً في معنى الكافور ، وهو اختيار ابن جرير آنف الذكر . قال في "محاسن التأويل" ما نصُّه : (يشربون من كأس ، أي خمر ، أطلقت عليها للمجاورة ، كان مزاجها ، أي : ما تمزج به ، كافوراً : قال ابن جرير : يعني في طيب رائحتها كالكافور) [٤] .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٢٥/١٩ ، ١٢٦) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٥٥/٤) .

(٣) القاسمي : جمال الدين ، أو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق ، من سلالة الحسين السبط ، إمام الشام في عصره علماً بالدين ، وتضلعاً من فنون الأدب ، مولده ووفاته في دمشق ، ولد سنة (١٢٨٣هـ) ، وتوفي سنة (١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) ، كان سلفي العقيدة ، لا يقول بالتقليد . من مصنفاته : دلائل التوحيد ، وموعظة المؤمنين ، اختصر فيه إحياء علوم الدين ، وقواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث ، ومحاسن التأويل في التفسير ، وغيرها .

(انظر : الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، ط١٥ ، ٢٠٠٢م ، (١٣٥/٢)) .

(٤) محاسن التأويل ، لمحمد جمال الدين القاسمي ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط١ ، ١٣٧٦هـ ، (٦٠١١/١٧) .

المعنى العام للآية :

(إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا) الأبرار: جمع بار ، وهم الذين لا يؤذون الذر ، ولا يرضون الشر ، والكأس : ما فيه نبيذ ونحوه مما يُشرب به ، والمزاج : ما يمزج به الخمر ونحوها ، وقيل : هو نفس الكافور، وقيل : إنَّه في الجنة عينٌ تسمى كافوراً [١] .

النص رقم (٧٧)

يقول تعالى : [...وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ...][٢] .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (وفي التنزيل العزيز : (وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ) الكوافرُ : النساءُ الكَفَرة ، وأراد عقد نكاحهن) [٣] .

دراسة النص :

وافق ابن منظور الإمام الطبري في ذلك ، حيثُ قال الطبري في تفسير قوله: (وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ) ما نصُّه : (يقول جلَّ ثناؤه للمؤمنين به من أصحاب رسول الله - ﷺ -: لا تمسكوا أيها المؤمنون بحبال النساء الكوافر وأسبابهن ، والكوافر : جمع كافرة ، والعِصَم : جمع عِصْمَة ، وهي : ما اعتصم به من العقد والسبب . وهذا نهي من الله -تعالى- للمؤمنين عن الإقدام على نكاح النساء المشركات من أهل الأوثان ، وأمرٌ لهم بفراقهن) [٤] .

---

(١) انظر : المحرر الوجيز ، لابن عطية ، (٤٠٩/٥) .

(٢) سورة الممتحنة ، الآية (١٠) . وتمام الآية : [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ] .

(٣) لسان العرب ، مادة (كفر) ، (١٥٠/٥) .

(٤) جامع البيان ، للطبري ، (٧١/٢٨) .

وكذا وافق الإمام الرازي الذي قال في تفسير الآية : (والعصمة : ما يعتصم به من عهد وغيره ، ولا عصمة بينكم وبينهن ، ولا علقة النكاح كذلك) [١] .

وكذا وافق الإمام القرطبي الذي قال في بيان المراد بالكوافر ما نصّه : (المراد بالكوافر هنا عبدة الأوثان ممن لا يجوز ابتداء نكاحهن ، فهي خاصة بالكوافر من غير أهل الكتاب ، وقيل: هي عامة ، نسخ منها نساء أهل الكتاب ، ولو كان إلى ظاهر الآية لم تحل كافرة بوجه) [٢] .

فالذي يظهر من هذا النص التوافق بين ابن منظور والقرطبي ، إلاَّ أنَّ القرطبي جاء تفسيره لكلمة (الكوافر) أكثر تفصيلاً وتوضيحاً .

كذلك وافق ابن كثير ابن منظور في ذلك ، حيث قال في بيان معنى قوله : (وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ) ما نصّه : (تحريم من الله عزَّ وجل على عباده المؤمنين نكاح المشركات ، والاستمرار معهن) [٣] .

ووافق ابن منظور البغوي الذي قال : (والعِصَمُ : جمع العصمة ، وهي ما يعتصم به من العقد والنسب ، والكوافر : جمع الكافرة ، نهي الله المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات ، يقول : من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها ، فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما) [٤] .

وجوه القراءات :

اختلفوا في قوله : (ولا تمسكوا) ، فقرأ أبوعمرو ويعقوب بضم التاء وفتح الميم وتشديد السين ، من (مَسَّكَ) الرباعي المضعَّف ، وقرأ الحسن بفتح التاء والميم وتشديد السين المفتوحة ، والأصل : (تتمسكوا) ، حُذفت إحدى التاءين ، وقرأ الباقون بضم التاء وسكون الميم وتخفيف السن من : (أمسك) [٥] .

---

(١) التفسير الكبير ، للرازي (٢٦٥/٢٩) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٦٦/١٨) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣٥٢/٤) .

(٤) معالم التنزيل ، للبغوي ، (٣٣٣/٤) .

(٥) انظر : إتحاف فضلاء البشر ، للدمياطي، ص ٥٤٠،وانظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص ٧٠٧ .

سبب النزول :

ذكر السيوطي عدة روايات في سبب نزول هذه الآية فيها رواية الشيخان أنَّ رسول الله -ﷺ- لمَّا عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء من المؤمنات ، فأنزل الله : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ) إلى قوله : (وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ)(١) .

المعنى العام للآية :

صالح النبي - ﷺ - في صلح الحديبية المشركين على أنَّ من جاء منهم إلى المسلمين مسلماً أنَّه يُرد إلى المشركين ، وكان هذا اللفظ عاماً يدخل فيه النساء والرجال ، فأمَّا الرجال فإنَّ الله – عزَّ وجل – لم ينه رسوله عن ردهم إلى الكفار وفاءً بالشرط ، وتتميماً للصلح الذي هو من أكبر المصالح ، وأمَّا النساء فَلمَّا كان في ردهنَّ مفاسد كثيرة أمر المؤمنون أن يختبروهن بما يظهر به صدقهن من أيمان مغلظة وغيرها ، لاحتمال أن يكون إيمانهن غير صادق لأي قصد من المقاصد الدنيوية ، فإن كن كذلك تعيَّن ردَّهن وفاءً بالشرط من غير حصول مفسدة، وإن وُجدن صادقات فلا يرجعوهن إلى الكفار ، وراعى الشارع في هذه الحالة إعطاء الأزواج من الكفار ماأنفقوا عليهن من المهر وتوابعه عوضاً عنهن ، ولا حرج حينئذ على المسلمين أن يتزوجوهن بشرط إعطائهن أجورهن من المهر والنفقة ، وكما أنَّ المسلمة لا تحل للكافر ، فكذلك الكافرة لا تحل للمسلم ما دامت على كفرها إذا لم تكن من أهل الكتاب ، واسألوا ماأنفقتم أيها المؤمنون حين ترجع زوجاتكم مرتدات إلى الكفار ، وذلكم حكم الله بيَّنه لكم ووضحه ، وهو -تعالى- يعلم ما يصلح لكم من الأحكام ، فيشرعه بحسب حكمته ورحمته(٢) .

---

(١) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ٢١١ .

وروى البخاري في صحيحه حديثاً بهذا المعنى عن مروان بن الحكم ، والمسوّر بن مخرمة .

أخرجه في : ٦٧- كتاب المغازي ، ٣٣- باب غزوة الحديبية ، حديث رقم (٣٩٤٥) ، (١٥٣٢/٤) .

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعديّ ، ص ٨٥٧ . وانظر : بحر العلوم ، للسمرقندي ، (٤١٦/٣) .

النص رقم (٧٨) و (٧٩)

يقول تعالى : [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ...][١] .

ويقول تعالى : [...وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ ...][٢] .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (والكافَّةُ : الجماعة ، وقيل : الجماعة من الناس . يُقال : لقيتهم كافةً ، أي : كلهم . وقال أبواسحق في قوله تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ) ، قال : كافة بمعنى الجميع والإحاطة ، فيجوز أن يكون معناه : ادخلوا في السِّلم كله ، أي : في جميع شرائعه ، ومعنى (كافة) في اشتقاق اللغة : ما يكف الشيء في آخره ، من ذلك كُفَّة القميص ، وهي حاشيته ... وأصل الكف : المنع ... فمعنى الآية : ابلغوا في الإسلام إلى حيث تنتهي شرائعه ، فتُكَفُّوا من أن تعدوا شرائعه ، وادخلوا كلكم حتى يُكَفَّ عن عدد واحد لم يدخل فيه[٣] . وقال في قوله تعالى :(وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ) منصوب على الحال ، وهو مصدر على فاعلة ، كالعافية و العاقبة ، وهو في موضع : قاتلوا المشركين محيطين . قال : فلا يجوز أن يثني ولا يجمع ، لا يُقال : قاتلوهم كافَّات ولا كافين ، كما أنك إذا قلت : قاتلوهم عامة ، لم تثنِّ ولم تجمع ، وكذلك (خاصَّة) وهذا مذهب النحويين[٤])[٥] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٠٨) . وتمام الآية : [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ] .

(٢) سورة التوبة ، الآية (٣٦) . وتمام الآية : [إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ] .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجّاج ، (٢٤٠/١) .

(٤) انظر : المرجع السابق ، (٣٦٠/٢) .

(٥) لسان العرب ، مادة (كفف) ، (٣٠٦/٩) .

دراسة النص :

ذكر الطبري عند تفسيره لآية البقرة خلاف أهل التأويل في الذين آمنوا ، هل هم أهل الإيمان بمحمد – ﷺ – وما جاء به ، أم هم أهل الكتاب[1]؟ ثمَّ قال : (والصواب من القول في ذلك عندي أن يُقال : إنَّ الله –جل ثناؤه– أمر الذين آمنوا بالدخول في العمل بشرائع الإسلام كلها ، وقد يدخل في الذين آمنوا المصدِّقون بمحمد– ﷺ – وبما جاء به ، والمصدقون بمن قبله من الأنبياء والرسل ، وما جاءوا به ، وقد دعا الله –عزَّ وجل– كلا الفريقين إلى العمل بشرائع الإسلام وحدوده ، والمحافظة على فرائضه التي فرضها ، ونهاهم عن تضييع شيء من ذلك ، فالآية عامة لكل من شمله اسم الإيمان ، فلا وجه لخصوص بعض بها دون بعض) [2] وقال في آية التوبة : (يقول –جلَّ ثناؤه –: وقاتلوا المشركين بالله أيها المؤمنون جميعاً غير مختلفين ، مؤتلفين غير مفترقين ، كما يقاتلكم المشركون جميعاً مجتمعين غير متفرقين) [3] .

فالذي يُلاحظ من هذه النصوص السابقة هو موافقة ابن منظور للطبري في تفسير قوله (كافة) في الآيتين ، إلاَّ أنَّ الطبري أكثر توضيحاً وتفصيلاً كما يظهر ذلك في تفسيره .

وقال الرازي عند تفسيره لآية البقرة : (وأمرهم أن يدخلوا في السلم كافة ، أي : في شرائع الإسلام كافة ، ولا يتمسكوا بشيء من أحكام التوراة اعتقاداً له ، وعملاً به ؛ لأنَّها صارت منسوخة) [4] .

كما أورد الرازي في آية التوبة قول الفرَّاء وقول الزجَّاج في معنى (كَآفَّة)، وهو ما ذكره ابن منظور من أن كافة بمعنى جميعاً ، والكافة لا تكون مذكرة ولا مجموعة على عدد الرجال أو على عدد النساء ، فلا نقول : كافين أو كافات ،

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢/٣٢٤) .

(٢) المرجع السابق ، (٢/٣٢٥) .

(٣) المرجع السابق ، (١٠/١٢٨) .

(٤) التفسير الكبير ، للرازي ، (٥/١٧٦) .

ولكنها كافة بالهاء والتوحيد ، وهي في ترتيب مصدر ، مثل : الخاصة والعامة ، وهي منصوبة على الحال .

وذكر الرازي أنَّ في قوله (كافة) قولان ، الأول : المراد : قاتلوهم بأجمعهم مجتمعين على قتالهم ، كما أنَّهم يقاتلونكم على هذه الصفة . يريد : تعاونوا وتناصروا على ذلك ، ولا تتخاذلوا في مقاتلة الأعداء . والثاني : قول ابن عباس – رضي الله عنهما – : قاتلوهم بكليتهم ، ولا تحاربوا بعضهم بترك القتال ، كما أنهم يستحلون قتال جميعكم. ثمَّ ذكر الرازي أنَّ القول الأول أقرب إلى الصحة[١] .

ويمكن القول بأنَّ ابن منظور يتفق مع الرازي كذلك ، إلاَّ أنَّ الرازي فصَّل وبيَّن في القول ، لاسيما في آية التوبة ، فقد كان قوله فيها أكثر توضيحاً وتفصيلاً، وجاء كلام ابن منظور فيها مجملاً ، حيث أشار إلى معنى قوله (كافة) ، بقوله : محيطين ، دون تفصيل .

وقال القرطبي عند تفسيره لآية البقرة : (وكافة ، معناه : جميعاً ، فهو نصب على الحال من السلم أو من ضمير المؤمنين ، وهو مشتق من قولهم : كَفَفْتُ ، أي: منعتُ ، أي : لا يمتنع منكم أحد من الدخول في الإسلام[٢] .

وقال في آية التوبة : (وكافة ، معناه : جميعاً ، وهو مصدر في موضع الحال، أي : محيطين بهم ومجتمعين ، قال الزجَّاج : مثل هذا من المصادر : عافاه الله عافيه ، وعاقبة عاقبة ، ولا يُثنى ولا يجمع ، وكذا عامة وخاصة) [٣] .

فوافق ابن منظور القرطبي في الموضعين .

وقال ابن كثير في تفسير آية البقرة : (من المفسرين من يجعل قوله: (كافة) حالاً من الداخلين ، أي : ادخلوا في الإسلام كلكم ، والصحيح ... أنَّهم أُمروا كلهم أن يعملوا بجميع شعب الإيمان ، وشرائع الإسلام ، وهي كثيرة جداً ما استطاعوا منها) [٤] .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (١٦/٤٤) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣/٢٣) .

(٣) المرجع السابق ، (٨/١٣٦) .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١/٢٤٩) .

وقال في آية التوبة : (وقاتلوا المشركين كافة ، أي : جميعكم ، كما يقاتلونكم كافة ، أي جميعهم) [(١)] .

فوافق ابنُ كثير ابن منظور في الموضعين كذلك .

وفسَّر السيوطي في "الدر المنثور" (كافَّه) بقوله : جميعاً[(٢)] دون تفصيل كما فسَّرها في آية التوبة بقوله : جميعاً[(٣)] أيضاً دون تفصيل .

فوافق السيوطي في ذلك ابن منظور ، إلاَّ أنَّ ما ذكره ابن منظور بالنسبة إلى ما ذكره السيوطي فيه زيادة بيان وتفصيل .

وجوه القراءات :

آية البقرة : فتح السين وكسرها لغتان في (السّلم) وقد قرئ بهما ، وقيل : الكسر بمعنى : الإسلام ، والفتح بمعنى : الاستسلام والمصالحة .

قرأ نافع وابن كثير والكسائي بفتح سين (السّلم) ، وقرأ أبوبكر وأبوعمرو وابن عامر وحفص وحمزة بالكسر[(٤)] .

سبب النزول :

آية البقرة : ذكر الواحدي في سبب نزول هذه الآية ، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : نزلت هذه الآية في عبدالله بن سلام[(٥)] وأصحابه ، وذلك أنَّهم حين آمنوا بالنبي – ﷺ – فآمنوا بشرائعه وشرائع موسى – عليه السلام – ،

---

(١) المرجع السابق ، (٢/٣٥٦) .

(٢) انظر : الدر المنثور ، للسيوطي ، (١/٥٧٩) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (٤/١٨٧) .

(٤) انظر : إبراز المعاني من حرز الاماني ، لأبي شامة الدمشقي ، (١/٣٥٩) . وانظر : الحجة في القراءات السبع ، لابن خالويه ، ص ٥٩ .

(٥) عبدالله بن سلام : هو عبدالله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي ، أبويوسف ، صحابي ، قيل : إنه من نسل يوسف بن يعقوب ، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة ، وكان اسمه (الحصين) ، فسماه رسول الله ﷺ عبدالله ، وشهد مع عمر ﷺ فتح بيت المقدس والجابية ، له (٢٥) حديثاً . مات بالمدينة سنة (٤٣هـ).

(انظر : الإصابة ، لابن حجر ، (٤/١١٨ ، ١١٩) ، وانظر : الأعلام ، للزركلي ، (٤/٩٠)) .

فعظموا السبت ، وكرهوا لحمان الإبل وألبانها بعدما اسلموا ، فأنكر ذلك عليهم المسلمون ، فقالوا : إنَّا نقوى على هذا وهذا ، وقالوا للنبي – ﷺ – : إنَّ التوراة كتاب الله – تعالى – ، فدعنا فلنعمل بها ، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1] .

المعنى العام للآيتين :

١ – آية البقرة :

في هذه الآية أمرٌ من الله – تعالى – للمؤمنين أن يدخلوا في جميع شرائع الدين ، ولا يتركوا منها شيئاً ، ولا يكونوا ممَّن اتخذ إلهه هواه ، بل الواجب أن يكون الهوى تبعاً للدين . ولمَّا كان الدخول في السلم كافة لا يمكن ولا يتصور إلاَّ بمخالفة طرق الشيطان قال : ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، أي : في العمل بمعاصي الله ، إنَّه لكم عدو مبين ، لا يأمر إلا بالسوء والفحشاء ، وما به الضرر عليكم[2] .

٢ – آية التوبة :

يُبينُ – تعالى – في هذه الآية عدة الشهور المعتد بها للسنة ، وهي اثنا عشر شهراً في كتاب الله : اللوح المحفوظ يوم خلق السموات والأرض ، ومن هذه الشهور أربعة حُرم ، أي : محرَّمة ، وهي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، وتحريمها هو الدين القيم المستقيم ، فلا تظلموا في هذه الأشهر الحرم أنفسكم بالمعاصي ، فإنَّها أعظم وزراً ، وقيل : في الأشهر كلها ، وقاتلوا المشركين كافة، أي : جميعاً في كل الشهور كما يقاتلونكم كذلك ، واعلموا أنَّ الله مع المتقين بالعون والنصر[3] .

---

(١) انظر: أسباب النزول، للواحدي،ص ٤٤. وانظر في سبب نزول الآية: لباب النقول ، للسيوطي،ص ٤١ .

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ٩٤ .

(٣) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٢٤٥ .

النص رقم (٨٠) و (٨١)

يقول تعالى : [...يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ...][1] .

ويقول تعالى : [...وَمَن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ...][2] .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (والكِفْلُ : الحَظُّ والضِّعف من الأجر والإثم ، وعمَّ به بعضهم ، ويُقال : له كِفْلان من الأجر ، ولا يقال : هذا كفل فلان حتى تكون قد هيأت لغيره مثله كالنصيب ، فإذا أفردت فلا تقل: كفل ولا نصيب . والكِفْلُ أيضاً: المِثْل وفي التنزيل: (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ)، وقيل: معناه : يؤتكم ضعفين، وقيل : مثلين . وفيه : (وَمَن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا) . قال الفرَّاء: الكفلُ : الحظُّ ، وقيل : يؤتكم كفلين ، أي : حظَّيْن ، وقيل : ضعفين[3])[4]

دراسة النص :

فسَّر الطبري الكفلين في آية الحديد بالضعفين من الأجر ، وفسَّر الكِفْل في آية النساء بالنصيب والحظ من الوزر والإثم[5] .

فوافقه ابن منظور في الموضعين .

وفسَّر الرازي كذلك الكفلين في آية الحديد بقوله : نصيب من رحمته ، كما فسَّر الكفل في آية النساء بالحظ[6] .

فعلى هذا يوافقه ابن منظور في كل ذلك .

---

(١) سورة الحديد ، الآية (٢٨) . وتمام الآية : [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ] .

(٢) سورة النساء ، الآية (٨٥) . وتمام الآية : [مَّن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا] .

(٣) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٢٨٠/١) ، (١٣٧/٣) .

(٤) لسان العرب ، مادة (كفل) ، (٥٨٩/١١) .

(٥) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٤١/٢٧) ، (١٨٦/٥) .

(٦) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢١٥/٢٩) ، (١٦٥/١٠) .

وبيَّن القرطبي أنَّ معنى (كفلين) : مثلين من الأجر ، وذكر أنَّ مثل قوله تعالى : (أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ)[١]. قال: والكِفْل:الحظ والنصيب، وذكر في آية النساء أنَّ الكفل يُستعمل في النصيب من الخير والشر[٢].

فوافقه ابن منظور في الموضعين كذلك .

وكذلك ابن كثير فسَّر الكفلين بقوله : ضعفين من رحمته ، أمَّا الكفل في آية النساء ففسره بنفس الوزر ، أي : يكون عليه وزر من ذلك الأمر الذي ترتب على سعيه ونيته[٣] .

فوافق ابن كثير ابن منظور في الموضع الأول ، أمَّا في الثاني فخالفه ؛ ولكنه عندي خلاف لفظي ، فالمعنى واحد .

وكذلك ابن الجوزي فسر الكفلين بالنصيبين والحظَّين من رحمته[٤] وفسر الكفل في الموضع الثاني بالنصيب[٥] .

فوافقه ابن منظور في معنى الكفل في الآيتين .

سبب النزول :

آية الحديد : ذكر السيوطي في سبب نزول هذه الآية عن مقاتل أنَّه لمَّا نزلت : (أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ)[٦] الآية فَخر مؤمنو أهل الكتاب عن أصحاب النبي -ﷺ- فقالوا: لنا أجران،ولكم أجر، فأشتدَّ ذلك على الصحابة، فأنزل الله:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ)[٧].

فجعل لهم أجرين مثل أجور مؤمني أهل الكتاب .

---

(١) سورة القصص ، الآية (٥٤) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٦٦/١٧) ، (٢٩٦/٥) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣١٨/٤) ، (٥٣٢/١) .

(٤) انظر : زاد المسير ، لابن الجوزي ، (١٧٨/٨) .

(٥) انظر : المرجع السابق ، (١٥٠/٢) .

(٦) سورة القصص ، الآية (٥٤) .

(٧) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ٢٥٠ .

المعنى العام للآيتين :

١ - آية الحديد :

يجوز أن يكون الخطاب في هذه الآية للذين آمنوا من أهل الكتاب ، ويجوز أن يكون للذين آمنوا من غيرهم ، فإن كان خطاباً لمؤمني أهل الكتاب ، فالمعنى : يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى – عليهما السلام – آمنوا بمحمد – ﷺ – يؤتكم الله نصيبين من رحمته لإيمانكم بمحمد وإيمانكم بمن قبله ، ويجعل لكم يوم القيامة نوراً تمشون به ، وهو النور المذكور في قوله : ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم﴾(١) ، ويغفر لكم ما أسلفتم من الكفر والمعاصي(٢) .

٢ - آية النساء :

هذه الآية – كما قال مجاهد وغيره – هي في شفاعات الناس بينهم في حوائجهم ، فمن يشفع لينفع فله نصيب ، ومن يشفع ليضر فله كفل ، والكفل : النصيب ، ويستعمل في الخير والشر ، وكان الله على كل شيء مقيتاً ، أي : قديراً ، وقيل : معناه شهيداً ، وقيل : حفيظاً ، وقيل : هو الذي يقوت كل حيوان(٣) .

النص رقم (٨٢) و (٨٣)

يقول تعالى : [...وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا...](٤) .

ويقول تعالى : [...فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ](٥) .

---

(١) سورة الحديد ، الآية (١٢) .

(٢) انظر : الكشاف ، للزمخشري ، (٤/٤٨٠) .

(٣) انظر : الجواهر الحسان ، لابن مخلوف الثعالبي ، (١/٣٩٦) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية (٣٧) . وتمام الآية : (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا ۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ) .

(٥) سورة ص ، الآية (٢٣) . وتمام الآية : (إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِيَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ) .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (والكَافِلُ : العَائِلُ ... وفي التنزيل العزيز : (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) ، وقد قُرئت بالتثقيل ونصب زكريا ، وذكر الأخفش أنَّه قُرئ (وكفلها زكريا) بكسر الفَاء[1] ... والكافلُ : القائم بأمر اليتيم المربي له ، وهو من الكفيل الضمين ... وكفلها زكريا ، أي : ضَمَنَّها إياه حتى تكفَّل بحضانتها ، ومن قرأ : وكفلها زكريا : فالمعنى : ضمن القيام بأمرها ... والتكفيل مثله . قال الله تعالى : (فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ) . الزجَّاج : معناه : اجعلني أنا أكفلها ، وأنزل أنت عنها[2])[3] .

دراسة النصين :

أورد الطبري في تفسير آية آل عمران اختلاف القراء في قوله (وكفلها) ، فذكر فيها قراءتين ، الأولى : قراءة عامة أهل الحجاز والمدينة والبصرة ، وهي بتخفيف الفاء ، ومعناها : ضمَّها زكريا إليه اعتباراً بقول الله عزَّ وجل : (إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ)[4] .

والقراءة الثانية : قراءة عامة قُراء الكوفيين ، وهي بتشديد الفاء ، ومعناها : وكَفَّلها الله زكريا[5] .

ثمَّ رجَّح الطبري بين القراءتين ، حيثُ قال : (وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأ: (وكَفَّلها) مشددة الفاء، بمعنى : وكفَّلها الله زكريا، بمعنى وضمَّها الله إليه ؛ لأنَّ زكريا أيضاً ضمها إليه بإيجاب الله له ، ضمها إليه بالقرعة التي أخرجها الله له، والآية التي أظهرها لخصومه فيها فجعله بها أولى منهم) [6] .

(١) انظر : معاني القرآن ، للأخفش ، (٣٩٤/١) .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٢٤٥/٤) .

(٣) لسان العرب ، مادة (كفل) ، (٥٨٩/١١ ، ٥٩٠) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية (٤٤) .

(٥) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٤١/٣) .

(٦) المرجع السابق ، (٢٤١/٣) .

وقال في تأويل قوله (أكلفنيها) في آية ص : (يقول فقال لي : أنزل عنها لي، وضُمُّهَا إليَّ) [1] .

فوافقه ابن منظور في الموضعين ، إلاَّ أنَّ الطبري له ترجيح واختيار في الموضع الأول، خلافاً لابن منظور الذي ذكر القولين في ذلك،ولم يرجِّح أحدهما .

وذكر الرازي أنَّ قوله : (كفلها) من كفل يكفل كفالة وكفلاً ، فهو كافل ، وهو الذي ينفق على إنسان ويهتم بإصلاح مصالحه ، ثم ذكر أنَّ فيها قراءتين ، وهما : قراءة التشديد والتخفيف ، وبيَّن أنَّ قراءة التشديد معناها : ضمَّها الله – تعالى- إلى زكريا ، وقراءة التخفيف معناها : ضمَّها زكريا إلى نفسه .

واختار الرازي هذا القول الأخير ، أي : القراءة بتخفيف الفاء . قال : لأن هذا مناسب لقوله تعالى : (أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ)[2] وعليه الأكثر[3] .

ونقل الرازي عند تفسيره لآية ص قول صاحب الكشاف : إنَّ حقيقة (أكفلنيها) اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي[4] .

فوافق ابن منظور على ذلك الرازي في الموضعين ، إلاَّ أنَّ الرازي رجَّح أحد القولين في الموضع الأول ، وهو القراءة بالتخفيف على معنى : ضمَّها زكريا إلى نفسه – خلافاً للطبري .

وكذلك القرطبي ذكر القراءتين ومعناهما . قال في تفسير قوله : (وكفلها زكريا) : (أي : ضمها إليه ... وقرأ الكفوفيون : وكفلها (بالتشديد) فهو يتعدى إلى مفعولين ، والتقدير : وكّفَّلَها ربها زكريا ، أي : ألزمه كفالتها ، وقدَّر ذلك عليه ، ويسَّره له) [5] .

والذي يظهر من هذا النص أنَّ القرطبي يُرجّح قراءة التخفيف كالرازي .

---

(١) المرجع السابق ، (١٤٣/٢٣) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (٤٤) .

(٣) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٦/٢٨) .

(٤) انظر : المرجع السابق ، (١٧٢/٢٦) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٧٠/٤) .

أمَّا في آية ص فقد قال القرطبي في معنى (أكفلنيها) : (أنزل لي عنها حتى أكفلها) [1] .

فوافقه ابن منظور في الموضعين كذلك ، مع عمل القرطبي بالترجيح متميزاً به على ابن منظور كذلك .

أمَّا ابن كثير فقد نقل قلاً واحداً ، ولم يذكر الخلاف في قراءة قوله (وكفلها) فقط ذكر قراءة التشديد ونصب (زكريا) على المفعولية ، أي : جعله كافلاً لها ، قال : وإنما قدر الله كون زكريا كفلها لسعادتها لتقتبس منه علماً جمًّا نافعاً وعملاً صالحاً[2] .

ولم يذكر ابن كثير في آية ص شيئاً يتعلق بتفسير قوله : (أكفلنيها) ، وبيَّن أنَّ ما ذكره المفسرون من قصة في هذا الشأن أكثرها مأخوذة من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم ﷺ حديث يجب اتباعه ، والأَوْلَى تلاوة هذه القصة (أي الآيات) فقط ، وأن يُرد علمها إلى الله عزَّ وجل[3] .

وعلى هذا فقول ابن منظور في الموضع الأول أكثر إيضاحاً وتفصيلاً من قول ابن كثير الذي جاء تفسيره مقتصراً فقط على إحدى القراءتين ، إلاَّ أنَّ ابن كثير له موقف واضح في تفسير هذه الآية لأخذه بقراءة التشديد .

أمَّا في الموضع الثاني – وهو آية ص – فلا وجه للمقارنة بينهما ؛ لإحجام ابن كثير عن تفسير المفردة موضع الدراسة .

وقال الكلبي في آية آل عمران : (وكفلها زكريا ، أي : ضمها إلى إنفاقه وحضانته ، والكافلُ هو : الحاضن ، وكان زكريا زوج خالتها ، وقرئ (كفَّلها) بتشديد الفاء ونصب (زكريا) ، أي : جعله الله كافلها) [4] .

وقال في آية ص : (ومعنى (أكفلنيها) أملكها لي ، وأصله : اجعلها في كفالتي ، وقيل : اجعلها كفلي ، أي : نصيبي) [5] .

---

(1) المرجع السابق ، (١٥/١٧٤) .

(2) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١/٣٦٠ ، ٣٦١) .

(3) انظر : المرجع السابق ، (٤/٣٢) .

(4) التسهيل ، للكلبي ، (١/١٠٥) .

(5) المرجع السابق ، (٣/١٨٢) .

فوافق بذلك ابن منظور في الموضعين ، إلاَّ أنَّه في الموضع الأول يُرجّح القراءة بتخفيف الفاء كما يتضح من تفسيره .

وجوه القراءات :

آية آل عمران : اختلفوا في قراءة قوله (وكفلها) ، فقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بتشديد الفاء ، على أنَّ الفاعل هو الله –تعالى– ، أي : جعله كافلاً لها ، وضامناً لمصالحها ، وقرأ الباقون بالتخفيف على إسناد الفعل إلى زكريا ، ولا مخالفة بينهما ؛ لأنْ الله –تعالى– لمَّا كفَّلها إياه كَفِلَّها .

واختلفوا كذلك في (زكريا) فقرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ومن وافقهم بالقصر من غير همز في جميع القرآن ، وقرأ الباقون بالهمز والمد ، أي : (زكرياء) (١) .

المعنى العام للآيتين :

١/ آية آل عمران :

(فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ) : أي : قبل مريم من أمها ، (وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا) : أنشأها بخلق حسن ، وأتت بها أمها الأحبار سدنة بيت المقدس، فتنافسوا فيها ، لأنَّها بنت إمامهم ، فقال زكريا : أنا أحق بها ، لأنَّ خالتها عندي ، فقالوا : لا حتى نقترع ، فانطلقوا وهم تسعة وعشرون إلى نهر الأردن ، وألقوا أقلامهم ، فثبت قلم زكريا فأخذها وبنى لها غرفة في المسجد لا يصعد إليها غيره ، وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها ، فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف. كما قال تعالى : (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) ، أي : ضمها إليه ، وقرئ بالتشديد ونصب (زكريا) ممدوداً ومقصوراً ، والفاعل هو الله –تعالى– (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ) أي : الغرفة ، وهي أشرف المجالس (وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًاۖ قَالَ يَـٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ) يأتيني به من الجنة ، (إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ)) رزقاً واسعاً بلا تبعة(٢) .

(١) انظر : إتحاف فضلاء البشر ، للدمياطي ، ص ٢٢٢ .

(٢) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٧١ .

٢/ آية ص :

(إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى) ، أي : على ديني ، قيل : هما ملَكَان جاءا إلى سيدنا داود – عليه السلام – في صورة خصمين – كما ورد في الآية السابقة – (لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً)، يُعبر بها عن المرأة ، (وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا)، أي : اجعلني كافلها ، (وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ) ، أي : غلبني في الجدال ، وأقره الآخر على ذلك[١] .

النص رقم (٨٤) و (٨٥)

يقول تعالى : [...وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا ...][٢] .

ويقول تعالى : [...أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ شَهِيدٌ][٣] .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (الليث : كَفَىَ يَكْفِي كفايةً ، إذا قام بالأمر ... ويُقال : كفاك هذا الأمر ، أي : حَسْبُك ... وقال أبوإسحق الزجَّاج في قوله –عزَّ وجل– : (وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا) : وما أشبهه في القرآن ، معنى الباء للتوكيد ، المعنى : كفى الله وليَّاً ، إلاَّ أنَّ الباء دخلت في اسم الفاعل ؛ لأنَّ معنى الكلام الأمر ، المعنى : اكتفوا بالله ولياً ، قال : ووليّاً منصوب على الحال ، وقيل : على التمييز[٤] . وقال في قوله سبحانه : (أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ شَهِيدٌ) ، معناه : أولم يكفِ ربك ، أولم تكفهم شهادةُ ربك ، ومعنى الكفاية هاهنا أنَّه قد بيَّن لهم ما فيه كفاية في الدلالة على توحيده[٥])[٦] .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ٦٠٠ .

(٢) سورة النساء ، الآية (٤٥) . وتمام الآية : [وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا] .

(٣) سورة فصلت ، الآية (٥٣) . وتمام الآية : (سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلۡأٓفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ شَهِيدٌ) .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٤٦/٢) .

(٥) انظر : المرجع السابق ، (٢٩٧/٤) .

(٦) لسان العرب ، مادة (كفي) ، (٢٢٦/١٥) .

دراسة النص :

قال الطبري في تفسير آية النساء : (وأمَّا قوله : ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ فإنَّه يقول : فبالله أيها المؤمنون فثقوا ، وعليه فتوكلوا ، وإليه فارغبوا دون غيره ، يكفكم مهمكم ، وينصركم على أعدائكم ، وكفى بالله وليّاً ، يقول : وكفاكم وحسبكم بالله ربكم ولياً يليكم ويلي أُموركم) [١] .

وقال في آية فصلت : (يقول تعالى ذكره : أولم يكف بربك يا محمد أنَّه شاهد على كل شيء ممَّا يفعله خلقه ، لا يعذب عنه علم شيء منه ، وهو مجازيهم على أعمالهم ، المحسن بالإحسان والمسيء جزاءه) [٢] .

فالذي يُلاحظ من هذه النصوص هو موافقة ابن منظور للإمام الطبري في الموضعين ، إلاَّ أنَّ الذي يظهر لي هو أنَّ ابن منظور هذه المرة يجئ كلامه أكثر توضيحاً وتفصيلاً من الطبري .

وقال الرازي عند تفسيره لآية النساء : (يخطر ببالي أنَّ الباء في الأصل للإلصاق ، وذلك إنَّما يحسن في المؤثر الذي لا واسطة بينه وبين التأثير ، ولو قيل : كفى الله دلَّ ذلك على أنَّه يفعل بواسطة أو بغير واسطة ، فإذا ذكرت حرف الباء دلّ على أنَّه يفعل بغير واسطة ؛ بل هو تعالى يتكفَّل بتحصيل هذا المطلوب ابتداء من غير واسطة أحد)[٣].

وقال في آية فصلت : (والمعنى : ألم تكفهم هذه الدلائل الكثيرة التي أوضحها الله –تعالى– ، وقرَّرها في هذه السورة ، وفي كل سور القرآن الدالة على التوحيد والتنزيه والعدل والنبوة) [٤] .

فخالف ابن منظور الرازي في الموضع الأول ، ووافقه في الموضع الثاني .

---

(١) جامع البيان ، للطبري ، (١١٦/٥ ، ١١٧) .

(٢) المرجع السابق ، (٢٥/٥) .

(٣) التفسير الكبير ، للرازي ، (٩٤/١٠) .

(٤) المرجع السابق ، (١٢٠/٢٧) .

وقال القرطبي عند تفسيره لقوله : (وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا) : (الباء زائدة ، زيدت لأنَّ المعنى : اكتفوا بالله ، فهو يكفيكم أعداءكم ، وولياً ونصيراً نصب على البيان، وإن شئت على الحال)[1] .

وقال عند تفسيره لقوله : (أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ) : (والمعنى أولم يكفهم ربك بما دلَّهم عليه من توحيده) [2] .

وذكر القرطبي أقوالاً أخرى غير قوله ذلك[3] .

فوافق ابن منظور القرطبي في الموضعين ، إلاَّ أنَّ القرطبي ذكر في الموضع الأول أنَّ الباء زائدة ، وذكر ابن منظور – فيما نقله عن أبي إسحق الزجَّاج – أنَّ الباء للتوكيد .

ولم يُفصِّل ابن كثير في معنى قوله : (وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا) ، وماذا على أن قال: (أي : كفى به ولياً لمن لجأ إليه ، ونصيراً لمن استنصره) [4] .

وقال عند تفسيره لآية فصلت : (أي : كفى بالله شهيداً على أفعال عباده و أقوالهم ، وهو يشهد أنَّ محمداً صادق فيما أخبر به عنه) [5] .

فتبيَّن لنا بذلك أنَّ ابن كثير يخالف ابن منظور في الموضعين .

أمَّا النَّحاس فقد وافقه ابن منظور لأخذه بقول أبي إسحق الزجَّاج الذي سلَّم به ابن منظور كما مَرَّ معنا في التفسير اللغوي – قال النَّحاس في تفسير آية النساء ما نصُه : (قال أبو إسحق : إنَّما دخلت الباء في : (وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ) ؛ لأنَّ في الكلام معنى الأمر ، والمعنى : اكتفوا بالله وليّا ، واكتفوا بالله نصيراً) [6] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٥/٢٤٢) .

(٢) المرجع السابق ، (١٥/٣٧٥) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (١٥/٣٧٥) .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١/٥٠٨) .

(٥) المرجع السابق ، (٤/١٠٦) .

(٦) معاني القرآن ، للنحَّاس ، (٢/١٠٠) .

ووافقه كذلك في تفسير آية فصلت ، حيثُ قال:(أي: أولم يكف ربك بما دلَّهم به على توحيد الله – جل وعزَّ – ممّا فيه كفاية لهم؛لأنَّه على كل شيء شهيد) [١] .

المعنى العام للآيتين :

١/ آية النساء : يُخاطب الله –تعالى– في هذه الآية المؤمنين ، يقول لهم : إنَّ الله أعلم منكم بأعدائكم من أهل الكتاب وأحبار اليهود ، وقد أخبركم بعداوة هؤلاء، وأطلعكم على أحوالهم وما يريدون بكم ، فاحذروهم ولا تستنصحوهم في أمــوركم ولا تستشيروهم ، وكفى بالله وليّاً وكفى بالله نصيراً ، فثقوا بولايته ونصرته دونهم ،ولا تبالوا بهم ، فإنَّ الله ينصركم عليهم ، ويكفيكم مكرهم[٢] .

٢/ آية فصلت :

قوله : (سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ) يعني : عذابنا في البلاد ، مثل هلاك عاد وثمود وقوم لوط ، (وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ) : يبتلون بأنفسهم من البلايــا ، (حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ) ، يعني الذي قلت هو الحق فيصدقونك .

وقال بعض المتأخرين : سنريهم آياتنا في الآفاق : ما وضع في العالم مــن الدلائل ، وفي أنفسهم ما وضع فيها من الدلائل التي تدل على وحدانية الله تعالى ، وأنَّ محمداً – ﷺ – صادق ينطق بالوحي فيما يقول .

قوله : (أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ) ، أي : أولم يكف بربك يعني شاهداً أنَّ القرآن من الله تعالى – وأنّه على كل شيء شهيد عــالم بأعمــالهم بالبعث وغيره ، ويُقال : أولم يكف بربك ، ومعنى الكفاية هاهنا أنَّه قد بيَّن لهم ما فيه كفاية بالدلائل على توحيده وتثبيت رسله[٣] .

(١) المرجع السابق ، (٢٨٧/٦) .

(٢) انظر : الكشاف ، للزمخشريّ ، (٥٤٨/١) .

(٣) انظر : بحر العلوم ، للسمرقنديّ ، (٢٢٢/٣) .

النص قم (٨٦)

يقول تعالى : [كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ][1] .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (قال الكسائي : (كَلاَّ) تنفى شيئاً ، وتوجب شيئاً غيره ... كَلاَّ : ردعٌ في الكلام وتنبيه وزجر ، ومعناها : انْتِه لا تفعل ، إلا أنها أكد في النفي والردع من (لا) لزيادة الكاف ، وهي ترد بمعنى (حَقًّا) ، كقوله تعالى : (كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ))[2] .

دراسة النص :

قال الطبري في تفسير هذه الآية : (وقوله : (كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ) : يقول ليس كما قال* إنه يطأ عنق محمد ﷺ ، يقول : لا يقدر على ذلك ، ولا يصل إليه) [3] .

فهذا المعنى الذي ذكره الطبري هنا لا يخرج عمَّا نقله ابن منظور في معنى (كلاَّ) لما فيه من معنى النفي والردع والزجر ، إلاَّ أنَّ الطبري لم يشر إلى أنَّ (كلًّا) في هذه الآية بمعنى (حقًّا) .

وكذلك الرازي ، فقد ذكر أنَّ في قوله (كلا) وجوهاً ، أحدها : أنَّه ردع لأبي جهل ، ومنع له عن نهيه عن عبادة الله – عزَّ وجل – وأمره بعبادة الله ، وثانيها: كلا لن يصل أبوجهل إلى ما يقول إنَّه يقتل محمداً –ﷺ– أو يطأ عنقه ، وثالثها – ونسب هذا الوجه إلى مقاتل – : كلا لا يعلم أنَّ الله يرى ، وإن كان يعلم لكنه لا ينتفع بما يعلم ، فكأنَّه لا يعلم[4] .

فهذه الوجوه التي ذكرها الرازي في معنى (كلا) فيها معاني النفي أو الردع والزجر ، لكنه لم يشر أيضاً إلى معنى (حقّاً) الذي ذكره ابن منظور .

---

(١) سورة العلق ، الآية (١٥) .

(٢) لسان العرب ، مادة (كلا) ، (٢٣١/١٥) .

* يريد أباجهل . (انظر : جامع البيان ، للطبرى (٢٥٥/٣٠)) .

(٣) المرجع السابق ، (٢٥٥/٣٠) .

(٤) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٣/٣٢) .

أمَّا القرطبي وابن كثير فلم يتعرضا في هذه الآية إلى بيان معنى قوله (كلا)، واكتفى القرطبي بقوله : (كلا لئن لم ينته ، أي : أبوجهل عن أذاك يا محمد لنسفعاً، أي : لنأخذن بالناصية) [1] ، وما زاد ابن كثير على أن قال : (كلا لئن لم ينته ، أي : لئن لم يرجع عمَّا هو فيه من الشقاق والعناد لنسفعاً بالناصية) [2] .

فلا وجه للمقارنة بينهما وبين ابن منظور في ذلك .

وبيَّن الصابوني في تفسير هذه الآية أنَّ المراد بقوله (كلا) هو الردع والزجر[3] ، وهذا هو أحد المعاني التي ذكرها ابن منظور .

سبب النزول :

ذكر السيوطي في سبب نزول الآية عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال أبوجهل : هل يُعفِّر محمدٌ وجهه بين أظهركم ؟ فقيل : نعم ، فقال : واللات والعزَّى لئن رأيته يفعل لأطأنَّ على رقبته ، ولأعفِّرنَّ وجهه في التراب ، فأنزل الله : (كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ)[4] ، الآيات .

كما ذكر عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : كان رسول الله ﷺ يُصلى ، فجاءه أبو جهل ، فنهاه ، فأنزل الله : (أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ * عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ)[5] إلى قوله : (كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ)[6] .

المعنى العام للآية :

هذه الآية والآيات قبلها نزلت – كما مرَّ آنفاً – في أبي جهل الذي قال : لو رأيتُ محمداً ساجداً لوطئت عنقه ، وكان ينهي النبي –ﷺ –عن الصلاة والعبادة ، وفي هذه الآية ردع للناهي بقوله (كلا) ، لئن لم ينته ، أي : عمَّا هو فيه . يقول

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٢٥/٢٠) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ،(٥٢٩/٤) .

(٣) انظر : صفوة التفاسير ، لمحمد علي الصابوني ، (٥٦٣/٣) .

(٤) سورة العلق ، الآية (٦) .

(٥) سورة العلق ، الآيتان (٩ ، ١٠) .

(٦) سورة العلق ، الآية (١٦) ، وانظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ٢٣٢ .

الله تعالى : (لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ) ، أي : لنأخذنَّ بناصيته – وهي شعر مقدم الرأس – ولنسحبنه بها إلي النار ، والسَّفع : القبض على الشيء ، وجذبه بشدة[1] .

النص رقم (٨٧)

يقول تعالى : [قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ...][2] .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (قال الله – عزَّ وجل – (قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ) ... الليث : يُقال كَلأك الله كِلاءةً ، أي : حَفظَك وحرسك ، والمفعولُ منه مَكْلُوءٌ ... وقد كلأه يَكلَؤُه كَلأً وكِلاءً وكِلاءةً بالكسر : حَرَسَه وحَفِظَه) [3] .

دراسة النص :

وافق ابن منظور الطبري في معنى هذه المفردة . قال الطبري في تفسير الآية : (يقول –تعالى– ذكره لنبيه محمد – ﷺ – : قل يا محمد لهؤلاء المستعجليك بالعذاب ، القائلين : متي هذا الوعد إن كنتم صادقين : من يكلؤكم أيها القوم ، يقول : من يحفظكم ويحرسكم بالليل إذا نمتم ، وبالنهار إذا تصرفتم من الرحمن ، يقول : من أمر الرحمن إن نزل بكم ، ومن عذابه إن حلّ بكم) [4] .

ووافق الرازي كذلك ، حيثُ فسَّر الرازي الكلاءة بالحفظ والحراسة أيضاً[5]

ووافق كذلك القرطبي الذي قال عند تفسيره لهذه الآية: (قل من يكلؤكم ، أي: يحرسكم ويحفظكم ، والكلاءة : الحراسة والحفظ . كلأه الله كلاء (بالكسر) ، أي : حفظه وحرسه، يُقال : اذهب في كلاءه الله ، واكتلات منهم ، أي : احترست)[6] .

---

(١) انظر:أنوار التنزيل، للبيضاوي، (٥١٠/٥ ، ٥١١). وانظر:الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٢٥/٢٠).

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (٤٢) . وتمام الآية : [قُل مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ].

(٣) لسان العرب ، مادة (كلأ) ، (١٤٥/١ ، ١٤٦) .

(٤) جامع البيان ، للطبري ، (٢٩/١٧) .

(٥) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٥٠/٢٢) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٩١/١١) .

ووافقه ابن كثير الذي قال في تفسير الكلاءة في الآية ما نصّه : (ثـمَّ ذكـر تعالى نعمته على عبيده في حفظه لهم بالليل والنهار ، وكلاءته وحراسته لهم بعينه التي لا تنام ، فقال : (قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ)[١] .

وجاء تفسير الإمام الشنقيطي لمعنى الكلاءة في الآية موافقاً لما ذكـره ابـن منظور في معناها ، حيث فسَّرها بالحفظ والحراسة أيضاً[٢] .

المعنى العام للآية :

هذه الآية في الذين كفروا من المستعجلين للوعد ، يأمر الله سبحانه وتعـالى نبيه -ﷺ- أن يسألهم : من يكلؤكم ، أي : يحفظكم ويحرسكم بالليل والنهار مـن الرحمن إن أنزل بكم عذابه ، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : من يمنعكم من عذاب الرحمن ، بل هم عن ذكر ربهم ، أي : عـن القـرآن ومـواعظ الله - تعالى- معرضون[٣] .

النص رقم (٨٨)

يقول تعالى : [...وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ...][٤] .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (ومُكَلِّبٌ : مُضَرٍ للكلاب على الصيد ، معلِّمٌ لهـا ، وقـد يكون التكليب واقعاً على الفهد وسباع الطير . وفي التنزيل العزيز : (وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ) ، فقد دخل في هذا : الفهدُ والبازي والصـقرُ والشـاهينُ ،

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١٨٠/٣) .

(٢) انظر : أضواء البيان ، للشنقيطي ، (١٥٣/٤) .

(٣) انظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٢٤٥/٣) . وانظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ٥٢٤ .

(٤) سورة المائدة ، الآية (٤) . وتمام الآية : (يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ) .

وجميعُ أنواع الجوارح . والكلاب : صاحبُ الكِلاَبِ . والمُكَلِّـبُ : الـذي يعلـم الكلاب أخذ الصيد ... المُكَلَّبَةُ : المُسَلَّطة على الصيد ، المُعَوَّدة بالاصطياد ، التي قد ضَرِيَتْ به ، والمكلِّب (بالكسر) صاحبها ، والذي يصطاد بها) [١] .

دراسة النص :

وافق ابن منظور في معنى الآية الإمـام الطبـري الـذي فسَّـر الجـوارح بالكواسب من سباع البهائم والطير . قال : فإن ظنَّ ظان أنَّ في قولـه (مكلبـينَ) دلالة على أنَّ الجوارح التي ذكرت في قولـه : (وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ) هـي الكلاب خاصة ، فقد ظنَّ غير الصواب .

وفسَّر الطبري (مكلبين) بما علَّمُوه الصَّيد من كواسب السباع والطَّيْر ، وذكر أنَّ التكليب صفة للقانص وإن صاد بغير الكلاب في بعض أحيانه[٢] .

ووافق كذلك الرازي الذي قال في تفسير الآية : (الجوارح يدخل فيه كل مـا يمكن الاصطياد به كالفهد والسباع من الطير ، مثل : الشاهين والباشق والعقاب . قال الليث : سئل مجاهد عن الصقر والبازي والعقاب والفهد، وما يصطاد به مـن السباع ، فقال : هذه كلها جوارح ، وأجابوا عن التمسك بقوله تعالى :(مُكَلِّبِينَ) من وجوه : الأول : أنَّ المكلب هو مؤدب الجوارح ومعلمها أن تصطاد لصـاحبها ، وإنَّما اشتق هذا الاسم من الكلب ؛ لأنَّ التأديب أكثر ما يكون في الكلاب ، فاشـتق منه هذا اللفظ لكثرته في جنسه . الثاني : إنَّ كل سبع ، فإنَّه يُسمَّي كلباً ... الثالث: إنَّه مأخوذ من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة ... والرابع : هب أنَّ المذكور فـي هذه الآية إباحة الصيد بالكلب لكن تخصيصه بالذكر لا ينفي حل غيره ، بدليل أنَّ الاصطياد بالرمي ووضع الشبكة جائز، وهو غير مذكور في الآية،والله أعلم) [٣] .

فثبت بذلك موافقة ابن منظور للرازي في معنى الجوارح ، ومعنى قولـه : (مكلبين) .

---

(١) لسان العرب ، مادة (كلب) ، (١/٧٢٢) .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٦/٨٨-٩١) .

(٣) التفسير الكبير ، للرازي ، (١١/١١٣) .

وتتبين موافقة ابن منظور للقرطبي أيضاً في قوله : (فإن كان الذي يُصاد به غير كلب كالفهد وما أشبهه وكالبازي والصقر، ونحوها من الطير فجمهور الأُمة على أنَّ كل ما صاد بعد التعليم فهو جارح كاسب) [1] .

ثمَّ بين القرطبي أن معنى (مكلبين) أصحاب الكلاب، وهو كالمؤدب صاحب التأديب ، وقيل : معناه مضرين على الصيد كما تضري الكلاب[2] .

وكذلك وافق ابن كثير ابن منظور في ذلك : حيثُ قال ابن كثير : وأحل لكم ما صدتموه بالجوارح ، وهي : الكلاب والفهود والصقور وأشباهها كما هو مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والأئمة) [3] .

وممَّن وافقهم ابن منظور كذلك الإمام النسفي الذي فسَّر الجوارح بكواسب الصيد من سباع البهائم والطير ، كالكلب والفهد والعقاب والصقر والبازي والشاهين ، كما فسَّر (مكلبين) بمؤدب الجوارح ومعلمها[4] .

وجوه القراءات :

قُرئ قوله (مكلبين) بالتخفيف والتشديد ، فعن الحسن (مُكْلِبين) بسكون الكاف وتخفيف اللام ، وقرأ الباقون (مُكَلِّبين) بفتح الكاف وتشديد اللام المكسورة[5] .

سبب النزول :

ذكر السيوطي عدة روايات في سبب نزول هذه الآية منها رواية أبي رافع[6]، قال : جاء جبريل إلى النبي- ﷺ - فاستأذن عليه ، فأذن له ، فأبطأ ،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٦٦/٦) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٦٧/٦) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١٦/٢) .

(٤) انظر : مدارك التنزيل ، للنسفي ، (٢٩٦/١) .

(٥) انظر : إتحاف فضلاء البشر ، للدمياطيّ ، ص ٢٥١ . وانظر : إملاء ما منّ به الرحمن ، للعكبري ، (٢٠٧/١) .

(٦) أبورافع : هو أبورافع القبطي ، مولى رسول الله ﷺ يُقال : اسمه إبراهيم ، ويقال : أسلم ، وقيل : غير ذلك ، كان اسلامه قبل بدر ولم يشهدها ، وشهد أُحداً وما بعدها . روى عن النبي ﷺ وعبدالله بن مسعود . قيل مات بالمدينة سنة (٣٦هـ) . (انظر : الإصابة ، لابن حجر ، (١٣٤/٧) ، وانظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي ، (٣٢/٩) . وانظر : الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، (٧٣/٤)) .

فأخذ رداءه ، فخرج إليه وهو قائم بالباب ، فقال : قد أذن لك . قال : أجل : ولكنا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا كلب،فنظروا فإذا في بعض بيتهم جرو، فأمر أبورافع: لا تدع كلباً بالمدينة إلاَّ قتلته ، فأتاه ناس ، فقالوا : يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها ؟ فنزلت : ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡ﴾ الآية[١] .

المعنى العام للآية :

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡ﴾ ، أي : يسأل المسلمون رسول الله – ﷺ– أن يبين لهم الحلال ، وذلك عقب أمره – ﷺ – بقتل الكلاب ، فأمره الله – عزَّ وجل– أن يخبرهم بأنه أحل لهم الطيبات ، وهي الحلال مِمَّا لم يرد تحريمه في كتاب ولا سنة ، وهي ضد الخبائث المحرمة ، وما علمتم من الجوارح : عطف على الطيبات على حذف مضاف تقديره : وصيد ما علمتم ، والجوارح هي الكلاب ونحوها ممَّا يُصطاد به، وسُميت جوارح لأنها كواسب لأهلها ، فهو من الجرح بمعنى الكسب ، ولا خلاف في جواز الصيد بالكلاب ، واختلفوا فيما سواها ، ومذهب الجمهور جواز الصيد بجميع السباع من البهائم والطير ، مكلبين : أي : معلمين للكلاب الاصطياد ، وقيل: معناه :أصحاب كلاب ، تعلمونهن مما علمكم الله من الحيلة في الاصطياد ، فكلوا مما أمسكن عليكم : الأمر هنا للإباحة سواء أكلت الجوارح منه أو لم تأكل ، واذكروا اسم الله عليه : أمر بالتسمية على الصيد، ويجري الذبح مجراه ، وعند مالك التسمية واجبة مع الذكر ، ساقطة مع النسيان ، واتقوا الله في شأن محرماته ، ومنها أكل صيد الجوارح الغير معلَّمة ، إنَّ الله سريع الحساب ، أي : سريع إتيان حسابه ، أو سريع إتمامه إذا اشرع فيه[٢] .

---

(١) انظر : لباب النقول ، للسيوطيّ ، ص ٨٧ .

والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ، في ٢٧– كتاب التفسير ، ٦– تفسير سورة المائدة . حديث رقم (٣٢١٢) ، (٢٢/٣٤٠) .

(٢) انظر : التسهيل ، للكلبي ، (١/١٦٨ ، ١٦٩) . وانظر : روح المعاني ، للألوسي ، (٦/٦٤) .

النص رقم (٨٩) و (٩٠) و (٩١)

يقول تعالى : [...وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ][1] .

ويقول تعالى : [...كُل لَّهُۥ قَٰنِتُونَ][2] .

ويقول تعالى : [وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا][3] .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (الكُلَّ : اسم يجمع الأجزاء ... فأمَّا قوله تعالى : (وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ) و (كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ) فمحمول على المعنى دون اللفظ ، وكأنَّه إنَّما حمل عليه هنا ، لأنَّ (كُلاًّ) فيه غير مضافة ، فلما لم تُضَفْ إلى جماعة عُوِّض من ذلك ذكر الجماعة في الخبر ...ولمَّا قال سبحانه:(وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا)، فجاء بلفظ الجماعة مضافاً إليها استغنى عن ذكر الجماعة في الخبر . الجوهري: (كل : لفظه واحد ، ومعناه جمع[4])) [5] .

دراسة النص :

لم يتعرض الإمام الطبري في تفسير آية النمل لشرح معنى (كل) [6] ، وكذلك في آية البقرة ، واكتفى بقوله : (وقد زعم بعض من قصرت معرفته عن توجيه الكلام وجهته ، أن قوله : (كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ) خاصة لأهل الطاعة ، وليست بعامة ، وغير جائز ادِّعاء خصوص في آية عام ظاهرها إلاَّ بحجة يجب التسليم لها) [7] .

---

(١) سورة النمل ، الآية (٨٧) . وتمام الآية : [وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ] .

(٢) سورة البقرة ، الآية (١١٧) . وتمام الآية : [وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ] .

(٣) سورة مريم ، الآية (٩٥) .

(٤) الصحاح ، للجوهري ، مادة (كلل) ، (١٨١٢/٤) .

(٥) لسان العرب ، مادة (كلل) ، (٥٩٠/١١ ، ٥٩١) .

(٦) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٠/٢٠) .

(٧) المرجع السابق ، (٥٠٨/١) .

أمَّا في آية مريم فقد قال : (وجميع خلقه سوف يرد عليه يوم تقوم الساعة وحيداً لا ناصر له من الله ولا دافع عنه ، فيقضى الله فيه ما هو قاضٍ ، ويصنع به ما هو صانع) [1] .

ففي الموضع الأول لا يمكن المقارنة بينه وبين ابن منظور ، أمَّا في الموضعين الثاني والثالث فيمكننا القول بالتوافق بينهما ، فقد ذكر الطبري في موضع البقرة معنى العموم ، وفي موضع مريم لفظة (جميع) ، وذلك معنى (الكل) الذي ذكره ابن منظور ، فالتوافق بينهما إذاً من حيث المعنى لا من حيث اللفظ .

وقال الرازي في آية النمل : (وكل أتوه داخرين ، فَقُرِئ (أتوه) و (أتاه) و (دخرين) و (داخرين) ، فالجمع على المعنى ، والتوحيد على اللفظ) [2] .

وقال في أية البقرة : (والتنوين في (كل) عوض عن المضاف إليه) [3] .

أمَّا في آية مريم فلم يتعرض لتوضيح معنى (كلهم) [4] .

ممَّا سبق يتبين لنا عدم مخالفة ابن منظور للرازي في الموضعين الأولين . فما ذكره الرازي في موضع النمل هو مدلول كلام الجوهري الذي نقله عنه ابن منظور ، أمَّا قوله في موضع البقرة فقد أضاف فيه زيادة على قول ابن منظور ، وهي أنَّ المضاف إليه المحذوف عُوِّض عنه بالتنوين ليدل عليه .

أمَّا في موضع مريم فلا وجه للمقارنة بينهما .

وبيَّن القرطبي في موضع النمل ، القراءات المختلفة في قوله (أتوه) ، وذكر القرطبي أنَّ من قرأ بالجمع حمل (كل) على المعنى ، ومن وحَّد حمله على اللفظ[5] .

وما زاد في آية البقرة على أن قال : (كل له قانتون : ابتداء وخبر ، والتقدير: كلهم ، ثم حُذف الهاء والميم) [6] .

---

(1) المرجع السابق ، (١٦/١٣٢) .

(2) التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٤/١٨٩) .

(3) المرجع السابق ، (٤/٢٣) .

(4) انظر : المرجع السابق ، (٢١/٢١٨) .

(5) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٣/٢٤٢) .

(6) المرجع السابق ، (٢/٨٦) .

وقال في آية مريم: (وكلهم آتيه على لفظ (كل) ، وعلى المعنى (آتوه)) [١] .

ففي الموضعين الأول والثالث ذكر القرطبي مدلول كلام الجوهري الذي حكاه عنه ابن منظور ، وهو أنَّ (كل) لفظه واحد ومعناه جمع ، ففي هذا القدر يتفقان. أمَّا في الموضع الثاني فقد ذكر القرطبي كلاماً جديداً لم يذكره ابن منظور.

وقال ابن كثير في آية النمل : (وكل أتوه داخرين) ، قُرِئ بالمد وبغيره على الفعل ، وكل بمعنى واحد) [٢] .

ولم يذكر شيئاً عن معنى (كل) في آية البقرة[٣] ، ولا (كلهم) في آية مريم[٤] فلا خلاف بين ابن كثير وابن منظور في الموضع الأول ، لأنَّ قول ابن كثير فيه يقصد به أنَّ (كل) والفعل على هذه القراءة بمعنى واحد ، يُريد معنى الجمع وإن كان لفظ (كل) مفرداً .

أمَّا في الموضعين الثاني والثالث فلا وجه للمقارنة بينهما .

وقال صاحب "الكشاف" في آية النمل : (وقرئ أتوه وأتاه ودخرين ، فالجمع على المعنى ، والتوحيد على اللفظ) [٥] .

وقال في آية البقرة : (والتنوين في (كلّ) عوض من المضاف إليه ، أي : كل ما في السموات والأرض، ويجوز أن يُراد كل من جعلوه لله ولداً له قانتون)[٦].

أمَّا آية مريم فلم يتعرض فيها لبيان معنى (كلهم) على وجه تفصيلي ، إلاَّ أنه يُفهم من كلامه في تفسير الآية معنى الجمع[٧] .

وعلى هذا يوافقه ابن منظور في المواضع الثلاثة ، فقد ذكر في الموضع الأول مدلول كلام الجوهري في معنى (كل) ، وأضاف في الموضع الثاني فائدة

---

(١) المرجع السابق ، (١١/١٦٠) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣/٣٧٩) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (١/١٦١) .

(٤) انظر : المرجع السابق ، (٣/١٤٠) .

(٥) الكشاف ، للزمخشرى ، (٣/٣٩٢) .

(٦) المرجع السابق ، (١/٢٠٧) .

(٧) انظر : المرجع السابق ، (٣/٤٨) .

أخرى لم يذكرها ابن منظور ، وأتي في تفسيره للآية في الموضع الثالث بما يفهم منه معنى الجمع .

وجوه القراءات :

آية النمل : قرأ حمزة وحفص عن عاصم وخلف : (وكلٌّ أَتَـوْه) مقصورة الهمزة ، مفتوحة التاء ، جعلاه فعلاً ماضياً ، أي : جاءوه ، وقرأ الباقون ، (وكل آتوه) بالمد ، وضم التاء على الاستقبال .

وكذلك (داخرين) قرأها الحسن بلا ألف، أي:(دخرين)، والباقون باثبات الألف[1].

المعنى العام للآيات :

١ – آية النمل :

(وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ) أي : واذكر يوم ينفخ في الصور ، وهو قرن ينفخ فيه إسرافيل –عليه السلام– ، (فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ) ، المراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون ، وقال : ففزع ، ولم يقل : فيفزع ، للإشعار بتحقق الفزع وثبوته ، (إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ) : إلاَّ من ثبت قبله من الملائكة ، قيل : هم جبريل وميكائيل وإسرافيل ، وملك الموت – عليهم السلام – وقيل : الشهداء ، وقيل : الحور وخزنة النار وحملة العرش ، وقيل : منهم وموسى – عليه السلام – لأنه صعق مرة ، (وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ) ، أي : صاغرين ، ومعنى الاتيان ، حضورهم الموقف ، ورجوعهم إلى أمره تعالى ، وانقيادهم له[2] .

٢ – آية البقرة :

(وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا) ، أي : قال اليهود والنصارى ومن زعم أنَّ الملائكة بنات الله اتخذ الله ولداً ، قال تعالى : (سُبۡحَٰنَهُۥ) تنزيهاً له عن ذلك ، (بَل لَّهُۥ مَا فِي

---

(١) انظر : حجة القراءات، لابن زنجلة ، ص (٥٣٨ ، ٥٣٩) . وانظر:التيسير في القراءات السبع ، لأبي عمرو الداني، ص ١٦٩ . وانظر : إتحاف فضلاء البشر ، للدمياطيّ ، ص ٤٣٢ .

(٢) انظر : مدارك التنزيل ، للنسفيّ ، (٢٢٤/٣) .

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ) ملكاً وخلقاً وعبيداً ، والملكية تنافي الولادة ، وعبرَّ بما تغليباً لما لا يعقل ، (كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ) مطيعون كُلٌّ بما يُراد منه ، وفيه تغليب العاقل(١) .

٣ - آية مريم:

(وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا) ، أي : جميع الخلائق من أهل السموات والأرض يأتون الله –سبحانه وتعالى– فُرادى ، أي : لا أولاد ولا مال ولا أنصار ليس مع فرد إلاَّ عمله ، فيجازيه الله –تعالى– ويوفيه حسابه ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، كما قال –تعالى– : (وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ)(٢) .

النص رقم(٩٢) و (٩٣) :

يقول تعالى: [...وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ...] (٣).

ويقول تعالى:[يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَ...](٤).

---

(١) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٢٥ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (٩٤) . وانظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعديّ ، ص ٥٠١ .

(٣) سورة النساء،الآية(١٢). وتمام الآية : (وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ) .

(٤) سورة النساء ، الآية [١٧٦] وتمام الآية : (يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ) .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (والكَلالَةُ : الرجل لا ولد له ولا والد ... وقيل : الكلالةُ من تَكَلَّل نسبه بنسبك ، كابن العم ومن أشبهه ، وقيل : هم الإخوة للأُم ، وهو المستعمل ... فذكر الله –عزَّ وجل– الكلالة في سورة النساء في موضعين ، أحدهما : قوله: (وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ)... ونصب (كلالةً) على الحال . المعنى أنَّ من مات رجلاً أو امرأة ، في حال تكَلَّله نسب ورثته ، أي : لا والد له ولا ولد ، وله أخ أو أُخت من أُم ، فلكل واحد منهما السدس ، فجعل الميت ههنا كلالة وهو المورّث ... والموضع الثاني من كتاب الله –تعالى– في الكلالة قوله : (يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخۡتٌ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَ) الآية ، فجعل الكلالة ههنا الأخت للأب والأم ، والإخوة للأب والأُم ، فجعل للأخت الواحدة نصف ما ترك الميت ، وللأختين الثلثين ، وللإخوة للأب والأُم ، فجعل للأخت الواحدة نصف ما ترك الميت ، وللأختين الثلثين ، جُعل للأخ والأخت من الأم في الآية الأولى : الثلث ، لكل واحد منهما السدس ، فبيّن بسياق الايتين أنَّ الكلالة تشتمل على الإخوة للأم مرة ، ومرة على الإخوة والأخوات للأب والأم)(١).

دراسة النص :

ذكر الطبري اختلاف أهل التأويل في معنى الكلالة ، وأورد لهم في ذلك ثلاثة أقوال : الأول : الكلالة هي ما خلا الوالد والولد ، الثاني : الكلالة ما دون الولد ، الثالث : الكلالة ما خلا الوالد .

ثم ذكر اختلاف أهل العلم في المسمىَّ كلالة على ثلاثة أقوال : أحدها : الكلالة : الموروث ، وهو الميت نفسه ، سمي بذلك إذا ورثه غير والده وولده .

---

(١) لسان العرب ، مادة (كلل) ، (٥٩٢/١١ ، ٥٩٣) .

وثانيها : الكلالة هي الورثة الذين يرثون الميت إذا كانوا إخوة أو أخوات أو غيرهم ، إذا لم يكونوا ولداً ولا والداً .

وثالثها : الكلالة الميت والحي جميعاً [١].

ثُمَّ قال الطبري مرجِّحاً بين هذه الأقوال : (والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله هؤلاء ، وهو أنَّ الكلالة الذين يرثون الميت من عدا ولده ووالده)[٢].

إذن فالطبري يُرجح القول الثاني ، وهو أنَّ الكلالة هي ورثة الميت دون الميت ممن عدا والده وولده ، والطبري يعتمد في ذلك على صحة بعض الأخبار التي نقلها في تفسير هذه الآية [٣].

أمَّا في آية النساء الآية (١٧٦) فلم يكرر ما ذكره في تعريف الكلالة في الآية (١٢) ، حيث قال : (قد بينا معنى الكلالة فيما مضى بالشواهد الدالة على صحته ، وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فيه ، فأغنى ذلك عن إعادته ، وبيَّنا أنَّ الكلالة عندنا ما عدا الولد والوالد) [٤].

يُلاحظ ممَّا سبق اتفاق ابن منظور مع الطبري في معنى الكلالة ، حيثُ عَرَّفها كلٌّ منهما بما خلا الولد والوالد ، إلاَّ أنَّ ابن منظور يرى أنَّ الكلالة في الآية (١٢) صفة للمُوَرِّث ، وفي الآية (١٧٦) صفة للوارث ، ولم يذكر ذلك الطبري .

وذكر الرازي أيضاً الأقوال في تفسير الكلالة على مذهبين : الأول : هي من سوى الوالدين والولد . قال : هذا هو المختار . والثاني : هي من سوى الولد ، ثم اختار الرازي المذهب الأول ، وقال : الكلالة قد تُجعل وصفاً للوارث وللمُورِّث ، فإذا جعلناها وصفاً للوارث ، فالمراد من سوى الأولاد والوالدين ، وإذا جعلناهَا وصفاً للمُّورث ، فالمراد الذي يرثه من سوى الوالدين والأولاد ، ثمَّ ذكر الأدلة

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٤/٢٨٣-٢٨٦) .

(٢) المرجع السابق ، (٤/٢٨٦) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (٤/٢٨٦) .

(٤) المرجع السابق ، (٦/٤٠) .

على ذلك ، وبيَّن أنَّ المراد من الكلالة في هذه الآية – أي : الآية (١٢) – الميت الذي لا يخلف الوالدين والولد[١].

أمَّا في آية النساء (١٧٦) ، فما زاد على أن لَخَّصَ ما ذكره في الآية (١٢)[٢].

فوافقه ابن منظور في ذلك .

ولعلّ هذا الذي ذكره الرازي هنا من قوله : إنَّ الكلالة قد تأتي وصفاً للوارث ، وقد تأتي وصفاً للمُورِّث هو الأقرب إلى الصواب لعموم الأدلة التي وردت في هذا الشأن ، والله أعلم .

وذكر القرطبي في الآية (١٢) أنَّ الكلالة مصدر من تكلّله النسب ، أي : أَحاط به ، ثم ذكر أقوال العلماء في الكلالة ، الأول : إذا مات الرجل وليس له ولد ولا والد فورثته كلالة . ونسب هذا القول إلى أَبي بكر الصديق وعمر وعلي – رضي الله عنهم– وجمهور أهل العلم ، فالأب والابن طرفان للرجل ، فإذا ذهبا تكلله النسب ، فَسَمَّوا القرابة كلالة ؛ لأنَّهم أطافوا بالميت من جوانبه وليسوا منه ولا هو منهم ، الثاني : الكلالة كل من لم يرثه أَب أو ابن أو أَخ ، فهو عند العرب كلالة ، الثالث : الكلالة من لا ولد له خاصة . الرابع : الكلالة الحي والميت جميعاً . الخامس : الكلالة : المال . السادس : الكلالة : بنو العم الأباعد . السابع : الكلالة : الميت [٣].

وذكر القرطبي في الآية (١٧٦) أنَّه قد مضى الكلام في الكلالة مستوفياً في أول السورة ، ولكنه أشار إلى اختياره في معنى الكلالة بقوله في تفسير الآية : أَي ليس له ولد ولا والد ، فاكتفى بذكر أحدهما [٤].

وبهذا تبين لنا موافقة ابن منظور للقرطبي في ذلك ، إلاّ أنَّ القرطبي أسهب في ذكر المذاهب في معنى الكلالة ، فكان فيها أكثر بياناً من ابن منظور .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٧٩/٩ ، ١٨٠) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٩٥/١١) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٧٦/٥ ، ٧٧) .

(٤) انظر : المرجع السابق ، (٢٨/٦) .

وقال ابن كثير في معنى الكلالة : (الكلالة مشتقة من الإكليل ، وهو الذي يحيط بالرأس من جوانبه ، المراد هنا من يرثه من حواشيه ، لا أُصوله ولا فروعه)[1].

ثم ذكر قولاً آخرَ ، وهو أنَّ الكلالة هي من لا ولد له ، وبيَّن أنَّ الصحيح الأول [2].أمَّا في الآية (١٧٦) فما زاد ابن كثير على أن لخَّصَ ما أورد في معنى الكلالة في الآية (١٢) [3].

وبهذا تتبين لنا موافقته لابن منظور في ذلك ، إلا أنَّ ابن منظور كان أكثر تفصيلاً لمعنى الكلالة منه .

وجاء في تفسير ابن عباس – رضي الله عنهما – أنَّه قال في الكلالة في الآية (١٢) : هي الإخوة والأخوات من الأُم [4].

أمَّا في الآية (١٧٦) ، فقد نُسب إليه أنَّه قال : الكلالة ما خلا الوالد والولد ، وبَيَّن أنَّ المراد في الآية الإخوة والأخوات للأب والأُم ، أو للأب فقط [5].

وهذا لاينافيه ما ذكره ابن منظور في ذلك .

وجوه القراءات :

النساء الآية (١٢) :

قرأ المطوعي[6]: (يُوَرِّث) بفتح الواو وكسر الراء مشددة ، مبنياً للفاعل ، ونصب (كلالة) على الحال إِن أُريد بها الميت ، والمفعولان محذوفان ، أي :

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٦١/١) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٤٦١/١) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (٥٩٣/١) .

(٤) انظر : تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروزأبادي،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص٦٦ .

(٥) انظر : المرجع السابق ، ص٨٧ .

(٦) المطوعيّ : هو الحسن بن سعيد بن جعفر ، أبوالعبّاس العبادانيّ المطوعيّ ، المقرئ ، المعمّر ، نزيل (اصطخر) في آخر عمره . كان رأساً في القرآن وحفظه ، وفي حديثه لين وقيل : هو ضعيف ، قرأ لنافع وأبي عمرو الدوري وقالون وغيرهم ، توفى سنة (٣٧١هـ)

(انظر : الوافي بالوفيات ، للصفديّ ، (٢٠/١٢) ، وسير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، (٢٦٠/١٦).

يُوَرّث وارثاً ماله حال كونه كلالة : وقرأ الباقون (يُوْرَث) بسكون الواو وفتح الراء [1].

سبب النزول

النساء ، الآية (١٧٦) :

ذكر السيوطي في سبب نزول هذه الآية عن جابر [2]، قال : اشتكيتُ ، فدخل عليَّ رسول الله – ﷺ– فقلت : يا رسول الله أوصي لأخواتي بالثلث؟ قال : أحسن . قلت بالشطر ؟ قال : أحسن ، ثمَّ خرج ، ثمَّ دخل عليَّ ، قال : لا أَراك تموت في وجعك هذا . إنَّ الله أنزل أو بيَّن ما لأخواتك ، وهو الثلثان ، فكان جابر يقول : نزلت هذه الآية : (يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ)[3].

المعنى العام للآيتين :

١/ النساء ، الآية (١٢) :

ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهنَّ ولد منكم أو من غيركم ، فإن كان لهنَّ ولد فلكم الربع ممَّا تركن ، وذلك بعد الوصية والدَيْن ، ويُلحق بالولد ولد الابن بالإجماع ، وللزوجات سواءً تعددن أو لا الربع ممَّا تركتم ، إن لم يكن لكم ولد ، فإن كان لكم ولدٌ منهن أو من غيرهن ، فلهنَّ الثمن مما تركتم ، وذلك بعد الوصية والدَيْن أيضاً ، وولد الابن في ذلك كالابن بالإجماع . وإن كان رجل يورث كلالة ، أي : لا والد له ولا ولد ، أو امرأة تورث كلالة ، وكان للمورث كلالة أخ أو أخت ، أي : من أُم ، فلكل واحد منهما السدس من تركته ، فإن كان

---

(١) انظر : إتحاف فضلاء البشر ، للدمياطي ، ص٢٣٨ .

(٢) جابر : هو جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام بن كعب الأنصاريّ السلميّ ، يُكنى : أباعبدالله وأبا عبدالرحمن وأبا محمد . روى عنه جماعة من الصحابة ، وله ولأبيه صحبة . كان مع من شهد العقبة ، قيل : هو آخر أصحاب رسول الله –ﷺ– موتاً بالمدينة سنة (٧٨هـ) ، وقيل : سنة (٧٤هـ)، وقيل: سنة (٧٣هـ) . (انظر : الإصابة، لابن حجر ، (٤٣٤/١) ، وانظر :الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر، القاهرة، ترجمة رقم (٢٨٦) ، (٢١٩/١)) .

(٣) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص(٨٥ ، ٨٦) .

هؤلاء الإخوة والأخوات من الأُم أكثر من ذلك ، أي : من واحد فهم شركاء في الثلث ، يستوي في ذلك الذكور والإناث ، وذلك أَيضاً بعد الوصية والدين ، غير مضار ، أي : غير مدخل الضرر على الورثة بأن يوصي بأكثر من الثلث ، والله عليم بما دبره لخلقه من الفرائض ، حليم بتأخير العقوبة عمَّن خالفه [(١)].

٢/ الآية (١٧٦) :

يستفتونك في الكلالة ، قل الله يفتيكم في الكلالة ، إن امرؤ هلك ، أي : مات ، ليس له ولد ، أي : ولا والد ، وهو الكلالة ، ولهذا الميت أخت من أبوين أو أب فلها نصف ما ترك ، وهو ، أي : الأخ كذلك يرثها جميع ما تركت إن لم يكن لها ولد ، فإن كان لها ولد ذكر فلا شيء له أو أُنثى ، فله ما فضل من نصيبها ، فإن كان الأخ أو الأخت من أم ففرضه السدس ، كما تقدم في أول السورة ، فإن كانتا ، أي الأختان اثنتين فصاعداً فلهما الثلثان ممَّا ترك الأخ ، وإن كان الورثة إخوة من الرجال والنساء ، فللذكر مثل حظ الأنثيين ، يبين الله لكم شرائع الدين لا أن تضلوا ، والله بكل شيء عليم ، ومنه الميراث [(٢)].

النص رقم (٩٤)

يقول تعالى : [...وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ...][(٣)].

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (والكَلُّ : اليتيم ... والكّلُّ : الذي هو عيال وثِقْل على صاحبه . قال الله تعالى : (وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ) ، أي : عيال ، وأصبح فلانٌ

---

(١) تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص١٠١ .

(٢) انظر المرجع السابق ، ص١٣٤ .

(٣) سورة النحل ، الآية [٧٦] ، وتمام الآية : (وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ)

مُكِلاًّ ، إذا صار ذوو قرابته كَلاًّ عليه ، أي : عِيالاً ... والكَالُّ : المُعْيي ، والكَلُّ: العَيِّل والثِّقْل ، الذكر والأنثى في ذلك سواء ... ورجلٌ كَلٌّ : ثقيلٌ لا خير فيه) [١].

دراسة النص :

وافق ابن منظور في ذلك الإمام الطبري الذي فسَّر الكَلّ في الآية بالعيال ، حيثُ قال : (وهو كل على مولاه ، يقول : وهو عيال) [٢].

ولم يُخالف الرازي الذي قال في بيان معنى (الكَلِّ) : (قال أهل المعاني : أصله من الغلظ الذي هو نقيض الحدة . يُقال : كَلَّ السكين ، إذا غلظت شفرته ، فلم يقطع ، وكَلَّ لسانه ، إذا غلظ فلم يقدر على الكلام، وكَلَّ فلان عن الأمر ، إذا ثَقُل عليه فلم ينبعث فيه، فقوله : (كل على مولاه) ، أي : غليظ وثقيل على مولاه)[٣].

فقوله : ثقيل على مولاه يوافقه فيه ابن منظور .

وقال القرطبي : (وقيل: المعنى : وهو كل على مولاهِ ، أي: ثِقْلٌ على وليه وقرابته ، ووبال على صاحبه وبني عمه ، وقد يُسمى اليتيم كَلاًّ لثقله على من يكفله ... والكل أيضاً الذي لا ولد له ولا والد ، والكل : العيال ، والجمع : الكلول. يقال منه : كَلَّ السكين يكل كلاً ، أي : غلظت شفرته فلم يقطع) [٤].

فوافقه بهذا القول ابن منظور .

ونقل ابن كثير في ذلك قول مجاهد بأنَّ الكَلَّ هو من كان عيال وكلفة على مولاه ، ولم يذكر قولاً آخر ، كما لم يخالف قول مجاهد آنف الذكر [٥] ، فوافق بذلك ابن منظور .

كما اتفق ابن منظور في ذلك مع الإمام البيضاويَّ الذي قال في تفسير قوله : (وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ) : (عيال وثقل على من يلي أمره) [٦].

---

(١) لسان العرب ، مادة (كلل) ، (٥٩٤/١١) .

(٢) جامع البيان ، للطبري ، (١٥٠/١٤) .

(٣) التفسير الكبير ، للرازي ، (٧٠/٢٠) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٤٩/١٠ ، ١٥٠) .

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٥٧٩/٢) .

(٦) أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، (٤١٢/٣) .

سبب النزول :

ذكر السيوطي في سبب نزول هذه الآية ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله : (رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ) قال : نزلت في عثمان –رضي الله عنه– ومولىً له كان يكره الإِسلام ويأباه ، وينهاه عن الصدقة والمعروف، فنزلت فيهما (1).

المعنى العام للآية :

هذه الآية مثل ضربه الله – عزَّ وجل– لنفسه والآلهة التي تُعبد من دونه ، فقال –تعالى ذكره –: وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء : يعني بذلك الصنم ، فهو لا يسمع شيئاً ولا ينطق ، لأنَّه إمَّا خشب منحوت ، وإمَّا نحاس مصنوع ، لا يقدر على نفع لمن خدمه ، ولا دفع ضر عنه .

وهذا الرجل الأبكم كل على مولاه ، أي : عيال على بني عمه وحلفائه وأهل ولايته ، فكذلك الصنم كل على من يعبده . لأنَّه يحتاج أن يحمله ويضعه ويخدمه كالأبكم من الناس ، أينما يوجهه أولياؤه لا يأت بخير . لأنَّه لا يفهم ما يُقال له ، ولا يقدر أن يُعبر عن نفسه ، فهو لا يَفْهم ولا يُفْهم عنه ، فكذلك الصنم لا يعقل ما يُقال له ، ولا ينطق فيأمر وينهى ، هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ، أي : هل يستوي هذا الأبكم الكل على مولاه ، ومن هو ناطق يأمر بالحق ويدعوا إليه ، وهو الله الواحد القهار الذي يدعو عباده إلى توحيده وطاعته ، يقول : لا يستوي هو –تعالى ذكره – والصنم الذي صفته ما وصف ، وهو على صراط مستقيم ، أي : والله – تعالى – مع أمره بالعدل على طريق من الحق في دعائه إلى العدل وأمره به ، وهو طريق مستقيم ، لا يعوج عن الحق ولا يزول عنه .

وقيل : المثل في هذه الآية مضروب للمؤمن والكافر (2).

---

(1) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص١٣٣ .

(2) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٤/١٥٠) .

النص رقم (٩٥)

يقول تعالى : [وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ...][١].

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (وقوله تعالى : ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ ، قال ثعلب : هي الخصال العشر التي في البدن والرأس) [٢].

دراسة النص :

ذكر ابن جرير الطبري اختلاف أهل التأويل في صفة الكلمات التي ابتلى الله –تعالى– بها إبراهيم نبيه وخليله – عليه السلام ، ونقل لهم في ذلك عدة أقوال ، منها:

١– إنَّ الكلمات هي شرائع الإسلام ، وهي ثلاثون سهماً .

٢– هي خصال عشر من سنن الإسلام في الطَّهارة ، خمس في الرأس ، وخمس في الجسد ، فالتي في الرأس : قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس ، والتي في الجسد : تقليم الأظافر وحلق العانة والختان ونتف الإبط ، وغسل أثر الغائط والبول بالماء .

٣– هي عشر خلال ، بعضهن في تطهير الجسد ، وبعضهن في مناسك الحج .

٤– هي قوله : ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ، وآيات النسك .

٥– هي مناسك الحج خاصة .

٦– هي أمور منهن الختان .

٧– هي الخلال الست : الكوكب والقمر والشمس والنار والهجرة والختان التي ابتلى بهنَّ ، فصبر عليهنَّ .

---

(١) سورة البقرة ، الآية [١٢٤] وتمام الآية : ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ .

(٢) لسان العرب ، مادة (كلم) ، (٥٢٤/١٢) .

٨- هي قوله تعالى : (رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ * رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ...)(١).

ثم قال الطبري : (والصواب من القول في ذلك عندنا أن يُقال : إنَّ الله عزَّ وجل أخبر عباده أنَّه اختبر إبراهيم خليله بكلمات أوحاهن إليه ، وأمره أن يعمل بهنَّ ، وأتمَّهن كما أخبر الله – جل ثناؤه- عنه أنَّه فعل ، وجائز أن تكون تلك الكلمات جميع ما ذكره من ذكرنا قوله في تأويل الكلمات ، وجائز أن تكون بعضه؛ لأنَّ إبراهيم – صلوات الله عليه- قد كان امتحن فيما بلغنا بكل ذلك فعمل به ، وقام فيه بطاعة الله ، وأمره الواجب عليه فيه ، وإذا كان ذلك كذلك فغير جائز لأحد أن يقول : عنى الله بالكلمات التي ابتلى بهنَّ إبراهيم شيئاً من ذلك بعينه دون شيء ، ولا عنى به كل ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر عن الرسول أو إجماع من الحجة ولم يصح فيه شيء من ذلك) (٢).

من هذا السرد السابق يتبين لنا مخالفة ابن منظور للطبري الذي أورد في صفة الكلمات التي ابتلى الله – تعالى- بهنّ نبيه إبراهيم – عليه السلام – أقوالاً كثيرة ، منها قول ابن منظور الذي نقله من ثعلب ، ولم يرجح الطبري بينهما ، بل جعل الترجيح والاختيار فيها أمراً غير جائز ، وهو ما فعله ابن منظور ، حيث اختار قول ثعلب آنف الذكر ،

ونقل الرازي في تفسير هذه الآية بعضاً من الأقوال التي أوردها الطبري ومنها قول ابن منظور ، ثُمَّ مال نحو التوقف في الترجيح آخذاً بقول بعضهم: إنَّ الابتلاء يتناول إلزام كل ما في فعله كلفة شدة ومشقة ، فاللفظ يتناول مجموع هذه الأشياء ، ويتناول كل واحد منها ، فلو ثبتت الرواية في جميع الأقوال وجب القول

---

(١) سورة البقرة ، الآيات : (١٢٧-١٢٩) ، وانظر : جامع البيان ، للطبري ، (١/٥٢٤-٥٢٨) .

(٢) المرجع السابق ، (١/٥٢٧ ، ٥٢٨) .

بالكل ، ولو ثبتت في البعض دون البعض ، فحينئذ يقع التعارض بين هذه الروايات فوجب التوقف ، والله أعلم(١).

فخالف ابن منظور الرازي أيضاً لمسلكه مسلك الطبري .

وذكر القرطبي نحواً من الأقوال التي أوردها الطبري ، ثمَّ صحح الرواية المنسوبة إلى ابن عباس في قوله : (وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ) قال : ابتلاه الله بالطهارة ، خمس في الرأس ، وخمس في الجسد : قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الشعر، وفي الجسد : تقليم الأظفار وحلق العانة والاختتان ونتف الإبط وغسل مكان الغائط والبول بالماء .

قال القرطبي : وعلى هذا القول فالذي أتمَّ هو إبراهيم – عليه السلام – وهو ظاهر القرآن(٢).

وعلى هذا يوافقه ابن منظور في هذا الاختيار .

أمَّا ابن كثير فقد خالف ابن منظور في تفسير الكلمات ، فقد بين أن المراد بها الشرائع والأوامر والنواهي .

ثمَّ أورد ابن كثير بعد ذلك الخلاف في تعيين هذه الكلمات التي اختبر الله – تعالى– بها إبراهيم الخليل –عليه السلام– مستوعباً لجميع ما قيل في ذلك من أقوال(٣).

وسلك أبوحيان في "البحر المحيط" مسلك الطبري في ذلك ، حيث أورد الأقوال التي ذكرت في صفة الكلمات التي ابتلي بها إبراهيم – عليه السلام – نحواً من ثلاثة عشر قولاً ، ثمَّ ذكر أبوحيان أنَّ هذه الأقوال ينبغي أن تحمل على أنَّ كل قول منها مما ابتلى الله به إبراهيم – عليه السلام – ولا يحمل ذلك على الحصر في العدد ، ولا على التعيين ، لئلا يؤدي ذلك في التناقض(٤).

---

(١) انظر: التفسير الكبير ، للرازي ، (٣٥/٤ ، ٣٦) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٩٧/٢ ، ٩٨) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١٦٦/١ ، ١٦٨) .

(٤) انظر : البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، (٥٤٦/١ ، ٥٤٧) .

فخالف بذلك ابن منظور الذي عيَّن منها الخصال العشر التي في الرأس والبدن.

وجوه القراءات :

قرأ هشام[(١)] وابن ذكوان [(٢)] ، بالألف بعد الهاء (إبراهام) وقرأ الباقون (إبراهيم) بالياء[(٣)].

المعنى العام للآية :

(وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ) ، الابتلاء : الامتحان والاختبار ، أي ابتلاه بما أمره به ، وإبراهيم معناه في السريانية والعربية : أب رحيم ، وقوله : (بكلمات) قد اختلف العلماء في تعيينها ، فقيل: هي شرائع الإسلام ، وقيل : ذبح ابنه ، وقيل : أداء الرسالة ، وقيل: هي خصال الفطرة ، وقيل : هي قوله : (إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) ، وقيل : غير ذلك ، قال الزجَّاج ، وهذه الأقوال ليست بمتناقضة ؛ لأنَّ هذا كله ممَّا ابتلى به إبراهيم – عليه السلام – قوله (فأتمهنَّ) ، أي : قام بهنَّ أتمَّ قيام ، وامتثل أكمل امتثال . (إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) . الإمام هو ما يؤتم به ، وهو القدوة للناس . وقوله : (وَمِن ذُرِّيَّتِى) يُحتمل أن يكون ذلك دعاء من إبراهيم – عليه السلام – أي : واجعل من ذريتي أئمة ، ويحتمل أن يكون ذلك منه بقصد الاستفهام . (قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ) قيل : المراد بالعهد الإمامة ، وقيل : النبوة ، وقيل: عهد الله أمره، وقيل: الأمان من عذاب الآخرة ، والأول أظهر . وفي هذا إعلام من الله لإبراهيم الخليل أنه سيوجد من ذريته من هو ظالم لنفسه[(٤)].

---

(١) هشام : هو هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة ، وقد سبقت ترجمته .

(٢) ابن ذكوان : هو عبدالله بن أحمد بن بشير بن ذكوان ، أبوعمرو ، وقيل: أبومحمد البهراني ، مولاهم الدمشقي، إمام جامع دمشق ومقرئها . قال أبوحاتم : صدوق . وقيل : كان أقرأ من هشام بكثير ، وكان هشام أوسع علماً منه بكثير . ولد سنة (١٧٣هـ) ، ومات سنة (٢٤٢هـ) .(انظر: معرفة القراء الكبار ، لشمس الدين الذهبي : (١/١٩٨ ، ٢٠١) ، والوافي بالوفيات ، للصفدي ، (١٧/١٤)).

(٣) انظر : التحفة المرضية ، لمحمد إبراهيم ، (١/٤٠) .

(٤) انظر: فتح القدير ، للشوكاني ، (١/١٣٧ – ١٣٨) .

وانظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (١/١٦٦ – ١٦٨) .

النص رقم (٩٦) :

يقول تعالى : [فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ...][١].

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (ابن سيده : (الكلام : القول) [٢] ... وقيل : الكلام : ما كان مكتفياً بنفسه ، وهو الجملة ، والقول : ما لم يكن مكتفياً بنفسه ، وهو الجزء من الجملة ... وقوله تعالى : (فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ) . قال أبوأسحاق* : الكلمات ، والله أعلم : اعتراف آدم وحواء بالذنب؛ لأنَّهما قالا: ربنا ظلمنا أنفسنا)[٣])[٤].

دراسة النص :

وافق ابنُ منظور في ذلك الطبري الذي قال – بعد أن نقل في تفسيره روايات مختلفة في المراد بالكلمات في هذه الآية –: (والذي يدل عليه كتاب الله أن الكلمات التي تلقاهنّ آدم من ربه هن الكلمات التي أخبر الله عنه أنَّه قالها متنصلاً بقيلها إلى ربه ، معترفاً بذنبه ، وهو قوله : (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ)[٥] ، وليس ما قاله من خالف قولنا هذا من الأقوال التي حكيناها بمدفوع قوله ، ولكنه قول لا شاهد عليه من حجة يجب التسليم لها) [٦].

---

(١) سورة البقرة، الآية(٣٧). وتمام الآية: (فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ) .

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيده الأندلسي ، مادة (كلم) ، (٤٠/٧) .

* يريد : أبا إسحاق الزجَّاج ، فأحياناً يقول ابن منظور : أبا إسحاق الزجَّاج . انظر: لسان العرب ، (٢٢٦/١٥) ، وقد سبقت ترجمته .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (١٠٨/١) .

(٤) لسان العرب ، مادة (كلم) ، (٥٢٣/١٢ ، ٥٢٤) .

(٥) سورة الأعراف ، الآية (٢٣) .

(٦) جامع البيان ، للطبري ، (٢٤٥/١) .

أمَّا الرازي والقرطبي وابن كثير وأبوحيان فقد اكتفوا بنقل الخلاف في ماهية تلك الكلمات ، فذكروا فيها عدة أقوال ، ولم يُرجِّحوا بينها ، وفيها اختيار الطبري الذي وافقه فيه ابن منظور[1].

وجوه القراءات :

اختلفوا في: (فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ)، فقرأ ابن كثير بنصب آدم ، ورفع كلمات على إسناد الفعل (تلقى) إلى الكلمات ، وإيقاعه على آدم ، فكأنه قال : فجاءت كلمات ، ولم يؤنث الفعل لكونه غير حقيقي ، وللفصل ، ووافقه ابن محيصن ، وقرأ الباقون برفع آدم ونصب كلمات بالكسرة ، إسناداً للفعل إلى آدم ، وإيقاعاً له على الكلمات ، أي : أخذها بالقبول ودعا بها[2].

المعنى العام للآية :

استقبل آدم – عليه السلام – هذه الكلمات من ربه بالأخذ والقبول والعمل بها، وهنَّ قوله تعالى : (رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَـٰسِرِينَ)[3] ، وذلك بسبب الأكل من الشجرة في الجنة ، كما تقدم في الآيات السابقة – فرجع الله – تعالى – على آدم بالرحمة والقبول ، إنَّه هو الكثير القبول للتوبة، الرحيم على عباده .

واكتفى بذكر توبة آدم – عليه السلام – لأنَّ حواء كانت تبعاً له ، ولقد طوى ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة لذلك .

وفي الآية موعظة لذرية آدم وحواء ، حيثُ عرفوا كيفية السبيل إلى التنصل من الذنوب[4] .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٩/٣) ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣٢٤/١) ، وانظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٨٢/١) ، وانظر : البحر المحيط ، لأبي حيان ، (٣١٨/١)

(٢) انظر : إتحاف فضلاء البشر ، للدمياطي ، ص ١٧٦.

(٣) سورة الأعراف : الآية (٢٣) .

(٤) انظر : مدارك التنزيل ، للنسفي ، (٤٣/١ ، ٤٤) .

النص رقم (٩٧) :

يقول تعالى : [...وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا][(١)] .

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (وقال أحمد بن يحيى[(٢)] في قوله تعالى : (وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا) ، لو جاءت : كَلَّم الله موسى مجردة ، لاحتمل ما قلنا وما قالوا – يعني المعتزلة* – فلمَّا جاء (تكليماً) خرج الشك الذي كان يدخل في الكلام ، وخرج الاحتمال للشيئين ،والعرب تقول إذا وُكِّد الكلام لم يجز أن يكون التوكيد لغواً ، والتوكيد بالمصدر دخل لإخراج الشك) [(٣)] .

---

(١) سورة النساء ، الآية (١٦٤) وتمام الآية : (وَرُسُلاً قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلاً لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا) .

(٢)أحمد بن يحيى : هو أحمد بن يحيى بن سيار ، أبوالعباس ثعلب الشيباني ، وقد سبقت ترجمته. يطلق عليه ابن منظور أحياناً : ثعلب ، وأحياناً : أحمد بن يحيى ، وأحياناً : أبا العباس .

* افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال، منها قول المعتزلة : إنَّ كلام الله مخلوق، خلقه الله منفصلاً عنه، أما ما أثر عن أئمة الحديث والسنة فهو أنَّه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو تعالى يتكلم به بصوت يُسمع ، وأنَّ نوع الكلام قديم ، وإن لم يكن الصوت المعين قديماً . وأكدَّ تعالى التكليم بالمصدر المثبت النافي للمجاز في قوله : (وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا) فماذا بعد الحق إلا الضلال .

وليس كما زعمت الجهمية أنَّ كلام الله تعالى لموسى – عليه السلام – خلقه في شجرة ، بل إنَّ للخالق تعالى كلاماً حقيقياً لائقاً بكماله وجلاله ، كما أنَّ للمخلوقين كلاماً مناسباً لحالهم وفنائهم وعجزهم وافتقارهم، وبين كلام الخالق وكلام المخلوق من المنافاة والمخالفة كمثل ما بين ذات الخالق وذات المخلوق ، وهو من صفات المعاني للخالق – جلا وعلا – والتكليم في هذه الآية إذاً هو المشافهة بالكلام ، ولا يجوز أن يكون حالاً في غيره أو مخلوقاً في شيء سواه .

(انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي ، ص ١٦٨ ، وانظر : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث ، لأحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط١، ١٤٠١هـ ، ص ٩٥ ، وانظر : منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، لمحمد الأمين الشنقيطي ، تحقيق: عطية محمد سالم ، الدار السلفية ، الكويت ، ط٤، ١٤٠٤هـ، ص ١٦،وانظر: الإبانة عن أصول الديانة، لعلي بن إسماعيل بن أبي بشر أبوالحسن الأشعري، تحقيق: فوقية حسين محمود ، دار الأنصار ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٩٧هـ ، ص ٧١)

(٣) لسان العرب ، مادة (كلم) ، (٥٢٤/١٢) .

دراسة النص :

ذكر الطبري في معنى هذه الآية أن الله تعالى خاطب بكلامه موسى خطاباً، ونقل فيما نقله عن أهل التأويل من روايات أنَّ (تكليما) معناها : مشافهة[١] .

وهذا القول الذي ذكره الطبري هنا فيه موافقة لرأي أهل السنة والجماعة في مسألة الكلام ، وفيه مخالفة لموقف المعتزلة الذي أشار فيه ابن منظور ولم يوضحه فوافقه ابن منظور على ذلك .

وقال الرازي في تفسير هذه الآية : (والمراد أنَّه بعث كل هؤلاء الأنبياء والرسل وخصَّ موسى – عليه السلام بالتكلم معه ، ولم يلزم من تخصيص موسى – عليه السلام – بهذا التشريف الطعن في نبوة سائر الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام) [٢] .

ثُمَّ ذكر الرازي بعض المعاني الأخرى أحدها في قراءة من قرأ : (وكَلَّم اللهَ) بنصب اسم الجلالة ، وثانيها من قول بعضهم : وكَلَّمَ الله ، معناه : وجرَّح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن ، ثمَّ ردَّ على هذا بقوله : وهذا تفسيرٌ باطل[٣].

وعلى هذا فلا يخالفه ابن منظور ، لأنَّه لم يُفسر الآية بما ينافي مذهب أهل السنة كما وافق ابن منظور القرطبي الذي قال في معنى الآية : (تكليماً : مصدر معناه التأكيد ، يدل على بطلان من يقول خلق لنفسه كلاماً في شجرة، فسمعه موسى ، بل هو الكلام الحقيقي الذي يكون به المتكلم متكلما . قال النحاس: وأجمع النحويون على أنَّك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازاً) [٤] .

فهذا الذي حكاه القرطبي هنا هو بعينه مذهب أهل السنة والحديث، كما أنَّ الذي نفاه ودحضه هو مذهب المعتزلة والجهمية كما مرَّ آنفاً .

---

(١) انظر : جامع البيان للطبري ، (٢٩/٦) .

(٢) التفسير الكبير ، للرازي ، (٨٧/١١) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (٨٧/١١) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٨/٦) .

وذكر ابن كثير أنَّ في الآية تشريف –لموسى عليه السلام – بهذه الصفة ، ولهذا يُقال له الكليم ، وردَّ على من قرأ بنصب لفظ الجلالة في الآية ؛ لأنه حَرَّف لفظ القرآن ومعناه ، وبَيّن أنَّ هذا كان من المعتزلة الذين ينكرون أن يكون الله كلَّم موسى – عليه السلام – أو يكلم أحداً من خلقه ، غير معتبرين بقوله تعالى : (وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ)[١]، مع أن هذا لا يحتمل التحريف ولا التأويل[٢] .

فوافق ابن كثير ابن منظور في هذا .

وممَّن وافق ابنَ منظور كذلك الإمام أبوالسعود الذي قال في تفسير الآية : (تكليماً : مصدر مؤكد ، رافع لاحتمال المجاز ، قال الفرَّاء : العرب تسمى ما وصل إلى الإنسان كلاماً بأي طريق وصل ، ما لم يؤكد بالمصدر ؛ فإذا أُكِّد به لم يكن إلا حقيقة الكلام ... والمعنى : إنَّ التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي ، خُصَّ به موسى من بينهم ، فلم يكن ذلك قادحاً في نبوة سائر الأنبياء – عليهم السلام) [٣] .

المعنى العام للآية :

(وَرُسُلاً قَدۡ قَصَصۡنَـٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلاً لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَ) : أي وأرسلنا رسلاً منهم من ذكرنا أخبارهم لك يا محمد في غير هذه السورة ، ورسلاً آخرين لم نخبرك عن أحوالهم ، (وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا) : أي : وخصَّ الله تعالى موسى – عليه السلام – بأن كلمه بلا واسطة ، ولهذا سُميِّ الكليم ، وإنَّما أكد الفعل بقوله : (تكليماً) رفعاً لاحتمال المجاز ، قال ثعلب : لولا التأكيد لجاز أن تقول : قد كلَّمتُ لك فلاناً، بمعنى كتبتُ إليه رقعة ، أو بعثتُ إليه رسولاً ، فلما قال (تكليماً) لم يكن إلا كلاماً مسموعاً من الله تعالى[٤] .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية (١٤٣) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (٥٨٩/١) .

(٣) إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (٢٥٦/٢) .

(٤) انظر : صفوة التفاسير ، لمحمد علي الصابوني ، (٣١٣/١) .وانظر : زاد المسير ، لابن الجوزي ، (٢٥٦/٢) .

النص رقم (٩٨) :

يقول تعالى : [وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ...] [١].

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (وقوله تعالى : (وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ) ، قال الزجَّاج : عنى بالكلمة هنا كلمة التوحيد ، وهي : لا إله إلا الله ، جعلها باقية في عقب إبراهيم – عليه السلام- لا يزال من ولده من يُوحِّد الله – عزَّ وجل [٢])[٣].

دراسة النص :

وافق ابن منظور الطبري في ذلك، حيثُ قال الطبري في تفسير هذه الآية: (وجعل قوله : (إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى)[٤] ، وهو : قول لا إله إلا الله كلمة باقية في عقبه ، وهم ذريته ، فلم يزل في ذريته من يقول ذلك من بعده) [٥].

ثُمَّ ذكر خلاف أهل التأويل في معنى هذه الكلمة التي جعلها خليل الرحمن باقية في عقبه ، ونقل لهم قولاً آخراً ، وهو أنَّ الكلمة التي جعلها الله في عقبه هي اسم الإسلام [٦]

ووافق أيضاً الرازي الذي قال في تفسير الآية : (وجعل إبراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها ، وهي قوله : إنني براء مما تعبدون جارياً مجرى : لا إله ، وقوله : إلاّ الذي فطرني ، جارياً مجرى قوله : إلا الله ، فكان مجموع قوله : إنَّني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني ، جارياً مجرى قوله : لا إله إلا الله ، ثم بيّن تعالى أنَّ إبراهيم جعل هذه الكلمة باقية في عقبه ، أي : في ذريته ، فلا يزال فيهم من

---

(١) سورة الزخرف ، الآية [٢٨] وتمام الآية [وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ] .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٣١١/٤) .

(٣) لسان العرب ، مادة (كلم) ، (٥٢٤/١٢) .

(٤) سورة الزخرف ، الآيتان (٢٦، ٢٧) .

(٥) جامع البيان ، للطبري ، (٦٣/٢٥) .

(٦) انظر : المرجع السابق ، (٦٣/٢٥) .

يوحد الله ويدعوا إلى توحيده ، لعلَّهم يرجعون ، أي : لعلَّ من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحَّد منهم ، وقيل : وجعلها الله) (١).

وقال القرطبي (وجعلها كلمة باقية) الضمير في (جعلها) عائد على قوله : إلا الذي فطرني ، وضمير الفاعل في جعلها لله – عزّوجل – ، أي : وجعل الله هذه الكلمة والمقالة باقية في عقبه ، وهم ولده وولد ولده ، أي : أنَّهم توارثوا البراءة عن عبادة غير الله ، وأوصى بعضهم بعضاً في ذلك ، والعقب من يأتي بعده) (٢).

ثُمَّ ذكر القرطبي أقوال أهل التفسير في الكلمة التي جعلها الله تعالى باقية في عقب إبراهيم – عليه السلام – أحدها : هي : لا إله إلا الله ، لا يزال في عقبه من يعبد الله ، ثانيها : هي : أن لا تعبدوا إلا الله ، ثالثها : هي الإسلام ، رابعها : هي قوله : (يَـٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ)(٣). الآية ، خامسها : هي النبوة (٤).

ولم يرجِّح القرطبي أحد هذه الأقوال ، فلا وجه للمقارنة بينه وبين ابن منظور .

ووافق ابن كثير ابن منظور في ذلك ، فقد قال في تفسير الآية ما نصه : (أي هذه الكلمة ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، وخلع ما سواه من الأوثان ، وهي : لا إله إلا الله ، أي : جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله تعالى من ذرية إبراهيم – عليه الصلاة والسلام–)(٥).

ثُمَّ ذكر ابن كثير قولاً آخرَ في بيان الكلمة التي في هذه الآية ، وهو أنَّها كلمة الإسلام (٦).

واتفق ابن منظور كذلك مع ابن الجوزي في بيان هذه الكلمة ، قال ابن الجوزي : ((وجعلها) : يعني كلمة التوحيد ، وهي : لا إله إلا الله (كلمة باقية في عقبه) ، أي : فيمن يأتي بعده من ولده ، فلا يزال فيهم موحد) (٧).

---

(١) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٧٩/٢٧) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٧٧/١٦) .

(٣) سورة البقرة ، الاية [١٣٢] .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٧٧/١٦) .

(٥) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١٢٧/٤) .

(٦) انظر : المرجع السابق ، (١٢٧/٤) .

(٧) زاد المسير ، لابن الجوزي ، (٣١٠/٧) .

المعنى العام للآية :

هذه الآية والآيات قبلها خطاب من إبراهيم – عليه السلام – لقومه ، يعني : لكن الذي خلقني فهو سيهدين ، يعني : يثبتني على دين الإسلام ، وجعلها كلمة باقية في عقبه ، يعني : جعل الله تلك الكلمة ثابتة في نسله وذريته ، وهي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) لعلَّهم يرجعون : عن كفرهم إلى الإيمان .

وقال قتادة : هو التوحيد والإخلاص : لا يزال في ذريته من يُوحِّد الله تعالى ويعبده ، وقيل : هي الإسلام ، وقيل : غير ذلك (١).

النص رقم (٩٩)

يقول تعالى : (...أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ...)(٢).

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (وكَلَمَهَ يَكْلِمُهُ كَلْماً ، وكَلَّمَهُ كَلْماً : جرَحَه ... وقوله تعالى: (أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) ، قُرئت : تَكْلِمُهُم و تُكَلِّمُهُم ، فَتَكْلِمُهُم : تجرحهم وتُكَلِّمُهُم : من الكلام ، وقيل : تَكْلِمُهُم و تُكَلِّمُهُم سواء ، كما تقول : تَجْرَحُهُم و تُجَرِّحُهُم) (٣).

دراسة النص :

قال الطبري في تأويل قوله (تكلمهم) : (واختلف القراء في قراءة قوله : (تكلمهم) ، فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار (تُكَلِّمهم) ، بضم التاء وتشديد اللام ، بمعنى : تخبرهم وتحدثهم ، وقرأ أبوزرعة بن عمرو (٤).(تَكْلِمهم) بفتح التاء ،

---

(١) انظر : بحر العلوم ، للسمرقنديّ ، (٣/٢٤٣) . وانظر : فتح القدير ، للشوكاني (٤/٥٥٣) .

(٢) سورة النمل ، الآية [٨٢] . وتمام لآية [وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ] .

(٣) لسان العرب ، مادة (كلم) ، (١٢/٥٢٥) .

(٤) أبوزرعة بن عمرو : هو أبوزرعة بن عمرو بن جرير بن عبدالله البجليّ ، روى عن جده ، وعن أبي هريرة – ﷺ – ، وكان جده جرير ابن عبدالله البجليّ من أعيان الصحابة .

(انظر : الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، (٦/٢٩٧) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ، (٢/٥٣١))

وتخفيف اللام بمعنى : تسمهم ، والقراءة التي لا استجيز غيرها في ذلك ما عليه قراء الأمصار) [١].

من هذا النص يتبين لنا موافقة ابن منظور للطبري ، حيثُ أورد كل منهما وجوه القراءات في المفردة موضوع الدراسة مع بيان المعنى على كل قراءة ، إلا أنَّ الطبري كان له موقفاً واضحاً ، حيثُ اختار القراءة بالتشديد ، وبالتالي ما ترتب على ذلك من معنى ، أمَّا ابن منظور فلم يكن له اختيار واضح في ذلك .

وكذا وافق ابن منظور الرازي الذي أورد القراءتين في قوله (تكلمهم) ، وبين أن (تَكْلِمهم) من الكَلَمْ ، وهو الجُرْح ، قال : ويجوز أن يكون (تُكَلِّمهم) من الكلم أيضاً على معنى التكثير ، يُقال فلانٌ مُكَلَّم ، أي : مُجَرَّح . وذكر أنَّ القراءة بالتشديد على معنى الكلام أو القول [٢].

فكلٌ من الرازي وابن منظور ذكر الوجوه المختلفة في قراءة المفردة – موضوع الدراسة – وبيان المعنى على كلِّ قراءة دون اختيار أو ترجيح .

كما وافق ابن منظور القرطبي في ذلك ، حيثُ أورد القرطبي القراءتين الواردتين في قوله (تكلمهم) ، فذكر أنَّ القراءة ، بضم التاء ، وشد اللام المكسورة، بمعنى : الكلام ، وهي قراءة العامة ، يُدل على ذلك قراءة أُبَيْ : (تنبئهم) كما ذكر أنَّ القراءة بفتح التاء ، من الكَلْم ، وهو : الجرح ، أي : تجرح الكافر والفاجر وبيَّن أنَّه في قول بعضهم : تكْلِمهم وتُكَلِّمهم سواء ، على معنى التكثير [٣].

أمّا ابن كثير فقد ذكر المعاني دون التعرض للقراءات في ذلك ، حيثُ قال : (قال ابن عباس والحسن وقتادة – رضي الله عنهم – ، ويروي عن علي رضي الله عنه – تكلمهم كلاماً، أي : تخاطبهم خطاباً ... وقال ابن عباس في رواية : تجرحهم ، وعنه رواية ، قال : كُلاًّ تفعلٍ ، يعني هذا وهذا ، وهذا قول حسن ، ولا منافاة ، والله أعلم) [٤].

---

(١) جامع البيان ، للطبري ، (١٦/٢٠) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٨٧/٢٤) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٣٧/١٣ ، ٢٣٨) .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣٧٥/٣) .

فابن كثير إذا يتميز على ابن منظور في قوله بوقوع الأمرين من الدابة : الكلام ، بمعنى : القول ، والتكليم ، بمعنى التجريح ، ولا منافاة عنده في ذلك ، وابن منظور يتميز على ابن كثير بإيراده الوجوه المختلفة للقراءات في المفردة . أمَّا في إيراد المعاني فهما يتفقان .

وممَّن وافقه ابن منظور كذلك من المفسرين الإمام البيضاوي الذي قال : (تُكَلِّمُهم : من الكلام ، وقيل من الكَلْم ، إذا قُرئ : (تَكْلِمهم)) [1].

المعنى العام للآية :

في هذه الآية تهديد من الله –تعالى– لعباده بذكر طرف من أشراط الساعة وأهوالها ، واختلف في معنى وقوع القول عليهم ، فقيل : وجب الغضب عليهم ، وقيل : حق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون ، وقيل حق العذاب عليهم ، وقيل : وجب السخط ، وكلها معاني متقاربة ، وقيل : إذا لم يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، وقيل غير ذلك ، أخرجنا لهم دابة ، أي خارجة من الأرض ، أو من دواب الأرض ، ليست من السماء ، وهذه الدابة تكلم العباد أنَّ الناس كانوا بآيتنا لا يوقنون ؛ لأجل أنهم ضعف علمهم ويقينهم بآيات الله ، فإظهار هذه الدابة من آيات الله العجيبة ، وهي الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان ، وتكون من أشراط الساعة ، ولم يذكر الله ورسوله كيفية هذه الدابة ، وإنَّما ذُكر أثرها ، والمقصود منها ، وأنَّها من آيات الله تكلم الناس كلاماً خارقاً للعادة حين يقع القول على الناس ، وحين يمترون بآيات الله ، فتكون حجة وبرهاناً للمؤمنين ، وحجة على المعاندين [2].

---

(١) أنوار التنزيل ، للبيضاويّ ، (٢٧٨/٤) .

(٢) انظر : فتح القدير : للشوكانيّ ، (١٥١/٤)،وانظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعديّ ، ص٦١٠ .

النص رقم (١٠٠)

قال تعالى : [...بِكَلِمَةٍ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ ...][١].

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (وفي التهذيب في ترجمة (مسح) في قوله عزَّ وجل : (بِكَلِمَةٍ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ) ، قال أبومنصور : سمَّى الله ابتداء أَمره كلمة ، لأنه أَلقى إليها الكلمة ثمَّ كَوَّن الكلمة بشراً ، ومعنى الكلمة معنى الولد ، والمعنى: يُبشِّرك بولدٍ اسمه المسيح [٢] ، وقال الجوهري : (وعيسى – عليه السلام – كلمه الله –سبحانه – لأنَّه لما انتُفع في الدين كما انتفع بكلامه سُمِّي به كما يُقال : فلان سيفُ الله وأَسدُ الله) [٣])[٤].

دراسة النص:

قال الطبري في بيان معنى الكلمة في هذه الآية : (وقوله (بكلمة منه) ، يعني: برسالة من الله وخبر من عنده ، وهو من قول القائل : أَلقى فلانٌ إليَّ كلمة سرني بها ، بمعنى : أخبرني خبراً فرحتُ به ... فتأويل الكلام : وما كنت يا محمد عند القوم إذ قالت الملائكة لمريم ، يا مريم ، إنَّ الله يبشرك ببشرى من عنده هي ولد لك اسمه المسيح عيسى ابن مريم) [٥].

ثُمَّ ذكر الطبري أقوالاً أخرى ، منها قول قتادة : إنَّ الكلمة التي قال الله عزَّ وجل – (بكلمة منه) هو قوله : كن ، فسمَّاه الله عزَّ وجل كلمته ؛ لأنه كان عن كلمته ، ومنها قول آخرين : هي اسم لعيسى – عليه السلام – سمَّاه الله – تعالى – بها كما سمَّى سائر خلقه بما شاء من الأسماء .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية [٤٥] . وتمام الآية : (إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ).

(٢) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (مسح) ، (٣٤٧/٤) .

(٣) الصحاح ، للجوهري ، مادة (كلم) (٢٠٢٤/٥) .

(٤) لسان العرب ، مادة (كلم)، (٥٢٥/١٢) .

(٥) جامع البيان ، للطبري ، (٢٦٩/٣) .

ثمَّ بيَّن الطبري أنَّ أقرب الوجوه إلى الصواب عنده القول الأول ، وهو أنَّ الملائكة بشَّرت مريم بعيسى عن الله – عزَّ وجل– برسالته وكلمته التي أمرها أن تلقيها إليها أنَّ الله خالق منها ولداً من غير بعل ، ولذلك قال – عزَّ وجل – : اسمه المسيح ، والكلمة مؤنثة ، لأنّه لم يُقصد بها الإسم ، وإنَّما هي بمعنى البشارة(١).

ممَّا سبق يتبين لنا أنَّ ابن منظور يوافق الطبري فيما نقله عن أبي منصور الأَزهري من أنَّ المراد بالكلمة البشارة بالولد ، وأنَّ معنى الكلمة معنى الولد.

وذكر الرازي أنَّ الأليق بتفسير الكلمة في هذا الموضع وجهان : الأول : لمَّا كان السبب المتعارف عليه مفقوداً في حق عيسى – عليه السلام– وهو الأب ، كان إضافة حدوثه إلى الكلمة (كن) أكمل وأتم – وإن كان كل مخلوق خُلق بواسطة الكلمة ، فجعل عيسى – عليه السلام – بهذا التأويل كأنَّه نفس الكلمة ، كما أنَّ من غلب عليه الجود والكرم ، يُقال فيه – على سبيل المبالغة – إنَّه نفس الجود ومحض الكرم ، فهكذا هنا .

والوجه الثاني : كما أنَّ السلطان العادل قد يُوصف بأنه ظل الله في أرضه، أو نور لظهور كلام الله عزَّ وجل – بسبب كثرة بياناته وإزالة الشبهات والتحريفات عنه ، فلا يبعد أن يُسمَّى بكلمة الله تعالى على هذا التأويل (٢).

فالذي يُلاحظ من كلام الرازي أَنَّه ذكر وجهين في بيان وتفسير الكلمة في الآية ، لم يذكر ابن منظور واحداً منهما ، إلاَّ أنَّ الوجه الثاني عند الرازي أشبه بكلام الجوهريّ الذي نقله عنه ابن منظور .

وقال القرطبي في تفسير قوله : (بِكَلِمَةٍ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ) : (ولم يقل اسمها ؛ لأنَّ معنى كلمة معنى ولد) (٣).

يعني بذلك : أنَّ الله تعالى قال : (ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ) ولم يقل : (اسمها المسيح) إشارة إِلى الكلمة ، بل إنَّ الكلمة هنا بمعنى الولد ، والبشارة في الاية بالولد .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (٢٦٩/٣) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٤٢/٨) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٨٨/٤) .

فوافقه على هذا القدر ابن منظور فيما نقله عنه الأزهري .

وفسَّر ابن كثير الكلمة في الآية بقوله : (أي بولد يكون وجوده بكلمة من الله ، أي يقول له : كن فيكون ، وهذا تفسير قوله : (مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ)(١). كما ذكره الجمهور) (٢).

يُريد ابن كثير أنَّ الكلمة التي أوجد الله بها عيسى – عليه السلام– هي كلمة (كن) وأُريد بالكلمة في الآية الولد ، وهو المسيح عيسى – عليه السلام– .

وهذا الذي ذكره ابن كثير هنا لا يخالف كلام الأزهري – آنف الذكر – ولعلَّه أَقرب ما قيل في معنى الكلمة إلى الصواب .

وذكر الجصَّاص (٣)في "أحكام القرآن" أنَّه قد قيل في هذه الكلمة ثلاثة أَوجه : الأول : يُطلق اسم الكلمة مجازاً لما خلقه الله تعالى من غير والد ، الثاني : لمَّا بُشِّر بعيسى– عليه السلام – في الكتب القديمة أُطلق عليه الاسم . الثالث : إنَّ الله يهدي به كما يهدي بكلمته (٤).

لم يذكر ابن منظور شيئاً من هذه الوجوه ، إلا أَنَّ الوجه الثالث الذي ذكره الجصّاص أشبه بقول الجوهري الذي نقله عن ابن منظور في بيان معنى الكلمة في هذه الآية .

المعنى العام للآية :

(إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ) ، أي : جبريل عليه السلام ، (يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ) : يعني : عيسى – عليه السلام – لأنه في ابتداء أمره كان كلمة من

---

(١) سورة آل عمران ، الآية [٣٩] .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣٦٤/١) .

(٣) الجصَّاص : هو أبوبكر ، أحمد بن علي الرازي ، إمام الفقهاء الحنفية في زمانه ببغداد ، ومدرسهم ومفتيهم ، وطُلِب لِيَلى قضاء القضاة فامتنع ، وهو من أصحاب الكرخي ، وُلد سنة (٣٠٥هـ) ، وتوفى سنة (٣٧٠هـ) (انظر : الكامل في لتاريخ ، لعليّ بن محمد الشيباني ، (٣٩٥/٧) ، وانظر : أخبار أبي حنيفة ، للقاضي أبي عبدالله حسين بن علي الصميريّ ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ ، ص١٧٢ ، وانظر : طبقات الفقهاء ، لأبي اسحق الشيرازيّ ، ص١٥٠) .

(٤) انظر : أحكام القرآن ، لأبي بكر أحمد بن عليّ الرازيّ الجصاص ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، (٢٩٥/٢) .

الله ، وكُوِّن بكلمة منه ، أي : من الله ، وقيل : الكلمة : بشارة الملائكة لها بأنها ستلده ، واختاره ابن جرير . (ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ) : وهو مُعرَّب من (مشيحا) بالسريانية ، لقب لعيسى – عليه السلام – ومعناه : المبارك ، وقيل : الصديق ، وقيل : الملك ، وقيل غير ذلك ، (عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ) وعيسى : معرَّب من (يسوع) ، ومعناه : السيد ، (وَجِيهًا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ) : أي : ذا جاه وشرف وقدر ، (وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ) : إلى ثواب الله وكرامته[١].

النص رقم (١٠١) :

يقول تعالى : [...ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي...] [٢].

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (الكَمَالُ : التَّمَام ... وأكملتُ الشيءَ ، أَي : أَجْمَلْتُه وأَتممته ... وقال الله تعالى : (ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي) الآية ومعناه والله أعلم : الآن أكملتُ لكم الدين بأن كفيتكم خوف عدوكم ، وأظهرتكم عليه ، كما تقول :الآن كَمُل لنا المُلك ، وكَمُل لنا ما نريد بأن كفينا من كُنَّا نخافه ، وقيل : أكملتُ لكم دينكم ، أي : أكملت لكم فوق ما تحتاجون إليه في دينكم ، وذلك جائز حسن ، فأمَّا أن يكون دين الله – عزَّ وجل – في وقت من الأوقات غير كامل فلا) [٣].

---

(١) انظر : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي الحسن الواحدي ، (١/٢١٠ ، ٢١١) ، وانظر : أضواء البيان ، للشنقيطي ، (١/٢٠٠) ، وانظر : روح المعاني ، للألوسي ، (٣/١٦١) .

(٢) سورة المائدة : الآية [٣] . وتمام الآيـة : [حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ].

(٣) لسان العرب ، مادة (كمل) ، (١١/٥٩٨) .

دراسة النص :

أورد الطبري في معنى إكمال الدين في هذه الآية قولين لأهل التأويل : أولهما : المعنى : اليوم أكملت لكم أيها المؤمنون فرائضي عليكم وحدودي وأمري إياكم ونهيي وحلالي وحرامي وتنزيلي ، من ذلك ما أنزلتُ منه في كتابي، وتبياني ما بينتُ لكم بوحيي على لسان رسولي ، والأدلة التي نصبتها لكم على جميع ما بكم الحاجة إليه من أمر دينكم ، فأتممتُ لكم جميع ذلك ، فلا زيادة فيه بعد هذا اليوم ، وكان ذلك في يوم عرفة عام حج النبي -ﷺ- حجة الوداع .

وثانيهما : معنى ذلك : اليوم أكملتُ لكم حجَّكم ، فأفردتم بالبلد الحرام ، تحجونه أنتم أيها المؤمنون دون المشركين ، لا يخالطكم في حجكم مشرك .

وهذا القول الثاني هو الذي اختاره ابن جرير الطبري ، وبيَّن أَنَّه الأولْى بالصواب . قال : فأمَّا الفرائض والأحكام فإنَّه قد اختلف فيها ، هل أكملت ذلك اليوم ، أم لا ؟ على قولين ، ولا يدفع ذو علم أنَّ الوحي لم ينقطع عن رسول الله -ﷺ- إلى أن قبض ؛ بل كان الوحي قبل وفاته أكثر ما كان تتابعاً . فإن كان ذلك كذلك ، وكان قوله : (يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ)(١) آخر الأحكام والفرائض نزولاً ، كان معنى الآية على خلاف من قال بأنَّ المراد كمال العبادات والأحكام والفرائض (٢).

ولم يقل ابن منظور بأحد هذين القولين اللَّذين ذكرهما الطبري ، وما ذكره ابن منظور في معنى إكمال الدين ذكره الطبري في معنى إتمام النعمة حيثُ قال : (وأتممتُ نعمتي أيها المؤمنون بإظهاركم على عدوِّي ، وعدوكم من المشركين ، ونفيي إياهم عن بلادكم ، وقطعي طمعهم من رجوعكم وعودكم إلى ما كنتم عليه من الشرك) (٣).

فخالف بذلك ابن منظور الإمام الطبري .

---

(١) سورة النساء ، الآية [١٧٦] .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٧٩/٦ ، ٨٠) .

(٣) المرجع السابق ، (٨١/٦) .

ووضع الرازي في تفسيره هذه الآية سؤالاً ، وهو أنَّ قوله : (ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ) يقتضي أنَّ الدين كان ناقصاً قبل ذلك ، ووُجد الدين الكامل في آخره -ﷺ- مدة قليلة ؟

ثمَّ أورد أجوبة المفسرين عن هذا الأشكال ، فذكر لهم في ذلك ثلاثة وجوه :

الأول : إنَّ المراد من قوله : (أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ) هو إزالة الخوف عنهم ، وإظهار القدرة لهم على أعدائهم ، وهذا كما يقول الملك عندما يقهر عدوه كليًّا : اليوم كَمُلَ مُلْكُنا .

وردَّ الرازي هذا الوجه ، فذكر أنَّه ضعيف ؛ لأنَّ مُلْك ذَلك الملِك كان قبل قهر العدو ناقصاً .

وهذا الجواب الذي ضعَّفه الرازي هو ما اختاره ابن منظور كما هو واضح.

الثاني : إنَّ المراد إنِّي أكملتُ لكم ما تحتاجونه في تكاليفكم من تعلم الحلال والحرام .

وضعَّف الرازي هذا الوجه أيضاً . قال : لأنَّه لو لم يكمل لهم قبل هذا اليوم ما كانوا محتاجين إليه من الشرائع كان ذلك تأخيراً للبيان عن وقت الحاجة ، وذلك لا يجوز .

الثالث : إنَّ الدين ما كان ناقصاً البتة ، بل كان كاملاً أبداً ، يعني : كانت الشرائع النازلة من عند الله في كل وقت ، كافية في ذلك الوقت ، إلاَّ أنَّه -تعالى- كان عالماً في أول المبعث بأنَّ ما هو كامل في هذا اليوم ، ليس بكامل في الغد ، فلا جرم كان النسخ بعد الثبوت ، وكانت الزيادة بعد العدم ، وأمَّا في آخر المبعث فكانت الشريعة كاملة ، فحكم ببقائها إلى يوم القيامة .

واختار الرازي هذا الوجه الأخير في بيان المراد من كمال الدين في هذه الآية [1] فخالفه بذلك ابن منظور .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٠٩/١١) .

وقال القرطبي في هذه الآية : (وذلك أنَّ النبي -ﷺ- حين كان بمكة لم تكن إلاَّ فريضة الصلاة وحدها ، فلمَّا قدم المدينة أنزل الله الحلال والحرام إلى أن حجَّ، فلما حجَّ وكمل الدين نزلت هذه الآية) (١).

وذكر القرطبي أقوالاً أُخرى ، منها قول الجمهور : المراد معظم الفرائض والتحليل والتحريم قالوا : وقد نزل بعد ذلك قرآن كثير ، ونزلت آية الربا ، ونزلت آية الكلالة إلى غير ذلك ، وإنَّما كمل معظم الدين وأمر الحج ، إذ لم يطف معهم في هذه السنة مشرك ، ولا طاف بالبيت عريان ، ووقف الناس كلهم بعرفة .

وأميل لهذا القول الذي قاله الجمهور في المراد بإكمال الدين ، لأنه جمع بين القول بإتمام معظم الفرائض والشرائع ، والقول بإتمام أمر الحج وأنَّهم انفردوا به دون المشركين في تلك السنة .

ثُمَّ ذَكر القرطبي قول ابن منظور -آنف الذكر - وبيَّن أَنّه ممَّا قيل في معنى الآية (٢). وبهذا لا يتفق ابن منظور معه في ذلك .

وكذلك ابن كثير ذكر بعض هذه الأقوال التي قيلت في معنى إكمال الدين ، ويظهر من تفسيره للآية أنَّه يختار القول بأنَّ إكمال الدين في الآية أُريد به إتمام الحلال والحرام ، وإكمال الشرائع (٣).

وهو بذلك يختلف مع ابن منظور أيضاً .

وذكر ابن العربي (٤) في "أحكام القرآن" بعض الأقوال في معنى كمال الدين، وتمام النعمة فيه ، ثُمَّ قال : (كُلُّها صحيحة ، وقد فعلها الله -سبحانه وتعالى- ، فلا يختص بعضها دون بعض ، بل يُقال : إنَّ جميعها مُراد الله - سبحانه- وما تعلَّق

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٦١/٦) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٦١/٦ ، ٦٢) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١٣/٢) .

(٤) ابن العربي : هو محمد بن عبدالله بن أحمد ، الإمام أبوبكر بن العربي ، المعافريّ الأندلسيّ ، الحافظ ، أحد الأعلام ، ولد سنة (٤٦٨هـ) ، كان مقدَّماً في المعارف كلها ، وبلغ رتبة الاجتهاد ، صنف التفسير وأحكام القرآن وشرح الموطأ والترمذي وغير ذلك، وولى القضاء . مات سنة (٥٤٣هـ).
(انظر: طبقات المفسرين ، للسيوطي ص ١٠٥) .

بها مما كان في معناها إلاّ أَنَّ قوله : إن لم ينزل بعده آية ، ولا ذُكر بعده حكم لا يصح) [1].

يتضح من كلام ابن العربي أنَّه يقول بوجوب الجمع بين الأقوال التي وردت في معنى إكمال الدين وإتمام النعمة ، وينفي القول بأنَّ معناه إكمال الفرائض والشرائع .

وبذلك يوافقه ابن منظور فيما ذكره من توجيه لمعنى الآية ، لأنَّ ابن العربي يقول به وبغيره .

المعنى العام للآية :

(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ) أي : أكلها (وَٱلدَّم) أي : المسفوح ، (وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ) بأن ذبح على اسم غيره ، (وَٱلْمُنْخَنِقَة) الميتة خنقاً (وَٱلْمَوْقُوذَة) ، المقتولة ضرباً (وَٱلْمُتَرَدِّيَة) أي : الساقطة من مكان عالٍ إلى أسفل، ثم ماتت (وَٱلنَّطِيحَة) المقتولة بنطح أخرى لها (وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ) منه (إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ) أي : أدركتم فيه الروح منها فذبحتموه (وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ) جمع نصاب ، وهي : الأصنام ، (وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَـٰمِ) أي : تطلبوا القسم والحكم بها ، والأزلام جمع زلم ، وهو قِدح صغير لا ريش له ولا نصل ، وكانت سبعة عند سادن الكعبة عليها أعلام ، وكانوا يُحكِّمونها فإن أمرتهم ائتمروا ، وإن نهتهم انتهوا (ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ) ، أي : خروج عن الطاعة ، ونزل يوم عرفة عام حجة الوداع : (ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ) أن ترتدوا عنه بعد طمعهم في ذلك لما رأوا من قوته (فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) أحكامه وفرائضه (وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى) بإكماله ، وقيل : بدخول مكة آمنين (وَرَضِيتُ

---

(١) أحكام القرآن ، لأبي بكر محمد بن عبدالله بن العربي ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، دار الفكر ، بيروت ، (٢/٤٠) .

لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا)أي اخترته لكم (فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ) ، أي : مجاعة ، فأكل شيئاً حُرِّم عليه (غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ) ، أي : مائل إلى معصـــية (فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ) له ما أكل (رَّحِيمٞ) به في إباحته ، بخلاف المتلبس بالإثم كقاطع الطريق والبـــاغي مثلاً ، فلا يحل له الأكل [١].

النص رقم (١٠٢)

يقول تعالى : [...وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ][٢].

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (التهذيب* : (الكُمُّ كُمُّ الطلع ، ولكل شجرة مثمرة كُمٌّ ، وهو بُرْعُومتُهُ [٣]... وأمَّا قول الله تعالى : (وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ) ، فإنَّ الحسن قـــال : أراد سَبائبَ من لِيف تزينت بها . والكُمَّةُ : كلّ ظَرْف غطَّيت به شيئاً ، وألبسته إياه ، فصار له كالغلاف ، ومن ذلك أكمام الزرع : غُلُفها التي يخرج منها ، وقال الزجَّاج في قوله : (ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ) : عني بالأكمام ما غطَّى ، وكل شجرة تخرج ما هو مكمَّم ، فهي ذات أكمام ، وأكمام النخلة : ما غطَّى جُمَّارَها مـــن السَّـــعَف والليف والجذْع ، وكل ما أخرجته النخلة فهو ذو أكمام ، فالطَّلْعة كُمُّها قشـــرها ، ومن هذا قيل للقَلَنْسُوة كُمَّة ؛ لأنَّها تغطي الرأس ، ومن هذا كُمَّا القميص ؛ لأنهمـــا يغطيان اليدين[٤])[٥].

---

(١) انظر : تفسير الجلالين ، للمحليّ والسيوطيّ ، ص١٣٦ .

(٢) سورة الرحمن ، الآية (١١) . وتمام الآية : [فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ] .

* يُريد : قال في التهذيب ، أو قال صاحب التهذيب .

(٣) تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (كمَّ) ، (٩/٤٦٦) .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٥/٧٦ ، ٧٧) .

(٥) لسان العرب ، مادة (كمم) ، (١٢/٥٢٦) .

دراسة النص :

ذكر الطبري في معنى الأكمام أنَّها جمع كم ، وهو ما تكممت فيه ، ثُمَّ بـيَّن خلاف أهل التاويل في ذلك ، فنقل لهم ثلاثة أقوال ، الأول : المراد تكمم النخل في الليف ، الثاني : المراد بالأكمام الرفات ، الثالث : معنى الكلام : والنخل ذات الطلع المتكمم في كمامه .

ثُمَّ ذكر الطبري أنَّ أولى الأقوال في ذلك بالصواب ، أن يُقال : إنَّ الله وصف النخل بأنها ذات أكمام وهي متكممة في ليفها ، وطلعها متكمم في جفه ، ولم يخصص الله الخبر عنها بتكممها في ليفها ، ولا تكمم طلعها في جفه، بل عمَّ الخبر عنها بأنَّها ذات أكمام ، والصواب أن يقال : عني بذلك ذات ليف ، وهي متكممة به ، وذات طلع هو في جفه مُتكمّم ، فيُعمَّم كما عَمَّ جل ثناؤه [1].

فوافق ابن منظور بذلك الطبري .

وذكر الرازي في معنى الأكمام وجهين . أحدهما : الأكمام كل ما يغطي ، جمع (كُم) بضم الكاف ، ويدخل فيه لحاؤها وليفها ونواها ، والكل يُنتفع به كما يُنتفع بالنخل وأغصانها وقلبها الذي هو الجمار . ثانيهما : الأَكمام جمع (كِم) بكسر الكاف ، وهو وعاء الطلع[2].

وهذا الذي ذكره الرازي هنا لا يخرج عنه ما نقله ابن منظور عن بعض أئمة التفسير واللغة .

وذكر القرطبي أَنَّ الأكمام ، جمع (كِم) بالكسر ، وكممتُ الشيء : غَطَّيته ، والكم : ما ستر شيئاً وغَطَّاه ، ومنه (كُم) القميص بالضم ، والجمع : أكمام ، والكُمَّة : القلنسوة المدوَّرة ؛ لأنَّها تغطي الرأس .

ونقل القرطبي عن الحسن قوله : ذات الأكمام ، أي : ذات الليف ، فإنَّ النخلة قد تكمم بالليف ، وكمامها ليفها الذي في أعناقها ، كما ذكر قول من قال : ذاتُ الطلع قبل أن يتفتق ، ونقل عكرمة : ذاتُ الأَحمال [3].

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٢٠/٢٧) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٨٣/٢٩) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٥٦/١٧) .

فالذي يُلاحظ فيما ذكره القرطبي هنا عدم مخالفة ابن منظور لــه ، إلاَّ فــي الضبط ، حيثُ ضبط (الكم) بالكسر ، وضبطها ابن منظور بالضم .

وأورد ابن كثير في تفسير الآية قولاً لابن عباس أَنَّ الأكمام هي أوعية الطلع ، وقولاً آخر هو أنَّ الأكمام رفات النخلة ، وهو الليف الذي على عنــق النخلــة ، ونسب هذا القول إلى الحسن وقتادة (١).

فوافق ابن كثير ابن منظور في ذلك ، إلاَّ أنَّ ابن منظور كان أكثر تفصــيلاً وإيضاحاً لمعنى الأكمام من ابن كثير .

واتفق ابن منظور أيضاً مع البغوي الذي بيَّن في تفسير الآية أنَّ الأكمام هي الأوعية التي يكون فيها التمر ؛ لأنَّ تمر النخل يكون في غلاف ما لــم ينشــق ، واحدها : (كم) ، وكل ما ستر شيئاً فهو كم وكمة ، ومنه كــم القمــيص ، ويُقــال للقلنسوة كمة .

ونسب إِلى الضحَّاك أنَّ ذات الأكمام معناها : ذات الغلف ، وإلى الحســن أَنَّ أكمامها : ليفها ، وذكر قول من قال : المراد بالأكمام : الطلع قبل أن ينفتق (٢).

المعنى العام للآية :

سورة الرحمن من السور التي فيها تعداد لنعم الله – سبحانه وتعالى – علــى عباده ، وفي هذه الآية يمتن الله –تعالى– على عباده بنعمة الفاكهة التي يخرجهــا لهم من الأرض التي بسطها للأنام ، والمراد كل ما يتفكه به من أنواع الثمار ، ثُمَّ أفرد سبحانه النخل بالذكر لشرفه ومزيد فائدته على سائر الفواكه ، والأكمام جمع كم (بالكسر والضم) وهو وعاء التمر وغطاء التنور ، وقيل : هو الليف الذي تكمم به النخلة ، وقيل : هو الطلع قبل أن يتفتق ، وقيل: الأَحمال (٣).

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٧١/٤ ، ٢٧٢) .

(٢) انظر : معالم التنزيل ، للبغويّ ، (٢٦٧/٤) .

(٣) انظر : فتح القدير ، للشوكاني ، (١٣٢/١٣١/٥) .

النص رقم (١٠٣)

يقول تعالى [...وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ ...][١]

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (الكَمَهُ في التفسير : العمى الذي يُولد بـه الإنسـان كَمِـهَ بَصَرُهُ (بالكسر) كَمَهاً ، وهو أكمه إذا اعترته ظلمة تَطْمِسُ عليه ... وفي التنزيـل العزيز : (وَتُبْرِئ ٱلْأَكْمَهَ) ... وذكر أهل اللغة أنَّ الكَمَهَ يكون خِلْقَةً ، ويكـون حادثاً بعد بَصَرٍ... ابن الأعرابي.الأكمهُ الذي يُبصر بالنهار،ولا يبصر بالليل)[٢] .

دراسة النص :

قال الطبري : (وتُبرئ الأكمه ، يقول : وتشفى الأكمه ، وهو : الأعمى الذي لا يبصر شيئاً ، المطموس البصر) [٣] .

فوافقه ابن منظور في ذلك إلا أنَّه لم يُفصِّل بذكر أقوال أهل اللغة كما فعـل ابن منظور .

وذكر الرازي في بيان معنى الكمه قول من قال:الأكمه مَـنْ وُلِـدَ أعمـى، والأعمى من وُلِد بصيراً ثم عمي[٤]، ولم يزد الرازي على ذلك القول ، فهـو إذاً مختارٌ له .

وإذا كان ذلك كذلك فإنَ ابن منظور لا يخالفه في معنى الكمه ، ويزيد عليـه بعض التفصيل بذكر الأقوال الأخرى في معناه .

ونقل القرطبي في معنى الكمه عدة أقوال ، الأول : الأكمه ،الذي يُولد أعمى (وهو قول ابن منظور) . الثاني : الكمه : العمى يُولد به الإنسان ، وقد يعـرض .

---

(١) سورة المائدة ، الآية (١١٠) . وتمـام الآيـة : [إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ] .

(٢) لسان العرب ، مادة (كمه) ، (٥٣٦/١٣) .

(٣) جامع البيان ، للطبري ، (١٢٨/٧) .

(٤) انظر التفسير الكبير ، للرازي ، (١٠٥/١٢) .

الثالث : الأكمه الذي يُبصر بالنهار ، ولا يُبصر بالليل . (وهذين القولين الثاني والثالث أوردهما ابن منظور أيضاً عن بعض أهل اللغة) . الرابع : الأكمه هو الأعمش ، ولكنه في اللغة العمى(١) . أمّا هذا فلم يذكره ابن منظور. والذي يُلاحظ أنَّ القرطبي – من خلال كلامه – كان مختاراً للقول الأول وهو قول ابن منظور .

ولم يُفصِّل ابن كثير القول في معنى الكمه في تفسير هذه الآية ؛ لكنه قال في آية آل عمران : (وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ)(٢) : (قيل : إنَّه الذي يبصر نهاراً ، ولا يبصر ليلاً ، وقيل بالعكس ، وقيل : الأعشى ، وقيل : الأعمش ، وقيل : هو الذي يُولد أعمى ، وهو أشبه ؛ لأنَّه أبلغ في المعجزة ، وأقوى في التحري) (٣) .

وهذا الذي اختاره ابن كثير ، فذكر أنَّه أبلغ في المعجزة ، وأقوى في التحري، هو قول ابن منظور ، ولعلَّه أوْلى الأقوال بالصحة ، وأقربها إلى الصواب ، لهذا السبب الذي ذكره ابن كثير .

وقال أبوالسعود في معنى الأكمه في سورة آل عمران : "الذي يُولد أعمى، أو الممسوح العين) (٤) ، فوافق بذلك ابن منظور في قوله : الذي ولد أعمى .

المعنى العام للآية :

(إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ) أي اذكرها بقلبك ولسانك ، وقم بواجبها شكراً لربك ، حيث أنعم عليك نعماً لم ينعم بها على غيرك (إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ) ، أي : قويتك بالروح والوحي الذي طهرك وزكاك ، وقيل : إنَّ المراد بروح القدس جبريل – عليه السلام – وأنَّ الله أعانه به وبملازمته وتثبيته له ، (تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا) التكليم هنا غير التكليم المعهود ، وإنما هو التكليم الذي ينتفع به المتكلم والمخاطب ،وهو

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣٦٣/٦) ،
(٢) سورة آل عمران ، الآية (٤٩) .
(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣٦٥/١) .
(٤) إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (٣٩/٢) .

الدعوة إلى الله (وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ) ، الكتاب يشمل الكتب السابقة ، وخصوصاً التوراة ،ويشمل الإنجيل الذي أنزله الله عليه ، والحكمة هي معرفة أسرار الشرع وفوائده وحكمه ،وحسن الدعوة والتعليم ، وإذ تخلق طيراً مصوراً من الطين لا روح فيه ، فتنفخ فيها ، فتكون طيراً بإذني ، وتبرئ الأكمه الذي لا بصر له ، والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني ، فهذه آيات بينات ، ومعجزات باهرات يعجز عنها الأطباء وغيرهم أيد بها عيسى وقوّى بها دعوته (وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ) لما جاءهم الحق مؤيداً بالبيانات الموجبة للإيمان به : (إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ) وهمُّوا بقتل عيسى –عليه السلام– فكفَّ الله أيديهم عنه ، وحفظه منهم ، فهذه منن أمتنَّ الله بها على عبده ورسوله عيسى ابن مريم ، ودعاه إلى شكرها فقام بها –عليه السلام– أتمَّ القيام ، وصبر كما صبر إخوانه من أُولي العزم(١) .

النص رقم (١٠٤) و(١٠٥)

يقول تعالى : [...وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ...] (٢)

ويقول تعالى : [...وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا ...] (٣)

---

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعديّ ، ص٢٤٨ .

(٢) سورة التوبة ، الآية (٣٤) . وتمام الآية (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ) .

(٣) سورة الكهف ، الآية (٨٢) . وتمام الآية : (وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا) .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (الكَنْزُ : اسم للمال إذا أُحرز في وعاء ، ولما يُحرز فيه ، وقيل : الكنزُ : المال المدفون ، وجمعه كُنُوزٌ ... قال شمر : ... وتسمى العربُ كلّ كثير مجموع ، يُتنافس فيه كنزاً ... في التنزيل العزيز : (وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ) ... ابن عباس في قوله تعالى في الكهف : (وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا) قال : ما كان ذهباً ولا فضة ؛ ولكن كان علماً وصُحُفاً ورُوي عن على كرّم الله وجهه -، أنَّه قال : أربعة آلاف ، وما دونها نفقةٌ ، وما فوقهما كَنْزٌ ... الكنزُ في الأصل : المال المدفون تحت الأرض ، فإذا أُخرج منه الواجب عليه لم يَبْقَ كنزاً وإن كان مكنوزاً ، وهو حكم شرعيّ تجوّز فيه عن الأصل واكْتَنَزَ الشيءُ : اجتمع وامتلأ) (١) .

دراسة النصين :

ذكر الطبري في آية التوبة اختلاف أهل العلم في معنى الكنز ، وأورود لهم في ذلك ثلاثة أقوال :

الأول : هو كل مال وجبت فيه الزكاة ، فلم تؤد زكاته .

الثاني : هو كل مال زاد على أربعة آلاف درهم ، فهو كنز أديت منه الزكاة أو لم تُؤد .

الثالث : هو كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه إليه(٢) .

ثم قال أبوجعفر : (وأولى الأقوال في ذلك بالصحة القول الذي ذُكر عن ابن عمر من أنَّ كل مال أديت زكاته فليس بكنز يحرم على صاحبه اكتنازه وإن كثر ، وأنَّ كل مالم تؤد زكاته فصاحبه معاقب مستحق وعيد الله ، إلا أن يتفضل الله عليه بعفوه ، وإن قلَّ إذا كان ممَّا يجب فيه الزكاة) (٣) .

---

(١) لسان العرب ، مادة (كنز) ، (٥/٤٠١، ٤٠٢) .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٠/١١٨-١٢٠) .

(٣) المرجع السابق ، (١٠/١٢٠) .

وذكر الطبري في آية الكهف اختلاف أهل التأويل في ذلك الكنز ، ونقل لهم فيه قولين : الأول : كان صحفاً فيها علم مدفونة ، ونسبه إلى ابن عباس . الثاني : كان مالاً مكنوزاً ، ونسبه إلى عكرمة(١) .

ثم قال : (وأوْلى التأويلين في ذلك بالصواب القول الذي قاله عكرمة ، لأنّ المعروف من كلام العرب أنَّ الكنز اسم لما يكنز من مال ، وأنَّ كل ما كنز فقد وقع عليه اسم كنز ، فإنَّ التأويل مصروف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل ، مالم يأت دليل يجب من أجله صرفه إلى غير ذلك) (٢) .

من ذلك يتضح لنا عدم مخالفة ابن منظور للطبري في الموضعين ، إلّا أنَّ الطبري زاد على ابن منظور القول الثالث في معنى الكنز في آية التوبة ، وزاد عليه بالترجيح في الموضع الثاني أي في آية الكهف ، حيث ذكر ابن منظور القولين دون أن يختار أحدهما ، ورجَّح الطبري القول الثاني الذي نسبه إلى عكرمة ، وهو ما نجده في قول على - رضي الله عنه -، آنف الذكر .

وذكر الرازي أنَّ أصل الكنز في كلام العرب هو الجمع ،وكل شيء جُمع بعضه إلى بعض فهو مكنوز ، كما ذكر اختلاف علماء الصحابة في المراد بالكنز المذموم في آية التوبة ، ونقل لهم في ذلك قولين ، الأول : هو المال الذي لم تُؤد زكاته ، وذكر أنَّ هذا هو قول الأكثرين . الثاني : هو جمع المال الكثير سواء أُدِّيت زكاته أو لم يؤد(٣) .

ثم قال الرازي : (واعلم أنَّ الطريق الحق أن يُقال : الأوْلَى أن لا يجمع الرجل الطالب للدين المال الكثير ، إلا أنَّه لم يمنع عنه في ظاهر الشرع) (٤) .

وذكر في آية الكهف الخلاف في الكنز ، ونقل فيه ثلاثة أقوال ، أحدها : إنَّه كان مالاً . قال : وهذا هو الصحيح ؛ لأنَّ المفهوم من لفظ الكنز هو المال ،

---

(١) انظر المرجع السابق ، (١٦/٥، ٦) .

(٢) المرجع السابق ، (١٦/٦) .

(٣) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٦/٣٦) .

(٤) المرجع السابق ، (١٦/٣٧) .

ولقوله : (وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا) . وثانيها : إنَّه كان علماً بدليل قوله : (وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا)، والرجل الصالح يكون كنزه العلم لا المال . وثالثها : كان لوحاً من ذهب كتب عليه بعض الحكمة[١] .

ممَّا سبق ذكره يتبين لي أنَّ ابن منظور لا يخالف الرازي كذلك ، فإنَّ ما أورده ابن منظور من أقوال فقد ذكرها الرازي ، وما زاد على ابن منظور إلا الترجيح ،والقول الثالث الذي ذكره في آية الكهف .

وكذلك القرطبي ذكر ما ذكره الرازي في معنى الكنز في اللغة ، والخلاف في المراد به في آية التوبة ، ورجَّح ما رجَّحه الرازي في ذلك ، وهو أنَّ ما أديَّت زكاته فليس بكنز ، وما لم تؤد زكاته فهو كنز[٢] .

وكذلك في آية الكهف ذكر ما ذكره الرازي من الأقوال الثلاثة ورجَّح الأول، أي أنَّه كان مالاً[٣] . وعلى هذا فالذي قيل في المقارنة بين ابن منظور والرازي يقال أيضاً في المقارنة بينه وبين ابن منظور .

وذكر ابن كثير في آية التوبة القولين اللَّذين ذكرهما الرازي والقرطبي ، ولم يرجِّح منهما شيئاً[٤] .

وذكر في آية الكهف الأقوال الثلاثة التي ذكرها كلٌّ من الرازي والقرطبي ، ورجَّح منها ما رجّحاه أنَّ المراد بالكنز : مال مدفون لهما ، وقال : وهو ظاهر السياق من الآية ، وهو اختيار ابن جرير رحمه الله[٥] .

فابن كثير بذلك يوافق ابن منظور في الموضعين ، غير أنه رجَّح في الموضع الثاني بين الأقوال ، ولم يفعل ذلك ابن منظور .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (١٣٨/٢١) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٢٣/٨-١٢٥) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (٣٨/١١) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣٥١/٢، ٣٥٢) .

(٥) انظر : المرجع السابق ، (٩٩/٣، ١٠٠) .

وقال الشنقيطي في معنى قوله (يكنزون) : (أظهر الأقوال ، وأقربها إلى الصواب في معنى (يكنزون) في هذه الآية الكريمة أنَّ المراد بكنزهم الذهب والفضة ،وعدم إنفاقهم لها في سبيل الله أنَّهم لا يؤدون زكاتهما) (١) .

ثُمَّ ساق الأقوال في ذلك ، والقول الآخر في معنى الكنز ، وذكر سبب ترجيحه للقول الأول الذي ذكره ، فقال : لأنَّ من أدَّى الحق الواجب في المال الذي هو الزكاة ، لا يُكوى بالباقي إذا أمسكه ؛ لأنَّ الزكاة تطهره ؛ ولأنَّ المواريث ما جُعلت إلا في أموال تبقى بعد مالكيها(٢) .

أمَّا في آية الكهف فقد سكت الشنقيطي عن بيان المراد بالكنز في الآية الكريمة(٣).

ففي الموضع الأول وافق ابن منظور ، غير أنه امتاز عليه بالترجيح أيضاً، وفي الموضع الثاني لا وجه للمقارنة بينهما ، لعدم تعرضه لبيان معنى الكنز في الآية .

المعنى العام للآيتين :

١ - آية التوبة :

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ) ، أي : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله إنَّ كثير من علماء اليهود وعلماء النصارى (لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ) ، أي : يأخذونها بالحرام ، ويمنعون الناس عن الدخول في دين الإسلام ، والمقصود : التحذير من علماء السوء وعبَّاد الضلال ، (وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) أي : يجمعون الأموال ، ويدخرون الثروات ولا يؤدُّون زكاتها .

---

(١) أضواء البيان ، للشنقيطي ، (١١٦/٢) .

(٢) انظر المرجع السابق ، (١١٦/٢، ١١٧) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (٣٣٩/٣) .

(فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) أسلوب تهكم ، أي: أخبرهم بالعذاب الأليم في دار الجحيم[1] .

٢/ آية الكهف :

في هذه الآية يبين الخضر –عليه السلام – لموسى عليه السلام – العلة التي من أجلها بنى ذلك الجدار الذي أوشك أن يسقط دون أجر أو مقابل . قال له : ذلك الجدار كان تحته كنز من ذهب وفضة أو من مال مدفون لغلامين يتيمين ، وكان والدهما صالحاً تقياً ، فحفظ لهما الكنز لصلاح الوالد ، فأراد الله تعالى بهذا الصنيع أن يكبر اليتيمين ، ويشتد عودهما ، ويستخرجا كنزهما من تحت الجدار رحمة بهما لصلاح أبيهما ، ما فعلتُ ما رأيت من خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وإقامة الجدار عن رأيي واجتهادي بل فعلته بأمر الله وإلهامه ، ذلك تفسير الأمور التي لم تستطع الصبر عليها ، وعارضت فيها قبل أن أخبرك عنها[2] .

النص رقم (١٠٦)

يقول تعالى : [فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ * ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ][3]

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (وكَنَسَت النجوم تَكْنِسُ كُنُوساً : استمرت في مجاريها ، ثُمَّ انصرفت راجعة . وفي التنزيل : (فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ * ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ) . قال الزجَّاج : الكُنَّسُ : النجوم تطلع جارية ، وكُنُوسُها أن تغيب في مغاربها التي تغيب فيها ، وقيل : الكُنَّسُ : الظِّبَاء والبَقَر ، تَكْنِس ، أي : تدخل كُنُسَها إذا اشتد الحر ، قال: والكنس جمع كانس وكانسة[4] . وقال الفرَّاء في الخُنَّس والكُنَّس : هي النجوم الخمسة تَخْنُسُ في مجراها وترجع ، وتَكْنِسُ تَستَتِر كما تَكْنِسُ الظباء في

---

(١) انظر : صفوة التفاسير ، لمحمد على الصابوني ، (٥٢١/١) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (١٩٢/٢ ،١٩٣) ، وانظر : معالم التنزيل ، للبغويّ ، (١٧٧/٣) .

(٣) سورة التكوير ، الآيتان (١٥ ، ١٦) .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٢٢٦/٥) .

المغار ، وهو : الكِناسُ[1] ... الصحاح : الكُنَّسُ : الكواكب ؛ لأنَّها تَكْنِسُ في المغيب ، أي : تَسْتَتِرُ ، وقيل : هي الخُنَّسُ السَّيَّارة[2])[3] .

دراسة النص :

ذكر الطبري اختلاف أهل التأويل في الخُنَّس الجوارِ الكُنَّس على ثلاثة أقوال : الأول : هي النجوم الدراري الخمسة تخنس في مجراها فترجع وتكنس فتستتر في بيوتها كما تكنس الظباء في المغار ، والنجوم الخمسة هي : بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى .

الثاني : هي بقر الوحش التي تكنس في كناسها . الثالث : هي الظباء .

ثمَّ ذكر الطبري أنَّ أولى الأقوال بالصواب أن يقال : إنَّ الله –تعالى– أقسم بأشياء تخنس أحياناً ، أي تغيب ، وتجري أحياناً ، وتكنس أخرى ، والمكانس عند العرب هي المواضع التي تأوي إلها بقر الوحش والظباء ، وغير مستنكر أن يستعار ذلك في المواضع التي تكون بها النجوم من السماء ، فإذا كان ذلك كذلك ولم يكن في الآية دلالة على أنَّ المراد بذلك النجوم دون البقر ، ولا البقر دون الظباء ، فالصواب أن يعم بذلك كل ما كانت صفته الخنوس أحياناً ، والجري أخرى ، والكنوس بآنات على وصف –جل ثناؤه– من صفتها[4] .

إنَّ الأقوال التي ذكرها الطبري لأهل التأويل هنا هي ما ذكره ابن منظور أيضاً ، ولكنَّ الطبري تميَّز على ابن منظور في جمعه بين هذه الأقوال في تأويل هذه المفردات .

أما الرازي فقد ذكر الأقوال الثلاثة أيضاً ، لكنه اختار منها قول من قال بأنَّ المراد النجوم ، وذكر أنَّ هذا القول هو المشهور ، واستدل على صحته بقوله –تعالى– : (وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ)[5] . قال : وهذا بالنجوم أليق منه ببقر الوحش ،

---

(١) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٣/٢٤٢) .

(٢) انظر : الصحاح ، للجوهري ، مادة (كنس) ، (٣/ ٩٧٢) .

(٣) لسان العرب ، مادة (كنس) ، (٦/١٩٨) .

(٤) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٣٠/٧٤-٧٧) .

(٥) سورة التكوير ، الآية (١٧) .

وكذلك فإنَّ محل قسم الله –تعالى– كلما كان أعظم ، وأعلى رتبة كان أولـــى ، ولا شك أنَّ الكواكب أعلى رتبة من بقر الوحش(١) .

وهذا القول الذي اختاره الرازي هو ما يظهر أنَّ ابن منظور يميل إليه ، وأنا استأنس به أيضاً .

وذكر القرطبي في معنى الخنس ، الجوار الكنس أنَّهـا الكواكـب الخمسـة الدراري : زُحل والمشترى وعطارد والمريخ والزهرة ، فيما ذكر أهل التفسـير ، ثم ذكر الأقوال الأخرى التي قيلت في معناها ، ثُمَّ رجَّح قولـه الأول ، فبـين أنَّ الأصح الحمل على النجوم لذكر الليل والصبح بعد هذا ، فذكر النجوم أليق بذلك ، ولله أن يُقسم بما شاء من مخلوقاته من حيوان وجماد وإن لم يعلم وجه الحكمة في ذلك(٢) .

واكتفى ابن كثير بذكرِ الأقوال التي ذكرها ابن منظور وأوردها المفسـرون من قبله ، وذكر قول ابن جرير –آنف الذكر– ، وهو أنه يُحتمل أن يكون الجميـع مراداً ، ولم يرجح ابن كثير بين هذه الأقوال مكتفياً بنقلها فقط(٣) .

ولم يذكر السيوطي إلا قولاً واحداً موافقاً به ابن منظور ، وهو أنَّ الجـوار الكنس هي النجوم الخمسة تخنس في مجراها ، ثُمَّ تكنس وتغيب في المواضع التي تغيب فيها(٤) .

المعنى العام للآية :

أقسم الله تعالى – على الأحداث التي تقع يوم القيامـة بـالخنس ، الجـوار الكنس، وهي النجوم الخمسة ، تخنس في مجراها ، أي: ترجع ، وتكنس : تسـتتر في بيوتها ، كما تكنس الظباء في المغاير ، وهي الكِنَاس ، قيل : والمراد بـالنجوم الخمسة : بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى ، وقيل غير ذلك(٥) .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٦٦/٣١) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٣٦/١٩، ٢٣٧) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٧٩/٤، ٤٨٠) .

(٤) انظر : تفسير الجلالين للمحلي ، والسيوطي ، ص٧٩٤ .

(٥) انظر تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص(٩١٢) .

وانظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، الجزء الخاص بالقرآن ، لأحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، (٦٩٤/٨) .

النص رقم (١٠٧) و (١٠٨) و (١٠٩) و (١١٠)

يقول تعالى : [...وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنًا....][١]

ويقول تعالى : [...أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡ ...][٢]

ويقول تعالى : [كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٌ مَّكۡنُونٌ][٣]

ويقول تعالى : [وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ...][٤]

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (الكِنُّ والكِنَّةُ والكِنَانُ : وِقاء كلّ شيء وسِتْرُه والكِنُّ : البيت أيضاً ، والجمع أكنانٌ وأكنةٌ .... وفي التنزيل العزيز : (وَجَعَل لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنًا) ... الكِنُّ : ما يَرُدُّ الحَرَّ والبَرْدَ من الأبنية والمساكن ... وكَنَّ أمره عنه كنًّا : أخفاه ... وقال بعضهم : أكنَّ الشيءَ ستره . وفي التنزيل العزيز : (أَو أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡ) ، أي: أخفيتم ... وكَنَنْتُ الشيءَ : سَتَرْتُهُ وصُنْتُه من الشمس ، وأكننته في نفسي : أَسْرَرْتُهُ ... قال الله تعالى : (كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٌ مَّكۡنُونٌ)

---

(١) سورة النحل ، الآيـة (٨١). وتمـام الآيـة : [وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ]

(٢) سورة البقـرة ، الآيــة (٢٣٥) . وتمـام الآيـة [وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلًا مَّعۡرُوفًاۚ وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ] .

(٣) سورة الصافات ، الآية (٤٩) .

(٤) سورة الإسراء ، الآية (٤٦) . وتمام الآية : [وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرًاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورًا] .

، أي مستور من الشمس ، وغيرها . والأَكِنَّةُ : الأَغطيةُ . قال الله – تعالى –: (وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ) ، والواحد : كِنَانٌ) (١) .

دراسة النصوص :

قال الطبري في آية النحل في بيان معنى الأكنان في الآية ما نصّه : (وجعل لكم من الجبال مواضع تسكنون فيها ، وهي جمع (كِنّ)) (٢) .

وقال في آية البقرة في معنى قوله : (أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْ) : (أو أخفيتم في أنفسكم ، فأسررتموه) (٣) .

وقال في آية الصافات في قوله : (بَيْضٌ مَّكْنُونٌ) –بعد أن ذكر الأقوال في سبب تشبيههن بالبيض – : (والعرب تقول لكل مصون : مكنون ، ما كان ذلك الشيء لؤلؤاً كان أو بيضاً أو متاعاً) (٤) .

وقال في آية الإسراء : (أمَّا أكِنَّة : فالغطاء أكَنَّ قلوبهم ، لا يفقهون الحق)(٥) وعلى هذا فإنَّ ابن منظور يتفق مع الطبري في جميع ما ذكره من معاني المفردات في المواضع الأربعة .

وذكر الرازي أنَّ واحد (الأكنان) كِن ، على قياس أحمال وحِمل ، وهو كل شيء وفي شيئاً ، ويُقال : استكنَّ وأكنَّ إذا صار في كِنّ .

ثُمَّ بين الرازي في معرض حديثه أنَّ المراد بالأكنان هنا المساكن التي يأوي إليها الإنسان(٦) .

كما ذكر في آية البقرة أنَّ الإكنان الإخفاء والستر(٧) .

---

(١) لسان العرب ، مادة (كنن) ، (٣٦٠/١٣ ، ٣٦١) .

(٢) جامع البيان ، للطبري ، (١٥٥/١٤) .

(٣) المرجع السابق ، (٥٢٠/٢) .

(٤) المرجع السابق ، (٥٧/٢٣) .

(٥) المرجع السابق ، (١٧٠/٧) .

(٦) انظر : التفسير الكبير ، للرازي (٧٥/٢٠) .

(٧) انظر : المرجع السابق ، (١١٢/٦) .

وفي آية الصافات بيَّن أنَّ المكنون في اللغة المستور ، وأنَّ معنى هذا التشبيه أنَّ ظاهر البيض بياض يشوبه قليل من الصفرة ، فإذا كان مكنوناً كان مصوناً عن الغبرة والقترة ، فكان هذا اللون في غاية الحسن ، والعرب كانوا يُسمون النساء بيضات الخدور(١) .

وذكر في آية الإسراء أن الأكنَّة جمع كنان ، وهو ما ستر الشيء مثل : كنان النبل(٢) ، وعلى هذا فإنَّ ابن منظور يوافق الرازي في المواضع الأربعة .

وقال القرطبي في معنى قوله (أكنانا) في سورة النحل : (الأكنان : جمع (كن)، وهو الحافظ من المطر والريح ، وغير ذلك ، وهي هنا الغيران في الجبال، جعلها الله عدة للخلق يأوون إليها،ويتحصنون بها ، ويعتزلون عن الخلق فيها) (٣) .

وقال في قوله (أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡ) في البقرة : (معناه : سترتم وأضمرتم من التزوج بها بعد انقضاء عدتها ، والإكنان : الستر والإخفاء ، يقال : كننته وأكننته بمعنى واحد) (٤) .

وقال في آية الصافات : (كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٌ مَّكۡنُونٌ) أي : مصون)(٥) .

وقال في آية الإسراء : (أكنة : جمعُ كِنان ، وهو : ما ستر الشيء)(٦) .

مما سبق يُمكنني القول بموافقة ابن منظور للقرطبي أيضاً في معاني جميع هذه المفردات القرآنية .

وفسَّر ابن كثير الأكنان في آية النحل بالحصون والمعاقل(٧) ، وذلك لا يختلف عن قول ابن منظور الذي يقتضي بأنَّها البيوت أو المساكن .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (١٢٠/٢٦) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (١٧٨/٢٠) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٥٩/١٠) .

(٤) المرجع السابق ، (١٨٩/٣) .

(٥) المرجع السابق ، (٨٠/١٥) .

(٦) المرجع السابق ، (٢٧١/١٠) .

(٧) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٥٨١/٢) .

وفسَّر قوله : (أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡ) بقوله (أي : أضمرتم في أنفسكم من خطبتهن) [1] ومعناه : أخفيتم أو أسررتم كما ذكر ابن منظور .

وذكر في قوله : (كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٌ مَّكۡنُونٌ) أقوال أهل التفسير ، وفيها قول الحسن يعني محصون لم تمسه الأيدي[2] .

وقال في آية الإسراء : (وجعلنا على قلوبهم أكنة ، وهي جمع كنان الذي يغشى القلب) [3] .

وعلى هذا يكون ابن كثير موافقاً لما ذكره ابن منظور من معاني المفردات في المواضع الأربعة ، وإن وقع الخلاف اللفظي بينهما .

وقال الزمخشري في معنى الأكنان : (جمع كن ، وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف) [4] .

وقال في قوله : (أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡ) : (أو استرتم وأضمرتم في قلوبكم) [5] .

أما في آية الصافات (كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٌ مَّكۡنُونٌ) فاكتفى بقوله : (شُبهن ببيض النعام الكنون في الأداحي،وبها تشبه العرب النساء ، وتسميهن بيضات الخدور)[6].

فلم يفسر قوله (مكنون) بما يبين معناها كما يتضح من تفسيره للآية الكريمة.

كما اكتفى في آية الإسراء بقوله : (وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ) فيه معنى المنع من الفقه ، فكأنه قيل : ومنعناهم أن يفقهوه) [7] .

---

(١) المرجع السابق ، (٢٨٧/١) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٨/٤) .

(٣) المرجع السابق ، (٤٤/٣) .

(٤) الكشاف ، للزمخشري ، (٥٨٤/٢) .

(٥) المرجع السابق ، (٣١١/١) .

(٦) المرجع السابق ، (٤٥/٤) .

(٧) المرجع السابق ، (٦٢٧/٢) .

وعلى هذا فابن منظور يوافقه في الموضعين الأول والثاني ، أمَّا في آية الصافات فلا وجه للمقارنة بينهما ، وفي آية الإسراء ذكر الزمخشري معنى كلام ابن منظور فقط ، فإنَّ الأغطية التي يجعلها الله على قلوبهم تمنعهم من الفقه .

المعنى العام للآيات :

١/ آية النحل :

(وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا) ، أي : نعمة عددها عليهم بالظل ؛ لأنَّ الظل مطلوب في بلاد الكفار يومئذ ، ومحبوب لشدة حر بلادهم ، ومِمَّا خلق ، يعني : من الشجر وغيرها ، (وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا) ، والأكنان جمع كن ، وهو ما يقي من المطر والريح وغير ذلك من الغيران والبيوت المنحوتة في الجبال ، (وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ) ، والسرابيل هي الثياب من القُمُص وغيرها ، ، وذكر وقاية الحر ، ولم يذكر وقاية البرد ، لأنَّ وقاية الحر أهم عندهم لحرارة بلادهم ، وقيل : لأنَّ ذكر أحدهما يُغني عن ذكر الآخر ، (وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡ) يعني دروع الحديد التي تستعمل في الحروب (كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ) ، أي : تنظرون في نعمه فتؤمنون به ، وتنقادون لحكمه(١) .

٢/ آية البقرة :

(وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم) ، أي: لَوَّحتم (بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ) المتوفى عنهن أزواجهن في العدة (أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡ) ، أي : أضمرتم قصد نكاحهن (عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ) بالخطبة ولا تصبرون عنهن ، فأباح لكم التعريض (وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا) ، أي : نكاحاً (إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا

---

(١) انظر : التسهيل ، للكلبي ، (١٥٩/٢) ، وانظر : أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، (٤١٤/٣) .

مَّعۡرُوفًاۚ) والمعروف ما عرف شرعاً من التعريض فلكم ذلك (وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ) ، أي : على عقده (حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ) ، أي : المكتوب من العدة ، بأن ينتهي . (وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ) من العزم (فَٱحۡذَرُوه) إن يعاقبكم إذا عزمتم (وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ) لمن يحذره (حَلِيمٌ) بتأخير العقوبة عن مستحقها[1] .

٣/ آية الصافات :

في هذه الآية وصف لقاصرات الطرف اللائي يُرزق بهن أهل الجنة كما في الآية السابقة ، شُبِهْن في هذه الآية ببيض النعام المصون من الغبار ، ونحوه في الصفاء والبياض ، المخلوط بأدنى صفرة ، فإن ذلك أحسن ألوان الأبدان[2] .

٤/ آية الإسراء :

(وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ) ، أي : جعلنا على قلوب المكذبين بالحق أغطية وأغشية ، لا يفقهون معها القرآن ، بل يسمعونه سماعاً تقوم به عليهم الحجة .

(وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرًا) ، أي : صمماً على سماعه (وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ) داعياً لتوحيده ، ناهياً عن الشرك به (وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورًا) من شدة بغضهم له ، ومحبتهم لما هم عليه من الباطل[3] .

---

(١) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ،ص٥١ .

(٢) انظر : إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (١٩١/٧) .

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص٤٥٩ .

النص رقم (١١١)

يقول تعالى : [وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلاً...][١]

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (الكَهْلُ : الرجل إذا وَخَطَه الشيب ، ورأيت له بَجَالـةً* . وفي الصحاح : (الكَهْلُ من الرجال الذي جاوز الثلاثين ، ووخطه الشـيب) [٢] ... قال ابن الأثير : (الكَهْلُ من الرجال من زاد على ثلاثين سنة إلى الأربعين ، وقيل من الثلاث وثلاثين إلى تمام الخمسين) [٣] ... وفي المحكم : (وقيل: هو من أربـع وثلاثين إلى إحدى وخمسين) [٤] . قال الله –تعالى – في قصة عيسى – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – : (وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلاً) . قال الفـرَّاء : أراد : ومُكَلِّماً الناس في المهد وكهلاً ، والعرب تضع (يفعل) في موضع الفاعـل إذا كانا في معطوفين مجتمعين في الكلام ... وقد قيل : إنَّه عطف الكهـل علـى الصفة ، أراد بقوله (في المهد) صبيّاً وكهلاً[٥])[٦] .

دراسة النص :

قال الطبري في معنى هذا الجزء من الآية : (ويكلم الناس في المهد ، فـإنَّ معناه : .... ومكلماً الناس في المهد ... وأمَّا قوله : (وَكَهْلاً) فإنَّه ومحتنكاً فوق الغُلُومة ، ودون الشيخوخة[٧] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (٤٦) . وتمام الآية [وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ] .

* بَجَالةً : قال الخليل بن أحمد الفراهيدي : ورجلٌ بَجَالٌ : ذو بَجَالةٍ وبَجْلةٍ ، وهو الكهل الذي تُرى به هيبـة وتبجل وسن . (انظر : كتاب العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي ، (١٣٤/٦)) .

(٢) الصحاح ، للجوهري ، مادة (كهل) (١٨١٣/٤) .

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير الجرزي ، (٢١٣/٤) .

(٤) المحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيده ، مادة (كهل) (١٤٢/٤) .

(٥) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ، (٢١٣/١) .

(٦) لسان العرب ، مادة (كهل) ، (٦٠٠/١١) .

(٧) جامع البيان للطبري ، (٢٧١/٣) .

فما ذكره الطبري في معنى الكهل وإن خالفه ابن منظور من حيث اللفظ ، إلا أنَّ المعنى عندهما واحد –حسبما أعتقد – فإنَّ من كان عمره فوق الغلومة ودون الشيخوخة يُعَدُّ كهلاً ؛ لأنَّ هذه المرحلة من العمر هي مرحلة الشيب وظهور البَجَالة ، وهي المرحلة العمرية التي تبدأ من بعد الثلاثين إلى تمام الخمسين ، كما ذكر ذلك بعض من نقل عنهم ابن منظور ، وقال الرازي : (الكَهْلُ في اللغة : ما اجتمع قوته وكمل شبابه ، وهو مأخوذ من قول العرب : أكتهل النبات إذا قوي)[١] .

وقال أيضاً : (نُقِل أنَّ عمر عيسى –عليه السلام – إلى أن رُفع كان ثلاثاً وثلاثين سنة وستة أشهر ، وعلى هذا التقدير فهو ما بلغ الكهولة ... وأكمل أحوال الإنسان إذا كان بين الثلاثين والأربعين ، فصحَّ وصفه بكونه كهلاً في هذا الوقت)[٢] .

ولعلَّ ما قاله الرازي هنا من أنَّ الكهولة هي مرحلة اجتماع القوة واكتمال الشباب ، لا يخالفه قول ابن منظور أنَّها فترة ظهور الشيب وحصول البجالة ، لأنَّ هذه وتلك من صفات الإنسان في مرحلة الكهولة .

ثُمَّ إن ما ذكره الرازي من تحديد سن الكهولة في الإنسان ، ووقوعها بين الثلاثين والأربعين ، هو ما ذكره ابن الأثير ، ونقله عنه ابن منظور .

وذكر القرطبي ما ذكره الطبري في معنى الكهل ، قال : (الكهل بين حال الغلومة ، وحال الشيخوخة)[٣] .

فالذي قيل في المقارنة بين ابن منظور والطبري ، يُقال في المقارنة بينه وبين القرطبي .

ولم يُبين ابن كثير معنى الكهولة بأكثر من قوله : (ويكلم الناس في المهد وكهلاً) ، أي : يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، في حال صغره معجزة وآية ، وفي حال كهولته حين يوحي الله إليه)[٤] .

---

(١) (٢) التفسير الكبير ، للرازي ، (٤٦/٨) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٩٠/٤) .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣٦٥/١) .

فبينَّ أن الله – تعالى – أوحى إلى عيسى – عليه السلام – عندما صار كهلاً، ولم يزد على ذلك ، فلا وجه للمقارنة بينه وبين ابن منظور .

أمَّا النسفي فقد خالفه ابن منظور ، حيث ذكر أنَّ الكهولة هي الحال التي يستحكم فيها العقل ، ويستنبأ فيها الأنبياء(١) .

ولعلَّ ذلك الخلاف لفظياً أيضاً لأنَّ الفترة التي تبدو فيها الشيب ، وتظهر فيها البجالة يكون فيها اكتمال العقل والحلم ، والله أعلم .

المعنى العام للآية :

في الآية السابقة بشرى الملائكة من الله تعالى لمريم بولادة عيسى – عليه السلام – وممَّا يُميِّز هذا المولود في هذه الآية إضافة إلى ما سبق أنَّه يكلم الناس وهو رضيع في المهد ، وفي حال الكهولة وتمام الرجولة كلاماً متزناً معقولاً ، والكهل هو الرجل التام السوي ، وهو من بلغ الأربعين فأكثر . قال ابن عباس : كان كلامه في المهد لحظة بما قصَّه الله علينا ، ثم لم يتكلم حتى بلغ أوان الكلام ، وكانت العادة أن من تكلم في المهد لم يعش ، وهو كذلك من الصالحين الذين أنعم الله عليهم بالنبوة والاستقامة وصلاح الحال(٢) .

النص رقم (١١٢) و (١١٣)

يقول تعالى : [وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ](٣)

ويقول تعالى : [يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖ...](٤)

---

(١) انظر : مدارك التنزيل ، للنسفي ، (١٥٤/١) .

(٢) انظر : التفسير المنير ، لوهبة الزحيليّ ، مج٢ ، (٢٥١/٣، ٢٥٢) .

(٣) سورة الغاشية ، الآية (١٤) .

(٤) سورة الزخرف ، الآية (٧١) . ، وتمام الآية (يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ)

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (الُكوبُ : الكوزُ الذي لا عُرْوَةَ له ... والجمع : أكواب ، وفي التنزيل العزيز : (وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ) ، وفيه : (يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ) . قال الفرَّاء: (الكُوبُ: الكوز المستدير الرأس ، الذي لا أذن له)[1]) [2] .

دراسة النَّصين :

قال الطبري في آية الغاشية : (وقوله : (وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ) ، وهي جمع كوب ، وهي الأباريق التي لا آذان لها) [3] .

وقال في آية الزخرف : (وقوله : (وَأَكْوَابٌ) ، وهي جمع كوب ، والكوب الإبريق المستدير الرأس الذي لا أذن له ، ولا خرطوم) [4] .

وبهذا يوافقه ابن منظور في معنى الكوب إلا أنَّ الطبري زاد في بيان – معناه– ، بقوله : ولا خرطوم .

وقال الرازي في آية الغاشية : (الأكواب : الكيزان التي لا عري لها . قال قتادة : فهي دون الأباريق) [5] .

وقال في آية الزخرف : (وأكواب . قال الفرَّاء الكوب : المستدير الرأس، الذي لا أذن له) [6] .

وعلى هذا ، فإنَّ ما ذكره الرازي في الموضعين يوافقه فيه ابن منظور .

وذكر القرطبي في آية الغاشية أنَّ الكوب إناء ليس له عروة ولا خرطوم .

---

(١) معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٣/٣٧) .

(٢) لسان العرب ، مادة (كوب) ، (١/٧٢٩) .

(٣) جامع البيان، للطبري ، (٣٠/١٦٤) .

(٤) المرجع السابق ، (٢٥/٩٦) .

(٥) التفسير الكبير ، للرازي ، (٣١/١٤٢) .

(٦) المرجع السابق ، (٢٧/١٩٣) .

ونقل عن بعض أهل اللغة في آية الزخرف أنَّ الكوب كوز لا عـروة لـه ، والجمع : أكواب ، ثم نقل بعض الأقوال الأخرى في معنى الكوب[1] .

فوافقه ابن منظور أيضاً فيما اختاره في معنى الكوب .

أما ابن كثير فاكتفى في آية الغاشية بقوله : (وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ) ، يعني : أواني الشرب ، معدَّة مرصدة لمن أرادها من أربابها) [2] .

وذكر في آية الزخرف أنَّ الأكواب هي آنية الشراب ، لا خراطيم لها ولا عري[3] .

فجاء بيان ابن كثير لمعنى الأكواب في آية الزخرف مستغنياً به عن إعادته في سورة الغاشية ، ووافق فيه ابن منظور .

وقال البيضاوي في آية الغاشية : (وأكواب : جمع كوب ، وهي آنية لا عروة لها) [4] .

وقال في آية الزخرف : (والأكواب جمع كوب ، وهو كوز لا عروة له)[5] . فوافقه ابن منظور فيما ذكره في معنى الكوب في الآيتين .

المعنى العام:

١/ آية الغاشية :

في الآيات السابقة يذكر –تعالى– أحوال يوم القيامة ، وما فيها من الأهوال، وأنَّها تغشى الخلائق بشدائدها ، فيجازون بأعمالهم ، ويتميزون إلى فرقين ، فريق في الجنة ، وفريق في السعير .

وفي هذه الآية يبين الله –تعالى– ما لأهل الخير من النعيم في الجنة ، ففيها الأكواب الموضوعة ، والأكواب جمع كوب ، وهي كيزان لا عروة لها ، ممتلئة

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣٤/٢٠) ، (١١٣،١١٤/١٦) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٥٠٤/٤) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (١٣٥/٤) .

(٤) أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، (٤٨٤/٥) .

(٥) المرجع السابق ، (١٥٢/٥) .

من أنواع الأشربة اللذيذة ، قد وضعت بين أيديهم ، وأُعدَّت لهم ، وصارت تحت طلبهم واختيارهم ، ويطوف بها عليهم الولدان المخلدون(١) .

٢/ آية الزخرف :

ذكر الله تعال ى في هذه الآية بعض التي يُنعَّم بها أهل الجنة ، فقال تعالى : (يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖ) والصحاف : القصاع ، جمع صحفة ، وفي التفسير : هي سبعون ألف صحفة فيها ألوان الأطعمة ، والأكواب : آنية مستديرة ليس لها عروة ولا خرطوم،(وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ ۖ) ، أي : ما تشتهيه الأنفس ، وقد قرئ كذلك في بعض القراءة المعروفة ، ونُسبت اللذة إلى الأعين ، لأنّ المناظر الحسنة تلذ النفوس ، (وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ) ، أي : مقيمون في هذه الجنة لا تخرجون أبداً(٢) .

النص رقم (١١٤) و (١١٥) و (١١٦)

يقول تعالى : [...أَكَادُ أُخۡفِيهَا...](٣) .

ويقول تعالى : [...لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا...](٤) .

ويقول تعالى : [...فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ](٥) .

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص(٩٢١/٩٢٢) ، وانظر : المرجع السابق ، (٥/٤٨٤) .

(٢) انظر : تفسير القرآن ، للسمعاني ، (٥/١١٦) .

(٣) سورة طه ، الآية (١٥) . وتمام الآية : [إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ]

(٤) سورة النور ، الآية (٤٠) ، وتمام الآية [أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ] .

(٥) سورة البقرة ، الآية (٧١) ، وتمام الآية : [قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ] .

التفسير اللغوي :

قال منظور : (كاد : وُضعت لمقاربة الشيء فُعِلَ أو لم يُفْعَلْ ، فمجرَّدة تُنبئ عن نفي الفعل ، ومقرونة بالجحد تنبئ عن وقوع الفعل . قال بعضهم في قوله تعالى : (أَكَادُ أُخْفِيهَا) أُريد أُخفيها . قال فكما جاز أنَّ توضع (أُريد) موضع (أكاد) في قوله تعالى : (جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ)(١) . فكذالك أكاد)(٢) .

وقال في موضع آخر : وقوله تعالى : (لَمْ يَكَدْ يَرَنهَا) ، معناه : لم يرها ، ولم يقارب ذلك، وقال بعضهم : يرها من بعد أن لم يكد يرآها من شدة الظلمة)(٣).

وقال في مواضع آخر : (ابن الأنباري : قال اللغويون : كدت أفعل ، معناه عند العرب قاربتُ الفعل ، ولم أفعل ، وما كدت أفعل ، معناه : فعلتُ بعد إبطاء. قال : وشاهده قوله تعالى : (فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ) ، معناه : فعلوا بعد إبطاء لتعذر وجدان البقرة عليهم) (٤).

دراسة النصوص :

قال الطبري في آية طه : (بمعنى أكاد أُخفيها من نفسي لئلا يطَّلع عليها أحد ، وبذلك جاء تأويل أكثر أهل العلم) (٥) .

ثُمَّ ذكر أقوالاً أخرى فيها اختيار ابن منظور -آنف الذكر- وضعَّف هذه الأقوال جميعها بما فيها قول ابن منظور . قال :(وكل هذه الأقوال التي ذكرنا عمَّن ذكرنا توجيه منهم للكلام إلى غير وجهه المعروف ، وغير جائز توجيه معاني كلام الله إلى غير الأغلب عليه من وجهة عند المخاطبين به ، ففي ذلك مع خلافهم تأويل أهل العلم فيه شاهد عدل على خطأ ما ذهبوا إليه فيه) (٦) .

---

(١) سورة الكهف ، الآية (٧٧) .

(٢) لسان العرب ، مادة (كود) ، (٣٨٢/٣) .

(٣) المرجع السابق ، مادة (كيد) ، (٣٨٤/٣) .

(٤) المرجع السابق ، مادة (كيد) ، (٣٨٤/٣) .

(٥) جامع البيان ، للطبري ، (١٤٩/١٦) .

(٦) المرجع السابق ، (١٥٣/١٦) .

وفي آية النور ذكر الطبري ثلاثة أقوال في معنى قولـــه : (لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا)، ومنها قول ابن منظور –آنف الذكر – والقول الذي نقله عن بعضهم ، ولم يـــرجِّح الطبري قول ابن منظور ، ولكنه رجَّح القول الآخر الذي نقله ، قال : والثالـــث : أن يكون قد رآها بعد بطء وجهد ، وهذا القول الثالث أظهر معاني الكلمة من جهة ما تستعمل العرب أكاد في كلامها ، والقول الآخر الذي قلنا إنَّه يتوجه إلـــى أنَّـــه بمعنى لم يرها قول أوضح من جهة التفسير ، وهو أخفى معانيه(١) .

وذكر ابن جرير في آية البقـــرة أنَّ معنـــى قولـــه : (وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ) قاربوا أن يدعوا ذبح البقرة ، ويتركوا فرض الله عليهم في ذلك ، لكنهم ذبحوها(٢).

وعلى هذا يخالف ابن منظور الطبري فـــي الموضـــعين : الأول والثـــاني ، ويوافقه في الثالث .

وافترض الرازي في قوله : (أَكَادُ أُخۡفِيهَا) سؤالاً ثُمَّ أجاب عنه ، وهـــو أنَّ (كاد) نفيه إثبات ، وإثباته نفي بدليل قوله : (وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ) أي : وفعلوا ذلك فقوله : (أَكَادُ أُخۡفِيهَا) يقتضي أنَّه ما أخفاها ؟

ثُمَّ ذكر الرازي أنَّ ذلك باطل ، وأجاب عنه من وجوه ثمانية ، وذكـــر فـــي الوجه الثالث ما قاله ابن منظور في معنى (أكاد) في هذه الآيـــة ، ونســـبه إلـــى بعضهم(٣) .

وذكر الرازي في تفسير قوله : (لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا) قولين ، أحدهما : إنَّ (كاد) نفيه إثبات، وإثباته نفي ، فقوله (لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا) معناه أنَّه رآها ، والثـــاني : إنَّ (كاد) معناه المقاربة ، فقوله (لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا) معناه : لم يُقارب الوقوع ، ومعلوم أنَّ الذي لم يقارب الوقوع لم يقع أيضاً .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (١٥١/١٨) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٣٥٤/١) .

(٣) أنظر : التفسير الكبير للرازي ، (٢٢/ ١٩ ،٢٠) .

ثُمَّ اختار الرازي هذا القول الثاني وضعَّف الأول لـوجهين الأول : إنَّ ما يكون أقل من هذه الظلمات لا يُرى فيه شيء ، فكيف مع هذه الظلمات ؟ الثاني : إنَّ المقصود من هذا التمثيل المبالغة في جهالة الكفار ، وذلك إنَّما يحصل إذا لم توجد الرؤية البتة مع هذه الظلمات(١) .

وذكر في قوله : (وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ) أنَّ المعنى : فذبحوا البقرة ، وما كادوا يذبحونها ، ونقل للنحويين تفسيرين لكاد ، الأول : إنَّ نفيه إثبات ، وإثباته نفي ، والثاني : إنَّ (كاد) معناه المقاربة ، فقولنا : ما كاد يفعل : معناه : ما قرب منه .

ثُمَّ رجَّح الرازي قول الأولين محتجاً بهذه الآية (٢) .

وبهذا يتفق معه ابن منظور في الموضع الأول فيما ذكره في الوجه الثالث ، كما يتفق معه في كل من الموضعين الثاني والثالث كما هو ظاهر .

أما ابن كثير فقد أورد في تفسير آية طه قولين ، أحدهما : إنَّ معناه أكاد أخفيها من نفسي ؛ لأنَّها لا تخفي من نفس الله أبداً [وهذا القول هو اختيار ابن جرير كما مرَّ آنفاً] . : وثانيهما : إنَّ معناها : أظهرها ، على القراءة ، بنصب الألف ، وخفض الفاء في (أخفيها) (٣) .

ثُمَّ لم يُرجح ابن كثير أحد القولين ، ولم يورد قول ابن منظور آنف الذكر وقال في آية النور : (إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا) أي : لم يقارب رؤيتها من شدة الظلام ، فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد ، الذي لا يعرف حال من يقوده ، ولا يدرى أين يذهب(٤) .

وقال في آية البقرة : (قال الضحاك عن ابن عباس : يكادوا أن لا يفعلوا ، ولم يكن ذلك الذي أرادوا ؛ لأنَّهم أرادوا أن لا يذبحوها ، يعني أنَّهم مع هذا البيان،

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (٩/٢٤) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (١١٢/٣) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١٤٥/٣)

(٤) المرجع السابق ، (٢٩٧/٣) .

وهذه الأسئلة والأجوبة والإيضاح ما ذبحوها إلا بعد الجهد ، وفي هذا ذم لهم ؛ وذلك أنَّه لم يكن غرضهم إلا التعنت ، فلهذا ما كادوا يذبحونها[(١)] .

من ذلك يتضح لنا اختلاف ابن كثير مع ابن منظور في آية طه واتفاقه معه في آية النور وآية البقرة .

وذكر الواحديّ في آية طه أنَّ قوله : (أَكَادُ أُخۡفِيهَا) معناه : أسترها للتهويل والتعظيم ، وأنَّ (أكاد) هي صلة[(٢)] .

وذكر أنَّ معنى قوله (لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا) في سورة النور : لم يرها لشدة الظلمة[(٣)] . واكتفى في آية البقرة بقوله (فذبحوها وما كادوا يفعلون : لغلاء ثمنها)[(٤)] .

فلم يفصل في بيان معنى قوله (وما كادوا) في هذه الآية .

وبهذا يخالفه ابن منظور في الموضع الأول ، ويوافقه في الموضع الثاني ، ولا مقارنة بينهما في الموضع الثالث .

المعنى العام للآيات :

١/ آية طه :

(إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ) ، أي : لا بدَّ من وقوعها . (أَكَادُ أُخۡفِيهَا) ، أي : عن نفسي فعلمها قد أخفاه الله –تعالى– عن الخلائق كلهم ، فلا يعلمها ملك مقرَّب ، ولا نبي مرسل ، وقيل (أَكَادُ أُخۡفِيهَا) بمعنى : أريد أخفيها ، وقيل غير ذلك ، والحكمة في إتيان الساعة قوله : (لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا تَسۡعَىٰ) من الخير والشر، فهي الباب لدار الجزاء[(٥)] .

---

(١) المرجع السابق ، (١١٢/١) .

(٢) انظر : الوجيز ، للواحدي ، (٦٩٢/٢، ٦٩٣) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (٧٦٦/٢) .

(٤) المرجع السابق ، (١١٢/١) .

(٥) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص٥٠٣ .وانظر : تفيسير القرآن ، للسمعاني ، (٣٢٤/٣) .

٢/ آية النور :

هذه الآية هي المثل الثاني لأعمال الكفار ، أو كظلمات : عطف على قوله : كسراب ، أي : هم من الضلال والحيرة في مثل الظلمات المجتمعة من ظلمة البحر تحت الموج تحت السحاب في بحر لجيّ ، منسوب إلى اللج ، وهو معظم الماء ، إذا أخرج الرجل الذي وقع في الظلمات يده لم يكد يراها ، والمعنى مبالغة في وصف الظلمة (لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا) معناه : لم يقارب رؤيتها ، فنفى بذلك الرؤية ومقاربتها ، ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور ، أي : ومن لم يهده الله لم يهتد(١) .

٣/ آية البقرة :

هذه الآية فيمن أمر من قوم موسى – عليه السلام – بذبح البقرة لمعرفة قتيلهم . (قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ) ، أي : غير مذللة بالعمل ، (تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ) ، أي : تقلبها للزراعة ، والجملة صفة ذلول ، داخلة في النهي ، (وَلَا تَسۡقِى ٱلۡحَرۡثَ) ، : الأرض المهيأة للزراعة ، (مُسَلَّمَةٌ) من العيوب ، وآثار العمل، لا شية لون فيها غير لونها ، (قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّ) ، أي : نطقت بالبيان التام ، فطلبوها فوجدوها عند الفتى البار بأمه ، فاشتروها بملء مسكها ذهباً ، (فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ) ، لغلاء ثمنها ، ولو ذبحوا أي بقرة كانت لأجزأتهم ، ولكن شدّدُوا على أنفسهم ، فشدّد الله عليهم(٢) .

---

(١) انظر : التسهيل ، للكلبي ، (٦٩/٣) .

(٢) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي السيوطي ، ص١٥ .

النص رقم (١١٧) :

يقول تعالى : [إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا][(١)]

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (وحكى ابن مجاهد[(٢)] عن أهل اللغة : كاد يكاد ، كان في الأصل كَيَدَ يَكِيدُ ، وقوله عزَّ وجل (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا) قال الزجَّاج : يعني الكفار ، إنَّهم يُخَاتلون* النبي ، ويُظهرون ما هم على خلافه ، وأكيد كيداً قال : كَيْدُ الله –تعالى– لهم استدرجهم من حيث لا يعلمون[(٣)]) [(٤)] .

دراسة النص :

قال الطبري في تأويل هاتين الآيتين ما نصّه : (وقوله : إنَّهم يكيدون كيداً ، يقول تعالى ذكره : إنَّ هؤلاء المكذبين بالله ورسوله ، والوعد والوعيد يمكرون مكراً ، وقوله وأكيد كيداً ، يقول : وأمكر مكراً ، ومَكْرُهُ –جل ثناؤه – بهم إملاؤه إيَّاهم على معصيتهم ، وكفرهم به)[(٥)] .

فعرَّف الطبري الكيد بالمكر –كما يتضح من كلامه – فالخلاف بينه وبين ابن منظور إذاً خلاف لفظي وليس معنوي ؛ لأنَّ ما ذكره ابن منظور من مخادعة الكفار للنبي –ﷺ– عن غفلة منه ، فيه معنى المكر الذي ذكره الطبري ، وما ذكره

---

(١) سورة الطارق ، الآيات (١٦،١٥) .

(٢) ابن مجاهد : هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ، أبوبكر المقرئ البغدادي ، شيخ القراء في عصره ، ومصنف القراءات السبعة . كان ثقة مأموناً ولد سنة (٢٤٥هـ) ، وقال ثعلب : ما بقي في عصرنا هذا أعلم بكتاب الله من أبي بكر ابن مجاهد ، توفي سنة (٣٢٤هـ) . (انظر الوافي بالوفيات ، للصفدي، (١٢٩/٨، ١٣٠) ، وانظر : معرفة القراء الكبار ، للذهبي (٢٦٩/١-٢٧١)).

* يخاتلون : خَاتَلَهُ : خَدَعَهُ ، والخَتْلُ : تخادعٌ عن غفلةٍ . (انظر : مختار الصحاح ، لأبي بكر الرازي، مادة (ختل) ، (٧١/١) ، وانظر :لسان العرب ،مادة (ختل)، (١٩٩/١١)).

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٢٤٠/٥) .

(٤) لسان العرب ، مادة (كيد) ، (٣٨٤/٣-٣٨٥) .

(٥) جامع البيان ، للطبري (٣٠/ ١٥٠) .

ابن منظور أيضاً من استدراج الله لهؤلاء الكفار من حيث لا يعلمون يَحمل معنى إملاء الله لهم على معصيتهم ، وكفرهم به ممَّا ذكره الطبري .

أمَّا الرازي فلم يوضح معنى الكيد الذي يقع من الكفار ؛ لكنه بين صور ذلك الكيد . قال : (وذلك الكيد على وجوه ، منها بإلقاء الشبهات .... ومنها بالطعن فيه [أي في النبي ﷺ] ، بكونه ساحراً وشاعراً ومجنوناً ، ومنها بقصد قتله) [1] .

ثُمَّ بيَّن أنَّ الكيد في حق الله –تعالى– على وجوه ، وذكر منها أنَّ كيده –تعالى– بهم هو إمهاله إياهم على كفرهم ، حتى يأخذهم على غِرَّة[2] .

فلا مقارنة بينه وبين ابن منظور في الكيد الواقع من الكفار على النبي –ﷺ– ويوافقه ابن منظور في أنَّ المراد به الإمهال حتى يأخذهم الله على غِرَّة .

وفسر القرطبي كيد أَعداء الله بالمكر بالنبي – ﷺ– وأَصحابه ، وفسَّر كيد الله –سبحانه– بهؤلاء الأعداء بأنَّه يجازيهم جزاء كيدهم . قال : وقيل : هو ما أوقع الله بهم يوم بدر من القتل والأسر،وقيل: كيد الله استدراجهم من حيث لا يعلمون[3].

فوافق ابن منظور القرطبي في الكيد الأول ، وإن كان اتفاقه معه اتفاقاً معنوياً لا لفظياً ، أمَّا في الكيد الثاني – وهو كيد الله سبحانه بالكفار – فلم يوافقه فيه ؛ لأنَّ القرطبي ذكر قول ابن منظور كقول من الأقوال الأخرى التي وردت في هذا الشأن ، وذلك بعد أَن بيَّن قوله هو في تفسير هذا الكيد .

وقال ابن كثير في قوله : (إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدًا) : (ثُمَّ أَخبر عن الكافرين بأنَّهم يكذبون به ، ويصدون عن سبيله ، فقال : (إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدًا) أَي يمكرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن) [4].

أمَّا كيد الله تعالى بالكفار فأعرض عنه ، ولم يتطرق له [5].

---

(١) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٢١/٣١) .

(٢) انظر:المرجع السابق ، (١٢١/٣١) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١١/٢٠) .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٩٩/٤) .

(٥) انظر : المرجع السابق ، (٧٩٩/٤) .

فهو بذلك يوافق ابن منظور معنوياً في الكيد الأَول ، ولا وجه للمقارنة بينهما في الكيد الثاني .

وجاء تفسير ابن منظور لهاتين الآيتين – فيما نقله عن الزجَّاج – موافقاً لتفسير البغوي لهما ، حيث قال البغوي : ((إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدًا) : يخافون النبي – ﷺ – ويظهرون ما هم على خلافه ، وأكيد كيداً : وكيد الله استدراجه إياهم من حيثُ لا يعلمون) [١].

إلا أنَّ ابن منظور ذكر في كيد الكفار (يُخاتلون) بدلاً عن (يخافون) التي ذكرها البغوي ، والمعنى واحد .

المعنى العام للآيتين :

(إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدًا) ، أي : يمكر الكافرين في إبطال ما جاء به رسول الله –ﷺ– من الدين الحق . قال الزجَّاج : يخاتلون النبي –ﷺ– ويظهرون ما هم على خلافه ، (وَأَكِيدُ كَيۡدًا) ، أي : أستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأجازيهم جزاء كيدهم ، قيل : هو ما أوقع الله بهم يوم بدر من القتل والأسر [٢].

النص رقم (١١٨)

يقول تعالى : [يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ...][٣].

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (وتَكْويرُ اللَّيل والنَّهار : أَن يُلْحَقَ أَحدُهما بالآخر ، وقيل : تَكْويرُ الليل والنهار تَغْشِيةُ كل واحد منهما صاحبه ، وقيل : إِدخال كل واحد منهما في صاحبه ، والمعاني متقاربة... وفي التنزيل العزيز : (يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ

(١) معالم التنزيل ، للبغوي ، (٤/٤٧٤) .

(٢) انظر : فتح القدير ، للشوكانيّ ، (٥/٤٢١) . وانظر : أضواء البيان ، للشنقيطي ، (٨/٤٩٧) .

(٣) سورة الزمر ، الآية [٥] . وتمام الآية : (خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ).

﴿وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾ ، أي : يُدخِلُ هذا على هذا ، وأَصله من تكوير العمامة، وهو لفُّها وجمعها) (١).

دراسة النص:

قال الطبري في هذه الآية : (﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾ ، يقول : يغشى هذا على هذا ، وهذا على هذا ، كما قال : ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾(٢). وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل) (٣).

فوافقه ابن منظور فيما ذكره في معنى التكوير في هذه الآية .

كما وافق الرازي الذي قال : (والمُراد من هذا التكوير أنَّه يزيد في كل واحد منهما بقدر ما ينقص عن الآخر ... واعلم أنَّه –سبحانه– وتعالى عبَّر عن هذا المعنى بقوله : ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ ، وبقوله : ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾(٤). وبقوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾(٥)) (٦).

كما وافق القرطبي ، حيثُ قال : ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾ . قال الضحاك ، أي : يُلقى هذا على هذا ، وهذا على هذا ، وهذا على معنى التكوير في اللغة ، وهو طرحُ الشيءِ بعضه على بعض ، يُقال : كور المتاع ، أي : أَلقى بعضه على بعض ، ومنه كَوَّرَ العمامة ، وقد روى عن ابن عباس هذا في معنى الآية ، قال : ما نقص من الليل دخل في النهار ، وما نقص

---

(١) لسان العرب ، مادة (كور) ، (١٥٦/٥) .

(٢) سورة الحديد ، الآية [٦] .

(٣) جامع البيان ، للطبري ، (١٩٣/٢٣) .

(٤) سورة الأعراف ، الاية [٥٤] .

(٥) سورة الحديد ، الآية [٦]

(٦) التفسير الكبير ، للرازي ، (٢١٣/٢٦) .

من النهار دخل في الليل ، وهو معنى قوله -تعالى- : (يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ) ، وقيل : تكوير الليل على النَّهار تغشيته إيَّاه حتى يذهب ضوءه ، ويغشى النَّهار على الليل فيذهب ظلمته ، وهذا قول قتادة ، وهو معنى قوله تعالى : (يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثًا))[1].

كما اتفق ابن كثير مع ابن منظور في معنى التكوير الوارد في الآية ، قال ابن كثير : (أي : سخَّرهما يجريان متعاقبين لا يفتران ، كل منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً ، كقوله تبارك وتعالى : (يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثًا)، هذا معنى ما روى عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ومجاهد وقتادة والسدي وغيرهم) [2].

وذكر الواحديَّ أنَّ معنى الآية : يدخل أحدهما على الآخر [3]، وهذا أحد المعاني التي ذكرها ابن منظور ، ثُمَّ قال : والمعاني متقاربة .

المعنى العام للآية :

(خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ) ، متعلق بقوله (خلق) ، (يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ) ، أي : يدخل الليل على النهار فيزيد ، ويُدخل النهار على الليل ، فيزيد ، (وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ يَجۡرِي) : في فلكه (لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) أي يوم القيامة ، (أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ) أي : الغالب على أمره ، المنتقم من أعدائه ، (ٱلۡغَفَّٰرُ) لأوليائه[4].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٥/٢٣٤ ، ٢٣٥) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤/٤٦ ، ٤٧) .

(٣) انظر : الوجيز ، للواحديّ ، (٢/٩٢٩) .

(٤) انظر : تفسير الجلالين ، للمحليّ والسيوطيّ ، ص٦٠٦ .

النص رقم (١١٩)

يقول تعالى : [وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ...][١].

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (والمَكَانُ : الموضع ، والجمعُ : أَمكنة وأماكن ، توهَّموا الميم أَصلاً حتى قالوا : تمكَّن في المكان ... وقيل : الميم في المكان أصل ، كأنَّه من التَّمكُّن دون الكَوْنِ ... الليث : المكان شتقاقه من كان يكون ، ولكنَّه لمَّا كثر في الكلام صارت الميم كأنَّها أصلية ، والمكانُ : مذكَّر ... والمكانة : الموضع ، قال تعالى : (وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ))[٢].

دراسة النص :

قال الطبري في تفسير هذه الآية : (يقول –تعالى ذكره– : ولو نشاء لأقعدنا هؤلاء المشركين من أرجلهم في منازلهم ... فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم ، ولأن يرجعوا ورائهم ... والمكانة والمكان بمعنى واحد) [٣].

ففسَّر المكانة في هذه الآية بالمنازل ، وهي المواضع التي يسكن فيها الناس، فلا خلاف بينه وبين ابن منظور في ذلك .

ولم يبين الرازي معنى قوله (مكانتهم) في هذه الآية تفصيلاً ، ولكن قال : (وإنَّه لو شاء سلب قوة أجسامهم ومسخهم ، ولما قدروا على تقدم ولا تأخر) [٤].

وقوله هذا يتطلب التثبيت في المكانة ، أي : الموضع ، فوافقه ابن منظور معنوياً فقط ، وذكر القرطبي ثلاثة أقوال لأهل العلم في تفسير للآية ، كلُّها يتطلب أن يكون معنى (مكانتهم) في الآية هو المواضع والمساكن[٥].

فعلى ذلك يوافقه ابن منظور .

---

(١) سورة يس ، الآية [٦٧] . وتمام الآيـة : (وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ) .

(٢) لسان العرب ، مادة (كون) ، (٣٦٥/١٣) .

(٣) جامع البيان ، للطبري ، (٢٦/٢٣) .

(٤) التفسير الكبير ، للرازي ، (٩٠/٢٦) .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٥٠/١٥) .

ولم يُفسّر ابن كثير المكانة ، بل ركَّز تفسيره على المراد بالمسخ ، لكنه ذكر ما يُستفاد منه إرادة الموضع ، حيثُ قال : (فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا) ، أي : إلى أمام، (وَلَا يَرۡجِعُونَ) ، إلى وراء ؛ بل يلزمون حالاً واحداً لا يتقدمون ، ولا يتأخرون) [1].

فوافق ابن منظور في ذلك من حيثُ المعنى ، لا من حيثُ اللفظ .

وقال الزمخشري : (والمكانة والمكان واحد ، كالمقامة والمقام ، أي لمسخناهم مسخاً يجمدهم في مكانهم ، لا يقدرون أن يبرحوه بإقبال ولا إدبار ، ولا مضي ولا رجوع) [2].

فوافقه ابن منظور في ذلك أيضاً .

وجوه القراءات :

قرأ عاصم وحده في رواية أبي بكر (على مكاناتهم) بالجمع ، وقرأ حفص عن عاصم والباقون (مكانتهم) مفردة [3].

المعنى العام للآية :

في هذه الآية تكرار لتهديد الله تعالى للكفار والمشركين ومكذبي الرسل ، بقوله : (وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ) والمسخ هو تبديل الخلقة إلى حجر ، أو غيره من الجماد ، أو بهيمة ، والمكانة هي المكان ، أي : لو شئنا لبدلنا خلقهم على المكان الذي هم فيه . قال الحسن : لأقعدناهم ، (فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ) ، أي : لا يقدرون على ذهاب ولا مجيء ، فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم ، ولا يرجعوا وراءهم ، وكذلك الجماد لا يتقدم ولا يتأخر ، وقيل : المعنى لو نشاء لأهلكناهم في مساكنهم ، وقيل : لمسخناهم في المكان الذي فعلوا فيه المعصية ، وقيل : هذا كله يوم القيامة [4].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٥٧٩/٣) .

(٢) الكشاف ، للزمخشري ، (٢٨/٤) .

(٣) انظر : السبعة في القراءات ، لابن مجاهد البغدادي ، ص(٥٤٢ ، ٥٤٣) ، وانظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص٦٠٢ .

(٤) انظر : فتح القدير ، للشوكانيّ ، (٣٣٧٨/٤) .

النص رقم (١٢٠)

يقول تعالى : [...كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا][1].

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (وكان تكون جزاءً ... واختلف الناس في قوله تعالى : (كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا) ، فقال بعضهم : كان ههنا صلة ، ومعناه : كيف نكلم من هو في المهد صبيّاً ؟ وقال الفرَّاء : (كان هاهنا شَرْطٌ ، وفي الكلام تعجب ، ومعناه : من يكن في المهد صبيّاً فكيف يُكَلِّم؟) [2])[3].

دراسة النص :

لم يذكر الطبري شيئاً ممَّا نقله من بعده ابن منظور في معنى (كان) ، وإنَّما قال : (يقول –تعالى ذكره– : قال قومها لها : كيف نكلم من وُجد في المهد ؟ و (كان) في قوله : من كان في المهد صبيّاً ، معناها التَّمام لا التي تقتضي الخبر)[4]، فكان عنده بمعنى (وُجد) .

وكذلك الرازي يرى أنَّ (كان) هاهنا بمعنى : حصل ووجد . قال : وهذا هو الأقرب في تأويل هذا اللفظ ، وإن كان الناس قد ذكروا وجوهاً أُخر [5].

أمَّا القرطبي فقد وافق قوله في (كان) قول الفرَّاء الذي نقله عنه ابن منظور، قال القرطبي : (و(كان) هنا ليس يُراد بها الماضي ؛ لأَنَّ كل واحد قد كان في المهد صبيّاً ، وإنَّما هي في معنى : هو الآن ، وقال أَبوعبيدة [6]. (كان) هنا

---

(١) سورة مريم ، الاية (٢٩) ، وتمام الاية [فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا].

(٢) معاني القرآن ، للفرَّاء ، (١٦٥/٢) .

(٣) لسان العرب ، مادة (كون) ، (٣٦٥/١٣ ، ٣٦٦) .

(٤) جامع البيان ، للطبري ، (٧٩/١٦) .

(٥) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٧٨/٢١) .

(٦) أبوعبيدة : الإمام العلامة البحر ، أبوعبيدة معمَّر بن المثنى التيمي ، مولاهم البصريّ النحوي ، صاحب التصانيف ، وُلد سنة (١١٠هـ) ، في الليلة التي توفى فيها الحسن البصريّ النحوي ، لم يكن صاحب حديث ، بل توسع في علم اللسان ، وأيام الناس ، من كتبه ، مجاز القرآن ، وغريب الحديث ، وكتاب مقتل عثمان ، وكتاب أخبار الحجاج ، مات سنة (٢٠٩هـ) ، وقيل : سنة (٢١٠هـ) .

(انظر : سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، (٤٤٥/٩) .

لغو ، وقيل : هي بمعنى الوجود والحدوث ، كقوله : (وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ)[١]، وقال ابن الأنباري : لا يجوز أن يُقال زائدة ، وقد نصبت (صبيّاً) ، ولا أن يُقال (كان) بمعنى حدث ؛ لأنَّه لو كانت بمعنى الحدوث والوقوع لا ستغنى فيه عن الخبر ، تقول : كان الحر ، وتكتفي به ، والصحيح أنَّ (من) في معنى الجزاء ، وكان بمعنى يكن . التقدير : من يكن في المهد صبياً ، فكيف نكلمه؟) [٢].

ونحا ابن كثير منحى الطبري والرازي في ذلك ، حيثُ قال في معنى الآية : (أي : من هو موجود في مهده في حال صباه وصغره كيف يتكلم ؟) [٣].

فيكون ابن كثير بذلك مخالفاً لابن منظور أيضاً .

وفسَّر البغوي (كان) في هذه الآية بالضمير (هو) ، أي : من هو في المهد صبيّاً ، ثُمَّ ذكر القول الأول الذي أورده ابن منظور ، وهو أَنَّ (كان) في الآية صلة ، أي : كيف نكلم صبيّاً في المهد ، وقد يجيء (كان) حشواً في الكلام لا معنى له ، ونسب البغوي هذا القول إلى أبي عبيدة آنف الذكر [٤].

المعنى العام للآية :

التزمت مريم – عليها السلام – ما أُمرت به من ترك الكلام ، ولم يرد في هذه الآية أنَّها نطقت ، وإنَّما ورد أنَّها أشارت إليه ، ويُروى أنَّها لما أشارت إلى الطفل قالوا : استخفافها بنا أشدَّ علينا من زناها ، ثُمَّ قالوا لها على جهة التقرير : كيف نكلم من كان في المهد صبيًّا ؟ وكان هي التامة ، بمعنى هو ، وقيل : إنَّها لغو ، وقيل : شرطية ، ويُراد بالمهد حجر أُمه[٥].

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٨٠) ، وانظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة معمّر بن المثنى التيمي، تحقيق: محمد فؤاد سزكين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، (١/٢) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٠٢/١١) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١٢٠/٣) .

(٤) انظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (١٩٤/٣) .

(٥) انظر : المحرر الوجيز ، لابن عطية ، (١٤/٤) .

النص رقم (١٢١) و (١٢٢)

يقول تعالى : [...وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا][(١)].

ويقول تعالى : [كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ...][(٢)].

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (وأمَّا قوله – عزَّ وجل – : (وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا) وما أَشبهه ، فإنَّ أبا إسحاق الزجَّاج قال : قد اختلف الناس في (كان) ، فقال الحسن البصري : كان الله عفواً غفوراً لعباده ، وعن عباده قبل أن يخلقهم ، وقال النحويون البصريون : كأنَّ القوم شاهدوا من الله رحمة ، فأُعلموا أنَّ ذلك ليس بحادث ، وأنَّ الله لم يزل كذلك ، وقال قوم من النحويين : كان وفعل من الله بمنزلة (ما) في الحال ، فالمعنى والله أعلم : والله عفوٌّ غفور [(٣)]... ورُوي عن ابن الأعرابي في قوله – عزَّ وجل– : (كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ) أي : أنتم خير أمة. قال : ويُقال : معناه كنتم خير أمة في علم الله)[(٤)].

دراسة النصين :

قال الطبري في معنى قوله : (وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا) : (يقول : لم يزل الله عفوَّاً ، يعني ذا صفح بفضله عن ذنوب عباده بتركه العقوبة عليها ، غفوراً ساتراً عليهم ذنوبهم بعفوه لهم عنها) [(٥)].

---

(١) سورة النساء ، الاية [٩٩] . وتمام الآية : [فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا].

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١١٠) . وتمام الآية : [كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ] .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٧٨/٢) .

(٤) لسان العرب ، مادة (كون) ، (٣٦٦/١٣) .

(٥) جامع البيان ، للطبري ، (٢٣٣/٥) .

فيقتضي كلامه أنَّ الله كان ولم يزل عفوّاً غفوراً ، وهذا يتفق مع كلام النحويين البصريين الذي نقله عنهم ابن منظور .

أمَّا في آية آل عمران فلم يتطرق الطبري إلى المراد من قوله (كنتم) [١].

فلا وجه للمقارنة بينه وبين ابن منظور فيها .

ونقل الرازي عن الزجَّاج في قوله (كان) ثلاثة أوجه ، الأول منها : كان قبل أن خلق الخلق موصوفاً بهذه الصفة [٢].

وذكر في معنى قوله : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ) أنَّكم كنتم في اللوح المحفوظ خير الأُمم وأفضلهم ، ثم ذكر اختلاف المفسرين في هذه اللفظة [٣].

فوافق قوله الأول قول الحسن البصري الذي أورده ابن منظور ، ووافق قوله الثاني ، القول الأخير الذي ذكره ابن الأعرابي ونقله عنه ابن منظور .

واكتفى القرطبي في تفسير قوله تعالى : (وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا) بقوله : (والماضي والمستقبل في حقه تعالى واحد)[٤].

فيفهم من كلامه أنَّه يريد : إنَّ الله كان ولم يزل في الحاضر والمستقبل عفوّاً غفوراً لعباده .

وذكر في قوله : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ) أقوال أهل العلم في التفسير ، ومن بينها القولين اللَّذين ذكرهما ابن منظور في لفظة (كنتم) ، ونسبهما إلى ابن الأعرابي[٥].

ففي الموضعين يوافقه ابن منظور فيما نقله عن أهل العلم في ذلك .

ولم يذكر ابن كثير شيئاً في معنى (كان) في آية النساء [٦]، ولا (كنتم) في آية آل عمران [٧] ، فلا مقارنة بينه وبين ابن منظور في ذلك .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (٤/٤٣) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي (١١/١٢) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (٨/١٥٥) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٥/٣٤٧) .

(٥) انظر : المرجع السابق ، (٤/١٧٠) .

(٦) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١/٥٤٣) .

(٧) انظر : المرجع السابق ، (١/٣٩٢) .

ووافق قول النسفي في آية النساء قول الحسن البصري الذي أورده ابن منظور في ذلك ، حيث قال النسفي (وكان الله عفواً غفوراً لعباده قبل أن يخلقهم)[1].

ووافق بعضاً من قوله في آية آل عمران قول ابن الأعرابي الثاني الذي ذكره، ونقله عنه ابن منظور ، حيثُ قال النسفي : (كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ) كأنَّه قيل : وُجِدتم خير أُمة ، أو كنتم في علم الله ، أو في اللوح خير أُمة ، أو كنتم في الأُمم قبلكم مذكورين بأنَّكم خير أُمّة ، موصوفين به) [2].

المعنى العام للآيتين :

١- آية النساء :

العفو في الآية مقصور على المستضعفين حقيقة ، من الذين لا قدرة لهم على الهجرة بوجه من الوجوه ، وعسى ونحوها من الله واجب وقوعها بمقتضى كرمه وإحسانه ، وفي الترجية بالثواب لمن عمل بعض الأعمال فائدة ، وهو أنَّه لا يوفيه حق توفيته ، ولا يعمله على الوجه اللائق الذي ينبغي ، بل يكون مقصراً فلا يستحق ذلك الثواب ، والله أعلم . وفي الآية الكريمة دليل على أنَّ من عجز عن المأمور به من واجب وغيره، فإنَّه معذور[3].

٢ - آية آل عمران :

أي : كنتم يا أمة محمد في علم الله –تعالى– خير أُمة أُظهرت للناس ، لهذه الأسباب التي تميزتم بها عن سائر الأُمم ، فأنتم خير الناس للناس نصحاً ومحبةً للخير ، ودعوة وتعليماً وإرشاداً وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ، وإنَّ أهل الكتاب لو آمنوا بمثل ما آمنتم به لاهتدوا وكان خيراً لهم ، لكن آمن منهم القليل ، وأمَّا الكثير منهم فهم فاسقون خارجون عن طاعة الله ، وطاعة رسوله ، محاربون للمؤمنين ، ساعون في إضرارهم [4].

---

(١) مدارك التنزيل ، للنسفي ، (٢٤٣/١) .

(٢) المرجع السابق ، (١٧٢/١) .

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعديّ ، ص١٩٦ .

(٤) انظر : المرجع السابق ، ص ١٤٣ ، وانظر : تفسير الجلالين ، للمحليّ والسيوطي ، ص ٨١.

النص رقم (١٢٣) و (١٢٤) و (١٢٥) و (١٢٦)

يقول تعالى : [...وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا][١] .

ويقول تعالى : [إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا][٢] .

ويقول تعالى : [... إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَـٰتِنَا عَنِيدًا][٣] .

ويقول تعالى : [...كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً][٤] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (ومن شواهدها [أي : كان] بمعنى اتصال الزمان من غير انقطاع قوله سبحانه : (وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) ، أي : لم يزل على ذلك ... وفي القرآن العظيم أيضاً : (إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا)، وفيه : (إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَـٰتِنَا عَنِيدًا)، وفيه : (كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً))[٥] .

دراسة النصوص :

وافق ابن منظور الطبري في مدلول (كان) في قوله : (وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) . قال الطبري : (وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) ، يقول : ولم يزل الله ذا عفو عن عقوبة التائبين إليه من ذنوبهم ومعاصيهم من عباده ، وذا رحمة بهم أن يعاقبهم على ذنوبهم بعد توبتهم منها) [٦] .

---

(١) سورة الفتح ، الآية (١٤) . وتمام الآية : [وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا] .

(٢) سورة الإنسان ، الآية (٢٢) .

(٣) سورة المدثر ، الآية (١٦) . وتمام الآية : [كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَـٰتِنَا عَنِيدًا] .

(٤) سورة الإنسان ، الآية (١٧) . وتمام الآية : [وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً] .

(٥) لسان العرب ، مادة (كون) ، (٣٦٧/١٣) .

(٦) جامع البيان ، للطبري ، (٧٩/٢٦) .

أمَّا في آيتي الإنسان وآية المدثر فاكتفى الطبري بالتفسير دون أن يتطرق لبيان مدلول (كان) فيها[1] .

ولم يتعرض الرازي كذلك لبيان معنى (كان) في آية الفتح ، وكذا في آيتي الإنسان[2] ، أمَّا في آية المدثر فقد قال : (إنَّ قوله : (إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَـٰتِنَا عَنِيدًا) يدل على أنَّه* من قديم الزمان كان على هذه الحرفة والصنعة) [3] .

فقوله هذا يفيد الاستمرارية ، أي : إنَّه كان معانداً في قديم الزمان ، ثُمَّ استمر على ذلك حتى مات ، وبهذا يتفق معه ابن منظور في أنَّ (كان) هنا بمعنى اتصال الزمان من غير انقطاع .

ولم يتعرض القرطبي لبيان معنى (كان) في المواضع الثلاثة الأولى[4] ، أمَّا في الموضع الرابع – وهو آية الإنسان (١٧) ، فقد قال : ((كان) : صلة ، أي : مزاجها زنجبيل ، أو كان في حكم الله زنجبيلاً) [5] .

فالمعنى عنده يدور بين أمرين ، الأول : أنَّ (كان) وردت صلة ، والثاني : أنَّ (كان) هي الناقصة ، ويُراد بها الماضي ، أي : في حكم الله .

فقوله الأول (صلة) هو بمعنى اتصال الزمان من غير انقطاع ، وهو ما يقول به ابن منظور .

أمَّا ابن كثير فلم يتناول (كان) بالشرح والتفصيل في المواضع الأربعة[6] ، فلا وجه للمقارنة بينه وبين ابن منظور في إحداها .

وقال السيوطي في آية الفتح : (وكان الله غفوراً رحيماً ، أي : لم يزل متصفا بما ذكر) [7] .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (٢٢٣/٢٩) ، (١٥٤/٢٩) ، (٢١٨/٢٩) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٧٨/٢٨) ، (٢٢٥/٣٠) ، (٢٢٠/٣٠) .

* هاء الضمير يعود على الوليد بن المغيرة كما بيَّن ذلك الرازي.(انظر : المرجع السابق ، (١٧٥/٣٠)) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (١٧٦/٣٠) .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٧٠/١٦) ، (١٤٧/١٩) ، (٧٢/١٩) .

(٥) المرجع السابق ، (١٤١/١٩) .

(٦) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١٩٠/٤) ، (٤٥٨/٤) ، (٤٤٣/٤) ، (٤٥٧/٤) .

(٧) تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٦٨٠ .

أمَّا في المواضع الثلاثة الأخيرة ، فلم يتعرض لبيان المراد بقوله (كان) [1] .

سبب النزول :

آية المدثر : ذكر الواحديّ في سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنَّ الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي – ﷺ– فقرأ عليه القرآن ، وكأنه رقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فقال له : يا عم ، إنَّ قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه ، فإنَّك أتيت محمداً تتعرض لما قِبَلَهُ ، فقال : قد علمت قريش أنَّي من أكثرها مالاً . قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنَّك منكر له وكاره . قال : وماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزها وبقصيدها مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إنَّ لقوله الذي يقول حلاوة ، وإنَّ عليه لطلاوة ، وإنَّه لمثمر أعلاه ، معذق أسفله ، وإنَّه ليعلو وما يُعلى . قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال : فدعني حتى أفكر فيه ، فقال : هذا سحر يؤثر ، يأثره عن غيره ، فنزلت : (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا)[2] الآيات كلها[3] .

المعنى العام للآيات :

١/ آية الفتح :

في هذه الآية يُبيِّن الله –تعالى– أنَّه المنفرد بملك السموات والأرض يتصرف فيهما بما يشاء من الأحكام القدرية والشرعية والجزائية ، لهذا ذكر حكم الجزاء المترتب على الأحكام الشرعية ، فقال : يغفر لمن يشاء ، وهو من قام بما أمره الله به ، ويُعذِّب من يشاء ، مِمَّن تهاون بأمر الله ، وكان الله غفوراً رحيماً ، أي : وصفه اللازم الذي لا ينفك عنه المغفرة والرحمة ، فلا يزال في جميع الأوقات يغفر للمذنبين ، ويتجاوز عن الخاطئين ، ويتقبل توبة التائبين[4].

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ٧٨٣ و ص ٧٧٦ و ص ٧٨٢ .

(٢) سورة المدثر ، الآية (١١) .

(٣) انظر : أسباب النزول : للواحدي ، ص ٤٧٨. وانظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص (٢٢٣ ، ٢٢٤) . والآيات التي نزلت في الوليد في سورة المدثر من الآية (١١) إلى الآية (٢٦) .

(٤) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ٧٩٣ .

٢/ آية الإنسان (١٧) :

يُخبر الله – تعالى – في هذه الآية أنَّ من النعم التي يهبها لعبادة الأبرار في الجنة أنَّهم يُسقون في الأكواب كأساً ، أي : خمراً ، كان مزاجها زنجبيلاً ، فتارة يُمزج لهم الشراب بالكافور – وهو بارد – وتارة يُمزج لهم بالزنجبيل – وهو حار – ليعتدل الأمر ، وقيل : عين في الجنة تُسمي سلسبيلاً(١) .

٣/ آية المدثر :

هذه الآية والآيات قبلها وبعدها نزلت في الوليد بن المغيرة الذي رزقه الله –تعالى– بالمال والولد والوجاهة والرياسة ، ثُمَّ يطمع أن يزيده ، فقال –تعالى– في حقه : (كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَـٰتِنَا عَنِيدًا) ، ففي ذلك ردع له ، وتعليل للردع على سبيل الاستئناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لإزالة النعمة ، المانعة عن الزيادة ، قيل : ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان ماله حتى هلك(٢) .

٤/ آية الإنسان (٢٢) :

بعد أن عدَّد الله –تعالى– في الآيات السابقة النعم التي أعدَّها لأهل الجنة قال لهم : إنَّ هذا النعيم كان لكم جزاءً لأعمالكم ، وكان سعيكم مشكوراً ، أي : محموداً مقبولاً مرضياً عندنا(٣) .

النص رقم (١٢٧) و (١٢٨) و (١٢٩)

يقول تعالى : [فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ](٤) .

ويقول تعالى : [فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا](٥) .

ويقول تعالى : [...وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً](٦) .

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤/ ٤٥٧) .

(٢) انظر : أنوار التنزيل ، للبيضاويّ ، (٥/٤١٣) .

(٣) انظر : مدارك التنزيل ، للنسفيّ ، (٤/٣٠٥) .

(٤) سورة الرحمن ، الآية (٣٧) .

(٥) سورة الواقعة ، الآية (٦) .

(٦) سورة المزمل ، الآية (١٤) . وتمام الآية : [يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (ومن أقسام (كان) الناقصة أيضاً ، أن تأتي بمعنى : صار ، كقوله سبحانه ... (فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةً كَٱلدِّهَانِ) ، وفيه : (فَكَانَتۡ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا) ، وفيه : (وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً))(١) .

دراسة النصوص :

لم يتعرض الطبري لبيان مدلول (كانت) في الآيات الثلاث(٢) ، فلذلك لا يُمكن المقارنة بينه وبين ابن منظور في ذلك .

وكذا الرازي لم يذكر مدلول قوله : (فكانت) في آيتي الرحمن والواقعة(٣) ، أمَّا في آية المزمل فقد قال : (إنَّه –تعالى– يُفرِّق تركيب أجزاء الجبال ، وينسفها نسفاً ، ويجعلها كالعهن المنفوش ، فعند ذلك تصير كالكثيب ، ثُمَّ إنَّه –تعالى– يُحركها ... فند ذلك تصير مهيلاً) (٤) .

فوافقه ابن منظور في أنَّ مدلول الفعل (كان) في هذه الآية هو الصيرورة .

وقال القرطبي في آية الرحمن : (الدِّهان : الدهن عن مجاهد والضحاك وغيرهما، والمعنى : إنَّها صارت في صفاء الدهن ، والدهان على هذا جمع دهن)(٥).

ولم يتعرض القرطبي لمدلول قوله : (فكانت) في آية الواقعة(٦) ، ولم يذكر في مدلولها في آية المزمل شيئاً غير قوله : (أي : وتكون) (٧) .

فوافقه ابن منظور في آية الرحمن .

---

(١) لسان العرب ، مادة (كون) ، (٣٦٧/١٣) .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٤١/٢٧ ، ١٦٨) ، (١٣٦/٢٩) .

(٣) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٠١/٢٩ ، ١٢٤) .

(٤) المرجع السابق ، (١٦١/٣٠) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٧٣/١٧) .

(٦) انظر : المرجع السابق ، (١٩٧/١٧) .

(٧) المرجع السابق ، (٤٧/١٩) .

ولم يتعرض ابن كثير لبيان معنى (كانت) في آيتي الرحمن والواقعة[1] ، أمَّا آية المزمل فقد قال فيها : (وكانت الجبال كثيباً مهيلاً ، أي : تصير ككثبان الرمل بعد ما كانت حجارة صمَّاء، ثُمَّ إنَّها تُنسف نسفاً ، فلا يبقي منها شيء إلاَّ ذهب)[2].

فوافق ابن منظور في هذا النص الثالث ، حيثُ فسَّر قوله : (وكانت) بأنَّ معناه : (تصير) .

وكذلك وافق ابن منظور الإمام السمرقندي الذي قال في آية الرحمن : (يعني : صارت كدهن الورد الصافي من الخوف ، وهذا قول مقاتل)[3].

أمَّا في آية الواقعة فقد سكت عن مدلول قوله (فكانت)[4] .

وقال في آية المزمل : (وكانت ، يعني : وصارت الجبال كثيباً مهيلاً ، يعني صارت الجبال رملاً سائلاً) [5] .

المعنى العام للآيات :

١/ آية الرحمن :

(فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ) ، أي : يوم القيامة من الأهوال، وكثرة الأوجال وترادفها ، فانخسفت شمسها وقمرها ، وتناثرت نجومها (فَكَانَت) من شدة الخوف والانزعاج (وَرۡدَةً كَٱلدِّهَانِ) ، أي : صارت كالمهل والرصاص المذاب ونحوه[6].

٢/ آية الواقعة :

أخبر الله –تعالى– في الآية السابقة أنَّ الجبال يوم القيامة تُبَسُّ بسّاً ، أي : تُفتت حتى تصير كالدقيق المبلول ، وفي هذه الآية يُخبر أنَّها تصيرُ بعد ذلك غباراً متفرقاً ، كالذي يُري في شعاع الشمس إذا دخل الكوة ، وهو الهباء[7] .

٣/ آية المزمل* :

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٧٦/٤ ، ٢٨٣) .

(٢) المرجع السابق ، (٤٣٨/٤ ، ٤٣٩) .

(٣) بحر العلوم ، للسمرقندي ، (٣٦٤/٣) .

(٤) انظر : المرجع السابق ، (٣٦٩/٣) .

(٥) المرجع السابق ، (٤٨٨/٣) .

(٦) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ٨٣١ .

(٧) انظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٢٧٩/٤) .

* سبق تفسيرها في النص رقم (٣٠) ، مادة (كثب) ، فلا حاجة لبيان معناها مرة أخرى .

النص رقم (١٣٠)

يقول تعالى : [...فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ...][١] .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (واسْتَكَانَ الرجلُ : خَضَعَ وذَلَّ ... قال الأزهرى : وفي التنزيل العزيز: (فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ) ، من هذا ، أي : ما خضعوا لربهم[٢])[٣] .

دراسة النص :

وافق ابن منظور في ذلك الإمام الطبري الذي قال في تفسير هذا الجزء من الآية : (فما خضعوا لربهم ، فينقادوا لأمره ونهيه وينيبوا إلى طاعته ، وما يتضرعون ، يقول : وما يتذللون له) [٤] .

أمَّا عند الرازي فإنَّ الاستكانة تُفسَّر بالطاعة والإفضاء إلى الإيمان ، فيكون معنى (فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ) فما أطاعوا ، وما دعاهم ذلك العذاب إلى الإيمان ، كما يتضح ذلك من الوجوه التي ذكرها الرازي في هذا المعنى[٥] .

وعندي أنَّ الخضوع والتذلل الذي ذكره ابن منظور ، والطاعة والإفضاء إلى الإيمان بمعنى واحد ، فعلى هذا يكون التوافق بين ابن منظور والرازي من حيثُ المعنى ، لا من حيث اللفظ .

وأمَّا القرطبي فقد جاءت موافقة ابن منظور له من حيثُ اللفظ ، حيثُ قال القرطبي : (فما استكانوا لربهم ، أي : ما خضعوا) [٦] .

وقال ابن كثير في معنى الآية : (فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ)، أي : فما ردَّهم ذلك عمَّا كانوا فيه من الكفر والمخالفة ، بل استمرُّوا على غيهم وضلالهم ، ما استكانوا ، أي : ما خشعوا) [٧] .

(١) سورة المؤمنون، الآية (٧٦). وتمام الآية : [وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ] .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (كان) ، (١٠/٣٧٤) .

(٣) لسان العرب ، مادة (كون) ، (١٣/٣٧١) .

(٤) جامع البيان ، للطبري ، (١٨/٤٤) .

(٥) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٣/٩٩) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٢/١٤٣) .

(٧) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣/٢٥٢) .

وما ذكره ابن كثير هنا يتفق مع ما ذكره ابن منظور من حيث المعنى كذلك وجاء تفسير الاستكانة عند ابن منظور متطابقاً كذلك مع ما ذكره الإمام السمعاني تطابقاً لفظياً ، حيثُ قال السمعاني في معنى قوله : (فَمَا ٱسْتَكَانُواْ) : (أي : ما خضعوا وما ذلُّوا لربهم ، والاستكانة طلب السكون) [1] .

سبب النزول :

سبب نزول هذه الآية – فيما ذكره السيوطي – أنَّ ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : جاء أبوسفيان[2] إلى النبي – ﷺ – فقال : يا مُحمد أنشدك بالله والرحم قد أكلنا العِلْهِزَ* – يعني الوبر والدم – فأنزل الله : (وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ)[3] .

المعنى العام للآية :

(وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ) ، أي : أخذنا أولئك الذين لا يؤمنون بالآخرة والبعث من الكافرين بالجوع ، وقيل : بالأمراض والحاجة والجوع ، وقيل : بالقتل والجوع ، (فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ) ، أي : ما خضعوا له ، (وَمَا يَتَضَرَّعُونَ) ، أي : ما يخشعون لله – عزَّ وجل – في الشدائد تصيبهم[4] .

---

(١) تفسير القرآن ، للسمعاني ، (٣/٤٨٥) .

(٢) أبوسفيان : هو صخر بن حرب بن أُمية بن عبدشمس بن عبدمناف ، أبوسفيان القرشي الأموي ، كان يُكني أبا حنظلة ، و أمه صفية بنت حزن الهلالية عمة ميمونة زوجة النبي ﷺ . والد معاوية . أسلم عام الفتح ، وشهد حنيناً والطائف ، كان من المؤلفة ، وكان قبل ذلك رأس المشركين يوم أحد ويوم الأحزاب ، تزوج النبي ﷺ ابنته أم حبيبة قبل أن يُسلم مات سنة (٣٤هـ) ، وقيل : سنة (٣١هـ) ، وقيل : سنة (٣٢هـ) . (انظر : الإصابة ، لابن حجر ، (٣/٤١٢)) .

*العِلْهِزُ : وَبَرٌ يخلط بدماء الحَلَم ، كانت العرب في الجاهلية تأكله في الجَدْبِ ، والوَبَرُ : صوف الإبل والأرانب ونحوها ، والجمع أوبار .

(انظر : لسان العرب ، مادة (علهز) ، (٥/٣٨١) ، ومادة (وبر) ، (٥/٢٧١)) .

(٣) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ١٥١ .

وهذا الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ، ٢٧- كتاب التفسير ، ٢٤- تفسير سورة المؤمنون ، حديث رقم (٣٤٨٨) ، (٢/٤٢٨) .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٢/١٤٣) .

النص رقم (١٣١)

يقول تعالى : [كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا ...][1] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (كَيْفَ : اسم معناه الاستفهام ... الأزهري : كيف : حرف أداة ، ونَصْبُ الفاء فراراً به من الياء الساكنة فيها لئلا يلتقي ساكنان[2] .

وقال الزجَّاج في قول الله –تعالى-:(كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا) الآية : تأويل كيف استفهام في معنى التعجب ، وهذا التعجب إنَّما هو للخلق والمؤمنين ، أي : اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون وقد ثبتت حجة الله عليهم[3] ... الجوهريّ : (كيف : اسمٌ مبهمٌ غير متمكّن ، وإنَّما حُرِّك آخره لالتقاء الساكنين ، وبُني على الفتح دون الكسر لمكان الياء ، وهو للاستفهام عن الأحوال ، وقد يقع بمعنى التعجب[4])[5] .

دراسة النص :

قال أبوجعفر الطبري في معنى (كيف) في هذه الآية : (وكيف بمعنى التعجب والتوبيخ ، لا بمعنى الاستفهام ، كأنَّه قال : ويحكم كيف تكفرون بالله ، كما قال : (فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ)[6]) [7] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٨) . وتمام الآية : [كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ] .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (كيف) ، (٣٩٢/١٠) .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزَّجَّاج ، (١٠٠/١) .

(٤) الصحاح للجوهري ، مادة (كيف) ، (١٤٢٥/٤) . وقال الجوهري : (وقد يقع بمعنى التعجب كقوله تعالى : [كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ]) .

(٥) لسان العرب ، مادة (كيف) ، (٣١٢/٩ ، ٣١٣) .

(٦) سورة التكوير ، الآية (٢٦) .

(٧) جامع البيان ، للطبري ، (١٩٠/١) .

فالتقى ابن منظور – فيما نقله عن الزجَّاج والجوهري – مع الإمام الطبري في أنَّ المراد من قوله (كيف) ليس مجرد الاستفهام ، وإنَّما هو للتعجب ، غير أنَّ الطبري زاد عليه أنَّ في الآية توبيخ لهم أيضاً .

وخالف ابن منظور الإمام الرازي ؛ لأنَّ في كلامه معنى التوبيخ فقط ، حيثُ قال : (واعلم أنَّ قوله : كيف تكفرون بالله وإن كان بصورة الاستخبار فالمراد به التبكيت والتعنيف) [1].

ووافق القرطبي الذي اختار معنى التعجب ، مع ذكره للقول الآخر الذي يقضي بأنَّ الاستفهام معناه التوبيخ ، حيثُ قال : (كيف سؤال عن الحال ، وهي اسم في موضع نصب بتكفرون ، وهي مبنية على الفتح ، وكان سبيلها أن تكون ساكنة ، لأنَّ فيها معنى الاستفهام الذي معناه التعجب ... أي : هؤلاء ممن يجب أن يتعجب منهم حين كفروا ، وقد ثبتت عليهم الحجة ... وقيل : كيف لفظه لفظ الاستفهام وليس به ، بل هو تقرير وتوبيخ ، أي : كيف تكفرون نعمه عليكم وقدرته هذه) [2].

أمَّا ابن كثير فاكتفى بتفسير الآية دون أن يبيِّن المراد من الاستفهام ، هل هو للتعجب أم للتوبيخ ، وإن كان في كلامه معنى التوبيخ لهم ، حيثُ قال : (أي : كيف تجحدون وجوده ، أو تعبدون معه غيره ... وقد كنتم عدماً فأخرجكم إلى الوجود؟) [3] .

وقال الكلبي – مخالفاً لابن منظور – في معنى (كيف) في الآية التي بين أيدينا : (كيف تكفرون موضعها الاستفهام ، ومعناها هنا الإنكار والتوبيخ) [4] .

فما ذكره الكلبي هنا في معنى (كيف) لم يورده ابن منظور .

---

(١) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٣٨/٢) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٤٨/١ ، ٢٤٩) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٦٨/١) .

(٤) التسهيل ، للكلبي ، (٤٣/١) .

المعنى العام للآية :

الخطاب في هذه الآية مع الذين كفروا لما وصفهم بـــالكفر وســـوء المقـــال وخبث الفعال – خاطبهم على طريقة الالتفات ، ووبَّخهم على كفرهم مـــع علمهـــم بحالهم المقتضية خلاف ذلك ، وفي الآية استخبار فيه إنكـــار وتعجيـــب لكفـــرهم وتوبيخ لهم ، والمعنى : أخبروني على أي حال تكفرون ، وكنتم أجساماً لا حيـــاة لها : عناصر وأغذية و أخلاطاً ونطفاً ومضغاً مخلقة وغير مخلقة ، فأحياكم بخلق الأرواح ونفخها فيكم ، ثُمَّ يُميتكم عندما تنقضي آجالكم ، ثُمَّ يحييكم بالنشـــور يـــوم ينفخ في الصور ، أو للسؤال في القبور ، ثُمَّ إليه تُرجعون بعد الحشـــر فيجـــازيكم بأعمالكم ، أو تنشرون إليه من قبوركم للحساب ، فما أعجب كفركم مـــع علمكـــم بحالكم هذه! [1] .

النص رقم (١٣٢) و (١٣٣)

يقول تعالى : [ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ][2] .

ويقول تعالى : [وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ ...][3] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (وقوله تعالى : (ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ)، أي : اكتالوا منهم لأنفسهم . قال ثعلب : معناه : من الناس ... وكلت فلاناً طعاماً، أي : كلت له . قال الله تعالى : (وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ) ، أي : كالوا لهـــم ... واكْتَلْتُ عليه : أخذتُ منه . يُقال : كال المعطي ، واكتال الآخذ)[4].

---

(١) انظر : أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، (١/٢٦٧ – ٢٦٩) .

(٢) سورة المطففين ، الآية (٢) .

(٣) سورة المطففين ، الآية (٣) . وتمام الآية : [وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ] .

(٤) لسان العرب ، مادة ، (كيل) ، (١١/٦٠٤) .

دراسة النصين :

قال الطبري في تفسير هاتين الآيتين : (يقول –تعالى– ذكره : الذين إذا اكتالوا من الناس مالهم قِبَلَهم من حق يستوفونه لأنفسهم ، فيكتالونه منهم وافياً ، و(على) و (من) في هذا الموضع يتعاقبان ، غير أنَّه إذا قيل : اكتلت منك ، يُراد استوفيتُ منك ، وقوله : وإذا كالوهم أو وزنوهم يقول : وإذا هم كالوا للناس أو وزنوا لهم ، ومن لغة أهل الحجاز أن يقولوا : وزنتك حقك ، وكلتك طعامك ، بمعنى : وزنتُ لك ، وكِلْتُ لك) [١] .

فوافقه ابن منظور في ذلك .

وذكر الرازي في معنى قوله (اكتالوا) وجهين ، الثاني منهما هو اختيار ابن منظور ، وهو أنَّ المراد : اكتالوا من الناس ، وعلى ومن في هذا الموضع يعتقبان، ونسب هذا القول إلى الفرَّاء .

كما ذكر في قوله (كالوهم) ثلاثة أوجه ، أحدها قول ابن منظور : إنَّ المعنى كالوا لهم أو وزنوا لهم ، فحذف الجار و أوصل الفعل ، ونسب الرازي هذا القول إلى الكسائي والفرَّاء[٢] .

ونقل القرطبي في تفسير هاتين الآيتين قولي الفرَّاء والزجَّاج في معنى قوله : (ٱكۡتَالُوا عَلَى ٱلنَّاسِ) ، وهو أنَّ المراد : اكتالوا منهم، أي : استوفوا منهم ، وذكر أنَّ المراد بقوله: (كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ) ، أي : كالوا لهم ، أو وزنوا لهم[٣] .

وهذا الذي ذكره القرطبي هنا يوافقه قول ابن منظور .

وذكر ابن كثير في معنى (اكتالوا) أنَّ المراد من الناس ، وقال : إنَّ الأحسن أن يجعل كالوا ووزنوا متعدياً ، ويكون (هم) في محل نصب[٤] .

فوافق بذلك ابن منظور .

---

(١) جامع البيان ، للطبري ، (٩١/٣٠) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٨٠/٣١ ، ٨١) ، وانظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٢٤٥/٣ ، ٢٤).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٥٢/١٩) وانظر : المرجع السابق الثاني (٢٤٥/٣ ، ٢٤٦).

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٨٤/٤) .

وقال البيضاوي في معنى الآيتين : (وإنَّما أبدل (على) بمن للدلالة على أن اكتيالهم لما لهم على الناس ، أو اكتيال يتحامل فيهم عليهم وإذا كالوهم أو وزنوهم، أي : إذا كالوا للناس أو وزنوا لهم ... فحذف الجار وأوصل الفعل) [1].

فوافق ابن منظور البيضاوي كذلك ، إلاَّ أنَّ البيضاوي كان أكثر توضيحاً وتفصيلاً ، حيثُ ذكر وجه الدلالة في إبدال (على) في الآية بمن ، وذكر في قوله (كالوهم) حذف الجار وإيصال الفعل .

المعنى العام للآيتين :

يُخبر الله –تعالى– في هاتين الآيتين والآية التي قبلهما أنَّ الويل يوم القيامة للمطففين ، والويل هو : الدعاء بالشدة والهلاك ، وقيل : هو وادٍ في جهنم يسيل فيه صديد أهل النار ، والمطففين هم الذين يبخسون حقوق الناس في الكيل والوزن ، الذين إذا اكتالوا على الناس ، أي : أخذوا بالكيل من الناس ، يستوفون ، أي : يأخذون حقوقهم تامة وافية ، وإذا كالوهم أو وزنوهم ، أي : كالوا لهم ، ووزنوا لهم يخسرون ، أي : ينقصون[2] .

النص رقم (١٣٤)

يقول تعالى : [وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ...][3] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (كأيِّن : ... تستعمل في الخبر والاستفهام مثل : كم ... وتقول في الخبر : كأي من رجل قد رأيت ، تريد به التكثير ، فتخفض النكرة بعدها بمن ... وفي التنزيل العزيز: (وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ) ... كأي بمعنى كم ، وكم بمعنى الكثرة) [4] .

---

(١) أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، (٤٦٣/٥) .

(٢) انظر : تفسير القرآن ، للسمعاني ، (١٧٧/٦) . وانظر : الوجيز ، للواحدي ، (١١٨٢/٢) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية (١٤٦) . وتمام الآية : [وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ] .

(٤) لسان العرب ، مادة (كين) ، (٣٧٢/١٣) .

دراسة النص :

وافق ابن منظور في ذلك الطبري الذي قال في معنى قوله (كأين) : (ومعناه : وكم من نبي) [١] .

ووافق كذلك الرازي ، الذي قال : (فالمعنى : وكم من نبي) [٢] .

ووافقه القرطبي ، حيثُ قال : (وكأين بمعنى : كم) [٣] .

ووافق ابن كثير ، حيثُ قال : (معناه : كم من نبي) [٤] .

ووافق البغوي الذي قال : (ومعناه : وكم) [٥] .

وجوه القراءات :

اختلف أهل القراءة في الهمز من قوله : (وكأين من نبي) ، فقرأ ابن كثير وحده : (وكائِن) الهمز بين الألف والنون ، في وزن (كاعن) ، وقرأ الباقون : (وكأيّن) الهمزة بين الكاف والياء المشددة ، في وزن (كَعَيّن) [٦] .

المعنى العام للآية :

يُخبر الله –تعالى– في هذه الآية بما لقي الأنبياء والمؤمنون قبل هؤلاء المؤمنين ، فيُعزيهم ليصبروا ، حيثُ قال تعالى : (وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ) ، أي : وكم من نبي ، (قَـٰتَلَ مَعَهُۥ) وقرئ (قُتِل) بضم القاف وكسر التاء ، (رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ) أي : جموع كثيرة ، (فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) من القتال وما عجزوا بما نزل بهم من قتل أنبيائهم وأنفسهم ، (وَمَا ضَعُفُواْ) لعدوهم ، ويُقال : وما جبنوا ، (وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ) أي:وما خضعوا لعدوهم ولكنهم صبروا،(وَٱلله يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ)[٧].

---

(١) جامع البيان ، للطبري ، (١١٦/٤) .

(٢) التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٢/٩) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٢٨/٤) .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤١١/١) .

(٥) معالم التنزيل ، للبغوي ، (٣٥٩/١) .

(٦) انظر : السبعة في القراءات ، لابن مجاهد البغدادي ، ص ٢١٦ ، وانظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص (١٧٤ ، ١٧٥) .

(٧) انظر : بحر العلوم ، للسمرقندي ، (٢٨٠/١) .

الفصل الثاني

دراسة النصوص القرآنية الواقعة في حرف اللام

النص رقم:(١٣٥) و (١٣٦) و (١٣٧) و (١٣٨) و (١٣٩) و (١٤٠) و (١٤١) و (١٤٢)

يقول تعالى : [لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ](١) .

ويقول تعالى : [لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ...](٢).

ويقول تعالى : [...وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ](٣).

ويقول تعالى : [وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ](٤).

ويقول تعالى : [وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ * مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ](٥).

ويقول تعالى : [...غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ](٦).

ويقول تعالى : [...مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ...](٧).

ويقول تعالى : [فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ](٨).

---

(١) سورة القيامة ، الآية (١) .

(٢) سورة الحديد ، الآية (٢٩) . وتمام الآية : [لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ] .

(٣) سورة الأنعام ، الآية (١٠٩) . وتمام الآية : [وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ] .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية (٩٥) .

(٥) سورة الصافات ، الآيتان (٢٤ ، ٢٥) .

(٦) سورة الفاتحة ، الآية (٧) . وتمام الآية : [صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ] .

(٧) سورة الأعراف ، الآية (١٢) . وتمام الآية : [قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ] .

(٨) سورة البلد ، الآية (١١) .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (الليث : (لا) حَرْفٌ يُنْفَي به ، ويُجْحَد به ، وقد تجئ زائدة مع اليمين ... قال أبواسحق في قول الله عزَّ وجل : (لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ) ، وأشكالها في القرآن الكريم : لا اختلاف بين الناس أنَّ معناه : أقسم بيوم القيامة[1])[2].

وقال في موضع آخر: (وقال*في قوله –تعالى-:(لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ) ، قال : العرب تقول : (لا) صلة في كل كلام دخل في أوله جَحْدٌ ، أو في آخره جَحْد غير مُصرَّح ، فهذا ممَّا دخل آخره الجَحَدُ ، فَجُعلت (لا) في أوله صلة . قال : وأمَّا الجَحْدُ السابق الذي لم يصرح به ... قوله : (وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ) ، وقوله -عزَّ وجل- (وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ) ، وفي الحرام معنى جَحْد ومَنْعٍ ، وفي قوله : (وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ) مثله ، فلذلك جُعلت (لا) بعده صلة معناها السقوط من الكلام) [3] .

وقال في موضع آخر : (ويجئُ (لا) بمعنى غير . قال الله – عزَّ وجل – : (وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ * مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ) في موضع نصب على الحال، المعنى : مالكم غير متناصرين[4] ، قاله الزجَّاج ... وقال المبرد في قوله – عزَّ وجل – : (غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ) : إنَّما جاز أن تقع (لا)

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (١٩٦/٥) .

(٢) لسان العرب ، مادة (لا) ، (٤٦٤/١٥) .

* يريد : الفرَّاء كما يظهر ذلك من سياق كلامه . (انظر : المرجع السابق ، مادة (لا) ، (٤٦٥/١٥) ، وانظر معاني القرآن ، للفرَّاء ، (١٣٧/٣ ، ١٣٨)) .

(٣) لسان العرب ، مادة (لا) ، (٤٦٥/١٥) .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٢٢٧/٤) .

في قوله : (وَلَا ٱلضَّآلِّينَ) ؛ لأنَّ معنى غير متضمن معنى النفي ... وقد يكون لغواً ... وفي التنزيل العزيز : (مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ) ، أي : ما منعك أن تسجد ... قال الزجَّاج : وتجعل (لا) صلة كقوله تعالى : (مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ) ، ومعناه : ما منعك أن تسجد[1] ... وأمَّا قول الله – عزَّ وجل – : (فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ) ، فلا بمعنى : فلم ، كأنَّه قال : فلم يقتحم العقبة ، ومثله : (فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ)[2] ، إلاَّ أنَّ (لا) بهذا المعنى إذا كُرِّرَتْ أسوغ وأفصح منها إذا لم تكرر ... وقال بعضهم في قوله : (فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ) : معناها (فما) ، وقيل : فَهَلاَّ) [3] .

دراسة النصوص :

ذكر الطبري في آية القيامة خلاف أهل التاويل في مدلول الحرف (لا) على أقوال ثلاثة ، أحدها : (لا) صلة ، ومعنى الكلام : أُقسم بيوم القيامة .

ثانيها : دخلت (لا) توكيداً للكلام

ثالثها : (لا) رد لكلام قد مضي من كلام المشركين الذين كانوا ينكرون الجنة والنار ، ثم ابتدئ القسم[4] .

ثُمَّ اختار الطبري هذا القول الثالث ، حيثُ قال : (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : إنَّ الله أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة ، وجعل (لا) رداً لكلام قد كان تقدمه من قوم ، وجواباً لهم) [5] .

فخالف ابن منظور الطبري في مدلول (لا) ووافقه في معنى الآية .

وقال في آيات الحديد والأنعام والأنبياء ما نصّه : (وذكر أنَّ ذلك في قراءة عبدالله* : (لكي يعلم أهل الكتاب ألاَّ يقدرون) ؛ لأنَّ العرب تجعل (لا) صلة في

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (٢/٢٦٠) .

(٢) سورة القيامة ، الآية (٣١) .

(٣) لسان العرب ، مادة (لا) ، (١٥/٤٦٦ ، ٤٦٧) .

(٤) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٩/١٧٢ ، ١٧٣) .

(٥) المرجع السابق ، (٢٩/١٧٣) .

* يريد : عبد الله بن مسعود ﷺ .

كل كلام دخل في أوله أو آخره جحد غير مصرح ، كقوله في الجحد السابق الذي لم يصرح به ... (وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ)، وقوله : (وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ) الآية ، ومعنى ذلك : أهلكناها أنهم يرجعون) .

وهذا هو بعينه كلام ابن منظور الذي نقله عن الفرَّاء ، فدلَّ ذلك على موافقة ابن منظور للطبري في ذلك .

وقال الطبري في آية الصَّافات : (وقوله : مالكم لا تناصرون ، يقول : مالكم أيها المشركون بالله لا ينصر بعضكم بعضاً) (١) .

فلم يتطرق هنا لمعنى (لا) ، فلا مقارنة بينه وبين ابن منظور في ذلك .

وذكر الطبري في آية الفاتحة وجوهاً متعددة لأهل الإعراب ، ونقل – فيما نقل – قول بعض نحويي الكوفة : إنَّ (غير) في هذه الآية بمعنى الجحد ، وكان صحيحاً في كلام العرب ، وفاشياً ظاهراً في منطقها توجيه (غير) إلى معنى النفي ، يُقال : أخوك غير محسن ولا مجمل ، يُراد بذلك : أخوك لا محسنٌ ولا مجمل .

ثُمَّ صَوَّب الطبري هذا القول ، وبيَّن أنَّ تأويل الآية على ذلك : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم لا المغضوب عليهم ولا الضالين .

أمَّا في آية الأعراف فقد ذكر الطبري عدة أقوال في مدلول الحرف (لا) ، من ذلك قول بعض نحويي البصرة : إنَّ (لا) ها هنا زائدة حشواً وصلوا بها الكلام.

ومن ذلك قول بعض نحويي الكوفة : إنَّ (لا) ذكرت هاهنا توكيداً ، وقول البعض الآخر منهم : ليست (لا) بحشو في هذا الموضع ولا صلة ، ولكن المنع هاهنا بمعنى القول ، فتأويل الكلام : من قال لك لا تسجد إذ أمرتك بالسجود ، وقول بعضهم : بل المعنى : أي شيء اضطرك إلى أن لا تسجد ، لم يجعلوا (لا) على هذا لغو أو حشو ولا صلة(٢) .

(١) جامع البيان ، للطبري ، (٢٤٦/٢٧) ، (٤٨/٢٣) .

(٢) انظر : المرجع السابق : (٧٧/١ – ٨٢) ، (١٢٩/٨ ، ١٣٠) .

وفنَّد الطبري جميع هذه الأقوال قائلاً : (والصواب عندي من القول في ذلـــك أن يُقال : إنَّ في الكلام محذوفاً قد كفى دليل الظاهر منه ، وهو أنَّ معنـــاه : مـــا منعك من السجود فأحوجك أن لا تسجد ، فترك ذكر أحوجـــك اســـتغناء بمعرفـــة السامعين) .

وهذا القول الذي ذكره الطبري في تأويل هذه الآية يدل على أنَّـــه ينفـــي أن تكون (لا) لغواً أو حشواً أو زائدة أو صلة ، وفي ذلك مخالفة ظـــاهرة مـــن ابـــن منظور له حيثُ ذكر أنَّ (لا) هنا لغوٌ ، ونقل عن الزجَّاج أنَّهـــا صـــلة ، فوقـــع الخلاف بينهما في مدلول (لا) ، وفي معنى الآية .

وفي آية البلد قال الطبري : (وقوله : فلا اقتحم العقبة ، يقول –تعالى– ذكره : فم يركب العقبة فيقطعها ويجوزها ، وذُكر أنَّ العقبة جبل في جهنم) (١) .

ففسَّر (لا) بقوله (فلم) ، وهو قول ابن منظور آنف الذكر .

وذكر الرازي عدة أقوال في معنى (لا) في آية القيامة ، وصـــحَّح منهـــا أنَّ لفظة (لا) وردت ها هنا لنفي القسم ، كأنَّه قال : لا أُقسم عليكم بذلك اليوم ، وتلك النفس، ولكني أسألك غير مقسم : أتحسب أنا لا نجمع عظامك إذا تفرقت بالموت .

فدلّ ذلك على مخالفة ابن منظور للرازي في ذلك ، فابن منظور اثبت القسم، والرازي نفاه .

وفي آية الحديد ذكر الرازي للمفسرين في معنى (لا) من قول (لئلا) قولين ، أحدهما : إنَّ (لا) ها هنا صلة زائدة ، والتقدير : ليعلم أهـــل الكتـــاب ، ونســـب الرازي هذا القول إلى أكثر المفسرين ، وثانيهما : إنَّ (لا) لسيت بزائدة .

ثم اختار الرازي هذا القول الثاني ، مُبيِّناً أنَّ القول الأول يقتضي الحـــذف ، وما افتقر إلى الحذف كان ظاهره موهماً للباطل .

وكذا في آية الأنعام ذكر الرازي القولين السابقين ، والذي يظهر من كلامـــه أنَّه يميل إلى القول الثاني أيضاً ، والذي يقضي بأنَّ (لا) ليست بلغو .

---

(١) المرجع السابق ، (١٣٠/٨) ، (٢٠١/٣٠) .

وبيَّن الرازي أنَّ لفظة (لا) في آية الأنبياء ، وكذا في آية الأعراف ورد فيها القولان كذلك ، فالمشهور أنَّها صلة زائدة ، والتقدير في الآيتين : أنَّهم يرجعون وما منعك أن تسجد ، ونسب الرازي هذا القول إلى الكسائي والفرَّاء والزجَّاج والأكثرين ، والقول الثاني : إنَّ كلمة (لا) هاهنا مفيدة ، وليست لغواً .

وعلى منهجه بيَّن الرازي أنَّ هذا القول الثاني هو الصحيح ؛ لأنَّ الحكم بأن كلمةً من كتاب الله لغو لا فائدة فيها مشكل صعب .

فخالف ابن منظور الرازي في ذلك جميعاً .

وفسر الرازي (لا) في قوله : (مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ) من آية الصافات بأنَّ معناها : (غير) أخذاً من قول ابن عباس رضي الله عنه .

ولم يذكر الرازي في مدلول (لا) الواردة في آية الفاتحة شيئاً ، وذكر في مدلولها في آية البلد الأقوال الثلاثة التي أوردها ابن منظور ، وهي أنَّ (لا) بمعنى لم ، وقيل : بمعنى (هلا) ، وقيل : بمعنى (ما) ، لكن لم يظهر من كلام الرازي أنَّه يرجح بينها[1]، في حين اختار ابن منظور منها القول الأول ، كما يظهر ذلك من كلامه .

فوافقه ابن منظور في آية الصَّافات، ولا مقارنة بينهما في آيتي الفاتحة والبلد.

وذكر القرطبي في معنى (لا) من قوله : (لا أقسم) في القيامة ثلاثة أقوال :
الأول : إنَّها صلة زيادة في الكلام ، ويجري ذلك في كلام العرب .

الثاني : هي رد لكلامهم حيث أنكروا البعث ، فقال : ليس الأمر زعمتم .

الثالث : قرأ بعضهم : (لا أُقسم) بغير ألف ، كأنَّها لام تأكيد دخلت على (أقسم) والذي يظهر أنَّ القرطبي اختار هذا القول الثالث ، حيثُ ذكر أنَّه صواب ؛ لأنَّ العرب تقول : لأقسم بالله .

وعلى هذا يخالفه ابن منظور في ذلك .

---

(١) انظر:التفسير الكبير، للرازي،(١٨٩/٣٠ ، ١٩٠) ، (٢١٦/٢٩) ، (١١٩/١٣) ، (٢٧/١٤) ، (١١٦/٢٦) ، (٢٠٨/١) ، (١٦٧/٣١) .

أمَّا في آية الحديد فقد بيَّن أنَّ (لا) صلة زائدة مؤكدة ، وذكر قول الفرّاء الذي نقله عنه ابن منظور .

وذكر في آيات الأنعام والأنبياء والأعراف قولين لأهل التفسير في مدلول قوله (لا) ، حيث نقل قول الكسائي والفرَّاء ، وهو أنَّ (لا) زائدة ، والمعنى : وما يشعركم أنَّها ، أي : الآيات إذا جاءت المشركين يؤمنون ، فزيدت (لا) كما زيدت في قوله تعالى : (وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) ، لأنَّ المعنى : وحرام على قرية مهلكة رجوعهم ، وفي قوله : (مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ) ، والمعنى: ما منعك أن تسجد ، وضعف الزجَّاج والنحَّاس وغيرهما زيادة لا .

هكذا ذكر القرطبي هذين القولين دون أن يُرجِّح بينهما ، أو يختار أحدهما كما فعل ابن منظور ، لكن تبدو موافقة ابن منظور له في آية الحديد ظاهرة . واكتفى القرطبي في آية الصافات بتفسير الآية دون التعرض لمدلول (لا) فيها ، فلا يمكن المقارنة بينه وبين ابن منظور في ذلك .

وفي آية الفاتحة ذكر القرطبي أنَّ (لا) في قوله : (ولا الضالين) اختلف فيها، فقيل : هي زائدة ، قاله الطبري ، وقيل : هي تأكيد دخلت لئلا يتوهم أنَّ الضالين معطوف على الذين . وقال الكوفيون : لا بمعنى غير .

ثُمَّ لم يُرجح القرطبي بين هذه الأقوال فلا مقارنة هنا أيضاً .

وفي آية البلد ذكر القرطبي أنَّ معنى (فلا) من قوله : (فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ) : فهلا[(١)] .

فخالفه ابن منظور في ذلك .

وقال ابن كثير في آية القيامة : (إنَّ المقسم عليه إذا كان منتفياً جاز الاتيان بلا قبل القسم لتأكيد النفي ، والمقسم عليه هاهنا إثبات المعاد ، والرد على ما يزعمه الجهلة من العباد من عدم بعث الأجساد) [(٢)] .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٩٢/١٩) ، (٢٦٧/١٧ ، ٢٦٨) ، (٦٥/٧) ، (٧٤/١٥) ، (١٥١/١) ، (٦٥/٢٠) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٤٨/٤) .

إذن فابن كثير يرى أنَّ (لا) هنا ليست زائدة ، وإنَّما جيئ بها لتأكيد نفي المقسم عليه ، وهو الرد على ما يزعمه الجهلة من العباد من عدم البعث والمعاد ، وعلى هذا فهو يخالف ابن منظور الذي يجعل (لا) في هذه الآية زائدة مع اليمين .

ونقل ابن كثير في آيات الحديد والأنعام والأنبياء والأعراف قول ابن جرير – آنف الذكر – وهو أنَّ العرب تجعل (لا) صلة في كل كلام دخل أوله أو آخره جحد غير مُصَرَّح .

فوافق ابن كثير ابن منظور في جميع هذه المواضع .

ولم يذكر ابن كثير في آية الصافات شيئاً عن معنى (لا) ، فانتفت المقارنة هاهنا .

أمَّا في آية الفاتحة فقد ذكر أنَّ (لا) جيئ بها لتأكيد النفي لئلا يتوهم أنَّه معطوف على الذين أنعمت عليهم ، وذكر قولاً آخرَ يقضي بأنَّ (لا) هاهنا زائدة ، ثُمَّ بين أنَّ الصحيح ما قدَّمه من القول الأول

وهذا الذي ذكره هنا لا يتنافي مع قول ابن منظور في ذلك.

وفي آية البلد ذكر ابن كثير عن بعض أهل التفسير قولاً رابعاً لم يذكره ابن منظور في الأقوال الثلاثة ، وهو أنَّ معنى قوله (فلا) : أفلا[(١)].

والذي يظهر لي أنَّه لا فرق بين (أفلا) و (هلا) من حيثُ المعنى ، والله أعلم

ويرى البغوي أنَّ (لا) في آية القيامة صلة ، والمعنى : أُقسم بيوم القيامة ، وذكر الأقوال الأُخرى فيها . فوافقه بذلك ابن منظور ؛ لأنَّ قوله : هي صلة يعني ما ذكره ابن منظور من أنَّها زائدة مع اليمين .

كما ذكر البغوي أنَّ (لا) صلة أيضاً في آيات الحديد والأنعام والأنبياء ، فوافقه ابن منظور في ذلك جميعاً .

ولم يبيِّن البغوي مدلول (لا) في آية الصافات ، فانتفت المقارنة هاهنا بينه وبين ابن منظور .

وفي آية الفاتحة ذكر البغوي أنَّ (غير) هاهنا بمعنى (لا) و (لا) بمعنى (غير) ، ولذلك جاز العطف عليها ، وهذا لا يخالفه كلام ابن منظور .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (٣١٨/٤ ، ٣١٩) ، (٥/٤) ، (٣٠/١) ، (٥١٤/٤) .

وذكر البغوي في آية الأعراف أنَّ (لا) زائدة ، وهذا ما يقتضيه قـول ابـن منظور أنَّها لغو أو صلة .

وذكر في آية البلد أنَّ قوله (فلا) معناه : فهلا ، وقيل : فلم[1] .

فذكر البغوي قولين ممَّا ذكره ابن منظور الذي خالفه فـي اختيـاره أنَّ (لا) بمعنى (لم) .

وجوه القراءات :

١/ آية القيامة :

قرأ ابن كثير : (لأُقسم بيوم القيامة) بغير ألف ، يجعل الـلام لام تأكيـد ، والمعنى : أُقسم بيوم القيامة . رُوى عن الحسن أنَّه قال : على هذه القراءة أقسـم الله –تعالى– بيوم القيامة ، ولم يُقسم بالنفس اللوامة .

وقرأ الباقون (لا أُقسم) بإثبات الألف[2] .

٢/ آية الأنعام :

قرأ ابن كثير وأبوعمرو وأبوبكر : (وما يشعركم إنَّها إذا جاءت لا يؤمنـون) بكسر همزة (إِنَّها) على ابتداء الخبر عنهم من قوله : (إنها إذا جاءت لا يؤمنـون) فكسروا الهمزة على الاستئناف . وقرأ الباقون : (أَنَّها إذا جاءت) بالفتح ، ومعناها : لعلها إذا جاءت لا يؤمنون .

وقرأ حمزة وابن عامر : (إذا جاءت لا تؤمنون) بالتاء ، اعتماداً على قوله : (وما يشعركم) ، خطاب للمشركين ، والمعنى : وما يدريكم أنَّكم تؤمنون . وقـرأ الباقون بالياء إخباراً عنهم[3] .

٣/ آية الأنبياء :

قرأ حمزة والكسائي وأَبوبكر : (وحرم على قرية) بغير ألف ، وقرأ البـاقون (وحرام) بإثبات الألف[4] .

---

(١) انظر: معالم التنزيل، للبغوي،(٤٢١/٤)،(٣٠/٤)،(١٢٣/٢)، (٢٥/٤)، (٤٢/١)، (١٥٠/٢)، (٤٨٩/٤) .

(٢) انظر : حجة القراءات، لابن زنجلة، ص ٧٣٥ ، وانظر : السبعة في القراءات ، لابن مجاهد البغدادي ، ص ٦٦١ .

(٣) انظر : المرجع السابق الأول ، ص (٢٦٥ – ٢٦٧) .

(٤) انظر : المرجع السابق ، ص ٤٧٠ .

٤/ آية الفاتحة :

قرأ ابن محيصن : (غير المغضوب عليهم) بنصب (غير) على الحال ، وقرأ الجمهور بالخفض على البدل من الذين ، أو من الضمير المجرور في (عليهم) .

وقرأ حمزة (عليهم) بضم الهاء ، وابن كثير ونافع (عليهمو) بكسر الهاء وضم الميم ، ويصلون بواو في اللفظ ، وقرأ الباقون بكسر الهاء وسكون الميم[١] .

سبب النزول :

آية الحديد :

ذكر السيوطي في سبب نزول هذه الآية ما أخرجه ابن جرير عن قتادة أنَّه قال : بلغنا أنَّه لمَّا نزلت : (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ)[٢] ، حسد أهل الكتاب المسلمين عليها ، فأنزل الله : (لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ) الآية .

وذكر أيضاً عن مجاهد أنَّه قال : قالت اليهود: يوشك أن يخرج منَّا نبي ، فيقطع الأيدي والأرجل ، فلمَّا خرج من العرب كفروا ، فأنزل الله : (لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ) الآية ، يعني بالفضل المذكور في الآية النبوة[٣] .

المعنى العام للآيات :

١/ آية القيامة :

(لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ) ، قيل : (لا) استفتاح كلام بمنزلة (ألا) ، وقيل : هي صلة زائدة ، قيل : (لا) نفي لكلام الكفار وزجرٌ لهم ، وردٌّ عليهم ، ثُمَّ استأنف على هذه الأقوال الثلاثة قوله : أقسم بيوم القيامة ، وأقسم الله به تنبيهاً منه لعظمه وهوله[٤] .

---

(١) انظر : إتحاف فضلاء البشر ، للدمياطي ، ص ١٦٥ .

وانظر : المرجع السابق ، ص (٨٠ ، ٨١) .

(٢) سورة الحديد ، الآية (٢٨) .

(٣) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص (٢٠٥ ، ٢٠٦) .

(٤) انظر : المحرر الوجيز ، لابن عطية الأندلسي ، (٥/ ٤٠١) .

٢/ آية الحديد :

(لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ) ، أي : ليعلم ، وأن لا ، صلة زائدة مؤكدة . قال قتادة : حسد أهل الكتاب المسلمين ، فنزلت : (لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ) ، أي : لأن يعلم أهل الكتاب أنَّهم (لا يقدرون على شيء من فضل الله وأنَّ الفضل بيد الله)، وقال مجاهد : قالت اليهود : يوشك أن يخرج منَّا نبي يقطع الأيدي والأرجل، فلمَّا خرج من العرب كفروا ، فنزلت : (لئلا يعلم) ، أي : ليعلم أهل الكتاب أنهم (لا يقدرون على شيء من فضل الله) ، قيل : الإسلام ، وقيل : الثواب، وقيل : رزق الله أو نعم الله التي لا تُحصى ، (وأنَّ الفضل بيد الله) ليس بأيديهم فيصرفون النبوة عن محمد -ﷺ- إلى من يحبون ، وقيل : إنَّ الفضل لله ، والله ذو الفضل العظيم(١) .

٣/ آية الأنعام :

يقول -تعالى ذكره- : حلف بالله هؤلاء المشركين من قومك بالله جهد حلفهم، وذلك أوكد ما قدروا عليه من الأيمان وأصعبها وأشدَّها لئن جاءتنا آية تُصدِّق ما تقول يا محمد مثل الذي جاء من قبلنا من الأمم لنُؤمنن بها ، ولنصدقنَّ بمجيئها بك ، وأنَّك لله رسول مرسل ، وأنَّ ما جئتنا به حق من عند الله . يقول الله -تعالى- لنبيه -ﷺ- قل : إنِّما الآيات عند الله ، وهو القادر على إتيانكم بها ، وما يدريكم أنَّها إذا جاءت تؤمنون(٢) .

٤/ آية الأنبياء :

(وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ) ، أي : يمتنع على القرى المُهلكة المُعذبة الرجوع إلى الدنيا ليستدركوا ما فرطوا فيه ، فلا سبيل إلى الرجوع لمن أُهلك وعُذِّب ، فليحذر المخاطبون أن يستمروا على ما يوجب إهلاكهم فيقع بهم ، فلا يمكن رفعه ، وليقلعوا وقت الامكان والإدراك(٣) .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٦٨/١٧ ، ٢٦٩) .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٣١١/٧) .

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعديّ ، ص ٥٣١ .

٥/ آيتي الصافات :

(وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ) هذا صريح في إثبات سؤال الجميع يوم القيامة مع أنَّه قال : (وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ)[١] ، وقال (فَيَوۡمَئِذٍ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ)[٢] ، ووجه الجمع بين هذه الآيات أنَّ السؤال عن الذنوب المنفي في الآيات المراد به سؤال الاستخبار والاستعلام ؛ لأنَّه – عزَّ وجل – محيط علمه بكل شيء ، ولا يُنافي نفي هذا النوع من السؤال ثبوت نوع آخر منه هو سؤال التوبيخ والتقريع ؛ لأنَّه نوع من أنواع العذاب ، وسؤال الله للكفار في القرآن كله توبيخ وتقريع . (مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ) يُقال لهم هذا بطريق التوبيخ والتقريع ، أي : لما لا ينصر بعضكم بعضاً بالتخليص[٣] .

٦/ آية الفاتحة :

(صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ) بدل من الصراط المستقيم ، والذين أنعمت عليهم هم المؤمنون ، وأُطلق الإنعام ليشمل كل إنعام ؛ لأنَّ من أنعم عليه بنعمة الإسلام لم تبق نعمة إلاَّ أصابته واشتملت عليه ، (غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ) بدل من الذين أنعمت عليه ، على معنى أنَّ المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال ، أو هو صفة ، على معنى أنَّهم جمعوا بين النعمة المطلقة ، وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله والضلال ، وقيل : المغضوب عليهم هم اليهود ، والضالون هم النصارى ، ودخلت (لا) في (ولا الضالين) لما في (غير) من معنى النفي[٤] .

---

(١) سورة القصص ، الآية (٧٨) .

(٢) سورة الرحمن ، الآية (٣٩) .

(٣) انظر : أضواء البيان ، للشنقيطي ، (٧/٢) ، وانظر : أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، (٩/٥) .

(٤) انظر : الكشاف ، للزمخشري ، (٥٨/١ ، ٥٩) .

٧/ **آية الأعراف :**

(قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَ) ، قيل : (لا) زائدة ، والمعنى : ما منعك أن تسجد لأدم ؟ وهو سؤال توبيخ وتعنيف من الله –تعالى– للشيطان ، (قَالَ أَنَاْ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ) ، أي : منعني من السجود له أنّي خير منه ، إذ كنت ناريّاً وكان طينياً ، فترك الأمر وقاس وعصى(١) .

٨/ **آية البلد :**

(فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ) العقبة : يُقال : هي عقبة بين الجنة والنار ، والاقتحام الدخول في الشيء ، والمجاوزة له بشدة وصعوبة ، أي : لم يقتحمها* ، ولم يجاوزها ، و(لا) مع الماضي بمعنى (لم) مع المستقبل(٢) .

النص رقم (١٤٣)

يقول تعالى : [... وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ](٣) .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (لات : أبوزيد(٤) في قوله : (وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ) قال : التاء فيها صلة ، والعرب تصل هذه التاء في كلامها وتنزِعُها ، وأنشد :

---

(١) انظر : الوجيز ، للواحدي ، (٣٨٨/١) .

* قيل : المقصود رجل من بني جمح يكني أبا الاشدين كان يوصف بالقوة . (المرجع السابق،(١٢٠٣/٢)) .

(٢) انظر : غريب القرآن ، لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني ، تحقيق : محمد أديب عبدالواحد جمران ، دار قتيبة ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ص ١١٥ .

(٣) سورة ص ، الآية (٣) . وتمام الآية : [كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ] .

(٤) أبوزيد : هو سعيد بن أوس بن ثابت بن زيد ، الأنصاري اللغوي البصري ، كان من أئمة الأدب ، وغلب عليه اللغات والنوادر والغريب ، وكان ثقة في روايته . له مصنفات مفيدة منها : كتاب القوس والترس، وكتاب اللغات ، وكتاب الجمع والتثنية وغيرها . كانت وفاته بالبصرة سنة (٢١٥هـ) . (انظر : وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، (٣٨٧/٢) ، وسير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، (٤٩٥/٩) ، وشذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، (٣٤/٢)) .

طَلَبُوا صُلْحَنا ولات أَوان * فأجَبْنا أن لَيْسَ حِينَ بَقاء[١] .

قال : والأصل فيها (لا) والمعنى فيها (لَيْسَ) ، والعرب تقول : ما أستطيعُ وما أسطيعُ ، ويقولون : ثُمَّتَ في موضع ثُمَّ ،ورُبَّتَ في موضع رُبَّ ، ويا وَيْلَتَنا ويا وَيْلَنا ... وقال الفرَّاء : معنى : ولات حين مناص ، أي : ليس بحين فِرَار ، وتنصِبُ بها ، لأنَّها في معنى ليس ... قال : ومن العرب من يخفض بلات ، وأنْشد : طلبوا صلحنا ولات أوانٍ[٢] . قال شمر : أجمع علماء النحويين من الكوفيين والبصريين أنَّ أصل هذه التاء التي في (لات) هاء وُصلت بلا ، فقالوا : لاة لغير معنى حادث ... فلمَّا وصلوها جعلوها تاء) [٣] .

دراسة النص :

قال الطبري في معنى ذلك : (ولات حين مناص ، يقول : وليس ذلك حين فرارٍ ولا هرب من العذاب بالتوبة ، وقد حقت كلمة العذاب عليهم ، وتابوا حين لا تنفعهم التوبة ، واستقالوا في غير وقت الإقالة) [٤].

فوافقه في ذلك ابن منظور فيما نقله عن الفرَّاء ، إلاَّ أنَّ ابن منظور أكثر تفصيلاً من الطبري في الجانب اللغويّ ، والطبري أكثر تفصيلاً من ابن منظور في الجانب التفسيري .

وكذا الرازي فسر ذلك بقوله : (ولات حين مناص ، يعني : ولم يكن ذلك الوقت وقت فرارٍ من العذاب) [٥] .

---

(١) ورد هذا البيت غير منسوب في : مجمع الأمثال ، لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوريّ ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، (٤٣٣/١) .

(٢) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٣٩٦/٢) .

(٣) لسان العرب ، مادة (لات) ، (٤٦٨/١٥) .

(٤) جامع البيان ، للطبري ، (١٢٠/٢٣) .

(٥) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٥٣/٢٦) .

ثُمَّ ذكر قول الخليل وسيبويه[1] في (لات) : إنَّها هي المشبهة بليس ، زيدت عليها تاء التأنيث،كما زيدت على رُبَّ وثُمَّ للتأكيد[2]، وذكر قول الأخفش:إنَّها لا النافية للجنس ،زيدت عليها التاء ، وخُصَّت بنفي الأحيان ، وحين مناص منصوب بها[3].

فوافقه ابن منظور في ذلك أيضاً .

وفصَّل القرطبي في معنى هذه الآية، ونقل فيها ، كلام المفسرين وأهل اللغة، بإسهاب وتطويل ، وجملة ما نقله عن المفسرين في معنى (ولات حين مناص) أربعة أقوال : أحدها : إنَّ المعنى : نادوا بالتوبة ، وليس حين التوبة ، ولا حين ينفع العمل ، ونسب هذا القول إلى الحسن . ثانيها: إنَّ المعنى : ليس بحين نزو ولا فرار ، ونسبه إلى ابن عباس . ثالثها : إنَّ المعنى : لا خلاص ، وهو نصب بوقوع لا عليه . رابعها : إنَّ المعنى : فنادوا حين مناص ، أي : ساعة لا منجى ولا فوت ، ونسبه إلى الجرجاني[4] ثُمَّ لم يُرجح القرطبي بين هذه الأقوال[5] .

وعلى هذا يكون ابن منظور قد أورد في تفسير هذه الآية أحد الأقوال التي نقلها القرطبي في تفسيره لهذه الآية ، وزاد القرطبي الأقوال الأُخرى .

وكذلك ابن كثير أورد أقوالاً للمفسرين وأهل اللغة في معنى الآية ، وهي أقوال متكررة في تفاسير من سبقوه ، والذي يظهر من كلامه أنَّه يختار ما أورده

---

(١) سيبويه : هو أبوبشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الفارسي ، ثُمَّ البصري ، إمام النحو ، حجة العرب ، طلب الفقه والحديث مدة ثم أقبل على العربية فبرع وساد أهل العصر ، وألَّف فيها كتابه الكبير . مات سنة (١٨٠هـ) . (انظر: سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، (٣٥١/٨) ، وانظر : البلغة ، للفيروز آبادي ، (١٦٣/١)).

(٢) انظر : كتاب العين ، للفراهيدي ، مادة (لات) ، (٣٦٩/٨) ، وانظر : كتاب سيبويه ، لأبي البشر عمرو ابن عثمان بن قنبر سيبويه ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١، (٥٧/١).

(٣) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٥٤/٢٦) ، وانظر : معاني القرآن ، للأخفش ، (٦٦٩/٢)

(٤) الجرجانيّ : هو أبوبكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجانيّ ، شيخ العربية ، كان آية في النحو ، صنف شرحاً حافلاً للإيضاح واختصره ، وله إعجاز القرآن ، و كتاب المفتاح ، وفسَّر الفاتحة في مجلد ، وله العمد في التصريف والجمل وغير ذلك ، وكان شافعياً ورعاً . توفي سنة (٤٧١هـ) ، وقيل : سنة (٤٧٤هـ) . (انظر : سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، (٤٣٢/١٨ ، ٤٣٣) ، وانظر : طبقات الشافعية ، لأبي بكر ابن قاضي شهبة ، (٢٥٢/٢)) .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٤٥/١٥ – ١٤٩) .

ابن منظور ، حيثُ قال : (وهذه الكلمة وهي (لات) هي (لا) التي للنفي زيدت معها التاء كما تزداد في ثُمَّ ، فيقولون : (ثُمَّت) ورُبَّ ، فيقولون : (رُبَّت) ، وهي مفصولة (أي : عن حين) والوقف عليها . ومنهم من حكى عن المصحف الإمام – فيما ذكره ابن منظور – أنَّها متصلة بحين : (ولا تحين مناص) ، والمشهور الأول ... وأهل اللغة يقولون : النوص : التأخر ، والبوص : التقدم ، ولهذا قال تبارك وتعالى : (وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) ، أي : ليس الحين حين فرار ولا ذهاب ، والله –تعالى– الموفق للصواب) [١] .

ولم يُفصِّل سيد قطب في إيراد الأقوال – كعادته – مكتفياً بذكر اختياره في معنى الآية ، ومخالفاً به ابن منظور ، حيثُ قال : (ولات حين مناص : ولا موضع حينذاك للغوث ولا للخلاص) [٢] .

إلاَّ أنَّ هذه الأقوال التي ذكرها المفسرون وغيرهم في معنى الآية تعتبر أقوالاً مترادفة ، وليست متضادة أو متنافرة وإن اختلفت من حيثُ الألفاظ .

وجوه القراءات :

رسمت (لات) من قوله : (وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) بالتاء عند الجميع ، أمَّا الكسائي فوقف عليها بالهاء اطراداً لمذهبه[٣] .

المعنى العام للآية :

(كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٍ) كم : للتكثير في كلام العرب ، والمعنى : كم أهلكنا قبل الذين كفروا من أمة محمد –ﷺ– من أمة ، وفي ذلك وعيد لذوى العزة والشقاق ، (فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) ، أي : فدعت تلك الأمم ، استغاثت حيث رأت العذاب ، ولات هي : (لا) المشبهة بليس ، زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رُبَّ وثُمَّ للتوكيد ، وتغير بذلك حكمها ، حيثُ لم تدخل إلاَّ على

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٧/٤، ٢٨) .

(٢) في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، (٣٠٠٧/٥) .

(٣) انظر : إبراز المعاني من حرز الأماني ، لأبي شامة الدمشقيّ ، (٢٧٥/١) .

الأحيان، ولم يبرز إلاَّ أحد مقتضييها ، إمَّا الاسم أو الخبـر ، وامتنـع بروزهمـا جميعاً ، وقيل:هي لا النافية للجنس،زيدت عليها التاء،وخُصَّت بنفي الأحيان، (حين مناص) ، أي : منجا أو فرار ، كأنَّه قيل : وليس الحين حين منجا أو فرار[1].

النص رقم (١٤٤)

يقول تعالى : [وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ....][2] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (المَلأكُ والمَلأكَةُ : الرسالة ... والمَلأكُ : المَلَـكُ ؛ لأنَّـه يُبلِّغ الرسالة عن الله – عزَّ وجل – فحذفت الهمزة ، وألقيت حركتها على السـاكن قبلها ، والجمع : ملائكة ، جمعوه مُتَمَّما ، وزادوا الهاء للتأنيث ، وقولـه – عـزَّ وجل – : (وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا) إنَّما عني به الجنس) [3] .

دراسة النص :

قال القرطبي في تفسير هذا الجزء من الآية : (يقول –تعالى ذكره– : والمَلَكُ على أطراف السماء حين تشقق وحافاتها) [4] .

فاكتفى بتفسير الآية دون تبيين المراد من قوله (والملك) ، لكنه ذكر فيما ذكر روايةً تشتمل على بيان أنَّ المراد من الملك الملائكة لا ملكاً واحداً وذلك مضمون قول ابن منظور : إنَّما عُني به الجنس .

وقال الرازي : (والمَلَكُ لم يرد به مَلَكاً واحداً ، بل أراد الجنس والجمع) [5] .

فوافقه ابن منظور في ذلك .

---

(١) انظر : مدارك التنزيل ، للنسفيّ ، (٣٢/٤)، وانظر: معاني القرآن،للنحَّاس ، (٧٧/٦ ، ٧٨) .

(٢) سورة الحاقة ، الآية (١٧). وتمام الآية : [وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ] .

(٣) لسان العرب ، مادة (لأك) ، (٤٨١/١٠ ، ٤٨٢) .

(٤) جامع البيان ، للطبري ، (٥٧/٢٩) .

(٥) التفسير الكبير ، للرازي ، (٩٦/٣٠) .

وكذلك وافق القرطبي الذي قال في معنى قوله (والمَلَكُ) : (يعني : الملائكة ، اسم للجنس) [١] .

ووافقه ابن كثير حيثُ قال : (المَلَكُ اسم جنس ، أي : الملائكة)[٢].

ولم أجد من المفسرين من خالفه ابن منظور إلاَّ الزمخشري ، حيثُ قال في معنى الملك : (والخلق الذي يُقال له : المَلَك ورد إليه الضمير مجموعاً في قوله : (فوقهم) على المعنى ، فإن قلت : ما الفرق بين قوله : والملك ، وبين أن يُقال : والملائكة ؟ قلتُ : المَلَكُ أعمّ من الملائكة ، ألا ترى أنَّ قولك ما من ملك إلاَّ وهو شاهد أعمَّ من الملائكة : ما من ملائكة ؟) [٣] .

فجعل الزمخشري الملَك أعَمَّ من الملائكة ، وقوله هذا يقتضي أنَّ كل ملائكة ملك ، وليس كل ملك ملائكة .

ولعلَّ القول الذي قال به جمهور المفسرين في ذلك هو الصواب ، والعلم عند الله تعالى .

المعنى العام للآية :

هذه الآية الكريمة تناولت بعض أحداث يوم القيامة ، ويُراد بالمَلَك الملائكة فهو اسم جنس يُراد به الجمع ، والمعنى : إنَّه لمَّا تشققت السماء – كما ورد في الآية السابقة – وهي مساكن الملائكة لجأوا إلى أطرافها وجوانبها وهو المراد بالأرجاء . قال الضحَّاك : إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشققت ، وتكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الله –تعالى– فينزلون إلى الأرض ، ويحيطون بالأرض ومن عليها . (وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ) ، أي : يحمله فوق رؤوسهم يوم القيامة ثمانية أملاك ، وقيل : ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلاَّ الله –عزَّ وجل– وقيل : ثمانية أجزاء من تسعة أجزاء من الملائكة[٤] .

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٦٥/١٨) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤١٥/٤) .

(٣) الكشاف ، للزمخشري ، (٦٠٥/٤) .

(٤) انظر : فتح القدير ، للشوكانيّ ، (٢٨٢/٥) ، وانظر : الدر المنثور ، للسيوطي ، (٢٦٩/٨) .

النص رقم (١٤٥) و (١٤٦)

يقول تعالى : [لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا][١] .

ويقول تعالى : [...فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٍ][٢] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (اللَّبْثُ واللَّباثُ : المُكْثُ . قال الله –تعالى– : (لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا) ... واللبثُ : البطءُ ، وهو جائز كما يُقال طامعٌ وطمِعٌ ، بمعنى واحد ... وفي التنزيل العزيز : (فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٍ) ... من اللبث : الإبطاء والتأخر) [٣] .

دراسة النصين :

قال الطبري في تفسير آية النبأ : (يقول تعالى ذكره : إنَّ هؤلاء الطاغين في الدنيا لابثون في جهنم فماكثون فيها أحقاباً) [٤] .

ففسَّر الطبري قوله : (لابثين) بما فسَّره به من بعده ابن منظور .

أمَّا في آية هود فلم يذكر الطبري معنى قوله (فما لبث) [٥] .

وفسَّر الرازي اللبث في آية النبأ بالاستقرار في المكان[٦] ، وهو معنى المُكْثِ، الذي ذكره ابن منظور .

وفسر الرازي قوله : (فما لبث) في آية هود بقوله : (فما لبث في المجئ به، بل عَجَّل فيه ، أو التقدير : فما لبث مجيئه) [٧] .

---

(١) سورة النبأ ، الآية (٢٣) .

(٢) سورة هود ، الآية : (٦٩) . وتمام الآيـة : [وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٍ] .

(٣) لسان العرب ، مادة (لبث) ، (١٨٢/٢ ، ١٨٣) .

(٤) جامع البيان ، للطبري ، (٩/٣٠) .

(٥) انظر : المرجع السابق ، (٦٩/١٢) .

(٦) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٣/٣١) .

(٧) المرجع السابق ، (٢٠/١٨) .

وهذا الذي ذكره هنا هو معنى كلام ابن منظور ؛ لأنَّ التعجيل ضد الإبطاء والتأخر ، ونفي الإبطاء والتأخر معناه التعجيل .

وقال القرطبي في آية النبأ : (لابثين فيها أحقاباً ، أي : ماكثين في النار ما دامت الأحقاب) (١) .

وقال في آية هود في معنى قوله: (فما لبث) : (أي : ما أبطأ عن مجيئه) (٢). فوافقه ابن منظور في الموضعين .

وكذا ابن كثير فسَّر اللبث في موضع النبأ بالمكث، وفسَّره في موضع هود بما معناه الإبطاء والتأخر ، حيثُ بيَّن أنَّ معنى قوله : (فما لبث) : ذهب سريعاً(٣) وهو ضد الإبطاء والتأخر كما هو واضح .

وبذلك يوافق ابن منظور في الموضعين .

أمَّا السمرقنديّ فقد فسَّر اللبث في الآيتين بالمكث(٤) ومع ذلك لا يخالفه ابن منظور في الموضع الثاني ، لأنَّ المكث والإبطاء والتأخر بمعنى واحد .

وجوه القراءات :

آية النبأ :

قرأ حمزة : (لبثين فيها أحقاباً) بغير ألف ، وقرأ الباقون : (لابثين) بإثبات الألف(٥) .

المعنى العام للآيتين :

١/ آية النبأ :

(لَّـبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا) يعني أنَّ الطاغين والمشركين أُعدت لهم جهنم يوم القيامة يمكثون فيها الأحقاب ، وهي جمع حقب ، أي : الدهر ، قيل : والحقبة ثمانون عاماً ، والصحيح أنَّها مدة من الزمان مبهمة ، وذكر الأحقاب مع أنَّ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٧٧/١٩) .

(٢) المرجع السابق ، (٦٣/٩) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٦٤/٤) ، (٤٥٢/٢) .

(٤) انظر : بحر العلوم ، للسمرقندي ، (٥١٥/٣) ، (١٦١/٢) .

(٥) انظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص ٧٤٥ ،وانظر : السبعة في القراءات ، لابن مجاهد البغدادي ، ص ٦٦٨ .

خلودهم في النار لا نفاد له ؛ لأنَّ هذا لا يدل على غاية ، فكلما مضى حقب تبعه حقب ، وبيانه أنَّ زمان أهل الجنة والنار يُتصور دخوله تحت العدد وإن لم يكن له نهاية[1] .

٢/ آية هود :

(وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ) يعني الملائكة الذين أتوا (إِبۡرَٰهِيمَ) عليه السلام على صورة الأضياف (بِٱلۡبُشۡرَىٰ) ، أي : بالبشارة بالولد (قَالُواْ سَلَـٰمًا) ، أي : سلَّموا سلاماً ، (قَالَ سَلَـٰمٌ) ، أي : عليكم سلام ، (فَمَا لَبِثَ) ، أي : فما أبطأ (أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٍ) ، أي : مشوي[2] .

النص رقم (١٤٧) و (١٤٨)

يقول تعالى : [يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالاً لُّبَدًا][3] .

ويقول تعالى : [وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدًا][4] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (ومالٌ لُبد : كثير لا يخاف فناؤه ، كأنَّه التَبَدَ بعضُه على بعض . وفي التنزيل العزيز : (يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالاً لُّبَدًا) ، أي : جَمًّا . قال الفرَّاء : اللبد : الكثير ، وقال بعضهم : واحدته : لُبْدةٌ ، ولُبَد : جِماع ... ويُقال : الناس لُبدٌ ، أي : مجتمعون[5] ، وفي التنزيل العزيز : (وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ

---

(١) انظر : زاد المسير ، لابن الجوزي ، (٧/٩ ، ٨) ، وانظر : المفردات في غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، لبنان ، ص ١٢٦ .

(٢) انظر : الوجيز ، للواحديّ ، (٥٢٦/١) ، وانظر : أنوار التنزيل ، للبيضاويّ ، (٢٤٤/٣) .

(٣) سورة البلد ، الآية (٦) .

(٤) سورة الجن ، الآية (١٩) .

(٥) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٢٦٣/٣) .

يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا) ... الأزهري قال : وقرئ : كادوا يكونون عليه لبدا ، قال : والمعنى أنَّ النبي – ﷺ – لمَّا صلى الصبح ببطن نخلة كاد الجنُّ لمَّا سمعوا القرآن وتعجبوا منه أن يسقطوا عليه ... قال : ومعنى (لِبَداً) : يركب بعضهم بعضاً ، وكل شيء ألصقته بشيء إلصاقاً شديداً فقد لَبَّدْتَّه[1])[2] .

دراسة النص :

قال الطبري في آية البلد : (يقول هذا الجليد الشديد* أهلكتُ مالاً كثيراً في عداوة محمد ، فأنفقت ذلك فيه ، وهو كاذب في قوله ذلك ، وهو فعل من التلبد ، وهو الكثير بعضه على بعضه ، يُقال منه : لبد بالأرض يلبد إذا لصق بها) [3] .

وقال في آية الجن : (يقول : وأنَّه لَمَّا قال محمد رسول الله – ﷺ – يدعو الله، يقول : لا إله إلاَّ الله كادوا يكونون عليه لبدا ، يقول : كادوا يكونون على محمد جماعات بعضها فوق بعض ، واحدها : لبدة) [4] .

فوافقه ابن منظور في معنى اللبد في الموضعين ، إلاَّ أنه خالفه – بما ذكره عن الأزهري – فيمن عُنوا بقوله : (كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا) ، فقد ذكر الطبري عدة أقوال في ذلك ، ثُمَّ رجَّح بينها بقوله : (وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: ذلك خبر من الله عن أنَّ رسوله محمداً – ﷺ – لمَّا قام يدعوه كادت العرب تكون عليه جميعاً في إطفاء نور الله) [5] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (لبد) ، (١٣٠/١٤) .

(٢) لسان العرب ، مادة (لبد) ، (٣٨٧/٣) .

* يريد بالجليد الشديد رجلٌ من بني جمع كان يُدعي : أبا الأشدين ، وقيل : أبا الأشد أُسيد بن كلدة الجمحي . ذكر أنَّه نزلت فيه هذه الآيات من سورة البلد . (انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٩٨/٣٠) ، وانظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٤٨٨/٤)) .

(٣) المرجع السابق ، (١٩٨/٣٠) .

(٤) المرجع السابق ، (١١٧/٢٩) .

(٥) المرجع السابق ، (١١٩/٢٩) .

وفَصَّل الرازي في المعنى اللغويّ لمادة (لبد) في آية البلد ، حيثُ قال : (قال أبوعبيدة : لبد فعل من التلبيد ، وهو المال الكثير بعضه على بعض[١] ... قال الفرَّاء: واحدته لبدة ، ولبد جمع ، وجعله بعضهم واحداً ... قال الليث : مالٌ لُبد : لا يُخاف فناؤه من كثرته) [٢] .

وقال في آية الجن : (وقوله : (لبداً) ، فهو جمع لبدة ، وهو ما تلبد بعضه على بعض ، وارتكم بعضه على بعض ، وكل شيء ألصقته بشيء إلصاقاً شديداً فقد لبدته) [٣] .

فوافق ابن منظور الرازي في معنى هذه المفردة في الموضعين .

وكذا وافق القرطبي الذي فسَّر المال اللبد في آية البلد بالمال الكثير المجتمع، وفسَّر قوله : (كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدًا) في آية الجن بركوبهم بعضهم بعضاً ازدحاماً ، وسقوطهم ، وذكر أنَّه يُقال : الناس لبد ، أي : مجتمعون[٤] .

ووافقه ابن كثير ، حيثُ فسَّر قوله : (مالاً لبداً) في آية البلد بالمال الكثير ، وفسَّر اللبد في آية الجن بما معناه الازدحام والاجتماع ، إلا أنَّه خالف ابن منظور في اختياره مذهب ابن جرير الطبري فيمن وقع منه التلبيد[٥] .

وممَّن وافقه ابن منظور في التفسير اللغويّ للمفردة في الآيتين كذلك الإمام الزمخشري الذي فسَّر المال اللبد في آية البلد بالإنفاق الكثير ، وفسَّر التلبيد في آية الجن بالاذدحام والتراكم[٦] ، وهو معنى كلام ابن منظور .

ووافقه ابن منظور أيضاً فيمن وقع منه التلبيد ، حيثُ ذكر أنَّ الجن أتوا النبي ﷺ يستمعون إليه حين قام يعبد الله – عزَّ وجل – هو وأصحابه في صلاة الفجر

---

(١) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، (٢٩٩/٢) .

(٢) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٦٦/٣١) .

(٣) المرجع السابق ، (١٤٤/٣٠) .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٦٤/٢٠) ، (٢٣/١٩ ، ٢٤) .

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٥١٣/٤) ، (٤٣٣/٤) .

(٦) انظر : الكشاف ، للزمخشري ، (٧٥٨/٤) ، (٦٣٢/٤) .

بنخلة ، فكاد الجن يزدحمون عليه متراكمين تعجُّباً مِمَّا رأوا من عبادته -ﷺ- وإقتداء أصحابه به قائماً وراكعاً وساجداً وإعجاباً بما تلا من القرآن .

ثُمَّ ذكر الزمخشري قول ابن جرير وابن كثير آنف الذكر ، وذكر قولاً ثالثاً نسبه إلى قتادة ، وهو أنَّ التلبيد وقع من الإنس والجن معاً ، ليطفئوا نور الإسلام ، فأبي الله إلاَّ أن ينصره ، ويظهره على من ناوأه(١).

وجوه القراءات :

آية الجن : (كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدًا)

روى هشام بن عمار عن ابن عامر : (لُبَداً) بضم اللام ، وروى ابن ذكوان عن ابن عامر (لِبَداً) بكسرها ، وكذلك قرأ الباقون بالكسر(٢) .

المعنى العام للآيتين :

١/ آية البلد :

(يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالاً لُّبَدًا) ، أي : يقول ذلك الكافر الشديد ، والمقصود به أبا الأشد بن كلدة الجمحي ، وقيل : الوليد بن المغيرة ، يقول : أنفقتُ مالاً كثيراً بعضه على بعض ، من التلبيد ، في عداوة محمد – ﷺ(٣) .

٢/ آية الجن :

(وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدًا) أي : النبي -ﷺ- وإنَّما ذكر بلفظ العبد للتواضع ، فإنَّه واقع موقع كلامه عن نفسه ، و الإشعار بما هو المقتضي لقيامه ، لما قام النبي - ﷺ- يعبد الله -تعالى- كاد الجن يكنون متراكمين من ازدحامهم عليه تعجباً ممَّا رأوا من عبادته ، وسمعوا من قراءته ، أو : كاد الإنس والجن يكونون عليه مجتمعين لإبطال أمره(٤) .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (٦٣٢/٤) .

(٢) انظر : السبعة في القراءات ، لابن مجاهد البغدادي ، ص ٦٥٦ ، وانظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص ٧٢٩ .

(٣) انظر : معالم التنزيل ، للبغويّ ، (٤٨٨/٤ ، ٤٨٩) .

(٤) انظر : أنوار التنزيل ، للبيضاويّ ، (٤٠٠/٥) .

النص رقم (١٤٩) و (١٥٠) و (١٥١) و (١٥٢) و (١٥٣) و (١٥٤)

يقول تعالى : [وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ...][١] .

ويقول تعالى : [...هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّ...][٢] .

ويقول تعالى : [...ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا...][٣] .

ويقول تعالى : [...فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ..][٤] .

ويقول تعالى : [...أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا...][٥] .

ويقول تعالى : [...وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ][٦] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (اللُّبْسُ ، بالضم : مصدر قولك : لَبِسْتُ الثوب أَلْبَس ، واللَّبْسُ ، بالتفتح : مصدر قولك : لَبْستُ عليه الأمر أَلْبِسُ خَلَطْت. واللّباسُ : ما

---

(١) سورة الأنبياء، الآية(٨٠). وتمام الآية:[وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ] .

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٨٧) . وتمام الآية : [أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ] .

(٣) سورة الفرقان،الآية (٤٧).وتمام الآية:[وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا].

(٤) سورة النحل ، الآية (١١٢) . وتمام الآية : [وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ] .

(٥) سورة الأنعام ، الآية (٦٥) . وتمام الآية : [قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ] .

(٦) سورة الأنعام ، الآية (٩). وتمام الآية : [وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ] .

يُلْبس ، وكذلك : المَلْبَس واللِّبْسُ ، بالكسر ، مثله ... واللَّبُوسُ : الثياب والسلاح ، مذكر ، فإن ذهبت به إلى الدّرع أنَّثْتَ . وقال الله –تعالى- : (وَعَلَّمۡنَـٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمۡ) ، قالوا : هي الدرع تلبس في الحروب ... ولباس الرجل : امرأته ، وزوجها لباسها . وقوله تعالى في النساء : (هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٌ لَّهُنَّ) ، أي : مثل اللباس . قال الزجَّاج : قد قيل فيه غير ما قول ، قيل : المعنى تعانقونهن ويعانقنكم ، وقيل : كل فريق منكم يسكن إلى صاحبه ويلابسه ، كما قال تعالى : (وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا)[1] ، والعرب تسمي المرأة لباساً وإزاراً[2] ... وقوله تعالى : (ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا) ، تسكنون فيه ، وهو مشتمل عليكم . وقال أبو إسحق الزجَّاج في قوله –تعالى- : (فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ) : جاعوا حتى أكلوا الوبر بالدم ، وبلغ منهم الجوع الحال التي لا غاية بعدها[3] ، فضُرب اللباس لما نالهم مثلاً ، لاشتماله على لابسه ... قوله – تعالى- : (أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعًا) ، اللَّبْسُ : الخَلْط ... أي : يجعلكم فرقاً مختلفين ... ولا بستُ الأمرَ : خالطته . وفيه لُبْسٌ ولُبْسَةٌ ، أي : التباس. وفي التنزيل العزيز : (وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ) ، يقال : لَبَسْتُ الأمر على القوم ألبسه لَبْساً إذا شبَّهْتُه عليهم ، وجعلتُه مشكلاً ، وكان رؤساء الكفار يَلْبِسون على ضَعَفَتِهم في أمر النبي – ﷺ – فقالوا : هلا أُنزل إلينا ملك ؟ قال الله –تعالى- : (وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكًا)[4] ، فرأوه – يعني الملك – رجلاً ، لكان يلحقهم فيه من اللبس مثل ما لحق ضعفتهم منه) [5] .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية (١٨٩) .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٢٢١/١) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (١٨١/٣) .

(٤) سورة الأنعام ، الآية (٨) .

(٥) لسان العرب ، مادة (لبس) ، (٢٠٢/٦ – ٢٠٤) .

دراسة النصوص :

قال الطبري في آية الأنبياء في اللبوس : (واللَّبُوس عند العرب : السلاح كله ... وأمَّا في هذا الموضع فإنَّ أهل التأويل قالوا : عنى الدروع) .

وقال في آية البقرة : (يعني –تعالى– ذكره بذلك نساؤكم لباس لكم ، وأنتم لباس لهن) ، وذكر في كيفية ذلك وجهين ، أحدهما : أن يكون كل واحد منهما جُعل لصاحبه لباساً لاجتماعهما عند النوم في ثوب واحد ، وانضمام جسد كل واحد لصاحبه بمنزلة ما يلبسه على جسده ، والوجه الآخر : جُعل كل واحد منهما لصاحبه لباساً ، لأنَّه سكنٌ له ، كما قال جلَّ ثناؤه : (ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا) يعني بذلك سكناً تسكنون فيه ، وقال –تعالى– ذكره : (وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا).

وقال الطبري في آية الفرقان : (وإنَّما قال جلّ ثناؤه جعل لكم الليل لباساً ، لأنَّه جعله لخلقه جنَّة يجتنون فيها ويسكنون ، فصار لهم ستراً يستترون به كما يستترون بالثياب التي يكسونها) (١) .

وقال في آية النحل : (يقول –تعالى ذكره –: فأذاق الله أهل هذه القرية* لباس الجوع ، وذلك جوع خالط أذاه أجسامهم ، فجعل الله تعالى ذكره ذلك لمخالطته أجسامهم بمنزلة اللباس لها ، وذلك أنهم سلط عليهم الجوع سنين متوالية بدعاء رسول الله ﷺ حتى أكلوا العلهز والجيف ، والعلهز الوبر يعجن بالدم والقراد يأكلونه) .

وقال في آية الأنعام (٦٥) : (يقول تعالى ذكره : أو يخلطكم شيعاً فرقاً ، واحدتُها شيعة ، وأمَّا قوله : (يلبسكم) فهو من قولك : لبست عليه الأمر إذا خلطت فأنا ألبسه ... وإنَّما عني بذلك أو يخلطكم أهواء مختلفة ، وأحزاباً مفترقة) .

---

(١) جامع البيان ، للطبري ، (٥٤/١٧) ، (١٦٢/٢ ، ١٦٣) ، (٢٠/١٩) .

* ذكر الطبري أنَّ المراد بالقرية مكة ، وقال آخرون : يعني المدينة .

(انظر : المرجع السابق ، (١٨٦/١٤) .

وفسَّر الطبري اللبس في آية الأنعام (٩) بـالخَلْط كـذلك[١] ، وفيـه معنـى الاشتباه . ممَّا سبق ذكره يتبين لنا موافقة ابن منظور للطبري في معـاني جميـع المفردات اللغوية موضوع الدراسة ، وإن كان هناك بعض الاختلاف اللفظي فـي بعض النصوص فإنَّه لا يؤثر على المعنى .

وفسَّر الرازي صنعة اللبوس في آية الأنبياء بصنع الدرع ، وذكر في تشـبيه الزوجين باللباس في آية البقرة وجوها متعددة كلها تدور حـول معـاني القـرب والستر ، منها : أنَّه لمَّا كان الرجل والمرأة يعتنقان ، فيضم كل واحد منهما جسمه إلى جسم صاحبه، حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه سُمي كل واحد منهما لباساً ، كما قيل : هنَّ فراش لكم ، وأنتم لحاف لهنَّ ، وذكر مـن هذه الوجوه أيضاً أنَّه إنَّما سمي الزوجان لباساً ليستر كل واحد منهما صاحبه عمَّا لا يحل[٢] .

وقال في آية الفرقان : (اعلم أنَّه –تعالى– شبَّه الليل من حيثُ إنَّه يستر الكل ويغطي اللباس الساتر للبدن) [٣] .

وبيَّن في آية النحل أنَّ ذلك الجوع كان شديداً كاملاً ، فصار كأنَّه أحاط بهـم من كل الجهات فأشبه اللباس ، ولباس الجوع والخوف هو ما ظهر علـيهم مـن الضمور ، وشحوب البدن ونهكته ، وتغير الحال وكسوف البال .

ونقل في آية الأنعام (٦٥) قول الزجَّاج في معنى قوله : (أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا) وهو أن المعنى : يخلط أمركم خلط اضطراب ، لا خلط اتفاق فيجعلكم فرقاً ، فإذا كنتم مختلفين قاتل بعضكم ، وهو معنى قوله : (وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ) .

ونقل في آية الأنعام (٩) قول الواحدي : يُقال : لبستُ الأمر على القوم ألبسه لبساً إذا شبهته عليهم وجعلته مشكلاً ، وأصله من التستر بالثوب ، والمعنى : إنَّـا إذا جعلنا الملك في صورة البشر ، فهم يظنون كون ذلك المَلَـك بشـراً ، فيعـود

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (١٨٧/١٤) ، (٢٢١/٧) ، وانظر : (١٥٣/٧) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٧٣/٢٢) ، (٩٠/٥) .

(٣) المرجع السابق ، (٧٨/٢٤) .

سؤالهم : إنَّا لا نرضى برسالة هذا الشخص ، وكان فعلهم تلبيساً ، لأنهم يقولون لقومهم : إنَّه بشر مثلكم ، والبشر لا يكون رسولاً من عند الله –تعالى–[1] .

إنَّ الذي يظهر مِمَّا سبق ذكره أنَّ ابن منظور يوافق الرازي كذلك في جميع المعاني السابقة ، مع الاختلاف اليسير أحياناً في استخدام الألفاظ وذلك لا يؤثر على المعنى قطعاً .

وقال القرطبي في آية الأنبياء في معنى اللبوس : (يعني اتخاذ الدروع بإلانة الحديد له ، واللبوس عند العرب السلاح كله درعاً كان أو جوشناً* أو سيفاً أو رمحاً ... واللبوس كل ما يُلبس) .

وقال في آية البقرة : (أصلُ اللباس في الثياب ، ثُمَّ سمي امتزاج كل واحد من الزوجين بصاحبه لباساً لانضمام الجسد إلى الجسد ، وامتزاجهما وتلازمهما تشبيهاً بالثوب) .

وقال في آية الفرقان في معنى لباس الليل : (يعني ستراً للخلق يقوم مقام اللباس في ستر البدن) .

وقال في آية النحل في معنى لباس الجوع والخوف : (سمَّاه لباساً ، لأنَّه يظهر عليهم من الهزال ، وشحوبة اللون ، وسوء الحال ما هو كاللباس) .

وقال في آية الأنعام (٦٥) : (أي : يلبس عليكم أمركم ... وهذا اللبس بأن يخلط أمرهم فيجعلهم مختلفي الأهواء) .

وقال في آية الأنعام (٩) : (وللبسنا عليهم ، أي : على رؤسائهم كما يلبسون على ضعفتهم ، وكانوا يقولون لهم : إنَّما محمد بشر ، وليس بينه وبينكم فرق ، فيلبسون عليهم بهذا ، ويشككونهم ، فأعلمهم الله – عزَّ وجل – أنَّه لو أنزل ملكاً في صورة رجل لوجدوا سبيلاً إلى اللبس كما يفعلون ، واللبس : الخلط ، ويُقال : لبست عليه الأمر ألبسه لبساً ، أي : خلطته ، وأصله التستر بالثوب ونحوه)[2] .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (١٠٣/٢٠) ، (١٩/١٣ ، ٢٠) ، (١٢ ، ١٣٤) .

* الجَوْشَنُ : الدرع . قاله محمد بن أبي بكر الرازي في مختار الصحاح ، مادة (جشن) ، (٤٤/١) .
وفي لسان العرب ، مادة (جشن) ، (٨٨/١٣) : الجَوْشَن : اسم الحديد الذي يُلبس من السلاح .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، على ترتيب النصوص : (٣٢٠/١١) ، (٣١٦/٢) ، (٣٨/١٣) ، (١٩٤/١٠) ، (٩/٧) ، (٣٩٤/٦) .

وعلى هذا يوافق ابن منظور القرطبي أيضاً في جميع ما سبق من معاني المفردات اللغوية موضوع الدراسة ، ولا خلاف بينهما إلا من حيث اختيار الألفاظ والكلمات التي يتوصل بها إلى المعاني ، وذلك في بعض الأحيان فقط .

وذكر ابن كثير أنَّ معنى (صنعة لبوس) في آية الأنبياء : صنعة الدروع وبيَّن في آية البقرة أنَّ سبب تسمية كل من الرجل والمرأة باللباس أنَّهما لمَّا كانا يعتنقان ، ويشتمل كل منهما على صاحبه شُبِه باللباس ، أو لأنَّ كل واحد منهما يستر حال صاحبه ، ويمنعه من الفجور .

كما ذكر ابن كثير أنَّ معنى لباس الليل في آية الفرقان أنَّ الليل يلبس الوجود ويغشاه .

وذكر أنَّ المراد بقوله : ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ : ألبسها وأذاقها الجوع بعد أن كان يُجبى إليهم ثمرات كل شيء ، ويأتيها رزقها رغداً من كل مكان ، وذلك أنَّهم استعصوا على رسول الله -ﷺ - وأبوا إلاَّ خلافه ، فدعا عليهم بسبع كسبع يوسف – عليه السلام – فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء لهم ، فأكلوا العلهز ، وهو وبر البعير يُخلط بدمه إذا نحروه(١) .

وقال ابن كثير في آية الأنعام (٦٥) : (يلبسكم : يخلطكم ، من الالتباس ، يُلبسوا : يُخلطوا شيعاً فرقاً) .

وقال في آية الأنعام (٩) : (أي : لو بعثنا إلى البشر رسولاً ملكيّاً لكان على هيئة الرجل ليمكنهم مخاطبته ، والانتفاع بالأخذ عنه ، ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر ، كما هم يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة البشرى ... وللبسنا عليهم ما يلبسون : أي : ولخلطنا عليهم ما يخلطون) (٢) .

ممَّا سبق يتبين لنا موافقة ابن كثير لابن منظور في جميع المواضع ، والخلاف بينهما يسير ، وهو في جانب الألفاظ والأساليب التي يتوصل بها إلى المعنى .

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم، لابن كثير،على الترتيب: (١٨٨/٣) ، (٤٦٨/١) ، (٣٢١/٣) ، (٥٩٠/٢) .
(٢) المرجع السابق ، (١٤٠/٢) ، (١٢٥/٢) .

وقال الواحدي في تفسير قوله : (وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ) : (عمل ما يلبسونه من الدروع . وذكر أن معنى قوله : (هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ) في الزوجين ، هنَّ فراش لكم، وأنتم لحاف لهن عند الجماع .

وفسّر لباس الليل في آية الفرقان بالستر .

أمَّا في آية النحل فاكتفى بتفسير الآية دون التعرض لمدلول كلمة لباس فيها(١) .

وقال في آية الأنعام (٦٥) : (أويلبسكم شيعاً : يخلطكم فرقاً بأنَّ يبث فيكم الأهواء المختلفة فتخالفون وتقاتلون) .

وقال في آية الأنعام : (٩) : (وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ) ولخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكُّوا فلا يدروا أملك هو أم آدمي ، أي : فإنَّما طلبوا حال لبس لا حال بيان) (٢) .

مِمَّا سبق يمكننا القول أيضاً بموافقة ابن منظور للواحديّ ، على أنَّ التوافق بينهما إمَّا لفظيّ أو بتقارب المعاني ، إلا أنَّ الواحديّ سكت عن بيان مدلول قوله (لباس) في آية النحل ، فلا مقارنة بينهما فيها .

وجوه القراءات :

آية النحل :

رُوى عن أبي عمرو أنَّه قرأ : (الخَوف) من قوله تعالى : (لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ) بفتح الفاء ، وفي رواية أُخرى عن أبي عمرو بكسر الفاء ، وهي قراءة الباقين(٣) .

المعنى العام للآيات :

١/ آية الأنبياء :

---

(١) انظر : الوجيز ، للواحديّ ، (٧٢١/٢) . وانظر : (١٥٢/١) ، (٧٨١/٢) ، (٦٢٢/١) .

(٢) المرجع السابق : (٣٥٩/١) ، (٣٤٦/١) .

(٣) انظر : السبع في القراءات ، لابن مجاهد البغدادي ، ص ٣٧٦ .

(وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ) : الضمير في قوله : (علمناه) راجع إلى داود – عليه السلام – والمراد بصنعة اللبوس صنعة الدروع ونسجها ، والدليل على ذلك قوله : (لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ) ، أي : لتحرز وتقي بعضكم من بأس بعض؛ لأنَّ الدرع يقي من ضرر الضرب بالسيف ، والرمي بالرمح والسهم ، كما هو معروف . وقوله : (فَهَلْ أَنتُمْ شَـٰكِرُونَ) يُراد بصيغة الاستفهام الأمر ، أي : اشكروا ، وشكر العبد لربه هو أن يستعين بنعمه على طاعته ، وشكر الرب لعبده هو أن يثيبه الثواب الجزيل من عمله القليل ، ومادة شكر لا تتعدى غالباً إلاَّ باللام، وتعديتها بنفسها دون اللام قليلة(١) .

٢/ آية البقرة :

أحل لكم ليلة الصيام الرفث بمعنى الإفضاء إلى نسائكم بالجماع ، نزل نسخاً لما كان في صدر الإسلام على تحريمه ، وتحريم الأكل والشرب بعد العشاء ، وقوله : هُنَّ لباس لكم وأنتم لباس لهن ، كناية عن تعانقهما ، أو احتياج كل منهما إلى صاحبه ، علم الله أنكم كنتم تختانون تخونون أنفسكم بالجماع ليلة الصيام – وقد وقع ذلك لعمر – رضي الله عنه – وغيره ، واعتذروا إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فتاب عليكم قبل توبتكم ، وعفا عنكم فالآن إذ أُحلَ لكم باشروهن ، أي : جامعوهن ، وابتغوا اطلبوا ما كتب الله لكم من إباحة الجماع أو قدَّره من الولد ، وكلوا واشربوا الليل كله حتى يظهر لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، أي : الصادق ، بيان للخيط الأبيض ، وبيان الأسود محذوف ، أي : من الليل ، ثُمَّ أتموا الصيام من الفجر إلى الليل ، أي : إلى دخوله بغروب الشمس ، ولا تباشروهنَّ ، أي : نساءكم ، وأنتم مقيمون بنية الاعتكاف في المساجد ، تلك الأحكام المذكورة حدود الله حَدَّها لعباده ليقفوا عندها ، فلا تقربوها أبلغ من : لا تعتدوها ، كذلك كما بيَّن لكم ما ذكر يُبيِّن الله آياته للناس لعلهم يتقون محارمه(٢) .

٣/ آية الفرقان :

---

(١) انظر : أضواء البيان ، للشنقيطي ، (٤/٢٣٢ – ٢٣٤) .

(٢) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٣٩ .

(وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا) بيان لبعض بدائع آثار قدرته تعالى : وحكمته ، وروائع أحكام رحمته ، ونعمه الفائضة على الخلق ، أي : هو الذي جعل لكم الليل كاللباس يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ، (وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا) أي : وجعل النوم الذي يقع في الليل غالباً قطعاً عن الأفاعيل المختصة بحال اليقظة ، عبَّر عنه بالسبات الذي هو الموت لما بينهما من المشابهة التامة في انقطاع أحكام الحياة ، وعليه قوله –تعالى– : (وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ)[١] ، (وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا) ، أي : زمان بعث من ذلك السبات كبعث الموتى ، أو نفس البعث على طريق المبالغة ، وفيه إشارة إلى أنَّ النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور[٢] .

٤/ آية النحل :

(وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ...) الخ ، هذه القرية هي مكة المكرمة التي كانت آمنة مطمئنة ، وتحترمها الجاهلية حتى إنَّ أحدهم يجد فيها قاتل أبيه وأخيه فلا يهيجه مع شدة الحمية فيهم والنعرة العربية ، فحصل في مكة من الأمن التام ما لم يحصل في سواها ، وكذلك الرزق الواسع ، كانت بلدة ليس فيها زرع ولا شجر ، فيسَّر الله لها الرزق يأتيها من كل مكان ، وجاءهم رسول منهم يعرفون أمانته وصدقه ، فكذبوه وكفروا بنعمة الله عليهم ، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه ، وألبسهم لباس الجوع الذي هو ضد الرغد ، والخوف الذي هو ضد الأمن ، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم وعدم شكرهم[٣] .

٦/ آية الأنعام (٦٥)

(قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ...) الآية ، يقول –تعالى– ذكره لنبيه– ﷺ –: قل لهؤلاء العادلين بربهم غيره من الأصنام والأوثان : إنَّ الذي يُنجّيكم من ظلمات البر والبحر ومن كل كرب ثُمَّ تعودون للإشراك به

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (٦٠) .

(٢) انظر : إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (٦/٢٢٣) .

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ٤٥١ .

هو القادر على أن يُرسل عليكم عذاباً من فوقكم بالرجم أو الطوفان وما أشبه ذلك مما ينزل عليهم من فوق رؤوسهم ، ومن تحت أرجلكم بالخسف وما أشبهه ، أو يلبسكم ، أي : يخلطكم شيعاً فرقاً ، من قولك : لبست عليه الأمر إذا خلطت ، فأنا ألبسه ، ويذيق بعضكم بأس بعض ، أي : يقتل بعضكم بيد بعض .

واختلفوا فقيل : هذه الآية نزلت في أهل الإيمان ، وقيل : نزلت في أهل الشرك ، والصواب أن يُقال : إنَّ الله تعالى توعَّد بهذه الآية أهل الشرك به من عبدة الأوثان ، وخاطبهم بها .

انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون ، أي : انظر يا محمد بعين قلبك إلى ترديدنا حججنا على هؤلاء المكذبين بربهم ، الجاحدين نعمه وتصريفنا فيهم ، ليفقهوا ذلك ، فيذكروا ويذدجروا عمَّاهم عليه مقيمون ممَّا يُسخط الله منهم من عبادة الأوثان والأصنام ، والتكذيب بكتاب الله –تعالى– ورسوله[1] .

٦/ آية الأنعام (٩)

(وَلَوۡ جَعَلۡنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلۡنَـٰهُ رَجُلًا) ، يعني : لو أنزلنا مَلَكاً بالنبوة لجعلناه رجلاً ، يعني لأنزلناه على شبه رجل على صورة آدمي ، فقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم –عليه السلام– على صورة الضيفان ، وعلى داود –عليه السلام– مثل الخصمين ، وكان جبريل –عليه السلام– ينزل على رسول الله – ﷺ – على صورة دحية الكلبي[2] .

(وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ) ، يعني لو نزل الملك على أشباه الآدميين لا يزول عنهم الاشتباه ، والتلبس بمعنى الخلط ، يعني : أضللناهم بما ضلوا به من قبل أن يبعث الملك[3] .

النص رقم (١٥٥)

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٧/٢١٩ – ٢٢٧) .

(٢) دحية الكلبي : هو دحية بن خليفة الكلبيّ ، صحابي مشهور ، أوّل مشاهده الخندق ، وقيل أُحد ، ولم يشهد بدراً ، كان يُضرب به المثل في حسن الصورة ، وكان جبريل –عليه السلام– ينزل على صورته ، وقد شهد دحية اليرموك ، وعَاش إلى خلافة معاوية .

(انظر : الإصابة ، لابن حجر ، (٢/٣٨٥) ، وانظر : الوافي بالوفيات ، للصفديّ ، (١٤/٥)) .

(٣) انظر : بحر العلوم ، للسمرقنديّ ، (١/٤٥٧) .

يقول تعالى : [أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ][1] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (لَتَّ السَّوِيقَ والأَقِطَ* ونحوهما ، يَلُتُّه لَتّاً : جَدَحَهُ** ، وقيل : بَسَّه بالماء ونحوه ... واللَّتَاتُ : مالُتَّ به ... واللاَّت ، فيما زعم قوم من أهل اللغة : صخرة كان عندها رجل يلت السويق للحاج ، فلما مات عُبِدَت ... وفي حديث مجاهد في قوله تعالى : (أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ) ، قال : كان رجل يلت السويق لهم[2] ، وقرأ : أفرأيتم اللات والعزي) بالتشديد . قال الفرَّاء : والقراءة : اللات ، بتخفيف التاء ، قال : وأصله اللات ؛ لأنَّ الصنم إنما سمي باسم اللاتِّ الذي كان يلت عند هذه الأصنام لها التسويق ، أي : يخلطه ، فخفف وجعل اسماً للضم ... وكان المشركون الذين عبدوها عارضوا باسمها اسم الله ، تعالى الله علواً كبيراً عن إفكهم ومعارضتهم وإلحادهم في اسمه العظيم[3])[4] .

دراسة النص :

ذكر الطبري أنَّ اشتقاق اسم اللات من الله ، أُلحقت فيه التاء فأُنثت ، وقد سمَّي المشركون أوثانهم بأسماء الله – تعالى – فقالوا من الله : اللات ، ومن العزيز : العُزَّى ، وزعموا أنهنَّ بنات الله ، تعالى الله عمَّا يقولون وافتروا .

---

(١) سورة النجم ، الآية (١٩) .

* السَّوِيقُ : طعام "معروف" يُعمل من الحنطة والشعير ، (انظر : المصباح المنير ، لأحمد بن محمد المقري، (٢٩٦/١)) .

والأقط : هو ما يُتخذ من اللبن المخيض ، يُطبخُ ، ثم يترك حتى يَمْصُلُ ، أي : يتميز ماؤه .

(انظر : كتاب العين ، للفراهيديّ ، (١٩٤/٥)) .

** الجَدْحُ : خوض السويق واللبن ونحوه بالمجدح ليختلط . والمِجدحَ : خشبة في رأسها خشبتان معترضتان (انظر : المرجع السابق ، (٧٣/٣)) .

(٢) ورد مثل هذا عن ابن عباس موقوفاً في صحيح البخاري ، ٦٨- كتاب التفسير ، ٣٤١- باب (أفرأيتم اللات والعزي) ، حديث رقم (٤٥٧٨) (١٨٤١/٤) .

(٣) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٩٨/٣) .

(٤) لسان العرب ، مادة (لتت) ، (٨٢/٢ ، ٨٣) .

ثُمَّ ذكر الطبري اختلاف القراء في قراءة قوله : (اللات) ، وبـيَّن أنَّ عامة قراء الأمصار قرأوا ذلك بتخفيف التاء على المعنى الذي وصفه ، وأنَّ اللات بيت كان بنخلة تعبده قريش ، وقيل : كان بالطائف .

كما بيَّن الطبري قراءة ابن عباس ومجاهد وغيرها ، وهي بتشديد التاء ، وجعلوا هؤلاء (اللات) صفة للوثن الذي يعبده المشركون ، وقالوا : كان رجلاً يَلُتُّ السَّويق للحاج ، فلمَّا مات عكفوا على قبره فعبدوه .

ثُمَّ اختار الطبري القراءة بالتخفيف على ما وصفه من المعنى ، لإجماع الحجة من القراء عليه[1] .

يُلاحظ مِمَّا سبق أنَّ ابن منظور نقل ما ذكره الطبري ، إلاَّ أنَّه خالفه في الاختيار ، حيثُ اختار ابن منظور – كما يظهر من كلامه – القراءة بالتشديد على المعنى الذي ذكر ، واختار الطبري القراءة بالتخفيف على معنى أنَّ اللات كان بيت بنخلة تعبده قريش ، ولم يذكر ذلك ابن منظور ، كذلك الخلاف بينهما في الرواية التي نقلها كلا منهما عن الرجل اللات ، الذي كان يَلُتُّ السويق للحاج ، حيثُ ذكر الطبري أنَّ المشركين عكفوا على قبر الرجل اللات بعد موته وعبدوه ، وذكر ابن منظور أنَّهم عبدوا الصخرة التي كان الرجل يَلُتُّ عندها السَّويق .

وذكر الرازي كذلك القراءتين في (اللات) ، وعنده على القراءة الأولى – وهي قراءة التخفيف – التاء في (اللات) تاء تأنيث ، كُتبت مطولة لئلا يوقف عليها، فتصير هاء ، فيشتبه باسم الله –تعالى – وهي صنم كانت لثقيف بالطائف ، وقد اختار الرازي هذا القول – كما يظهر من كلامه – ثُمَّ بيَّن أنَّ (اللات) قُرئ بالتشديد ، من (لتَّ) مأخوذ من رجل كان يلت بالسمن الطعام ويطعم الناس فعُبد ، واتُّخِذَ على صورته وثن ، وسموه باللات ، وعلى هذا فاللات ذكر[2] .

فخالف ابن منظور الرازي كذلك في الاختيار .

كما خالف أيضاً القرطبي الذي ذكر في معنى اللات أنَّ القراءة الصحيحة فيه هي القراءة بالتخفيف على أنَّه اسم صنم لثقيف بالطائف .

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٧/٥٨ ، ٥٩) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٨/٢٥٥) .

وقد ذكر القرطبي كذلك الأقوال الأخرى التي ذكرت في لفظ (اللات) [١] .

وقال ابن كثير في معنى (اللات) : (وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة ، عليها بيت بالطائف ، له أستار وسدنة ، وحوله فناء معظِّم عند أهل الطائف ، وهم ثقيف ومن تابعها يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش ، قال ابن جرير : وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله –تعالى– فقالوا : اللات ، يعنون مؤنثة منه ، تعالى الله عن قولهم علوّاً كبيراً) [٢] .

ثُمَّ ذكر ابن كثير القراءة بالتشديد ، وحكي في المعنى حينئذ قول ابن منظور [٣] .

وعلى هذا يخالف ابن كثير ابن منظور في اختياره ، حيثُ اختار قول ابن جرير آنف الذكر .

وذكر البغوي في اللات والعزَّى أنَّها أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها اشتقوا لها أسماء من أسماء الله –تعالى– فقالوا من الله : اللات ، ومن العزيز : العزَّى ، ثم ذكر فيها الأقوال الأخرى التي أشرتُ إليها سابقاً وفيها قول ابن منظور آنف الذكر [٤] .

ممَّا سبق يتبين لنا أن ابن منظور لم يشذ بقوله في (اللات) عمَّا ذكره المفسرون إلا أنَّ المفسرين كانوا أكثر تفصيلاً منه ، حيثُ ذكروا أقوالاً أُخرى لم يذكرها ابن منظور .

وجوه القراءات :

أجمع القراء على الوقف على (اللات) بالتاء ، وتفرد الكسائي بالوقف عليها بالهاء ، والاختيار التاء ؛ لأنَّ الله –تعالى– لمَّا منعهم أن يحلفوا بالله ، قالوا : اللات ، ولمَّا منعهم أن يحلفوا بالعزيز ، قالوا : العُزَّى [٥] .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٧/٩٩ – ١٠١) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤/٢٥٤) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (٤/٢٥٤) .

(٤) انظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٤/٢٩٤) .

(٥) انظر : الحجة في القراءات السبع ، لابن خالويه ، ص ٣٣٦ ، وانظر : اتحاف فضلاء البشر ، للدمياطي ، ص ١٣٩ .

المعنى العام للآية :

لمَّا قرَّر ذكر الرسالة ذكر ما ينبغي أن يبتدئ بــه الرســول - ﷺ - وهــو التوحيد ، ومنع الخلق عن الإشراك ، فقال : (أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ) ، أي : كمــا هما ، فكيف تشركونهما بالله - تعالى - والتاء في (اللات) تاء تأنيث كمـــا فـــي المناة ، لكنها تكتب مطوَّلة لئلا يوقف عليها فتصير هاء فيشتبه باسم الله -تعــالى- فإنَّ الهاء في (الله) أصيلة ليست تاء تأنيث وقف عليها فانقلبت هاء ، واللات هـــي صنم كانت لثقيف بالطائف ، وقيل : إنَّه من رجل كان يلت الطعام بالسمن ويطعم الناس ، فعُبد ، واتخذ على صورته وثن ، وسمَّوه بالات ، وعلى هذا فاللات ذكر، وأمَّا (العُزَّى) فتأنيث الأعز ، وهي شجرة كانت تُعبد(١) .

النص رقم (١٥٦) و (١٥٧) و (١٥٨)

يقول تعالى : [...وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ ...](٢) .

ويقول تعــالى : [...لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ](٣) .

ويقـــول تعــــالى:[...وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ۞ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ...](٤) .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٥٥/٢٨) .

(٢) سورة الحج ، (٢٥) . وتمام الآيــة : [إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ] .

(٣) سورة النحل ، الآية (١٠٣) . وتمام الآيــة : [وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ] .

(٤) سورة الجن ، الآيتان (٢٢ ، ٢٣) . وتمام الآيتــان : [قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا * إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (وألحَدَ الرجل ، أي : ظَلَم في الحَرَم ، وأصله من قوله – تعالى– : ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٍ﴾ ، أي : إلحاداً بظلم ، والباء فيه زائدة ... ومعنى الإلحاد في اللغة : الميل عند القصد ... ولحد إليه بلسانه : مال . الأزهري في قوله تعالى : ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ﴾ . قال الفرَّاء : قُرِئَ : يَلْحَدون ، فمن قرأ يَلْحُدون ، أراد : يميلون إليه ، ويُلْحِدون : يعترضون[(١)] ... والمُلْتَحَدُ : المَلْجأُ ، لأنَّ اللاجئَ يميل إليه ، قال الفرَّاء في قوله : ﴿وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا * إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾، أي : ملجأ ولا سرباً ألجأ إليه[(٢)])[(٣)] .

دراسة النصوص :

وافق ابن منظور في معنى الإلحاد في آية الحج الإمام الطبري الذي قال في معنى ذلك : (يقول –تعالى– ذكره: ومن يرد فيه إلحاداً بظلم نذقه من عذاب أليم ، وهو أن يميل في البيت الحرام بظلم ، وأُدخلت الباء في قوله (بإلحاد) والمعنى فيه ما قلت ، كما أُدخلت في قوله : ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾[(٤)] ، والمعنى : تنبت الدهن) [(٥)] .

وفسر الطبري قوله : (يُلحدون إليه) في آية النحل بالميل ، ثُمَّ قال : (واختلف القراء في قراءة قوله (يلحدون) ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة : (لسان الذي يُلحدون إليه) بضم الياء ، من ألحد يُلحد إلحاد بمعنى يعترضون ، ويعدلون إليه ويعرجون إليه ... وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة : (لسان الذي يَلْحدون إليه) ، بفتح الياء ، يعني : يميلون إليه من لحد فلان إلى هذا الأمر يلحد

---

(١) انظر : تهذيب اللغة، للأزهري ، مادة (لحد) ، (٤٢١/٤) ، وانظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (١١٠/٢) .

(٢) انظر : المرجع السابق الثاني ، (١٩٥/٣) .

(٣) لسان العرب ، مادة (لحد) ، (٣٨٩/٣) .

(٤) سورة المؤمنون ، الآية (٢٠) .

(٥) جامع البيان ، للطبري ، (١٣٨/١٧) .

لحداً ولحوداً ، وهما عندي لغتان بمعنى واحد ، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب فيهما الصواب) [١] .

كما فسر الطبري الملتحد في آية الجن بالملجأ[٢] .

فوافقه ابن منظور في المفردتين – موضعي الدراسة – في كل من آيتي النحل والجن كذلك .

أمَّا الرازي فقد بيَّن في آية الحج أنَّ قوله (يرد) قُرئ بفتح الياء من الورود .

قال : ومعناه : من أتى فيه بإلحاد .

ثُمَّ ذكر أنَّ الإلحاد هو العدول عن القصد ، وأصله إلحاد الحافر ، ثُمَّ ذكر للمفسرين في تفسير الإلحاد وجوهاً ، منها : الشرك بالله ، ومنها : قتل ما نهى الله تعالى عنه من الصيد ، ومنها : دخول مكة بغير إحرام وإرتكاب ما لا يحل للمحرم ، ومنها : الاحتكار ، ومنها : أنَّ الإلحاد بظلم عام في كل المعاصي ، وغير ذلك .

ثُمَّ ذكر الرازي أنَّ الباء في قوله (بإلحاد) فيها قولان ، أحدهما – وهو اختياره – : إن قوله : (بإلحاد بظلم) حالان مترادفان ، ومفعول (يرد) متروك ظالماً نذقه من عذاب أليم . وثانيهما : – وهو قول ابن منظور آنف الذكر – أنَّ الباء زائدة ، والمعنى ومن يرد فيه إلحاداً بظلم[٣].

فوافقه ابن منظور في معنى الإلحاد في اللغة ، إلا أنَّه خالفه في اشتقاق الفعل (يرد) ، وفيما يتعلق بالباء من قوله : (بإلحاد) ، حيثُ يرى ابن منظور أنَّ الفعل (يرد) ، مشتق من (أراد) – كما يظهر ذلك من كلامه – وأن الباء في قول : (بإلحاد) زائدة ويرى الرازي أنَّ اشتقاقه من الورد على القراءة بفتح الياء ، والباء ليست زائدة ، لأنَّ المعنى عنده : ومن أتي فيه بإلحاد .

كما يُلاحظ عند الرازي زيادة تفصيل في بيان ماهية الظلم في الحرم الذي أُريد في الآية .

---

(١) المرجع السابق ، (١٧٩/١٤ ، ١٨٠) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (١٢٠/٢٩) .

(٣) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٣/٢٣) .

وذكر الرازي في آية النحل أنَّ معنى الإلحاد في اللغة: الميل عن القصد ، ثُمَّ بيَّن القراءتين في قوله : (يلحدون) [1] كما فعل بعده ابن منظور .

وفسَّر الملتحد في آية الجن بأنَّه الملجأ والحرز[2] .

فوافقه فيه ابن منظور أيضاً .

وذكر القرطبي في آية الحج أنَّ الإلحاد في اللغة الميل إلا أنَّ الله – تعالى – بيَّن أنَّ الميل بالظلم هو المراد ، ثُمَّ ذكر القرطبي الخلاف بين أهل التفسير في تفسير الظلم ، فأورد الأقوال التي أوردها الرازي وأشرتُ إليها سابقاً ، وصحَّحَ القرطبي القول بأنَّ المراد جميع المعاصي بمكة .

ثُمَّ ذكر أنَّ الباء في (بإلحاد) زائدة ، وقيل : دخلت الباء ؛ لأن المعنى : بأن يُلحد ، والباء مع أنَّ تدخل وتحذف[3] .

وذكر في آية النحل أنَّ معنى الإلحاد الميل عن القصد ، ثُمَّ ذكر القراءة الأُخرى ، وهي بفتح الياء والحاء في قوله : (يَلْحَدون) ، وبيَّن أنَّ معناها على هذه القراءة يميلون ، أي : لسان الذي يميلون إليه ويشيرون أعجمي[4] .

وذكر القرطبي في آية الجن عدة أقوال في تفسير الملتحد ، وهي : الملجأ ، الحرز ، المدخل في الأرض كالسرب ، الولي والمولي ، المذهب والمسلك .

ثُمَّ بيَّن القرطبي أنَّ المعنى في جميع هذه الأقوال واحد[5] .

وعلى هذا لا يخالفه ابن منظور في معاني جميع هذه المفرادات في المواضع الثلاثة ، وإن كان القرطبي أكثر منه توضيحاً وتفصيلاً .

أمَّا ابن كثير ففي تفسيره لآية الحج يرى أن الباء ليست زائدة ، وذكر أنَّ الأجود أنَّه ضمن الفعل هاهنا معنى (يهم) ؛ ولهذا عداه بالباء فقال : (ومن يرد فيه بإلحاد) ، أي : يهم فيه بأمر فظيع من المعاصي الكبار[6] .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (٩٤/٢٠) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (١٤٥/٣٠) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣٤/١٢ – ٣٦) .

(٤) انظر : المرجع السابق ، (١٧٨/١٠) .

(٥) انظر : المرجع السابق ، (٢٦/١٩) .

(٦) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢١٥/٣) .

وما يظهر من كلامه أنَّه يفسر الإلحاد بالأمر الفظيع من المعاصي الكبـــار ، ولم يذكر معنى الميل الذي ذكره ابن منظور ، كما خالفه فيما يتعلق بأمر الباء في قوله (بإلحاد) كما هو واضح .

واكتفى ابن كثير في آية النحل بتفسير الآية دون التعرض لبيان تفصيلي في معنى قوله (يلحدون) من حيثُ اللغة ، كما لم يذكر أوجــه القــراءات فــي هــذه المفردة[1] .

فلا وجه للمقارنة بينه وبين ابن منظور في ذلك :

وذكر ابن كثير في آية الجن أقوال أهل التفسير في معنى قوله : (ملتحــداً) ، منها قول مجاهد وقتادة والسدي بأنَّ المعنى :لا ملجأ ، وقــول قتــادة أيضـــاً : لا نصير ولا ملجأ ، وفي رواية : لا ولي ولا موئل[2].

وهذه المعاني يمكن اعتبارها معانٍ مترادفة كما ذكر ذلــك القرطبــي ؛ لأنَّ مؤدَّاها واحد ، وعلى هذا يوافق ابن كثير ابن منظور في تفسير هذه المفردة ، مع زيادة تفصيل في بيان المعنى بذكر أقوال المفسرين .

وعرَّف الكلبي الإلحاد في آية الحج بالميل عن الصواب ، وذكر أنَّ الظلم هنا عام في المعاصي من الكفر إلى الصغائر ؛ لأن الذنوب في مكة أشدَّ في غيرها ، وقيل : هو استحلال الحرام .

كما ذكر أنَّ مفعول (يرد) محذوف ، تقديره : من يرد أحداً ، أو مــن يــرد شيئاً ، وبإلحاد بظلم حالان مترادفان ، وقيل : المفعول قوله : (بإلحاد) على زيادة الباء[3] .

وعلى هذا يكون الكلبي موافقاً لابن منظور في المعنى اللغوي للإلحاد فقط ، أمَّا فيما يتعلق بحكم الباء في قوله (بإلحاد) فقد خالفه ، لاختيــاره أنَّ البـــاء غيــر زائدة – كما يظهر من كلامه – ثُمَّ حكى قول ابن منظور بعد ذلك .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (٥٨٧/٢) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٤٣٣/٤) .

(٣) انظر : التسهيل ، للكلبيّ ، (٣٩/٣) .

وفي آية النحل قال الكلبي في معنى قوله : (يلحدون) : (ويلحدون من (ألحد) إذا مال ، وقُرئ بفتح الياء من (لحد) ، وهما بمعنى واحد) [١] .

فذكر في هذا النص أنَّ الفعل على القراءتين بمعنى واحد ، مخالفاً بذلك ابن منظور الذي ذكر – فيما نقله عن الفرَّاء – أنَّ من قرأ : (يَلْحدون) بفتح الياء أراد : يميلون ، ومن قرأ : يُلْحِدون ، بضم الياء ، أراد يعترضون .

وذكر الكلبي في آية الجن أن الملتحد هو الملجأ[٢] موافقاً بذلك ابن منظور .

وجوه القراءات :

آية النحل :

قرأ حمزة والكسائي : (لسان الذي يَلْحَدون) بفتح الياء والحاء من قوله : (يلحدون) من لحد يلحد ، إذا مال . وقرأ الباقون : (يُلْحِدون) بضم الياء وكسر الحاء ، من ألحد يلحد إلحاداً بمعنى : اعترض ، وحجتهم قوله تعالى : (وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ)[٣] .

أسباب النزول :

١/ آية الحج :

ذكر السيوطي في سبب نزول هذه الآية ما رُوى عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال : بعث النبي – ﷺ – عبدالله بن أنيس[٤] مع رجلين أحدهما

---

(١) المرجع السابق ، (١٦٢/٢) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (١٥٥/٤) .

(٣) انظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص ٣٩٤ ، وانظر : السبعة في القراءات ، لابن مجاهد البغدادي ، ص ٣٧٥ .

(٤) عبدالله بن أنيس : هو عبدالله بن أنيس بن أسعد بن حرام ، أبو يحيي ، شهد العقبة مع السبعين ، وكان يكسر اصنام بني سلمة ، وهو معاذ بن جبل لمَّا أسلما ، ولم يشهد بدراً لكنه شهد أُحداً وما بعدها ، بعثه رسول الله ﷺ بسرية وحده إلى سفيان بن خالد بن نبيح ، وأمره أن يقتله ، فقتله ثم قدم فأخبر النبي ﷺ فأعطاه مخصراً يعني عصا ، فقال : خذ هذه تتخصر بها يوم القيامة ، فإنَّ المنخصرين يومئذ قليل . فلمَّا حضرته الوفاة أمر بأن تدفن معه في أكفانه ، ومات بالمدينة في خلافة معاوية .

(انظر : المنتظم ، لابن الجوزي ، (٢٤٧/٥) ، وانظر : حلية الأولياء و طبقات الأصفياء ، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٥هـ ، (٥/٢)) .

مهاجر ، والآخر من الأنصار ، فافتخروا في الأنساب ، فغضب عبدالله بن أنيس ، فقتل الأنصاري ، ثُمّ ارتدَّ عن الإسلام وهرب إلى مكة ، فنزلت فيه : (وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٍ...) الآية[1] .

٢/ آية النحل :

وذكر السيوطي في سبب نزول آية النحل ما رُوى عن ابن عباس أيضاً فيما أخرجه ابن جرير عنه بسندٍ ضعيف ، أنَّه قال : كان رسول الله – ﷺ – يُعلم قيناً*بمكة اسمه : بلعام ، وكان أعجمي اللسان ، وكان المشركون يرون رسول الله – ﷺ – يدخل عليه ويخرج من عنده ، فقالوا : إنَّما يُعلِّمه بلعام ، فأنزل الله : (وَلَقَد نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ) الآية[2] .

المعنى العام للآيات :

١/ آية الحج :

يُخبر الله –تعالى– في هذه الآية أنَّ الذين كفروا ، ويمنعون عن طاعة الله تعالى ويمنعون المؤمنين عن المسجد الحرام الذي خلقه الله –تعالى– ، وبناه للناس كلهم لم يخص به بعضاً دون بعض ، سواءٌ في تعظيم حرمته وقضاء النسك به الحاضر ، والذي يأتيه من البلاد ، فليس أهل مكة بأحق به من النازع إليه ، ومن يُرد فيه إلحاداً ، ويميل إلى الظلم ، كصيد حمامة ، وقطع شجرة ، ودخوله غير محرم ، وجميع المعاصي ، لأنَّ السيئات تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات ، نذقه من عذاب أليم في الآخرة[3] .

---

(١) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ١٤٩ .

* قيناً : القين هو الحدَّاد ، وهو أصله ، ثُمَّ استعمل في الصائغ وقيل : كل صانع قين ، والجمع : أقيان وقيون ، والقينة : المغنية ، والقينةُ : الأمةُ أيضاً ، والقينة الماشطة ، والتقين : إصلاح الشعر .

(انظر : مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ،المكتبة العتيقة ، (١٩٧/٢) ، والنهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير الجزري ، (١٣٥/٤ ، ١٣٦) ، وغريب الحديث ، لابن الجوزي ، (٢٧٥/٢ ، ٢٧٦) ، وانظر : لسان العرب ، مادة (قين) ، (٣٥٠/١٣ – ٣٥٢)) .

(٢) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ١٣٤ .

(٣) انظر : الوجيز ، للواحدي ، (٧٣٢/٢) . وانظر : مدارك التنزيل ، للنسفيّ ، (/١٠٠ ، ١٠١) .

٢/ آية النحل :

(ولقد) : للتحقيق ، (نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ) ، وهو قين نصراني كان النبي – ﷺ – يدخل عليه ، (لِّسَانُ) لغة (ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ) يميلون إليه أنَّه يعلمه أعجمي ، (وَهَٰذَا) القرآن (لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ) ذو بيان وفصاحة ، فكيف يُعلِّمه أعجمي(١) ؟

٣/ آيتي الجن :

يقول –تعالى– لرسوله محمد – ﷺ – قل للكافرين : إنِّي لن يجيرني من الله أحد ، أي : إن عصيته لم يمنعني منه أحد ، وذلك أنَّهم قالوا به : أترك ما تدعو إليه ونحن نُجيرك . (وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا) ، أي : ملجأ ومعدلاً وحرزاً . (إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ) ، أي : إلا أن أبلِّغ عن الله ما أرسلتُ به ، فذلك البلاغ هو الذي يجيرني . (وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ) بترك الإيمان والتوحيد فجزاؤه أنَّ (لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا) ، أي : بلا نهاية(٢) .

النص رقم (١٥٩)

يقول تعالى : [...لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ....](٣) .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (والإلحافُ : شدةُ الإلحاح في المسألة . وفي التنزيل : (لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا) ... وألحف السائل : ألح ... الزجَّاج ... والمعنى في قوله : لا يسألون الناس إلحافاً ، أي : ليس منهم سؤال فيكون إلحاف ، كما قال

(١) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٣٦١ .

(٢) انظر : زاد المسير ، لابن الجوزيّ ، (٨/٣٨٤ ، ٣٨٥) ، وانظر : فتح القدير ، للشوكاني ، (٥/٣١٠) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٢٧٣) . وتمام الآية : [لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ] .

أمرؤ القيس[١] : على لا حِبٍ لا يُهْتدي بِمنارِهِ[٢] ، والمعنى : ليس به منار فيهتدى به[٣])[٤] .

دراسة النص :

عَرَّف الطبري الإلحاف الوارد في الآية بالإلحاح في المسألة ، ثُمَّ نفى عن هؤلاء القوم – وهم الفقراء الذين أحصروا في سبيل الله – سؤال الناس شيئاً على وجه الصدقة إلحافاً أو غير إلحاف ؛ لأنَّ الله – عزَّ وجل – وصفهم بالتعفف ، وأنَّهم كانوا يعرفون بسيماهم ، فلو كانت المسألة من شأنهم لم تكن صفتهم التعفف. ثُمَّ ذكر الطبري وجه قوله : (لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا) ، وهم لا يسألون الناس إلحافاً أو غير إلحاف ، وذلك أنَّ الله –تعالى– لمَّا وصفهم بالتعفف ، وأنَّهم إنَّما يُعرفون بالسيما زاد عباده إبانة لأمرهم ، وحسن الثناء عليهم بنفي الشره والضراعة التي تكون في الملحين من السؤال[٥] .

---

(١) امرؤ القيس : هو عثمان بن محمد بن أحمد بن علي بن بياه الأكرم ، أمرئ القيس الرويدشتي ، سُمَّي امرؤ القيس لجزالة ألفاظه ومتانة شعره ، كان يرتجل النثر والنظم ، وكان يُعلم أولاد الأكابر ببغداد ، وكان هاجياً مادحاً ، توفي سنة (٤٤٥هـ) ، (انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي ، (٣٣٥/١٩)) .

(٢) ورد هذا الشطر من البيت منسوباً لامرئ القيس في ديوان المتنبئ ، لأبي البقاء العكبرى ، تحقيق : مصطفي السقا وإبراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة ، بيروت ، (٣٠٤/١) .

وقال العكبري : لم يرد أنَّ فيه مناراً لا يهتدي به ، ولكنه نفى أن يكون به منار ، والمعنى ، لا منار به يُهتدى به ، واللاحِبُ : الطريق الواضح . (قاله ابن منظور في اللسان ، مادة (لحب) ، (٧٣٧/١) .

كما ورد في البيت كاملاً ومنسوباً إلى امرئ القيس في : أساس البلاغة ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ ، (٣١٤/٢) . وتمام البيت :

على لا حب لا يهتدي بمناره * إذا سافه العَوْدُ الديافي جرجرا

أما ديوان امرئ القيس فقد ورد فيه (النُّبَاطِيُّ) بدل (الدِّيَّافي) وفيه أن سافه بمعنى شمه، والعوْد : الجمل المسن، والنباطي : الضخم الصبور ، وجرجر : صوَّت أو رغا وضجّ .

(انظر : ديوان امرئ القيس ، شرح وتحقيق : حنَّا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ، ص ٣٣٩) .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٣٠٤/١) .

(٤) لسان العرب ، مادة (لحف) ، (٣١٤/٩ ، ٣١٥) .

(٥) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٩٩/٣) .

فوافقه ابن منظور في معنى الإلحاف ، ونفي مطلق السؤال عن القوم لتعففهم، وإن كان يظهر في كلام الطبري بعض البيان والتفصيل .

وبيَّن الرازي أنَّ المراد من الإلحاف في السؤال هو الإلحاح ، ثُمَّ نفى صدور السؤال عن هؤلاء الفقراء المُشار إليهم في الآية الكريمة لعفتهم ، وذكر في الجواب عن الآية وجوهاً أحسنها قوله : إنَّ كل من سأل فلا بدَّ وأن يلح في بعض الأوقات ؛ لأنَّه إذا سأل فقد أراق ماء وجهه ، ويحمل الذلة في إظهار ذلك السؤال، وهذا يحمله على الإلحاف والإلحاح ، فكان نفي الإلحاح عنهم مطلقاً موجباً لنفي السؤال عنهم مطلقاً[(١)] .

فكان بذلك ابن منظور موافقاً له في معنى الإلحاف ، غير أنَّ الرازي فصَّل في ذكر الوجوه الواردة في الجواب عن الآية الكريمة .

وقال القرطبي في معنى قوله : (لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافًا) : (مصدر في موضع الحال ، أي : ملحفين ، ويُقال : ألحف وأحفي وألح في المسألة سواء ... واختلف العلماء في معنى قوله : لا يسألون الناس إلحافاً ، على قولين : فقال قوم منهم الطبري والزجَّاج : إنَّ المعنى : لا يسألون الناس البتة ، وهذا على أنَّهم متعففون عن المسألة عفة تامة ، وعلى هذا جمهور المفسرين ، ويكون التعفف صفة ثابتة لهم ، أي : لا يسألون الناس إلحاحاً ولا غير إلحاح ، وقال قوم* : أنَّ المراد نفي الإلحاف ، أي: أنَّهم يسألون غير إلحاف ، وهذا هو السابق للفهم ، أي: يسألون غير ملحفين ، وفي هذا تنبيه على سوء حالة من يسأل الناس إلحافاً) [(٢)] .

فذكر القرطبي المذهبين في ذلك دون أن يكون له اختيار واضح لأحدهما – كما يظهر من كلامه – ويُلاحظ أنَّ المذهب الثاني مخالف لقول الجمهور من

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٧١/٧ ، ٧٢) .

* ومن هؤلاء : الكلبي صاحب التسهيل ، والزمخشري ، صاحب الكشاف ، وأبي السعود صاحب الإرشاد ، والبيضاوي صاحب الأنوار ، وغيرهم .

(انظر على الترتيب : التسهيل ، للكلبيّ ، (٩٤/١) ، والكشاف للزمخشري ، (٣٤٦/١) ، وإرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (٢٦٥/١) ، وأنوار التنزيل ، للبيضاوي ، (٥٧٣/١)) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣٤٢/٣ ، ٣٤٣) .

المفسرين ، كما هو مخالف لما نقله ابن منظور عن الزجَّاج ، واستشهد عليه بقول امرئ القيس .

ولعلَّ ما نسبه القرطبي إلى جمهور المفسرين من القول بعدم وقوع السؤال عن هؤلاء الفقراء مطلقاً لا بإلحاح ولا بغير إلحاح هو الأولى بالصحة والصواب لما ذُكر في الآية من وصفهم بالتعفف ، فإنَّ هذا ينفي وقوع السؤال منهم مطلقاً والعلم عند الله تعالى .

أمَّا ابن كثير فالذي يظهر أنَّه لا ينفي وقوع المسألة منهم على إطلاقها ، وإنَّما ينفي عنهم وقوع الإلحاح فيها ، حيثُ قال في تفسير هذه الآية : (لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا) ، أي : لا يُلحون في المسألة ، ويكلفون الناس مالاً يحتاجون إليه ، فإنَّ من سأل وله ما يغنيه عن المسألة فقد ألحف في المسألة) [1] .

فخالف ابن منظور في مدلول الآية ، ووافقه في المعنى اللغوي للإلحاف .

وممَّن خالفهم ابن منظور الإمام الزمخشري الذي قال في تفسير هذه الآية : (ومعناه : إنَّهم إن سألوا سألوا بتلطف ولم يُلحوا ، وقيل : هو نفي للسؤال والإلحاف جميعاً ، كقوله : على لاحِبٍ لا يُهتدى بمناره . يُريد نفي المنار والاهتداء به) [2] .

وهذا الخلاف الذي بينهما هو في معنى الآية ، أمَّا الإلحاف فلم يختلفا في أنَّ المراد به الإلحاح .

المعنى العام للآية :

(لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ) خبر لمبتدأ محذوف ، أي : إنفاقكم للفقراء الذين أُحصروا في سبيل الله بالغزو أو الجهاد ، وقيل : مُنعوا عن التكسب لما هم فيه من الضعف ، (لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ) للتكسب بالتجارة والزراعة ونحوها بسبب ضعفهم، قيل: المراد بهم فقراء الصفة،

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣٢٦/١) .

(٢) الكشاف ، للزمخشري ، (٣٤٦/١) .

وقيل : كل من يتصف بالفقر ، ثم ذكر –سبحانه– من أحوال هؤلاء الفقــراء مــا يوجب الحنو عليهم ، والشفقة بهم ، وهو كونهم متعففين عن المســألة ، وإظهــار المسكنة ، بحيث يظنهم الجاهل بهم أغنياء ، حيث قال تعالى : (يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ) ، وقوله : (تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ) ، أي : برثاثــة ثيــابهم ، وضعف أبدانهم ، وكل ما يُشعر بالفقر والحاجة ، والسيما (بالقصر) العلامة ، وقد تمد (لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا) وهو الإلحاح في المسألة ، والمعنى أنَّهم لا يسألونهم البتة ، لا سؤال الحاح ولا سؤال غير إلحــاح ، وإليــه ذهــب جمهــور المفسرين ، وقيل : المراد سؤالهم بتلطف دون إلحاف ، وإن كان هذا الظــاهر ، لكن صفة التعفف تنافيه ، وأيضاً : كون الجاهل بهم يحسبهم أغنياء لا يكــون إلا مع عدم السؤال البتة : (وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ) ، أي : علــيم بما أنفقتم : ويُقال هذا على معنى التحريض على الإنفاق[1] .

النص رقم (١٦٠)

يقول تعالى : [...وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ...][2] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (قال –عزَّ وجــل– : (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ) ، أي : في فجواه ومعناه ... الأزهرى : اللحْنُ ما تلْحَنُ إليه بلسانك ، أي : تميــل إليــه بقولك ، ومنه قوله عزَّ وجل : (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ) ، أي : نحو القــول ، دل بهذا أنَّ قول القائل وفعله يدلان على نيته ، وما في ضميره[3] ، وقيــل : فــي لحن القول ، يعني في فحواه ومعناه ، ولَحَنَ إليه يَلْحَنُ لَحْناً ، أي : نواه ومال إليه

(١) انظر : فتح القدير ، للشوكاني ، (٢٩٢/١ ، ٢٩٣) ، وانظر : بحر العلوم ، للسمرقنديّ ، (٢٠٦/١) .

(٢) سورة محمد ، الآية (٣٠) . وتمــام الآيــة : [وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ] .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (لحن) ، (٦٠/٥ ، ٦١) .

. قال ابن برى وغيره : للحلن ستة معانٍ : الخطأ في الإعراب واللغة والغناء والفطنة والتعريض ، والمعنى) [١] .

دراسة النص :

ذكر الطبري أنَّ المراد بلحن القول في الآية الكريمة معنى القول وفحواه[٢] . فوافقه على ذلك ابن منظور .

وذكر الرازي في معنى لحن القول وجوهاً ، أحدها : في معنى القول ، وبيَّن أنَّ هذا الوجه يحتمل أمرين ، الأول : أن يكون المراد من القول قولهم ، أي : لتعرفنهم في معنى قولهم ، حيثُ يقولون ما معناه النفاق ، كقولهم : (لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ) [٣] . وقولهم : (إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ) [٤]، وغير ذلك .

الثاني : أن يكون المراد قول الله – عزَّ وجل – أي : لتعرفنهم في معنى قول الله – عزَّ وجل – حيثُ قال ما تعلم منه حال المنافقين ، كقوله تعالى : (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ)[٥] وغير ذلك .

الوجه الثاني الذي ذكره الرازي هو ميل القول عن الصواب ، حيثُ قالوا ما لم يعتقدوا ، فأمالوا كلامهم ، كقولهم : (نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ) [٦] .

والوجه الثالث : في لحن القول ، أي : في الوجه الخفي الذي يفهمه النبي – ﷺ – ولا يفهمه غيره[٧] .

---

(١) لسان العرب ، مادة (لحن) ، (١٣/٣٨٠ ، ٣٨١) .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٦/٦٠ ، ٦١) .

(٣) سورة المنافقون ، الآية (٨) .

(٤) سورة الأحزاب ، الآية : (١٣) .

(٥) سورة النور ، الآية : (٦٢) .

(٦) سورة المنافقون ، الآية (١) .

(٧) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٨/٦١) .

وبذلك يتفق ابن منظور مع الرازي أيضاً ، إلا أنَّ ما ذكره الرازي يُعدُّ أكثر تفصيلاً وتبييناً كما هو واضح ، حيثُ ساق في المعنى وجوهاً واحتمالات عدة .

أمَّا القرطبي فقد ساق في معاني اللحن ما ذكره ابن برى فيما نقله عنه ابن منظور إلا الغناء واللغة ، كما عَّرف لحن القول هنا بفحواه ومعناه(١) .

فوافقه على ذلك ابن منظور .

وقال ابن كثير : (ولتعرفنهم في لحن القول : أي : فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم يفهم المتكلم من أي الحزبين هو بمعاني كلامه وفحواه ، وهو المراد من لحن القول) (٢) .

ففسَّر ابن كثير لحن القول بالمعنى والفحوى ، فوافق ابن منظور على ذلك .

وقال السمرقندي: (ولتعرفنهم في لحن القول ، يعني : في محاورة الكلام)(٣).

فقوله هذا وإن خالفه قول ابن منظور من حيثُ اللفظ ، إلا أنَّ معناهما واحد؛ لأنَّ معرفتهم في محاورة الكلام يُراد بها معرفتهم في معنى الكلام وفحواه .

المعنى العام للآية :

(وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَـٰكَهُمۡ) الخطاب للنبي - ﷺ - أي : لو نشاء لأريناك المنافقين بأعيانهم حتى تعرفهم بعلامتهم ؛ ولكنَّ الله ستر عليهم إبقاء عليهم وعلى أقاربهم من المسلمين ، ورُوى أنَّ الله لم يذكر واحداً منهم باسمه ، (وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ) أي : مقصده وطريقه ، وقيل : هو الخفي المعنى كالكناية والتعريض ، والمعنى أنَّه - ﷺ - سيعرفهم من دلائل كلامهم وإن لم يُعِّرفه الله بهم على التعيين ، (والله يعلم أعمالكم) وعد للمؤمنين ، وبيان لكون حالهم على خلاف حال المنافق ، فالمنافق له قول بلا عمل ، والمؤمن له عمل ولا يقول به ، وإنَّما قوله التسبيح(٤).

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٥٢/١٦ ، ٢٥٣) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١٨١/٤) .

(٣) بحر العلوم ، للسمرقندي ، (٢٩٠/٣) .

(٤) انظر : التسهيل ، للكلبي،(٤٩/٤ ، ٥٠) . وانظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٦١/٢٨) .

النص رقم (١٦١) و (١٦٢)

يقول تعالى : [...وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ][1] .

ويقول تعالى : [...وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمًا لُّدًّا][2] .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (ولَدَدْتُّهُ أَلُدُّهُ لدًّا : خَصَمْتهُ . وفي التنزيل العزيز : (وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ) ، قال أبو إسحق : معنى الخَصم ألالَدّ في اللغة : الشديدُ الخصومة الجدل ، واشتقاقه من لَدِيدَى العنق ، وهما صفحتاه ، وتأويله أنَّ خصمه أي وجه أخذ من وجوه الخصومة غلبه في ذلك[3] ... وفي الحديث : (إنَّ أبغض الرجال إلى الله الأَلَدُّ الخَصِمُ) [4] ، أي : الشديد الخصومة ... وقوله تعالى : (وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمًا لُّدًّا) قيل : معناه خصماء ، عُوج عن الحق ، وقيل : صُمُذٌ عنه) [5] .

دراسة النصين :

فسر الطبري قوله (ألدُّ الخصام) بقوله : جَدِلٌ بالباطل ، أعوج الخصام .

---

(١) سورة البقرة : الآية : (٢٠٤) . وتمام الآية : [وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ] .

(٢) سورة مريم ، الآية (٩٧) . وتمام الآية : [فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمًا لُّدًّا] .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجّاج ، (١/٢٣٨)) .

(٤) هذا من حديث السيدة عائشة – رضي الله عنها – ، وقد اتفق عليه الشيخان ، حيث ورد في صحيح البخاري في : ٥١– كتاب المظالم ، ١٦– باب قول الله تعالى : (وهو ألد الخصام) ، حديث رقم ، (٢٣٢٥) ، (٢/٨٦٧) .

وورد في صحيح مسلم في: ٤٧– كتاب العلم، ٢– باب في الألد الخصم،حديث رقم(٢٦٦٨)، (٤/٢٠٥٤).

(٥) لسان العرب ، مادة (لدد) ، (٣/٣٩١) .

وذكر أنَّ القوم اللُّد في آية مريم هم أهل اللدد ، والجدل بالباطل ، الـــذين لا يقبلون الحق ، واللَّدُّ : شدة الخصومة(١) .

فوافقه ابن منظور على المعنى اللغوي للمفردة في الموضعين .

كما وافق الرازي الذي قال في آية البقرة : (الألد : الشديد الخصومة ... قال الزجَّاج : اشتقاقه من لديدي العنق ، هما صفحتاه ، ولديـــدي الـــوادي ، وهمـــا جانباه، وتأويله أنَّه في أي وجه أخذه خصمه ، من يمـــين وشـــمال فـــي أبـــواب الخصومة غلب من خاصمه) (٢) .

وفي آية مريم ذكر أنَّ معنى قوله : (لُدّاً) هم القوم الذين يتمسكون بالباطل ، ويجادلون فيه ، ويتشددون(٣) .

وذلك معنى ما ذكره ابن منظور في الآية الكريمة .

وقال القرطبي في آية البقرة : (الألد : الشديد الخصومة ... ولَدَدْتــــه (بفـــتح الدال) أَلُدُّه (بضمها) إذا جادلته فغلبته ، والألد مشتق من اللديدين ، وهما صـــفحتا العنق ، أي : في أيّ جانب أخذ من الخصومة غلب . قال الشاعر :

وأَلَدَّ ذي حَنْقٍ عَلَيَّ كأنَّما تغلي عداوة صدره في مِرْجَلِ(٤))(٥) .

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٣١٢/٢) ، (١٣٣/١٦) .

(٢) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٦٩/٥ ، ١٧٠) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (٢١٩/٢١) .

(٤) الحنق : الغيظ ، والمرجل : القِدر (بكسر القاف) تكون من نحاس . يقول : رُبَّ خصم شديد الخصومة ، صاحب غيظ وغضب ، تغلى عداوته في صدره غليان المرجل بما فيه على النَّار .

وقد نسب صاحب ديوان الحماسة هذا البيت إلى سعد بن ناشب ، قال : (وهو شاعر إسلامي في الدولـــة المروانية ، وهو من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم .

(انظر : ديوان الحماسة ، لمحمد عبدالقادر سعيد الرافعي التبريزي ، دار القلم ، بيروت ، (١٤/١ ، ١٥) كما ورد هذا البيت أيضاً منسوباً إلى بعض شعراء الحماسة دون تسميه اسمه في كتاب : صبح الأعشي في صناعة الإنشاء ، للقلقشندي أحمد بن علي بن أحمد الفزاري ، تحقيق : عبـــدالقادر زكـــار ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨١م ، (٣٣٢/١) .

وفي كتاب : المثل السائر ، لأبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم ابن الأثير ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٥م ، (٩٣/١) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٦/٣) .

ثُمَّ ذكر القرطبي حديث الشيخان –آنف الذكر – وذكر في آية مريم أنَّ اللُّد جمع الأَلد ، وهو الشديد الخصومة ، ثُمَّ نقل أقوال بعض المفسرين ، منها : إنَّ الألد الذي لا يقبل الحق ، ويدَّعى الباطل ، ومنها : إنَّ اللَّد الصم عن الحق ، ومنها : مجادلين في الباطل شداداً في الخصومة[1] .

وكل هذه المعاني التي أوردها القرطبي تدور حول ما ذكره من بعده ابن منظور في ذلك ، فوافقه ابن منظور في الموضعين .

وقال ابن كثير في آية البقرة : (الألد في اللغة : الأعوج ... وهكذا المنافق في حال خصومته يكذب ويزور عن الحق ، ولا يستقيم معه بل يفترى ويفجر ، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله – ﷺ – أنَّه قال : آية المنافق ثلاث : إذا حَدَّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر)[2])[3] .

ثُمَّ أورد حديث عائشة – رضي الله عنها – الذي اتفق عليه الشيخان كما مَّر آنفاً . وبيَّن أن معنى (لُدَّاً) في آية مريم عُوج عن الحق ، ثُمَّ أورد أقوال بعض المفسرين في ذلك[4] ، وهي متقاربة المعنى .

فوافق على ذلك ابن منظور في معنى المفردة اللغوية في الموضعين .

ووافق ابن منظور الزمخشري في معنى المفردة في الموضعين ، حيث قال في "الكشاف" في آية البقرة : (وهو أَلَدُّ الخصام : وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين) [5] .

وقال في آية مريم : (واللُّد : الشداد الخصومة بالباطل ، الآخذون في كل لديد ، أي : في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم ، يريد أهل مكة) [6] .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (١٦/٣) ، (١٦٢/١١) .

(٢) ورد هذا الحديث في الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ : (آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان) .

انظر : صحيح البخاري : ٢- كتاب الإيمان ، ٢٣- باب علامة المنافق ، حديث رقم (٣٣) ، (٢١/١) .

وانظر: صحيح مسلم، ١- كتاب الإيمان، ٢٥- باب بيان خصال المنافق، حديث رقم (٥٩) ، (٨٧/١) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٤٧/١) .

(٤) انظر : المرجع السابق : (٢٤٧/١) ، (١٤١/٣) .

(٥) الكشاف ، للزمخشري : (٢٧٨/١) .

(٦) المرجع السابق ، (٤٩/٣) .

سبب النزول :

آية البقرة :

ذكر ابن حجر والواحديّ عن السديّ أنَّ الآية نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي[1] ، وهو حليف بني زهرة ، أقبل إلى النبي – ﷺ – بالمدينة ، فأظهر له الإسلام ، وأعجب النبي – ﷺ – ذلك منه ، وقال : إنَّما جئتُ أُريد الإسلام ، والله يعلم أنني صادق ، وذلك قوله : ﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ﴾ ، ثُمَّ خرج من عند النبي – ﷺ – فمرَّ بزرع لقوم من المسلمين وحُمُر، فأحرق الزرع ، وعقر الحُمُر، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَ [2]﴾[3] .

المعنى العام للآيتين :

١/ آية البقرة :

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ ، قيل : إنَّ الآية نزلت في الأخنس بن شريق ، فإنَّه أظهر الإسلام ثُمَّ خرج فقتل دواب المسلمين ، وأحرق لهم زرعاً ، وقيل : في المنافقين ، وقيل : عامة في كل من كان على هذه الصفة ، أي : يعجبك ما يقول في أمر الدنيا . ﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ ، أي : يقول : الله يعلم إنَّه لصادق ، ولكنه شديد الخصومة[4] .

---

(١) الأخنس بن شريف : هو الأخنس بن شريف بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة ، الثقفي ، أبو ثعلبة ، حليف بني زهرة اسمه أُبَي ، وإنَّما لُقب الأخنس لأنه رجع ببني زهرة من بدر لمّا جاءهم الخبر أنَّ أبا سفيان نجا بالبعير ، فقيل : خنس الأخنس ببني زهرة ، فسمي بذلك ، ثُمَّ أسلم فكان من المؤلفة ، وشهد حنيناً ، ومات في أول خلافة عمر ﷺ ثُمَّ ذكر ابن حجر الرواية التي وردت في سبب نزول الآية ثُمَّ قال : ولا مانع أن يسلم ثُمَّ يرتد ثم يرجع إلى الإسلام ، والله أعلم .

(انظر : الإصابة ، لابن حجر ، (١/٣٨) ، وانظر : المنتظم ، لابن الجوزي ، (٤/١٥٢)) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٠٥) .

(٣) انظر : العجاب ، لابن حجر العسقلاني ، (١/٥١٩) ، وانظر : أسباب النزول ، للواحدي ، ص ٤٣ .

(٤) انظر : التسهيل ، للكلبي ، (١/٧٦) .

٢/ آية مريم :

(فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَـٰهُ بِلِسَانِكَ) الآية . ذكر الله – عزَّ وجل – في هذه الآية الكريمة أنَّه إنَّما يَسر هذا القرآن بلسان هذا النبي العربي ، ليُبشِّر به المتقين ويُنذر به الخصوم الألِدَّاء ، وهم الكفرة ، وأظهر الأقوال في قوله (لُدّاً) : إنَّه جمع الألد ، وهو شديد الخصومة(١) .

النص رقم (١٦٣)

يقول تعالى : [...قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرًا](٢) .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (ولَدُنْ ولدن ولُدْنٌ ولِـدَنٌ ولَـدُ (محذوفة منها) ولَـدَى (محولة)، كله : ظرف زماني معناه : عند ... قال أبو إسحق : (لَـدُن) لا تمكَّن تمكَّن (عند) ؛ لأنك تقول : هذا القول عندي صواب ، ولا تقول : هو لَـدُنِّي صواب، وتقول : عندي مال عظيم ، والمال غائب عنك ، ولَـدُن لما يليك لا غير(٣) ... وقوله تعالى : (قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرًا) ... قال الليث : لـدن في معنى عند ، تقول : وقف الناس له من لَدُن كذا إلى المسجد ، ونحو ذلك إذا اتصل ما بين الشيئين ، وكذلك في الزمان من لدن طلوع الشمس إلى غروبها ، أي : من حين ... الجوهري : لدن : الموضع الذي هو الغاية ، وهو ظرف غير متمكن بمنزلة عند(٤))(٥) .

---

(١) انظر : أضواء البيان ، للشنقيطي ، (٥١٨/٣) .

(٢) سورة الكهف ، الآية (٧٦) . وتمام الآية : [قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبۡنِي قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرًا] .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٢٤٨/٣) .

(٤) انظر : الصحاح ، للجوهري ، مادة (لدن) ، (٢١٩٤/٦) .

(٥) لسان العرب ، مادة (لدن) ، (٣٨٣/١٣ ، ٣٨٤) .

دراسة النص :

لم يتعرض الطبري إلى التفصيل في معنى (لدني) في هذه الآية مكتفياً بإيراد معناها في أول سورة الكهف بما وافقه فيه ابن منظور ، وقال هنا : (قد بلغت من لدني عذراً ، يقول : قد بلغت العذر في شأني) [١] .

وكذلك الرازي لم يتعرض في هذا الموضع إلى بيان معنى (لدني) ، مكتفيـاً بذكر أوجه القراءات فيها ، وذلك لتعرضه لمعناها في أول سورة الكهف ، حيـث بيَّن أن معنى (مِّن لَّدُنْهُ) [٢] ، صادراً من عنده ، ثُمَّ أورد الرازي قول أبي إسحق الزجَّاج – آنف الذكر [٣] – والذي ذكره ابن منظور في معنى هذه المفردة .

وكذلك القرطبي بيَّن معنى (لدن) في أول الكهف عند قوله تعالى : (من لدنه) بما يوافقه فيه ابن منظور ، حيثُ قال : أي : من عنده ، وذكر القراءات ، وذكـر من كلام الجوهري في هذه المادة ، لذلك لم يُكرر الكلام في هذه المادة هنا [٤] .

وكذلك فعل ابن كثير اكتفى بشرح هذه المادة في أول السورة عن شرحها هنا ، وذكر أنَّ معناها (عند) كما ذكر ابن منظور [٥] .

وكذا فعل الألوسي في "روح المعاني" كما فعل من سبقه من المفسـرين [٦] ، فوافق ابن منظور هؤلاء المفسرين ووافقوه في معنى هذه المفردة ، وإن كانوا قـد أوردوا معناها في موضع آخر . وأضاف ابن منظور بعض التفصيل في الناحيـة اللغوية ، ولا غرو فهو من أهل التخصص في هذا المجال .

---

(١) جامع البيان ، للطبري ، (١٥/٢٨٧) .

(٢) سورة الكهف ، الآية (٢) .

(٣) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢١/٦٥) ، (٢١/١٣٣) .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٠/٣٥٢) ، (١١/٢٠) .

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣/٧٢) ، (٣/٩٦) .

(٦) انظر : روح المعاني ، للألوسي ، (١٥/٢٠٢) ، (١٦/٢) .

وجوه القراءات :

قرأ نافع (من لَدُنِي) بضم الدال ، وتخفيف النون ، وقرأ أبوبكر بإسكان الدال، وإشمامها* الضم ، وتخفيف النون .

وقرأ الباقون كابن كثير وأبي عمرو وابن عامر ، وحمزة والكسائي بضم الدال وتشديد النون (لَدُنِّي) (١) .

المعنى العام للآية :

هذه من الآيات في قصة الخضر وموسى – عليهما السلام – عندما طلب موسى من الخضر أن يأذن له في مرافقته طلباً للعلم ، فأخبره بأنَّه لا يستطيع الصبر على ما لم يُحط به خبراً ، فوعده موسى – عليه السلام بالصبر وعدم عصيان أمره ، وفي هذه الآية ، قال موسى للخضر : إن أنكرتُ عليك بعد هذه المرة ، واعترضتُ على ما يصدر منك فلا تصحبني معك ، فقد أعذرت إلىَّ ، ونبهتني على مخالفة الشرط ، فأنت معذور عندي(٢) .

---

* الإشمام : هو ضم الشفتين عند الوقف من غير صوت دليلاً علي ضم الموقوف عليه ، ومن ثَّمَّ اختص بالمضموم والمرفوع .

وفي التعريفات:الإشمام تهيئة الشفتين للتلفظ بالضم،ولكن لا يتلفظ به، تنبيهاً على ضم ما قبلها، أو ضمة الحرف الموقوف عيله،ولا يشعر به الأعمى. والإشمام في عرف القراء يطلق باعتبارات أربعة: ١/ خلط حرف بحرف كما في الصراط ومصيطر . ٢/ خلط حركة بحركة كما في : قيل وغيض ، ٣/ اخفاء الحركة فيكون بن الإسكان والتحريك كما في (تأمنَّا) . ٤/ ضم الشفتين بعد سكون الحرف، وهو الذي يأتي في باب الوقف .

(انظر : أصول القراءات ، لأبي العباس أحمد بن عمر الحمويّ ، تحقيق : عبدالكريم محمد الحسن بكار ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤٠٦هـ ، ص ٥١ ، وانظر : التعريفات ، لعلي بن محمد بن علي الجرجانيّ ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ ، ص ٤٤ ، وانظر : إبراز المعاني ، لعبد الرحمن بن إسماعيل ، (٧١/١) .

(١) انظر : التيسير في القراءات السبع ، لأبي عمرو الدانيّ ، ص ١٤٥ ، وانظر : السبعة في القراءات ، لابن مجاهد ، ص ٣٩٦ .

(٢) انظر : معاني القرآن ، للنحَّاس ، (٢٦٧/٤ – ٢٧٢) .

النص رقم (١٦٤) و (١٦٥)

يقول تعالى : [...هَـٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ][١] .

ويقول تعالى : [...وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ...][٢] .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (الليث : لَدَى معناها عند . يُقال : رأيته لَدَى باب الأمير ، وجاءني أمر من لَدَيْكَ، أي:من عندك ... وفي التنزيل العزيز: (...هَـٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ) يقوله المَلَك،يعني ما كتب من عمل العبد حاضرٌ عندي. الجوهري: (لـدى لغة في لَدُنْ، قال – تعالى – : (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ) ، واتصاله بالمضمرات كاتصال عليك)[٣])[٤] .

دراسة النصين :

قال الطبري في آية ق : (يقول –تعالى ذكره– مخبراً عن قيل قـرين هـذا الإنسان عند موافاته ربه به : رب هذا ما لديَّ عتيد ، يقول : هذا الذي هو عندي محفوظ) .

وقال في آية يوسف (لدى الباب ، يعني : عند الباب) [٥] .

فوافقه على ذلك ابن منظور في معنى المفردة في الموضعين .

أمَّا الرازي فقد فسر المفردة في آية ق بما وافقه فيه ابـن منظـور ، أي : (عند) ، ولكن لم يفسرها في آية يوسف[٦] .

---

(١) سورة ق ، الآية (٢٣) . وتمام الآية : [وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَـٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ] .

(٢) سورة يوسف ، الآية (٢٥) . وتمـام الآيـة : [وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] .

(٣) الصحاح ، للجوهري ، (مادة لدى) ، (١٤٨١/٦) .

(٤) لسان العرب ، مادة (لدى) ، (٢٤٥/١٥) .

(٥) جامع البيان ، للطبري ، (١٦٥/٢٦) ، (١٩٢/١٢) .

(٦) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٤٢/٢٨) ، (٩٨/١٨) .

وقال القرطبي في آية ق : (هذا ما لدي عتيد ، أي : هذا ما عندي من كتابة عمله معد محفوظ) .

وقال في آية يوسف : (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ) ، أي : وجدا العزيز عند الباب) [(١)] .

فاتفق معه ابن منظور في تفسير المفردة في الموضعين .

أمَّا ابن كثير فقد انصرف إلى تفسير قوله : (عتيد) ، وأعرض عن بيان معنى قوله (ما لديَّ) في هذه الآية .

وفي آية يوسف بينَّ أن معنى (لدى) عند[(٢)] ، وهو ما ذكره ابن منظور .

وجاء في الدر المنثور تفسير (لدى) في الموضعين بأنَّ المراد منها (عند) وهو ما يتفق مع قول ابن منظور في ذلك[(٣)] .

المعنى العام للآيتين :

١/ آية ق :

(وَقَالَ قَرِينُهُۥ) ، أي : يقول الملك الموكل بالإنسان يوم القيامة : (هذا ما لدَّي عتيد) أي : مُعَد محفوظ محضر . قال مجاهد : هذا الذي وكلني به من بني آدم قد أحضرتُهُ وأحضرتُ ديوان أعماله[(٤)] .

٢/ آية يوسف :

لمَّا امتنع يوسف – عليه السلام – من إجابة طلب امرأة العزيز بعد المراودة الشديدة ، وذهب ليهرب عنها ، ويبادر إلى الخروج من الباب ليتخلص من الفتنة بادرت هي إليه ، وتعلقت بثوبه فشقَّت قميصه من الخلف ، فلمَّا وصلا إلى الباب

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٦/١٧) ، (١٧١/٩) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٢٦/٤) ، (٤٧٦/٢) .

(٣) انظر : الدر المنثور ، للسيوطي ، (٦٠٠/٧) ، (٤٧٦/٢) .

(٤) انظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، لأبي إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ، تحقيق : أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، (١٠١/٩) .

في تلك الحال وجدا زوجها عند الباب ، فبادرت إلى الكذب ، وادَّعت أنَّ المراودة كانت من يوسف ، وقالت : ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً ، ولم تقل : من فعل بأهلك سوءاً ، تبرئة لها وله من الفعل ، وإنما النزاع عن الإرادة والمراودة. قالت : ما جزاؤه إلا أن يُسجن أو يُعذب عذاباً أليماً(١) .

النص رقم (١٦٦) و (١٦٧)

يقول تعالى : [...مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ...](٢) .

ويقول تعالى : [بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ](٣) .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : اللَّذَّةُ : نقيض الألم ، واحدة اللَّذَّات ... واللَّذُّ واللَّذِيذُ : يجريان مجرىً واحداً في النعت . وقوله – عزَّ وجل– : (مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ)، أي : لذيذة ، وقيل : لذة ، أي : ذات لذة ... وكأس لذة : لذيذة . وفي التنزيل : (بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ))(٤) .

دراسة النص :

قال الطبري في تفسير هذا الجزء من آية محمد : (وفيها أنهار من خمر لذة للشاربين يلتذون بشربها) .

---

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعديّ ، ص ٣٩٦ .

وانظر : زهرة التفاسير ، لمحمد أبوزهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (٣٨١٦/٧) .

(٢) سورة محمد ، الآية (١٥) . وتمام الآية : [مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ] .

(٣) سورة الصافات ، الآية (٤٦) .

(٤) لسان العرب ، مادة (لذذ) ، (٥٠٦/٣ ، ٥٠٧) .

وقال في تفسير آية الصافات : (يقول : هذه الخمر لذة يلتذها شاربوها) [١] .

فالطبري وإن لم يورد كلام ابن منظور إلا أنَّه ليس فيما ذكر ما يخالفه فيه .

وذكر الرازي في آية محمد وجهين لمعنى اللذة ، أحدهما أن تكون (لذة) تأنيث لذ ، بمعنى لذيذة ، وثانيهما : أن يكون ذلك وصفاً بالمعنى لا بالمشتق منه ، كما يقال للحليم : هو حلم كله . وذكر في آية الصافات ثلاثة أوجه لمعنى اللذة : الوجهين السابقين ، ووجه ثالث نسبه إلى الزجَّاج ، وذكره ابن منظور أيضاً ، وهو أنّ المعنى : ذات لذة ، فحذف المضاف . ورجح الرازي من هذه الوجوه الأول[٢] ، فوافقه على ذلك ابن منظور .

وقال القرطبي في آية محمد : (من خمر لذة للشاربين ، أي : لم تدنسها الأرجل ولم ترفتها الأيدي كخمر الدنيا ، فهي لذيذة الطعم ، واستلذه : عدة لذيذاً) .

وقال في آية الصافات : (لذة ، قال الزجَّاج : أي : ذات لذة ، فحذف المضاف وقيل : هو مصدر جُعل اسماً ، أي : بيضاء لذيذة ، يُقال : شراب لذ ولذيذ ، مثل : غض وعضيض) [٣] .

فجاء كلام ابن منظور تقريباً مطابقاً لما ذكره القرطبي في الآيتين .

أمَّا ابن كثير فقد بيَّن في الآيتين أن معنى (لَذَّة) : ليست كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا ، بل حسنة المنظر والطعم والرائحة والفعل[٤] .

فلم يتعرض ابن كثير إلى التفصيل في مدلول هذه اللفظة كما فعل ابن منظور وإنَّما ذكر المعنى العام لها .

وفي تفسير الواحديّ ، ورد أنَّ معنى (لذَّة) في آية محمد : لذيذة ، وفي آية الصافات ، معناها : ذات لذة[٥] .

وكلا هذين القولين أوردهما ابن منظور .

---

(١) جامع البيان ، للطبري ، (٤٩/٢٦) ، (٥٣/٢٣) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٤٨/٢٨) ، (١٢٠/٢٦) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٣٧/١٦) ، (٧٨/١٥) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١٧٧/٤) ، (٧/٤) .

(٥) انظر : الوجيز ، للواحديّ ، (١٠٠٢/٢) ، (٩٠٩/٢) .

المعنى العام للآيتين :

١/ آية محمد :

في هذه الآية أخبر الله –تعالى– أنَّ مثل الجنة التي أعدها لعباده الذين اتقوا سخطه واتبعوا رضوانه أنَّها من صفتها الجميلة أنَّ فيها أنهار من ماءٍ غير متغير، بل هو أعذب المياه وأصفاها ، وأطيبها ريحاً وألذها شرباً ، كما فيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه بحموضة ولا غيرها ، وأنهار من خمر يلتذ بها الشاربون لا كخمر الدنيا التي يكره مذاقها ، وتصدع الرأس ، وتغول العقل ، وأيضاً فيها أنهار من عسل مصفى من شمعه وسائر أوساخه ، وفيها من كل الثمرات من نخيل وعنب وتفاح ورمان وأترج وتين وغير ذلك ممَّا لا نظير له في الدنيا ، إضافة إلى مغفرة من الله –تعالى– للمتقين من أهل الجنة ، فهؤلاء خير أم من هو خالدٌ في النار التي اشتد حرها وسقوا فيها ماء حارَّاً جدّاً فقطع أمعاءهم(١) .

٢/ آية الصافات* :

النص رقم (١٦٨)

يقول تعالى : [...مِّن طِينٍ لَّازِبٍ](٢) .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (ولَزِبَ الطينُ يَلْزُبُ لُزُوباً ، ولَزُبَ : لَصِقَ وصَلُبَ ... وطينٌ لازبٌ ، أي: لازق . قال الله تعالى: (مِّن طِينٍ لَّازِبٍ). قال الفرَّاء : اللاَّزِبُ واللاتبُ واللاصِقُ واحِد. والعرب تقول : ليس هذا بضَرْبَة لازمٍ ولازبٍ ، يُبْدِلُون الباءَ ميماً، لتقارب المخارج** ... وصار الشيءُ ضربةَ لازبٍ، أي : لازِماً)(٣) .

---

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعديّ ، ص ٧٨٦.

* سبق تفسيرها في النص رقم (١) .

(٢) سورة الصافات ، الآية (١١) . وتمام الآية : [فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ] .

** بل مخرجهما واحد ، ويخرج معهما الواو (غير المدية) أيضاً ، ومخرج هذه الأحرف الثلاثة (الباء والميم والواو) هو ما بين الشفتين معاً ، مع انطباق عند الباء والميم ، وانفراج قليل عند الواو غير المدية .

(انظر : غاية المريد في علم التجويد ، لعطية قابل نصر ، مكتبة كنوز المعرفة ، جدة ، ط٧ ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ، ص ١٣٠ ، وانظر : دروس في ترتيل القرآن الكريم ، لفائز عبدالقادر شيخ الزور ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، ط١٠ ، ١٤١٨هـ ، ص ٦٧) .

(٣) لسان العرب ، مادة (لزب) ، (٧٣٨/١) .

دراسة النص :

قال الطبري في معنى (لازب) : (يقول : أنَّا خلقناهم* من طين لاصق ، وإنَّما وصفه – جل ثناؤه – باللزوب ، لأنه تراب مخلوط بماء ... والتراب إذا خلط بماء صار طيناً لازباً ، والعربُ ، تبدل أحياناً هذه الباء ميماً ، فتقول طين لازم ... ومن اللازب قول نابغة بني ذبيان(١) :

ولا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشر ضربة لازب(٢) .

وربما أبدلوا الزاي التي في اللازب تاءً ، فيقولون : طين لاتب) (٣) .

من هذا النص السابق يتبين لنا موافقة أبن منظور للطبري في معنى (لازب)

وقال الرازي في معنى (لازب) : (وأمَّا اللازب ، فقيل : اللاصق ، وقيل : اللزج ، وقيل : الحتد ، وأكثر أهل اللغة على أنَّ الباء في (لازب) بدل من الميم ، يُقال : لازب ولازم) (٤) .

فوافقه ابن منظور أيضاً في هذا المعنى :

وذكر القرطبي أنَّ معنى (لازب) : لاصق ، ونسب هذا القول إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – ثُمَّ ذكر أقوال أُخر لبعض مُفسري التابعين ، وهي أنَّ لازب بمعنى : لازق ، وبمعنى لزج ، وبمعنى لازم ، وبمعنى ثابت .

ثُمَّ استشهد القرطبي ببيت النابغة السابق ، وحكي قول الفرَّاء آنف الذكر(٥) فيدل ذلك على موافقة ابن منظور للقرطبي أيضاً .

---

* يريد المشركين – كما ذكر ذلك الطبري في تفسيره : انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٣/٤٢) .

(١) نابغة بني ذبيان : هو زياد بن معاوية بن جابر ، ونسبته إلى ذبيان بن بغيض ، ويكني النابغة أبا أُمامة ، وهو الشاعر المعروف .

(انظر : الانساب ، للسمعانيّ ، (٣/٦)) .

(٢) ورد هذا البيت منسوباً للنابغة في المدح ، في : البيان والتبين ، للجاحظ ، تحقيق : فوزي عطوي ، دار صعب ، بيروت ، ص ١١٤ .

وفي : اصلاح المنطق : لأبي يوسف يعقوب بن إسحق بن السكيت ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، ص ٢٨٩ .

(٣) جامع البيان ، للطبري ، (٢٣/٤٢) .

(٤) التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٦/١١٠) .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٥/٦٨ ، ٦٩) .

وكذلك ابن كثير أورد أقوال بعض المفسرين من الصحابة والتابعين في معنى (لازب) ، حيثُ نسب إلى مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك قولهم : هو الجيد الذي يلتزق بعضه ببعض ، ونسب إلى ابن عباس – رضي الله عنه – وعكرمة ، قولهما: هو اللزج الجيد ، ونسب إلى قتادة قوله : هو الذي يلزق باليد[1] .

ولكل هذه الأقوال تدور حول معنى واحد ، وهو ما ذكره ابن منظور .

وذكر البغوي أنَّ (لازب) يعني : جيداً حراً لاصقاً ، يعلق باليد ، ومعناه : اللازم ، فأبدلت الميم باءً .

ونسب البغوي إلى مجاهد والضحاك قولهما : هو المنتن[2] .

فوافقه ابن منظور ، إلا أنَّ البغوي زاد هذا القول الأخير الذي نسبه إلى مجاهد والضحاك ، ولم يذكر ذلك ابن منظور .

المعنى العام للآية :

(فَٱسْتَفْتِهِمْ) ، أي أسأل هؤلاء المشركين سؤال تقرير (أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم) ، أي : أهم أحكم صنعة أم من عددنا خلقه من الملائكة والشياطين والسموات والأرض ، وقيل: أم من خلقنا قبلهم من الأمم السالفة ، والمعنى : إنهم ليسوا بأقوي من أولئك ، وقد أهلكناهم بالتكذيب ، فما الذي يؤمن هؤلاء ؟ ثُمَّ ذكر خلق الناس : (إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ) ، أي : لاصق لازم ، والباء تبدل من الميم ، وقيل : هو الطين الحر الجيد اللزق ، وقيل غير ذلك ، وهذا إخبار عن تساوي الأصل في خلقهم ، وخلق من قبلهم ، فمن قدر على إهلاك الأقوياء قدر على إهلاك الضعفاء[3] .

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤/٤) .

(٢) انظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٢٤/٤) .

(٣) انظر : زاد المسير ، لابن الجوزي ، (٧/٤٨ ، ٤٩) .

النص رقم (١٦٩) و (١٧٠)

يقول تعالى : [قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا][١] .

ويقول تعالى : [وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا...][٢] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (واللِّزامُ : الفَيْصل جدّاً . وقوله – عزَّ وجل – : (قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ) ، أي : ما يصنعُ بكم ربي لو لا دعاؤه إيَّاكم إلى الإسلام (فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا) ، أي : عذاباً لازماً لكم . قال الزجَّاج : قال أبوعبيدة : فيصلاً[٣] ، قال : وجاء في التفسير عن الجماعة أنَّه يعني يوم بدر ، وما نزل بهم فيه ؛ فإنه لوزم بين القتلى لزاماً ، أي : فصل[٤] ... وقرئ (لَزَاماً) ، وتأويله : فسوف يلزمكم تكذيبكم لزاماً ، وتلزمكم به العقوبة ، ولا تعطون التوبة ، ويدخل في هذا يوم بدر وغيره ممَّا يلزمهم من العذاب ... وهو في اللغة : الملازمة للشيء والدوام عليه ، وهو أيضاً الفصل في القضية ... فكأنه من الأضداد ، واللِّزامُ : الموتُ والحسابُ . وقوله : (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا) ، معناه : لكان العذاب لازماً لهم فأخَّرَهم إلى يوم القيامة)[٥] .

دراسة النصين :

قال الطبري : في آية الفرقان : (فسوف يكون تكذيبكم رسول ربكم ، وخلافكم أمر بارئكم عذاباً لكم ملازماً ، قتلاً بالسيوف ، وهلاكاً لكم مفنياً ، يلحق

---

(١) سورة الفرقان ، الآية (٧٧) .

(٢) سورة طه ، الآية (١٢٩) . وتمام الآية : [وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى] .

(٣) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، (٢/٧٠) .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٤/٤٨) .

(٥) لسان العرب ، مادة (لزم) ، (١٢/٥٤١ ، ٥٤٢) .

بعضكم بعضاً ... ففعل الله ذلك بهم ، وصدقهم وعده ، وقتلهم يوم بدر بأيدي أوليائه ، وألحق بعضهم ببعض ، فكان ذلك العذاب اللِّزَام) (١) .

وذكر الطبري قبل هذا أن هؤلاء المكذبين هم مشركي قريش ، وذكر في معنى اللزام أقوالاً أُخرى .

كما ذكر في آية طه أنَّ اللِّزام بمعنى الهلاك العاجل (٢) .

وعلى هذا فلا خلاف بين ابن منظور والطبري في معنى اللِّزام في هذين الآيتين .

وقال الرازي في معنى (اللِّزام) في آية الفرقان : (فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي، فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم ، وهو عقاب الآخرة ... وقُرِئَّ (لَزَاماً) بالفتح ، بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت ... ثُمَّ قيل : هذا العذاب في الآخرة ، وقيل : كان يوم بدر، وهو قول مجاهد – رحمه الله – والله أعلم) (٣) .

واختار الرازي في معنى اللزام في آية طه أنَّ المعنى : لولا أجل مسمَّى في الآخرة لذلك العذاب لكان العقاب لازماً لهم فيما يقدمون عليه من تكذيب الرسول ، وأذيتهم له (٤) .

فلا خلاف أيضاً بين ابن منظور والرازي في معنى اللزام في الآيتين .

وقال الطبري في آية الفرقان : (فسوف يكون لزاماً : أي : يكون تكذيبكم ملازماً لكم ، والمعنى فسوف يكون جزاء التكذيب كما قال : (وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا) (٥) ، أي : جزاء ما عملوا) (٦) .

---

(١) جامع البيان ، للطبري ، (٥٦/١٩) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٥٦/١٩ ، ٥٧) ، (٢٣٢/١٦) .

(٣) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٠٢/٢٤) .

(٤) انظر : المرجع السابق ، (١١٥/٢٢) .

(٥) سورة الكهف ، الآية (٤٩) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٨٥/١٣) .

وقال في آية طه : (واللِّزَام : الملازمة ، أي : لكان العذاب لازماً لهم ، وأُضمر اسم كان -كما قال الزجَّاج - ، وأجل مسمي : عطف على (كلمة) قتادة : والمراد القيامة) (١) .

فوافق ابن منظور في هذا المعنى في الآيتين القرطبي أيضاً .

كما وافق ابن كثير ابن منظور ، حيثُ قال ابن كثير في آية الفرقان: (أي : فسوف يكون تكذيبكم لزاماً لكم ، يعني مقتضياً لعذابكم وهلاككم ودماركم في الدنيا والآخرة ، ويدخل في ذلك يوم بدر ... وقال الحسن البصري : فسوف يكون لزاماً، أي : يوم القيامة ، ولا منافاة بينهما) (٢) .

وقال في آية طه : (أي : لولا الكلمة السابقة من الله ، وهو أنَّه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه ، والأجل المسمى الذي ضربه الله – تعالى – لهؤلاء المكذبين إلى مدة معينة ، لجاءهم العذاب بغتة) (٣) .

ووافق ابن منظور أيضاً الإمام البغوي الذي قال في آية الفرقان : (أي : يكون تكذيبهم لزاماً ... والمعنى يكون التكذيب لازماً لمن كذب ، فلا يُعطي التوبة حتى يُجازي بعمله ... واختلفوا فيه ، فقال قوم : هو يوم بدر ، قُتل منهم سبعون ، وأُسِر سبعون ... وقيل : اللزام : هو عذاب الآخرة) (٤) .

وقال في آية طه : (لكان لزاماً ، أي : لكان العذاب لازماً لهم كما لزم القرون الماضية الكافرة) (٥) .

المعنى العام للآيتين :

١/ آية الفرقان :

في هذه الآية يقول – جلَّ ثناؤه – لنبيه – ﷺ – : قل يا محمد لهؤلاء الذين أُرسلت إليهم : أي شيء يُعِدُّكُم ، وأي شيء يصنع بكم ربي لولا عبادة من يعبده منكم ، وطاعة من يطيعه منكم ، فقد كذبتم أيها القوم رسولكم الذي أُرسل إليكم ،

---

(١) المرجع السابق ، (٢٦٠/١١) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣٣١/٣) .

(٣) المرجع السابق ، (١٧١/٣) .

(٤) معالم التنزيل ، للبغوي ، (٣٨٠/٣) .

(٥) المرجع السابق ، (٢٣٦/٣) .

وخالفتم أمر ربكم الذي أمر بالتمسك به ، فسوف يكون ذلك التكذيب عذاباً مُلازِماً لكم قتلاً بالسيوف ، وهلاكاً لكم ، وقد فعل الله ذلك بهم ، وقتلهم يوم بـــدر بأيـــدي أوليائه ، وألحق بعضهم ببعض ، فكان ذلك العذاب اللِّزام(١) .

٢/ آية طه :

ولولا كلمة سبقت من ربك ، أي : الحكم بتأخير العذاب عن أُمة محمد – ﷺ – لكان ذلك العذاب لازماً ، وأجل مسمَّي ، يوم القيامة ، وهو معطوف على كلمة، والمعنى : ولولا حكمٌ سبق بتأخير العذاب عنهم ، وأجلٌ مسمًّى وهو القيامة لكـــان العذاب لازِماً لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة(٢) .

النص رقم (١٧١) و (١٧٢) و (١٧٣)

يقول تعالى : [وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ](٣) .

ويقول تعالى : [وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ...](٤) .

ويقول تعالى : [...وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا...](٥) .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (اللسانُ جارحةُ الكلام ... قال اللحيـــاني : اللِّســـانُ فـــي الكلام يذكَّر ويؤنَّث . يُقال : إنَّ لسان الناس عليك لَحسنةٌ وحَسَـــنٌ ، أي : ثنـــاؤهم ... واللّسان : الثنـــاء . وقولـــه – عـــزَّ وجـــل – : (وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٥٦/١٩) .

(٢) انظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، للنسفي ، (٧١/٣ ، ٨٢) .

(٣) سورة الشعراء ، الآية (٨٤) .

(٤) سورة إبراهيم ، الآية (٤) . وتمام الآية : [وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ] .

(٥) سورة الأحقاف ، الآية (١٢) . وتمام الآيـــة : [وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ] .

ٱلۡأَخِرِينَ) ، معناه : اجعل لي ثناءً حسناً باقياً إلى آخر الدهر ... وقوله – عزَّ وجل – : (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ) ، أي : بلغة قومه ... ابن سيده : (واللّسان : اللُّغة ، مؤنثة لا غير) [١] . واللّسْنُ : (بكسر اللام) اللغة ... ويُقال : رجلٌ لَسِنٌ بَيّنُ اللَّسَن ، إذا كان ذا بيان وفصاحة ... وقوله – عزَّ وجل – : (وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا) ، أي : مصدق للتوراة ، وعربياً منصوب على الحال . المعنى : مصدق عربياً ، وذكر لساناً توكيداً ، كما تقول : جاءني زيد رجلاً صالحاً ، ويجوز أن يكون لساناً مفعولاً بمصدق . المعنى : مصدق النبي – ﷺ – ، أي : مصدق ذا لسان عربي) [٢] .

دراسة النص :

قال الطبري في آية الشعراء : (وقوله : واجعل لي لسان صدق في الآخرين، يقول : واجعل لي في الناس ذكراً جميلاً ، وثناءً حسناً باقياً فيمن يجئ من القرون بعدي) .

وفسَّر في آية إبراهيم اللِّسان باللُّغة[٣] .

وفي آية الأحقاف فصَّل الطبري القول في موقع قوله : (لساناً) من الإعراب، وذكر فيما ذكر الوجهين اللذين ذكرهما ابن منظور ، ثم اختار الوجه الأول قائلاً : (والصواب من القول في ذلك عندي أن يكون منصوباً على أنَّه حال مما في مصدق من ذكر الكتاب ؛ لأنَّ قوله (مصدق) فعل ، فتأويل الكلام إذا كان ذلك كذلك : وهذا القرآن يُصدق كتاب موسى بأنَّ محمداً نبي مرسل لساناً عربياً) [٤] .

فعلى هذا يتفق ابن منظور مع الطبري في معنى اللسان في المواضع الثلاثة.

أمَّا الرازي فقد ذكر في معنى اللسان في آية الشعراء ثلاثة تأويلات : الأول – وهو قول ابن منظور : وهو طلب الجاه ، والذكر الجميل الباقي على وجه

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيدة ، مادة (لسن) ، (٤٩٧/٨) .

(٢) لسان العرب ، مادة (لسن) ، (٣٨٥/١٣ ، ٣٨٦) .

(٣) جامع البيان ، للطبري ، (٨٦/١٩) ، وانظر : (١٨١/١٣) .

(٤) المرجع السابق ، (١٣/٢٦ ، ١٤) .

الدهر ، والثاني أن إبراهيم – عليه السلام – سأل ربه أن يجعل من ذريته في آخر الزمان من يكون داعياً إلى الله –تعالى – وذلك هو محمد – ﷺ – فالمراد من قوله: (وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ) بعثة محمد – ﷺ – والثالث : المراد اتفاق أهل الأديان على حبه ، ثُمَّ إنَّ الله –تعالى– أعطاه ذلك ؛ لأنَّك لا ترى أهل دين إلا ويتولون إبراهيم – عليه السلام – (١).

فوافقه على هذا ابن منظور في تأويله الأول .

وفسَّر الرازي اللسان في آية إبراهيم بأنَّ المراد به اللغة .

وذكر في آية الأحقاف أنَّ القرآن الكريم مصدق لكتاب موسى في أنَّ محمداً رسول حقّاً من عند الله– تعالى– ، وأنَّ قوله (لساناً عربياً) نص على الحال(٢) .

فوافقه ابن منظور على ذلك أيضاً .

وأمَّا القرطبي فقد ذكر في معنى اللسان في آية الشعراء أقوالاً كثيرة لم يُرجّح بينها وفيها قول ابن منظور –آنف الذكر – وتتلخص هذه الأقوال في الآتي:
١/ اجتماع الأمم عليه . ٢/ الثناء الحسن . ٣/ الثناء وخُلْد المكانة . ٤/ سؤاله أن يكون في آخر الزمان من يقوم بالحق ، فأجيبت الدعوة في محمد – ﷺ – . ٥/ الدعاء الحسن إلى قيام الساعة ، وقد فعل الله ذلك ، إذ ليس أحد يُصلى على النبي – ﷺ – إلا وهو يُصلى على إبراهيم ، وخاصة في الصلوات ، وعلى المنابر التي هي أفضل الحالات وأفضل الدرجات ، والصلاة دعاء بالرحمة .

ثُمَّ قال الطبري : والمُراد باللسان القول ، وأصله جارحة الكلام(٣) .

وقال في آية إبراهيم : (إلا بلسان قومه ، أي : بلغتهم ، ليبينوا أمر دينهم ، ووحّد اللسان وإن أضافه إلى القوم لأنَّ المراد اللغة ، فهي اسم جنس يقع على القليل والكثير ، ولا حجة للعجم وغيرهم في هذه الآية ، لأنَّ كل من ترجم له ما جاء به النبي – ﷺ – ترجمة يفهمها لزمته الحجة) .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٢٩/٢٤) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٦٣/١٩) ، (١١/٢٨) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١١٢/١٣ ، ١١٣) .

وقال في آية الأحقاف (وهذا كتاب ، يعني القرآن مصدق للتوراة ولما قبله من الكتب ، وقيل : مصدق للنبي – ﷺ – لساناً عربياً : منصوب على الحال ، أي: مصدق لما قبله عربياً ولساناً توطئة ، أي : تأكيد ، لقولهم جاءني زيد رجلاً صالحاً ، فتذكر رجلاً توكيداً) [١] .

فوافقه ابن منظور على معنى اللسان ، وإعرابه في هذين الآيتين .

وقال ابن كثير عند تفسيره لآية الشعراء : (أي : واجعل لي ذكراً جميلاً بعدي أُذكر به ، ويُقتدى بي في الخير ، كما قال –تعالى– : (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ * سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۞ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ)[٢] . قال مجاهد وقتادة : واجعل لي لسان صدق في الآخرين ، يعني : الثناء الحسن) [٣] .

وفسَّر ابن كثير اللسان في آية إبراهيم بأنَّ معناه اللغة .

وذكر في معنى آية الأحقاف أنَّ القرآن الكريم مصدق لما قبله من الكتب ، وأنَّ المراد بقوله (لساناً عربياً) : فصيحاً بيناً واضحاً[٤] .

وهذا يدل على أنَّه يختار القول بأنَّ لساناً عربياً منصوب على الحال ، وهو اختيار ابن منظور آنف الذكر .

فوافق ابن كثير ابن منظور في معنى اللسان في المواضع الثلاثة .

ووافقه أبوالسعود الذي قال في معنى آية الشعراء : (أي : جاهاً وحسن صيت في الدنيا بحيث يبقى أثره إلى يوم الدين ، ولذلك لا ترى أُمة من الأمم إلا وهي محبة له ومثنية عليه ، أو صادقاً من ذريتي يُحدد أصل ديني ، ويدعو النَّاس إلى ماكنت أدعوهم إليه من التوحيد ، وهو النبي – ﷺ – ، ولذلك قال – ﷺ – : (أنا دعوة أبي إبراهيم) [٥]).

---

(١) المرجع السابق ، (٣٤٠/٩) ، (١٩١/١٦).

(٢) سورة الصافات ، الآيات (١٠٨ – ١١٠) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣٣٩/٣) .

(٤) انظر : المرجع السابق ، (٥٢٣/٢) ، (١٥٧/٤) .

(٥) جزء من حديث رواه العرباض بن سارية ، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ، في : ٢٧– كتاب التفسير ، ٣٤– تفسير سورة الأحزاب ، حديث رقم (٣٥٦٦) ، (٤٥٣/٢) .
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

وقال في آية إبراهيم : (بلسان قومه : متكلماً بلغة من أُرسل إليهم من الأُمم المتفقة على لغة ، سواءً بعث فيهم أو لا ، وقُرِئَ (بِلُسُن) وهو لغة فيه) [1] .

وفي آية الأحقاف ذكر أنَّ القرآن الكريم مصدق لكتاب موسى ، أو لما بين يديه من جميع الكتب الإلهية ، وأنَّ (لساناً عربياً) حال ، وقيل مفعول لمصدق ، أي : يصدق ذا لسان عربي[2] .

وجوه القراءات :

آية إبراهيم :

قوله تعالى : (إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ) : قُرِئَ في الشاذ : (بِلِسْن قومه) ، وهي بمعنى اللسان[3] .

المعنى العام للآيات :

١/ آية الشعراء :

المراد بهذه الآية إبراهيم – عليه السلام – حيثُ سأل ربه – عزَّ وجل – أن يجعل له ثناء صدق مستمر إلى آخر الدهر ، فاستجاب الله دعاءه ، فوهب له من العلم والحكم ما كان به من أفضل المرسلين ، وجعله محبوباً مقبولاً ، معظماً مثنياً عليه في جميع الملل في كل الأوقات[4] .

٢/ آية إبراهيم :

(وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ) ، أي : بلغتهم ليفهموا عنه ، وقد بُعث النبي – ﷺ – إلى كافة الخلق ، فبعثُ من العرب بلسانهم ، والناس تبع لهم ، ثم بثَّ الرسل إلى الأطراف يدعونهم إلى الله – عزَّ وجل – ويترجمون لهم بألسنتهم ، (لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ) ما أُمروا به فيفقهوه عنه بيسر وسهولة ، ثُمَّ ينقلوه

---

(١) إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (٦/٢٥٠) ، (٥/٣٢) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٨/٨٢) .

(٣) انظر : إملاء ما منَّ به الرحمن وجوه الإعراب والقراءات ، للعكبريّ ، (٢/٦٦) .

(٤) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعديّ ، ص ٥٩٣ .

ويترجموه إلى غيرهم (فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ) أي : فيخذله عن الإيمـــان (وَيَهۡدِى مَن يَشَآءُ) بالتوفيق له ، (لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ) فلايغلب على مشيئته ، (ٱلۡحَكِيمُ) الذي لا يضل ولا يهدي إلا لحكمة[1] .

٣/ آية الأحقاف :

(وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحۡمَةًۚ) ، أي : قدوة يؤتم به في ديـــن الله وشرائعه كما يؤتم بالإمام ، ورحمة لمن آمن به ، وعمل بما فيـــه ، (وَهَٰذَا) أي : القرآن (كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ) لكتاب موسى ، أو لما بين يديه وتَقَدَّمه من جميع الكتـــب (لِّسَانًا عَرَبِيًّا) منصوب على الحال ، ويجوز أن يكون مفعـــولاً لمصـــدق ، أي : يُصدِّق ذا لسان عربي ، وهو الرسول[2] .

النص رقم (١٧٤) و (١٧٥)

يقول تعالى : [ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ...][3] .

ويقول تعالى : [...وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ][4] .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (اللَّطيفُ : صفة من صفات الله ، واسم من أسمائه ، وفي التنزيل العزيز : (ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ) ، وفيه : (وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ) ، ومعنـــاه والله أعلم : الرفيق بعباده ... واللُّطف من الله تعالى : التوفيق والعصمة ، وقـــال ابن الأثير في تفسيره : اللطيف هو الذي اجتمع له الرفق في الفعل ، والعلم بدقائق

---

(١) انظر : معالم التنزيل ، للبغويّ ، (٢٦/٣) . وانظر : أنوار التنزيل ، للبيضاويّ ، (٣٣٧/٣ ، ٨٣٣) .

(٢) انظر : الكشاف ، للزمخشري ، (٣٠٥/٤) .

(٣) سورة الشورى ، الآية (١٩) . وتمام الآية : [ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ] .

(٤) سورة الملك ، الآية (١٤) . وتمام الآية : [أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ] .

المصالح ، وإيصالها إلى من قدرها له من خلقه . يقال : لَطَفَ به وله يَلْطُفُ لُطْفاً إذا رفق به ، فأما لَطُفَ (بالضم) يَلْطفُ ، فمعناه صغر ودَقَّ[(١)])[(٢)] .

دراسة النصين :

لم يُفصِّل الطبرى في معنى اللطف الوارد في آية الشورى كما فعل ابن منظور ، واكتفي بقوله في تأويل الآية : (الله ذو لطف بعباده ، يرزق من يشاء فيوسع عليه ، ويُقتر على من يشاء منهم ...) الخ .

كما لم يُفصل في معنى اللطف الوارد في آية الملك ، حيثُ قال في تفسير الآية : (ألا يعلم الرب – جلَّ ثناؤه – من خلق من خلقه ، يقول : كيف يخفى عليه خلقه الذي خلق ، وهو اللطيف بعباده الخبير بهم وبأعمالهم) [(٣)] .

فلا مقارنة إذاً بينه وبين ابن منظور في ذلك .

وقال الرازي في معنى قوله : (الله لطيف بعباده) : (أي : كثير الإحسان بهم، وإنَّما حَسُن ذكر هذا الكلام ههنا ؛ لأنَّه أنزل عليهم الكتاب المشتمل على هذه الدلائل اللطيفة ، فكان ذلك من لطف الله بعباده ، وأيضاً المتفرقون استوجبوا العذاب الشديد ، ثُمَّ إنَّه أخر عنهم ذلك العذاب ، فكان ذلك أيضاً من لطف الله –تعالى – فلمَّا سبق ذكر إيصال أعظم المنافع إليهم ، ودفع أعظم المضار عنهم لاجرم حسن ذكره ههنا) .

وقال في آية الملك : (اختلفوا في اللطيف ، فقال بعضهم : المراد العالم ، وقال آخرون : بل المراد من يكون فاعلاً للأشياء اللطيفة التي تخفى كيفية عملها على أكثر الفاعلين ؛ ولهذا يُقال : إنَّ لطف الله بعباده عجيب ، ويُراد به دقائق تدبيره لهم وفيهم ، وهذا الوجه أقرب ، وإلا لكان ذكر الخبير بعده تكراراً) [(٤)] .

---

(١) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير الجزريّ ، (٢٥١/٤) .

(٢) لسان العرب ، مادة (لطف) ، (٣١٦/٩) .

(٣) جامع البيان ، للطبري ، (٢٠/٢٥) ، (٦/٢٩) .

(٤) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٣٨/٢٧) ، (٦٠/٣٠) .

فالرازي وإن لم يُصرح بذكر الرفق في معنى اللطف في الآيتين ، إلا أنَّ كلامه فيهما ، واختياره يدور حول هذا المعنى ، وعلى هذا فلا مخالفة بينه وبين ابن منظور في ذلك .

أمَّا القرطبي فقد ذكر في معنى اللطف في آية الشورى أقوالاً كثيرة ، أهمها قول ابن عباس – رضي الله عنهما –: حفي* بهم ، وقول عكرمة : بَارٌ بهم ، وقول السديّ : رفيق بهم ، وقول مقاتل : لطيف بالبر والفاجر ، حيثُ لم يقتلهم جوعاً بمعاصيهم ، وقول بعضهم : لطيف بهم في الرزق من وجهين ، أحدهما أنَّه جعل رزقك الطيبات ، والثاني : أنَّه لم يدفعه إليك مرة واحدة فتبذره . وقول آخرون : اللطيف الذي ينشر من عباده المناقب ، ويستر عليهم المسالب .

وذكر القرطبي أقوالاً كثيرة غير هذه ، ولكنه لم يرجح بينها ، ولم يختر منها شيئاً ويلاحظ أنَّ فيها قول ابن منظور آنف الذكر.

وسكت القرطبي عن بيان معنى اللطف في آية الملك[1] ، فلا وجه للمقارنة بينه وبين ابن منظور فيها .

ولم يبين ابن كثير معنى اللطف في آية الشورى ، وكذا سكت عن بيانه في آلة الملك[2] ، فلا مقارنة بينه وبين ابن منظور في ذلك .

أمَّا ابن عطية فقد قال في معنى اللطف الوارد في آية الشورى : (ولطيف هنا بمعنى رفيق متحف** ، والعباد هنا المؤمنون ، ومن سبق له الخلود في الجنة ، وذلك أنَّ الأعمال بخواتمها ، ولا لطف إلا ما آل إلى الرحمة ، وأمَّا الإنعام على الكافرين في الدنيا فليس بلطف بهم ، بل هو إملاء واستدراج) .

---

* قال ابن أبي بكر في مختار الصحاح في مادة حفي ما نصه : (وحَفِيَ به بالكسر حَفَاوةً بفتح الحاء ، فهو حَفِيٌّ ، أي : بالغ في إكرامه وإلطافه ، والعناية بأمره) .

(مختار الصحاح ، لمحمد بن أبي بكر الرازي ، ص ٦١) .

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٦/١٧) ، (١٨/٢١٤) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤/١١١) ، (٤/٣٩٨) .

** مُتَحَفٍّ : هي من قوله حَفِي حفاوةً ، وقد سبق بيان معناها .

وسكت ابن عطية عن بيان معنى اللطف في آية الملك ، فلا يمكن المقارنـــة بينه وبين ابن منظور فيها[1] .

أمَّا في آية الشورى فقد وافقه ابن منظور في هذا المعنى ، إلا أنَّ ابن عطية – كما يظهر من كلامه – ذكر فائدة أخرى تميز بها على ابن منظور ، وهـــي أن هذا اللطف الإلهي المذكور في الآية خاص بالمؤمنين وليس للكافرين منه نصيب، بل إنَّ ما رزقهم الله – عزَّ وجل – به في الـــدنيا يُعـــدُّ إنعامـــاً لأجـــل الإمـــلاء والاستدارج لا غير .

المعنى العام للآيتين :

١/ آية الشورى :

ذكر الله –تعالى– في هذه الآية أحد صفاته التي يتصف بها ، وهـــي صـــفة اللطيف الذي يلطف بعباده ليعرفوه ويُحبوه ، ويتعرضوا للطفه وكرمه ، ومعنـــى اللطيف الذي يدرك الضمائر والسرائر ، والذي يوصل عباده المؤمنين إلى ما فيه الخير لهم ، من حيث لا يعلمون ولا يحتسبون ، يرزق من يشاء بحسب اقتضـــاء حكمته ولطفه ، وهو القوى العزيز الذي له القوة كلها ، فلا حول ولا قوة لأحد من المخلوقين إلا به[2] .

٢/ آية الملك :

(أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ) الاستفهام للإنكار ، والمعنى : ألا يعلم السر ومضمرات القلوب مَنْ خلق ذلك وأوجده ؟ فاسم الموصول (مَنْ) يُراد به الخالق ، ويجوز أن يُراد به المخلوق ، وفي قوله (يعلم) ضمير يعود إلى اسم الجلالة ، أي : ألا يعلـــم الله المخلوق ، الذي هو من جملة خلقه ، فإنَّ الأسرار والجهر ومضمرات القلوب ، من جملة خلقه ، (وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ) ، أي : الذي لطف علمه بما في القلوب ، الخبير بما تسره وتضمره من الأمور ، لا تخفى عليه من ذلك خافية[3] .

---

(١) المحرر الوجيز ، لابن عطية ، (٣٢/٥) ، وانظر : (٣٤٠/٥ ، ٣٤١) .

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن ، للسعديّ ، ص ٧٥٦ ، ٧٥٧ .

(٣) انظر : فتح القدير ، للشوكانيّ ، (٢٦٢/٥) .

النص رقم (١٧٦) و (١٧٧)

يقول تعالى : [كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ][١] .

ويقول تعالى : [فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ][٢] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (اللَّظى : النَّار ، وقيل : اللَّهبُ الخالص ... ولَظَى: اسم جهنم ، نعوذ بالله منها ، غير مصروف ، وهي معرفة لا تنون ولا تتصرف للعلمية والتأنيث ، وسُميت بذلك لأنَّها أشد النيران . وفي التنزيل العزيز : (كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ) . والتِظاءُ النار : التهابُها ، وتَلَظِّيها : تَلَهُّبُها ... وفي التنزيل العزيز : (فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ) ، أراد : تَتَلظَّي ، أي : تَتَوهَّجُ وتَتَوَقَّدُ . ويُقال : فلان يَتَلَظَّى على فلان تَلَظِّياً ، إذا تَوَقَّد عليه من شدَّة الغضب) [٣] .

دراسة النصين :

ذكر الطبري في تفسيره لآية المعارج أنَّ لظى اسم من أسماء جهنم ، ثُمَّ انصرف بعد ذلك إلى بيان موضعها من الإعراب ، فذكر اختلاف أهل العربية في ذلك .

وبيَّن في آية الليل أنَّ معنى (ناراً تلظَّى) : ناراً تتوهج ، وهي نار جهنم ، وأنَّ أصلها (تتلظى) ، وهي في موضع رفع[٤] .

فوافق ابن منظور الطبري في معنى المفردة في الآيتين .

وقال الرازي في آية المعارج : (ولظى من أسماء النار . قال الليث : اللظى : اللهب الخالص ... ولظى : علم للنار ، منقول من اللَّظى ، وهو معرفة لا ينصرف ، فلذلك لم ينون) .

---

(١) سورة المعارج ، الآيتان (١٥ ، ١٦) .

(٢) سورة الليل ، الآية (١٤) .

(٣) لسان العرب ، مادة (لظى) ، (٢٤٨/١٥) .

(٤) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٧٥/٢٩) ، (٢٢٦/٣٠) .

وقال في آية الليل : (تلظى ، أي : تتوقَّد وتتلهَّب وتتوهَّج ، يُقال : تَلَظَّت النار تَلَظِّياً ، ومنه سميت جهنم لَظَى) [١] .

فوافقه ابن منظور أيضاً في معنى هذه المفردة في الموضعين .

وقال القرطبي في تفسير آية المعارج : (إنَّها لَظَى ، أي : هي جهنم ، أي : تتلظى نيرانها ... واشتقاق لظى من التَلَظِّي ، والتظاء النار التهابها ، وتلظيها تلهبها ... وقيل : هي الدركة الثانية من طبقات جهنم ، وهي اسم مؤنث معرفة فلا ينصرف) .

وقال في آية الليل : (ناراً تَلَظَّى ، أي : تَلَهَّب وتتوقد ، وأصله : تتلظى)[٢] .

فوافقه كذلك ابن منظور في المعنى في الموضعين .

وقال ابن كثير في معنى (لظى) : (يصف النار وشدة حرها) .

وقال في آية الليل : (فأنذرتكم ناراً تلظى ، قال مجاهد : أي : توهج) [٣] .

فعلى هذا لاخلاف بينه وبين ابن منظور في ذلك .

وبيَّن الكلبي صاحب "التسهيل" في آية المعارج أنَّ الضمير في قوله (إنَّها لظى) للنَّار ؛ لأنَّ العذاب يدل عليها ، ولظى علم لجهنم ، مشتق من اللظى بمعنى اللهب .

أمَّا في آية الليل فلم يفسر الكلبي التلظى الوارد في الآية[٤] .

وعلى هذا فلا نقارن بينه وبين ابن منظور إلا في آية المعارج فقط ، وقد وافقه فيها .

---

(١) التفسير الكبير ، للرازي ، (١١٢/٣٠) ، (١٨٤/٣١) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٧٨/١٨) ، (٨٦/٢٠) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٢٢/٤) ، (٥٢١/٤) .

(٤) انظر : التسهيل ، للكلبيّ ، (١٤٧/٤) ، (٢٠٣/٤) .

وجوه القراءات :

١/ آية المعارج :

أمال حمزة والكسائي (لظى) على أصلها ، وورش[١] وأبو عمرو بين الإمالة والفتح ، وقرأ الباقون بإخلاص الفتح[٢] .

٢/ آية الليل :

في رواية البزيّ عن ابن كثير تشديد التاء في قوله : (ناراً تلظى) وقرأ الباقون (تلظى) خفيفة[٣] .

المعنى العام للآيتين :

١/ آية المعارج :

قوله تعالى : (كَلَّآ) فيه رد للمجرم ، وتنبيه على أنه لا ينفعه الافتداء ، ولا ينجيه من العذاب ، ثُمَّ قال : (إِنَّهَا) الضمير للنار مع أنه لم يجر لها ذكر ، وذلك لأنَّ ذكر العذاب دل عليها ، ويجوز أن يكون ضميراً مبهماً ترجم عنه الخبر ، أو ضمير القصة و (لَظَى) علم النار ، من اللظى بمعنى اللهب ، ويجوز أن يُراد اللهب ، و (نَزَّاعَة) بالنصب على أنَّها حال مؤكدة ، أو على أنَّها متلظية نزاعة ، أو على الاختصاص للتهويل ، و (لِّلشَّوَى) : الأطراف ، أو جمع شواة : وهي جلدة الرأس ، تنزعها نزعاً فتبتكها ثُمَّ تُعاد[٤] .

---

(١) ورش : شيخ الإقراء بالديار المصرية ، أبو سعيد ، وقيل : أبوعمرو عثمان بن سعيد بن عبدالله بن عمرو ، وقيل : اسم جده : عدى بن غزوان القبطي الإفريقي ، مولى آل الزبير بن العوام ، ولد سنة (١١٠هـ) وجوَّد ختمات على نافع ، ولقبه نافع بورش لشدة بياضه ، والورش لبن يُصنع ، وقيل : لقبه بطائر اسمه ورشان ، ثُمَّ خفف ، فكان لا يكرهه ويقول نافع استاذي سماني به ، كان جيد القراءة ، حسن الصوت . مات بمصر سنة (١٩٧هـ) .

(انظر : سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، (٩/٢٩٥) ، ومعرفة القراء الكبار ، لشمس الدين الذهبي ، (١/١٥٢) ، وشذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، (١/٣٤٩)).

(٢) انظر : التيسير في القراءات السبع ، لأبي عمرو الدانيّ ، ص ٢١٤ .

وانظر : اتحاف فضلاء البشر ، للدمياطيّ ، لأبي عمرو الدانيّ ، ص ٥٥٦ .

(٣) انظر : السبعة في القراءات ، لابن مجاهد البغدادي ، ص ٦٩٠ .

(٤) انظر : الكشاف ، للزمخشريّ ، (٤/٦١٣) .

٢/ آية الليل :

(فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارًا تَلَظَّىٰ) أي : خوفتكم بالقرآن ناراً تلظى ، يعني : تتلهب وتشتعل على أهلها ، وتزفر عليهم(١) .

النص رقم (١٧٨) و (١٧٩) و (١٨٠) و (١٨١)

يقول تعالى : [...بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ...](٢) .

ويقول تعالى : [...وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ](٣) .

ويقول تعالى : [...وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ ...](٤) .

ويقول تعالى : [...أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِ ...](٥) .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (واللَّعْنُ : الإبعادُ والطَّرْدُ من الخير ، وقيل : الطَّرْدُ والإبعادُ من الله ، ومن الخلق السَّبُّ والدُّعاء ، واللَّعْنَةُ الاسم ، والجمع لِعَانٌ ولَعَناتٌ ... وقوله تعالى : (بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ) ، أي : أبعدهم . وقوله تعالى : (وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ) . قال ابن عباس : اللاعنون : كل شيء في الأرض ، ويروى عن ابن مسعود أنَّه قال :اللاعنون الاثنان إذا تلاعنا لحقت اللعنة بمستحقها

---

(١) انظر بحر العلوم ، للسمرقنديّ ، (٥٦٦/٣) ، وانظر : أنوار التنزيل ، للبيضاويّ ، (٤٩٩/٥) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٨٨) . وتمام الآية : [وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ] .

(٣) سورة البقرة ، الآية (١٥٩) . وتمام الآية : [إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ] .

(٤) سورة الإسراء ، الآية (٦٠) . وتمام الآية: [وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا] .

(٥) سورة النساء ، الآية (٤٧) . وتمام الآية : [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا] .

منها ، فإن لم يستحقها واحد رجعت على اليهود ، وقيل : اللاعنون كل من آمن بالله من الإنس والجن والملائكة ... وقوله تعالى : (وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ) . قال ثعلب : يعني شجرة الزَّقُّوم ، قيل : أراد الملعون آكلُها . واللَّعِينُ : المَمْسُوخ . وقال الفرَّاء : اللَّعْنُ : المَسْخُ أيضاً . قال الله – عزَّ وجل – : (أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ) ، أي : نَمْسَخَهم – قال : واللعين : المُخْزَى المُهْلَك[1])[2] .

دراسة النص :

قال الطبري في آية البقرة (٨٨) : يعني – جل ثناؤه بقوله : (بل لعنهم الله) : بل أقصاهم* الله ، وأبعدهم وطردهم ، وأخزاهم وأهلكهم بكفرهم وجحودهم آيات الله وبيناته ، وما ابتعث به رسله ، وتكذيبهم أنبياءه ، فأخبر –تعالى– ذكره أنَّه أبعدهم منه ، ومن رحمته بما كانوا يفعلون من ذلك ، وأصل اللَّعْن : الطَّرْد والإبعاد والإقصاء) [3] .

وذكر في آية البقرة (١٥٩) أنَّ اللَّعْنَةَ : الفعلة ، من لعنه الله بمعنى : أقصاه وأبعده وأسحقه ، وأصل اللَّعْن : الطَّرد .

ثُمَّ ذكر الطبري اختلاف أهل التأويل في المراد باللاعنين في هذه الآية ، وأورد لهم عدة أقوال . الأول : دواب الأرض وهوامها . الثاني : الملائكة والمؤمنون . الثالث : كل ما عدا بني آدم والجن .

ثُمَّ رجَّح الطبري القول الثاني – أي : الملائكة والمؤمنين – وبيَّن في سبب اختياره هذا أنَّ الله تعالى وصف اللعنة التي تحل بالكفار إنَّما هي من الله والملائكة والناس أجمعين ، حيثُ قال تعالى : (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (١٢١/٢) .

(٢) لسان العرب ، مادة (لعن) ، (٣٨٧/١٣ – ٣٨٩) .

* يُريد اليهود كما ذكر ذلك في تفسيره . (انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٤٠٨/١)) .

(٣) المرجع السابق ، (٤٠٨/١) .

عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ)[1] ونفى الطبري صحة ما عدا هـذا القول من الأقوال .

وفي آية الإسراء ذكر الطبري خلاف أهل التأويل أيضاً في المراد بالشـجرة الملعونة في القرآن ، وأورد لهم في ذلك قولين ، هما : إنَّ المـراد بهـا شـجرة الزقوم ، وقال آخرون : هي الكشوث ، ونسب إلى ابن عباس –رضي الله عنهما– أنَّه قال في تعريفها : هي الشجرة التي تلوى على الشجرة ، وتجعل فـي المـاء ، يعني: الكشوثى .

ثُمَّ رجَّح الطبري بين هذين القولين قول من قال : عني بها شجرة الزقـوم ؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك .

وبين الطبري أن اللعن في آية النساء المراد بـه الخـزي والتحويـل إلـى قردة[2]، (وهو معنى المسخ) .

يتبين لنا مما سبق أنَّه لا خلاف بين الطبري وابن منظور في معنى اللّعن في جميع هذه المواضع ، غير أنَّ الطبري يذكر الأقوال المختلفة ، ثُم يُرجح بينهـا ، ولم يفعل ذلك ابن منظور ، مع خلاف يسير بينهما في بعض الأقوال . كمـا هـو واضح.

ولم يبين الرازي معنى اللعن الوارد في آية البقرة (٨٨) ، وبينَّه فـي الآيـة (١٥٩) من هذه السورة ، حيثُ ذكر أنَّ اللعنة في أصل اللغة هي الإبعاد ، وفـي عرف الشرع هي الإبعاد من الثواب ، ثمَّ بيَّن أنَّ المراد من اللاعنـين الملائكـة والأنبياء والصالحين ؛ لأنَّ للعنهم تأثير اتفاقاً ، فهم داخلون تحت هـذا العمـوم لا محالة ، وذكر الرازي ستة وجوه أُخرى في هذا المعنى ، فيها الوجوه الثلاثة التي ذكرها ابن منظور[3] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : (١٦١) .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري ، على الترتيب ، (٥٤/٢ – ٥٦) ، (١١٣/١٥ – ١١٥) ، (١٢٤/٥) .

(٣) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٦٣/٣) ، (١٤٩/٤) .

وقال الرازي في الشجرة الملعونة : (واختلفوا في هذه الشجرة ، فالأكثرون قالوا : إنَّها شجرة الزقوم المذكورة في القرآن في قوله : (إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ * طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ)[1] ... فإن قيل : ليس في القرآن لعن هذه الشجرة . قلنا فيه وجوه : الأول : المراد لعن الكفار الذين يأكلونها . الثاني: العرب تقول لكل طعام مكروه ضار إنَّه ملعون ، والثالث : إنَّ اللعن في أصل اللغة هو التبعيد ، فلمَّا كانت هذه الشجرة الملعونة في القرآن مبعدة عن جميع صفات الخير سميت ملعونة) [2] .

وقال في آية النساء : (قال مقاتل وغيره : نمسخهم قردة كما فعلنا ذلك بأوائلهم ، وقال أكثر المحققين : الأظهر حمل الآية على اللعن المتعارف ، ألا ترى إلى قوله تعالى : (قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ)[3] ، ففصل –تعالى– ههنا بين اللعن وبين مسخهم قردة وخنازير) [4] .

يُلاحظ من النصوص السابقة بعض الإتفاق بين ابن منظور والرازي ، إلا أنَّ الرازي – بصفته مفسراً – يُعد أكثر تفصيلاً من ابن منظور في إيراد الأقوال المختلفة ، والترجيح بينها كما هو ملاحظ .

وقال القرطبي في آية البقرة (٨٨) : (يعني – جلَّ ثناؤه – بقوله : بل لعنهم الله : بل أقصاهم الله وأبعدهم وطردهم وأخزاهم وأهلكهم بكفرهم وجحودهم آيات الله وبيناته ، وما ابتعث به رسله ، وتكذيبهم أنبياءه) [5] .

وأورد القرطبي في آية البقرة (١٥٩) ذات الأقوال التي ذكرها ابن منظور في المراد باللاعنين ، وزاد عليها قول مجاهد وعكرمة : المراد بهم الحشرات والبهائم يصيبهم الجدب بذنوب علماء السوء الكاتمين فيلعنونهم .

---

(١) سورة الدخان ، الآيتان (٤٣ ، ٤٤) .

(٢) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٨٩/٢٠) .

(٣) سورة المائدة ، الآية (٦٠) .

(٤) التفسير الكبير ، للرازي ، (٩٨/١٠ ، ٩٩) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٤٠٨/١) .

وهذا القول هو الذي رجحه القرطبي هنا .

وذكر في آية الإسراء أنَّ الشجرة الملعونة في القرآن هي شجرة الزقوم .

وبين أنَّ المراد باللعن في آية النساء هو المسخ قردةً وخنازير[1] .

فوافقه ابن منظور في جميع المواضع عدا الموضع الثاني من سورة البقرة لاختياره فيه أنَّ المراد باللاعنين الحشرات والبهائم ممَّا لم يذكره ابن منظور .

وفسَّر ابن كثير اللعن في آية البقرة (٨٨) بقوله : (أي : طردهم الله وأبعدهم من كل خير) [2] .

كما فسَّر اللاعنون في آية البقرة (١٥٩) بأنَّهم كل شيء ولم يُفَّصِل ، ثُمَّ ذكر الأقوال الأخرى في ذلك ، وفيها بعض الذي ذكره ابن منظور ، وفسَّر ابن كثير الشجرة المعلونة في القرآن بأنها شجرة الزقوم ، وأيضاً فسَّر اللعن في آية النساء بالمسخ قردةً وخنازير [3] .

وبذلك يكون ابن كثير موافقاً لابن منظور في جميع ما سبق ، غير أنَّه خالفه في الموضع الثاني في الاختيار .

وفسر ابن عطية اللعن في قوله تعالى : (بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ) بأنَّه الإبعاد والطرد .

وذكر الأقوال الثلاثة التي ذكرها ابن منظور في المراد باللاعنين ، واختار منها أنَّ المراد بهم الملائكة والمؤمنون .

وذكر أنَّ الشجرة الملعونة في قول الجمهور هي شجرة الزقوم ، ثمَّ أورد الأقوال الأُخرى فيها ، كما فسر اللعن في آية النساء بالمسخ [4] .

فوفقه ابن منظور في جميع المواضع ، إلا أنَّ ابن عطية امتاز عليه بالترجيح والاختيار في الموضع الثاني في المراد باللاعنين .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (١٨٦/٢ ، ١٨٧) ، (٢٨٢/١٠) ، (٢٤٥/٥) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١٢٤/١) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (٢٠١/١) ، (٤٩/٣) ، (٥٠٩/١) .

(٤) انظر : المحرر الوجيز ، لابن عطية ، (١٧٧/١) ، (٢٣١/١) ، (٤٦٨/٣) ، (٢٤٢/١) .

أسباب النزول :

١/ آية البقرة (٨٨) :

قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: قالت اليهود : قلوبنا مملوءة علماً ، لا نحتاج إلى علم محمد ولا غيره ، بل هي غلف ، فنزلت : (بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ)(١) .

٢/ آية الإسراء :

وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – أيضاً : ذكر الله الزقُّوم ، خوَّف به هذا الحي من قريش ، قال أبو جهل : هل تدرون ما هذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد؟ قالوا لا : قال : الثريد بالزبد ، أمَّا لئن أمكننا منها لنزقمنَّها زقماً ، فأنزل الله : (وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا) ، وأنزل : (إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ * طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ)(٢) .

المعنى العام للآيات :

١/ آية البقرة (٨٨) .

(وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ) ، أي : اليهود ، قالوا قلوبنا خلقة وجبلة مغشاة بأغطية لا يتوصل إليها ما جاء به محمد – ﷺ – ولا تفقهه ، كقولهم : (قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ)(٣) ، ثُمَّ ردَّ الله – تعالى – أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك ، لأنَّها خُلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بأن لعنهم الله وخذلهم بسبب كفرهم ، فقال تعالى : (بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ) ، فهم الذين غلفوا قلوبهم بما أحدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة (فقليلاً ما يؤمنون) ، أي : فإيماناً قليلاً يؤمنون ، وهو

---

(١) انظر : العجاب ، لابن حجر العسقلاني ، (٢٧٩/١) .

(٢) سورة الدخان ، الآيتان ، (٤٣ ، ٤٤) .

(٣) سورة فصلت ، الآية (٥) .

إيمانهم ببعض الكتاب ، ويجوز أن تكون القلة بمعنى العدم .وقيل : غلف جمع غلاف ، أي : قلوبنا أوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره (١) .

٢/ آية البقرة (١٥٩) :

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ) ، قيل : نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا ما في التوراة من نُعوت النبي – ﷺ– وغير ذلك من الأحكام ، وقيل : نزلت في أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وقيل : نزلت في كل من كتم شيئاً من أحكام الدين؛ لعموم الحكم للكل ، والأقرب هو الأول ؛ فأنَّ عموم الحكم لا يأبى خصوص السبب ، والكتم والكتمان : ترك إظهار الشيء قصداً مع مساس الحاجة إليه ، وتحقق الداعي إلى إظهاره ، (مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ) من الآيات الواضحات الدالة على أمر محمد – ﷺ– (وَٱلۡهُدَىٰ) ، أي : والآيات الهادية إلى كنه أمره ، وجوب اتباعه ، والإيمان به (مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ) ، أي : لجميع الناس ، لا الكاتمون فقط ، كائن في الكتاب بتلخيصه لهم ، وإيضاحه ، بحيث يتلقاه كل أحد منهم ، من غير أن يكون له فيه شبهة ، (أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ) ، أي : يطردهم ويُبعدهم من رحمته (وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ]) ، أي : الذين يتأتى منهم اللعن ، أي : الدعاء عليهم باللعن من الملائكة ومؤمني الثقلين،والمراد دوام اللعن واستمراره(٢).

٣/ آية الإسراء :

يخاطب الله – تعالى – في هذه الآية نبيه محمداً – ﷺ– قائلاً له : واذكر يا محمد إذ قلنا لك : إنَّ ربك أحاط بالنَّاس علماً وقدرة ، فهم في قبضته ، فبلِّغهم ولا تخف أحداً فهو يعصمك منهم ، وما جعلنا الرؤيا التي أريناك عياناً ليلة الإسراء إلا فتنةً للنَّاس ، أي : أهل مكة إذ كذبوا بها ، وارتدَّ بعضهم لمَّا أخبرتهم بها ، والشجرة الملعونة في القرآن ، وهي الزَّقُّوم التي تنبت في أصل الجحيم ، جعلناها

(١) انظر : الكشاف ، للزمخشري ، (١٨٩/١ ، ١٩٠) .

(٢) انظر : إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (١٨٢/١) .

فتنة لهم ، حيثُ قالوا : إنَّ النَّار تحرق الشجر فكيف تنبته ؟ ونخـــوفهم بهـــا فمـــا يزيدهم تخويفنا لهم إلا طغياناً كبيراً [١] .

٤/ آية النساء :

يخاطب الله –تعالى– في هذه الآية اليهود ، يقول لهم: آمنوا بما نزلنا ، أي : القرآن ، مصدقاً لما معكم من التوراة من قبل أن نطمس وجوهاً ، قيل : نجعلهـــا كخف البعير ، وقيل : نعميها ، والمراد بالوجه العين ، فنزدها على أدبارها ، أي : على القفا ، وقيل : نجعل الوجوه منابت الشعر كوجوه القردة ، وقيـــل : نمحـــو آثارها ، وما فيها من أنف وعين وفم وحاجب ، و نجعلها كالأقفاء ، وقيل : غيـــر ذلك ، أو نلعنهم كما لعنَّا أصحاب السبت فنجعلهم قردةً وخنازير ، وكان أمـــر الله مفعولاً [٢] .

النص رقم (١٨٢)

قال تعالى : [...وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ][٣] .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (اللُّغُوبُ : التَّعَبُ والإعْيَاء . لَغَبَ يَلْغُبُ (بالضـــم) لُغُوبـــاً ولَغْباً ولَغِبَ (بالكسر) لغة ضعيفة : أعيا أشدَّ الإعياء . وأَلْغَبْتُه أنا ، أي : أنْصَـــبْتُهُ ... وفي التنزيل العزيز : (وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ))[٤] .

دراسة النص :

فسَّر الطبري –قوله تعالى– : (وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ) بقوله : (وما مسنا من إعياء) [٥] .

---

(١) انظر : تفسير الجلالين ، للمحليّ والسيوطي ، ص ٣٧٢ .

(٢) انظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٤٣٨/١ ، ٤٣٩) .

(٣) سورة ق ، الآية (٣٨) . وتمام الآية : [وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ] .

(٤) لسان العرب ، مادة (لغب) ، (٧٤٢/١) .

(٥) جامع البيان ، للطبري ، (١٧٨/٢٦) .

فوافقه ابن منظور في ذلك .

وفسر الرازي اللغوب في هذه الآية بالتعب(١) .

فوافقه ابن منظور أيضاً .

وتطابق قول ابن منظور في ذلك أيضاً مع قول القرطبي ، حيثُ قال : (واللغُوب : التعب والإعياء ، تقول منه : لغب يلغب (بالضم) لغوباً ، ولغب (بالكسر) يلغب لغوباً ، لغة ضعيفة فيه ، وألغبته أنا ، أي : أنصبته) (٢) .

وفسَّر ابن كثير اللغوب أيضاً بالإعياء والتعب والنصب ، مستدلاً على ذلك المعنى ببعض الآيات الكريمة ، منها قوله –تعالى- : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣) .

فوافقه ابن منظور على ذلك .

كما وافق ابن منظور في معنى اللغوب أيضاً الإمام السمعاني الذي ذكر أنَّ معناه الإعياء والنصب(٤).

ويبدو أنَّ هناك إجماعاً تاماً على هذا المعنى اللغوي للغوب من قبل المفسرين إذ لم يُخالف في معناه منهم أحد .

سبب النزول :

ذكر الواحديّ في سبب نزول هذه الآية عن الحسن وقتادة قولهما : قالت اليهود: إنَّ الله خلق الخلق في ست أيام ، واستراح يوم السابع ، وهو يوم السبت . يُسمونه يوم الراحة ، فأنزل الله – تعالى– هذه الآية . وذكر الواحديّ غير هذا(٥) .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٥٨/٢٨) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٣/١٧ ، ٢٤) .

(٣) سورة الأحقاف ، الآية (٣٣) ، وانظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٣٠/٤) .

(٤) انظر : تفسير القرآن ، للسمعاني ، (٢٤٧/٥) .

(٥) انظر : أسباب النزول : للواحديّ ، ص (٤١٣ ، ٤١٤) ، وانظر في سبب نزول هذه الآية أيضاً : لباب النقول ، للسيوطي ، ص (١٩٩ ، ٢٠٠) .

المعنى العام للآية :

في هذه الآية إخبار منه –تعالى– عن قدرته العظيمة ، ومشيئته النافدة التي أوجد بها أعظم المخلوقات السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، أولها يوم الأحد ، وآخرها يوم الجمعة ، من غير تعب ولا نصب ولا لغوب ولا إعياء ، فالذي أوجدها على كبرها وعظمها قادرٌ على إحياء الموتى من باب أولى وأحرى.

وقد نزلت هذه الآية ردّاً على اليهود في قولهم : إن الله استراح يوم السبت ، وانتفاء التعب عنه لتنزهه تعالى عن صفات المخلوقات ، ولعدم المماسة بينه وبين غيره : (إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ)(١) .

النص رقم (١٨٣) و (١٨٤) و (١٨٥) و (١٨٦)

يقول تعالى : [لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَـٰنِكُمۡ...](٢) .

ويقول تعالى : [لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً](٣) .

ويقول تعالى : [...لَا تَسۡمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ ..](٤) .

ويقول تعالى : [...وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ ...](٥)

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور: (وقوله –عزَّ وجل–: (لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَـٰنِكُمۡ) اللَّغْوُ في الأَيمان : ما لا يَعْقِدُ عليه القلب ، مثل قولك : لا والله ، وبلى والله . قال

---

(١) سورة يس ، الآية (٨٢) . وانظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعديّ ، ص ٨٠٧ ، وتفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطيّ ، ص ٦٩١ .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٢٥) . وتمام الآية : [لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَـٰنِكُمۡ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ] . وقد ورد هذا الجزء أيضاً في سورة المائدة ،الآية (٨٩) .

(٣) سورة الغاشية ، الآية (١١) .

(٤) سورة فصلت ، الآية (٢٦) . وتمام الآية : [وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ] .

(٥) سورة الفرقان ، الآية (٧٢) . وتمام الآية [وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامًا] .

الفرَّاء : (كان قول عائشة – رضي الله عنها – إنَّ اللغو ما يجرى في الكلام على غير عقد) [١] ... قال الشافعى : اللغو في لسان العرب الكلام غير المعقود عليه ، وجماع اللغو هو الخطأ إذا كان اللجاج والغضب والعجلة ، وعَقْدُ اليمين أن تثبتها على الشيء بعينه أن لا تفعله فتفعله ، أو لتفعلنه فلا تفعله ، أو لقد كان وما كان ، فهذا آثم وعليه الكفارة[٢] . وقيل : معنى اللغو : الإثم ، والمعنى : لا يؤاخذكم الله بالإثم في الحلف إذا كَفَّرْتُم .

... وقيل : هي التي يحلفها الإنسان ساهياً أو ناسياً ، وقيل : هو اليمين في المعصية ، وقيل : في الغضب ، وقيل : في المراء ، وقيل : في الهزل[٣] ... وكلمةٌ لاغية : فاحشة ، وفي التنزيل العزيز : (لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً) ، هو على النسب ، أي : كلمة ذات لغو ، وقيل : أي : كلمة قبيحة أو فاحشة ، وقال قتادة : أي : باطلاً ومأثماً ، وقال مجاهد : شتماً ... وقال غيرهما : اللاغية واللَّواغى بمعنى اللَّغو ... واللَّغا : الصوت ، مثل الوغى . وقال الفرَّاء في قوله –تعالى– : (لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ) . قالت كفار قريش : إذا تلا محمد القرآن فالغوا فيه ، أي : الغطُوا فيه ، يُبَدَّل أو يَنْسى فتغلبوه ... وفي الحديث : (من مس الحصى فقد لغا) [٤] ، أي : تكلَّم ، وقيل : عدل عن الصواب ، وقيل : خاب ، والأصل الأول ... وفي التنزيل العزيز : (وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ) ، أي : مروا بالباطل)[٥] .

---

(١) معاني القرآن ، للفرَّاء ، (١/١٤٤) .

(٢) انظر : الأم ، لأبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعيّ ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٣هـ ، (٧/٦٣) .

(٣) انظر في ذلك : بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي ، دار الفكر ، بيروت ، (١/٢٩٩) .

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه عن أبي هريرة مرفوعاً ، في : ٥– كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، ٦٢– باب مسح الحصى في الصلاة ، حديث رقم (١٠٢٥) ، (١/٣٢٧) . انظر : سنن ابن ماجة ، لمحمد بن يزيد أبوعبدالله القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر ، بيروت .

(٥) لسان العرب ، مادة (لغا) ، (١٥/٢٥٠ ، ٢٥١) .

دراسة النص :

ذكر الطبري في المراد باللغو في آية البقرة أقوال أهل التأويل ، وهي نحواً من الأقوال التي أوردها ابن منظور ، والذي يظهر من كلامه أنَّه اختار ما ذهب إليه ابن منظور في ذلك . قال الطبري : (فإنَّ الله لا يؤاخذكم بما لغته ألسنتكم من أيمانكم ، فنطقت به من قبيح الأيمان وذميمها على غير تعمدكم الإثم ، وقصدكم بعزائم صدوركم إلى إيجاب عقد الأيمان التي حلفتم بها ، ولكنه إنَّما يؤاخذكم بما تعمدتم فيه عقد اليمين ، وإيجابها على أنفسكم ...) [1]

وكذا وافقه ابن منظور في معنى قوله : (لاغية) في آية الغاشية ، حيث ذكر الطبري هنا أنَّ المراد بلاغية كلمة لغو ، وهي الباطل ، وأورد الأقوال الأخرى التي ذكرها ابن منظور على أنَّها مترادفة المعنى ، وبيَّن أنَّ الضمير في قوله : (لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً) يعود على الجنة[2] .

ووافقه أيضاً في آية فصلت ، حيثُ قال الطبري : (وقوله : والغوا فيه ، يقول : الغطوا بالباطل من القول إذا سمعتم قارئه يقرؤه كيما لا تسمعوه ، ولا تفهموا ما فيه) [3] .

ولم يخالفه في آية الفرقان ، فقد نقل الطبرى اختلاف أهل التأويل في معنى اللغو في هذه الآية ، فذكر قول بعضهم : إنَّ معناه : ما كان يقوله المشركون للمؤمنين من الأذى ، وقول بعضهم : إنَّ المراد به النكاح إذا ذُكر كفوا عنه ، وقول آخرين : إنَّ المراد به الباطل إذا مروا به أنكروه . وقول بعضهم : إنَّ المراد به المعاصي كلها .

ثم ذكر الطبري أنَّ المراد باللغو في كلام العرب كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل ، أو ما يستقبح ، وبيَّن أنَّ الصواب في ذلك أن لا يُقال عنى به بعض دون بعض فكل ذلك يشمله اسم الباطل عنده[4] .

---

(١) جامع البيان ، للطبرى ، (٤١٤/٢) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (١٦٣/٣٠) .

(٣) المرجع السابق ، (١١٢/٢٤) .

(٤) انظر : المرجع السابق ، (٤٩/١٩ ، ٥٠) .

وكذلك الرازي ذكر في آية البقرة نحواً من الأقوال التي أوردها الطبري وابن منظور ، واختار منها ما ذهبا إليه ، حيثُ قارن بين هذه الآية وآية المائدة التي فيها قوله تعالى : (وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ)[1] ثم انتهى الرازي إلى القول : إنَّ كل يمين ذُكر على سبيل الجد وربط القلب فالكفارة واجبة فيها[2] .

فالذي يُفهم من كلامه ذلك أنَّ اللغو في اليمين هو مالا يعقد عليه القلب كما ذكر ذلك ابن منظور .

ولم يخالف ابن منظور الرازي في آية الغاشية في معنى اللاغية ، فبعد أن أورد الرازي أقوال أهل اللغة وأهل التفسير في معناها رجَّح أحد هذه الأقوال ، وهو أنَّ اللغو ما لا فائدة فيه ، ويندرج فيه ما يؤذى سامعه وهو معنى الفحش الذي أراده ابن منظور[3] .

وكذلك لا خلاف بينهما في المراد باللغو في آية فصلت ، حيثُ ذكر الرازي كما ذكر ابن منظور أنَّ كفار قريش يوصى بعضهم بعضاً عند تلاوة القرآن أن يتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات والأشعار الفاسدة والكلمات الباطلة ، حتى يخلطوا على القارئ ويشوشوا عليه ، ويغلبوا على قراءته .

وذكر الرازي في معنى اللغو في آية الفرقان بعض الأقوال ، وهي ما ذكره الطبري فأغنى ذلك عن إعادتها ، وبيَّن الرازي أنَّ الأصح أنَّ اللغو كل ما يجب أن يُلغى ويترك ، ونفى أن يكون المراد باللغو كل ما ليس بطاعة ؛ لأنَّ المباحات لا تُعد لغواً[4] .

وذكر القرطبي في آية البقرة أقوال العلماء في اليمين التي هي لغوٌ واختار منها قول ابن عباس – رضي الله عنهما – : أنَّها قول الرجل في درج كلامه ، واستعجاله في المحاورة : لا والله ، وبلى والله غير معتقد لليمين ولا مريدها .

---

(١) سورة المائدة ، الآية (٨٩) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٦/٦٦ – ٦٨) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (٣١/ ١٤١) .

(٤) انظر : المرجع السابق ، (٢٧/١٠٣) ، (٢٤/٩٩) .

ثُمَّ ضعَّف القرطبى ما سوى ذلك من الأقوال[1] ، فوافقه ابــن منظــور فـــي اختياره.

وفي آية الغاشية قال القرطبي في معنى قوله (لاغية) : (أي : كلاماً ســاقطاً غير مرضى ، وقال : اللاغية واللغو واللغا بمعنى واحد) .

ثُمَّ نقل أقوال العلماء في معناها .

وما ذكره القرطبي هنا لا يخرج عمَّا ذكره ابن منظور في ذلك .

ولا خلاف بين ابن منظور والقرطبي كذلك في آية فصــلت ، حيــثُ أورد القرطبي أقوالاً للمفسرين لا يخرج مؤدَّاها عمَّا ذكره ابن منظور ، أحدها : قــول أبي جهل : إذا قرأ محمد فصيحوا في وجهه حتى لا يدرى ما يقول ، وثانيهــا إنَّ المعنى : والغوا فيه بالمكاء والتصفيق والتخطيط في المنطق حتى يصير لغــواً ، وثالثها : أكثروا الكلام ليختلط عليه ما يقول ، ورابعها : قعوا فيه وعيبوه .

وذكر القرطبي في آية الفرقان أقوال المفسرين في معنى اللغو الوارد في هذه الآية كما فعل سابِقَيْه الرازي والطبري ، مُبيّنا أنَّ اللغو هو كل سقط من قــول أو فعل ، فيدخلّ فيه الغناء واللهو ، وغير ذلك ممَّا قاربه ويدخل فيه سفه المشــركين وأذاهم المؤمنين ، وذكر النساء ، وغير ذلك من المنكر[2] .

وكل ذلك يشمله اسم الباطل الذي ذكره ابن منظور .

وقال ابن كثير عند شرحه لآية البقرة موافقاً لابن منظور : (لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ) ، أي : لا يعاقبكم ولا يلزمكم بما صدر منكم مــن الأيمــان اللاغية ، وهي التي لا يقصدها الحالف ، بل تجري على لسانه عادة من غير تعقيد ولا تأكيد) .واكتفى ابن كثير عند شرحه لآية الغاشية بقوله : (أي : لا تسمع فــي الجنة التي هم فيها كلمة لغو)[3] .

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣/٩٩ – ١٠٢) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٢٠/٣٣) ، (١٥/ ٣٥٦) ، (١٣/٨٠) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١/٢٦٧) ، (٤/٥٠٤) .

فوافق ابن منظور في تفسيره لاغية بكلمة لغو ، إلا أنَّه لم يُبين معنى اللغو هنا .

كما وافقه في آية فصلت حيثُ فسر اللغو هنا بتوصية قريش بعضها بعضاً أن يفعلوا المُكاء والصفير والتخليط في المنطق على رسول الله – ﷺ – إذا قرأ القرآن.

أمَّا اللغو الذي في آية الفرقان فقد فسَّره ابن كثير بالزور ، وفسَّر الزور بالكذب عمداً على الغير(١) . ولا شك أنَّ شهادة الزور من الباطل .

ونقل البغوي الأقوال التي وردت في معنى اللغو في آية البقرة ، وذكر في تفسير الآية ما يفيد اختيار ابن منظور لما ذهب إليه من أنَّ المراد باللغو ما ليس فيه قصد إلى اليمين أو عقد للنية .

وفسَّر اللاغية في آية الغاشية باللغو والباطل . فلم يخالفه في ذلك ابن منظور.

كما فسَّر اللغو في آية فصلت باللغط في القرآن ، وذكر ما ذكره ابن منظور في ذلك من توصية مشركي قريش بمعارضة القرآن بالرجز والشعر واللغو أو المكاء والصفير وإكثار الكلام لأجل الاختلاط .

وذكر البغوي في معنى اللغو في آية الفرقان قولين ، أحدهما : يُراد به الشتم والأذى من الكفار ، وثانيهما : يراد به المعاصي كلها ، أي اللهو والباطل(٢) .

فلا خلاف بينه وبين ابن منظور في ذلك .

وجوه القراءات :

١/ آية الغاشية :

(لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً) قرأ ابن كثير وأبوعمرو : (لا يُسمع) بضم الياء ، ورفع (لاغيةٌ) على ما لم يسم فاعله ، وقرأ نافع : (لا تُسمع) بضم التاء ، ورفع (لاغية) على ما لم يُسم فاعله ، وقرأ أهل الكوفة والشام (لا تَسمع) بفتح التاء ، ونصب (لاغية) (٣) .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (٤/٩٩) ، (٣/٣٣٠) .

(٢) انظر : معالم التنزيل : للبغويّ ، (١/٢٠١) ، (٤/٤٧٩) ، (٤/١١٣) ، (٣/٣٧٨) .

(٣) انظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص ٧٦٠ .

٢/ آية فصلت :

قوله تعالى : (والغوا فيه) يُقرأ بفتح الغين ، من الفعل لَغَا يَلْغَا ، وبضمها ، من الفعل : لغا يلغو ، والمعنى سواء[١] .

المعنى العام للآيات :

١/ آية البقرة :

(لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ) اللغو هو الساقط الذي لا يُعتد به من كلام أو غيره ، ولغو اليمين ما لا عقد معه مما سبق به اللسان أو تكلم به جاهلاً لمعناه كقول العرب : لا والله وبلى والله لمجرد التأكيد ؛ وذلك لقوله : (وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡ) أي : لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ، ولكن يؤاخذكم بهما أو بأخذهما بما قصدتم من الإيمان ، وقيل : اللغو أن يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب ، والمعنى : لا يعاقبكم بما أخطأتم في ه من الإيمان ، ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيه ، (وَٱللَّهُ غَفُورٌ) حيثُ لم يؤاخذكم باللغو (حَلِيمٌ) لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصاً للتوبة[٢] .

٢/ آية الغاشية :

(لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً) ، أي : لا تسمع في الجنة كلمة لغو وباطل فضلاً عن الكلام المحرم ؛ بل كلام أهل الجنة كلامٌ حسنٌ نافع مشتمل على ذكر الله ، وذكر نعمه المتواترة عليهم ، وعلى الآداب الحسنة بين المتعاشرين الذي يسر القلوب ، ويشرح الصدور[٣] .

---

(١) انظر : إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات ، للعكبرى ، (٢/٢٢٢) .

وذكر السمعانيّ أن القراءة بالضم قراءة شاذة . (انظر : تفسير القرآن ، للسمعانيّ ، (٥/٤٨) ، وانظر : مختصر في شواذ القرآن ، لابن خالويه ، ص ١٣٤ . وقد نسب ابن خالويه القراءة بالضم إلى عبد الله بن بكير السلميّ . وابن أبى إسحق وعيسى .

(٢) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للبيضاويّ ، (١/٥١٢) .

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعديّ ، ص ٩٢٢ .

٣/ آية فصلت :

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ) ، اللغو هاهنا هو الصغير والتصفيق اللذان كان يفعلهما المشركون عند سماع القرآن ، وذلك المكاء والتصدية ، وقيل : معناه استعملوا عند سماع القرآن باللغو وهو الضجيج والصياح لكيلا تسمعوا . (لعلكم تغلبون) أي : تغلبون محمداً[١] .

٤/ آية الفرقان :

(وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ) أي : لا يشهدون بالزور وهو الكذب ، فهو من الشهادة ، وقيل : المعنى لا يحضرون مجالس الزور واللهو ، فهو على هذا من المشاهدة والحضور ، والأول أظهر . (وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامًا) واللغو هو الكلام القبيح على اختلاف أنواعه ، والمعنى : أعرضوا عنه ، واستحيوا ، ولم يدخلوا مع أهله تنزيهاً لأنفسهم عن ذلك[٢] .

النص رقم (١٨٧) و (١٨٨)

يقول تعالى : [...وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ...][٣] .

ويقول تعالى : [...أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا...][٤] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (لَفتَ وجهَه عن القوم : صرَفَه ، والْتَفَتَ التِفاتاً ، والتَّلَفُّتُ أكثرُ منه ، وتَلَفَّتَ إلى الشيء ، والْتَفَتَ إليه : صرَفَ وجههَ إليه ... وقوله تعالى :

---

(١) انظر : تفسير القرآن ، للسمعانيّ ، (٤٨/٥) .

(٢) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل ، للكلبي ، (٨٢/٣) .

(٣) سورة هود ، الآية (٨١) . وتمام الآية : [قَالُواْ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٍ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٍ] .

(٤) سورة يونس ، الآية (٨٧) . وتمام الآية : [قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ] .

(وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ) أُمر بترك الإلتفات لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم من العذاب ... ولفته عن الشيء يلفته لفتاً : صرفه . الفرَّاء في قوله – عزَّ وجل – : (قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا) اللفت : الصرف ... واللَّفْتُ : لَيُّ الشيء عن جهته[1])[2] .

دراسة النصين :

لم يتعرض الطبري لشرح المعنى اللُّغوي للالتفات الوارد في آية هود ، كما لم يذكر السبب الذي من أجله أُمر لوط – عليه السلام – بترك الالتفات . أمَّا آية يونس فقد بيَّن فيها معنى اللفت ، فذكر أنَّ معنى قوله (لتلفتنا) : لتصرفنا وتلوينا عمَّا وجدنا عليه آباءنا من قبل مجيئك من الدين[3] .

فوافقه على ذلك ابن منظور .

وذكر الرازي في الالتفات الوارد في آية هود معنيين ، أحدهما : نظر الإنسان إلى ما وراءه . قال : والظاهر أنه كان لهم في البلدة أموال وأقمشة وأصدقاء ، فالملائكة أمروهم بأن يخرجوا ويتركوا تلك الأشياء ، ولا يلتفتوا إليها البتة ، وكان المراد منه قطع القلب عن تلك الأشياء .

وثانيهما : الانصراف أيضاً ، كقوله تعالى : (قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا) ، أي : لتصرفنا وعلى هذا التقدير فالمراد النهى عن التخلف[4] .

فوافقه ابن منظور في المعنى الأول للالتفات ، إلا أنَّ الرازي لم يذكر أيضاً السبب الذي من أجله أُمِرَ سيدنا لوط – عليه السلام – ومن معه من المؤمنين بترك الالتفات .

وفي آية يونس نقل الرازي قول الواحديّ في معنى اللفت مختاراً له ، حيثُ قال : اللَّفتُ في أصل اللغة الصرف عن أمر ، وأصله اللَّى ، يُقال : لفت عنقه إذا لواها[5] .

فوافقه ابن منظور على ذلك أيضاً .

---

(١) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (١٨/٢) .
(٢) لسان العرب ، مادة (لفت) ، (٨٤/٢ ، ٨٥) .
(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٨٩/١٢) ، (١٤٦/١١) .
(٤) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٣٠/١٨) .
(٥) انظر : المرجع السابق : (١١٤/١٧) .

وذكر القرطبي في معنى الالتفات الوارد في آية هود ذات القولين اللذين أوردهما الرازي ، وقد اختار ما اختاره الرازي في ذلك ، واختاره من بعدهما ابن منظور ، وهو القول الأول الذي يبين المعنى اللغوي لللَّفت .

ووافقه ابن منظور أيضاً في آية يونس ، فقد ذكر القرطبي أنَّ اللَّفت هنا بمعنى الصَّرْف واللَّى(١) .

ولم يُبين ابن كثير المعنى اللُّغوي للالتفات الوارد في آية هود لكنه ذكر كلاماً قريباً من كلام ابن منظور في بيان سبب أمره تعالى للوط – عليه السلام – ومن معه بترك الالتفات ، حيثُ قال ابن كثير : (ولا يلتفت منكم أحد : أي : إذا سمعت ما نزل بهم فلا تهولنَّكم تلك الأصوات ، ولكن استمروا ذاهبين) (٢) .

وقال في آية يونس : (قالوا أجئتنا لتلفتنا : أي : تُثنينا) (٣) .

ففسَّر اللَّفت بالإثناء ، وفيه معنى الصرف واللَّي الذي ذكره ابن منظور .

وذكر ابن الجوزي القولين اللَّذين أوردهما الرازي والقرطبي في معنى الالتفات الذي ورد في آية هود ، وهما : ١/ التخلف . ٢/ الالتفات المعروف .

ثُمَّ ذكر ابن الجوزي السبب الذي ذكره ابن منظور في نهى لوط – عليه السلام – عن الإلتفات ، فقال : وإنَّما أُمروا بترك الالتفات لئلا يروا عظيم ما ينزل بهم من العذاب(٤) .

فوافقه ابن منظور في المعنى الثاني للإلتفات ، وفى ذكر السبب .

كما وافقه في معنى اللفت الوارد في آية يونس ، فقد فسَّره ابن الجوزي في هذه الآية بالصَّرْف كما فعل ابن منظور(٥) .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٨٠/٩) ، (٣٦٧/٨) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٥٥/٢) .

(٣) المرجع السابق ، (٤٢٧/٢) .

(٤) انظر : زاد المسير ، لابن الجوزي ، (١٤٢/٤) .

(٥) انظر : المرجع السابق ، (٥٠/٤) .

وجوه القراءات :

آية هود :

قرأ ابن كثير وأبوعمرو : (ولا يلتفت منكم أحدٌ إلا امرأتُك) برفع (امرأتُك) على معنى : ولا يلتفت منكم أحدٌ إلا أمرأتُك فإنها ستلتفت .

وقرأ الباقون : (امرأتَك) بالنصب ، استثناءً لها من الإسراء ، فدل ذلك على أنَّ الاستثناء كان من أهله الذين أُمر بالإسراء بهم لا من قوله (أحد) [(١)] .

المعنى العام للآيتين :

١/ آية هود :

ذكر الله – تعالى – في هذه الآية الكريمة أنَّه أمر نبيه لوطاً –عليه السلام– أن يسرى بأهله بقطع من الليل ، ولم يبين هاهنا هل هو من آخر الليل أو وسطه أو أوَّله ، ولكنه بيَّن أنه من آخر الليل وقت السحر في آية القمر : ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾[(٢)]،كما بيّن أنَّه أمره أن يكون من ورائهم وهم أمامه في آية الحجر، حيثُ قال تعالى : ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ﴾[(٣)] . ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾ المعنى على القراءة بالرفع : لا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فإنَّها تلتفت وتهلك ، وإنَّ لوطاً خرج بها ، ونهى من معه ممَّن أُسرى بهم أن يلتفت سوى زوجته فإنَّها لما سمعت هدة العذاب التفتت ، وقالت : وا قوماه : فأدركها حجر فقتلها ، أمَّا على قراءة الجمهور بالنصب فيكون المعنى : فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتَك ولا يلتفت منكم أحد ، فإنه مصيبها ما أصابهم من العذاب ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُ﴾ ، أي : إنَّ موعد هلاكهم هو الصبح ، فقال لوط – عليه السلام – : أُريد أسرع من ذلك ، فقالوا : ﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾؟[(٤)] .

---

(١) انظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص (٣٤٧ ، ٣٤٨) .

(٢) سورة القمر ، الآية (٣٤) .

(٣) سورة الحجر ، الآية (٦٥) .

(٤) انظر : أضواء البيان ، للشنقيطي، (١٩٠/٢ ، ١٩١) ، وانظر : الكشف والبيان ، للثعلبي ، (١٨٣/٥) .

٢/ آية يونس :

يخر الله تعالى في هذه الآية أنَّ قوم موسى – عليه السلام – قالوا له : أجئتنا لتصدنا عمَّا وجدنا عليه آباءنا من الشرك وعبادة غير الله لنعبد الله وحده لا شريك له ، وتكون لكما أي : موسى وهارون – عليهما السلام – الكبرياء في الأرض : الرئاسة والعلو في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين تكبراً وعناداً لا لبطلان ما جاء به موسى وهارون عليهما السلام[1] .

النص رقم (١٨٩)

يقول تعالى : [تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ....][2] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (لَفَحَتْه النَّارُ ، تَلْفَحُه لَفْحاً ولَفَحَاناً ، أصابت وجهه إلا أنَّ النَّفْحَ أعظم تأثيراً منه . وقال الأزهري : لَفَحَتَهْ النارُ ، إذا أصابت أعلى جسده فأحرقته ... وفي التنزيل : (تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ) . قال الزجَّاج في ذلك : تَلْفَحُ وتَنْفَحُ بمعنى واحد ، إلا أنَّ النَّفْحَ أعظم تأثيراً منه ، قال أبومنصور : وممَّا يؤيد قولَه قولُه – تعالى– : (وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٌ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ)[3] ... ابن الأعرابي: اللَّفْحُ لكل حار ، والنَّفْحُ لكل بارد[4])[5] .

دراسة النص :

فسَّر الطبري اللفح في هذه الآية بالسَّفْع ، وذكر فيما ذكر من روايات أهل التأويل أنَّ معناه النَّفْح[6] .

---

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعديّ ، ص ٣٧١ .

(٢) سورة المؤنون ، الآية (١٠٤) . وتمام الآية : [تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَـٰلِحُونَ] .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية (٤٦) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ، للازهري ، مادة (لفح) ، (٥/٧٣) .

(٥) لسان العرب ، مادة (لفح) ، (٥٧٨/٢ ، ٥٧٩) .

(٦) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٥٥/١٨) .

وعلى ذلك يكون الخلاف بين ابن منظور والطبري من حيثُ اللفظ فقط ، ولا خلاف بينهما في المعنى على ما يبدو .

وقال الرازي في معنى الآية : (قال ابن عباس – رضي الله عنهما – : أي : تضرب وتأكل لحومهم وجلودهم . قال الزجَّاج : اللَّفْح والنَّفْح واحد ، إلا أنَّ اللفح أشدَّ تأثيراً) [١] .

وقال القرطبي : (تلفح وجوههم النار : ويُقال : تَنْفح بمعناه ... إلا أنَّ تَلْفَحُ أبلغ بأساً) [٢] .

وهذا الذي ذكره القرطبي هنا ، ونقله الرازي عن الزجَّاج فيه مخالفه لما نقله عنه ابن منظور ، والصحيح ما نقله الرازي حيثُ ورد في كتاب الزجَّاج أنَّ اللَّفْحَ أعظمُ تأثيراً من النَّفْح[٣] وليس العكس كما ذكر ابن منظور .

وفسر ابن كثير هذه الآية بقوله –تعالى– : (وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ)[٤] وقوله تعالى : (لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ)[٥] ، كما ذكر بعض الأحاديث[٦] .

فلا خلاف من حيث المعنى بينه وبين ابن منظور .

وقال الألوسى في معنى اللفح : (واللَّفح مس لهب النار الشيء ، وهو – كما قال الزجَّاج – أشد من النفح تأثيراً ، والمراد: تحرق وجوههم النار) [٧] ، فخالف ابن منظور فيما نقله عن الزجَّاج موافقاً فيه الحق والصواب كما مَرَّ سابقاً .

---

(١) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٠٧/٢٣) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٥٢/١٢) .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٢٠/٤) .

(٤) سورة إبراهيم : الآية (٥٠) .

(٥) سورة الأنبياء ، الآية (٣٩) .

(٦) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٥٨/٣) .

(٧) روح المعاني ، للألوسي ، (٦٦/١٨) .

المعنى العام للآية :

في هذه الآية إخبار عن حال أهل النار ممن . خفَّت موازينهم ، فهم خالدون في نار جهنم تحرق النار وجوههم ، يُقال : لَفَحَتْهُ النار إذا أحرقته ، ولَفَحْتُهُ بالسيف إذا ضربته ، وخُصَّت الوجوه ؛ لأنَّها أشرف الأعضاء ، (وهم فيها كالحون) ، أي : تشمَّرت شفاههم ، وبدت أسنانهم . قال أهل اللغة : الكلوح : تكشرٌ في عبوس[1] .

النص رقم (١٩٠)

يقول تعالى : [مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ][2].

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (اللَّفظُ : أن ترمي بشيء كان في فِيكَ ، والفعل : لَفَظَ الشيء ... ولَفَظَ بالشيء يَلْفِظُ لَفْظاً : تَكَلَّم . وفي التنزيل العزيز : (مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) ، ولَفَظْتُ بالكلام وتَلَفَّظْتُ به ، أي : تكلمتُ به ، واللَّفظ واحد الألفاظ ، وهو في الأصل مصدر) [3].

دراسة النص :

فسَّر الطبري التلفظ في هذه الآية بالتكلم[4] .

فوافقه ابن منظور في ذلك .

أمَّا الرازي فلم يُصرح القول بتفسير هذه المفردة ، ولكن يظهر من كلامه أنَّه يُفسر التلفظ بالقول أو الكلام ، كما ذكر ابن منظور[5] .

---

(١) انظر : فتح القدير ، للشوكانيّ ، (٤٩٩/٣) .

(٢) سورة ق ، الآية (١٨) .

(٣) لسان العرب ، مادة ، (لفظ) ، (٤٦١/٧) .

(٤) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٥٩/٢٦) .

(٥) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٤٠/٢٨ ، ١٤١) .

وكذلك القرطبي فسر التلفظ بالتكلم ، حيثُ قال في معنى الآية : (أي : ما يتكلم بشيء إلا كُتب عليه ، مأخوذ من لفظ الطعام ، وهو إخراجه من الفم) [١] .

فوافقه في ذلك ابن منظور أيضاً .

وكذلك فسَّر ابن كثير التلفظ هنا بالتكلم[٢] ، موافقاً بذلك ابن منظور .

ووافق ابن منظور أيضاً الإمام السمرقندي الذي فسَّر التلفظ بالتكلم[٣] .

وهكذا اتفق أهل التفسير وأهل اللغة في معنى هذه المفردة ، فلم أجد من المفسرين ممَّن وقفت عليهم أحداً خالفه ابن منظور ، ولا غرو فإنَّ معنى اللفظ أو التلفظ ليس ممَّا يختلف عليه اثنان .

المعنى العام للآية :

يُخبر تعالى في هذه الآية أنَّ ما يلفظه الإنسان من قول ، أي : ما يتكلم به من كلام ، فيلفظه ، أي : يرميه من فمه إلا لديه رقيب ، أي : حافظ ، وهو الملك الموكل به ، إمَّا صاحب اليمين ، وإمَّا صاحب الشمال ، عتيد ، أي : ثابت لازم ، وقيل : الحاضر معه أينما كان[٤] .

النص رقم (١٩١) و (١٩٢) و (١٩٣)

يقول تعالى : [...جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفًا][٥] .

ويقول تعالى : [وَجَنَّـٰتٍ أَلۡفَافًا][٦] .

ويقول تعالى : [وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ][٧] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١١/١٧) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٢٥/٤) .

(٣) انظر : بحر العلوم ، للسمرقندي ، (٣١٨/٣) .

(٤) انظر : زاد المسير ، لابن الجوزي ، (١٠/٨ ، ١١) .

(٥) سورة الإسراء ، (الآية ١٠٤) . وتمام الآية : [وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفًا] .

(٦) سورة النبأ ، الآية : (١٦) .

(٧) سورة القيامة ، الآية (٢٩) .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (واللَّفِيفُ : ما اجتمع من الناس من قبائل شتي ... قال الله – عزَّ وجل – : (جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفًا) ، أي: أتينا بكم من كل قبيلة ، وفي الصحاح: (أي : مجتمعين مختلطين) [١] . يُقال للقوم إذا اختلطوا : لَفٌّ ولفِيفٌ ... والألفاف : الأشجار يلتف بعضها بعض ، وجناتٌ ألفافٌ ، وفي التنزيل العزيز : (وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا) ... قال الزجَّاج : (وجنَّاتٍ ألفاف ، أي : وبساتين ملتفَّة) [٢] . والتفافُ النَّبْت كثرته ... وقوله تعالى : (وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ) إنَّه لفُّ ساقي الميت في كفنه ، وقيل : إنَّه اتصال شدة الدنيا بشدة الآخرة . والميت يُلف في أكفانه لفاً إذا أُدرج فيها) [٣] .

دراسة النصوص :

قال الطبري في تفسير هذا الجزء من آية الإسراء : (يقول : حشرناكم من قبوركم إلى موقف القيامة لفيفاً ، أي : مختلطين قد التفَّ بعضكم على بعض ، لا تتعارفون ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته وَحَيِّه) [٤] .

وقال في تفسير آية النبأ : (يقول : ولنخرج بذلك الغيث جنات ، وهي البساتين ، وقال : (وجنَّاتٍ) ، والمعنى : وثمر جنَّات ، فترك ذكر الثمر استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره . وقوله . (ألفافاً) يعني : ملتفَّة مجتمعة) [٥] .

فوافقه ابن منظور في معنى المفردة في الآيتين .

أمَّا التفاف الساق بالساق الذي ورد في آية القيامة فقد فصَّل فيه الطبري ، وذكر فيه عدة أقوال ، وهي : ١/ التفاف شدة أمر الدنيا بشدة أمر الآخرة .

---

(١) الصحاح ، للجوهري ، مادة (لفف) ، (١٤٢٧/٤) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٢١٢/٥) .

(٣) لسان العرب ، مادة (لفف) ، (٣١٨/٩ – ٣٢٠) .

(٤) جامع البيان ، للطبري ، (١٧٦/١٥ ، ١٧٧) .

(٥) المرجع السابق ، (٧/٣٠) .

٢/ التفاف إحدي ساقي الميت بالأُخرى عند موته . ٣/ التفاف ساقي الميت إذا لُفتا في الكفن . ٤/ يبس ساقي الميت عند الموت . ٥/ التفاف أمر بأمر . ٦/ التفاف بلاء ببلاء .

ثُمَّ رجح الطبري القول الأول ، وهو التفاف ساق الدنيا بساق الآخرة مبيّناً أنَّ ذلك شدة كرب الموت بشدة هول المطلع ، وذكر أنَّ الذي يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾(١) ، وأنَّ العرب تقول لكل أمر اشتدَّ قد شمر عن ساقه ، وكشف عن ساقه(٢) .

فالذي يلاحظ من كلام الطبري في ذلك أنَّه أكثر تفصيلاً من ابن منظور ، ولاغرو فهو صاحب التخصص ، وأيضاً خالف ابن منظور الطبري في اختياره ، حيثُ اختار الطبري القول الأول كما أسلفنا ، واختار ابن منظور القول الثالث الذي ذكره الطبري .

وذكر الرازي في معنى اللفيف في آية الإسراء أنَّه الجمع العظيم من أخلاط شتي من الشريف والدنئ والمطيع والعاصي والقوي والضعيف ، وكل شيء خلطته بشيء فقد لففته ، وذكر أنَّ المعنى : جئنا بكم من قبوركم إلى المحشر أخلاطاً ، يعني جميع الخلق المسلم والكافر والبر والفاجر(٣) .

فوافقه ابن منظور في المعنى اللغويّ لهذه المفردة ، وخالفه في التفسير وبيان المعنى .

وفي آية النبأ بيَّن الرازي أنَّ الجنَّات الألفاف هي الملتفة ، والمعنى أنَّ كل جنَّة تكون مافيها من الأشجار مجتمعة متقاربة(٤) .

فلا خلاف على هذا بين ابن منظور والرازي .

---

(١) سورة القيامة ، الآية (٣٠) .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٩٥/٢٩ – ١٩٨) .

(٣) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٥٦/٢١) .

(٤) انظر : المرجع السابق ، (٩/٣١) .

وفي التفاف الساق بالساق ذكر الرازي ذات الأقوال التي أوردها الطبري في هذا الصدد ، مع اختلاف يسير في الترتيب والتعبير[١] ، إلا أنَّ الرازي لم يُـرجح بين الأقوال كما فعل الطبري وابن منظور الذي ذكر بعض الأقوال التـي نقلهـا الرازي .

وقال القرطبي في معنى قولـه : (جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفًا) : (أي : مـن قبـوركم مختلطين من كل موضع ، قد اختلط المؤمن بالكافر ، لا يتعـارفون ، ولا ينحـاز أحد منكم إلى قبيلته وحيه) [٢] .

كما فسر الألفاف في آية النبأ بالبساتين الملتفـة بعضـها بـبعض لتشـعب أغصانها[٣] .

فوافقه ابن منظور على المعنى في هذين الآيتين .

أمَّا التفاف الساق بالساق فقد خالفه ابن منظور فـي معناهـا ، حيـثُ أورد القرطبي نحواً من الأقوال التي نقلها كل من الطبري والرازي ، وقد اختار منها ما ذهب إليه الطبري ، وهو اتصال شدة أمر الدنيا بشدة أمر الآخرة[٤] .

وقال ابن كثير في تفسير قوله : (جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفًا) : (أي : جمـيعكم أنـتم وعدوكم . قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك : لفيفاً ، أي : جميعاً) [٥] .

أمَّا في آية النبأ فقد وافقه ، حيثُ فسَّر الجنَّات الألفاف بالبسـاتين والحـدائق المجتمعة[٦] .

وفي آية القيامة ذكر ابن كثير نحواً من الأقوال التي أوردها كل من الطبري والرازي والقرطبي في معنى التفاف الساق بالساق دون ترجيح[٧] .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (٣٠/٢٠٥) .
(٢) الجامع لأحكام البيان ، للقرطبي ، (١٠/٣٣٨) .
(٣) انظر : المرجع السابق ، (١٩/١٧٤) .
(٤) انظر : المرجع السابق ، (١٩/١١٢) .
(٥) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣/٦٨) .
(٦) انظر : المرجع السابق ، (٤/٤٦٣) .
(٧) انظر : المرجع السابق ، (٤/٤٥٢) .

فعلى هذا يكون ابن كثير أكثر تفصيلاً من ابن منظور في بيان المعنى لذكره الأقوال التي أوردها ابن منظور مع الزيادة عليها ، غير أنَّه لم يكن له مذهباً واضحاً في ذلك .

وقال صاحب "الكشاف" في معنى قوله : (جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفًا) : (جمعاً مختلطين ... ثُمَّ يحكم بينكم ، ويميز بين سعدائكم وأشقيائكم ، واللفيف : الجماعات من قبائل شتى) .

وذكر في آية النبأ أنَّ معنى قوله (ألفافاً) : ملتفة[1] .

فوافقه ابن منظور في معنى الالتفاف في الآيتين .

إلا أنَّه خالفه في معنى التفاف الساق بالساق في آية القيامة ، حيثُ فسَّره الزمخشري بأنَّه التفاف ساق المحتضر بساقه الأُخرى ، والتوائها عليها عند علز* الموت ، ثم ذكر الأقوال الأُخرى ، وفسَّره ابن منظور بأنَّه لف ساقي الميت في كفنه كما علمنا[2] .

المعنى العام للآيات :

١/ آية الإسراء :

(وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ) ، أي : من بعد إغراق فرعون وقومه (لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ) التي أراد أن يستفزكم منها (فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ) ، أي : الكرة الآخرة أو الحياة أو الساعة والدار الآخرة (جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفًا) مختلطين إياكم وإياهم ، ثُمَّ نحكم بينكم ، ونميز سعداءكم من أشقيائكم) [3] .

---

(١) الكشاف ، للزمخشري ، (٢/٦٥٣) ، وانظر : (٤/٦٨٧) .

* قال ابن منظور : (والعَلَزُ : القَلَقُ والكَرْبُ عند الموت) . (لسان العرب ، مادة (علز) ، (٥/٣٨٠)) .

(٢) انظر : الكشاف ، للزمخشري ، (٤/٦٦٤) .

(٣) انظر : إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (٥/١٩٩) .

٢/ **آية النبأ :**

ذكر الله –تعالى– في هذه الآية أنَّ من قدرته العظيمة على خلق الأشياء العجيبة خلقه للجنات ، وذلك بواسطة المطر الذي أنزله من السحاب بالرياح ، والجنات هي بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة ، وألوان مختلفة ، وطعوم وروائح متفاوتة، وإن كان ذلك في بقعة واحدة من الأرض مجتمعاً(١) .

٣/ **آية القيامة :**

في هذه الآية يعظ الله –تعالى– عباده في حال الاحتضار فيقول : (وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ) ، أي : اجتمعت الشدائد والتفت ، وعظم الأمر وصعب الكرب ، وأُريد أن تخرج الروح من البدن الذي ألفته ، فتساق إلى الله تعالى ليجازيها بأعمالها ، فهذا الزجر الذي ذكره الله –تعالى– يسوق القلوب إلى ما فيه نجاتها ، ويزجرها عمَّا فيه هلاكها ، والمعاند هو الذي لا تنفع فيه الآيات ، ولا يزال مستمرّاً على غيه وكفره وعناده(٢) .

النص رقم (١٩٤)

يقول تعالى : [وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ ...](٣) .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (اللَّقَبُ : النَّبْزُ ، اسمٌ غير مسمى به ، والجمع ألقاب . وقد لَقَّبَه بكذا فَتَلقَّب به . وفي التنزيل العزيز : (وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ) ، يقول : لا تدعوا الرجلَ إلا بأحبّ أسمائه إليه . وقال الزجَّاج : يقول : لا يقول المسلم لمن كان يهودياً أو نصرانياً فأسلم : يا يهوديّ يا نصراني ، وقد آمن(٤))(٥) .

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤/٤٦٣) .

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ٩٠٠ .

(٣) سورة الحجرات ، الآية (١١) . وتمام الآية : [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ] .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٥/٣١) .

(٥) لسان العرب ، مادة ، (لقب) ، (١/٧٤٣) .

دراسة النص :

ذكر الطبري أنَّ معنى قوله : ولا تنابزوا بالألقاب : ولا تداعوا بها ، والنبز واللقب بمعنى واحد ، يجمع النبز أنباراً ، واللقب ألقاباً .

ثُمَّ ذكر اختلاف أهل التأويل في الألقاب التي نهى الله – تعالى – عن التنابز بها في هذه الآية على النحو التالي : القول الأول : المراد الألقاب التي يكره النبز بها الملقَّب . وقالوا : إنَّما نزلت هذه الآية في قوم كانت لهم أسماء في الجاهلية ، فلمَّا اسلموا نهوا أن يدعو بعضهم بعضاً بما يكره من أسمائه التي كان يدعي بها في الجاهلية.

القول الثاني : المراد قول الرجل المسلم للرجل المسلم يا فاسق يا زاني .

القول الثالث : المراد تسمية الرجل بالكفر بعد الإسلام ، وبالفسوق والأعمال القبيحة بعد التوبة .

ثُمَّ رجح الطبري بين هذه الأقوال مُبيّناً أنَّ التنابز بالألقاب هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة ، وعَمَّ الله بنهيه ذلك ، ولم يُخصص به بعض الألقاب دون بعض . قال : وإذا كان ذلك كذلك صحت الأقوال التي قالها أهل التأويل في ذلك ، ولم يكن بعض ذلك أولى بالصواب من بعض ، لأن كل ذلك ممَّا نهي الله المسلمين أن ينبز بعضهم بعضاً(١) .

من السرد السابق يتضح لنا موافقة ابن منظور للطبري في المعنى اللغوي للمفردة ، والخلاف بينهما فقط في المراد بالألقاب المنهي عن التنابز بها في الآية، ولعله خلاف لفظي ، حيثُ عمَّم ابن منظور ، وكان الطبري أكثر تفصيلاً وبياناً.

أمَّا الرازي فلم يذكر في معنى التنابز بالألقاب كلاماً واضحاً ، لكن الذي يُفهم من كلامه فيه أنَّه يُعرِّفه بأن يُسمي أحداً غيره بما يكرهه(٢) ، وهو معنى كلام ابن منظور فيه .

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٣٢/٢٦ ، ١٣٣) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١١٣/٢٨) .

وعرّف القرطبي النَبَز في هذه الآية باللقَبَ ، ثُمَّ ذكر الأقوال التي أوردها الطبري في المراد بالألقاب ، وقد أغني ذلك عن تكرارها هنا .

وذكر القرطبي عدد من الروايات في بيان ذلك[1] ، فكان أكثر تفصيلاً من ابن منظور .

وقال ابن كثير في معنى التنابز بالألقاب : (أي : لا تداعوا بالألقاب ، وهي التي يسوء الشخص سماعها) [2] .

فوافق ابن منظور في معنى كلامه .

وقال النسفي : (التنابز بالألقاب التداعي بها ، والنبز لقب السوء ، والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيراً به ، وذمَّاً له ، فأمَّا ما يحبه فلا بأس به) [3] .

وهذا معنى كلام ابن منظور .

سبب النزول :

أخرج أصحاب السنن الأربعة* عن أبي جبير بن الضحاك[4] ، قال : كان الرجل منَّا يكون له الاسمان والثلاثة فيدعي ببعضها ، فعسي أن يكرهه ، فنزلت : (وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ)[5] .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٦/٣٢٨ – ٣٣٠) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤/٢١٣) .

(٣) مدارك التنزيل ، للنسفي ، (٤/١٦٥) .

* وهم : ١/ أبوداود ، ٢/ الترمذي ٣/ النسائي ٤/ ابن ماجة .

(٤) أبوجبير بن الضحاك : ورد بالتاء : أبوجبيرة بن الضحاك بن خليفة الأنصاري الأشهليّ ، لا يُعرف اسمه، أخو ثابت بن الضحاك ، قيل : له صحبة ، وقيل : لا صحبة له ، روى عن النبي – ﷺ – عدة أحاديث . أخرج حديثه البخاري في الأدب المفرد ، وأصحاب السنن ، وصحَّحه الحاكم ، وحسنه الترمذي ، ولفظه : فينا نزلت هذه الآية : (ولا تنابزوا بالألقاب) .

(انظر : الإصابة ، لابن حجر ، (٧/٦٣) ، وانظر : المقتنى في سرد الكُنى ، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز شمس الدين الذهبي ، تحقيق : محمد صالح عبد العزيز المراد ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ، (١/١٤٢)) .

(٥) أخرجه الترمذي ، في سننه ، ٤٨- كتاب تفسير القرآن ، ٤٩- باب ومن سورة الحجرات ، حديث رقم (٣٢٦٨) ، (٥/٣٨٨) . وانظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ١٩٨) .

المعنى العام للآية :

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ) هـذا نهـي عـن السـخرية والاستهزاء بالنـاس (عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ) تعليـل للنهـي ، أي : لعـل المسخور منه خير عند الله –تعالى– من السـاخر ، (وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ) عطـف النساء على القوم ، لأن لفظ (القوم) لا يقع إلا على الذكور (وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ)، أي : لا يطعن بعضكم على بعض ، واللمز : العيب سواء كان بقول أو إشـارة ، أو غير ذلك .

(وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ) التنابز بالألقاب هو التداعي بما يُكره ، وقـد أجـاز المحدثون أن يُقال : الأعمش والأعرج ونحوه إذا دعت إليه الضرورة ، ولم يقصد النقص والاستخفاف . (بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِ) ، أي : أنَّ مـن فعـل شيئاً من هذه الأشياء التي نهي عنها فهو فاسق وإن كان مؤمناً ، أو المعنى : بئس ما يقول الرجل للآخر : يا فاسق بعد إيمانه ، كقولهم لمن أسلم من اليهـود : يـا يهوديّ(1) .

النص رقم (١٩٥)

يقول تعالى : [وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ...](2) .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (واللَّواقِحُ من الرياح : التي تحملُ النَّدى ، ثُمَّ تَمُجُّـه فـي السحاب ، فإذا اجتمع في السحاب صار مطراً ، وقيل : إنَّما هي مَلاَقِـحُ ، فأمَّـا

---

(١) انظر : التسهيل ، للكلبيّ ، (٤/٦٠) ، وانظر : الوجيز ، للواحديّ ، (٢/١٠١٨) .

(٢) سورة الحجر ، الآية (٢٢) . وتمام الآية : [وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ] .

قولهم : لواقح فعلى حذف الزائد . قال الله –سبحانه– : (وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ) ... قال الأزهري : (معنى قوله : (وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ) ، أي : حوامل ، جعل الريح لاقحاً ؛ لأنها تحمل الماء والسحاب ، وتقلبه وتصرِّفه ، ثم تستدره ، فالرياح لواقح ، أي : حوامل على هذا المعنى)[1])[2].

دراسة النص :

ذكر الطبري الخلاف في معنى اللواقح بين النحويين وأهل التأويل ، ثُمَّ ذكر مذهبه في ذلك ، وهو أنه يرى أنَّ الرياح لواقح كما وصفها به جل ثناؤه ، وإن كانت قد تلقح السحاب والأشجار ، فهي لا قحة ملقحة ، ولقحها حملها الماء ، وإلقاحها السحاب والشجر عملها فيه[3] .

فلا خلاف بينه وبين ابن منظور في ذلك .

ويرى الرازي أنَّ الرياح لواقح للشجر والسحاب ، وذكر في هذا القول ابن مسعود ، وهو أنَّ الله – سبحانه – يبعث الرياح لتلقح السحاب فتحمل الماء وتمجه في السحاب ، ثُمَّ إنَّه يعصر السحاب ويدره كما تدر اللقحة[4] .

وهذا الذي ذكره الرازي هنا يتضمن كلام ابن منظور والأزهري .

وقال القرطبي : (ومعنى (لواقح) : حوامل ، لأنَّها تحمل الماء والتراب والسحاب والخير والنفع . قال الأزهري: وجعل الريح لاقحاً لأنَّها تحمل السحاب، أي : تقله وتصرفه ، ثُمَّ تمريه فتستدره ، أي : تنزله . قال الله –تعالى– : (حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالاً)[5] ، أي : حملت ... وقيل : لواقح بمعنى ملقحة ، وهو

---

(١) تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (لقح) ، (٥٦/٤) ، والصحيح عند الأزهري : (قلتُ : وقيل معنى قوله ...) إلخ النص .

(٢) لسان العرب ، مادة (لقح) ، (٥٨٢/٢ ، ٥٨٣) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٠/١٤) .

(٤) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ،(١٣٩/١٩) .

(٥) سورة الأعراف ، الآية (٥٧) .

الأصل ، ولكنها لا تُلقح إلا وهي في نفسها لا قح ، كأن الرياح لقحت بخير ، وقيل : ذوات لقح ، وكل ذلك صحيح) (١) .

فوافقه على ذلك ابن منظور أيضاً .

ويرى ابن كثير أنَّ الرياح تُلقح السحاب ، فتدر ماء ، وتُلقح الشجر ، فتفتح عن أوراقها ، وأكمامها .

ثُمَّ ذكر أقوال المفسرين في ذلك(٢) .

فلا خلاف بينه وبين ابن منظور في هذا المعنى .

وذكر الشنقيطي في تفسير هذه الآية أنَّ الرياح وُصفت بكونها لواقح ، لأنَّها حوامل تحمل المطر مستدلاً بقوله تعالى : (حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالاً)(٣) ، أي : حملت سحاباً ثقالاً(٤) .

وجوه القراءات :

قرأ حمزة : (وأرسلنا الريح لواقح) بغير ألف ، وحُجته أنَّ الرِّيح في معنى الجمع ، كما تقول : جاءت الريح من كل مكان ، تريد : الرياح .

وقرأ الباقون : (الرّياح) على الجمع ، وحجتهم في ذلك قوله : (لواقح) ، حيثُ لم يقل : لاقح(٥) .

المعنى العام للآية :

(وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ) اللواقح جمع لاقح بمعنى حامل ، يُقال : ناقة لاقح ، أي : حامل ، ووصف الرياح بذلك على التشبيه البليغ ، حيثُ شُبهت الريح التي بالسحاب الماطر بالناقة الحامل ؛ لأنَّها حاملة لذلك السحاب ، أو للماء الذي فيه ، وقال الفرَّاء : إنَّها جمع لاقح على النسب ، أي : ذات لقاح ، وقيل : لواقح ، أي :

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٥/١٠) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٥٥٠/٢) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية (٥٧) .

(٤) انظر : أضواء البيان ، للشنقيطي ، (٢٦٦/٢ ، ٢٦٧) .

(٥) انظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص ٣٨٢ .

ملاقح جمع ملقحة ، والمراد ملقحات للسحاب أو الشجر ، (فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ) بعد ما أنشأنا بتلك الرياح سحاباً ماطراً (مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ) جعلنا لكم سقيا تسقون به مزارعكم ومواشيكم . (وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ) نفى سبحانه عنهم ما أثبته لنفسه بقوله تعالى : (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ)(١) ، كأنَّه قال : نحن القادرون على إيجاده وخزنه في السحاب ، وإنزاله وما أنتم على ذلك بقادرين ، وقيل : المراد نفي حفظه ، أي : وما أنتم له بحافظين في مجاريه عن أن يغور ، فلا تنتفعون به ، وقيل : وما أنتم له بمانعين لإنزاله من السماء(٢) .

النص رقم (١٩٦)

يقول تعالى : [... فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ](٣) .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (اللَّقْفُ : تناول الشيء يُرمَى به إليك ... ابن سيده : (اللَقْفُ : سرعة الأخذ لما يُرمي إليك باليد أو باللسان)(٤) . لَقفَهُ (بالكسر) يَلْقَفه لَقْفاً، والتقفه وتَلَقَّفه : تناوله بسرعة ... والتلقُّف : الابتلاع . وفي التنزيل العزيز : (فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ) ... قال الفرَّاء : (لَقِفْتُ الشيء أَلقَفُه لَقْفاً ولقفاناً ، وهي في التفسير تَبْتَلِعُ) (٥))(٦) .

---

(١) سورة الحجر ، الآية (٢١) .

(٢) انظر : روح المعاني ، للألوسي ، (١٤/٣٠ – ٣٢) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية (١١٧) . وتمام الآية : [وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ] .

(٤) المحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيده ، مادة (لقف) ، (٦/٤١٨) .

(٥) معاني القرآن ، للفرَّاء ، (١/٣٩٠) .

(٦) لسان العرب ، مادة (لقف) ، (٩/٣٢٠ ، ٣٢١) .

دراسة النص :

فسَّر الطبري اللقف في هذه الآية بما فسره به من بعده ابن منظور . قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك ، فألقاها ، فإذا هي تلقف وتبتلع ما يسحرون* كذباً وباطلاً ، يُقال منه : لقفت الشيء ، فأنا ألقفه لقفاً ولقفاناً) [1] .

وكذلك الرازي ذكر الخلاف في قراءة قوله : (تلقف) ، ثُمَّ فسَّر التلقُّف في الآية بالابتلاع[2] .

فاتفق معه ابن منظور على هذا المعنى .

كما اتفق مع القرطبي الذي ذكر أنَّ الفعل من لقِفْتُ الشيء وتلقفته ، إذا أخذته أو بلعته ، تَلْقَفُ وتَلْقَمُ وتَلْهَمُ بمعنى واحد[3] .

وفسَّر ابن كثير التلقف بالأكل[4] ، وفسره النحَّاس بالالتهام[5] .

وكل ذلك من معاني الابتلاع الذي ذكره ابن منظور .

وجوه القراءات :

اختلفوا في تشديد القاف وتخفيفها من قوله : (تَلَقَّفُ مَا يَأْفِكُونَ) ، فقرأ عاصم في رواية حفص (تلْقَف) ساكنة اللام ، خفيفة القاف ، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم (تلَقَّف) خفيفة التاء ، مشدودة القاف ، وروى البزي عن ابن كثير (تّلقف) بتشديد التاء[6] .

---

* يُريد سحرة فرعون الذين جاء بهم ليغلبوا موسى – عليه السلام – .
 (انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٨/٩)) .

(١) المرجع السابق ، (٢١/٩) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٦٦/١٤ ، ١٦٧) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٥٩/٧ ، ٢٦٠) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٣٨/٢) .

(٥) انظر : معاني القرآن ، للنحَّاس ، (٦٣/٣) .

(٦) انظر : السبعة في القراءات، لابن مجاهد البغدادي، ص ٤٧١، وانظر: حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص ٢٩٢ .

المعنى العام للآية :

لمَّا سحر القوم أعين الناس ، وصارت حبالهم وعصيهم كأنَّها حيات تسعي ، أمر الله –سبحانه وتعالى– موسى –عليه السلام– أن يُلقي عصاه فألقاها ، فإذا هي حية تسعي ، وتلقف ، أي : تلتهم وتبتلع جميع ما يأفكون ، أي : يكذبون به ويموهون[1] .

النص رقم (١٩٧) و (١٩٨) و (١٩٩) و (٢٠٠)

يقول تعالى : [...لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ][2] .

ويقول تعالى : [وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ...][3] .

ويقول تعالى:[وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ][4]

ويقول تعالى : [إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ...][5] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (وقوله تعالى : (لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ) ، إنَّما سُميّ يوم التلاقى ؛ لتلاقى أهل الأرض وأهل السماء فيه . والتَقَوْا وتَلاَقَوْا بمعنى ... ولقَّاه الشيء وألقاه إليه ، وبه فسَّر الزجَّاج –قوله تعالى– : (وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ) ، أي : يُلقى إليك وحياً من عند الله[6] ... قال الأزهري : (والتَّلَقِّي هو الاستقبال ،

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعديّ ، ص ٣٠٠ .

(٢) سورة غافر ، الآية (١٥) . وتمام الآية : [رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ] .

(٣) سورة النمل ، الآية (٦) . وتمام الآية : [وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ] .

(٤) سورة فصلت ، الآية (٣٥) .

(٥) سورة النور ، الآية (١٥) . وتمام الآية : [إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ] .

(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٨٣/٤) .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ .

قال الفرَّاء : يُريد : ما يُلَقَّى دفع السيئة بالحسنة إلا من هو صابر ، أو ذو حظ عظيم) [١] ... وقيل في قوله : ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي : ما يُعَلَّمها ويُوَفَّق لها إلا الصابر .. وتَلَقَّاه، أي: استقبله، وفلانٌ يَتَلَقَّى فلاناً ، أي : يستقبله . والرجل يُلَقَّى الكلام، أي:يُلَقَّنه. وقوله تعالى:﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ ، أي : يأخذ بعض عن بعض) [٢] .

دراسة النصوص :

فسَّر الطبري يوم التلاقي بيوم القيامة الذي يلتقى فيه أهل السماء وأهل الأرض .

وقال في قوله : ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ في آية النمل : يقول تعالى ذكره: وإنَّك يا محمد لتحفظ القرآن وتُعلَّمه من لدن حكيم عليم .

وذكر أنَّ معنى قوله : (وما يلقاها) في آية فصلت : ما يُعطى دفع السيئة بالحسنة إلا الذين صبروا على المكاره ، والأمور الشاقة ، أو ذو حظ عظيم .

وذكر أنَّ معنى (تلقونه) : تتلقون الإفك الذي جاءت به العصبة من أهل الإفك فتقبلونه ، ويرويه بعضكم عن بعض ، يُقال : تلقيتُ هذا الكلام عن فلان بمعنى أخذته منه[٣] .

فم يخالفه ابن منظور في معاني جميع هذه المفردات في الآيات الأربع .

أمَّا الرازي فقد ذكر في سبب تسمية يوم القيامة بيوم التلاق ثمانية أوجه ، على النحو التالي :

١/ كانت الأرواح متباينة عن الأجساد ، فإذا جاء يوم القيامة صارت ملاقية للأجساد ، فكان ذلك اليوم يوم التلاق .

٢/ يتلاقى الخلائق فيه ، فيقف بعضهم على حال البعض .

٣/ يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض .

---

(١) تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (لقى) ، (٢٩٩/٩ ، ٣٠٠) ، وانظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (١٨/٣).

(٢) لسان العرب ، مادة (لقا) ، (٢٥٣/١٥ – ٢٥٦) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٥٠/٢٤) ، (١٣٢/١٩) ، (١٢٠/٢٤) ، (٩٧/١٨) .

٤/ يصل كل أحد إلى جزاء عمله في ذلك اليوم ، فكان ذلك اليوم ، فكان ذلك من باب التلاق .

٥/ قد يكون ذلك مأخوذاً من قوله تعالى : (فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ)[1] . وقوله : (تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٌۚ)[2] .

٦/ ذلك يوم يلتقي فيه العابدون والمعبودون .

٧/ ذلك يوم يلتقي فيه آدم -عليه السلام- وآخر ولده .

٨/ هو يوم يلتقي فيه الظالم والمظلوم[3] .

فعلى هذا يكون الرازي أكثر تفصيلاً في بيان المراد من التلاق من ابن منظور الذي اختار القول الثالث من الوجوه التي ذكرها الرازي كما هو واضح .

وأمَّا قوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ) فمعناه عند الرازي لتؤتاه وتلقاه من عند حكيم عليم .

وفي آية فصلت ذكر الرازي أنَّه ما يُلقى فعلة دفع السيئة بالحسنة إلا الذين صبروا على تحمل المكاره ، وتجرع الشدائد ، وكظم الغيظ ، أو ذو حظ عظيم من الفضائل النفسانية ، والدرجة العالية في القوة الروحانية .

وذكر في آية النور أنَّ معنى (تلقَّونه) يأخذه بعضكم من بعض[4] .

فوافقه ابن منظور في جميع ذلك .

وذكر القرطبي أيضاً في آية غافر ستة أقوال من الوجوه التي ذكرها الرازي في سبب تسمية يوم البعث بيوم التلاق ، ثُمَّ ذكر القرطبي أنَّ كل ذلك صحيح المعنى ، وفي الأقوال التي نقلها القرطبي في تفسير هذه الآية قول ابن منظور .

كما ذكر القرطبي في معنى تلقى القرآن أنَّه يُلقى على النبي - ﷺ - فيلقاه ويعلمه ويأخذه[5] .

---

(١) سورة الكهف ، الآية (١١٠) .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٤٤) .

(٣) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٤٠/٢٧) .

(٤) انظر : المرجع السابق ، (١٥٥/٢٤) ، (١١٠/٢٧) ، (١٥٦/٢٣) .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣٠٠/١٥) ، (١٥٥/١٣) .

وهو قول ابن منظور الذي نقله عن الزجَّاج .

وفي قوله تعالى : (وما يلقاها) يرى القرطبي أنَّ المراد الفعلة الكريمة والخصلة الشريفة من دفع السيئة بالحسنة ، وهو قول الفرَّاء الذي ذكره ابن منظور .

وذكر القرطبي أوجه القراءات في قوله (تلقونه) ، وأورد لأهل العلم في هذه المفردة معنيين ، أحدهما : الكذب ، وثانيهما : الإسراع[1] .

ولم يذكر ذلك ابن منظور .

وذكر ابن كثير ستة أقوال من الوجوه التي ذكرها الرازي في تسمية يوم القيامة بيوم التلاق ، وفيها اختيار ابن منظور في ذلك .

ويرى ابن كثير أيضاً – كما رأى القرطبي – أنَّ يوم التلاق يشمل هذا كله .

وفي آية النمل فسّر ابن كثير تلقي القرآن بأخذ النبي – ﷺ – له من عند الحكيم العليم ، موافقاً بذلك لابن منظور فيما نقله عن الزجَّاج ، كما ذكر ابن كثير أنَّ المراد في آية فصلت هو دفع الإساءة بالإحسان وهو ما يريده ابن منظور فيما نقله عن الفرَّاء .

وفي آية النور ذكر ابن كثير أنَّ المعنى على قراءة الجمهور : يروى الإفك بعضكم عن بعض ، وعلى قراءة عائشة – رضي الله عنها – : (تَلْقُونه) ، من ولق اللسان ، يعني الكذب .

ثُم بيَّن ابن كثير أنَّ قراءة الجمهور أشهر مصوِّبا للقول الأول[2] ، وهو ما عليه ابن منظور .

ويتفق ابن منظور كذلك مع الواحديّ في سبب تسمية يوم القيامة بيوم التلاق، حيثُ ذكر الواحديّ أنَّه يوم يلتقي فيه أهل الأرض وأهل السماء .

كما ذكر أنَّ معنى قوله : (وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ)، أي : يُلقى إليك القرآن وحياً من الله –سبحانه– وهو قول ابن منظور الذي نقله عن الزجَّاج .

---

(١) انظر : المرجع السابق : (١٥/٣٦٢ ، ٣٦٣) ، (١٢/٢٠٤) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤/٧٥) ، (٣/٣٥٧) ، (٤/١٠٢) ، (٣/٢٧٥) .

وبيَّن الواحديّ أنَّ معنى : (وما يلقاها) : دفع السيئة بالتي هي أحسن ، وأنَّ معنى (تلقونه) في آية النور : تأخذونه ، ويرويه بعضكم عن بعض[1] فوافقه ابن منظور في جميع ذلك .

وجوه القراءات :

١/ آية غافر :

قرأ ابن كثير وورش : (لتنذر يوم التلاقى) بإثبات الياء في الوصل ، كما أثبتها ابن كثير في الوقف أيضاً ، وحذفها الباقون في الحالين[2] .

٢/ آية النور :

قوله تعالى : (إذ تلقونه) ، يُقرأ بإدغام الذال في التاء وبإظهارها ، وروى عن ابن كثير تشديد التاء ، وإظهار الذال[3] .

سبب النزول :

آية النور :

هذه الآية من بين الآيات العشرة في سورة النور ، والتي نزلت في قصة الإفك في السيدة عائشة – – وقد سقتُ جانباً من هذه القصة التي وردت في الصحيحين،وفي لباب النقول ، وذلك عند دراسة النص رقم (١٣) من هذا البحث .

المعنى العام للآيات :

١/ آية غافر :

(رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ)،أي:هو تعالى رفيع الدرجات،ذو العرش المحيط بما دونه (يُلۡقِى ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ) الروح هو الوحي ، وقيل : يراد القرآن والكتاب ، وقيل : النبوة ، وهذه الأقوال متقاربة المعنى.(لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ) ، أي : لينذر من يُلقى الروح عليه من عباده الخلق من عذاب يوم يلتقى فيه أهل السماء وأهل الأرض ، وهو يوم التلاق ، وذلك يوم القيامة[4] .

---

(١) انظر : الوجيز ، للواحديّ ، (٩٤٢/٢) ، (٧٩٩/٢) ، (٩٥٦/٢) ، (٧٥٩/٢) .

(٢) انظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص ٦٢٧ .

(٣) انظر : الحجة في القراءات السبع ، لابن خالويه ، ص ٢٦٠ .

(٤) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٤٩/٢٤ ، ٥٠) .

٢/ آية النمل :

(وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ) كلام مستأنف سيق بعد بيان بعض شئون القرآن الكريم تمهيداً لما يعقبه من الأقاصيص ، وتصديره بحرفي التأكيد لإبراز كمال العناية بمضمونه ، أيّ : لتؤتاه بطريق التلقية والتلقين (مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ) ، أي : من عند أي حكيم وأيّ عليم ، وفي تفخيمهما تفخيم لشأن القرآن ، وتنصيص على علو طبقته -ﷺ- في معرفته ، فإن من تلقى العلوم والحكم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علماً في رصانة العلم والحكمة[١] .

٣/ آية فصلت :

(وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ) ، أي : وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها ، وهي دفع الإساءة بالإحسان التي أمر بها في الآية السابقة (ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ)[٢] إلا من صبر على ذلك ؛ لأنَّه يشق على النفوس (وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) ، أي : ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة[٣] .

٤/ آية النور :

هذه الآية ممَّا نزل في السيدة عائشة – رضي الله عنها – بسبب قصة الإفك كما مَّر سابقاً (إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ) الخطاب فيها لأهل الإفك ، أي : تقولونه بألسنتكم ، ويرويه بعضكم عن بعض ، وذلك أنَّ الرجل منهم يلقى الرجل فيقول : بلغنى كذا وكذا يتلقونه تلقياً (وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا) تظنون أنَّه سهل لا إثم فيه (وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ) ، أي : في الوزر[٤] .

---

(١) انظر : إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (٢٧٣/٦) .

(٢) سورة فصلت : الآية (٣٤) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١٠٢/٤) .

(٤) انظر : معالم التنزيل : للبغويّ ، (٣٣٢/٣ ، ٣٣٣) .

النص رقم (٢٠١)

يقول تعالى : [...كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ][1] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (لَمَحَ إليه يَلْمَحُ لَمْحاً وألْمَحَ : اختلس النظر ... واللَّمْحَـــةُ : النَّظْرَةُ بالعَجَلَة . الفرَّاء في قوله –تعالى– : (كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ) ، قـــال : (كخطفـــة بالبصر) [2])[3] .

دراسة النص :

قال الطبري في تفسير ذلك : (يقول جل ثناؤه : فيوجد ما أمرناه ، وقلنا لـــه كن كسرعة اللمح بالبصر ، لا يبطئ ولا يتأخر) [4] .

وهذا معنى ما ذكره ابن منظور عن الفرَّاء، إلا أنَّ ابن منظور لم يُفصِّل في تفسير الآية كما فعل الطبري .

أمَّا الرازي فليس في تفسيره شيء ظاهر يتعلق ببيان معنى قولـــه : (كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ) [5] .

وعلى هذا فلا وجه للمقارنة بينه وبين ابن منظور في ذلك .

وأمَّا القرطبي فقد أسهب في ذلك ، حيثُ فسر الآية مُبَيِّنـــاً المعنـــى اللغـــوي للمفردة . قال : (أي : قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر ، واللمح : النظـــر بالعجلة ، يُقال : لمح البرق ببصره ، وفي الصحاح : (لمحه وألمحه : إذا أبصره بنظر خفيف ، والاسم : اللمحة) [6])[7] .

---

(١) سورة القمر ، الآية (٥٠) . وتمام الآية : [وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ] .

(٢) معاني القرآن ، للفرَّاء ، (١١٠/٣) .

(٣) لسان العرب ، مادة (لمح) ، (٥٨٤/٢) .

(٤) جامع البيان ، للطبري ، (١١١/٢٧ ، ١١٢) .

(٥) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٦٦/٢٩) .

(٦) الصحاح ، للجوهرى ، مادة (لمح) ، (٤٠٢/١) .

(٧) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٤٩/١٧) .

فوافقه في ذلك ابن منظور .

وقال ابن كثير : (فيكون ذلك الذي نأمر به حاصلاً موجوداً كلمح البصر ، لا يتأخر طرفة عين) [١].

فلا خلاف بينه وبين ابن منظور على ذلك ؛ لذكره معنى كلام ابن منظور .

وذكر النسفي أنَّ قوله (كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ) معناه : على قدر ما يلمح أحدكم ببصره[٢] ، وذلك أيضاً مرادف في المعنى لما ذكره ابن منظور .

وعلى ذلك يمكن القول أنَّ ابن منظور لا يخالف المفسرين في مدلول اللفظ من حيثُ اللغة ، أمَّا المراد في الآية فلم يتعرض لذكره ، وفصَّل فيه المفسرون .

المعنى العام للآية :

(وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ) قال الفرَّاء : إلا مرة واحدة (كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ) عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : يُريد : إنَّ قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر ، وقيل : المعنى : وما أمرنا بمجئ الساعة في السرعة إلا كلمح البصر ، ومعنى اللمح بالبصر : النظر بسرعة[٣] .

النص رقم (٢٠٢) و (٢٠٣)

يقول تعالى : [وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ...][٤] .

ويقول تعالى:[ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ...][٥]

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٦٩/٤) .

(٢) انظر : مدارك التنزيل : للنسفيّ ، (١٩٩/٤) .

(٣) انظر : زاد المسير ، لابن الجوزي ، (١٠٢/٨) ، وانظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (١١٠/٣) .

(٤) سورة التوبة ، الآية (٥٨) . وتمام الآية : [وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ] .

(٥) سورة التوبة ، الآية (٧٩) . وتمام الآية : [ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (اللَّمْزُ : كالغَمْز في الوجه ، تَلْمِزُهُ بفيك بكلام خفيّ ... وقوله تعالى : (وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ) ، أي : يُحرّك شفتيه . ورجلٌ لُمَزَةٌ : يعيبك في وجهكَ ، ورجلٌ هُمَزَةٌ : يعيبك بالغيب . وقال الزجَّاج : الهُمَزَةُ اللُّمَزَةُ : الذي يغتاب الناس ويَغُضُّهم* . ... قال أبو منصور : (والأصل في الهمز واللمز الدفع ، قال الكسائي : يُقال : همزتُهُ ولمزتُهُ ولهزتُهُ إذا دفعته)[1]... وقال اللحياني : الهمّازُ واللَّمَّازُ : النَّمَّام .. واللَّمْزُ : العيبُ في الوجه ، وأصله الإشارة بالعين والرأس والشفة مع كلام خفي ، وقيل : هو الاغتياب ... وفي التنزيل العزيز : (ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ) ، وكانوا عابوا أصحاب رسول الله – ﷺ – في صدقات أتوه بها) [2] .

دراسة النصين :

ذكر الطبري في تفسير آية التوبة (٥٨) أنَّ المنافقين يلمزون النبي – ﷺ – في الصدقات ، أي : يعيبونه في أمرها ، ويطعنون عليه فيها إذا لم يُعطوا منها.

كما ذكر في آية التوبة (٧٩) أنَّ هؤلاء المنافقين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقة على أهل المسكنة والحاجة ، ويطعنون فيهم بقولهم : إنَّما تصدقوا رياءً وسمعة ، ولم يريدوا وجه الله ، كما يلمزون الذين لا يجدون ما يتصدقون به إلا طاقتهم فينتقصونهم ، ويقولون : لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنياً سخرية منهم بهم[3] .

ففسَّر الطبري اللمز في الآيتين بالعيب والطعن والانتقاص والسخرية . وليس فيما ذكره ابن منظور ما يخالف الطبري ، إلا أنَّ ابن منظور فصَّل الكلام في بيان معنى اللمز والهمز .

---

* ورد في كتاب الزجَّاج : (يَعَضُّهم) بدل (يَغُضُّهم) ولعل هذا وذاك خطأ مطبعي ، والصحيح : يُعيبهم . انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٢٧٦/٥) .

(١) تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (لمز) ، (٢٢١/١٣) .

(٢) لسان العرب ، مادة (لمز) ، (٤٠٦/٥ ، ٤٠٧) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٥٥/١٠ ، ١٥٦) ، (١٩٤/١٠) .

وذكر الرازي في تفسير آية التوبة (٥٨) أنَّ من قبائح المنافقين وفضائحهم طعنهم في الرسول – ﷺ – بسبب أخذ الصدقات من الأغنياء ، يقولون : إنَّه يؤثر بها من يشاء من أقاربه ، وينسبونه إلى أنَّه لا يُراعي العدل ، ثُمَّ ذكر الرازي أقوالاً للمفسرين في معنى اللمز تدور كلها على معنى العيب – ولا تفاوت بينها إلا في الألفاظ كما ذكر – ومنهم من فرَّق بين الهمز واللمز ، ومنهم من يرى أنَّ كلا منهما يُرادف الآخر[١] .

وهذا الأقوال التي أوردها الرازي هنا هي ما نقله ابن منظور في ذلك .

وفي آية التوبة (٧٩) ذكر الرازي أنَّ من أعمال المنافقين القبيحة أيضاً لمزهم من يأتي بالصدقات طوعاً ، ثُمَّ بيَّن أنَّ الكلام في تفسير اللمز مضى عند تفسير الآية (٥٨) من سورة التوبة[٢] .

فلا خلاف بينه وبين ابن منظور في ذلك .

وذكر القرطبي نحواً من الأقوال التي أوردها ابن منظور في معنى اللمز في الآية (٥٨)، ثُمَّ أخبر أنَّ الله –تعالى– وصف – في هذه الآية – قوماً من المنافقين بأنهم عابوا النبي – ﷺ – في تفريق الصدقات ، وزعموا أنهم فقراء ليعطيهم .

وبيَّن القرطبي في الآية (٧٩) أنَّ لمز المطوعين من المؤمنين في الصدقات من صفات المنافقين أيضاً ، ونسب إلى قتادة قوله : إنَّ اللمز معناه العيب[٣] .

فلا خلاف بينه وبين ابن منظور في ذلك أيضاً .

وعند ابن كثير اللمز معناه الطعن ، ذكر ذلك في تفسير الآية (٥٨) ، وذكر في تفسير الآية (٧٩) أنَّه بمعنى العيب[٤] .

والطعن والعيب من الألفاظ المرادفة لما ذكره ابن منظور ، فلا خلاف بينهما على ذلك .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٦/٧٨ ، ٧٩) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (١٦/١١٥) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٨/١٦٦) ، (٨/٢١٥) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢/٣٦٤) ، (٢/٣٧٦) .

وفسَّر البيضاوي اللمز بالعيب في الآية (٥٨) ، ولم يبين معناه في الآية (٧٩) ، ولكنه ذكر بعض الروايات التي يستفاد منها أنه بمعنى العيب والاستهزاء والسخرية(١) .

أسباب النزول :

١/ آية التوبة (٥٨) :

ذكر السيوطي في سبب نزول هذه الآية فيما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري(٢) قال : بينما رسول الله – ﷺ – يُقسم قسماً إذ جاءه ذو الخويصرة(٣) ، فقال : أعدل ، فقال : ويلك ، من يعدل إذا لم أعدل ؟ فنزلت ، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ الآية(٤) .

٢/ آية التوبة (٧٩):

وذكر السيوطي أيضاً في سبب نزول هذه الآية فيما رواه الشيخان عن أبي مسعود(٥) قال : لمَّا نزلت آية الصدقة كنا نتحامل على ظهورنا ، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير ، فقالوا : مُرَاءٍ ، وجاء رجل فتصدق بصاع ، فقالوا : إنَّ الله لغني عن صدقة هذا ، فنزل : ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ الآية(٦) .

---

(١) انظر : أنوار التنزيل ، للبيضاويّ ، (١٥٢/٣) ، (١٦٠/٣ ، ١٦١) .

(٢) أبوسعيد الخدري : هو سعد بن مالك بن سنان ، الأنصاري الخزرجي ، من أفاضل الأنصار ، وأكثرهم حديثاً ، من ذرية خدرة بن عوف بن الخزرج . روى له الجماعة ، أول مشاهده الخندق ، وغزا مع رسول الله – ﷺ – اثني عشرة غزوة . توفي سنة (٧٤هـ) . (انظر : أسد الغابة ، لابن الأثير ، ترجمة رقم (٢٠٣٧) ، (٢٦٥/٢) ، وانظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي ، (٩٢/١٥ ، ٩٣)) .

(٣) ذو الخويصرة : ذو الخويصرة التميميّ ، ذكره ابن الأثير في الصحابة مستدركاً على من قبله ، ولم يورد في ترجمته سوى ما أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد ، وهو حُرْقُوص بن زهير ، ووقع في موضع آخر في البخاري ، فقال : عبدالله بن ذي الخويصرة . (انظر : الإصابة ، لابن حجر ،(٤١١/٢)) .

(٤) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في : ٦٥– كتاب المناقب ، ٢٢– باب علامات النبوة في الإسلام ، حديث رقم (٣٤١٤) ، (١٣٢١/٣) .

(٥) أبو مسعود : هو عقبة بن عمرو ، أبو مسعود الأنصاري ، النجاري له صحبة ، قيل : مات أيام عليّ ﷺ. (انظر : التاريخ الكبير ، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، تحقيق : السيد هاشم الندوي ، دار الفكر ، ترجمة رقم (٢٨٨٤) ، (٤٢٩/٦)) .

(٦) أخرجه البخاري في : ٣٠– كتاب الزكاة ، ٩– باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة ، حديث رقم (١٣٤٩) ، (٥١٣/٢) .

المعنى العام للآيتين :

١/ آية التوبة (٥٨) :

يخبر الله –تعالى– في هذه الآية أنَّ من المنافقين من يطعن عليك ويعيبك في تفريق الصدقات ، يخاطب الله بذلك نبيه – ﷺ – وقد نزلت هذه الآية بسبب قول ذي الخويصره كما علمنا ، فإن أُعطى هؤلاء المنافقين من هذه الصدقات رضوا بالقسمة ، وإن لم يُعطوا منها إذا هم يسخطون أي : لا يرضون بالقسمة(١).

٢/ آية التوبة (٧٩) :

يخبر الله تعالى في هذه الآية عن لمز المنافقين للمطوعين من أصحاب رسول الله – ﷺ – في الصدقة على أهل المسكنة ، وطعنهم فيهم بقولهم : إنَّما تصدقوا به رياءً وسمعة ، وكذلك لمزمهم للذين لا يجدون ما يتصدقون به إلا جهدهم ، أي: طاقتهم ، يقولون فيهم : قد كان الله عن صدقة هؤلاء غنياً سخرية منهم بهم ، فسخر الله منهم ، أي : جازاهم على سخريتهم ، ولهم عذاب أليم ، أي : مؤلم(٢) .

النص رقم (٢٠٤) و (٢٠٥) و (٢٠٦) و (٢٠٧) و (٢٠٨)

يقول تعالى : [وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا](٣) .

ويقول تعالى : [ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ...](٤) .

ويقول تعالى : [وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ...](٥) .

---

(١) انظر : بحر العلوم ، للسمرقنديّ ، (٢/٦٦/٦٧) .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٠/١٩٤) ، وانظر : مدارك التنزيل ، للنسفيّ ، (٢/١٠١) .

(٣) سورة الفجر ، الآية (١٩) .

(٤) سورة النجم ، الآية (٣٢) . وتمام الآية : [ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ] .

(٥) سورة القصص، الآية (٢٣) . وتمام الآية : [وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ

ويقول تعالى : [...بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ][1] .

ويقول تعالى : [إِن كُلُّ نَفۡسٍ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٌ][2] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (اللَّمُّ : الجمع الكثير الشديد : واللَّمُّ : مصدر لَمَّ الشيءَ يَلُمُّه لَمًّا : جمعه وأصلحه ... قال الله – عزَّ وجل – : (وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا) . قال الفرَّاء : أي : شديداً ، وقال الزجَّاج : أي : تأكلون تراث اليتامي لمّاً ، أي : تَلُمُّون بجميعه[3] . وفي الصحاح : أكلاً لمّاً ، أي : نصيبه ونصيب صاحبه[4] .... والإلْمامُ واللَّمَمُ : مقاربة الذنب ، وقيل : اللَّمم ما دون الكبائر من الذنوب . وفي التنزيل العزيز : (ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ) ، وألمَّ الرجل من اللَّمم ، وهو صغار الذنوب ... ويُقال هو مقاربة المعصية من غير مواقعة ... وقيل : (إلا اللَّمم) إلا أن يكون العبدُ ألم بفاحشة ثُمَّ تاب ... ويدل عليه قوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ)[5] ... وأمَّا (لَمَّا) مرسلة الألف ، مشددة الميم ، غير منونة ، فلها معانٍ في كلام العرب ، أحدها : أنَّها تكون بمعنى الحين إذا ابتدئ بها ، أو كانت معطوفة بواو أو فاء ، وأجيبت بفعل يكون جوابها، كقولك : لمَّا جاء القوم قاتلناهم ، أي : حين جاءوا ، كقول الله – عزَّ وجل – : (وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ) ... وتكون لمَّا بمعنى لم الجازمة . قال الله –عزَّ وجل– : (بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ) ، أي : لم يذوقوه ، وتكون بمعنى (إلا) ... إذا أُجيب

---

(١) سورة ص ، الآية (٨) . وتمام الآية : [أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ] .

(٢) سورة الطارق ، الآية (٤) .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٥/٢٤٦) .

(٤) انظر : الصحاح ، للجوهري ، مادة (لمم) ، (٥/٢٠٣٣) .

(٥) سورة النجم ، الآية (٣٢) .

بها إن التي هي جحد ، كقوله – عزّ وجـل – : (إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ) ... معناه ما كل نفس إلا عليها حافظ) (١) .

دراسة النصوص :

فسَّر الطبري قوله تعالى : (أكلاً لمّاً) بالأكل الشديد الذي لا يترك معه شيئاً ، ونسب إلى الحسن ما ورد في الصحاح من أنَّ المراد أكل نصيبه ونصيب صاحبه.

وفيما يتعلق بمعنى اللمم ذكر الطبري أقوالاً لأهل التأويل ترجع إلـى ثلاثـة آراء ، وهي : ١/ الاستثناء في قوله (إلا اللمم) ، والمراد باللمم الذي ألموا به من الإثم والفواحش في الجاهلية قبل الإسلام ، فإنَّ الله قد عفا لهم عنه . ٢/ الاستثناء صحيح ، والمراد أن يلم بكبائر الإثم والفواحش ثم يتوب . ٣/ الاستثناء منقطـع ، واللمم هو دون حد الدنيا وحد الآخرة ، قد تجاوز الله عنه .

ثُمَّ صَوَّبَ الطبري هذا القـول الثالـث ، أي : أنَّ (إلا) بمعنـى الاسـتثناء المنقطع، ومعنى الكلام : الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ، إلا اللمم بما دون كبائر الإثم ، ودون الفواحش الموجبة للحدود في الدنيا والعذاب في الآخرة ، فـإنَّ ذلك معفو لهم عنه . واستدل الطبري على ذلك بقوله تعالى : (إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا)(٢) ، وبـيَّن أن اللمم في كلام العرب المقاربة للشيء .

أما آية القصص فلم يبين الطبري في تفسيرها مدلول(لما) .

وذكر في آية ص أنَّ (لمَّا) بمعنى لم ، واختار في آية الطارق قراءة (لَمَـا) بالتخفيف على أن المعنى : إن كل نفس لعليها حافظ ، و (مـا) صـلة . وأنكـر القراءة الأخرى ، وهي بتشديد الميم (لمَّا) على أنَّ معناه : ما كل نفس إلا عليهـا حافظ(٣) .

---

(١) لسان العرب ، مادة (لمم) ، (٥٤٧/١٢ – ٥٥٢) .

(٢) سورة النساء ، الآية (٣١) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري،(١٨٣/٣٠)، (٦٤/٢٧ – ٦٨) ، (٥٤/٢٠) ، (١٢٨/٢٣) ، (١٤٢/٣٠) .

مما سبق يتبين لنا موافقة ابن منظور للطبري في آية الفجر وآية ص . ومخالفته في آية الطارق ، ولم يخالفه في آية النجم إلا أنَّ الطبري كان أكثر تفصيلاً في بيان معنى اللمم . أمَّا آية القصص فلا وجه للمقارنة فيها بينهما ، لسكوت الطبري عن مدلول (لمَّا) فيها .

ونقل الرازي قول الليث في معنى (اللمم) ، وهو الجمع الشديد ، وذكر في تفسير قوله (أكلاً لمَّا) أنه الأكل الشديد ، وأورد قول الزجَّاج بأن المراد تراث اليتامى يلمون بجميعه ، كما أورد قول الحسن : إنَّ المعنى : يأكلون نصيبهم ونصيب صاحبهم .

وذكر الرازي في معنى اللمم ثلاثة أقوال ، الأول : اللمم هو ما يقصده المؤمن ولا يحققه ، من لَمَّ يلم إذا جمع ، فكأنه جمع عزمه . وأجمع عليه . الثاني: هو ما يأتي به المؤمن ويندم عليه في الحال [أي : يتوب] . الثالث : اللمم هو الصغير من الذنب .

ثُمَّ أخذ الرازي يتكلم عن حكم الاستثناء الوارد في الآية من حيث انقطاعه أو صحته . أمَّا آية القصص فلم يبين مدلول (لمَّا) فيها ، وفسر (لمَّا) في آية ص بأنَّ معناها لم .

وتكلم الرازي عن القراءتين الواردتين على قوله (لما) في آية الطارق وهما القراءة بالتخفيف ، والقراءة بالتثقيل ، ثم بين المعنى على كل قراءة ، دون أن يبين مذهبه في ذلك[1] .

وعلى هذا يمكن القول بموافقة ابن منظور للرازي ، فيما يتعلق بمدلول (لمَّا) في آية ص ، أمَّا بقية المواضع فيصعب فيها المقارنة بينهما ، لأن الرازي لم يكن له مذهباً واضحاً فيها ، وكذا لم يبين المراد بقوله (ولمَّا) في آية القصص . وذكر القرطبي أنَّ (أكلاً لمَّا) معناه شديداً ، وأنَّ أصل اللم في كلام العرب الجمع . يقال : لممتُ الشيء أليمه لمَّاً إذا جمعته .

---

(١) انظر التفسير الكبير ، (١٥٧/٣١) ، (٨/٢٩) ، (٢٠٤/٢٤) ، (١٥٧/٢٦) ، (١١٦/٣١) .

ثُمَّ ذكر أقوالاً للمفسرين في ذلك تدور حول هذا المعنى ، ومنها قول الحسن: إن المعنى : يأكل نصيبه ونصيب غيره .

وعرَّف القرطبي اللمم بأنها الصغائر التي لا يسلم من الوقوع فيها إلا من عصمه الله تعالى وحفظه .

ثم ذكر الاختلاف في معناها ، فذكر الأقوال التي وردت في ذلك لأهل العلم.

وسكت أيضاً عن بيان معنى قوله (ولمَّا) في آية القصص .

وعنده أن (لمَّا) في آية ص بمعنى لم ، و(ما) زائدة .

و(إن) في آية الطارق عنده مخففة من الثقيلة و(ما) مؤكدة ، والمعنى : إن كل نفس لعليها حافظ ، وذكر القول الآخر ، وهو أنَّ (لمَّا) بمعنى إلا ، والمعنى : إن كل نفس إلا عليها حافظ[1] .

وعلى هذا يوافق ابن منظور القرطبي في معنى المفردتين في آية الفجر وآية ص ، ويخالفه في مدلول (لمَّا) في آية الطارق ، ولا مقارنة بينهما في آية القصص ، أما أية النجم فقد ذكر القرطبي فيها كثيراً من أقوال المفسرين ، موسعاً فيها ، وقد ذكر ابن منظور بعضاً منها .

ولم يصرح ابن كثير في تبيين معنى الأكل اللم في آية الفجر ، ولكنه ذكر ما يُفهم منه أنه الجمع الكثير أو الشديد .

ويرى ابن كثير أن المراد باللمم صغائر الذنوب ، ومحقرات الأعمال ، ولذا فإنَّ الاستثناء عنده منقطع .

وذكر ابن كثير بعض الروايات والأحاديث الدالة على مذهبه في ذلك ، ثم نقل الأقوال الأخرى .

وفي آية القصص سكت ابن كثير أيضاً عن بيان مدلول (لما) فيها .

وفسر (لمَّا) التي في آية ص بما النافية .

وسكت عن بيان مدلول (لما) التي في آية الطارق[2].

---

(١) انظر :الجامع لأحكام القرآن،للقرطبي،(٣٥/٢٠)،(١٠٦/١٧ – ١٠٩)،(٢٦٧/١٣)،(١٥٢/١٥) ، (٣/٢٠).

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم،لابن كثير،(٥١٠/٤)،(٢٥٦/٤ ، ٢٥٧)،(٣٨٤/٣) ، (٢٩/٤) ، (٤٩٨/٤) .

وبهذا يكون ابن كثير متفقاً مع ابن منظور من حيث المعنى في آية الفجر ، وفاقه تفصيلاً في بيان المراد باللمم في آية النجم ، ولا مقارنة بينهما في آيتي القصص والطارق ، وخالفه من حيث اللفظ فقط في بيان مدلول (لمَّا) . التي في آية ص ، حيث ذكر ابن كثير أنَّها بمعنى (ما النافية) ، وهي تؤدى نفس العمل الذي تؤديه (لم) التي ذكرها ابن منظور .

وذكر الكلبيّ أنَّ المراد باللم في آية الفجر : الجمع واللف ، وهو أن يأخذ في الميراث نصيبه ونصيب غيره ، لأنَّ العرب كانوا لا يعطون من الميراث أُنثى ، ولا صغيراً ، بل ينفرد به الرجال .

وفي معنى اللمم ذكر الكلبي أربعة أقوال العلم دون أن يُرجح بينها ، وهي نحواً من الأقوال التي أوردها من ذُكر سابقاً من المفسرين ، فأغنى ذلك عن إعادتها .

وكغيره من هؤلاء المفسرين سكت الكلبي عن توضيح معنى (لمَّا) في آية القصص .أمَّا التي في آية ص فقد ذكر أنَّ معناها (لم) .

وذكر وجهي القراءة الواردين في (لمَّا) التي في آية الطارق ، وبيَّن المعنى على كل قراءة ، دون أن يختار أو يرجح بينهما[1] .

وعلى هذا فلا يمكن المقارنة بينه وبين ابن منظور إلا في آية الفجر وآية ص ، حيثُ وافقه فيهما ابن منظور . أمَّا في بقية المواضع فإنَّه إمَّا أن يسكت ، أو لم يُرجِّح .

وجوه القراءات :

١/ آية الفجر :

(وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا) قرأ أبوعمرو (ويأكلون) بالياء ، على سياق الخبر ، وقرأ الباقون (بالتاء) : (وتأكلون) على المخاطبة[2] .

---

(١) انظر : التسهيل ، للكلبيّ ، (١٩٨/٤) ، (٧٧/٤) ، (١٠٤/٣) ، (١٨٠/٣) ، (١٩١/٤) .

(٢) انظر : حجة القرءات ، لابن زنجلة ، ص ٧٦٢ ، وانظر:السبعة في القراءات،لابن مجاهد ،ص ٦٨٥ .

٢/ آية النجم :

اختلفوا في قراءة قوله : (كبائر الإثم)* .

٣/ آية الطارق :

(إِن كُلُّ نَفۡسٍ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٌ) . قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة : (لمَّا) بالتشديد ، أي : ما كل نفس إلا عليها حافظ ، فإن بمعنى (ما) ، و(لمّا) بمعنى (إلا) ، والعرب تقول : نشدتك الله لما فعلت . والمعنى : إلا فعلت . وقرأ الباقون (لَمَا) بالتخفيف ، (ما) تكون زائدة على هذه القراءة ، والمعنى : إن كل نفسٍ لعليها حافظ[1].

سبب النزول :

١/ آية النجم :**

٢/ آية ص :

ذكر السيوطي في سبب نزول هذه الآية ما رُوى عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنَّه قال : مرض أبوطالب ، فجاءته قريش وجاءه النبي – ﷺ – فشكوه إلى أبي طالب ، فقال : يا ابن أخي ما تريد من قومك ؟ قال : أُريد منهم كلمة تدين لهم بها العرب ، وتؤدى إليهم العجم الجزية ، كلمة واحدة . قال : ما هي ؟ قال : لا إله إلا الله . فقالوا : إلهاً واحداً إنَّ هذا لشيء عجاب ، فنزل فيهم : (صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ)[2] إلى قوله : (بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ)الآيات[3] .

---

* وقد سبق لى أن أوردتُ أوجه القراءات في ذلك عند دراسة النص (١٤) ، في الفصل الأول من هذا الباب.

(١) انظر: المرجع السابق الأول، ص ٧٥٨ ، وانظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه ، ص ٣٦٨ .

** ورد سبب نزول هذه الآية في النص (١٤) فأغنى ذلك عن إعادته هنا .

(٢) سورة ص ، الآية (١) .

(٣) وقد أخرج نحو هذا الحديث الإمام الترمذي في سننه عن ابن عباس ، في : ٤٨– كتاب تفسير القرآن ، ٣٩– باب ومن سورة ص ، حديث رقم (٣٢٣٢) ، (٣٦٥/٥) ، وانظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص (١٨٣، ١٨٤) .

المعنى العام للآيات :

١/ آية الفجر :

(وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا) جاءت هذه الآية في بيان حقيقة فتنة المال ، والمراد الميراث ، أي : فلا يعطون النساء ، وهنَّ ضعيفات وأحوج إلى مال مورثهن . واللم : الجمع واللف ، وهو أن يأخذ في الميراث نصيبه ونصيب غيره ، لأنَّ العرب كانوا لا يعطون من الميراث أُنثى ولا صغير ، بل ينفرد به الرجال[(١)].

٢/ آية النجم * :

٣/ آية القصص :

(وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ) أي : لما وصل موسى – عليه السلام – إلى بئر مدين (وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ) ، أي : وجد فوق شفيرها جماعة كثيرة مختلفين يسقون مواشيهم ، (وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ) في مكان أسفل من مكانهم (ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ) ، أي : تمنعان أغنامهما عن الماء لئلا تختلط بأغنامهم (قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ) ما شأنكما تذودان ؟ (قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ) قالتا : لا نسقى حتى يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء ، حذراً عن مزاحمة الرجال ، وأبونا كبير السن لا يستطيع أن يخرج للسقى فيرسلنا اضطراراً[(٢)] .

٤/ آية ص :

(أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَا) هو استفهام إنكار ، والذكر هاهنا : القرآن ، أنكر الكافرون اختصاص النبي ﷺ بالوحي من بينهم ، فقال تعالى : (بَلۡ هُمۡ فِي

---

(١) انظر : أضواء البيان ، للشنقيطيّ ، (٨/٥٢٦) ، وانظر : التسهيل ، للكلبيّ ، (٤/١٩٨) .

* ذكرتُ معناها في النص (١٤) مادة (كبر) ، فلا حاجة إلى تكراره هنا .

(٢) انظر : أنوار التنزيل ، للبيضاويّ ، (٤/٢٨٨ ، ٢٨٩) .

شَكٍّ مِّن ذِكۡرِى) ، أي : من وحي ، وهو القرآن ، شكوا فيما أنزلته عليك هل هو من عندي أم لا ؟ (بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ) ، إنَّما اغتروا بطول الإمهـــال ، ولـــو ذاقوا عذابي على الشرك لزال عنهم الشك ، ولما قالوا ذلك ، ولكن لا ينفع الإيمان حينئذ(١) .

٥/ آية الطارق :

(إِن كُلُّ نَفۡسٍ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٌ) ، جواب للقسم ، وإن نافية و (لمَّا) بمعنى (إلا) ، أي : ما كل نفس إلا عليها حافظ مهيمن رقيب ، وهو الله – عزَّ وجل – وقيل : هو من يحفظ عملها ويحصيه ، لقوله تعالى : (وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ * كِرَامًا)(٢) الآية(٣) .

النص رقم (٢٠٩)

يقول تعالى : [تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ...](٤) .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (ابن الأعرابي : المِلْهَبُ : الرائع الجمـــال ، والمِلْهَـــبُ : الكثير الشَّعَر من الرجال . وأبو لهب : كُنيةُ بعضِ أعمام النبـــي – ﷺ – وقيـــل : كُنى أبولهب لجماله . وفي التنزيل العزيز : (تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) ، فكنَّاه – عزَّ وجل – بهذا وهو ذمٌ له ، وذلك أنَّ اسمه كان عبدالعُزَّى ، فلم يســمه – عـــزَّ وجل – لأنَّ اسمه محال) (٥) .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٥/١٥٢) .

(٢) سورة الإنفطار ، الآيتان (١٠ ، ١١) .

(٣) انظر : إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (٩/١٤٠ ، ١٤١) .

(٤) سورة المسد ، الآية (١) . وتمام الآية : [تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ] .

(٥) لسان العرب ، مادة (لهب) ، (١/٧٤٥) .

دراسة النص :

اكتفى الطبري في تفسير هذه الآية ببيان أنَّ أبا لهب هو عم النبي – ﷺ – ، وأنَّ اسمه كان عبدالعُزَّى ، ولم يرد على ذلك ، حيثُ لم يـذكر المعنـى اللغـوي لكلمة (لهب) أو أحد مشتقاتها ، كما لم يبين سبب تكنيه بأبي لهب(١) .

فوافقه ابن منظور في هذا القدر الذي ذكره .

أمَّا الرازي فقد كان أكثر تفصيلاً من الطبري ومن ابن منظور في كنية أبي لهب ، حيثُ افترض هاهنا سؤالاً ، وهو : لماذا كنَّاه مع أنه كالكذب ، إذا لم يكـن له ولد اسمه (لهب) ، وأيضاً فالتكنية من باب التعظيم ؟

ثُمَّ أجاب الرازي عن ذلك بأنَّ التكنية قد تكون اسماً ، ويؤيده قراءة من قرأ : (تبت يدا أبو لهب) .

وأمَّا معنى التعظيم فأجاب عنه من وجوه : الأول : أنَّه لما كان اسماً خـرج عن إفادة التعظيم . والثاني : أن اسمه كان (عبدالعُزَّى) ، فعدل عنه إلى كنيتـه . والثالث : أنَّه لما كان من أهل النار ، ومآله إلى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته ، فكان جديراً بأن يذكر بها . والرابع كُنى بذلك لتلهب وجنتيه ، وإشراقهما ، فـذكر بذلك تهكماً به واحتقاراً له(٢) .

وذكر القرطبي نحواً من الأقوال التي ساقها الرازي في ذلـك ، وزاد عليـه قولين ، أحدهما : إنَّه كان بكنيته أشهر منه باسمه ، فصرّح بها . وثانيهمـا : إنَّ الاسم أشرف من الكنية ، فحطَّه الله – عزَّ وجل – عن الأشرف إلى الأنقص ، إذا لم يكن بدٌّ من الإخبار عنه ، ولذلك دعا الله – تعالى – الأنبياء بأسمائهم ، ولم يُكَنِّ عن أحدٍ منهم(٣) .

وبذلك يكون القرطبي أكثر تفصيلاً من ابن منظور الذي صرف اهتمامه إلى الجانب اللغويّ لمعنى المفردة ، مكتفياً ببعض الأقوال التي ذكرها المفسرون فـي ذلك ، ولا عجب ، فكُلٌّ ينصرف إلى مجال تخصصه .

---

(١) انظر : جامع البيان، للطبري ، (٣٣٧/٣٠) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٥٤/٣٢) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٣٦/٢٠) .

أمَّا ابن كثير فلم يُفصِّل في ذلك كمن سبقه من أولئك المفسرين ، بل سلك مسلك ابن منظور في الاختصار مختاراً لأحد قوليه ، حيثُ قال : (فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله – ﷺ – واسمه : عبدالعزَّى بن عبدالمطلب ، وكنيته : أبو عتبة ، وإنَّما سُمِيّ أبو لهب لإشراق وجهه) [١] .

ومثل الذي قاله ابن كثير هنا قاله البغويّ[٢] .

وجوه القراءات :

قرأ ابن كثير : (أبي لَهْب) ساكنة الهاء ، وقرأ الباقون بفتح الهاء ، وهما لغتان كالشَّمْعِ والشَّمع ، والنَّهْر والنَّهر ، واتفاقهم على الفتح دليل على أنَّه أجود من الإسكان[٣] .

سبب النزول :

ذكر السيوطي في سبب نزول هذه الآية ما أخرجه البخاري وغيره عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : صعد رسول الله – ﷺ – ذات يوم على الصفا، فنادي : يا صباحاه ، فاجتمعت إليه قريش . قال : أرأيتم لو أخبرتكم أنَّ العدو مصبِّحَكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني ؟ قالوا : بلى . قال : فإنِّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب : تباً لك ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله : (تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ) إلى آخرها[٤] .

المعنى العام للآية :

قد علمنا في سبب نزول هذه الآية أنَّها نزلت في أبى لهب عم النبي – ﷺ – بسبب ما قال في القصة المذكورة ، وقوله : (تبت) معناه هلكت ، وقيل : خسرت،

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤/٥٦٥) .

(٢) انظر : معالم التنزيل ، للبغويّ ، (٤/٥٤٣) .

(٣) انظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص ٧٧٦ ، وانظر : الحجة في القراءات السبع ، لابن خالويه، ص ٣٧٧.

(٤) انظر : لباب النقول : للسيوطي ، ص ٢٣٧ . والحديث موجود في صحيح البخاري مع اختلاف يسير في الألفاظ ، في : ٦٥- كتاب تفسير القرآن ، ٢٨٦- باب قوله : (إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ) سبأ (٤٦) ، حديث رقم (٤٥٢٣) ، (٤/١٨٠٤) .

وقيل : خابت ، وقيل : ضلَّت ، وقيل : صفرت من كل خير ، وخص اليدين بالتباب ، لأن أكثر العمل يكون بهما . وقد يُعبَّر باليد عن النفس ، كما في قوله : (بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ) ، أي : نفسك . وقوله : (وتب) ، أي : هلك . قال الفرَّاء : الأول دعاء عليه ، والثاني خبر ، كما تقول : أهلكه الله وقد هلك . والمعنى أنَّه قد وقع ما دعا به عليه[1] .

النص رقم (٢١٠)

يقول تعالى:[...كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث...][2] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (اللَّهَثُ واللَّهَاثُ : حر العطش في الجوف ... ابن سيده : لَهَثَ الكلب ، بالفتح ، ولَهِث يَلْهَثُ فيهما لَهْثاً : دلَعَ لسانَه من شِدَّةِ العطش والحر ، وكذلك الطائر إذا أخرج لسانه من حر أو عطش ، ولهث الرجل ... لهَثاً ، فهو لهثان : أعيا[3] ... وفي التنزيل العزيز : (كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث) لأنك ، إذا حملت على الكلب نبح وولى هارباً ، وإن تركته شد عليك ونبح ، فيتعب نفسه مقبلاً عليك ، ومدبراً عنك ، فيعتريه عند ذلك ما يعتريه عند العطش من إخراج اللسان . قال أبوإسحق ضرب الله – عزَّ وجل – للتارك لآياته ، والعادل عنها أخسَّ شيءٍ في أخسَّ أحواله مثلاً ، فقال : فمثله كمثل الكلب إن كان الكلب لهثان ، وذلك أنَّ الكلب إذا كان يلهث فهو لا يقدر لنفسه على ضر

---

(١) انظر : فتح القدير ، للشوكانيّ ، (٥/٥١١) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٧٦) . وتمام الآية : [وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ] .

(٣) انظر : المحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيده ، مادة (لهث) ، (٤/٢٩٨) .

ولا نفع ، لأنَّ التمثيل به على أنَّه يلهث على كل حال حملْتَ عليه أو تركتَهُ ، فالمعنى : فمثله كمثل الكلب لاهثاً[1])[2] .

دراسة النص :

ذكر الطبري اختلاف أهل التأويل في سبب تمثيل من آتاه الله – عزَّ وجل – آياته فانسلخ منها بالكلب ، وأورد لهم في ذلك قولين :

الأول : مَثَّلَهُ به في اللهث لتركه العمل بكتاب الله وآياته ، فسواء أمره وُعظِ بآيات الله التي آتاها إياه أو لم يوعظ ، مثل الكلب في لهثه طُرد أو لم يُطرد ، فهو لا يترك اللهث بحال .

الثاني : مَثَّلهُ بالكلب ؛ لأنَّه كان يلهث كما يلهث الكلب .

ثُمَّ اختار الطبري القول الأول[3] ، وهو معنى ما نقله ابن منظور عن أبى اسحق الزجَّاج .

وكذا وافق ابن منظور الإمام الرازي الذي نقل عن الليث في تعريف اللهث ، قوله : هو أنَّ الكلب إذا ناله الإعياء عند شدة العدو وعند شدة الحر ، فإنَّه يدلع لسانه من العطش .

ثم بين الرازي أنَّ هذا التمثيل وقع بالكلب اللاهث من بين جميع الكلاب ، والكلب أخس الحيوانات ، وأخس الكلاب هو الكلب اللاهث ، فمن آتاه الله العلم والدين فمال إلى الدنيا ، وأخلد إلى الأرض كان مشبهاً بأخس الحيوانات وهو الكلب اللاهث[4] .

وقال القرطبي في هذا المعنى : (أي : فمثله كمثل الكلب لاهثاً ، والمعنى : إنَّه على شيء واحد لا يرعوي عن المعصية ، كمثل الكلب الذي هذه حالته ، فالمعنى أنَّه لاهث على كل حال طردته أو لم تطرده) [5] .

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٣١٧/٢) .

(٢) لسان العرب ، مادة (لهث) ، (١٨٤/٢) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٢٨/٩ ، ١٢٩) .

(٤) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٤٧/١٥) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣٢٢/٧) .

ثُمَّ شرع القرطبي في إيراد أقوال أئمة التفسير واللغة والحديث حول هذا المعنى[1] .

فوافقه ابن منظور على ذلك .

أمَّا ابن كثير فق أورد قولين للمفسرين في ذلك ، ولم يُرجِّح بينهما ، أحدهما قول ابن منظور الذي نقله عن الزجَّاج . وثانيهما : إنَّ بلعاماً[2] اندلع لسانه على صدره ، فتشبيهه بالكلب في لهيثه في كلتى حالتيه إن زُجِر وإن تُرِك ظاهر[3] .

وروى الصنعاني[4] أنَّ المراد بهذا التشبيه الكافر ، فهو ضال إن وعظته أو لم تعظه[5] .

فوافقه ابن منظور بما نقله عن الزجَّاج .

المعنى العام للآية :

(وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا) قيل : الإشارة في هذه الآية إلى أحد علماء بني إسرائيل ، أو أحد الكنعايين اسمه بلعم بن باعوراء الذي أوتى علم بعض كتب الله فكفر بها ونبذها وراء ظهره فأدركه الشيطان ، وصار له قريناً . يقول تعالى :

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (٣٢٢/٧ ، ٣٢٣) .

(٢) بلعام : هو بلعم بن باعوراء . قال بعض المفسرين : نزل فيه قوله تعالى : (وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ) . الأعراف (١٧٥) . وكان مستجاب الدعوة ، وكان يعلم اسم الله الأعظم ، فلما قصد موسى – عليه السلام – البلقاء مدينة الجبارين هابوه ، فسألوا بلعم أن يدعو عليه ، فدعا عليه ، فاختلف بنوا إسرائيل وتاهوا في التيه ودلع لسان بلعم بن باعوراء ، وذهبت الآيات التي أعطاه الله إياها . (انظر : البدء والتاريخ ، للمطهر بن طاهر المقدسي ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، (٨٨/٣) ، وانظر : الكامل في التاريخ ، لعلي بن محمد الشيباني ، (١٥٣/١)).

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٦٨/٢) .

(٤) الصنعانيّ : هو عبدالرزاق بن همام ، العلامة الحافظ ، أبوبكر الصنعاني ، صاحب المصنفات . رحل إليه الأئمة إلى اليمن . وثقه غير واحد لكن نقضوا عليه التشيع . من مشايخ الإمام أحمد بن حنبل . توفي سنة (٢١١هـ) .

(انظر: شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، (٢٧/٢) ، وانظر : مرآة الجنان ، لليافعي ، (٥٢/٢)) .

(٥) انظر : تفسير القرآن ، لعبدالرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق : مصطفي مسلم محمد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٠هـ ، (٢٤٤/٢) .

ولو شئنا لعظمناه ، ورفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء بتلك الآيات (وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ) مال إلى الدنيا ورغب فيها. (فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث) ، أي : فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في أخس أحواله ، وهي حال دوام اللهث به سواءً شدَّ عليه فطُرد أو ترك غير مُتعرض له (ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا) من اليهود بعد ما قرأوا نعت رسول الله – ﷺ – في التوراة ، وذكر القرآن المعجز ما فيه ، وبشروا الناس باقتراب مبعثه ، وكانوا يستفتحون به (فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ) قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم (لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ) فيحذرون مثل عاقبته ، ويعلمون أنك علمته من جهة الوحي ، فيزدادوا إيقاناً بك ، وتزداد الحجة لزوماً لهم(١) .

النص رقم (٢١١) و (٢١٢) و (٢١٣) و (٢١٤)

يقول تعالى : [لَاهِيَةً قُلُوبُهُمۡۗ ...](٢) .

ويقول تعالى : [فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ](٣) .

ويقول تعالى : [لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوًا لَّٱتَّخَذۡنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ...](٤) .

ويقول تعالى : [وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِى لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ...](٥) .

---

(١) انظر : الكشاف ، للزمخشري ، (٢/١٦٧ ، ١٦٨) ، وانظر : إرشاد العقل السليم، لأبي السعود ، (٣/٢٩٢ ، ٢٩٣) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (٣) . وتمام الآية : [لَاهِيَةً قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ] .

(٣) سورة عبس ، الآية (١٠) .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية (١٧) . وتمام الآية : [لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوًا لَّٱتَّخَذۡنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ] .

(٥) سورة لقمان ، الآية (٦) . وتمام الآية : [وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِى لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ مُّهِينٌ] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (اللَّهْوُ : ما لَهَوْتَ به ، ولَعبْتَ به ، وشَغَلَك من هوى وَطَرب ونحوهما ... ابن عرفة[1] في قوله تعالى : (لَاهِيَةً قُلُوبُهُمۡ) ، أي : متشاغلة عَمَّا يُدعَوْنَ إليه ، وهذا من لها عن الشيء يَلْهَى ، إذا تشاغل بغيره ، ومنه قوله تعالى: (فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ)، أي: تتشاغل ... والتَهَى بامرأةٍ ، فهي لَهْوتَه . واللَّهْوُ واللَّهْوَة : المرأةُ المَلْهُوّ بها . وفي التنزيل العزيز : (لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوًا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ) ، أي : امرأة ، ويقال : ولداً ، تعالى الله – عزَّ وجل – ... ومعنى (لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ) ، أي : لاصطفيناه ممَّا نخلق ... وقوله تعالى : (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ) . جاء في التفسير أنَّ لَهْوَ الحديث هنا الغِناء ؛ لأنَّه يُلْهَى به عن ذكر الله – عزَّ وجل – وكلّ لَعب لَهْوٌ ... وقيل : إنَّ لَهْوَ الحديث هنا الشِّرْك ، والله أعلم) [2] .

دراسة النصوص :

فسَّر الطبري لهو القلوب في آية الأنبياء (٣) بالغفلة واللعب في حال الاستماع إلى القرآن ، وفسر التلهى الوارد في سورة عبس بالتشاغل .

وقال في آية الأنبياء (١٧) : يقول تعالى ذكره : لو أردنا أن نتخذ زوجة وولداً لاتخذنا ذلك من عندنا ، ولكنا لا نفعل ذلك ، ولا يصلح لنا فعله ولا ينبغي لأنَّه لا ينبغي أن يكون لله ولد ولا صاحبة .

وذكر الطبري لأهل التأويل ثلاثة أقوال في المراد بلهو الحديث ، وهي :

١/ الغناء والاستماع له .　　٢/ الطبل .　　٣/ الشرك .

ثُمَّ اختار في ذلك أن يقال : عنى به كل ما كان من الحديث ملهياً عن سبيل الله ، لأن الله – تعالى – عَمَّ بقوله : لهو الحديث ، ولم يخصص بعضاً دون بعض

---

(١) ابن عرفة : الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي ، مولاهم البغدادي ، المؤدب ، مسند وقته تفرَّد عن جماعة من المشايخ ، وروى عنه الترمذي وابن ماجة . والنسائي في غير السنن بواسطة ، وكان له عشرة أولاد سمَّاهم بأسماء الصحابة . قال النسائي : لا بأس به . توفي سنة (٢٥٧هـ)
(انظر : الوافي بالوفيات ، للصفديّ ، (١٢/٦٤ ، ٦٥) .

(٢) لسان العرب ، مادة (لها) ، (١٥/٢٥٨ ، ٢٥٩) .

، فذلك على عمومه حتى يأتي ما يدل على خصوصه ، والغناء والشرك من ذلك[1] .

فوافقه ابن منظور في جميع ذلك ، والخلاف بينهما في الموضع الأول خلاف من حيث اللفظ فقط . أمَّا آية لقمان فقد فصَّل فيها الطبري ، وذكر قولاً ثالثاً ، كما أنَّه تميز على ابن منظور بالترجيح أيضاً .

وفسَّر الرازي لهو القلوب بالذهول والغفلة والتشاغل باللعب . كما فسَّر التلهي الوارد في آية عبس بالتشاغل ، من لهى عن الشيء والتهي وتَلَهَّي . وذكر في معنى اللهو في آية الأنبياء (١٧) أنه الولد بلغة اليمن ، وقيل : المرأة أمَّا لهو الحديث فلم يذكر فيه الرازي أنَّه بمعنى الغناء أو الشرك ، وإنَّما ذكر فيه أنه ترك الآيات الحكمية التي يشتمل عليها القرآن الكريم ، والاشتغال بحديث آخر[2] .

وبذلك يكون ابن منظور موافقاً له في المواضع الثلاثة الأولى ، ومخالفاً له في الموضع الرابع ، وما هو ما يتعلق بلهو الحديث آنف الذكر .

وفسَّر القرطبي لهو القلوب بسهوها ، وإعراضها عن ذكر الله ، وتشاغلها عن التأمل والتفهم ، كما فسَّر التلهي في آية عبس بالإعراض بالوجه، والتشاغل بالغير ، وأصله (تتلهى) من لهيتُ عن الشيء،أي:تشاغلت عنه ، والتلهي التغافل .

ونقل القرطبي أقوال أهل التفسير وأهل اللغة في أنَّ المراد باللهو في آية الأنبياء (١٧) الزوجة ، وقيل : الولد ، وفسَّره القرطبي بالولد .

كما ذكر في تفسير لهو الحديث القولين الواردين في ذلك ، وهما : ١/ الغناء ٢/ الشرك ، ثُمَّ رجَّح القول الأول ، وهو أنَّ المراد بلهو الحديث الغناء مستدلاً على ذلك بالأحاديث وأقوال الصحابة والتابعين[3] .

فوافقه ابن منظور في الموضعين الأولين ، وخالفه في الثالث ، حيث رجَّح القرطبي تفسير اللهو بالولد ، واختار ابن منظور القول بأنَّه المرأة أو الزوجة كما

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢/١٧) ، (٥٢/٣٠) ، (١٠/١٧) ، (٦١/٢١ – ٦٣) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٢٢/٢٢) ، (٥٣/٣١) ، (١٢٧/٢٢) ، (١٢٣/٢٥) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٦٨/١١) ، (٢١٥/١٩) ، (٢٧٦/١١) ، (٥١/١٤ – ٥٣) .

هو ظاهر ، أمَّا الموضع الرابع فقد تميز فيه القرطبي بالترجيح بين القولين ، ولم يفعل ذلك ابن منظور .

ولم يتعرض ابن كثير لبيان معنى قوله (لاهية قلوبهم) في الكلام على تفسير هذه الآية ، وفسر التلهي في آية عبس بالتشاغل ، ونقل عن أهل التفسير القولين في المراد باللهو في آية الأنبياء (١٧) ، وهما : ١/ المرأة ٢/ الولد . ذكر ذلك دون ترجيح .

ويرى ابن كثير أنَّ المراد بلهو الحديث هو الاستماع إلى المزامير ، والغناء بالألحان وآلات الطرب مستدلاً على ذلك بأقوال المفسرين ، ثُمَّ ذكر القول الآخر ، وهو أنَّ المراد به الشرك[١] .

فعلى هذا لا مقارنة بين ابن كثير وابن منظور في آية الأنبياء (٣) ، أمَّا الموضع الثاني فقد اتفقا فيه ، وامتاز ابن منظور على ابن كثير بالاختيار والترجيح في الموضع الثالث ، لاختياره أنَّ المراد باللهو فيه المرأة ، وأورد ابن كثير القولين دون ترجيح .

أمَّا الموضع الرابع فقد امتاز فيه ابن كثير بالترجيح ، حيثُ رجح أن المراد بلهو الحديث الاستماع إلى الغناء وآلات الطرب ، وأورد ابن منظور القولين دون ترجيح .

وفسَّر ابن الجوزي لهو القلوب بالغفلة، والتلهي بالتشاغل نقلاً عن الزجَّاج[٢]، وأورد في المراد باتخاذ اللهو ثلاثة أقوال ، أحدها : الولد ، والثاني ، المرآة ، والثالث : اللعب . أورد ذلك دون ترجيح ، كما أورد في المراد بلهو الحديث أربعة أقوال : الأول : الغناء . الثاني : ما ألهى عن الله تعالى . الثالث : الشرك . الرابع : الباطل . كل ذلك دون ترجيح[٣] .

فوافقه ابن منظور في الموضع الأول بالمعنى ، وفي الثاني لفظاً ، وامتاز عليه في الثالث بالترجيح ، إلا أن ابن الجوزي زاد على ابن منظور القول الثالث،

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١٧٤/٣) ، (٤٧١/٤) ، (١٧٦/٣) ، (٤٤٢/٣ ، ٤٤٣) .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٢٢١/٥) .

(٣) انظر : زاد الميسر ، لابن الجوزي ، (٣٣٩/٥) ، (٢٨/٩) ، (٣٤٣/٥، ٣٤٤) ، (٣١٦/٦) .

وهو أنَّ المراد باتخاذ اللهو اللعب ، وزاد عليه في الموضع الرابع قولين ، همـــا : ١/ المراد بلهو الحديث ما ألهى عن الله تعالى . ٢/ المراد به الباطل .

وجوه القراءات :

آية لقمان :

(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِى لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ) . قرأ ابـــن كثير وأبو عمرو : (ليَضل) بفتح الياء . وقرأ الباقون بالرفع معناه : ليُضل غيره ، فإذا أضلَّ غيره فقد ضلَّ هو أيضاً ، ومن قرأ (ليَضل) فمعناه : ليصير أمره إلـــى الضلال ، وإن لم يقدر أن يُضل غيره[1] .

أسباب النزول :

١/ آية عبس :

قال المفسرون : كان رسول الله – ﷺ – يوماً يناجي بعــض المشـــركين* ، ويدعوهم إلى الله – تعالى – ويرجو إسلامهم ، فجاء ابن أُم مكتـــوم[2] الأعمـــى ، فقال : علمني يا رسول الله ممَّا علمك الله ، وجعل يناديــه ويُكـــرر النـــداء ، ولا يدرى أنَّه مشتغل بكلام غيره ، حتى ظهرت الكراهية في وجهـــه – ﷺ – لقطعـــه كلامه ، فأعرض عنه رسول الله – ﷺ – وأقبل على القوم يكلمهم ، فنزلت هـــذه الآيات من سورة عبس ، فكان رسول الله – ﷺ – يكرمه بعـــد ذلـــك ، ويقـــول : مرحباً بمن عاتبني فيه ربى[3] .

---

(١) انظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص ٥٦٣ .

* قيل : هم : عتبة بن ربيعة ، وأبوجهل بن هشام ، وأميَّة وأُبَي ابنا خلف .

(انظر : زاد المسير، لابن الجوزي، (٢٦/٩)) .

(٢) ابن أُم مكتوم : هو عبدالله بن قيس بن زيادة بن الأصم ، وأمه : عاتكة ، وهي أم مكتوم بنت عبدالله بن عتيكة بن عامر ، أسلم ابن أم مكتوم بمكة قديماً ، وكان ضرير البصر ، ذهبت عيناه وهو غـــلام، وقدم المدينة مهاجراً ، وكان يؤذن للنبي – ﷺ – بالمدينة مع بلال ، وكـــان رســـول الله – ﷺ – يستخلفه على المدينة . (انظر : المنتظم لابن الجـــوزي ، (٣٤٨/٤) ، والأنســـاب ، للســـمعاني ، (١٩١/١) ، وسير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، (٣٦٠/١)).

(٣) انظر : زاد المسير ، لابن الجوزي ، (٢٦/٩ ، ٢٧) ، وانظر : أسباب النزول ، للواحدي ، ص ٤٨٢.

٢/ آية الأنبياء (١٧) :

ذكر ابن الجوزي في سبب نزول هذه الآية قولين :

أحدهما : إنَّ المشركين لمَّا قالوا : الملائكة بنات الله ، والآلهة بناته نزلت هذه الآية . ورُوى هذا القول عن ابن عباس – رضي الله عنهما – .

وثانيهما : إنَّ نصارى نجران قالوا : إنَّ عيسى ابن الله ، فنزلت هذه الآية . ونُسب هذا القول إلى مقاتل[1] .

٣/ آية لقمان :

ذكر السيوطي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنَّ هذه الآية نزلت في رجل من قريش اشترى جارية مغنية .

وذكر عنه أيضاً أنَّه قال : نزلت في النضر بن الحارث[2] اشترى قينة ، وكان لا يسمع بأحد يُريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته ، فيقول : أطعميه وأسقيه وغنيه ، هذا خير ممَّا يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام ، وأن تقاتل بين يديه[3].

المعنى العام للآيات :

١/ آية الأنبياء (٣)

(لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ) الكلام عن المشركين ، والمعنى : ما يأتيهم ذكر من ربهم في حال من الأحوال إلا حال استماعهم إياه لاعبين مستهزئين به ، لاهين عنه ، لتناهى غفلتهم ، وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور ، والتفكر في العواقب

---

(١) انظر : المرجع السابق الأول ، (٥/٣٤٣) .

(٢) النضر بن الحارث : هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كندة بن عبدالدار، القُرشي ، العبدري، ويُقال: نضير، من مسلمة الفتح ، وقد أنكر ابن الأثير على من ترجم للنضير بن الحارث ، وقال النضر قتل كافراً بإجماع أهل السير ، وكان أشد قريش في تكذيب النبي – ﷺ – والأذى له ولأصحابه ، أسره المقداد يوم بدر ، وأمر رسول الله بضرب عنقه ، فقتله علي بن أبي طالب . (انظر: الإصابة ، لابن حجر ، (٦/٤٣٠) ، وانظر : الكامل في التاريخ ، لعلي بن محمد الشيباني ، (١/٥٩٤).

(٣) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ١٦٩.

(وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ) ، وصفوا بالظلم الفاحش فيما أسروا به (هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ) أي:أسروا هذا الحديث (أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ) المعنى : ما هذا إلا بشر مثلكم ، أي : من جنسكم ، و ما اتى به سحر ، أتعلمون ذلك فتأتونه ، وتحضرونه على وجه الإذعان والقبول ؟ (١)

٢/ آية عبس :

(فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ) هذه إحدى الآيات التي عوتب فيها النبي – ﷺ – بسبب قصة الأعمى التي ورد ذكرها في سبب النزول ، ومعناها إنكار التلهى عليه ، أي : مثلك خصوصاً لا ينبغي له أن يتصدى للغني ، ويتلهى عن الفقير (٢) .

٣/ آية الأنبياء (١٧) :

(لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا) ما يُلهى به من زوجة أو ولد (لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ) أي : من عندنا ، من الحور العين والملائكة (إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ) ذلك ، لكنَّا لم نفعله فلم نرده(٣) .

٤/ آية لقمان :

(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن) هو محروم مخذول (يَشۡتَرِي) ، أي : يختار ويرغب رغبة من يبذل الثمن في الشيء (لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ) ، أي: الأحاديث الملهية للقلوب. ويدخل في هذا كل كلام محرَّم ، وكل لغو وباطل من الأقوال المرغبة في الكفر والفسوق والعصيان ، ومن أقوال الرادّين على الحق ، المجادلين بالباطل ليدحضوا به الحق، ومن غيبة ونميمة وكذب وشتم وسب ، ومن غناء ومزامير شيطان وغير ذلك، فهذا الصنف من الناس يشترى لهو الحديث عن هدي الحديث (لِيُضِلَّ) الناس

---

(١) انظر : إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (٥٤/٦) .

(٢) انظر : الكشاف ، للزمخشري ، (٧٠٢/٤) .

(٣) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٤٢١ .

بعد ما ضل هو (عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) وإضلاله في هذا الحديث صده عن الحديث النافع والعمل النافع والصراط المستقيم و (وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا) ، أي : يسخر بآيات الله وبمن جاء بها (أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) بما ضلوا واستهزأوا بآيات الله، وكذبوا الحق الواضح[1].

النص رقم (٢١٥) و (٢١٦) و (٢١٧)

يقول تعالى : [فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ][2] .

ويقول تعالى : [وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ...][3] .

ويقول تعالى : [لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ][4] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور :(اللَّوْحُ:كل صفيحة عريضة من صفائح الخشب ... واللَّوْحُ : الذي يُكتب فيه . واللَّوْحُ : اللَّوْحُ المحفوظ . وفي التنزيل : (فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ) . يعنى : مستودع مشيئات الله –تعالى– وإنَّما هو على المثل ... وقوله عزَّ وجل : (وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ).قال الزجَّاج :(قيل في التفسير: إنَّهما كانا لَوْحَيْن ، ويجوز في اللغة أن يقال للَّوْحيْن ألواحٌ ، ويجوز أن يكون ألواح جمع أكثر من اثنين) [5] ... وكل ما غيَّرته النار فقد لَوَّحته ، ولوَّحته الشمس كذلك غيَّرته

---

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ٦٤٧ .

(٢) سورة البروج ، الآية (٢٢) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية (١٤٥) . وتمام الآية : [وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ] .

(٤) سورة المدثر ، الآية (٢٩) .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج (٣٠٤/٢) .

وسَفَعَتْ وجهه . وقال الزجَّاج في قوله عزَّ وجل : (لَوَّاحَة لِّلْبَشَرِ)، أي : تحرق الجلد حتى تُسَوِّده[١] . يقال : لاَحَهُ ولَوَّحَهُ ، ولوَّحْتُ الشيء بالنار : أحميته) [٢] .

دراسة النصوص :

ذكر ابن جرير الطبري قراءتين في قوله (محفوظ) ، أحدهما بالخفض على معنى أنَّ اللوح هو المنعوت بالحفظ ، أي : في لوحٍ محفوظ من الزيادة فيه ، والنقصان منه عمَّا أثبته الله –تعالى– فيه .

وثانيهما بالرفع ردّاً على القرآن الكريم على أنَّه من نعته وصفته ، أي : هو قرآن مجيدٌ محفوظٌ من التغيير والتبديل في لوح .

ثُمَّ بيَّن الطبري أنَّهما قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار ، صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

ولم يبين الطبري ماهية هذا اللوح ، ولم يُعَرِّفه بما عَرَّفه به ابن منظور .

كما أنَّه لم يذكر في ألواح موسى – عليه السلام – شيئاً سوى أنَّ المراد : وكتبنا لموسى في ألواحه ، وأدخلت الألف واللام في (الألواح) بدلاً من الإضافة ، كما قال جل ثناؤه : (فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ) يعنى : هي مأواه .

وذكر الطبري في معنى (لَوَّاحَة لِّلْبَشَرِ) أنَّها إشارة إلى سقر التي تحرق أجساد من فيها فتغير بشرهم[٣] ، وهو معنى ما ذكره ابن منظور في ذلك .

وكذلك الرازي ذكر القراءتين ، في كلمة (محفوظ) ، وذكر المعنى على كل قراءة كما فعل الطبري ، ثُمَّ احتمل أن يكون الكتاب المكنون الذي في قوله تعالى : (إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ)[٤] واللوح المحفوظ واحداً ، ثُمَّ ذكر ثلاثة احتمالات للمراد من كون هذا اللوح محفوظاً ، أحدها : أن يكون المراد كونه

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (١٩٣/٥) .

(٢) لسان العرب ، مادة (لوح) ، (٥٨٤/٢ ، ٥٨٥) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٤٠/٣٠) ، (٥٧/٩) ، (١٥٨/٢٩) .

(٤) سورة الواقعة ، الآيتان (٧٧ ، ٧٨) .

محفوظاً عن أن يمسَّه إلا المطهرون . ثانيها : أن يكون المراد كونه محفوظاً من اطلاع الخلق عليه سوى الملائكة المقربين . ثالثها : أن يكون المراد أنه لا يجرى عليه تغيير أو تبديل .

ثُمَّ لم يفصِّل الرازي في بيان حقيقة هذا اللوح ، ولم يذكر فيه ما ذكره ابن منظور . وفيما يتعلق بالألواح التي كتب الله –تعالى– فيها لموسى – عليه السلام – أخبر الرازي أنهَّ ذكر في عددها أنَّها كانت عشرة ألواح ، وقيل : سبعة ، ثم نقل الأقوال في جوهر هذه الألواح .

فخالفه ابن منظور في ذلك .

أمَّا معنى قوله : (لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ) فقد ذكر الرازي فيه قولين : الأول : (نسبه إلى الليث) ، وهو قول ابن منظور الذي نسبه إلى الزجَّاج ، والثاني : (نسبه إلى الحسن) ، وهو أنَّ معنى اللواحة أنَّها تلوح للبشر من مسيرة خمسمائة عام كقوله : (وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ) ، من لاح الشيء يلوح إذا لمع نحو البرق[(١)] .

وهذا القول الثاني لم يورده ابن منظور .

وفصَّل القرطبي في بيان معنى اللوح المحفوظ ، فذكر أنَّ القرآن الكريم مكتوب في هذا اللوح ، وهو محفوظ عند الله تعالى من وصول الشياطين إليه ، وقيل : هو أم الكتاب ، ومنه انتسخ القرآن والكتب .

ثم شرع القرطبي في بيان حقيقة هذا اللوح وماهيته ، فذكر أقوال أهل العلم في ذلك ، ومنها قول من قال : هو الذي فيه أصناف الخلق والخليقة ، وبيان أمورهم ، وذكر آجالهم وأرزاقهم ، والأقضية النافذة فيهم ، ومآل عواقب أمورهم، وهو أُم الكتاب .

ولعلَّ هذا القول الأخير هو معنى ما ذكره ابن منظور من قوله في اللوح المحفوظ : إنَّه مستودع مشيئات الله تعالى .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١١٤/٣١) ، (١٩٣/١٤) ، (١٧٨/٣٠) .

وذكر القرطبي أنَّ الألواح التي كتب الله –تعالى– فيها لموسى – عليه السلام – . يُراد بها التوراة ، ثُمَّ تكلم في ماهيتها ، وذكر أيضاً ما ذكره ابن منظور عن الزجَّاج من أنَّ عدد هذه الألواح لوحان ، وجاء بالجمع لأنَّ الاثنين جمع .

وذكر في معنى قوله (لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ) ثلاثة أقوال ، الأول : وهو اختياره واختيار ابن منظور ، وهو أنَّ معناها : مغيرة ، أي : تلفح النار وجوههم فتدعها أشد سواداً من الليل . والثاني : اللوح هو شدة العطش ، والمعنى : إنَّها معطشة للبشر ، ونسب هذا القول إلى الأخفش ، والثالث : إنَّ المعنى تلوح للبشر من مسيرة خمسمائة عام . ونسب هذا إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – [1] .

وجعل ابن كثير قوله (محفوظ) صفة للقرآن ، حيثُ بيَّن أنَّ القرآن الكريم في اللوح الذي في الملأ الأعلى ، وهو محفوظ من الزيادة والنقص ، والتحريف والتبديل .

ثُمَّ سرد الكلام في حقيقة هذا اللوح وماهيته ، إلا أنَّه لم يذكر فيه ما ذكره ابن منظور .

أمَّا ألواح موسى – عليه السلام – فقد بيَّن ابن كثير أنَّ الله تعالى كتب له فيها مواعظ وأحكاماً مفصلة ، مُبيِّنة للحلال والحرام ، وكانت هذه الألواح مشتملة على التوراة ، وقيل : أعطيها موسى – عليه السلام – قبل التوراة ، فالله أعلم .

ثُمَّ لم يذكر ابن كثير شيئاً عن عدد هذه الألواح مما ذكره ابن منظور .

وفي معنى قوله : (لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ) ذكر ابن كثير أقوال أهل التفسير ، وكلها بمعنى التغيير التي تحدثه النار إذا أحرقت الجلود أو الأجساد[2] .

وهو ما ذكره ابن منظور في ذلك .

وذكر الشوكاني أنَّ اللوح المحفوظ هو أُم الكتاب ، محفوظ عند الله من وصول الشياطين إليه . جعل قوله (محفوظ) صفة للوح ، وذكر أنَّ ذلك معنى قراءة الجمهور ،وهي بالجر ، وذكر قراءة نافع، وهي بالرفع على أنَّه نعت للقرآن.

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٩٨/١٩) ، (٢٨١/٧) ، (٧٧/١٩ ، ٧٨) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٩٧/٤ ، ٤٩٨) ، (٢٤٧/٢) ، (٤٤٤/٤) .

ولم يذكر الشوكاني في حقيقة اللوح المحفوظ ما ذكره ابن منظور من أنَّه مستودع مشيئات الله تعالى .

وبيَّن أنَّ ألواح موسى – عليه السلام – هي التوراة ، وفيها كل ما يحتاج إليه بنو إسرائيل في دينهم ودنياهم ، وذكر الخلاف في ماهية هذه الألواح وعددها ولم يبين الوجوه التي قيلت في عددها .

وذكر الشوكاني في معنى قوله : (لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ) القولين الذين وردا في ذلك، وهما : ١/ لواحة من لاح يلوح ، أي : ظهر ، والمعنى أنَّها تظهر للبشر .

٢/ لواحة للبشر ، أي : مغيرة لهم ومسودة .

ثُمَّ رجَّح هذا القول الثاني ، مُبيِّناً أنَّه مذهب جمهور المفسرين في ذلك[١] وهو ما ذهب إليه ابن منظور .

وجوه القراءات :

(فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ) . قرأ نافع برفع ظاء (محفوظ) على أنَّ ذلك صفة للقرآن، وقرأ الباقون بالخفض على أنَّها صفة لوح[٢] .

المعنى العام للآيات :

١/ آية البروج :

أخبر الله –عزَّ وجل– في هذه الآية والتي قبلها عن وصف القرآن ، فبيَّن أنه قرآن مجيد ، أي : كريم شريف ، كثير الخير ، وليس كما زعم المشركون أنَّه شعر وكهانة ، وأنَّه في لوح محفوظ ، أي : محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف ، وهو نعت للقرآن على قراءة نافع بالرفع ، وعلى قراءة الآخرين بالجر نعت للّوح ، وهو الذي يُعرف باللَّوح المحفوظ ، وهو أُم الكتاب ، تنسخ منه الكتب ، محفوظ من الشياطين ، ومن الزيادة فيه والنقصان[٣] .

---

(١) انظر : فتح القدير ، للشوكاني ، (٤١٤/٥) ، (٢٤٤/٢) ، (٣٢٧/٥) .

(٢) انظر : النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، (٢٩٩/٢) . وانظر : التحفة المرضية ، لمحمد إبراهيم محمد سالم ، (٧٢٦/٢) .

(٣) انظر : معالم التنزيل ، للبغويّ ، (٤٧٢/٤) .

٢/ آية الأعراف :

(وَكَتَبْنَا لَهُۥ) ، أي : لموسى – عليه السلام – (فِى ٱلْأَلْوَاحِ) ، أي : ألواح التوراة . قيل : كانت سبعة ، وقيل : عشرة ، وقيل : اثنان . (مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَىْءٍ) عموم يُراد به الخصوص فيما يحتاجون إليه في دينهم ، وكذلك تفصيلاً لكل شيء .

(فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ) ، أي : بجد وعزم ، والضمير للتوراة . (وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا) ، أي فيها ما هو حسن وأحسن منه كالقصاص مع العفو ، وكذلك سائر المباحات مع المندوبات. (سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَسِقِينَ) ، أي : دار فرعون وقومه ، وهو مصر ، والمعنى : أُريكم كيف أُقفرت منهم تلك الديار لمَّا هلكوا ، وقيل : منازل عاد وثمود ومن هلك من الأُمم المتقدمة ليعتبروا بها ، وقيل : جهنَّم[1] .

٣/ آية المدثر :

(لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ) إشارة إلى النار ، وهي سقر . قال جمهور الناس : معناه : مغيرة للبشرات ، محرقة للجلود ، مُسوِّدة لها ، والبشر : جمع بشرة ، وقيل : لواحة بناء مبالغة من لاح يلوح إذا ظهر ، والمعنى : أنَّها تظهر للناس ، وهم البشر من مسيرة خمسمائة عام ، وذلك لعظمها وهو لها[2] .

النص رقم (٢١٨)

يقول تعالى : [...قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ...][3] .

---

(١) انظر : التسهيل ، للكلبي ، (٤٤/٢ ، ٤٥) .

(٢) انظر : المحرر الوجيز ، لابن عطية ، (٣٩٥/٥ ، ٣٩٦) .

(٣) سورة النور ، الآية (٦٣) . وتمام الآية : [لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (لَوَذَ : لاذَ له به يَلُوذُ لَوْذاً ولواذاً ولُواذاً ولِياذاً : لجأ إليه ، وعَاذَ به . ولاوَذَ مُلاوذَةَ ولِواذاً ولياذاً. استتر ... وقوله –عزَّ وجل– : (قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذًا) . قال الزجَّاج : معنى لوذاً هاهنا خلافاً ، ودليل ذلك قوله تعالى : (فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ)[١] ، وقيل : معنى : يتسللون منكم لواذا : يلوذ هذا بذا ، ويستتر ذا بذا[٢] ... وفي خطبة الحجاج[٣] : وأنا أُرميكم بطرفي وأنتم تتسللون لواذاً[٤] ، أي : مستخفين ومستترين بعضكم ببعض ، وهو مصدر لاَوذ يُلاَوذُ مُلاوذةً ولواذاً) [٥] .

دراسة النص :

ذكر الطبري أنَّ اللواذ مصدر لاوذتُ بفلان مُلاوذةً ولواذاً ، وهو أن يلوذ القوم بعضهم ببعض ، يستتر هذا بهذا ، وهذا بهذا . ونسب هذا القول إلى الضحَّاك .

---

(١) سورة النور ، الآية (٦٣) .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٤/٣٣) .

(٣) الحجاج : هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل الثقفيّ ، قال بعض السلف : كان الحجاج يقرأ القرآن كل ليلة ، وكان يخبر عن نفسه أنَّ أكبر لذَّاته سفك الدماء ، وارتكاب أُمور لم يقدم عليها غيره ، وهو الذي قتل ابن الزبير ، كان أميراً على العراق . وُلد سنة (٥٣٩هـ) . وقيل : سنة (٥٤٠هـ) ، وتوفي سنة (٥٩٥هـ) . (انظر البداية والنهاية ، لابن كثير ، (٩/١١٧) ، والعبر ، لشمس الدين الذهبي ، (١/١١٢) ، ووفيات الأعيان ، لابن خلكان ، (٢/٢٩)) .

(٤) انظر : جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، لأحمد زكى صفوان ، المكتبة العلمية ، بيروت ، (٢/٢٩٤) ، وانظر : البيان والتبيين ، للجاحظ ، ص ٢٨٦ ، وانظر : تاريخ دمشق ، لأبي القاسم على بن الحسن بن هبة الله الشافعي ، تحقيق : عمر بن غرامة العمري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥م ، (١٢/١٣٢) .

(٥) لسان العرب ، مادة (لوذ) ، (٣/٥٠٧ ، ٥٠٨) .

وذكر الطبري روايات أهل التأويل التي تُؤيد قوله هذا ، وفيها قول من قال : إنَّ لواذا بمعنى خلافاً . ونسب هذا القول إلى مجاهد[١] .

وهذا إن دلَّ إنَّما يدل على أنَّ هذين القولين عند الطبري هما قول واحد .

أمَّا ابن منظور فالذي يظهر من كلامه أنَّه يُفرق بينهما .

وعندي أن يكونا قولاً واحداً أقرب إلى الصواب ؛ لأنَّ المنصرفين عن النبي – ﷺ – بغير إذنه تستراً وخفية منه يخالفون أمر الله –تعالى– الذي يعلم حقيقة أمرهم.

وذكر الرازي أنَّ معنى قوله : ﴿يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ قليلاً قليلاً ، واللواذ والملاوذة هي أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا ، يتسللون عن الجماعة على سبيل الخفية ، واستتار بعضهم ببعض[٢] .

فوافقه ابن منظور في المعنى اللغوي لهذه المفردة .

كما وافق القرطبي الذي ذكر في تفسير هذه الآية أنَّ اللواذ من الملاوذة ، وهي أَّن تستتر بشيء مخافة من يراك[٣] .

ولم يخالف ابن كثير ابن منظور فهو وإن لم يُفصح عن المعنى اللغوي لكلمة (لواذاً) إلا أنَّه ذكر ما يُفهم منه أنَّه يريد معنى التستر والتخفي ، وذكر أيضاً فيما ذكر قول مجاهد ، وهو أنَّ (لواذاً) بمعنى : خلافاً[٤] .

وممَّن وافق ابن منظور كذلك الإمام أبوحيان الذي قال في تفسير هذه الآية : (ومعنى (يتسللون) ينصرفون قليلاً قليلاً عن الجماعة في خفية ولواذ بعضهم ببعض ، أي : هذا يلوذ بهذا ، وهذا بذاك بحيث يدور معه حيثُ دار استتاراً من الرسول ﷺ)[٥] .

المعنى العام للآية :

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٨/١٧٨) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٤/٣٥) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٢/٣٢٢) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣/٣٠٨) .

(٥) انظر : البحر المحيط ، لأبي حيان ، (٦/٤٣٧) .

(قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذًاۚ) وعيد لمن هو بضد أولئك المؤمنين الذين لم يذهبوا حتى يستأذنوه – عليه الصلاة والسلام – والتسلل : الخروج من البين بالتدريج والخفية ، والمعنى : قد يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلاً قليلاً على خفية وملاوذة ، بأن يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج . (فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ) ، أي : يخالفون معرضين أو خارجين عن أمره (أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ) ، أي : بلاء ومحنة في الدنيا . (أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ)، أي: في الآخرة، وقيل في الدنيا،والمراد بالعذاب الأليم القتل ، وبالفتنة ما دونه[1] .

النص رقم (٢١٩) و (٢٢٠)

يقول تعالى : [فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ][2] .

ويقول تعالى : [لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ...][3] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (ألامَ الرجلُ ، فهو مُليمٌ إذا أتى ذنباً يُلامُ عليه . قال الله تعالى : (فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ) ... لوما أبقيت ، أي : هلا أبقيت ، وهي حرف من حروف المعاني معناها التحضيض ، كقوله تعالى : (لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ))[4] .

دراسة النصين :

---

(١) انظر : روح المعاني ، للألوسي ، (١٨/٢٢٦ ، ٢٢٧) .

(٢) سورة الصافات ، الآية (١٤٢) .

(٣) سورة الحجر ، الآية (٧) . وتمام الآية : [لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ] .

(٤) لسان العرب ، مادة (لوم) ، (١٢/٥٥٧ ، ٥٥٨) .

بيَّن الطبري أن قوله (مليم) بمعنى مكتسب اللَّوم . يُقال : قد ألام الرجلُ ، إذا أتى ما يُلام عليه من الأمر وإن لم يلم ، فأمَّا الملوم فهو الذي يُلام باللسان ، ويُعذل بالقول .

وفسَّر الطبري قوله (لوما) بأنَّ معناها : هلا[1] .

فوافقه ابن منظور في الموضعين ، إلا أننا نجد عند الطبري مزيد فائدة في آية الصافات ، حيثُ ذكر أنَّ المليم غير الملوم ، فالمليم الذي يأتي ذنباً يجعله يستحق اللوم وإن لم يُلم وأمَّا الملوم فهو الذي أتى ذنباً ليم عليه بالفعل قولاً باللسان.

وذكر الرازي في معنى قوله : (وهو مليم) أنَّه يُقال : أَلاَم إذا أَتى بما يُلام عليه ، فالمليم المستحق للَّوم ، الآتي بما يُلام عليه .

ونقل عن الفرَّاء والزجَّاج قولهما : إنَّ (ولولا) و (لوما) لغتان معناها هلا ، ويستعملان في الخبر والاستفهام ، والمقصود من الكل الترغيب والتحضيض[2] .

فوافقه ابن منظور في الموضعين .

وقال القرطبي في قوله : (وهو مليم) : (أي : أتى بما يُلام عليه ، فأمَّا الملوم فهو الذي يلام استحق ذلك أو لم يستحق ، وقيل : المليم المعيب . يُقال : لام الرجل إذا عمل شيئاً فصار معيباً بذلك العمل) .

وذكر القرطبي أنَّ (لوما) تحضيض على الفعل كلولا وهلا ، ونقل قول الفرَّاء : إنَّ الميم في (لوما) بدل من اللام في (لولا) [3] .

فوافقه ابن منظور في جميع ذلك إلا أنَّه في الموضع الأول يُعد أكثر تفصيلاً ، حيث زاد على ابن منظور أنَّ الملوم هو من وجِّه إليه اللَّوم سواء استحقه أم لا .

أمَّا ابن كثير فلم يتعرض لبيان معنى قوله (مليم) في آية الصافات ، لكنه فسَّر (لوما) بأنَّ معناها هلا[4] .

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٩٩/٢٣) ، (٦/١٤) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٤٤/٢٦) ، (١٢٦/١٩) ، (١٨٠/١٦) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٢٣/١٥) ، وانظر ، (٤/١٠) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ،لابن كثير ، (٢١/٤) ، (٥٤٨/٢) .

فوافق ابن منظور في الموضع الثاني : ولا مقارنة بينهما في الموضع الأول.

وعند الواحدي كذلك أنّ (مليم) بمعنى أتى بما يلام عليه ، و(لوما) بمعنى هلا[١] .

المعنى العام للآيتين :

١/ آية الصافات :

وردت هذه الآية في سياق قصة يونس – عليه السلام – وذلك أنّه لمَّا هرب إلى الفلك المملؤ بسبب غضبه على قومه حين لم يؤمنوا ، وقيل : غير ذلك ، لم تجر السفينة ، فضربوا القرعة ، وخرجت على يونس – عليه السلام – فطرحوه في البحر ، فابتلعه الحوت وقد فعل ما يُلام عليه ، وذلك خروجه بغير أن يأمره الله –تعالى– بالخروج ، فمكث في بطن الحوت ما شاء الله له ، ثم نجاه بسبب تسبيحه من المكث فيها إلى يوم القيامة[٢] .

٢/ آية الحجر :

(لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ) قال ذلك مشركي مكة للنبي – ﷺ – بعد أن وصفوه بالجنون ، يعنى : هلا تأتينا بالملائكة يشهدون لك بأنَّك رسول من عند الله حقاً إن كنت من الصادقين في قولك وأدعائك الرسالة[٣] .

النص رقم (٢٢١) و (٢٢٢) و (٢٢٣)

يقول تعالى : [...رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ...][٤] .

ويقول تعالى : [...لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ][١] .

---

(١) انظر : المحرر الوجيز ، للواحديّ ، (٩١٤/٢) ، (٥٨٩/١) .

(٢) انظر : التسهيل ، للكلبي ، (١٧٥/٣ ، ١٧٦) .

(٣) انظر : لباب التأويل ، للخازن ، (٤٩٦/٣) . وانظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٤٤/٣) .

(٤) سورة يونس ، الآية (٨٨) . وتمام الآية : [وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمۡوَٰلاً فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ] .

ويقول تعالى : [لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ..][٢] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (وقال الفرّاء في قوله – عزّ وجل – : (رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ) : هي لام كي . المعنى : يارب أعطيتهم ما أعطيتهم ليضلوا عن سبيلك[٣] ، وقال أبوالعباس أحمد بن يحيى : الاختيار أن تكون هذه اللام وما أشبهها بتأويل الخفض . المعنى : آتيتهم ما آتيتهم لضلالهم ... قال : والعرب تقول : لامُ كي في معنى لام الخفض ، ولام الخفض في معنى لام كي لتقارب المعنى ... وقال أبو حاتم[٤] في قوله تعالى : (لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) : اللام في (لِيجزيهم) لام اليمين ، كأنَّه قال : لَيَجزِينَّهم الله ، فحذف النون ، وكسروا اللام وكانت مفتوحة ، فأشبهت في اللفظ (لام كي) ، فنصبوا بها كما نصبوا بلام كي ... قال ابن الأنباري : هذا الذي قاله أبوحاتم غلط ؛ لأنَّ لام القسم لا تُكسر ، ولا يُنصب بها ... قال أبومنصور : والقول ما قال ابن الأنباري[٥] ... وكذلك قوله : (لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ) هي

---

(١) سورة التوبة ، الآية (١٢١) . وتمام الآية : [وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ] .

(٢) سورة سبأ ، الآية (٤) . وتمام الآية : [لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ] . وقد ورد هذا الجزء من الآية أيضاً في سورة يونس ، الآية (٤) وسورة الروم ، الآية (٤٥) .

(٣) انظر : معاني القرآن ، للفرّاء ، (٤٧٧/١) .

(٤) أبوحاتم : سهل بن محمد ، الإمام أبوحاتم السجستاني ، اللغوي ، صاحب المصنفات ، أخذ العربية عن أبي عبيدة والأصمعي ، وقرأ القرآن على يعقوب ، وكتب الحديث عن طائفة من المحدثين ، وله التأليف في التفسير ، ومن مصنفاته : إعراب القرآن . توفي سنة (٢٥٠هـ) . (انظر : طبقات المفسرين ، للأدنروي ، ص ٣٥ ، وانظر : معرفة القراء الكبار ، لشمس الدين الذهبي ، (٢١٩/١)) .

(٥) لم أجد هذا القول الذي نسبه ابن منظور لأبي منصور في كتاب "التهذيب" . (انظر : التهذيب ، لأبي منصور الأزهري ، (٤٠٨/١٥)) .

لام كي تتصل بقولـــه : (لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ... إلـــى قولـــه تعـــالى : فِي كِتَبٍ مُّبِينٍ)[1] ، أحصاه عليهم لكي يجـــزي المحســـن بإحســـانه ، والمســـيء بإساءته) [2].

(١) سورة سبأ ، الآية (٣) .

(٢) لسان العرب ، مادة (لوم) ، (٥٥٩/١٢) .

دراسة النصوص :

ذكر الطبري في معنى اللام الواردة في قوله : (ليضلوا) اختلاف أهل العلم بالعربية ، وأورد لهم في ذلك ثلاثة أقوال ، أحدها قول بعض نحويي البصرة : إنَّ معنى ذلك : ربنا فضلوا عن سبيلك ، وثانيها قول بعض نحويي الكوفة : إنَّ هذه اللام لام كي ، ومعنى الكلام : ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم كي يضلوا ، وثالثها قول آخر : إنَّ هذه اللام وما أشبهها بتأويل الخفض ، والمعنى : آتيتهم ما آتيتهم لضلالهم ، لأنه قد آلت الحالة إلى ذلك ، والعرب تجعل لام كي في معنى لام الخفض ، ولام الخفض في معنى لام كي لتقارب المعنى .

ثُمَّ اختار الطبري القول الثاني ، أي : إنَّ هذه اللام هي لام كي ، وأَنَّ المعنى : ربَّنا أعطيتهم ما أعطيتهم من زينة الحياة الدنيا والأموال لتفتنهم فيه ، ويضلوا عن سبيلك عبادك عقوبة منك .

ولم يتعرض الطبري لبيان المراد باللام في قوله : (ليجزيهم) ، ولكن يُفهم من كلامه ما يُفيد أنَّها لام كي .

أمَّا قوله (ليجزي) في آية سبأ فقد صرح فيها بأنَّ هذه اللام هي لام كي[(١)] .

وبذلك يوافق ابن منظور الطبري في الموضع الأول من حيثُ إيراد الأقوال، أمَّا الترجيح فقد امتاز به الطبري ، حيثُ رجَّح القول الثاني كما مرَّ سابقاً .

كما وافق ابن منظور الطبري في الموضعين : الثاني والثالث .

وذكر الرازي في تفسير قوله : (ليضلوا) أنَ اللام هي لام العاقبة . قال: فلمَّا كانت عاقبة قوم فرعون هي الضلال ، وقد أعلم الله –تعالى– نبيه موسى بذلك ، لأجرم عبَّر عن هذا المعنى بهذا اللفظ .

أمَّا اللام التي في آية التوبة فلم يبين المراد بها ، وذكر أنَّ اللام في قوله : (ليجزي) للتعليل[(٢)] .

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٥٦/١١ ، ١٥٧) ، (٦٦/١١) ، (٦١/٢٢) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٢٠/١٧) ، (١٧٨/١٦) ، (٢٠٩/٢٥) .

فثبت بذلك أنَّ ابن منظور لا يوافق الرازي في الموضع الأول ، وهو آية يونس ، ولا مقارنة بينهما في آية التوبة ، أمَّا آية سبأ فلا يخالفه فيها ، لأنَّ لام كي هي لام التعليل .

وذكر القرطبي اختلافهم في لام (ليضلوا) ، فأورد فيها عدة أقوال ، وأخبر أنَّ أصحَّ ما قيل فيها : إنَّها لام العاقبة والصيرورة .

ولم يذكر شيئاً يتعلق باللام التي في آية التوبة ، أمَّا آية سبأ فقد ذكر فيها أنَّ الفعل (ليجزي) منصوب بلام كي(١) .

فلم يوافقه ابن منظور إلا في آية سبأ ، أمَّا آية يونس فقد خالفه فيها ، ولا مقارنة بينهما في آية التوبة .

ولم يتعرض ابن كثير للكلام عن اللام التي في قوله (ليضلوا) ، ولكن ذكر ما يُفيد أنَّه اختار أنَّها لام كي وإن لم يُصرح بذلك .

وكذلك لم يبين مدلول اللام في كل من آيتي التوبة وسبأ(٢) .

ولذا فلا مقارنة بينه وبين ابن منظور في المواضع الثلاث ، ويمكنني القول بأنَّه يتفق مع ابن منظور في الموضع الأول من حيث المعنى فقط .

وذكر البيضاوي أنَّ اللام في قوله (ليضلوا) للدعاء عليهم بلفظ الأمر ، وقيل : للعاقبة ، وقيل : للعلة [أو هي لام كي] .

ولم يذكر البيضاويّ شيئاً عن اللام التي في آية التوبة ، أمَّا اللام التي في آية سبأ ، فقد بين أنَّها لام العلة(٣) .

فخالف ابن منظور البيضاوي في الموضع الأول [آية يونس] ، ووافقه في الموضع الثالث [آية سبأ] ، لأنّ لام العلة هي لام كي ، ولا مقارنة بينهما في الموضع الثاني [آية التوبة] .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣٧٤/٨) ، (٢٩١/٨) ، (٢٦١/١٤) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٣٠/٢) ، (٤٠١/٢) ، (٥٢٦/٣) .

(٣) انظر : أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، (٢١٢/٣) ، (١٧٩/٣) ، (٣٩١/٤) .

وجوه القراءات :

آية يونس :

قرأ أهل الكوفة : (ليُضلوا) بضم الياء ، أي : ليُضلوا غيرهم ، وقرأ الباقون : (ليَضِلوا) بفتح الياء ، أي : ليَضلوا هم[1] .

المعنى العام للآيات :

١/ آية يونس :

(وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلاً فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا)، أي : أعطيتهم من الدنيا والنعمة ما أبطرهم . (رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ)، أي : أدَّى النعيم بهم أن تكون عاقبة أمرهم إضلال عبادك عن الدين ، والطغيان في الأرض ، ويحتمل أن تكون اللام للتعليل ، بمعنى أنه تعالى لمَّا أعطاهم هذه الأموال التي صارت سبباً لمزيد البغي والكفر أشبهت هذه الحالة حالة من أُعطي المال لأجل الإضلال ، فورد هذا الكلام بلفظ التعليل لأجل هذا المعنى . (رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ) دعاء عليهم أن يمحق أموالهم ويهلكها (وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ) وأن يختم على قلوبهم ، فلا تنشرح للإيمان حتى يُشاهدوا العذاب المؤلم الموجع[2] .

٢/ آية التوبة :

(وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا) الكلام في هذه الآية عن أهل المدينة من المهاجرين والأنصار ، ومن حولها من الأعراب الذين أسلموا فحسن إسلامهم ، أي : لا ينفقون نفقة ، ولا يقطعون وادياً في ذهابهم إلى عدوهم (إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) ومن ذلك هذه الأعمال إذا اخلصوا فيها لله ونصحوا فيها ، ففي هذه الآيات أشد ترغيب

---

(١) انظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص (٣٣٦ ، ٣٣٧) .

(٢) انظر : التفسير المنير ، لوهبة الزحيلي ، مج٦ ، (١١/٢٦٩ ، ٢٧٠) .

وتشويق للنفوس إلى الخروج إلى الجهاد في سبيل الله ، والاحتساب لما يصيبهم فيه من المشقات ، وأنَّ ذلك لهم رفعة درجات ، وأنَّ الآثار المترتبة على عمل العبد له فيها أجر كبير[1] .

٣/ آية سبأ :

(لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ) يقول تعالى ذكره : إنه أثبت علمه بكل شيء في الكتاب المبين كي يثيب الذي آمنوا بالله ورسوله ، وعملوا بما أمرهم الله ورسوله به ، وانتهوا عمَّا نهاهم عنه (أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ) ، أي : لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة من ربهم لذنوبهم ، وعيش هنيء يوم القيامة في الجنة[2] .

النص رقم (٢٢٤) و (٢٢٥)

يقول تعالى : [...فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ][3] .

ويقول تعالى : [...ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ ...][4] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (لام الأمر : وهو كقولك : لِيَضْرِبْ زَيْدٌ عَمْراً ... وهذه اللام في الأمر أكثر ما استعملت في غير المخاطب ، وهي تجزم الفعل ، فإن جاءت للمخاطب لم يُنكر . قال الله تعالى : (فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا

---

(١) انظر : الأساس في التفسير ، لسيعد حوّى ، دار السلام ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٥هـ ، (٢٣٧٢/٤) ، وانظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعديّ ، ص ٣٥٥ .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٦١/٢٢) .

(٣) سورة يونس ، الآية (٥٨) . وتمام الآية : [قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ] .

(٤) سورة العنكبوت ، الآية (١٢) . وتمام الآية : [وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ] .

تَجۡمَعُونَ) ... وروى (فبذلك فلتفرحوا) يُريد أصحاب سيدنا رسول الله – ﷺ – (هُوَ خَيۡرٌ مِّمَّا تَجۡمَعُونَ) ، أي : مما يجمع الكفار ... قال الجوهري : لام الأمر تأمر بها الغائب ، وربما أمروا بها المخاطب ، وقرئ : (فبذلك فلتفرحوا) بالتاء[1] ... قال الأزهري : اللام التي للأمر في تأويل الجزاء ، من ذلك قوله – عزَّ وجل – : (ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ) . قال الفرَّاء : هو أمر فيه تأويل جزاء[2] .... قال الزجَّاج : ... يُقرأ قوله : (ولنحمل خطاياكم) بسكون اللام وكسرها ، وهو أمر في تأويل الشرط ، المعنى : إن تتبعوا سبيلنا حملنا خطاياكم[3])[4] .

دراسة النصين :

لا خلاف بين ابن منظور والطبري في أنَّ اللام التي في قوله : (فليفرحوا) هي لام الأمر ، إلا أن الطبري رجَّح القراءة بالياء على أنَّ المراد في الآية الكفار وليس أصحاب رسول الله – ﷺ – أي : فليفرح الكفار بالإسلام والقرآن ، وذلك خير ممَّا يجمعون من حطام الدنيا وأموالها وكنوزها ، أمَّا ابن منظور فلم يُرجح بين القراءتين[5] .

وقال الطبري في تأويل قوله : (ولنحمل خطاياكم) : (وإن كان خرج مخرج الأمر فإن فيه تأويل الجزاء ، ومعناه ... إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم) [6] فوافقه في هذا ابن منظور .

---

(١) انظر : الصحاح ، للجوهري ، مادة (لوم) ، (٥/٢٠٣٤) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (لوم) ، (١٥/٤١٠) ، وانظر : معاني القرآن ، للفرَّاء (٢/٣١٥).

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٤/١٢١ ، ١٢٢) ، وعند الزجَّاج : وهو أمرٌ في تأويل الشرط والجزاء .

(٤) لسان العرب ، مادة (لوم) ، (١٢/٥٥٩ ، ٥٦٠) .

(٥) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١١/١٢٤ – ١٢٦) .

(٦) المرجع السابق ، (٢٠/١٣٤) .

وكذلك الرازي ذكر القراءتين الواردتين في قوله : (فليفرحوا) ، وبيَّن أنَّ المراد في الآية الإنسان ، ووافقه ابن منظور في أنَّ هذه اللام هي لام الأمر[1] .

وقال في آية العنكبوت : ((ولنحمل) : صيغة أمر ، والمأمور غير الآمر ، فكيف يصح أمر النفس من الشخص ، فنقول : (الصيغة أمر ، والمعنى شرط وجزاء ، أي : إن اتبعتمونا حملنا خطاياكم) [2] .

وكذلك القرطبي ذكر الوجوه المختلفة للقراءات في قوله (فليفرحوا) مع بيان المعنى على كل قراءة ممَّا ذكره الطبري والرازي ، مبيناً أنَّ القراءة بالياء هي قراءة العامة ، ولا خلاف بينه وبين ابن منظور في أنَّ هذه اللام هي لام الأمر، وذكر أنَّ قوله : (ولنحملْ) جُزِم على الأمر ، ونقل قول الفرَّاء والزجَّاج في أنَّ ذلك أمرٌ في تأويل الشرط والجزاء[3] .

ولم يذكر ابن كثير شيئاً يتعلق باللام التي في قوله : (فليفرحوا) في تفسير هذه الآية لم يذكر شيئاً عن اللام التي في قوله : (ولنحمل) في آية العنكبوت[4] .

فلا وجه للمقارنة بينه وبين ابن منظور في ذلك .

وذكر الشوكاني وجوه القراءات في قوله : (فليفرحوا) ، ولم يخالف ابن منظور في أنَّ هذه اللام هي لام الأمر[5] .

ووافقه أيضاً في آية العنكبوت ، حيثُ قال : (واللام في (ولنحمل) لام الأمر، كأنَّهم أمروا أنفسهم بذلك ، وقال الفرَّاء والزجَّاج : هو أمر في تأويل الشرط والجزاء ، أي : إن تتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم) [6] .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٩٥/١٧ ، ٩٦) .

(٢) المرجع السابق ، (٣٦/٢٥) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣٥٤/٨) ، (٣٣٠/١٣) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٢٢/٢) ، (٤٠٧/٣) .

(٥) انظر : فتح القدير ، للشوكاني ، (٤٥٤/٢) .

(٦) المرجع السابق ، (١٩٤/٤) .

وجوه القراءات :

آية يونس :

قرأ يعقوب في رواية رويس[1] : (فبذلك فلتفرحوا هو خير مما تجمعون) بالتاء فيهما ، على أمر المخاطب وهي قراءة أُبي بن كعب ، وقرأ ابن عامر : (خير مما تجمعون) بالتاء ، وقرأ الباقون : (فليفرحوا) و (يجمعون) بالياء فيهما على أمر الغائب[2] .

المعنى العام للآيتين :

١/ آية يونس :

في هذه الآية والتي قبلها امتنان من الله –تعالى– على خلقه بما أنزله من القرآن العظيم على رسوله الكريم (قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ) ، أي : بهذا الذي جاءهم من الله من الهدي ودين الحق فليفرحوا ، فإنه أولى ما يفرحون به . (هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) ، أي : من حطام الدنيا ، وما فيها من الزهرة الفانية الذاهبة لا محالة[3] .

٢/ آية العنكبوت :

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ)

أمرهم بأتباع سبيلهم ، وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم ، وأمروا أنفسهم بحمل خطاياهم ، والمعنى تعليق الحمل بالاتباع ، وهو أمر معناه جزاء ، وهذا قول صناديد قريش لمن آمن منهم ، فأكذبهم الله تعالى فقال : (وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ) [4] .

---

(١) رويس : هو محمد بن المتوكل ، أبوعبدالله اللؤلؤي ، رويس المقرئ ، قرأ عليه يعقوب ، وتصدر للإقراء ، وقرأ عليه محمد بن هارون التمار ، وأبوعبدالله الزبيري الفقيه الشافعي . توفي بالبصرة سنة (٢٣٨هـ) . (انظر : معرفة القراء الكبار ، لشمس الدين الذهبي ، (٢١٦/١) ، وانظر : سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، (٤٤٩/١١)) .

(٢) انظر : النشر في القراءات العشر ، لأبي الخير محمد بن محمد بن الجزري، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م ، (٢١٤/٢) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٢١/٢ ، ٤٢٢) .

(٤) انظر : الكشاف للزمخشري ، (٤٤٨/٣) ، وانظر : الجواهر الحسان ، للثعالبي ، (٢٧٣/٧ ، ٢٧٤) .

النص رقم (٢٢٦) و (٢٢٧) و (٢٢٨) و (٢٢٩)

يقول تعالى : [إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ][(١)] .

ويقول تعالى : [...وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً...][(٢)] .

ويقول تعالى : [...لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ][(٣)] .

ويقول تعالى : [...لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ....][(٤)] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (لامُ التوكيد ... ومنها اللام التي تدخل في خبر (إنَّ) المشددة والمخففة ، كقوله عزَّ وجل : (إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ) ، وقوله – عز من قائل – : (وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً) ، ومنها التي تكون جواباً للو ولولا ، كقوله تعالى : (لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ)،وقوله تعالى:(لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ))[(٥)].

---

(١) سورة الفجر ، الآية (١٤) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٤٣) . وتمام الآية : [وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ] .

(٣) سورة سبأ ، الآية (٣١) . وتمام الآية : [وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ] .

(٤) سورة الفتح ، الآية (٢٥) . وتمام الآية : [هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا] .

(٥) لسان العرب ، مادة (لوم) ، (١٢/٥٦٠ ، ٥٦١) .

دراسة النصوص :

لم يذكر الطبري في تفسيره لهذه الآيات شيئاً عن لامات التوكيد الواردة فيها[1] .

وعلى هذا فلا وجه للمقارنة بينه وبين ابن منظور في ذلك .

ولم يذكر الرازي كذلك شيئاً يتعلق بهذه اللامات في كل من آية الفجر وآية سبأ وآية الفتح[2] .

أمَّا آية البقرة فقد قال فيها : (إن) في قوله : ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ هي المخففة التي تلزمها اللام ، والغرض منها توكيد المعنى في الجملة) [3] .

فوافقه ابن منظور في هذا الموضع ، ولا مقارنة بينهما في المواضع الثلاثة.

ولم يذكر القرطبي كذلك شيئاً عن لامات التوكيد التي في آية الفجر وآية سبأ وآية الفتح[4] ، أمَّا آية البقرة فقد قال فيها : (ذهب الفـرَّاء إلـى أنَّ (إن واللام) بمعنى ما وإلا ، والبصريون يقولون هي إن الثقيلة خففت) [5] .

وليس في هذا القول الذي ذكره القرطبي إشارة إلى أنَّ هذه الـلام هـي لام التوكيد ، وكذلك لا مقارنة بينه وبين ابن منظور في المواضع الثلاثة السابقة ولـم يتعرض ابن كثير وابن الجوزي كذلك لبيان نـوع هـذه اللامـات فـي الآيـات الأربع[6].

فلا وجه للمقارنة بينهما وبين ابن منظور في ذلك .

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٨١/٣٠) ، (٦/٢) ، (٩٧/٢٢) ، (١٠٢/٢٦) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٥٣/٣١) ، (٢٢٥/٢٥) ، (٨٧/٢٨) .

(٣) المرجع السابق ، (٩٦/٤) .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٥٠/٢٠) ، (٣٠٢/١٤) ، (٢٨٦/١٦) .

(٥) المرجع السابق ، (١٥٧/٢) .

(٦) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٥٠٩/٤) ، (١٩٢/١) ، (٥٤٠/٣) ، (١٩٤/٤) .

وانظر : زاد المسير ، لابن الجوزي ، (١١٨/٩) ، (١٥٥/١) ، (٤٥٧/٦) ، (٤٤١/٧) .

سبب النزول :

آية البقرة :

قال مقاتل : ذلك أنَّ اليهود قالوا لمعاذ : ما ترك محمد قبلتنا إلا حسداً ، فإنَّ قبلتنا قبلة الأنبياء ، ولقد عُلم أنَّا عدلٌ بين الناس ، فأنزل الله تعالى : (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) يعنى : عدلاً .

وأخرج الطبري عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : لمَّا وجه رسول الله – ﷺ – إلى الكعبة قالوا : يا رسول الله أرأيت الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس ، فأنزل الله تعالى : (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ) الآية(١) .

المعنى العام للآيات :

١/ آية الفجر :

(إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ) لمن يعصيه يمهله قليلاً، ثُمَّ يأخذه أخذ عزيز مقتدر(٢).

٢/ آية البقرة :

(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) ، أي : كما هديناكم إلى الإسلام كذلك جعلناكم يا معشر المؤمنين أُمة عُدولاً خياراً (لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) ، أي : لتشهدوا على الأُمم يوم القيامة أنَّ رسلهم بلغتهم ، ويشهد عليكم الرسول أنَّه بلغكم (وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ) ، أي : وما أمرناك بالتوجه إلى بيت المقدس ، ثم صرفناك عنه إلى الكعبة (إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ) ، أي : لنختبر إيمان الناس ، فيتميز من يُصدق الرسول ممَّن يُشكك في الدين ، ويرجع إلى الكفر لضعف يقينه (وَإِن كَانَتْ

---

(١) انظر : العجاب ، لابن حجر ، (١/٣٨٩ – ٣٩٣) ، وانظر : أسباب النزول ، للواحدي ، ص ٢٩.

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ٩٢٣ .

لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ) ، أي : وإن كان هذا التحويل لشاقّاً وصعباً إلا على الذين هداهم الله (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ) ، أي : صلاتكم إلى بيت المقدس، قبل تحويل القبلة ، بل يُثيبكم عليها . (إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) ، تعليل للحكم ، أي : أنَّه – تعالى – عظيم الرحمة بعباده ، لا يُضيع أعمالهم الصالحة التي فعلوها[١] .

٣/ آية سبأ :

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ) من أهل مكة (لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ) ، أي : ما تقدمه كالتوارة والإنجيل الدالَّين على البعث لانكارهم له . قال تعالى فيهم:(وَلَوْ تَرَىٰٓ) يا محمد (إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ) الكافرون (مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ) هم الأتباع (لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ) وهم الرؤساء (لَوْلَآ أَنتُمْ) صددتمونا عن الإيمان (لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ) بالنبي[٢] .

٤/ آية الفتح :

(هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ) يعنى أهل مكة (وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ)، أي : ومنعوكم من زيارة البيت. (وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ) والهدى محبوساً ، منعوه أن يبلغ منحره. (ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَـٰتٌ) بمكة (لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ) ، أي : لو لا أن تطؤوهم في القتال ؛ لأنَّكم لم تعلموهم مؤمنين ، وهو قوله : (بِغَيْرِ عِلْمٍ) (فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ) كفارة وعار

---

(١) انظر : صفوة التفاسير ، لمحمد علي الصابوني ، (٩٨/١ ، ٩٩) .

(٢) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٥٦٨ .

وعيب من الكافرين يقولون : قتلوا أهل دينهم . (لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ) دينه الإسلام (مَن يَشَآءُ) من أهل مكة قبل أن يدخلوها (لَوْ تَزَيَّلُواْ) تميز عنهم هؤلاء المؤمنون (لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) أي : لأنزلنا بهم ما يكون عذاباً أليماً بأيديكم[١] .

النص رقم (٢٣٠) و (٢٣١) و (٢٣٢) و (٢٣٣) و (٢٣٤)

يقول تعالى : [فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا...][٢] .

ويقول تعالى : [وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ...][٣] .

ويقول تعالى : [...إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً][٤] .

ويقول تعالى : [...إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ][٥] .

ويقول تعالى : [...لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ][٦] .

---

(١) انظر : المحرر الوجيز ، للواحديّ ، (١٠١٢/٢) .

(٢) سورة القصص ، الآية (٨) . وتمام الآية : [فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ] .

(٣) سورة الأنفال ، الآية ٣٣) . وتمام الآية : [وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ] .

(٤) سورة الإسراء ، الآية (١٠٨) . وتمام الآية : [وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً] .

(٥) سورة الصافات ، الآية (٥٦) . وتمام الآية : [قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ] .

(٦) سورة الأعراف ، الآية (١٥٤) . وتمام الآية : [وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ] .

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (ومنها* لام العاقبة ... وفي التنزيل العزيز : (فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوًّا وَحَزَنًا) ولم يلتقطوه لذلك ، وإنَّما مآله العداوة ... ومثله : (إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرًا)(١) ومعلوم أنَّه لم يعصر الخمر ، فسَّماه خمراً لأنَّ مآله إلى ذلك ، ومنها لام الجحد بعد ما كان ولم يكن ، ولا تصحب إلا النفي ، كقوله تعالى : (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ) ، أي : لأن يعذبهم ... ومن اللامات التي تصحب (إنْ) ، فمرَّة تكون بمعنى (إلا) ومرة تكون صلة وتوكيداً كقول الله عزَّ وجل : (إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولاً) ، فمن جعل (إنْ) جحداً جعل اللام بمنزلة (إلا) . والمعنى ما كان وعد ربنا إلا مفعولاً ، ومن جعل (إنْ) بمعنى (قد) جعل اللام تأكيداً – المعنى : قد كان وعد ربنا لمفعولاً ، ومثله قوله تعالى : (إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ) ، يجوز فيها المعنيان ... ومن اللامات : لام التعقيب للإضافة، وهي تدخل مع الفعل الذي معناه الاسم ... وفي التنزيل العزيز : (لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ) ... قال أبوالعباس ثعلب : إنَّما دخلت اللام تعقيباً للإضافة . المعنى : هم راهبون لربهم وراهبوا ربهم ، ثُمَّ ادخلوا اللام على هذا ، والمعنى لأنَّها عقبت الإضافة)(٢) .

دراسة النصوص :

ذكر الطبري في معنى قوله : (فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوًّا وَحَزَنًاۗ) أنَّهم حين التقطوه لم يلتقطوه لذلك ، بل ليكون في عاقبة أمره عدواً وحزناً لما أراد الله به .

---

* أي : من أضْرُب لام الإضافة كما ذكر ذلك ابن منظور.(انظر: لسان العرب ، مادة (لوم) ، (٥٦١/١٢)) .

(١) سورة يوسف ، الآية (٣٦) .

(٢) لسان العرب ، مادة (لوم) ، (٥٦٢/١٢ – ٥٦٤) .

فهذه اللام إذاً عند الطبري هي لام العاقبة .

ولم يتكلم الطبري عن اللام التي في آية الأنفال ، وعنده أنَّ اللام التي في آية الإسراء بمعنى (إلا) ، وعلى هذا فــ (إن) تكون جحــداً ، أي : بمعنــى (مــا) ، والمعنى عنده : ما كان وعد ربنا من ثواب وعقاب إلا مفعولاً حقاً يقيناً .

ولم يذكر شيئاً عن اللام التي في آية الصافات ، أمَّا اللام التــي فــي آيــة الأعراف فقد ذكر في وجه دخولها في قوله : (لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ) مع استقباح العرب لذلك اختلاف أهل العربية ، حيثُ قال بعضهم : ذلك كما قال – جل ثناؤه – : (إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ)[1] أوصل الفعل باللام ، وقال بعضهم : أي : مــن أجــل ربهم يرهبون ، وقال بعضهم : إنَّما دخلت عقب الإضافة : الــذين هــم راهبــون لربهم ، وراهبوا ربهم ، ثُمَّ أدخلت اللام على هذا المعنى لأنَّها عقيب الإضــافة لا على التعليق ، وقال بعضهم : إنَّما فُعل ذلك لأن الاسم تقدم الفعل ، فحسن إدخــال اللام .

قال الطبري : والكلامُ واسعٌ[2] .

فوافقه ابن منظور في آية القصص ، ولا مقارنة بينهما فــي آيتــي الأنفــال والصافات ، وذكر الطبري أحد الوجهين اللَّذين أوردهما ابن منظور في اللام التي في آية الإسراء أمَّا اللام التي في آية الأعراف فقد وسع الطبري فيهــا الكــلام ، حيثُ ذكر ابن منظور أحد الوجوه التي أوردها الطبري في ذلك .

وقال الرازي في قوله : (لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوًّا وَحَزَنًا) : (فالمشهور أنَّ هذه اللام يُراد بها العاقبة قالوا : وإلا نقض قوله : (وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٍ لِّي وَلَكَ)[3] ، ثم قال الرازي : – مخالفاً لذلك – : واعلم أنَّ التحقيق مــا ذكــره صاحب "الكشاف" وهو أنَّ هذه اللام هي لام التعليل على سبيل المجاز ، وذلك لأنَّ

---

(١) سورة يوسف ، الآية (٤٣) .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٣٢/٢٠) ، (٢٣٤/٩) ، (١٨٠/١٥) ، (٦١/٢٣) ، (٧١/٩) .

(٣) سورة القصص ، الآية (٩) .

مقصود الشيء وغرضه يؤول إليه أمره ، فاستعملوا هذه اللام فيما يـؤول إليـه الشيء على سبيل التشبيه كإطلاق لفظ الأسد على الشجاع[1] .

ولم يتكلم الرازي عن اللام التي في قوله : (ليعذبهم) ، واللام التي في قوله : (لمفعولا) ، وكذلك اللام التي في قوله : (لتردين) .

أمَّا اللام التي في قوله : (لربهم يرهبون) فقد ذكر في فائدتها ثلاثة وجوه :

الأول : إنَّ تأخير الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفاً ، فدخلت اللام للتقوية .

الثاني : المعنى : للذين هم لأجل ربهم يرهبون ، لا رياءً ولا سمعة .

الثالث : قد يُزاد حرف الجر في المفعول ، وإن كان الفعل متعدياً ، كقولك : قرأتُ في السورة ، وقرأتُ السورة ، وألقي يده ، وألقي بيده .

فعلى هذا قوله : (لربهم) اللام صلة وتأكيد[2] .

وعلى هذا يمكن القول بأنَّ ابن منظور لم يتفق مع الرازي في شـيء مـن المواضع الخمسة .

ففى الموضع الأول ذكر الرازي قول ابن منظور الذي يقضي بأن هذه اللام هي لام العاقبة ، ثُمَّ فند هذا القول ، ورجَّح قول صاحب الكشاف ، وهو أنَّه هـذه اللام هي لام التعليل مجازاً .

أمَّا المواضع الثلاثة التي تلي ذلك فلا مقارنة فيها بينهما .

وفي الموضع الأخير ذكر الرازي ثلاثة وجوه للفائدة في دخول اللام في قوله (لربهم) ليس من بينهما القول الذي ذكره ابن منظور .

وقال القرطبي في اللام التي في آية القصص : (فـاللام فـي (ليكـون) لام العاقبة ولام الصيرورة ؛ لأنَّهم إنَّما أخذوه ليكون لهم قرة عين ، فكان عاقبة ذلـك أن كان لهم عدواً وحزناً ، فذكر الحال بالمال ، كما قال الشاعر :

وللمنايا تُربي كل مرضعة * ودورنا لخراب الدهر نبنيها

وقال آخر :

---

(١) انظر : الكشاف ، للزمخشري ، (٣٩٨/٣) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٩٥/٢٤) ، (١٢٧/١٥) ، (٥٨/٢١) ، (١٢١/٢٦) ، (١٤/١٥) .

فللموتِ تَغْذُو الوالداتُ سِخَالَهَا * كما لخراب الدهرِ تُبْنى المساكنُ)[(١)]

ولم يذكر القرطبي شيئاً عن اللام التي في آية الأنفال ، واللام التي في آية الإسراء ، وبيَّن أنَّ التي في آية الصافات هي الفارقة بينها وبين النافية .

وذكر في اللام التي في آية الأعراف أربعة أوجه : الثلاثة المتقدمة التي ذكرها الرازي وزاد عليها أنَّ هذه اللام هي متعلقة بالمصدر . المعنى : للذين هم رهبتهم لربهم[(٢)] .

وعلى هذا فلم يتفق ابن منظور مع القرطبي إلا في الموضع الأول ، أمَّا الموضعين اللَّذين يليانه فلا مقارنة فيهما بينهما ، وخالف ابن منظور القرطبي في الموضع الرابع . وذكر في الموضع الخامس عدة وجوه لمدلول اللام ، ليس فيها قول ابن منظور .

وقال ابن كثير في اللام التي في قوله : (فالتقطه) : (قال محمد بن إسحاق وغيره : اللام هنا لام العاقبة لا لام التعليل ؛ لأنَّهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك ، ولا شك أنَّ ظاهر اللفظ يقتضي ما قالوه ، ولكن إذا نظر إلى معنى السياق فإنَّه تبقى اللام للتعليل ؛ لأن معناه : إنَّ الله –تعالى– قيَّضهم لا لتقاطه ليجعله عدواً لهم وحزناً ، فيكون أبلغ في إبطال حذرهم منه)[(٣)] .

ولم يتعرض ابن كثير للكلام عن اللام التي في آية الأنفال واللام التي في آية الإسراء ، وكذلك اللام التي في آية الصافات .

وقال في اللام التي في آية الأعراف : (لِّلَّذِين هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) : ضمَّن الرهبة معنى الخضوع ولهذا عدَّاها باللام[(٤)] .

يُلاحظ ممَّا سبق أنَّه لا اتفاق بين ابن كثير وابن منظور في شيء ، فقد خالف ابن كثير ابن منظور في كون اللام التي في قوله (فالتقطه) هي لام التعليل، وليست لام العاقبة .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٥٢/١٣) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٣٩٩/٧) ، (٣٤١/١٠) ، (٨٤/١٥) ، (٢٩٣/٧) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣٨١/٣ ، ٣٨٢) .

(٤) انظر : المرجع السابق ، (٣٠٦/٢) ، (٦٩/٣) ، (٩/٤) ، (٢٥٠/٢) .

وخالفه أيضاً في مدلول اللام التي في آية الأعراف ، فذكر أنَّ الرهبة هنا بمعنى الخضوع ؛ ولهذا أضاف اللام في قوله (لربهم) .

أمَّا المواضع الثلاثة الأخرى فلا مقارنة فيها بينهما .

وذكر أبوحيان في "البحر المحيط" أنَّ اللام في (ليكون) للتعليل المجازي لما كان مال التقاطه وتربيته إلى كونه عدواً لهم وحزناً وإن كانوا لم يلتقطوه إلا للتبني، ويُعبر عن هذه اللام بلام العاقبة ولام الصيرورة .

وذكر في اللام التي في آية الأنفال أنَّها لام تأكيد ، ولم يذكر أنَّها لام الجحد .

وعنده أنَّ (إن) في قوله : (إن كان وعد ربنا لمفعولاُ) بمعنى قد .

أمَّا اللام التي في آية الصافات فلم يذكر فيها شيئاً .

وأمَّا اللام التي في آية الأعراف فقد ذكر أنَّها تقوية لوصول الفعل إلى مفعوله المتقدم ، ثم ذكر نحواً من الأقوال التي ذكرها المفسرون سابقاً ، وليس فيها قول ابن منظور(1).

يُلاحظ ممَّا سبق أنَّ أبا حيان جمع بين قول ابن منظور في أنَّ اللام في قوله (فالتقطه) هي لام العاقبة ، وبين قول غيره : إنَّها لام التعليل مجازاً ، وخالف ابن منظور في لام آية الأنفال ولام آية الأعراف ، وذكر أحد قوليه في اللام التي في آية الإسراء .

أمَّا لام آية الصافات فلا مقارنة فيها بينهما .

وجوه القراءات :

١/ آية القصص :

قرأ حمزة والكسائي وخلف : (وحُزْناً) بضم الحاء وجزم الزاي ، وقرأ الباقون بفتح الحاء والزاي ، وهما لغتان(2) .

---

(١) انظر : البحر المحيط ، لأبي حيان ، (١٠١/٧) ، (٤٨٣/٤) ، (٨٦/٦) ، (٣٤٧/٧) ، (٣٩٦/٤) .

(٢) انظر : النشر ، لابن الجزري ، (٢٥٥/٢ ، ٢٥٦) ، وانظر : الكافي في القراءات السبع ، لأبي عبدالله محمد بن شريح الرعيني الأندلسي ، تحقيق : أحمد محمود عبدالسميع الشافعي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، ص ١٧٧.

٢/ آية الصافات :

أثبت ورش الياء الزائدة في قوله : (لتردين) في الوصل ، وأثبتها في الحالين يعقوب[١].

سبب النزول :

آية الأنفال :

روى البخاري عن أنس – ﷺ – [٢] قال : قال أبو جهل بن هشام : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ، فنزلت : (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡ) الآية[٣] .

وأخرج ابن أبي حاتم[٤] عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : كان المشركون يطوفون بالبيت ، ويقولون : غفرانك غفرانك ، فأنزل الله : (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ) الآية[٥] .

---

(١) انظر : المرجع السابق الأول ، (٢٧٠/٢) . وانظر : اتحاف فضلاء البشر ، للدمياطي ، ص ٤٧٣ .

(٢) أنس : هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ، أبوحمزة الأنصاري الخزرجي ، خادم رسول الله – ﷺ – وأحد المكثرين من الرواية عنه ، خرج مع رسول الله – ﷺ – إلى بدر وهو غلام يخدمه . كان آخر الصحابة موتاً بالبصرة سنة (٩٠) وقيل : سنة (٩٣هـ) (انظر : الإصابة ، لابن حجر ، (١٢٦/١ – ١٢٨) ، وانظر : أسد الغابة ، لابن الأثير الجزري ، (١٧٧/١ – ١٧٩) .

(٣)أخرجه البخاري في : ٦٨– كتاب التفسير ، ١٤٤– باب (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) ، حديث رقم (٤٣٧٢) ، (١٧٠٥/٤) .

(٤) ابن أبي حاتم : هو عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ، أبومحمد الإمام ابن الإمام الحافظ أبي حاتم ، رحل في طلب الحديث إلى البلاد مع أبيه وبعده ، وصنف تصانيف عديدة ، منها : كتاب السنة والتفسير وكتاب الرد على الجهمية وفضائل أحمد . مات سنة (٣٢٧هـ) . (انظر : المقصد الأرشد في ذكر أصحاب أحمد ، لابن مفلح ، (١٠٥/٢) ، وانظر : سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، (٢٦٣/١٣)) .

(٥) انظر : تفسير ابن أبي حاتم ، لعبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ، تحقيق : أسعد محمد الطيب ، المكتبة العصرية ، صيدا ، (١٦٩١/٥) ، وانظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ١١١ .

المعنى العام للآيات :

١/ آية القصص :

(فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ) الالتقاط هو وجود الشيء من غير طلب (لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا) ، أي : موسى –عليه السلام– وهذه اللام تسمى لام العاقبة والصيرورة ؛ لأنَّهم لم يلتقطوه ليكون عدوّاً وحزناً ، ولكن صار عاقبة أمرهم إلى ذلك (إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ) ، أي : عاصين آثمين[(١)] .

٢/ آية الأنفال :

(وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ) ، أي : الكفار إكراماً للنبي – ﷺ – (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ) ، أي : لو آمنوا واستغفروا ، فإنَّ الاستغفار أمان من العذاب . قال بعض السلف : كان لنا أمانان من العذاب ، هما : وجود النبي – ﷺ – والاستغفار ، فلما مات النبي – ﷺ – ذهب الأمان الواحد وبقي الآخر . وقيل : الضمير في (ليعذبهم) للكفار ، وفي (هم يستغفرون) للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم[(٢)] .

٣/ آية الإسراء :

(وَيَقُولُونَ) أي : صالحي أهل الكتاب الذين تمسكوا بكتابهم ولم يبدلوه ولا حرفوه : (سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا) ، أي : تعظيماً وتوقيراً على قدرته التامة ، وأنَّه لا يخلف الميعاد الذي وعدهم على ألسنة الأنبياء المتقدمين عن بعثة محمد – ﷺ – [(٣)].

---

(١) انظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٤٣٦/٣) .

(٢) انظر : التسهيل ، للكلبي ، (٦٥/٢) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٦٩/٣) .

٤/ **آية الصافات :**

(قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ) ، أي : قال ذلك القائل من أهل الجنة لقرينه في الدنيا : تالله إن كدت لتهلكني بدعائك إياي إلى إنكار البعث والقيامة(١) .

٥/ **آية الأعراف :**

(وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ) ، أي : سكن غضبه بسبب الذين اتخذوا العجل ، ولمَّا تراجعت نفسه اشتغل بأهم الأشياء عنده ، فأخذ الألواح التي ألقاها (أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدًى وَرَحۡمَةٌ) ، وهي ألواح جليلة عظيمة المقدار ، ومشتملة على الهدى من الضلالة ، وبيان الحق من الباطل ، ورحمة وسعادة لمن عمل بها وعلم أحكامها ومعانيها ، ولا يتلقى ذلك بالقبول إلا (لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ) ، أي : يخافون منه ويخشونه(٢) .

النص رقم : (**٢٣٥**) **و** (**١٣٦**) **و** (**٢٣٧**) **و** (**٢٣٨**) **و** (**٢٣٩**)

يقول تعالى : [بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا](٣).

ويقول تعالى : [...وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ](٤) .

ويقول تعالى : [...وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا...](٥) .

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٢١/٢٦) .

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ٣٠٤ .

(٣) سورة الزلزلة ، الآية (٥) .

(٤) سورة المؤمنون ، الآية (٦١) . وتمام الآية : [أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ] .

(٥) سورة يوسف ، الآية (١٠٠) . وتمام الآية : [وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ] .

ويقول تعالى : [فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُ ۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ...][1] .

ويقول تعالى : [إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ ۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا ۚ ...][2] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (وتجئ اللام بمعنى إلى وبمعنى أجْل . قال الله – تعالى–: (بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا) ، أي : أوحى إليها ، وقال تعالى : (وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ) ، أي : وهم إليها سابقون ، وقيل في قوله تعالى : (وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا) ، أي : خروا من أجله سجداً ، كقولك : أكرمتُ فُلاناً لك ، أي : من أجلك . وقوله تعالى : (فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُ ۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ) معناه : فإلى ذلك فادع . قاله الزجَّاج وغيره ... وعن أبي العباس* أنه سئل عن قوله – عزَّ وجل – : (إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ ۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا) ، أي : جعل اللام بمعنى على)[3] .

دراسة النصوص :

ذكر الطبري أنَّ اللام التي في آية الزلزلة بمعنى إلى ، وأورد في اللام التي في آية المؤمنون ثلاثة أقوال ، الأول : إنَّ المعنى : سبقت لهم من الله السعادة فذلك سبوقهم الخيرات التي يعملونها .

الثاني : ذلك بمعنى : وهم إليها سابقون .

الثالث : المعنى : وهم من أجلها سابقون .

---

(١) سورة الشورى ، الآية (١٥) . وتمام الآية : [فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُ ۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ ۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ ۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ ۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا ۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ].

(٢) سورة الإسراء الآية (٧) . وتمام الآية : [إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ ۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا] .

* يريد : أبا العباس أحمد بن يحيى بن سيار ، ثعلب الشيباني ، وقد سبقت ترجمته .

(٣) لسان العرب ، مادة (لوم) ، (١٢/٥٦٤) .

ثُمَّ رجح الطبري القول الأول ، ونسبه إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – وهو أنَّ المعنى سبقت لهم من الله السعادة قبل مسارعتهم في الخيرات . قال : وإنَّه لا حاجة بنا إذا وجهنا تأويل الكلام إلى ذلك إلى تحويل معنى اللام التي في قوله : (وهم لها) إلى غير معناه الأغلب عليها .

ولم يُفسّر الطبري اللام التي في آية يوسف إلا باللام نفسها ، وذكر في لام الشورى ولام الإسراء أنهما بمعنى إلى[1] .

وعلى هذا يكون ابن منظور موافقاً للطبري في مدلول اللام التي في آية الزلزلة ، واللام التي في آية الشورى فقط ، أما اللامات التي في آيات المؤمنون ويوسف والإسراء فقد خالفه فيها .

ويرى الرازي أنَّ اللام التي في آية الزلزلة قد تكون بمعنى (إلى) أو بمعنى (أجل) ، يجوز عنده الأمرين .

وكذلك اللام التي في المؤمنون يرى أنَّها بمعنى (أجل) أو باللام نفسها ، وعنده أنَّ اللام التي في آية يوسف بمعنى أجل ، وفسر اللام التي في آية الشورى بأن معناها (إلى) ، وجعل اللام التي في الإسراء بمعنى على[2] .

فيكون ابن منظور موافقاً للرازي في مدلول اللام التي في الزلزلة في الوجه الأول الذي ذكره الرازي ، وخالفه في مدلول لام المؤمنون ، إلا أنَّه وافقه في مدلول اللام التي في يوسف ، واللام التي في الشورى ، وكذلك اللام التي في الإسراء .

وذكر القرطبي أنَّ اللام التي في آية الزلزلة معناها إلى ، والعرب تضع الصفة موضع إلى .

ويرى القرطبي أنَّ اللام التي في آية المؤمنون أيضاً بمعنى إلى ، ثم ذكر الأقوال الأخرى في ذلك ، وهي التي نقلها الرازي .

ولم يتكلم القرطبي عن مدلول اللام التي في آية يوسف ، وجعل اللام التي في الشورى بمعنى إلى ، واللام التي في الإسراء بمعنى على[3] .

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٦٦/٣٠) ، (٣٤/١٨) ، (٦٨/١٣) ، (١٧/٢٥) ، (٣١/١٥) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٥٧/٣٢) ، (٩٤/٢٣) ، (١٦٩/١٨) ، (١٣٦/٢٧) ، (١٢٧/٢٠) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٤٩/٢٠) ، (١٣٣/١٢) ، (٢٦٤/٩) ، (١٣/١٦) ، (١٢٧/٢٠) .

فوافق ابن منظور القرطبي في جميع هذه المواضع إلا موضع يوسف فلا مقارنة فيه بينهما لسكوت القرطبي .

وذكر ابن كثير في آية الزلزلة قول من قال : اللام فيها بمعنى (إلى) ، ثُمَّ بيَّنت أنَّ الظاهر أنَّ هذا مضمَّن بمعنى : أذن لها ، فهو بذلك يرى أن المراد اللام نفسها وليس معنى إلى .

ولم يتعرض ابن كثير لمدلول اللام في آية المؤمنون ، كما لم يفسر اللام التي في يوسف إلا باللام نفسها ، أمَّا لام الشورى فقد جعلها بمعنى إلى ، وجعل لام الإسراء بمعنى على(١) .

إذاً فقد خالف ابن كثير ابن منظور في مدلول لام الزلزلة ولام يوسف ، ووافقه في مدلول لام الشورى ولام الإسراء ، ولا مقارنة بينهما في مدلول اللام في آية المؤمنون .

ويرى البيضاوي أنَّ اللام في قوله : (أوحى لها) بمعنى إلى أو على أصلها ، وأنَّ اللام في قوله : (وهم لها سابقون) بمعنى : أجل أو بمعنى إلى ، أو أنَّ المعنى: سابقونها بدون لام .

كما يرى أنَّ اللام على أصلها في آية يوسف ، أو بمعنى أجل ، وبمعنى إلى في آية الشورى ، وبمعنى على في آية الإسراء(٢) .

إذن فالبيضاوي يذكر في آيات الزلزلة والمؤمنون ويوسف قول ابن منظور ويزيد عليه بالاحتمالات الأخرى ، فوسع في المعنى .

ويتفق معه ابن منظور في موضعي الشورى والإسراء .

المعنى العام للآيات :

١/ آية الزلزلة :

(بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا) ، أي : أوحى إليها ، والمعنى : إنَّ الأرض أخبرت بوحي الله إليها أن تتحدث بأخبارها وما عُمِل فيها . والوحي على وجهين ،

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ، (٥٤٠/٤) ، (٢٤٩/٣) ، (٤٩٢/٢) ، (١١٠/٤) ، (٢٦/٣) .

(٢) انظر : أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، (١٨/٥) ، (١٦٠/٤) ، (٣٠٩/٣) ، (١٢٥/٥) ، (٤٣٣/٣) .

أحدهما : وحى الله إلى أنبيائه ، والآخر بمعنى الإلهام ، مثل قوله تعالى : (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ)(١)، وقوله تعالى:(أوحى لها)،أي : ألهمها أن تتحدث(٢) .

٢/ آية المؤمنون :

(أُوْلَٰٓئِكَ) إشارة إلى المؤمنين المتصفين بصفات ذُكرت في الآيات السابقة (يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ) يبادرون بها ، وقيل : ينافسون فيها ، وقيل : يسابقون ، (وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ) اللام للتقوية ، والمعنى : هم سابقون إياها ، أو اللام بمعنى إلى كما في قوله : (بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا) أي : أوحى إليها(٣) .

٣/ آية يوسف :

(وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ) أي : على سريره في تفسير قتادة (وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا) . قال قتادة : وكان السجود تحية من كان قبلنا ، فأعطى الله هذه الأمة السلام ، وهو تحية أهل الجنة (وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ) ، أي : هذا السجود تحقيق رؤياي (مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ) يعنى صدقاً (وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ) وكانوا بأرض كنعان (مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ) يعنى : أزاغ (إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ) حيث أخرجه من السجن ومن البئر ، وجمع بينه وبين أهل بيته بعد التفريق (إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ)(٤) .

---

(١) سورة النحل ، الآية (٦٨) .

(٢) انظر : تفسير القرآن ، للسمعاني ، (٦/٢٦٨) .

(٣) انظر : فتح القدير ، للشوكاني ، (٣/٤٨٨) .

(٤) انظر : تفسير مقاتل بن سليمان ، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير ، تحقيق: أحمد فريد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ ، (٢/١٦٣) .

٤/ آية الشورى :

يقول تعالى ذكره : فإلى ذلك الدين الذي شرع لكم ، ووصى به نوحاً ، وأوحاه إليك يا محمد فادع عباد الله ، واستقم على العمل به ، ولا تُزغ عنه ، واثبت عليه كما أمرك ربك بالاستقامة ، ولا تتبع أهواء الذين شكوا في الحق الذي شرعه الله لكم ، وقل لهم : صدَّقتُ بما أنزل الله من كتاب كائناً ما كان ، وأمرني ربي أن أعدل بينكم معشر الأحزاب ، الله مالكنا وما لكم معشر الأحزاب من أهل الكتابين: التوراة والإنجيل ، لنا ثواب ما اكتسبناه من الأعمال ، ولكم ثواب ما اكتسبتم منها ، لا خصومة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا يوم القيامة فيقضي بيننا بالحق فيما اختلفنا فيه ، وإليه المعاد والمرجع بعد مماتنا(١) .

٥/ آية الإسراء :

(إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ) أي : بالطاعة ، والخطاب لبني إسرائيل (أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ) لأنَّ ثوابه لها . (وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ) بالفساد (فلها) ، أي : فعليها إساءتكم. (فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ) المرة (ٱلۡأٓخِرَةِ) بعثناهم ، (لِيَسُـٔۥاْ وُجُوهَكُمۡ) أي : يحزنوكم بالقتل والسبي حزناً يظهر في وجوهكم . (وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ) ، أي : بيت المقدس فيخربوه (كَمَا دَخَلُوهُ) وخربوه (أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ) يُهلكوا (مَا عَلَوۡاْ) غلبوا واستولوا عليه (تَتۡبِيرًا) هلاكاً(٢) .

النص رقم (٢٤٠)

يقول تعالى :[مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ] (٣) .

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٧/٢٥ ، ١٨) .

(٢) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي، ص ٣٦٧ . وانظر : مدارك التنزيل ، للنسفي ، (٢٧٩/٢).

(٣) سورة الحشر ، الآية (٥) . وتمام الآية : [مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَـٰسِقِينَ] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (واللَّوْنُ : الدَّقْلُ ، وهو ضربٌ من النخل ... قال الفرَّاء : كل شيء من النخل سوى العجوة فهو من اللين ، واحدته لِينَةٌ ... قال ابن الأثير : اللَّونُ : نوعٌ من النخل ، قيل : هو الدَّقَل ، وقيل : النخل كله ما خلا البَرْنِيّ والعجوة ، يسميه أهل المدينة الألوان ، واحدتها لينة ، وأصله لِوْنَة ، فقلبت الواو ياء لكسرة اللام[1])[2].

دراسة النص :

ذكر الطبري اختلاف أهل التأويل في معنى اللينة ، فأورد لهم أربعة أقوال :

أولاها : هي جميع أنواع النخل سوى العجوة .

ثانيها : هي النخل كله العجوة منه وغير العجوة .

ثالثها : هي لون من النخل .

رابعا : هي كرام النخل .

ثُمَّ صَوَّبَ الطبري قول من قال : اللينة هي من ألوان النخل ما لم تكن عجوة، وهو القول الأول[3] .

فخالفه ابن منظور في ذلك ، لاختياره أنَّ اللون هو الدَّقل ، وهو ضرب من النخل ، ولعل ذلك هو القول الثالث الذي ذكره الطبري .

ويُلاحظ أيضاً أنَّ الطبري أكثر توسعاً في ذكر معنى اللينة من ابن منظور .

وذكر الرازي في معنى اللينة قولين : الأول – ونسبه إلى أبي عبيدة – : إنَّ اللينة هي النخلة ما لم تكن عجوة أو برنية . الثاني : إنَّها كرام النخل[4] .

وعلى هذا فلم يذكر الرازي القول الذي اختاره ابن منظور ، وهو أنَّ اللينة هي الدقل ، وهو ضربٌ من النخل .

---

(١) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، مادة (لون) ، (٢٧٨/٤ ، ٢٧٩) .

(٢) لسان العرب ، مادة (لون) ، (٣٩٣/١٣ ، ٣٩٤) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٣٢/٢٨ ، ٣٣) .

(٤)انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٤٦/٢٩) .

وذكر القرطبي أنَّ اللين هو نخيل اليهود[١] ، فخالفه ابن منظور في ذلك .

وذكر ابن كثير أنَّ اللين نوع من التمر ، وهو جيد ، ثم ذكر الأقوال الأخرى[٢] ولعله بقوله ذلك يتفق مع ابن منظور الذي يرى أنه ضرب من النخل، وسمَّاه الدقل .

وفي تفسير الصنعاني عن قتادة أن اللينة هي ألوان النخل كلها إلا العجوة[٣]. وهذا القول يوافقه فيه الطبري ، ويخالفه فيه ابن منظور .

سبب النزول :

أورد ابن جرير الطبري ما ذُكر في سبب نزول هذه الآية،وهو أنَّ رسول الله – ﷺ – لمَّا قطع نخل بني النضير وحرقها، قالت بنو النضير لرسول الله – ﷺ– : إنَّك كنت تنهى عن الفساد وتعيبه ، فما بالك تقطع نخلنا وتحرقها؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فأخبرهم أنَّ ما قطع من ذلك رسول الله أو ترك فعن أمر الله فعل .

وقال آخرون : بل نزل ذلك لاختلاف كان من المسلمين في قطعها وتركها[٤] وأخرج البخاري وغيره عن ابن عمر أن رسول الله – ﷺ – حرق نخل بني النضير وقطع ، وهي البويرة* ، فأنزل الله : (مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا...) الآية[٥] .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٦/١٨) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣٣٤/٤) .

(٣) انظر : تفسير القرآن ، للصنعاني ، (٢٨٣/٣) .

(٤) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٣٤/٢٨) .

* البُوَيْرة : بضم الموحدة ، مصغر بؤرة وهي الحفرة ، وهي هاهنا مكان معروف بين المدينة وبين تيماء كان به نخل بني النضير ، وهي من جهة قبلة مسجد قباء إلى جهة الغرب ، ويُقال لها أيضاً البويلة باللام بدل الراء . (انظر : فتح الباري ، لابن حجر ، (٣٣٣/٧) ، وانظر : عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري ، لبدر الدين محمود بن أحمد العيني ، دار إحياء التراث ، بيروت ، (١٢٨/١٧) ، وانظر : أضواء البيان ، للشنقيطي ، (٢٨/٨)) .

(٥) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص (٢٠٨ ، ٢٠٩) . والحديث أخرجه البخاري في : ٦٨- كتاب التفسير ، ٣٦٢- باب (ما قطعتم من لينة) ، حديث رقم (٤٦٠٢) ، (١٨٥٢/٤) . وأخرجه مسلم في : ٣٢- كتاب الجهاد والسير ، ١٠- باب جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها ، حديث رقم (١٧٤٦) ، (١٣٦٥/٣) .

المعنى العام للآية :

أخبر الله –تعالى– في هذه الآية أنَّ كل ما جرى من المؤمنين من قطع لنخيل يهود بني النضير لمَّا حاصروهم ، وإحراق بعض الأشجار المثمرة أو تركها قائمة على سوقها إنَّما كان بأمر الله –تعالى– وإرادته وضاه وليُخزى الفاسقين ، أي : وليغيظ اليهود ويذلهم بقطع أشجارهم ونخيلهم(١).

النص رقم (٢٤١) و (٢٤٢)

يقول تعالى : [...لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ ...](٢) .

ويقول تعالى : [...وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ...](٣) .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (والألْوَى : الشديدُ الخصومة ، الجَدِلُ السَّلِيطُ ، وهو أيضاً المتفرِّدُ المعْتزِلُ ... وفي التنزيل العزيز في ذكر المنافقين : (لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ) ولَوَوْا . قرئ بالتشديد والتخفيف . ولَوَّيْتُ أعناقَ الرجالِ في الخصومة ، شُدِّد للكثرة والمبالغة ... وألوى الرجل برأسه ، ولَوَى رأسه : أمال وأعرض ، وألوى برأسه، ولوى برأسه : أماله من جانب إلى جانب ... وقوله تعالى : (وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ) بواوين . قال ابن عباس – ﷺ – : هو القاضي يكون لَيُّه وإعراضُهُ لأحد الخصمين على الآخر ، أي : تشدده وصلابته ، وقد قرئ بواو واحدة

---

(١) انظر : صفوة التفاسير ، لمحمد على الصابوني ، (٣٤١/٣) .

(٢) سورة المنافقون ، الآية (٥) . وتمام الآية : [وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ] .

(٣) سورة النساء ، الآية (١٣٥) . وتمام الآية : [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا] .

مضمومة اللام من ولَيْتُ . قال مجاهد : أي : أن تَلُوا الشهادة فتقيموها ، أو تعرضوا عنها فتتركوها) [١] .

دراسة النصين :

ذكر الطبري أن معنى قوله : (لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ) : حرَّكوها وهزموها استهزاءً برسول الله – ﷺ – واستغفاره .

ثُمَّ ذكر قراءتين لقوله : (لووا) ، أحدهما بتشديد الواو على أنَّهم كرَّروا هز رؤوسهم وتحريكها وأكثروا ، وثانيهما بتخفيف الواو على وجه أنَّهم فعلوا ذلك مرةً واحدة .

ثم صوَّب الطبري القراءة بالتشديد لإجماع الحجة من القراء عليه .

وذكر في معنى قوله : (وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ) قولين لأهل التأويل :

الأول : هو ما نسبه ابن منظور إلى ابن عباس رضي الله عنهما .

الثاني : إنَّ معنى ذلك : وإن تلوو أيها الشهداء في شهاداتكم ، فتحرفوها ولا تقيموها ، أو تعرضوا عنها فتتركوها .

ثُمَّ صَوَّبَ الطبري هذا القول الثاني ، وذكر القراءة الأخرى بالواو على أنَّ المعنى : تلوا من الولاية[٢] .

فوافقه ابن منظور في الموضع الأول ، ولم يخالفه في الموضع الثاني ، إلا أنَّ الطبري أكثر تفصيلاً من ابن منظور .

ولم يتعرض الرازي لمعنى المفردة في قوله : (لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ) بالشرح والبيان ، لكنه ذكر القراءتين الواردتين فيها ، وهما : تشديد الواو وتخفيفها ، على أنَّ المراد بالتشديد الكثرة والمقصود واحد .

وذكر القراءتين كذلك في قوله : (تلووا) ، الأولى بواوين على معنى الدفع والإعراض ، أو معنى التحريف والتبديل .

---

(١) لسان العرب ، مادة (لوي) ، (١٥/٢٦٤ ، ٢٦٥) .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٨/١٠٨) ، (٥/٣٢٣) .

والقراءة الثانية بواو واحدة ــ أي : تلوا ، على أنَّ ولاية الشيء إقبال عليه واشتغال به ، والمعنى : أن تقبلوا عليه فتتموه أو تعرضوا عنه[1] .

وعلى هذا فلا خلاف من حيث المعنى بين الرازي وابن منظور .

وذكر القرطبي أنَّ معنى (لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ) : حركوها استهزاءً وإباء ، ثم أورد القراءتين الواردتين في ذلك .

وأورد أيضاً القراءتين في قوله (تلووا) ، فذكر في القراءة بواوين قول ابن عباس الذي نقله ابن منظور ، وبين أنَّ المعنى على القراءة بواو واحدة : قمتم بالأمر من الولاية ، فيكون في الكلام معنى التوبيخ للإعراض عن القيام بالأمر[2].

وعلى هذا فلا خلاف أيضاً بين القرطبي وابن منظور .

وفسر ابن كثير قوله : (لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ) بأنَّهم صدوا وأعرضوا عما قبل لهم استكباراً عن ذلك واحتقاراً له ، إلا أنَّ ابن كثير لم يذكر وجوه القراءات .

ولم يذكر وجوه القراءات كذلك في قوله : (تلووا) ، وذكر أنَّ المعنى على قول مجاهد وغيره : تحرفوا الشهادة وتغيروها ، واللَّي هو التحريف وتعمد الكذب[3].

ففي الموضع الأول لا خلاف بين ابن كثير وابن منظور ، أمَّا في الموضع الثاني فلا اتفاق بينهما .

ولعلَّ القول الذي ذهب إليه ابن كثير من أنَّ المراد هنا تحريف الشهادة وتغييرها أقرب إلى الصواب ، لأنَّ في أول هذه الآية من سورة النساء أمرٌ بالعدل في الشهادة فهذا أقرب من أن يكون المراد لي القاضي وإعراضه لأحد الخصمين على الآخر .

وذكر الألوسي أنَّ معنى (لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ) عطفوها ، وهو كناية عن التكبر والإعراض، وذكر القراءتين في ذلك ، وبيَّن أنَّ القراءة بالتشديد يُراد بها التكثير .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٥/٣٠) ، (٥٩/١١) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٢٦/١٨ ، ١٢٧) ، (٤١٣/٥ ، ٤١٤) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣٧٠/٤) ، (٥٦٦/١) .

وبيَّن أنَّ معنى (تلووا) ، أي : تلووا ألسنتكم عن الشهادة ، بأن تأتوا بها على غير وجهها ، وذكر القراءة الأخرى بواو واحدة ، ومعناها : مباشرة الشهادة[1].

فلا خلاف بينه وبين ابن منظور في الموضع الأول ، إلا أنَّه خالف ابن منظور في الموضع الثاني كما فعل ابن كثير .

وجوه القراءات :

١/ آية المنافقون :

قوله : (لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ) قرأ نافع : (لَوَوْا) بتخفيف الواو ، وقرأ الباقون (لوَّوْا) بتشديدها[2] .

٢/ آية النساء :

قوله : (وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ) . قرأ حمزة وابن عامر : (وإن تَلُوا أو تعرضوا) بواو واحدة ، مع ضم اللام ، وقرأ الباقون : (وإن تلووا) بواوين ، مع سكون اللام[3].

سبب النزول :

آية المنافقون :

قال السيوطي : (أخرج ابن جرير عن قتادة قال : قيل لعبدالله بن أُبي : لو أتيت النبي – ﷺ – فاستغفر لك ، فجعل يلوى رأسه ، فنزلت فيه : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ) الآية) [4].

---

(١) انظر : روح المعاني ، للألوسي ، (١١٢/٢٨ ، ١١٣) ، (١٦٨/٥) .

(٢) انظر : الكافي في القراءات السبع ، لمحمد بن شريح الرعيني ، ص ٢١٧ ، وانظر : السبعة في القراءات ، لابن مجاهد البغدادي ، ص ٦٣٦ .

(٣) انظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص ٢١٥ .

(٤) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ٢١٣ ، وانظر : جامع البيان ، للطبري ، (١١٠/٢٨) .

المعنى العام للآيتين :

١/ آية المنافقون :

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ) ذلك أنَّه قيل لعبدالله بن أُبي : لقد نزلت فيك آي شداد ، فاذهب إلى رسول الله – ﷺ – يستغفر لك ، فلوَّى رأسه وأعرض بوجهه إظهاراً للكراهة (وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ) يعرضون عمَّا دُعوا إليه (وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ) لا يستغفرون[١].

٢/ آية النساء :

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ) أمر الله المؤمنين أن يقولوا بالحق ولو على أنفسهم أو آبائهم أو أبنائهم لا يحابوا غنياً لغناه ، ولا يرحموا مسكيناً لمسكنته ، ولهذا قال : (شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ) فتذروا الحق فتجوروا . (وَإِن تَلْوُۥٓاْ) يعنى ألسنتكم بالشهادة (أَوْ تُعْرِضُواْ) أي : تتركوها فلا تقيموها (فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) فيجازيكم به[٢] .

النص رقم (٢٤٣)

يقول تعالى:[...وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ...][٣].

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (لاتَه حَقَّه يَليتُه ليتاً وألاته : نَقَصَه ... وفي التنزيل العزيز : (وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ) . قال الفرّاء : معناه لا يَنْقُصكم ، ولا يظلمكم من أعمالكم شيئاً[٤])[٥].

---

(١) انظر : الوجيز ، للواحديّ ، (١٠٩٩/٢) .

(٢) انظر: الدر المنثور، للسيوطي، (٧١٤/٢ ، ٧١٥)، وانظر:تفسير الجلالين،للمحلي والسيوطي،ص ١٢٧ .

(٣) سورة الحجرات ، الآية (١٤). وتمام الآية : [قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ].

(٤) انظر : معاني القرآن ، للفرّاء ، (٧٤/٣) .

(٥) لسان العرب ، مادة (ليت) ، (٨٦/٢) .

دراسة النص :

قال الطبري في بيان معنى قوله : (لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ) : (يقول : لا يظلمكم من أجور أعمالكم شيئاً ، ولا ينقصكم من ثوابها شيئاً) [(١)].

فوافقه ابن منظور في المعنى اللغوي للمفردة .

ووافق أيضاً الرازي الذي قال : (لا يلتكم ، أي : لا ينقصكم) [(٢)].

كما وافق القرطبي كذلك ، حيثُ قال : (لا يلتكم : أي : لا ينقصكم من أعمالكم شيئاً ، لاته يليته ويلوته : نقصه) [(٣)].

ووافقه ابن كثير أيضاً ، حيثُ فسر المفردة بقوله : أي : لا ينقصكم من أجوركم شيئاً[(٤)].

وفي تفسير مجاهد جاء معنى قوله (لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا) : يقول لا ينقصكم من أعمالك شيئاً ولا يظلمكم[(٥)].

فتطابق تفسير ابن منظور لهذه المفردة مع تفسيره .

وجوه القراءات :

اختلفوا في قوله : (ولا يلتكم) ، فقرأ البصريان* : (يألتكم) بهمزة ساكنة بين الياء واللام ، ويبدلها أبوعمرو على أصله في الهمز الساكن . وقرأ الباقون بكسر اللام من غير همز[(٦)].

---

(١) جامع البيان ، للطبري ، (١٤٣/٢٦) .

(٢) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٢٢/٢٨) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣٤٨/١٦) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٢٠/٤) .

(٥) انظر : تفسير مجاهد ، لأبي الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي ، تحقيق : عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي ، المنشورات العلمية ، بيروت ، (٦٠٨/٢) .

* البصريان سبقت الترجمة لهما ، وهما : أبو عمرو زيَّان بن العلاء البصري ، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري . (انظر : البدور الزاهرة ، لعبدالفتاح القاضي ، (١٤/١) ، وانظر : تاريخ القراء العشرة ورواتهم ، لعبدالفتاح القاضي ، مكتبة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، ص (١٩ ، ٤٢) .

(٦) انظر : النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، (٢٨١/٢) ، وانظر : التحفة المرضية ، لمحمد إبراهيم ، (٥٠٢/٢) .

سبب النزول :

ذكر الطبري والسيوطي والواحدي أنَّ هذه الآية نزلت في أعراب من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله – ﷺ – بالمدينة في سنة جدبة ، وأظهروا الشاهدتين ، ولم يكونوا مؤمنين في السر ، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات ، وأغلوا أسعارها ، وكانوا يقولون لرسول الله – ﷺ – : أتيناك بالأثقال والعيال ، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان ، فأعطنا من الصدقة ، وجعلوا يمنون عليه ، فأنزل الله – تعالى – فيهم هذه الآية(١) .

المعنى العام للآية :

(قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّا) ، أي : بعض الأعراب ، لأنَّ منهم من يؤمن بالله واليوم الآخر ، والمراد أعراب بني أسد قدموا المدينة في سنة جدبة فأظهروا الشهادتين يُريدون الصدقة ، ويمنون على النبي – ﷺ – (قُل) لهم يا محمد (لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ) ، أي : لم تصدقوا بقلوبكم (وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا) فالإيمان هو التصديق ، والإسلام : لدخول في السلم ، والخروج من أن يكون حرباً للمؤمنين بإظهار الشهادتين . (وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ) فما يكون من الإقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو إسلام ، وما واطأ فيه القلب اللسان فهو إيمان ، وهذا من حيث اللغة ، وأمَّا في الشرع فالإيمان والإسلام واحد ، وفي (لمَّا) معنى التوقع، وهو دال على أن بعض هؤلاء قد آمنوا فيما بعد* (وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ) في

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٤١/٢٦) ، وانظر : الدر المنثور ، للسيوطي ، (٥٨٣/٧) . وانظر : أسباب النزول ، للواحدي ، ص ٤١٣ .

* قال النسفي : والآية تنقض على الكرامية مذهبهم أنَّ الإيمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان . (انظر : مدارك التنزيل ، للنسفي ، (١٦٨/٤)) . وقالت الكرامية : الإيمان هو الإقرار المجرد باللسان فحسب ، حتى إنَّ من أقر باللسان ، وأضمر الكفر فهو مؤمن حقاً ، ويستحق الخلود في النار ، ولو أضمر الإيمان ولم يظهره فليس بمؤمن ويدخل الجنة . (انظر في مذهب الكرامية : شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي ، ص ٣٣١ ، وانظر الغنية في أصول الدين ، لأبي سعيد عبدالرحمن بن محمد المتولى الشافعي ، تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧م ، ص ١٧٣ ، وانظر : كتاب المواقف في علم الكلام ، لعضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجي ، تحقيق : عبدالرحمن عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م ، (٥٢٧/٣)) .

السر بترك النفاق (لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَـٰلِكُمۡ شَيۡـًٔا) ، أي : لا ينقصكم من ثواب حسناتكم شيئاً.(إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ) يستر الذنوب (رحيم) بهدايتهم للتوبة عن العيوب[1].

النص رقم (٢٤٤)

يقول تعالى : [وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ][2] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (وإلْياسُ وألياس : اسم . قال ابن سيده : أراه عبرانياً ، جاء في التفسير أنَّه إدريس[3] ، ورُوى عن ابن مسعود : (وإنَّ إدريس) مكان : (وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ)[4])[5].

دراسة النص :

ذكر الطبري في تفسيره هذه الآية نسب إلياس – عليه السلام – فقال : وهو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران .

ثُمَّ قال : وقيل : إنه إدريس ، ونسب هذا القول إلى قتادة .

ويظهر من كلامه أنَّه يخالف هذا القول الثاني الذي يقضي بأن إلياس هو إدريس عليه السلام [6].

فخالفه بهذا القول ابن منظور الذي نقل هذا القول الثاني دون أن يرد عليه .

---

(١) انظر : المرجع السابق الآول ، (١٦٧/٤ ، ١٦٨) ، وانظر : الوجيز ، للواحديّ ، (١٠١٩/٢) .

(٢) سورة الصافات ، الآية (١٢٣) .

(٣) جاء في "البداية والنهاية" : نقل عن ابن مسعود أنَّه قال : إلياس هو إدريس ، وإليه ذهب الضحاك بن مزاحم ، وحكاه قتادة ومحمد بن إسحاق ، والصحيح أنه غيره والله أعلم .

(انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير ،(٣٣٩/١)) .

(٤) انظر : المحكم والميحط الأعظم ، لابن سيده ، مادة (ليس) ، (٥٨٠/٨) .

(٥) لسان العرب ، مادة (ليس) ، (٢١٣/٦) .

(٦) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٩١/٢٣) .

وقال الرازي : (يُروى عن ابن مسعود أنَّه قرأ : (وإنَّ ادريس) ، وقال : إنَّ إلياس هو إدريس ، وهذا قول عكرمة ، وأمَّا أكثر المفسرين فهم متفقون على أنَّه نبي من أنبياء بني إسرائيل ، وهو إلياس بن ياسين ، من ولد هارون أخي موسى عليه السلام)[1].

فحكى الرازي هذين القولين دون أن يصرح باختياره منهما ، وأمَّا ابن منظور فقد ذكر قولاً واحداً ، وهو ما نُسِب إلى ابن مسعود – ﷺ – ، ولم يرده ، فدلَّ على أنه اختياره .

وما قيل في الرازي يقال في القرطبي ، حيث أورد القرطبي في تفسير هذه الآية قول المفسرين ،وما نُسب إلى ابن مسعود في التعريف بسيدنا إلياس عليه السلام .

وزاد القرطبي على الرازي قول ابن عباس – رضي الله عنهما – ، وهو أن إلياس عم اليسع عيهما السلام[2].

وكذلك ابن كثير أورد قول ابن مسعود – ﷺ – ونسبه أيضاً إلى قتادة ومحمد بن إسحق والضحاك ، أمَّا قول المفسرين الذي يقضي بأن سيدنا إلياس غير سيدنا إدريس فقد نسبه إلى وهب بن منبه[3] الذي ذكر نسب سيدنا إلياس – عليه السلام – كما أورد الطبري[4] .

ولم يُرجح ابن كثير كذلك بين هذين القولين .

---

(١) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٤٠/٢٦) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١١٥/١٥) .

(٣) وهب بن منبه : هو وهب بن منبه بن كامل بن سيد بن ذى كبار ، الإمام العلامة ، الأخباري القصصي ، أبو عبدالله الأبناوي اليماني الذماري الصنعاني ، أخو همام بن منبه ومعقل بن منبه وغيلان بن منبه. ولد في زمن سيدنا عثمان سنة (٣٤هـ) . روايته للمسند قليلة ، ولكن غزارة علمه في الإسرائيليات ومن صحائف أهل الكتاب . مات سنة (١١٤هـ) ، وقيل : سنة (١١٣هـ) . (انظر : سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي ، (٥٤٤/٤) ، وانظر : الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، (٥٤٣/٥)) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٠/٤) .

ويرى أبوحيان أنَّ تفسير ابن مسعود إلياس بأنَّه إدريس لعله لا يصح عنـــه ؛ لأن إدريس – عليه السلام – في التاريخ المنقول كان قبل نوح – عليه السلام – ، وفي سورة الأنعام* ذُكِر إلياس وأنَّه من ذرية إبراهيم أو من نوح عليه السلام (١).

فخالف أبوحيان بهذا القول ابن منظور الذي أورد ما نُسِب إلى ابن مســعود وغيره، ثم لم يرده .

ولعل ما ذكره أبوحيان في هذا الصدد من تعليل لاختياره إضافة إلى أنَّ هذا القول هو ما يراه معظم المفسرين يقوى ويعضد هذا القول الذي يقضي بأنَّ إلياس – عليه السلام – غير إدريس – عليه السلام – ، والله أعلم .

وجوه القراءات :

قرأ ابن عامر وحده : (وإنَّ الياس) بغير همز ، على أنَّ اسمه (ياس) والألف واللام للتعريف كما قال الفرَّاء ، وقرأ الباقون : (وإنَّ إلياس) بالهمز ، جعلوا أول الاسم على هذه القراءة ، الألف كأنه من نفس الكلمـــة ، كمـــا يُقـــال : إســـحاق وإبراهيم(٢).

المعنى العام للآية :

(وَإِنَّ إِلۡيَاسَ) هو إلياس بن ياسين ، من سبط هارون أخى موسى – علـــيهم السلام – بُعث بعده ، وقيل : هو إدريس لقراءة ابن مسعود –رضي الله عنه– ، والصـــحيح الأول ، (لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ) أي : لمرسل من المرسلين(٣) .

---

* وذلك في الآيات (٨٣ – ٨٥) من سورة الأنعام .

(١) انظر : البحر المحيط ، لأبي حيان ، (٣٥٨/٧) .

(٢) انظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص (٦٠٩ ، ٦١٠) ، وانظر : الحجة في القراءات السبع ، لابن خالويه ، ص ٣٠٣ .

(٣) انظر : إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (٢٠٣/٧) . وانظر : جامع البيان ، للطبري ، (٩١/٢٣) .

الفصل الثالث

دراسة النصوص القرآنية الواقعة في حرف الميم

النص رقم (٢٤٥)

يقول تعالى : [...فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ...][(١)] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (قد ذكر الله –تعالى– المَتَاع والتمتُّع والاستمتاع والتَّمْتِيعَ في مواضع من كتابه ، ومعانيها وإن اختلفت راجعة إلى أصل واحد . قال الأزهري : فأمَّا المتاع في الأصل فكل شيء يُنْتَفَعُ به ويُتَبَلَّغُ به ويُتَزَوَّدُ ، والفناء يأتي عليه في الدنيا ، والمُتْعَةُ والمِتْعةُ : العمرة إلى الحج ، وقد تمتَّع واستمتعَ . وقوله تعالى : (فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ) وصورة المستمتع بالعمرة إلى الحج أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج ، فإذا أحرم بالعمرة بعد إهلاله شوالاً فقد صار متمتعاً* بالعمرة إلى الحج ، وسمي متمتعاً ... لأنَّه إذا قدم مكة ، وطاف بالبيت ، وسعي بين الصفا والمروة حلَّ من عمرته ، وحلق رأسه وذبح نسكه الواجب عليه لتمتعه ، وحَلَّ له كل شيء كان حَرُمَ عليه في إحرامه من النساء والطيب ، ثم ينشئ بعد ذلك إحراماً جديداً للحج وقت نهوضه إلى منى ، أو قبل ذلك من غير أن يجب عليه الرجوع إلى الميقات الذي أنشأ منه عمرته ، فذلك تمتعه بالعمرة إلى الحج ، أي : انتفاعه وتبلغه بما انتفع به من حلاق وطيب

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٩٦) . وتمام الآية : [وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ] .

* الحج ثلاثة أنواع : التمتع والإفراد والقران . أفضلها التمتع ثم الإفراد ثم القران ، أما التمتع فهو أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج ، ويفرغ منها بالتحليل ، ويشترط أن يحج في عامه ، وأما الإفراد فهو أن يحرم بالحج مفرداً ، فإذا فرغ من الحج اعتمر ، وأما القران فهو أن يحرم بالحج والعمرة معاً ، أو يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل الشروع في طوافها إلا إذا كان معه هدي فإنه يصح له أن يدخل الحج على العمرة ولو بعد السعي ، ويكون بذلك قارناً . (انظر : الفقه على المذاهب الأربعة ، لعبد الرحمن الجزيري ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، (١/١٠٨٣)) .

وتنظف وقضاء تفث وإلمام بأهله إن كانت معه ، وكل هذه الأشياء كانت محرمة عليه ، فأبيح له أن يحل وينتفع بإحلال هذه الأشياء كلها ، مع ما سقط عنه من الرجوع إلى الميقات ، والإحرام منه بالحج[١] ، فيكون قد تمتع بالعمرة في أيام الحج) [٢] .

دراسة النص :

ذكر الطبري خلاف أهل التأويل في صفة التمتع المشار إليه في الآية ، فذكر لهم عدة أقوال ، ثم اختار منها قول من قال : عنى بها فما أحصرتم أيها المؤمنون في حجكم فما استيسر من الهدي ، فإذا أمنتم فمن تمتع ممن حل من إحرامه بالحج بسبب الإحصار بعمرة ، اعتمرها لفوته في السنة القابلة في أشهر الحج إلى قضاء الحجة التي فاتته حين أحصر عنها ، ثم دخل في عمرته فاستمتع بإحلاله من عمرته إلى أن يحج فعليه ما استيسر من الهدي[٣] .

فخالفه ابن منظور ، حيثُ ذكر أنَّ المتمتع يحج بعد إحلاله من العمرة في نفس العام ، وذكر الطبري أنه يحج في العام المقبل .

أمَّا الرازي فقد ذكر أنَّ المتاع هو كل شيء يتمتع به ، وذكر نفس الذي ذكره ابن منظور في صورة المستمتع بالعمرة إلى الحج[٤] .

فوافقه ابن منظور على ذلك .

وكذا وافق القرطبي في صفة المتمتع[٥] .

وأما ابن كثير فقد ذكر هنا نوعين للتمتع ، وهما : التمتع الخاص ، وهو أن يحرم بالعمرة أولاً فلمَّا يفرغ منها يُحرم بالحج . والنوع الثاني : التمتع العام ، وهو يشتمل التمتع الخاص ، ويشمل من يحرم بالعمرة والحج معاً[٦] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (متع) ، (٢٩١/٢) .

(٢) لسان العرب ، مادة (متع) ، (٣٢٩/٨) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٤٦/٢) .

(٤) انظر التفسير الكبير ، للرازي ، (١٣٠/٥) .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣٩١/٢) .

(٦) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٣٤/١) .

ولعل الذي ذكره ابن منظور في صفة المستمتع بالعمرة إلى الحج هو هذا التمتع الخاص عند ابن كثير .

واختلف تفسير البيضاوي عن هؤلاء جميعاً ، حيث قال في تفسير قوله تعالى : (فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ) : (فمن استمتع وانتفع بالتقرب إلى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في أشهره ، وقيل : فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الإحرام إلى أن يحرم بالحج) [١] .

فقد ذكر قول ابن منظور بعد أن ذكر اختياره في بيان صفة المتمتع .

سبب النزول :

ذكر ابن حجر في سبب نزول هذه الآية ما رُوى عن مجاهد أنَّه قال : كان أهل الجاهلية إذا حجوا قالوا : إذا عفا الأثر ، وتولى الدبر ، ودخل صفر* حلت العمرة لمن اعتمر ، فأنزل الله –تعالى– : (فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ) تغييراً لما كان أهل الجاهلية يصنعون ، وترخيصاً للناس[٢] .

المعنى العام للآية :

حث الله –تعالى– عبادة المؤمنين في هذه الآية أن يؤدوا الحج والعمرة بحقوقهما ، فإن منعهم عدو عن إتمام ذلك فما تيسر من الهدي عليهم ، وهو شاة ، ولا يتحللوا بحلق رؤوسهم حتى يبلغ الهدي المذكور حيثُ يحل ذبحه ، فمن كان منهم مريضاً أو به أذيً من رأسه كقمل وصداع فحلق في الإحرام ، فعليه فدية من صيام ثلاثة أيام ، أو صدقة بثلاثة أصوع من غالب قوت البلد على ستة مساكين ، أو ذبح شاة ، وأُلحق به من حلق لغير عذر ؛ لأنَّه أولى بالكفارة ، وكذا من استمتع بغير الحلق كالطيب واللبس والدهن لعذر أو غيره ، فإذا أمنوا العدو بأن ذهب أو لم يكن فمن استمتع بالعمرة ، أي: بسبب فراغه منها بمحظورات الإحرام إلى الإحرام بالحج ، بأن يكون أحرم بها في أشهره فعليه ما تيسر من الهدي ، وهو شاة يذبحها بعد الإحرام به ، والأفضل يوم النحر ، فمن لم يجد الهدي لفقده أو فقد ثمنه فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج في حال الإحرام به ، وسبعة أذا رجع إلى

---

(١) أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، (٤٨١/١) .

* يريدون المحرم . (انظر : العجاب ، لابن حجر ، (٤٩٤/١)) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٤٩٤/١) .

وطنه ، وقيل : إذا فرغ من أعمال الحج ، تلك عشرة كاملة ، وهي جملة تأكيد لما قبلها ، وذلك الحكم المذكور من وجوب الهدي أو الصيام على من تمتع لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام ، وفي آخر الآية أمرٌ بتقوى الله فيما يأمرهم به وينهاهم عنه ، والله شديد العقاب لمن خالفه(١) .

النص رقم (٢٤٦)

يقول تعالى: [...وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ...](٢)

التفسير اللغويّ:

قال ابن منظور : (والمُتْعَةُ : التمتُّع بالمرأة لا تريد إدامتها لنفسك ... وأمَّا قول الله –عزَّ وجل– في سورة النساء بعقب ما حرم من النساء ، فقال : (وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ)،أي: عاقدي النكاح الحلال غير زناة.(فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً) فإنَّ الزجَّاج ذكر أنَّ هذه الآية غلط فيها قوم غلطاً عظيماً لجهلهم باللغة ، وذلك أنهم ذهبوا إلى أنَّ قوله : (فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ) من المتعة التي قد أجمع أهل العلم أنَّها حرام* ؛ وإنَّما معنى (فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ) : فما نكحتم منهن على

(١) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٤١ ، وانظر : الوجيز ، للواحدي ، (١/١٥٦) .

(٢) سورة النساء ، الآية (٢٤) . وتمام الآية : [وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۖ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا]

* حقيقة نكاح المتعة أن يقيد عقد الزواج بوقت معين ، كأن يقول لها : زوجيني نفسك شهراً ، أو : تزوجتك مدة سنة ، أو نحو ذلك ، سواءً كان صادراً أمام شهود وبمباشرة ولى أو لا . ونكاح المتعة أو النكاح المؤقت باطل باتفاق المسلمين ، وما نقل من إباحته في صدر الإسلام فقد كان لضرورة اقتضتها حالة الحرب والقتال . (انظر : الفقه على المذاهب الأربعة ، لعبدالرحمن الجزيري ، (٤/٢٥) ، وانظر : نيل الأوطار للشوكاني ، (٦/ ، ١٩٢) ، وانظر : الدراري المضية شرح الدرر البهية ، لمحمد بن على الشوكاني ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، ص ٢٥٨) .

الشريطة التي جرى في الآية أنّه الإحصان . (أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ) ، أي : عاقدين التزويج ، أي : فما استمتعتم به منهن على عقد التزويج الذي جرى ذكره فآتوهن أجورهن فريضة ، أي : مهورهن ، فإن استمتع بالدخول بها آتى المهر تامّاً ، وإن استمتع بعقد النكاح آتى نصف المهر[1])[2] .

دراسة النص :

ذكر الطبري اختلاف أهل التأويل في المراد بالاستمتاع الوارد في الآية ، وأورد لهم في ذلك قولين ، أحدهما : إنَّ المراد بقوله : (فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ) فمانكحتم منهن فجامعتموهن ، يعنى من النساء فآتوهن أجورهن يعنى : صدقاتهن فريضة معلومة .

وثانيهما : إنَّ المعنى : فما تمتعتم به منهن بأجر تمتع اللذة ، لا بنكاح مطلق على وجه النكاح الذي يكون بولي وشهود ومهر[3].

ثُمَّ رجح أبو جعفر الطبري القول الأول ، حيث قال : (وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من تأوله : فما نكحتموه منهن فجامعتموه فآتوهن أجورهن، لقيام الحجة بتحريم الله متعة النساء على غير وجه النكاح الصحيح أو الملك الصحيح على لسان رسوله ﷺ) [4] .

وعلى هذا يتفق ابن منظور مع الطبري في أن المراد في الآية النكاح الصحيح ، وليس نكاح المتعة .

وما ذكره الطبري هنا هو ما يراه الرازي ، حيثُ قال : (وقوله : (فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) فإن استمتع بالدخول بها آتاها المهر بالتمام ، وإن استمتع بعقد النكاح آتاها نصف المهر . والقول الثاني : إنَّ المراد بهذه الآية حكم المتعة ، وهي عبارة عن أن يستأجر الرجل المرأة بمال معلوم إلى

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجّاج ، (٢/٣١) .

(٢) لسان العرب ، مادة (متع) ، (٨/٣٢٩) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٥/١١ ، ١٢) .

(٤) المرجع السابق ، (٥/١٣) .

أجل معين فيجامعها ، واتفقوا على أنَّها كانت مباحة في ابتداء الإسلام ... واختلفوا في أنَّها هل نسخت أم لا ، فذهب السواد الأعظم من الأمـــة إلـــى أنَّهـــا صـــارت منسوخة ، وقال السواد* منهم : إنَّها بقيت مباحة كما كانت) [1] .

إذن فالرازي يرى أن المراد في هذه الآية هو النكاح الصحيح ، ونسب إلى غيره القول بأن المراد بالاستمتاع هنا هو نكاح المتعة على أنَّ حكم الآية منســوخ في قول بعضهم ، وباق في قول البعض الآخر .

وما ذهب إليه الرازي هنا يوافقه فيه ابن منظور فيما نقله عن الزجَّاج .

وكذلك يوافق القرطبي الذي ذكر ما يفيد أنَّ المراد في الآية النكاح الصحيح كسابقيه .

ثم ذكر قول الجمهور الذي يقضي بأنَّ المراد نكاح المتعة المنسوخ[2] .

وكذلك ابن كثير يوافق ابن منظور في كون المراد بالاستمتاع في الآية هو النكاح الصحيح ، وليس نكاح المتعة ، ثم ذكر أنَّ هناك من استدل لعموم هذه الآية على نكاح المتعة ، وأنَّه كان مشروعاً في ابتداء الإسلام ، ثم نسخ بعد ذلك[3] .

وذكر الثعلبي[4] القولين معاً ونسبهما إلى أصحابهما ، وذكر ما يفيد اختياره أن المراد هو النكاح الصحيح ، ثم ذكر إجماع سائر العلماء والفقهـــاء والصـــحابة والتابعين والسلف الصالحين على أنَّ هذه الآية منسوخة ومتعة النساء حرام[5] .

---

* يشير بذلك إلى الشيعة الذين يقولون ببقاء إباحة المتعة ومشروعيتها . (انظر التفسير الكبير ، للرازي ، (١٠/٤١)) .

(١) المرجع السابق ، (١٠/٤١) .

(٢)انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٥/١٢٩ ، ١٣٠) .

(٣)انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١/٤٧٥) .

(٤) الثعلبي : المفسر ، أحمد بن محمد بن إبراهيم ، أبو إسحق النيسابوري ، الثعلبي صاحب التفسير . كـــان أوحد زمانه في علم القرآن ، وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء يقال له الثعلبي والثعـــالبي ، وهو لقب لا نسب ، روى عن جماعة ، وكان حافظاً عالماً بارعاً في العربية موثقاً ، كـــان كثيـــر الحديث ، كثير الشيوخ ، توفي سنة (٤٢٧هـــ) . (انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي ، (٧/٢٠١) ، وانظر : سير اعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، (١٧/٥/٤٣٥)).

(٥) انظر : الكشف والبيان ، للثعلبي ، (٣/٢٨٦ – ٢٨٨) .

وأيا كان الأمر فإنَّ نكاح المتعة محرم بالاجماع ، ولا يوجد مخالف لـــذلك إلا الروافض من الشيعة ، وما استحدث في زماننا هذا من مثل هــذه النكاحــات وغيرها كالزواج العرفي ينبغي التنبه إلى تحريمها ، ووجوب محاربتهــا بشــتى الوسائل ، والله الموفق .

سبب النـزول :

قوله تعالى : (فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) الآية. قــال مقاتل : نزلت في المتعة ، أي : فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى ، ثم قال : (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ) ، أي : إذا زدتــم فــي الأجر ، وازددتم في الأجل ، ثم نسخ ذلك .

ويؤيده ما أخرجه الشيخان في الصحيحين عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قــال : (كنا نغزو وليس لنا نساء ، فرخص لنا أن ننكح المرأة بــالثوب إلــى أجــل) (١) الحديث، وورد في هذا الباب غير ذلك العديد من الآثار(٢) .

المعنى العام للآية :

(وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ) هن ذوات الأزواج لا تحل واحدة منهن إلا أن تسبي فتحل بملك اليمن ، وذوات الأزواج إذا استؤنف عليهن الملك كان فاسخا لنكاحهن. (كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ) ، أي : فرضه (وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ) ، أي : ناكحين غير زانين (فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) في معنى ذلك قولان، أحدهما أنها منسوخة . قالت عائشة : حرم الله المتعة بقوله : (وَٱلَّذِينَ هُمْ

---

(١) أخرجه البخاري في : ٦٨- كتاب التفسير ، ١١٦- باب قولــه : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ) المائدة (٨٧) ، حديث رقم (٤٣٣٩) ، (١٦٨٧/٤) . وفي رواية البخاري : (فقلنــا : ألا نختصى ؟ فنهانا عن ذلك. فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب) . وأخرجه مسلم فــي : ١٦- كتاب النكاح ، ٢- باب نكاح المتعة ، حديث رقم (١٤٠٤) ، (١٠٢٢/٢) . وفي رواية مسلم : (فقلنــا : ألا نستخصي ؟ فنهانا عن ذلك ، ثم رخص لنا أن ننكح المرآة بالثوب إلى أجل) .

(٢) انظر : العجاب ، لابن حجر ، (٨٥٨/٢ – ٨٦٠) .

لِفُرُوجِهِمۡ حَـٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُهُمۡ)[1] ، ومعنى : (فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) المهر ، وروى عن أبي بن كعب وابن عباس – رضي الله عنهما – أنهما قرآء : (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى) ، والقول الآخر: إنَّ هذا ليس من المتعة ، وقال الحسن ومجاهد : هو من النكاح ، أي : إن دخلتم بهن فالمهر ، ومن لم يدخل كان عليه نصف المهر ، والدليل على صحة هذا القول قوله : (وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِ) ، أي : إن وهب لها النصف الآخر فلا جناح ، وإن وهبت له النصف فلا جناح (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) ، أي : هو عليم بما فرض عليكم في النكاح وما يصلح أمر الخلق ، حكيم فيما شرع لكم ، ومن ذلك عقد النكاح الذي يحفظ الأموال والأنساب[2] .

النص رقم (٢٤٧) و (٢٤٨)

يقول تعالى : [وَلِلۡمُطَلَّقَـٰتِ مَتَـٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ][3] .

ويقول تعالى:[لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةًۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ][4] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (ومُتْعَةُ المرأة : ما وُصلت به بعد الطلاق* ، وقد مَتَّعَها . قال الأزهري : وأمَّا قوله تعالى: (وَلِلۡمُطَلَّقَـٰتِ مَتَـٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى

---

(١) سورة المؤمنون ، الآيتان (٥ ، ٦) .

(٢) انظر : معاني القرآن ، للنحَّاس ، (٦/٢) ، وانظر : روح المعاني ، للألوسي ، (٧/٥) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٢٤١) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٢٣٦) .

* قال الصابوني في تعريف المتعة في الشرع : هي ما يدفعه الزوج من مال أو كسوة أو متاع لزوجته المطلقة ، عوناً لها وإكراماً ، ودفعاً لوحشة الطلاق الذي وقع عليها ، وتقديرها مفوض إلى الاجتهاد . (انظر : روائع البيان في تفسير آيات الأحكام ، لمحمد على الصابوني ، مكتبة الغزالي ، دمشق ، سوريا ، ط٣ ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، (٣٨٠/١)).

ٱلۡمُتَّقِينَ) ، وقال في موضع آخر : (لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ) ... وهذا التمتع الذي ذكره الله – عزَّ وجل – للمطلقات على وجهين : أحدهما واجب لا يسعه تركه ، والآخر غير واجب يستحب له فعله ، فالواجب للمطلقة التي لم يكن زوجها حين تزوجها يُسمى لها صداقاً ، ولم يكن دخل بها حتى طلقها ، فعليه أن يمتعها بما عزّ وهان من متاع ينفعها به من ثوب يلبسها إياه ، أو خادم يخدمها أو دراهم أو طعام ، وهو غير مؤقت . لأنَّ الله – عزَّ وجل – لم يحصره بوقت ، وإنَّما أمر بتمتيعها فقط ، وقد قال : (عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِ) ، وأمَّا المتعة التي ليست بواجبة ، وهي مستحبة من جهة الإحسان ، والمحافظة على العهد ، فأن يتزوج الرجل إمرأة ويسمى لها صداقاً ثم يطلقها قبل دخوله بها أو بعده ، فيستجب له أن يمتعها بمتعة سوى نصف المهر الذي وجب عليه لها ، وإن لم يكن دخل بها ، أو المهر الواجب عليه كله إن كان دخل بها ، فيمتعها بمتعة ينفعها بها وهي غير واجبة عليه ولكنه ، استحباب ليدخل في جملة المحسنين أو المتقين ، والعرب تسمى ذلك كله متعة ومتاعاً وتحميماً وحَمَّا(1))(2) .

دراسة النصين :

ذكر الطبري في الآية (٢٣٦) أقوال أهل التأويل في متعة المطلقة ، وفيها قول ابن منظور الذي نقله عن الأزهري وسلَّم به . وهذا القول يقضي بأنَّ التمتيع المذكور على وجهين ، أو له حكمين : واجب أو غير واجب (مستحب) .

ثم بين الطبري أنَّ قول من قال : لكل مطلقة متعة هو أولى بالصواب ، لقوله تعالى : (وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ) ، فجعل الله تعالى ذكره ذلك لكل مطلقة ، ولم يخصص منهن بعضاً دون بعض ، فليس لأحد إحالة ظاهر تنزيل عام إلى باطن خاص إلا حجة يجب التسليم لها .

---

(1) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (متع) ، (٢/٢٩١ ، ٢٩٢) .

(2) لسان العرب ، مادة (متع) ، (٨/٣٣٠ ، ٣٣١) .

وذكر الطبري كذلك وجوب المتعة على المطلقة لمن طلق من النساء في الآية (٢٤١) [١] .

فخالفه ابن منظور الذي ذكر – فيما نقله عن الأزهري – أنَّ المتعة قد تكون واجبة ، وذلك للمطلقة غير المدخول بها ، ولم يسم لها صداق ، وقد تكون المتعة مستحبة ، وذلك للمطلقة التي سمى لها صداق ، سواءً دخل بها أو لم يدخل بها .

وكذلك خالف ابن منظور الإمام الرازي الذي ذكر في الآية (٢٣٦) تفصيل المذاهب في حكم المتعة ، ثم بيَّن مذهبه ، وهو القول بالوجوب ، ثم ذكر أن أصل المتعة والمتاع ما ينتفع به انتفاعاً غير باق ، بل منقضياً عن قريب ، ولهذا يقال : الدنيا متاع ، ويسمى التلذذ تمتعاً لانقطاعه بسرعة وقلة لبثه .

وكذلك ذكر الرازي في الآية (٢٤١) ما يفيد أنَّ مذهبه هو القول بوجوب المتعة[٢] .

وخالف أيضاً الإمام القرطبي الذي قال في تفسير قوله تعالى : (ومتعوهن) ما نصه : (معناه : أعطوهن شيئاً يكون متاعاً لهن ، وحمله ابن عمر وعلى بن أبي طالب والحسن بن أبي الحسن وسعيد بن جبير وأبوقلابة[٣] والزهري[٤] وقتادة والضحاك بن مزاحم على الوجوب ، وحمله أبو عبيد ومالك بن أنس وأصحابه والقاضي شريح[٥] وغيرهم على الندب. تمسك أهل القول الأول بمقتضى الأمر ،

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢/٥٣٠ – ٥٣٥) ، (٢/٥٨٣) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٦/١١٨ ، ١١٩) ، (٦/١٣٧) .

(٣) أبوقلابة : هو عبدالله بن زيد الجرمي ، من كبار التابعين ، وكان من سادات أهل البصرة فقهاً وعبادة وورعاً وزهداً . مات بالعريش في مصر في ولاية يزيد بن عبدالملك سنة (١٠٤هـ) (انظر: الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، (٧/١٨٣)) .

(٤) الزُّهْرِي : أبوبكر ، محمد بن مسلم بن عبيدالله بن شهاب بن زهرة القرشي المعروف بالزهري ، من تابعي المدينة ، رأى عشرة من أصحاب النبي – ﷺ – وكان من أحفظ أهل زمانه ، وأحسنهم سياقاً لمتون الأخبار ، وكان فقيهاً فاضلاً ، روى عنه الناس . مات سنة (١٢٤هـ) في ناحية الشام.

(انظر : الأنساب ، للسمعاني ، (٣/١٨٠)) .

(٥) القاضي شُرَيْح : أبوأُمية ، شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر . كان من كبار التابعين ، وأدرك الجاهلية ، استقضاه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – على الكوفة ، فأقام قاضياً خمساً وسبعين سنة لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين امتنع فيها من القضاء في فتنة ابن الزبير . وكان أعلم الناس بالقضاء ، ذا فطنة وذكاء ومعرفة ، كانت وفاته سنة (٨٧هـ) ، وقيل غير ذلك .

(انظر : وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، (٢/٤٦٠)) .

وتمسك أهل القول الثاني بقوله تعالى: (حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ) و (عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ) ، ولو كانت واجبة لأطلقها على الخلق أجمعين ، والقول الأول أولى ؛ لأن عمومات الأمر بالأمتاع في قوله : (متعوهن) ، وإضافة الإمتاع إليهن بلام التمليك في قوله : (وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ) أظهر في الوجوب منه في الندب ، وقوله : (عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ) تأكيد لإيجابها ؛ لأن كل واحد يجب عليه أن يتقي الله في الإشراك به ومعاصيه) .

فرجح القرطبي – كما هو ظاهر – القول بوجوب المتعة مطلقاً للمطلقة على مطلقها .

وذكر في الآية (٢٤١) تفصيل المذاهب في حكم المتعة[١] .

أمَّا ابن كثير فبعد أن أورد أقوال أهل العلم في المتعة ذكر ما يفيد أنَّها على وجهين وهما : الوجوب والندب .

وهو ما يقول به ابن منظور ، فدل ذلك على التوافق بينهما .

وذكر ابن كثير في الآية (٢٤١) تفصيل المذاهب ، ثم قال : والله أعلم[٢] .

وممَّن وافق ابن منظور أيضاً في القول بوجوب المتعة أحياناً وباستحبابها أحياناً أخرى الإمام أبو السعود فقد ذكر تفصيل ذلك في تفسير الآيتين[٣] .

وجوه القراءات :

الآية (٢٣٦) : قرأ حمزة والكسائي وخلف : (تُماسوهن) ، وقرأ باقي السبعة (تمسوهن) . وقرأ حمزة والكسائي وابن عامر وحفص : (قدره) بفتح الدال ، وقرأ ابن كثير ونافع وأبي عمرو بسكون الدال[٤] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣/٢٠٠) ، وانظر : (٣/٢٢٨) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١/٢٨٩) ، (١/٢٩٨) .

(٣) انظر : إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (١/٢٣٤) ، (١/٢٣٧) .

(٤) انظر : إرشاد المبتدئ وتذكرة المنتهي في القراءات العشر ، لأبي العز محمد بن الحسين الواسطي القلانسي ، تحقيق : عثمان محمد غزال ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م ، ص ١٥٤ ، وانظر : التفسير المنير ، لوهبة الزحيلي ، مج١ ، (٢/٧٥٣) .

أسباب النزول :

١/ الآية (٢٣٦) :

قولـــه تعـــالى : (وَمَتِّعُوهُن عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعًا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ) .

قال مجاهد : نزلت في رجل من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة ، ولـم يسم لها مهراً ، ثم طلقها قبل أن يمسها ، فقال له النبي – ﷺ – : أطلقتها ؟ قال : نعم ، إنِّي لم أجد نفقة . قال: متعها بقلنسوتك* ، أمَّا إنَّها لا تساوي شيئاً ، ولكـن أردتُ أن أُحيي سنة[١] .

٢/ الآية : (٢٤١) :

قوله تعالى : (وَلِلْمُطَلَّقَـٰتِ مَتَـٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ) الآية

أخرج ابن جرير عن ابن زيد[٢] . قال : لمَّا نزلت : (وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعًا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ) قال رجل : إن أحسنت فعلت ، وإن لم أرد ذلـك لـم أفعـل ، فـأنزل الله : (وَلِلْمُطَلَّقَـٰتِ مَتَـٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ)[٣] .

---

* القَلَنْسُوَة : من ملابس الرؤوس معروف . (انظر : لسان العرب ، مادة (قلس) ، (١٨١/٦) ، وانظر : تاج العروس ، للزبيري ، (٣٩٣/١٦) .

(١) انظر : العجاب ، لأبن حجر ، (٥٩٦/١) ، وانظر : عمدة القارئ ، لبدر الـدين العينـي ، (١١/٢١) ، وانظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٢١٧/١) .

(٢) ابن زيد : هو عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ، العدوي العمري ، مولاهم المدني ، روى عن أبيه وجماعة ، وهو ضعيف كثير الحديث . له كتاب الناسخ والمنسوخ وكتاب التفسير . مات في أول خلافـة هـارون الرشيد سنة (١٨٢هـ) . (انظر : شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، (٢٩٧/١) ، وانظر : طبقـات المفسرين ، للأدنروي ، ص ١١ ، وانظر : الفهرست ، لأبي الفرج محمـد بـن إسـحق النـديم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، ص ٣١٥) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٥٨٤/٢) ، وانظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ٤٨ .

المعنى العام للآيتين :

١/ الآية (٢٣٦) :

أي : ليس عليكم يا معشر الأزواج جناح وإثم بتطليق النساء قبل المسيس وفرض المهر ، وإن كان في ذلك كسر لهن فإنَّه ينجبر بالمتعة ، فعليكم أن تمتعوهن بأن تعطوهن شيئاً من المال جبراً لخواطرهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ، وهذا يرجع إلى العرف ، وأنَّه يختلف باختلاف الأحوال ، ولهذا قال : (مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ) فهذا حق واجب على المحسنين ، ليس لهم أن يبخسوهن ، فكما تسببوا لتشوقهن واشتياقهن وتعلق قلوبهن ، ثُمَّ لم يعطوهن ما رغبن فيه ، فعليهم في مقابلة ذلك بالمتعة[١] .

٢/ الآية (٢٤١) :

استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى وجوب المتعة لكل مطلقة ، سواء كانت مفوضة أو مفروضاً لها أو مطلقة قبل المسيس أو مدخولاً بها ، وهو قول عن الشافعي – رحمه الله – وإليه ذهب سعيد بن جبير ، وغيره من السلف ، ومن لم يوجبها مطلقاً يخصص من هذا العموم مفهوم قوله تعالى : (لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ...) الآية . وأجاب الأولون بأنَّ هذا من باب ذكر بعض أفراد العموم ، فلا تخصيص على المشهور ، والله أعلم[٢] .

النص رقم (٢٤٩) و (٢٥٠) و (٢٥١) و (٢٥٢)

يقول تعالى : [...وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا...][٣] .

ويقول تعالى : [وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى...][٤] .

---

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ١٠٥ .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٩٨/١) .

(٣) سورة الأحقاف،الآية (٢٠). وتمام الآية: [وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ] .

(٤) سورة هود ، الآية (٣). وتمام الآية : [وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ] .

ويقول تعالى : [...مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖ...][1] .

ويقول تعالى:[أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ * ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ][2].

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (وأمْتَعَ بالشيء وتَمَتَّعَ به واستَمْتَع : دام له ما يستمدّه منه . وفي التنزيل : (وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا) ... ومتّعه وأمتعه بكذا : أبقاه ليستمتع به ... وفي التنزيل : (وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى) فمعناه يُبْقِكم بَقاءً في عافية إلى وقت وفاتكم ، ولا يستأصلكم بالعذاب كما استأصل القرى الذين كفروا ... وقوله تعالى : (مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖ) أراد : متعوهن تمتيعاً ، فوضع متاعاً موضع تمتيع ، ولذلك عداه بإلى . قال الأزهري : هذه الآية منسوخة بقوله : (وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ)[3] ، فمقام الحول منسوخ باعتداد أربعة أشهر وعشر ، والوصية لهن منسوخة بما بين الله من ميراثها في آية المواريث ... والمتاع والمتعة اسمان يقومان مقام المصدر الحقيقي ، وهو التمتيع ، أي : انفعوهن بما توصون به لهن من صلة تقوتهن إلى الحول[4] . وقوله تعالى : (أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ * ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ) . قال ثعلب :

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٤٠) . وتمام الآيــة : [وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ فَإِنۡ خَرَجۡنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ] .

(٢) سورة الشعراء ، الآيتان (٢٠٥ ، ٢٠٦) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٢٣٤) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (متع) ، (٢٩٢/٢) .

معناه أطلنا أعمارهم ثم جاءهم الموت . والماتعُ : الطويل من كل شيء ، وَمَتَّع الشيء : طَوّلَه) [١] .

دراسة النصوص :

لم يتعرض الطبري لشرح تفصيلي لمعنى الاستمتاع المراد في آية الأحقاق ، وقال في آية هود : يقول تعالى ذكره للمشركين الذين خاطبهم بهذه الآيات : استغفروا ربكم ، ثُمَّ توبوا أليه ، فإنَّكم إذا فعلتم ذلك بسط عليكم من الدنيا ، ورزقكم من زينتها وأنساكم في آجالكم إلى الوقت الذي قضى فيه عليكم الموت ، وقوله : (إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى) يعنى الموت .

وذكر الطبري في آية البقرة أقوال أهل التأويل في نسخ الآية ، ثُمَّ بيَّن أنَّ الصواب في ذلك أن يُقال : إن الله – تعالى ذكره – كان قد جعل لأزواج من مات من الرجل بعد موتهم سكنى حول في منزله ، ونفقتها في مال زوجها الميت إلى انقضاء السنة ، ووجب على ورثة الميت أن لا يخرجوهن قبل تمام الحول من المسكن الذي يسكنَّه . وإن هن تركن حقهن من ذلك وخرجن لم تكن ورثة الميت من خروجهن في حرج ، ثم إنَّ الله – تعالى – نسخ النفقة بآية الميراث ، وأبطل ما كان جعل لهن من سكنى حول سبعة أشهر وعشرين ليلة ، وردهنَّ إلى أربعة أشهر وعشر على لسان رسول الله ﷺ .

وفسر الطبري آيتي الشعراء بتأخير الآجال ، ثُمَّ مجيء العذاب[٢] .

ممَّا سبق ذكره يتبين لنا عدم إمكانية المقارنة بين ابن منظور والطبري في آية الأحقاف ، لسكوت الطبري عن بيان معنى الاستمتاع المراد في الآية ، أمَّا آية هود فقد وافق ابن منظور الطبري في معناها ، وإن اختلفت طريقة التعبير عند كليهما ، ولا خلاف بينهما في آية البقرة من حيث المعنى ، وكذلك لم يختلفا في آية الشعراء ، فإنَّ تأخير الآجال الذي ذكره الطبري هو معنى إطالة الأعمار الذي ورد لفظه عند بان منظور .

---

(١) لسان العرب ، مادة (متع) ، (٣٣١/٨) .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢١/٢٦) ، (١٨١/١١) ، (٥٧٨/٢ – ٥٨٢) ، (١١٧/١٩) .

ولم يُفصِّل الرازي كذلك في معنى قوله : (وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا) ، وفسَّر التمتيع في آية هود ببقاء المشتغل بعبادة الله في الدنيا منتظم الحال ، مرفَّه البال ، كما فسره بعدم الاستئصال بالعذاب كما هو حال أهل القرى الذين كفروا .

وأورد الرازي الخلاف في نسخ آية البقرة فذكر قول جمهور المتقدمين والمتأخرين من المفسرين ، وهو القول بنسخ الآية ، ثم ذكر قول مجاهد الذي يقضي بأن المرأة المتوفى عنها زوجها إذا لم تختر السكنى في دار زوجها ، ولم تأخذ النفقة من ماله كانت عدتها أربعة أشهر وعشراً – على ما في تلك الآية المتقدمة – وأمَّا إن اختارت السكنى في دار زوجها والأخذ من ماله وتركته ، فعدتها هي الحول.

ثم قال الرازي : وتنزيل الآيتين على هذين التقديرين أولى حتى يكون كل واحد منهما معمولاً به .

أمَّا آية الشعراء فلم يبين معنى التمتيع الوارد فيها(١) .

وعلى هذا يمكننا القول بأنه لا وجه للمقارنة بين ابن منظور والرازي في آيتي الأحقاف والشعراء لسكوت الرازي فيهما عن إيراد المعنى للمفردة موضوع الدراسة .

ولا خلاف بينهما في آية هود ، أما آية البقرة فقد خالف فيها ابن منظور الإمام الرازي الذي يرى الجمع بين الآيتين والعمل بهما معاً [أي الناسخ والمنسوخ] .

ولم يبين القرطبي معنى قوله : (واستمتعتم بها) في الأحقاف . وقال في المتاع الحسن في آية هود : هذه ثمرة الاستغفار والتوبة ، أي : يمتعكم بالمنافع من سعة الرزق ورغد العيش ، ولا يستألكم بالعذاب كما فعل بمن أهلك قبلكم ، وقيل : يمتعكم : يعمركم .

وذكر القرطبي في آية القرة أنَّها منسوخة على قول جمهور العلماء ، وبيَّن أن هذا القول هو الأظهر رغم صحة ما نسب إلى مجاهد أنه قال : حكم الآية باقٍ

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٢/٢٨) ، (١٤٦/١٧) ، (١٣٤/٦ ، ١٣٥) ، (١٤٦/٢٤) .

وهو الاعتداد بالحول ، فإن خرجت المرأة سقطت عنها النفقة والسكنى شريطة أن تعتد أربعة أشهر وعشراً ، واستدل على صحة ما نُسب إلى مجاهد بوروده في صحيح البخاري[1] .

وقال القرطبي في التمتيع الذي في آية الشعراء : يعنى في الدنيا ، ولم يذكر ما يشير إلى إطالة الأعمار[2] .

وعلى هذا لا يُقارن بين ابن منظور والقرطبي في آية الاحقاف ، لسكوت القرطبي عن بيان معنى الاستمتاع فيها ، إلا أنَّهما اتفقا في مفهوم المتاع الحسن في آية هود ، وفي القول بنسخ آية البقرة ، واختلفا في معنى التمتيع الوارد في آية الشعراء .

ولم يذكر ابن كثير شيئاً عن الاستمتاع الوارد في آية الاحقاف ، كما لم يذكر ابن كثير شيئاً عن المتاع الحسن إلا وقته حيثُ بيَّن أنَّه في الدنيا ، وذكر في آية البقرة قول جمهور المفسرين بأنَّ هذه الآية منسوخة بالتي قبلها ، وذكر أيضاً قول مجاهد بعدم النسخ ، ولم يظهر له ترجيح في ذلك ، وفسر التمتيع الوارد في آية الشعراء بالتأخير والإنظار وهو معنى إطالة الأعمار الذي ذكره ابن منظور[3].

وعلى هذا فلا وجه للمقارنة بين ابن كثير وابن منظور في كل من آيتي الأحقاف وهود لسكوت ابن كثير عن بيان المعنى فيهما ، وكذلك لا يمكننا المقارنة بينهما في آية البقرة لعدم ظهور اختيار واضح لابن كثير فيما بتعلق بأمر النسخ أما آية الشعراء فقد وافق فيها ابن منظور .

وبيَّن الشوكاني أنَّ الاستمتاع الوارد في الأحقاف يكون بالطيبات ، والمعنى أنهم اتبعوا الشهوات واللذات التي في معاصي الله – سبحانه – ولم يبالوا بالذنب وذكر في المتاع الحسن أنَّ أصل الإمتاع الإطالة ، فمعنى الآية : بطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من سعة الرزق ورغد العيش .

---

(١) انظر : صحيح البخاري ، ٦٨- كتاب التفسير ، ٤٣- باب (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً...) الآية ، حديث رقم (٤٢٥٧) ، (١٦٤٦/٤) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٠٢/١٦) ، (٤/٩) ، (٢٢٦/٣ ، ٢٢٧) ، (١٤١/١٣) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١٦٠/٤) ، (٤٣٦/٢) ، (٢٩٧/١) ، (٣٤٩/٣) .

ونقل اختلاف السلف ومن تبعهم من المفسرين في آية البقرة هل هي محكمة أو منسوخة ، فذكر قول الجمهور وقول مجاهد دون ترجيح .

وذكر الشوكاني أنَّ التمتيع الوارد في آية الشعراء بمعنى تطويل الأعمار[١].

وعلى هذا فلا خلاف بين الشوكاني وابن منظور في كل من آيتي الأحقاف وهود وإن كان هناك خلاف في الألفاظ .

ولا يمكننا المقارنة بينهما في آية البقرة لعدم الترجيح عند الشوكاني ، أمَّا آية الشعراء فقد اتفقا فيها على أنَّ المراد بالتمتيع تطويل الأعمار .

سبب النزول :

آية الشعراء :

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي جهضم[٢] قال : رُؤى النبي – ﷺ – كأنه متحير ، فسألوه عن ذلك ، فقال : ولما ؟ وأريت عدوي يكون من أُمتي بعدى ، فنزلت : (أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ * مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ)[٣] فطابت نفسه[٤].

المعنى العام للآيات :

١/ آية الأحقاف :

يُبين الله –تعالى– في هذه الآية أنَّ الذين كفروا يُعرضوا على النار يوم القيامة وهو تعذيبهم بها ، ويُقال لهم : أذهبتم ما كتب لكم حظ من الطيبات إلا ما

(١) انظر : فتح القدير ، للشوكاني ، (٢١/٥) ، (٤٨١/٢) ، (٢٥٩/١) ، (١١٩/٤) .

(٢) أبو جهضم : هو موسى بن سالم بن حسان الحميري الكلاعي الأندلسي البلنسي ، أبوجهضم الأزدي ، رجل من أهل الشام ، روى عن عبدالله بن عبيدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم المدني . (انظر : فوات الوفيات ، للكتبي ، (٤٦٣/١) ، وانظر : تاريخ الأمم والملوك ، للطبري ، (١٢٨/٣) ، وانظر : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، لشمس الدين السخاوي ، دار العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، (٥٧/٢)) .

(٣) سورة الشعراء ، الآيات (٢٠٥ – ٢٠٧) .

(٤) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ١٦٤ ، وانظر : تفسير ابن أبي حاتم ، (٢٨٢٣/٩) ، وفي روايته : (أرى نبي الله) بدل (رُؤى) ، (ورأيت عدوى) بدل : (وأُريتُ) ، (ويلون أُمتى بعدى) بدل : (يكون من أمتى بعدى) .

قد أصبتموه في دنياكم ، فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيءٌ منها ، واستمتعتم بالطيبات (فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ) ، أي : الهوان بما كنتم تتكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ، أي : باستكباركم وفسقكم[1] .

٢/ آية هود :

(وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ) أي : أمركم بالتوحيد والاستغفار (ثُم تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ) ، أي : استغفروا من الشرك ، ثُمَّ ارجعوا إليه بالطاعة ، أو استغفروا والاستغفار توبة ، ثُمَّ أخلصوا التوبة ، واستقيموا عليها (يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا) يُطوِّل نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة من عيشة واسعة ونعمة متتابعة (إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى) إلى أن يتوفاكم (وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِى فَضۡلٍ فَضۡلَهُۥ) ويُعط في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه ، أو فضله في الثواب ، والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات (وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ كَبِيرٍ) أي : وإن تتولوا ، واليوم الكبير هو يوم القيامة ، وصِفَ بالكبر كما وُصف بالعظم والثقل[2] .

٣/ آية البقرة :

هذه الآية في الأزواج الذين يموتون ويتركون خلفهم أزواجاً فعليهم أن يوصوا لهن بالسكنى والنفقة مدة سنة ، لا يخرجن من بيوتهن ، فإن خرجت من أنفسهن فلا جناح على الأولياء فيما فعلت في أنفسهن من مراجعة الزينة والطيب ، ونحو ذلك . وأكثر المفسرين على أن هذه الآية منسوخة بما قبلها ، وهي قوله : (وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجًا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٍ وَعَشۡرًا) .

وقيل : لم تنسخها ، بل الآية الأولى دلت على أن أربعة وعشر واجبة ، وما زاد على ذلك فهي مستحبة ينبغي فعلها تكميلاً لحق الزوج ومراعاة للزوجة ، ودليل

---

(١) انظر : مدارك التنزيل ، للنسفي ، (١٤٠/٤) .

(٢) انظر : الكشاف ، للزمخشري ، (٣٥٩/٢) .

هؤلاء على كون ذلك مستحباً نفي الجناح في هذه الآية عن الأوليـــاء إن خرجــت قبل تكيل الحول ، فلو كان لزوم المسكن واجباً لم ينــف الحـــرج عـــنهم ن (والله عزيز) في ذلك وعيد لمن خالف الحد في هذه النازلة (حكيم)أي محكم لما يريد من أمور عباده[1].

قلتُ : الذي ينبغي العمل به هو مذهب الجمهور في ذلك ؛ لأن فيه تخفيفـــاً و تيسيراً على الناس ، والله أعلم .

٤/ آيتي الشعراء :

(أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ)، أي : لو أخذناهم وأنظرناهم ، وأمليناالهم برهة من الدهر ، وحيناً من الزمان وإن طال ، ثُمَّ جاءهم أمر الله أي شيء يجدي عنهم ما كانوا فيه من النعيم[2].

النص رقم (٢٥٣) و (٢٥٤) و (٢٥٥)

يقول تعالى : [...فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ ...][3] .

ويقول تعالى : [يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ...][4] .

ويقول تعالى : [لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ...][5] .

---

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن،للسعدي ، ص ١٠٦،وانظر:الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٢٨/٣) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣٤٩/٣) .

(٣) سورة التوبة ، الآيـــة (٦٩) . وتمـــام الآيـــة : [كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ] .

(٤) سورة غافر،الآية (٣٩). وتمام الآية : [يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ] .

(٥) سورة النور ، الآية (٢٩) . وتمام الآية : [لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (وقوله تعالى : ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ﴾ . قال الفرَّاء : (استمتعوا ، يقول : رضوا بنصيبهم في الدنيا من أنصبائهم في الآخرة ، وفعلتم أنتم كما فعلوا) [١] ... والمُتْعَةُ والمِتْعَةُ والمَتْعَةُ أيضاً : البُلْغَةُ ... وقيل : المُتْعَةُ : الزاد القليل ، وجمعها : مُتَعٌ . قال الأزهري : وكذلك قوله تعالى : ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ أي : بُلْغَةٌ يُتَبَلَّغُ به لا بقاء له ... وقول الله – عزَّ وجل – : ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾ . جاء في التفسير أنَّه عنى ببيوت غير مسكونة : الخانات والفنادق التي تنزلها السابلة* ، ولا يقيمون فيها إلا مقام ظاعن ، وقيل : إنه عنى بها الخرابات التي يدخلها أبناء السبيل للانتفاض** من بول أو خلاء ، ومعنى قوله – عزَّ وجل – : ﴿فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾ ، أي : منفعة لكم تقضون فيها حوائجكم ، مستترين عن الأبصار ورؤية الناس ، فذلك المتاع ، والله أعلم بما أراد[٢])[٣].

دراسة النصوص :

ذكر الطبري في المراد بالاستمتاع بالخلاق في آية التوبة أنَّ المنافقين سلكوا سبيل من كان قبلهم من الأمم في الاستمتاع بنصيبهم من دينهم ودنياهم ، ورضوا بذلك من نصيبهم في الدنيا عوضاً من نصيبهم في الآخرة .

---

(١) معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٤٤٦/١) .

* السابلة : أبناء السبيل المختلفة في الطرقات . (انظر : مختار الصحاح ، لمحمد بن أبي بكر الرازي ، مادة (سبل) ، ص ٣٢٦ ، وانظر : المصباح المنير ، لأحمد بن محمد المقرى ، (٢٦٥/١)) .

** الانتفاض : انْتَفَضَ الذكر : استبرأه مما فيه من بقية البول . (انظر : تاج العروس ، للزبيدي ، مادة (نفض) ، (٨٥/١٩)) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (متع) ، (٢٩٤/٢ ، ٢٩٥) .

(٣) لسان العرب ، مادة (متع) ، (٣٣٢/٨) .

وقال في تفسير آية غافر : ما هذه الحياة الدنيا العاجلة التي عجلت لكم في هذه الدار إلا متاع تستمتعون بها إلى أجل أنتم بالغوه ، ثم تموتون وتزول عنكم ، وإن الآخرة هي دار القرار .

وذكر الطبري الأقوال التي وردت في المراد بالبيوت غير المسكونة ، ثم قال : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إنَّ الله عَمَّ بقوله : (لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ) كل بيت لا ساكن به لنا فيه متاع ندخله بغير إذن ، فلا وجه لتخصيص بعض ذلك دون بعض ، فكل بيت لا مالك له ولا ساكن من بيت مبنى ببعض الطرق للمارة والسابلة ليأووا إليه أو بيت خراب قد باد أهله ولا ساكن فيه حيثُ كان ذلك لمن أراد دخوله أن يدخل بغير استئذان لمتاع له يؤديه إليه ، أو للاستمتاع به لقضاء حقه من بول أو غائط أو غير ذلك(١).

فوافق ابن منظور الطبري في المواضع الثلاث مع خلاف يسير في الألفاظ التي يُتوصل بها إلى المعنى ، وكذلك يُلاحظ أنَّ الطبري أكثر تفصيلاً من ابن منظور فيما يتعلق بالمراد بالبيوت غير المسكونة ، ولعله قد وافق الحق في هذا التعميم ، لأنَّ البيوت غير المسكونة تشمل الآن نطاق واسع من الأماكن التي فيها متاع ومنافع للناس ، والتي يحتاج كل داخل إليها إلى دخولها بغير إذن كالمدارس والجامعات والمستشفيات والأماكن العامة ومكاتب العمل والمطاعم بالأسواق وغيرها .

وذكر الرازي أنَّ الخلاق الذي ورد في آية التوبة معناه النصيب ، وهو ما خلق للإنسان ، أي : قُدِّرَ له من خير ، وبيَّن أنَّه تعالى ذم الأولين – في هذه الآية – بالاستمتاع بما أُوتوا من حظوظ الدنيا ، وحرمانهم عن سعادة الآخرة بسبب استغراقهم في تلك الحظوظ العاجلة ، وشبه المنافقين بأولئك المتقدمين في طلب الدنيا ، وفي الإعراض عن طلب الآخرة .

وبيَّن الرازي أنَّ المعنى في آية غافر أنه يُستمتع بهذه الحياة الدنيا في أيام قليلة ثم تنقطع وتزول ، وأما الآخرة فهي دار القرار والبقاء والدوام .

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٠/١٧٥) ، (٢٤/٦٧) ، (١٨/١١٣ – ١١٥) .

كما بيَّن في آية النور الأقوال في المراد بالبيوت غير المسكونة ثم سلك مسلك الطبري في التعميم ، وذكر أنَّ المتاع هو المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الرحال والسلع والشراء والبيع(١) .

فما ذكره ابن منظور إذاً في هذه الآيات الثلاث هو معنى ما أورده الرازي فيها .

وقال القرطبي في آية التوبة : أي : انتفعوا بنصيبهم من الدين كما فعل الذين من قبلهم ، وقال في متعة الحياة الدنيا : أي : يتمتع بها قليلاً ، ثُمَّ تنقطع وتزول وذكر في آية النور جميع الأقوال التي قيلت في المُراد بالمتاع جميع الانتفاع بمنفعة تلك المواضع المدخولة(٢) .

وبهذا يكون ابن منظور موافقاً للقرطبي في الآيات الثلاث : إلا أنَّ القرطبي ليس له اختيار واضح في المراد بالبيوت المسكونة .

ولم يذكر ابن كثير المراد بالاستمتاع بالخلاق ، وذكر فقط قول الحسن أن الخلاق هو الدين .

وذكر في تفسير آية غافر أنَّ الحياة الدنيا متاع ، أي : قليلة زائلة فانية عن قريب تذهب وتضمحل .

وذكر في المراد بالبيوت المسكونة أنَّها كالبيت المعد للضيف إذا أذن فيه أول مرة كفى ، ثُمَّ أورد الأقوال الأُخرى في ذلك(٣).

وعلى هذا يكون ابن كثير موافقاً لابن منظور في آية غافر فقط ، أمَّا في آيتي التوبة والنور فقد ذكر شيئاً يسيراً مِمَّا ذكره ابن منظور فيهما .

وذكر ابن الجوزي في معنى الاستمتاع بالخلاق أنّهم استمتعوا بنصيبهم من الآخرة في الدنيا ، ونسب هذا القول إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – ، ونسب إلى الزجَّاج قوله : بحظهم من الدنيا(٤) .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٠٢/١٦ ، ١٠٣) ، (٦٠/٢٧) ، (١٧٤/٢٣) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٠١/٨) ، (٣١٧/١٥) ، (٢٢١/١٢) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣٦٩/٢) ، (٨١/٤) ، (٢٨٢/٣) .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٣٧٢/٢) .

وذكر ابن الجوزي في آية غافر أنَّ الحياة في هذه الدار متاع يتمتع بها أياماً ثم تنقطع .

ووسع ابن الجوزي في بيان المراد بالبيوت غير المسكونة في هذه الآية ، فذكر فيها خمسة أقوال : ١/ الخانات والبيوت المبنية للسابلة ليأووا إليها ، ويؤووا أمتعتهم .

٢/ البيوت الخربة لقضاء الحاجة   ٣/ بيوت مكة

٤/ حوانيت التجار التي بالأسواق   ٥/ جميع البيوت التي لا ساكن لها ، لأن الاستئذان إنَّما جعل لأجل الساكن .

ثم ذكر أنَّه يخرج في معنى المتاع ثلاثة أقوال: ١/ الأمتعة التي تباع وتشترى . ٢/ إلقاء الأذى من الغائط والبول . ٣/ الانتفاع بالبيوت لاتقاء الحر والبرد .

وليس لابن الجوزي فيما ذكر اختيار واضح أو تعليق(١) .

فوافقه ابن منظور في المواضع الثلاثة ، ويُلاحظ أنَّ ابن الجوزي أكثر تفصيلاً فيما يتعلق بالبيوت غير المسكونة وإن لم يُرجح شيئاً والأفضل في بيان البيوت غيرالمسكونة -كما أسلفت سابقاً – التعميم دون ذكر بعض الأمثلة ، فكل ما يمكن أن ينطبق عليه وصف كونه غير مسكون يمكن أن يدخل في هذا الإطار، ويجوز دخوله بغير استئذان .

سبب النزول :

آية النور :

أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حبان(٢) قال : لمَّا نزلت آية الاستئذان في البيوت قال أبوبكر – ﷺ – يا رسول الله فكيف بتجار قريش الذين يختلفون

---

(١) انظر : زاد المسير ، لابن الجوزي ، (٤٦٧/٣) ، (٢٢٤/٧) ، (٢٩/٦ ، ٣٠) .

(٢) مقاتل بن حبان : ورد اسمه في بعض التراجم مقاتل بن (حبان) بالباء ، وأكثر ورود اسمه مقاتل بن (حيان) بالياء ، أبوبسطام النبطي البلخي ، مولى بكر بن وأئل. كان خرازاً ، حدث عن عكرمة مولى ابن عباس وغيره ، في الطبقة الثانية من طبقات أهل خراسان . كان ناسكاً فاضلاً . (انظر : تاريخ مدينة دمشق ، لأبي القاسم ابن هبة الله الشافعي ، (١٠١/٦٠)) .

بين مكة والمدينة والشام ، ولهم بيوت معلومة على الطريق ، فكيف يستأذنون ويسلمون ، وليس فيها سكان ؟ فنزلت : (لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ) الآية[1] .

المعنى العام للآيات :

١/ آية التوبة :

(كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلاً وَأَوْلَـٰدًا) أي : أنتم أيها المنافقون مثل الذين من قبلكم من الأُمم المهلكة (فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَـٰقِهِمْ) استزادوا واستداموا في التمتع بنصيبهم من ملاذ الدنيا وما قُدِّر لهم فيها (فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَـٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَـٰقِهِمْ) ذم الأولين باستمتاعهم بحظوظهم الخسيسة من الشهوات الفانية،والتهائهم بها عن النظر في العواقب الحقة تمهيداً لذم المخاطبين بمشابهتهم إيَّاهم واقتفائهم أثرهم . (وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ) ، أي : دخلتم في الباطل كالخوض الذي خاضوه. (أُوْلَـٰٓئِك) إشارة إلى المشبهين والمشبه بهم (حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ) ، أي : ضاعت وبطلت بالكلية ، ولم يترتب عليها أثر ، أمَّا في الآخرة فظاهر ، وأما في الدنيا فما يترتب على أعمالهم فيها من الصحة والسعة وغير ذلك فليس على طريق المثوبة والكرامة ، بل بطريق الاستدارج . (وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ) أي: الكاملون في الخسران في الدارين[2] .

٢/ آية غافر :

هذه الآية في مؤمن آل فرعون الذي قال لقومه : (يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ) ، أي : قليلة زائلة فانية عن قريب تذهب وتضمحل (وَإِنَّ

---

(١) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ١٥٨ ، وانظر : تفسير ابن أبي حاتم ، (٨/٢٥٧٠) .

(٢) انظر : إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (٤/٨١) .

ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ) أي : الدار التي لا زوال لها ، ولا انتقال منها ، ولا ظعن عنها إلى غيرها ، بل إمّا نعيم ، وإمّا جحيم)[1].

٣/ آية النور :

(لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٍ) ، أي : بغير استئذان (فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمۡ) يعنى منفعة لكم . وقد اختلف في هذه البيوت ، والصحيح أنَّ المراد جميع المواطن التي لا ساكن لها ، لأنَّ الاستئذان إنَّما جاء لئلا يطلع على عورة ، فإن لم يخف ذلك فله الدخول بغير استئذان (وَٱلله يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ) ، أي : أحوالكم الظاهرة والخفية ، وعلم مصالحكم ، فلذلك شرع لكم ما تحتاجون إليه من الأحكام الشرعية[2] .

النص رقم : (٢٥٦)

يقول تعالى : [إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ][3] .

قال ابن منظور : (وقوله – عزّ وجل – : (إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ) معناه : ذو الاقتدار والشدة ، القراءة بالرفع ، والمتين صفة لقوله (ذو القوة) ، وهو الله –تبارك وتقدس– ومعنى : ذو القوة المتينُ : ذو الاقتدار الشديد ، والمتين في صفة الله القويُّ . قال ابن الأثير : (هو القوي الشديد ، الذي لا يلحقه في أفعاله مشقة ولا كلفة ولا تعب ، والمتانة الشدة والقوة ، فهو من حيثُ إنَّه بالغ

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لأبن كثير ، (٨١/٤) .

(٢) انظر : معالم التنزيل ، للبغوي ،(٣٣٧/٣)، وانظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ٥٦٦ .

(٣) سورة الزاريات ، الآية (٥٨) .

القدرة تامُّها قوي ، ومن حيث إنَّه شديد القوة متين) [١] . قال ابن سيده : (وقرئ (المتين) بالخفض على النعت للقوة) [٢] ... والمتين من كل شيء : القويُّ) [٣].

دراسة النص :

ذكر الطبري اختلاف القراء في قراءة قوله (المتين) ، وأورد لهم قراءتين في ذلك ، إحداهما بالرفع ، بمعنى : ذو القوة الشديد ، فجعلوا المتين من نعت ذي ، ووجَّهوه إلى وصف الله به ، والقراءة الثانية بالخفض ، وجعل هؤلاء المتين من نعت القوة .

ثُمَّ صَوَّب الطبري قراءة من قرأ : (ذو القوةِ المتينُ) رفعاً ، على أنَّه من صفة الله جلّ ثناؤه ، واختار الطبري هذه القراءة لإجماع الحجة من القراء عليها . فوافقه ابن منظور في ذلك[٤] .

أمَّا الرازي فلم يذكر وجوه القراءات في لفظ (المتين) ، وكل الذي ذكره في ذلك هو معنى المتين ، حيثُ قال : هو الذي له ثبات لا يتزلزل[٥].

فالرازي وإن لم يُفصِّل في معنى المتين بذكر القراءتين فيه، إلا أنَّ ما ذكره لايخرج في معناه عمَّا ذكره ابن منظور.

وفعل القرطبي كما فعل الطبري. وكما فعل ابن منظور من بعدهما ، حيث ذكر أنَّ معنى قوله : (ذو القوة المتينِ) : الشديد القوى ، وذلك على القراءة بالرفع ثم ذكر القراءة بالجر على النعت للقوة[٦].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، مادة (متن) ، (٢٩٣/٤) .

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيده ، مادة (متن) ، (٥٠٨/٩) .

(٣) لسان العرب ، مادة (متن) ، (٣٩٩/١٣) .

(٤) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٢/٢٧ ، ١٣) .

(٥) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٠٣/٢٨) .

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٥٦/١٧) .

أمَّا ابن كثير فلم أجد في تفسيره لهذه الآية شيئاً يتعلق بمعنى المتين ، أو الخلاف في قراءة هذا اللفظ(١) .

فلا مقارنة بينه وبين ابن منظور في ذلك .

وبيَّن السمرقندي أنَّ المتين في اللغة : الشديد القوة ، ونسب إلى الأعمش أنَّه قرأ : (ذو القوة المتينِ) بكسر النون ، جعله من نعت القوة . وبيَّن أنَّ قراءة العامة بالضم(٢) .

فوافقه ابن منظور في ذلك .

وجوه القراءات :

قرأ الأعمش (ذو القوة المتين) بجر (المتين) صفة للقوة ، وجاء الوصف مُذكَّراً ، لأنَّ التأنيث غير حقيقي ، وقيل : إنَّها في معنى الأيد ، وقرأ الجمهور بالرفع على أنها صفة للرزاق(٣) .

المعنى العام للآية :

(إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ) يعنى : لجميع خلقه (ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ) وصف الله نفسه بالقوة ، والقوي هو الكامل القدرة على الشيء ، تقول : هو قادر على حمله ، فإذا زدته وصفاً قلت : هو قوى على حمله ، والمتين : أصله فعيل من المتن الذي هو العضو ، ويقال : ما تنتته على ذلك الأمر إذا قاويته مقاواة ، وهو يفيد في الله سبحانه التناهي في القوة والقدرة(٤).

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤/٢٣٩) .

(٢) انظر : بحر العلوم ، للسمرقندي ، (٣/٣٣١) .

(٣) انظر : إتحاف فضلاء البشر ، للدمياطي ، ص ٥١٧ .

(٤) انظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٤/٢٣٦) ، وانظر : تفسير أسماء الله الحسنى ، لأبي إسحق إبراهيم بن محمد بن سهل الزجَّاج ، تحقيق : أحمد يوسف الدقاق ، دار الثقافة العربية ، ص (٥٤ ، ٥٥) .

النص رقم (٢٥٧) و (٢٥٨) و (٢٥٩) و (٢٦٠) و (٢٦١) و (٢٦٢)

يقول تعالى : [...لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ...](١) .

و يقول تعالى : [فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ...](٢) .

و يقول تعالى : [...وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ...](٣) .

و يقول تعالى : [مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ ...](٤) .

و يقول تعالى : [...ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ ...](٥) .

و يقول تعالى : [يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ ...](٦) .

---

(١) سورة الشورى ، الآية (١١) . وتمام الآية : [فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ] .

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٣٧) . وتمام الآيـة : [فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ] .

(٣) سورة النحل ، الآية (٦٠) . وتمام الآيـة : [لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ] .

(٤) سورة الرعد ، الآية (٣٥) . وتمام الآية : [مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ] .

وقد ورد هذا الجزء من الآية أيضاً في سورة محمد ، الآية (١٥).

(٥) سورة الفتح ، الآية (٢٩) . وتمام الآيـة : [مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا] .

(٦) سورة الحـج ، الآيـة (٧٣) . وتمـام الآيـة : [يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (مِثْلُ : كلمةُ تسوية ، يقال : هذا مِثْله ومَثَله ، كما يُقال : شِبْهُهُ وشَبَهُهُ بمعنى ... وقوله –تعالى– : (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ) أراد : ليس مِثْلَه لا يكون إلا ذلك ، لأنَّه إن لم يقل هذا أثبت له مثلاً ، تعالى الله عن ذلك ... وقوله تعالى : (فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ). قال أبوإسحق : إن قال قائل : وهل للإيمان مِثْلٌ هو غير الإيمان ؟ قيل له : المعنى واضح بيِّن ، وتأويله : إن أتوا بتصديق مثل تصديقكم وإيمانكم بالأنبياء ، ووحَّدوا كتوحيدكم ، فقد اهتدوا ، أي : قد صاروا مسلمين مثلكم[(١)] ... والمثل : الحديث نفسه . وقوله – عزَّ وجل – : (وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ) جاء في التفسير أنَّه قول : لا إله إلا الله ، وتأويله أنَّ الله أمر بالتوحيد ، ونفى كل إله سواه ، وهي الأمثال ... والمَثَلُ : الشيء الذي يُضرب لشيء مثلاً ، فيجعل مِثْلَه ، وفي الصحاح : ما يُضرَب به الأمثال . قال الجوهري : ومَثَلُ الشيء أيضاً صفته[(٢)] ... وقوله عزَّ من قائل : (مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ) . قال الليث : مَثَلُهَا هو الخبر عنها ، وقال أبوإسحق : وذلك أنَّ قوله تعالى : (مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ) تفسير لقوله تعالى : (إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ)[(٣)] . وصف تلك الجنات فقال : مثل الجنة التي وصفْتُها[(٤)] ، وذلك مثل قوله : (ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ) ، أي : ذلك صفة محمد – ﷺ – وأصحابه في التوراة ، ثم أعلمهم أنَّ صفتهم في الإنجيل كزرع ... وفي التنزيل العزيز : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (١/١٨٧) .

(٢) انظر : الصحاح ، للجوهري ، مادة (مثل) ، (٥/١٨١٦) .

(٣) سورة الحج ، الآية (١٤) .

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٥/٨) .

فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓ) ، وذلك أنَّهم عبدوا من دون الله ما لا يسمع ولا يبصر ، وما لم تنزل به حجة ، فأعلم الله الجواب ممَّا جعلوه مثلاً وندّاً ، فقال : (إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابًا)(١) . يقول : كيف تكون هذه الأصنام أنداداً وأمثالاً ، وهي لا تخلق أضعف شيء ممَّا خلق الله ، ولو اجتمعوا كلهم له ، وإن يسلبهم الذباب الضعيف شيئاً لم يُخلِّصوا المسلوب منه ، ثم قال : (ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ)(٢))(٣) .

دراسة النصوص :

ذكر الطبري في قوله : (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌ) وجهين ، أحدهما : أن يكون المعنى : ليس هو كشيء ، وأدخل المثل في الكلام توكيداً للكلام إذا اختلف اللفظ به وبالكاف ، وهما بمعنى واحد .

وثانيهما : أن يكون المعنى : ليس مثله شيء ، وتكون الكاف هي المدخلة في الكلام ، وذكر في معنى آية البقرة : فإن صدق اليهود مثل تصديقكم أيها المؤمنون بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، وأقروا بذلك فقد اهتدوا إلى طريق الحق .

وقال الطبري في المثل الأعلى : وهو الأفضل والأطيب والأحسن والأجمل ، وذلك التوحيد ، والإذعان له بأنَّه لا إله غيره .

وذكر أنَّ معنى قوله : (مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ) : صفاتُ الجنة ، كما فسَّر المثل في آية الفتح بالصفة أيضاً .

---

(١) سورة الحج ، الآية (٧٣) .

(٢) سورة الحج ، الآية (٧٣) .

(٣) لسان العرب ، مادة (مثل) ، (١١/٦١٠ – ٦١٢) .

وفسَّر المثل في آية الحج بالشبه ، وقال في المعنى : كيف يُجعل مَثَلٌ في العبادة ، ويُشرك فيها معي ما لا قدرة له على خلق ذباب ، وإن أخذ له الذباب فسلبه شيئاً لم يقدر أن يمتنع منه ولا ينتصر ، وأنا الخالق ما في السموات والأرض ومالك جميع ذلك[1] .

وعلى هذا يكون ابن منظور ذاكراً لأحد الوجهين اللذين ذكرهما الطبري في آية الشورى ، وموافقاً له في جميع المواضع الأخرى .

وذكر الرازي أنَّ قوله : (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌ) معناه : ليس كهو شيء ، ولفظ (مثل) ، يفيد المبالغة .

أمَّا المثل الذي في آية البقرة فقد ذكر في معناه أربعة وجوه ، الأول : المقصود منه التثبيت ، والمعنى : إن حصلوا دينا آخر مثل دينكم ، مساوياً له في الصحة والسداد فقد اهتدوا ، لَمَّا استحال أن يوجد دين آخر يُساوي هذا الدين في السداد استحال الاهتداء بغيره .

الثاني : أنَّ المثل صلة في الكلام ، أي المعنى : فإن آمنوا بما آمنتم به فقد اهتدوا .

الثالث : أنَّكم آمنتم بالفرقان من غير تصحيف وتحريف ، فإن آمنوا بمثل ذلك ، وهو التوراة من غير تصحيف وتحريف فقد اهتدوا ؛ لأنَّهم يتصلون به إلى معرفة نبوة محمد ﷺ .

الرابع : أن يكون المعنى : فإن صاروا مؤمنين بمثل ما به صرتم مؤمنين فقد اهتدوا فالتمثيل في الآية بين الإيمانين والتصديقين .

ثُمَّ ذكر الرازي أنَّ الوجه الأول في الجواب هو المعتمد .

وبيَّن الرازي أنَّ المثل الأعلى في آية النحل هو الصفة العالية المقدسة ، وهي كونه – تعالى – منزهاً عن الولد .

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٢/٢٥ ، ١٣) ، (٥٦٨/١ ، ٥٦٩) ، (١٢٥/١٤) ، (١٦٢/١٣) ، (١١٢/٢٦) ، (٢٠٣/١٧) .

كما ذكر في آية الرعد قول الزجَّاج : إنَّ مثل الجنة بمعنى : صفة الجنة ، وكذلك جعل المثل بمعنى الصفة في آية الفتح .

أمَّا آية الحج فلم يبين المراد بالمثل فيها إلا أنَّه ذكر ما يفيد أنَّه بمعنى الأوثان والتماثيل(١) .

وعلى هذا فابن منظور يخالف الرازي في معنى المثل في آيتي الشورى والبقرة ، ويوافقه في معناه في بقية المواضع مع الخلاف اللفظي .

وذكر القرطبي في قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ قولين : الأول : إنَّ الكاف زائدة للتوكيد ، أي : ليس مثله شيء ، والثاني : إنَّ المثل زائدة للتوكيد ، أي : ليس كهو شيء . ونسب القرطبي هذا القول إلى ثعلب ، ولم يُرجح بين القولين . وذكر أن المعنى في آية البقرة : فإن آمنوا مثل إيمانكم ، وصدقوا مثل تصديقكم فقد اهتدوا ، فالمماثلة وقعت بين الإيمانين .

كما ذكر في آية النحل أنَّ المراد بالمثل الأعلى الوصف الأعلى من الإخلاص والتوحيد ونسبه إلى قتادة ، وذكر فيما ذكر قول ابن عباس – رضي الله عنهما – : إنَّ المثل الأعلى شهاة ألا إله إلا الله ، وجعل المثل في آيتي الرعد والفتح بمعنى الصفة ، وفي آية الحج بمعنى الشبيه في قول الأخفش(٢) .

فبذلك يكون ابن منظور قد ذكر أحد القولين اللذين أوردهما القرطبي في معنى المثل في آية الشورى ، ووافقه في سائر المواضع .

وجعل ابن كثير المثل زائدة ، حيثُ بيَّن أنَّ المعنى : ليس كخالق الأزواج كلها شيء ، كما جعل المماثلة في آية البقرة بين الإيمانيين .

وبيَّن أنَّ المثل الأعلى هو الكمال المطلق من كل وجه ، وهو منسوب إليه ، كما وذكر أن المثل في آيتي الرعد والفتح بمعنى الصفة والنعت ، وهو عنده بمعنى ضرب المثل نفسه في آية الحج(٣) .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٣٢/٢٧) ، (٧٦/٤ ، ٧٧) ، (٤٦/٢٠) ، (٤٧/١٩) ، (٩٤/٢٨) ، (٦٠/٢٣) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٨/١٦) ، (١٤٢/٢) ، (١١٩/١٠) ، (٣٢٤/٩) ، (٢٩٤/١٦) ، (٩٦/١٢) ، وانظر : معاني القرآن ، للأخفش ، (٦٣٥/٢) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١٠٩/٤) ، (١٨٨/١) ، (٥٧٤/٢) ، (٥١٨/٢) ، (٢٠٥/٤) ، (٢٣٦/٣) .

وعلى هذا يخالف ابن كثير ابن منظور في آيات الشورى والنحل والحج ، ويوافقه في آيات البقرة والرعد والفتح .

وذكر الواحدي في آية الشورى أنَّ الكاف زائدة ، والمعنى : ليس مثله شيء. وجعل المماثلة في آية البقرة بين التصديقين والإيمانين ، وعنده أنَّ المثل الأعلى و الإخلاص والتوحيد ، وهو شهادة ألا إله إلا الله ، وبين أنَّ المثل في آيتي الرعد والفتح بمعنى الصفة ، وفي آية الحج بمعنى ضرب المثل نفسه(1) .

وبذلك يكون ابن منظور متفقاً مع الواحدي في جميع المواضع إلا في الموضع الأخير .

المعنى العام للآيات :

١/ آية الشورى :

(فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ)،أي: مبدعهما.(جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا)، أي حلائل ، حيث خلق حواء من ضلع آدم. (وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجًاۖ) ذكوراً وإناثاً (يَذۡرَؤُكُمۡ) يخلقكم ويعيشكم (فِيهِ) أي : في الرحم ، وقيل : في البطن ، وقيل : في الروح ، وقيل : في هذا الوجه من الخليقة (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ) ، أي : لا مثل له ، (وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ) لما يقال (ٱلۡبَصِيرُ) لما يفعل(2) .

٢/ آية البقرة :

(فَإِنۡ ءَامَنُواْ) يعنى الكفار من أهل الكتاب وغيرهم (بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ) يا أيها المؤمنون من الإيمان بجميع كتب الله ورسله ، ولم يفرقوا بين أحد منهم (فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ) ، أي : فقد أصابوا الحق ، وأرشدوا إليه (وَّإِن تَوَلَّوۡاْ) ، أي : عن الحق إلى الباطل بعد قيام الحجة عليهم (فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ) ، أي : في خلاف ومنازعة

---

(١) انظر : الوجيز ، للواحدي ، (٢/٩٦١) ، (١/١٣٤) ، (١/٦١٠) ، (١/٥٧٤) ، (٢/١٠١٤) ، (٣/٢٣٦).

(٢)انظر: تفسير الجلالين،للمحلى والسيوطي، ص ٦٣٩ ، وانظر : الجواهر الحسان ، للثعالبي ، (٨/٣٠٥) .

(فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ) ، أي : فسينصرك عليهم ، ويظفرك بهم (وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ) لأقوالهم (ٱلۡعَلِيمُ) بأحوالهم[1] .

٣/ آية النحل :

(لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ) ، أي : للذين لا يصدقون بالمعاد والثواب والعقاب من المشركين مثل السوء ، وهو القبيح من المثل. (وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ) وهو الأفضل والأطيب والأحسن والأجمل ، وذلك التوحيد والإذعان له بأنَّه لا إله غيره[2] .

٤/ آية الرعد :

(مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ) ، أي : صفتها أنَّ الأنهار تجرى من تحتها. (أُكُلُهَا دَآئِمٞ) يُريد أنَّ ثمارها لا تنقطع كثمار الدنيا (وَظِلُّهَا) لأنَّه لا يزول ، ولا تنسخه الشمس. (تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ)، أي : عاقبة أمرهم المصير إليها (وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ) بالله (ٱلنَّارُ) [3].

٥/ آية الفتح :

قال تعالى للذين أنكروا أنَّ محمداً رسول الله (مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ) من المؤمنين (أَشِدَّآءُ) يعنى غلظاء (عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ) ، أي : متوادِّين بعضهم لبعض (تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا) ، أي : إذا رأيتهم تعرف أنَّهم أهل ركوع وسجود في الصلوات (يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا) يعني رزقاً (مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ) يعني يطلبون رضا ربهم (سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم) ، أي : علامتهم الهدى والسمت الحسن (مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ) يعني من أثر الصلاة (ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ) ، أي :

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١/١٨٨) ، وانظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (١/١٢٠) .

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ٥٤٦ ، وانظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٤/١٢٥) .

(٣) انظر : زاد المسير ، لابن الجوزي ، (٤/٣٣٤) .

ذلك الذي ذكر من نعت أمة محمد – ﷺ– في التوراة ، ثم ذكر نعتهم في الإنجيل فقال : (وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ) يعني الحلقة ، وهو النبت الواحد في أول ما يخرج (فَـَٔازَرَهُۥ) يعني فأعانه أصحابه ، يعني الوابلة التي تنبت حول الساق، فأمّا شطأه فهو محمد – ﷺ– وأمّا الوابلة التي تنبت حول الشطأة فاجتمعت فهم المؤمنون كانوا في قلة كما كان أول الزرع ، ثم زاد نبت الزرع فغلظ فآرزه (فَٱسْتَغْلَظَ) كما آزر المؤمنون بعضهم بعضاً حتى استغلظوا واستووا على أمرهم كما استلغظ هذا الزرع (فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ) فكما يعجب الزراع حسن الزرع حين استوى قائماً يعجب على سوقه فكذلك يغيظ الكفار كثرة المؤمنين واجتماعهم (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟) يعني صدقوا (وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ) من الأعمال (مِنْهُم مَّغْفِرَةً) لذنوبهم (وَأَجْرًا عَظِيمًۢا) يعني به الجنة[1].

٦/ آية الحج :

يُخبر الله –تعالى– في هذه الآية أنّ المشركين جعلوا الأصنام شبهاً لله – تعالى– فعبدوها معه ، وأشركوها في عبادته ، وطلب الاستماع إلى حال ما مثلوه، فإنّ الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولوجمعوا له، وإن يسلب الذباب الآلهه ، والآوثان شيئاً ممَّا عليها من طيب وما أشبهه لا يستخلصوه منه ، عجز الطالب – وهو الألهه – أن تستنفذ من المطلوب – وهو الذباب – ما سلبها إياه[2].

النص رقم (٢٦٣) و (٢٦٤) و (٢٦٥) و (٢٦٦) و (٢٦٧)

يقول تعالى : [فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ][3] .

ويقول تعالى : [...وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ][4] .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل بن سليمان ، (٣/٢٥٤) .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٧/٢٠٣) .

(٣) سورة الزخرف ، الآية (٥٦) .

(٤) سورة الزخرف ، الآية (٥٩) . وتمام الآية : [إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ] .

ويقول تعالى : [وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ](1) .

ويقول تعالى : [...إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً...](2) .

ويقول تعالى : [وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُ...](3) .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (وقد يكون المَثَلُ بمعنى العبرة ، ومنه قوله – عزَّ وجل – : (فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفًا وَمَثَلاً لِّلۡأَخِرِينَ) ، فمعنى السلف أنَّا جعلناهم متقدمين يتعظ بهم الغابرون ، ومعنى قوله : ومثلاً ، أي : عبرة يعتبر بها المتأخرون . ويكون المثل بمعنى الآية . قال الله – عزَّ وجل – في صفة عيسي – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – : (وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلاً لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ) ، أي : آية تدل على نبوته . وأمَّا قوله –عزَّ وجل– : (وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ) جاء في التفسير أنَّ كفار قريش خاصمت النبي ، فلمَّا قيل لهم : (إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ)(4) ، قالوا : قد رضينا أن تكون آلهتنا بمنزلة عيسى والملائكة الذين عُبِدوا من دون الله ، فهذا معنى ضرب المثل بعيسى ... والأمثلُ : الأفضلُ ... والطريقة المثلى : التي هي أشبه بالحق . وقوله تعالى : (إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً) معناه : أعد لهم وأشبههم بأهل الحق ، وقال الزجَّاج

(1) سورة الزخرف ، الآية (57) .

(2) سورة طه ، الآية (104). وتمام الآية: [نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمًا] .

(3) سورة الرعد ، الآية (6) . وتمام الآية : [وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ] .

(4) سورة الأنبياء الآية (98) .

: أمثلهم طريقة : أعلمهم عند نفسه بما يقول[1] ... الجوهري : (والمَثُلَة ، بفتح الميم وضم الثاء ، العقوبة ، والجمع : المثلات) [2] . التهذيب : وقوله تعالى : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ يقول : يستعجلونك بالعذاب الذي لم أعاجلهم به ، وقد علموا ما نزل من عقوبتنا بالأمم الخالية ، فلم يعتبروا بها ، والعرب تقول للعقوبة مَثُلَة ومُثْلَة ... يقول : يستعجلونك بالعذاب ، أي : يطلبون العذاب في قولهم : ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[3] ، وقد تقدم من العذاب ما هو مُثْلَة ، وما فيه نكالٌ لهم لو اتعظوا ، وكأنَّ المَثْلَ مأخوذ من المَثَل ؛ لأنَّه إذا شنع في عقوبته جعله مَثَلاً وعَلَماً[4])[5] .

دراسة النصوص :

ذكر الطبري في تفسير آية الزخرف (٥٦) في معنى السلف والمثل : أنَّ الله – تعالى – جعل الذين أغرقهم من قوم فرعون في البحر مقدمة يتقدمون إلى النار كفار قوم النبي – ﷺ– من قريش وهم لهم بالأثر ، كما أنَّ الكافرين من قوم فرعون هم عبرة وعظة يتعظ بهم من بعدهم من الأمم، فينتهوا عن الكفر بالله .

وقال في الآية : (٥٧) من سورة الزخرف : (يقول تعالى ذكره : ولمَّا شبه الله عيسى في إحداثه وإنشائه إيَّاه من غير فحل بآدم ، فمثله به بأنه خلقه من تراب من غير فحل إذا قومك يا محمد من ذلك يضجون ، ويقولون: ما يريد محمد منَّا إلا أن نتخذه إلهاً نعبده كما عبدت النصارى المسيح) .

ثُمَّ ذكر قول آخرين ، وهو القول الذي ذكره ابن منظور في معنى ضرب المثل بعيسى عليه السلام .

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٣٠٦/٣) .

(٢) الصحاح ، للجوهري ، مادة (مثل) ، (١٨١٦/٥) .

(٣) سورة الأنفال ، الآية (٣٢) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (مثل) ، (٩٩/١٥) .

(٥) لسان العرب ، مادة (مثل) ، (٦١٢/١١ – ٦١٥) .

وفسَّر الطبري المثل في آية الزخرف (٥٩) بأنَّ معناه : الآيـة ، وذكـر أنَّ قوله: (أَمۡثَلُهُم طَرِيقَةً) يعني : أوفاهم عقلاً ، وأعلمهم فيهم ، ويرى الطبـري أنَّ المثلات هي العقوبات المنكِّلات ، والواحدة منها مَثُلة (بفتح الميم وضم الثاء) [١] .

وعلى هذا فلا خلاف بين ابن منظور والطبري في المواضع السابقة إلا فـي آية الزخرف (٥٧) حيثُ يرى الطبري في معنى الآية خلاف الـذي ذكـره ابـن منظور .

وذكر الرازي في معنى السلف والمثل أنَّ الله –تعالى– جعل قـوم فرعـون الذين أغرقوا متقدمين ليتعظ بهم كفار أمة محمد –ﷺ– وعظة لمن بقي بعدهم.

أمَّا المثل في آية الزخرف (٥٧) فقد ذكر الرازي في معناه ثلاثـة وجـوه ، وذكر أنَّها جميعاً محتملة ، وفيها الوجه الذي ذكره ابن منظور ، كما جعل المثـل بمعنى الآية في الآية (٥٩) ، ويرى أنَّ قوله : (أمثلهم) معناه : أعقلهم ، وعنده أنَّ المَثُلاَت بمعنى العقوبات واحداتها مَثُلَة[٢] .

فوافق ابن منظور الرازي في جميع هذه المواضع ، وإن كان هناك بعـض الاختلاف في الأسلوب ، كما يُلاحظ أنَّ الرازي أكثر تفصيلاً من ابن منظور فـي بيان معنى ضرب المثل بعيسي – عليه السلام – في آية الزخرف (٥٧) .

وذكر القرطبي في معنى السلف والمثل قول مجاهد: أنَّ كفار قـوم فرعـون سلفٌ لكفار قوم النبي – ﷺ– يتقدمونهم إلى النار، وعظه لمن يأتي بعدهم ، وجعل القرطبي معنى ضرب المثل بعيسى – عليه السلام – أنَّ المشركين تعلقوا بـأمر عيسى – عليه السلام – وقالوا : ما يُريد محمد إلا أن نتخذه إلهـاً كمـا اتخـذت النصارى عيسى بن مريم إلهاً . ونسب هذا القول إلى قتادة ونحوه عن مجاهد ، ثم ذكر أقوالاً أخرى فيها قول ابن منظور .

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٨٥/٢٥) ، (٨٥/٢٥ ، ٨٦) ، (٨٩/٢٥) ، (٢١١/١٦) ، (١٠٥/١٣).

(٢) انظـر : التفسـير الكبيـر ، للـرازي ، (١٨٨/٢٧ ، ١٨٩) ، (١٨٩/٢٧ ، ١٩٠) ، (١٩٠/٢٧) ، (١٠٠/٢٢) ، (١٠/١٩) .

ويرى القرطبي أنَّ المثل في آية الزخرف (٥٩) بمعنى الآية والعبرة ، وقوله: (أمثلهم) في آية طه : أعدلهم قولاً وأعقلهم وأعلمهم عند نفسه ، وقوله : (المثلات) بمعنى العقوبات ، الواحدة (مَثُلة) [١].

وعلى هذا فإنَّ ابن منظور يوافق القطربي في جميع المواضع إلا في الآية (٥٧) من سورة الزخرف ، فإنَّه يخالفه كما هو ظاهر .

ونقل ابن كثير في آية الزخرف (٥٦) في معنى السلف والمثل قول من قال : (سلفاً) ، أي : لمثل من عمل بعملهم ، ومثلاً ، أي: عبرة لمن بعدهم .

وذكر ابن كثير في آية الزخرف (٥٧) في معنى ضرب المثل بعيسى – عليه السلام – ما ذكره ابن منظور في هذا المعنى مع اختلاف في الألفاظ الواردة في الروايتين المذكورتين ، والمعنى واحد .

وفسَّر ابن كثير المثل الذي ورد في الآية (٥٩) من السورة بأنَّه الدلالة والحجة والبرهان ، وعنده أنَّ أمثلهم طريقة في آية طه هو العاقل الكامل فيهم ، وأنَّ المثلات هي النقم والعقوبات[٢].

وبهذا يتفق مع ابن منظور في المواضع السابقة ، وإن خالفه في أسلوبه وتعبيره للوصول إلى المعنى .

وجعل الكلبي صاحب "التسهيل" السلف بمعنى المتقدم ، والمثل بمعنى العبرة ، وذكر في معنى ضرب المثل بعيسى – عليه السلام – القصة التي أوردها ابن منظور في ذلك ، واختار هذه الرواية مبيناً أنَّها قول الجمهور مع ذكره للأقوال الأخرى أيضاً .

أما المثل في الآية (٥٩) من نفس السورة فلم يذكر في معناه شيئاً ، وفسَّر الأمثل بمن هو أعلمهم بالأمور ، وبيَّن أنَّ المثلات جمع مَثْلَة ، وهي العقوبة العظيمة التي تجعل الإنسان مثلاً[٣] .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٠٢/١٦) ، (١٠٢/١٦ ، ١٠٣) ، (١٠٤/١٦) ، (٢٤٥/١١) ، (٢٨٤/٩) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١٣١/٤) ، (١٣٢/٤) ، (١٣٣/٤) (١٦٦/٣) ، (٥٠٢/٢).

(٣) انظر : التسهيل ، للكلبي ، (٣١/٤) ، (٣١/٤) ، (٣٢/٤) ، (١٩/٣) ، (١٣١/٢) .

وعلى هذا فلا خلاف بين ابن منظور والكلبي في جميع هذه الآيات إلا في الموضع الثالث ، فلا مقارنة فيه بينهما لسكوت الكلبي عن بيان معنى المثل فيه .

وجوه القراءات :

١/ آية الزخرف (٥٦) :

قرأ حمزة والكسائي (سُلُفا) بضم السين واللام ، وفتحهما الباقون[١] .

٢/ آية الزخرف (٥٧) :

قرأ نافع وابن عامر والكسائي (يَصُدُون) بضم الصاد ، وكسرها الباقون[٢] .

أسباب النزول :

١/ آية الزخرف (٥٧) :

ذكر السيوطي في سبب نزول هذه الآية فيما أخرجه الإمام أحمد بسند صحيح عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله – ﷺ – قال لقريش : إنَّه ليس أحد يُعبد من دون الله فيه خير ، فقالوا : ألستَ تزعم أنَّ عيسى كان نبيّاً وعبداً صالحاً ، وقد عُبِدَ من دون الله ، فأنزل الله : (وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلاً) الآية[٣] .

٢/ آية الرعد :

ذكر ابن الجوزي أنَّه قد وقع الخلاف فيمن نزلت هذه الآية على ثلاثة أقوال:

١/ نزلت في كفار مكة سألوا رسول الله – ﷺ – أن يأتيهم بالعذاب استهزاءً منهم بذلك. قاله ابن عباس رضي الله عنهما .

٢/ في مشركي العرب قاله قتادة .

٣/ في النضر بن الحارث حين قال : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك قاله مقاتل[٤].

---

(١) انظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص ٦٥١ ، وانظر : الكافي ، لابن شريح الرعينى ، ص ٢٠٠ .

(٢) انظر : المرجع السابق الأخير ، ص ٢٠٠ .

(٣) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ١٨٩ ، وانظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، مسند عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب عن النبي – ﷺ – حديث رقم (٢٩٢١) ، (٣١٧/١) .

(٤) انظر : زاد المسير ، لابن الجوزي ، (٣٠٥/٤) .

المعنى العام للآية :

١ / آيتي الزخرف (٥٦ ، ٥٧) :

(فَجَعَلۡنَٰهُمۡ) ، أي : كفار قوم فرعون (سَلَفًا) قوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم في إستحقاق مثل عقابهم ، ونزوله بهم لإتيانهم بمثل أفعالهم (وَمَثَلاً لِّلۡأٓخِرِينَ) يريد عظة لمن بقى بعدهم وآية (وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلاً) ، أي: ضرب عبدالله بن الزبعري[1] عيسى ابن مريم مثلاً،وجادل رسول الله – ﷺ– بعبادة النصارى إياه (إِذَا قَوۡمُكَ) قريش من هذا المثل (يَصِدُّونَ) ترتفع لهم جلبة وضجيج فرحاً وجزلاً وضحكاً بما سمعوا منه من إسكات رسول الله – ﷺ– بجدله ، وأمَّا من قرأ بالضم فمن الصدود ، أي : من أجل هذا المثل يصدون عن الحق ، ويعرضون عنه[2] .

٢/ آية الزخرف (٥٩) :

(إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ) ، أي : ما عيسى – عليه السلام – إلا عبد كسائر العبيد أنعمنا عليه بالنبوة ، وشرفناه بالرسالة ، وليس هو إلهاً ولا ابن إله كما زعم النصارى (وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلاً لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ) ، أي : وجعلناه آية وعبرة لبني إسرائيل يستدلون بها على قدرة الله –تعالى– حيثُ خُلق من أم بلا أب[3].

٣/ آية طه :

(نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمًا) يريد المجرمين من المشركين والعصاة المأخوذين بذنوبهم ، أي : نحن أعلم بما

---

(١) عبدالله بن الزبعري : هو عبدالله بن الزبعري (بكسر الزاي والموحدة وسكون المهملة) ، ابن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم القرشي السهمي ، أُمه عاتكة بنت عبدالله بن عمرو يكنى أبا سعد. كان من أشعر قريش ، وكان شديداً على المسلمين ، ثُمَّ أسلم في الفتح ، ومدح النبي – ﷺ– فأمر له بحلة .

(انظر : الإصابة ، لابن حجر ، (٨٧/٤)) .

(٢) انظر : الكشاف ، للزمخشري ، (٢٦٢/٤) . وانظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٨٩/٢٧) .

(٣) انظر : صفوة التفاسير ، لمحمد على الصابوني ، (١٥٧/٣) .

يتناجون وبما يقولون في مدة لبثهم حين يقول أعدلهم قولاً وأكملهم رأياً وعقلاً ، وأعلمهم عند نفسه : ما لبثتم إلا يوماً واحداً ، لأنَّ دار الدنيا كلها وإن طالت في أنظار الناس كأنَّها يوم واحد ، وغرضهم من ذلك درء قيام الحجة عليهم لقصر المدة ، كما يقول تعالى: (وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ)(١) .

٤/ آية الرعد :

(وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ) ذكر أنَّ مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلاً من العافية استهزاءً منهم (وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُ) يعنى : وقد مضت في الأمم المكذبة العقوبات بسبب تكذيبهم رسلهم (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡ) ، أي : لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا (وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ) يعني : للمُصرِّين على الشرك الذي ماتوا عليه(٢).

النص رقم (٢٦٨) و (٢٦٩) و (٢٧٠)

يقول تعالى : [ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ](٣) .

ويقول تعالى : [بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ](٤) .

ويقول تعالى : [قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ](٥) .

---

(١) سورة الروم ، الآية (٥٥) ، وانظر : التفسير المنير ، لوهبة الزحيلي ، مج٨ ، (٦٣٨/١٦) .

(٢) انظر : لباب التأويل ، للخازن ، (٤٣٠/٣ ، ٤٣١) .

(٣) سورة البروج ، الآية (١٥) .

(٤) سورة البروج ، الآية (٢١) .

(٥) سورة ق ، الآية (١) .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (المَجْدُ : المُرُوءةُ والسَّخَاءُ . والمَجْدُ : الكرمُ والشرفُ ... والمجيدُ فعيل منه للمبالغة ، وقيل : هو الكريم المفضال ... والمجيدُ من صفات الله – عزَّ وجل – . وفي التنزيل العزيز : (ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ) ، وفي أسماء الله تعالى : المَاجِدُ . والمَجْدُ في كلام العرب الشرف الواسع. التهذيب : الله – تعالى– هو المجيدُ ، تمجَّد بفعاله ، ومجَّده خلقُهُ لعظمته ، وقوله تعالى : (ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ) . قال الفرَّاء : خفضه يحيى[1] وأصحابه ، كما قال : (بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٌ مَّجِيدٌ) ، فوصف القرآن بالمجادة[2] ، وقيل : يقرأ : (بل هو قرآنُ مجيدٍ[*]) ، والقراءة : قرآنٌ مجيدٌ ، ومن قرأ : قرآنُ مجيدٍ ، فالمعنى : بل هو قرآنُ ربٍّ مجيدٍ . ابن الأعرابي : قرآنٌ مجيدٌ ، المجيدُ : الرفيع . قال أبو إسحق : معنى المجيد الكريم، فمن خفض المجيد فمن صفة العرش، ومن رفع فمن صفة (ذو)[3]. وقوله تعالى : (قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ) يريد بالمجيد الرفيع العالي . وفي حديث عائشة – رضي الله عنها – : ناوليني المجيد[4] ، أي : المصحف هو من

---

(١) يحيى : هو يحيى بن وثاب الأسديّ ، الكوفي ، القارئ العابد ، أحد الأعلام ، مولى بني أسد ، مقرئ الكوفة في زمانه ، كان ثقة إماماً كبير القدر . توفي سنة (١٠٣هـ) . (انظر : معرفة القراء الكبار ، لشمس الدين الذهبي ، (٦٢/١) ، وانظر : مولد العلماء ووفياتهم ، لابن زبر الربعي ، (٢٤٤/١)) .

(٢) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٢٥٤/٣) .

* هذه القراءة التي ذكرها ابن منظور ، ولم يذكرها من المفسرين غير الرازي – كما سيأتي بيان ذلك – أوردها ابن خالويه ضمن شواذ القرآن ونسبها لليماني . (انظر : مختصر في شواذ القرآن ، لابن خالويه ، ص ١٧١).

(٣) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (مجد) ، (٦٨٢/١٠) ، وانظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ،(٢٣٨/٥) .

(٤) لم أجد هذا الحديث إلا في غريب الحديث ، لأبي سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي ، تحقيق : عبدالكريم إبراهيم العزباوي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢هـ ، (١٤٧/٢) . قال : ويروى عن عائشة أنَّها قالت لجاريتها ناوليني المجيد ، تريد المصحف ، تريد قول الله تعالى : (بل هو قرآن مجيد) . وكذلك ورد في النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، (٢٩٨/٤) .

قوله تعالى : (بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٌ مَّجِيدٌ) ، وفي حديث قراءة الفاتحة : مجدني عبدي[1]، أي : شرَّفني وعظمني) [2].

دراسة النصوص :

وافق ابن منظور الإمام الطبري الذي فسر قوله : (المجيدُ) في آية البـروج (١٥) بالكريم ، وذكر القراءتين في ذلك ، وهما : القراءة بالرفع ردّاً على قوله : (ذو العرش) على أنَّه من صفة الله –تعالى– ، وذكر أنَّ هذه هي قراءة عامة قراء المدينة ومكة والبصرة وبعض الكوفيين . والقراءة الأُخرى بالخفض على أنَّه مـن صفة العرش ، وذكر أنَّ هذه هي قراءة عامة قراء الكوفة ، ثُمَّ ذكر أنَّ من أخـذ بأي قراءة منهما فهو مصيب .

وفسَّر الطبري قوله (قرآن مجيد) في آية البروج (٢١) بأنه كريم أيضـاً إلا أنَّه لم يذكر وجوه القراءات في ذلك .

كما فسَّر (المجيد) في آية ق بالكريم أيضاً[3] .

فخالف ابن منظور في الموضعين الآخرين ولكن من حيث اللفظ فقـط ، لأنَّ القرآن الكريم لا شك أنَّه يوصف بالكريم والرفيع العالي .

أمَّا الرازي فقد ذكر القراءتين أيضاً في قوله : (المجيد) في البروج (١٥) ، وكأنه يميل إلى القراءة بالخفض على أنَّ المجيد صفة للعـرش ، حيـثُ قـال : (ورأيُنا أنَّ الله –تعالى– وصف العرش بأنَّه كريم ، فلا يبعد أيضاً أن يصفه بأنَّـه مجيد ، ثُمَّ قالوا : إنَّ مجد الله عظمته بحسب الوجـوب الـذاتي وكمـال القـدرة والحكمة والعلم ، وعظمة العرش علوه في الجهة ، وعظمـة مقـداره ، وحسـن صورته وتركيبه) .

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم عن أبى هريرة مرفوعاً . انظر : صحيح مسلم ، ٤- كتاب الصـلاة ، ١١- باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ، حديث رقم (٣٩٥) ، (٢٩٦/١) .

(٢) لسان العرب ، مادة (مجد) ، (٣٩٥/٣ ، ٣٩٦) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٣٩/٣٠) ، (١٤٠/٣٠) ، (١٤٧/٢٦) .

والذي يظهر من كلام الرازي في آية البروج (٢١) أنَّه يرى أنَّ المجيد من صفة القرآن الكريم ، ومعناه : مصون عن التغير والتبدل ، وعلى هذا فهو يؤيد القراءة برفع قوله : (مجيد) .

ثُمَّ ذكر القراءة بالإضافة ، أي : (قرآنُ مجيدٍ) ، وبيَّن أنَّ معناها : قرآن رب مجيد .

وذكر في آية ق أنَّ المجيد هو العظيم ، وقيل :هو كثير الكرم، وعلى الوجهين فالقرآن مجيد (١) .

فالذي يظهر لي من ذلك أنَّ ابن منظور يخالف الرازي في اختيار القراءة لقوله تعالى (المجيد) في البروج (١٥) ، حيثُ اختار ابن منظور القراءة بالرفع –كما يظهر من كلامه – ويميل الرازي إلى القراءة بالخفض كما أسلفت .

أمَّا آية البروج (٢١) فقد وافقه ابن منظور في اختيار القراءة فيها ، وخالفه في المعنى على ما يبدو .

وخالفه في اللفظ فقط في آية (ق) ، فإن العظيم والكريم والرفيع كلها ألفاظ مترادفة مؤدَّاها واحد .

وذكر القرطبي في قوله (المجيد) في البروج (١٥) القراءتين الواردتين في ذلك ، ولم يُرجّح بينهما مُبيناً أنَّ المجيد بمعنى النهاية في الكرم والفضل .

ولم يذكر شيئاً عن القراءات في قوله (مجيد) في البروج (٢١) ، بل تكلم عن المعنى فقط ، فقال : (أي : متناه في الشرف والكرم والبركة ، وهو بيان ما بالناس الحاجة إليه من أحكام الدين والدنيا لا كما زعم المشركون ، وقيل : مجيد ، أي : غير مخلوق) .

وقال في معنى (المجيد) في آية ق : أي الرفيع القدر ، وقيل : الكريم ، وقيل : الكثير ، مأخوذ من كثرة القدر والنزلة ، لا من كثرة العدد(٢).

وعلى هذا فلا خلاف من حيث المعنى بين ابن منظور والقرطبي إلا في آية البروج (١٥) ، حيثُ يميل ابن منظور إلى القراءة بالرفع ، أمَّا القرطبي فقد ذكر القراءتين دون ترجيح .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١١٣/٣١) ، (١١٤/٣١) ، (١٢٨/٢٨) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٩٦/١٩ ، ٢٩٧) ، (٢٩٨/١٩) ، (٣/١٧) .

وذكر ابن كثير أنَّ معنى المجيد في أية البروج (١٥) العظيم العالي على جميع الخلائق ، ثم ذكر القراءتين الواردتين في ذلك ، وبيَّن أن كلاهما معنى صحيح .

وذكر أنَّ معنى (مجيد) في البروج (٢١) في وصف القرآن ، أي عظيم كريم ولم يذكر القراءة الأخرى بالإضافة .

كما ذكر أن قوله (المجيد) في آية ق بمعنى الكريم العظيم[(١)] .

فوافق ابن منظور من حيث معنى المفردة ، إلا أنَّه صوب في آية البروج(١٥) القراءتين جميعاً ، ولم يذكر في آية البروج (٢١) القراءة بالإضافة التي أوردها ابن منظور .

وذكر البغوي القراءتين في قوله (المجيد) في البروج (١٥) مبيناً أنَّ معنى المجيد العظيم .

وفسر قوله (قرآن مجيد) في البروج (٢١) بالكريم الشريف كثير الخير .

وبذات التفسير فسر قوله (المجيد) في آية ق[(٢)] .

وكل هذه الألفاظ التي ذكرها البغوي في تفسير المجيد وما ذكرها ابن منظور ألفاظ مترادفة المعاني ، إلا أنَّ البغوي لم يُرجح بين القراءتين في آية البروج (١٥) كما فعل ابن منظور حيثُ اختار القراءة بالرفع .

وجوه القراءات :

آية البروج (١٥)

قرأ حمزة والكسائي وخلف : (ذو العرش المجيدِ) بخفض الدال ، وقرأ الباقون برفعها[(٣)].

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤/٤٩٧) ، (٤/٤٩٧) ، (٤/٢٢٢) .

(٢) انظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٤/٤٧١) ، (٤/٤٧٢) ، (٤/٢٢٠) .

(٣) انظر : شرح الشاطبية المسمى (إرشاد المريد إلى مقصود القصيد) ، لعلي محمد الضباع ، مطبعة الفجر الجديد ، القاهرة ، ص ٣٠١ ، وانظر : إرشاد المبتدئ وتذكرة المنتهى ، لابن بندار ، ص ٣٤٦.

المعنى العام للآيات :

١/ آية البروج (١٥) :

(ذُو ٱلۡعَرۡشِ) ، أي : صاحب العرش العظيم ، وإنَّما أضاف العرش إلـــى الله – تعالى – وخصَّه بالذكر ، لأنَّ العرش أعظم المخلوقات ، وأوسع من السماوات السبع ، وخلقه بهذا الوصف يدل على عظمة خالقه (ٱلۡمَجِيد) أي هو تعالى المجيدُ، العالي على جميع الخلائق ، المتصف بجميع صفات الجلال والكمال[(١)].

٢/ آية البروج (٢١)

(بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٌ مَّجِيدٌ) ، أي : بل هذا الذي كذَّب به كفار قريش كتاب عظيم شريف ، متناهٍ في الشرف والمكانة ، قد سما على سائر الكتـــب الســـماوية فـــي إعجازه ونظمه وصحة معانيه[(٢)].

٣/ آية ق :

(ق) الله اعلم بمراده ، وقد ذكر فيه أقوال كثيرة ، فقيل : هو اسم من أسماء السورة ، أو من أسماء القرآن ، وقيل : هو اسم من أسماء الله تعالى ، كقوله قادر وقاهر ، وقيل : يعني قُضي الأمر ، وقيل : هو جبل من زمرد أخضـــر محـــيط بالعالم ، وقيل : يعني: إنَّ الله –عزَّ وجل– قائم بالقسط (وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ) ، أي: الشريف الكريم على الله ، الكثير الخير، وجواب القسم قوله بعده: (بَلۡ عَجِبُوٓاْ) [(٣)]، وقيل : جوابه محذوف مجازه : والقرآن المجيد لتبعثن ، وقيل غير ذلك[(٤)].

---

(١) و(٢) انظر : صفوة التفاسير ، لمحمد على الصابوني ، (٣/٥٢٧) .

(٣) سورة ق ، الآية (٢) .

(٤) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٦٨٨ ، وانظر : بحر العلوم ، للسمرقندي ، (٣/٣١٥) ، وانظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٤/٢٢٠) .

النص رقم (٢٧١) و (٢٧٢)

يقول تعالى : [وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...][١] .

ويقول تعالى : [...وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ...][٢] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (والمَحْصُ : خُلُوصُ الشيء ، ومَحَصَ الشيءَ يمَحْصُهُ مَحْصاً ومَحَّصَه : خَلَّصَه ، زاد الأزهري : من كل عيبٍ[٣] ... وفي التنزيل : (وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ) ، وفيه : (وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) ، أي : يخلصهم ، وقال الفرَّاء : يعني يُمحص الذنوب عن الذين آمنوا[٤] ... وقال أبوإسحق : جعل الله الأيام دولاً بين الناس ليمحص المؤمنين بما يقع عليهم من قَتْلٍ أو ألم أو ذهاب مال ، قال : ويمحق الكافرين ، أي : يَسْتَأْصِلُهُم[٥] . والمَحْصُ في اللغة : التخليص والتنقية ... قال ابن سيده : وتمحيصُ الذنوب تطهيرها أيضاً ... قال : فمعنى قوله : (وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) أي : يخلصهم من الذنوب[٦] . وقال ابن عرفة : (وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) أي : يبتليهم ، قال : ومعنى

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٤١) . وتمام الآية : [وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ] .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٥٤) . وتمام الآية : [ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ] .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (محص) ، (٢٧١/٤) .

(٤) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٢٣٥/١) .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٣٩٦/١) .

(٦) انظر : المحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيده ، مادة (محص) ، (١٧٢/٣) .

التمحيص : النقص ... فسميَّ الله ما أصاب المسلمين من بلاء تمحيصاً ، لأنَّه ينقص به ذنوبهم ، وسماه الله من الكافرين مَحْقاً) (١).

دراسة النصين :

ذكر الطبري في تفسير آية آل عمران (١٤١) أنَّ التمحيص بمعنى الاختبار والابتلاء ونقل عن بعض أهل التأويل أن اختيار الذين آمنوا يكون لأجل تخليصهم بالبلاء الذي نزل بهم .

أمَّا في آية آل عمران (١٥٤) فقد ذكر أنَّ تمحيص قلوب المنافقين يكون بتبيين ما فيها من الاعتقاد لله ولرسوله – ﷺ – وللمؤمنين من العداوة أو الولاية(٢).

وعلى هذا فلا خلاف بين الطبري وابن منظور ، وإن لم يذكر الطبري في كلامه على تفسير أية آل عمران (١٥٤) تخليصاً ، إلا أنَّ ما ذكره من التبيين فيه معنى التخليص .

وقال الرازي في تفسير آية آل عمران (١٤١) في بيان قوله : (وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) ، أي : ليطهرهم من ذنوبهم ، ويُزيلها عنهم ، والمحص في اللغة : التنقية ، والمحق في اللغة : النقصان .

وذكر في الآية (١٥٤) في بيان معنى التمحيص أنَّه بمعنى التخليص أو تكفير الذنوب ، فوافقه ابن منظور في المعنى اللغوي للمفردة في الآيتين(٣).

وذكر القرطبي في آية آل عمران (١٤١) أنَّه قد ورد في معنى التمحيص في هذه الآية ثلاثة أقوال : ١/ الاختبار ٢/ التطهير من الذنوب ٣/ التخليص.

ثم ذكر أنَّ هذا القول الثالث هو أغربها .

وذكر في الآية (١٥٤) أنَّ التمحيص بمعنى تمحيص اليسئات [أي تكفيرها والتخليص منها] (٤).

---

(١) لسان العرب ، مادة (محص) ، (٩٠/٧) .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٠٧/٤) ، (١٤٣/٤) .

(٣) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٦/٩) ، (٤١/٩) .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٢٠/٤) ، (٢٤٣/٤).

فلا خلاف بين ابن منظور والقرطبي في المعنى اللغوي لهذه المفردة في الموضعين ، فإنَّ معاني الاختبار [الابتلاء] والتطهير من الذنوب والتخليص كلها ذكرها ابن منظور ، ولاشك أنَّ التطهير من الذنوب والتخليص منها من دواعي الابتلاء والاختبار .

وبيَّن ابن كثير في الآية (١٤١) التمحيص بمعنى تكفير الذنوب، وإن لم تكن هناك ذنوب فرفع للدرجات بحسب ما أصيبوا به .

كما بين في الآية (١٥٤) أن التمحيص بمعنى الاختبار(١) .

فوافق ابن منظور في المعنى اللغوي للفظة في الآيتين.

وروى ابن أبي حاتم في تفسير الآية (١٤١) عن مجاهد أنَّ التمحيص بمعنى الابتلاء ، وعن محمد بن إسحاق أنَّه بمعنى الاختبار حتى يخلصهم بالبلاء الذي نزل بهم . وعنه أيضاً في الآية (١٥٤) أنَّه بمعنى الابتلاء(٢) .

فوافقه ابن منظور على ذلك .

المعنى العام للآيتين :

١/ الآية (١٤١) :

(وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) ، أي : يكفر عنهم ذنوبهم إن كانت لهم ذنوب، وإلا رَفَعَ لهم درجاتهم بحسب ما أُصيبوا به (وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ) المحق : الذهاب ، أي : إذا ظفروا وبغوا وبطروا فيكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم ومحقهم وفنائهم(٣) .

٢/ الآية (١٥٤) :

(ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةً) أمناً (نُّعَاسًا) بدل (يَغۡشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمۡ) من المؤمنين (وَطَآئِفَة قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ) ، أي : حملتهم على الهم ، فلا

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤٠٩/١) ، (٤١٩/١) .

(٢) انظر : تفسير القرآن ، لعبدالرحمن بن أبي حاتم (٧٧٤/٣ ، ٧٧٥) ، (٧٩٦/٣) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٠٩/١) .

رغبة لهم إلا نجاتها دون النبي – ﷺ– وأصحابه فلم يناموا ، وهم المنافقون (يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ) حيثُ اعتقدوا أنَّ النبي قُتل أو لا ينُصر (يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ) أي : النصر الذي وُعِدْنَاهُ (قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ) أي :القضاء له يفعل ما يشاء (يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ) ما لا يظهرون (يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا) ، أي : لو كان الاختيار إلينا لم نخرج، فلم نقتل لكن أخرجنا كرهاً (قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ) وفيكم من كتب الله عليه القتل (لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ) لخرج الذين قضى عليهم القتل منكم إلى مصارعهم فيقتلوا ،ولم ينجهم قعودهم ، لأنَّ قضاءه تعالى كائن لا محالة (وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ) أي فعل ما فعل بأُحد ليختبر قلوبكم من الإخلاص والنفاق (وَلِيُمَحِّصَ) يميز (مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ) ، أي : بما في القلوب،لا يخفى عليه شيء ، وإنَّما يبتلي ليظهر للناس[1] .

النص رقم (٢٧٣)

يقول تعالى : [يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ...][2] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (المَحْقُ : النقصان وذهاب البركة ، وشيءٌ ماحقٌ : ذاهب ... مَحَقَهُ يَمْحَقُه محقاً ، أي : أبطله ومحاه . قال الله –تعالى– : (يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ) ، أي : يستأصل الله الربا فيُذْهِب ريعه وبركته . ابن الأعرابي : المحق أن يذهب الشيء كله حتى لا يُرى منه شيٌ) [3].

---

(١) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٨٨.

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٧٦). وتمام الآية:[يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ] .

(٣) لسان العرب ، مادة (محق) ، (١٠/٣٣٨) .

دراسة النص :

ذكر الطبري في تفسير محق الله – عزَّ وجل – للربا في هذه الآية أنَّ الله – تعالى – ينقصه فيذهب[1].

فوافقه ابن منظور في المعنى اللغوي لهذه المفردة .

كما وافق الرازي الذي فسر المحق في الآية بالنقصان[2] .

ووافق أيضاً القرطبي الذي بيَّن أنَّ المحق يكون في الدنيا ، وهو ذهاب بكرة مال الربا وإن كان كثيراً[3].

ووافقه ابن كثير الذي يرى أنَّ المحق هو إذهاب الربا ، إمَّا بأن يذهبه بالكلية من يد صاحبه ، أو يحرمه بركة ماله فلا ينتفع به[4].

ووافقه أبوالسعود أيضاً حيث فسَّر محق الربا بذهاب بركته وهلاك المال الذي يدخل فيه[5].

وعلى هذا فجميع أقوال المفسرين في المحق تدور حول النقصان والذهاب والهلاك ، فلا خلاف بينهم وبين ابن منظور في هذا المعنى .

المعنى العام للآية :

(يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ) ، أي : يذهبه ويذهب بركته ، فيكون سبباً لوقوع الآفات فيه ، ونزع البركة عنه ، وإن أنفق منه لم يؤجر عليه بل يكون زاداً إلى النار (وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ) ، أي : ينميها ، وينزل البركة في المال الذي أخرجت منه، وينمي أجر صاحبها ، وهذا لأنَّ الجزاء من جنس العمل (وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ) لنعم الله ، لا يؤدي ما أوجب عليه من الصدقات ، ولا يسلم منه ومن شره عبادالله (أَثِيمٍ) ، أي : قد فعل ما هو سبب لومه وعقوبته[6].

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٠٤/٣) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٨٣/٧) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي / (٣٦٢/٣) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣٢٩/١) .

(٥) انظر : إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (٢٦٧/١) .

(٦) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ١١٧ .

النص رقم (٢٧٤)

يقول تعالى : [...وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ][1] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (والمَحْلُ : المَكْرُ والكَيْدُ ، والمِحَال : المكر بالحق ... والمماحلة : المُمَاكرة والمكايدة ، ومنه قوله تعالى : (شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ))[2] .

دراسة النص :

فسر الطبري المماحلة في هذه الآية بالعقوبة والمكر والنكال[3] .

فوافقه ابن منظور على ذلك .

وذكر الرازي في معنى المحال عدة أقوال لأهل العلم ، منها : ١/ الميم زائدة وهو من الحول ونحوه ميم (مكان*) ، والمعنى : شديد المكر لأعدائه يهلكهم بطريق لا يتوقعونه .

٢/ المحال عبارة عن الشدة ، أي أنَّه – تعالى – شديد المغالبة .

٣/ المحال هو الجدال ، أي : شديد الجدال .

ولم يرجح الرازي بين الأقوال[4].

وعلى هذا يكون ابن منظور قد ذكر في تفسير الآية أحد الوجوه التي نقلها الرازي ، إلا أن ابن منظور لم يشر إلى زيادة الميم في لفظ (المحال) .

وذكر القرطبي قول ابن الأعرابي : إنَّ المحال المكر ، والمكر من الله – عزَّ وجل – التدبير بالحق ، ثم ذكر نحواً من الأقوال التي أوردها الرازي [5]، فيقال فيه ما قيل في الرازي .

---

(١) سورة الرعد ، الآية (١٣) . وتمام الآية : [وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ] .

(٢) لسان العرب ، مادة (محل) ، (١١/٦١٨ ، ٦١٩) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٣/١٢٧) .

* قال الأزهري : هذا غلط ، فإنَّ الكلمة إذا كانت على مثال (فِعال) أوله ميم مكسورة فهي أصلية نحو مهاد ومراس ومداد . (انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (محل) ، (٥/٩٥ – ٩٦)) .

(٤) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٩/٢٣) .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٩/٢٩٩) .

وذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية ما يفيد أنَّ المماحلة بمعنى المكر ، ثم ذكر قولاً نسبه إلى علي – رضي الله عنه – وهو أنَّ المحال بمعنى الأخذ ، وقولاً ، آخر نسبه إلى مجاهد أنَّ معناه القوة(١) .

فوافق ابن منظور في ذلك ، ولعلَّ هذه الألفاظ التي ذكرها ابن كثير متقاربة المعنى ، وذات مدلول واحد .

وأورد السيوطي في "الدر المنثور" كذلك العديد من الأقوال والروايات في ذلك ، منها أنَّ المحال القوة ، والمحال المكر والقوة ، والمحال الحول ، والمحال الأخذ ، والمحال الانتقام ، والمحال الحقد* ، والمحال القوة والحيلة ، والمحال الحول والقوة(٢) . وقد بينتُ آنفاً أنَّ هذه الأقوال ذات مدلول واحد .

المعنى العام للآية :

(وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ) بأمره ، وهو صوت السماء ، ويُقال : ملك (وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ)، أي : تسبح الملائكة ، وهم خائفون من الله (وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ) يعني النار (فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ) فيهلك بها من يشاء (وَهُمۡ يُجَـٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ) ، أي : يُخاصمون في دين الله مع محمد – صلى الله عليه وسلم – (وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ) ، أي : شديد العقاب ، وقيل : شديد الكيد والمكر ، وقيل : شديد الأخذ ، وقيل غير ذلك(٣) .

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٥٠٨/٢) .

* قال الرازي : قالوا : هذا لا يصح ؛ لأنَّ الحقد لا يمكن في حق الله تعالى إلا أنَّا قد ذكرنا أنَّ أمثال هذه الألفاظ إذا وردت في حق الله تعالى ، فإنَّها تحصل على نهايات الأعراض لا على مبادئ الأعراض .
(انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٣/١٩)).

(٢) انظر : الدر المثور ، للسيوطي ، (٦٢٧/٤ ، ٦٢٨) .

(٣) انظر : تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، للفيروز آبادي ، (٢٠٦/١)، وانظر : مدارك التنزيل ، للنسفي ، (٢١٣/٢) ، وانظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (١١/٣) .

النص رقم : (**٢٧٥**)

يقول تعالى : [...أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ...][١] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (المِحْنَة : الخِبْرَة ، وقد امتحنه ، وامتحن القولَ : نظر فيه ودبَّره ... ورُوى عن مجاهد في قوله تعالى : (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ) ، قال : خلَّص الله قلوبهم ، وقال أبو عبيدة : (امتحن الله قلوبهم صفَّاها وهذَّبها)[٢] ، وقال غيره : المُمْتحنُ : المُوَطَّأ المُذَلَّل ، وقيل : معنى قوله : (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ) شرح الله قلوبهم ، كأن معناه : وسع الله قلوبهم للتقوى) [٣] .

دراسة النص :

جمع الطبري هذه المعاني التي أوردها ابن منظور غير القول الأخير في تفسير هذه الآية حيثُ قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله هم الذين اختبر الله قلوبهم بامتحانه إياها ، فاصطفاها وأخلصها للتقوى ، يعنى لا تقائه بأداء طاعته واجتناب معاصيه كما يمتحن الذهب بالنار فيخلص جيدها ويبطل خبثها) [٤].

فوافقه ابن منظور في ذلك .

أمَّا الرازي فقد ذكر ثلاثة وجوه في بيان معنى قوله : (امتحن) ، أحدها : امتحنها ليعلم منه التقوى ، فإن من يعظم واحداً من أبناء جنسه لكونه رسول مرسل يكون تعظيمه للمُرسِل أعظم ، وخوفه منه أقوى .

---

(١) سورة الحجرات ، الآية (٣) . وتمام الآية : [إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ].

(٢) مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، (٢/٢١٩) .

(٣) لسان العرب ، مادة (محن) ، (١٣/٤٠١) .

(٤) جامع البيان ، للطبري ، (٢٦/١٢٠) .

ثانيها : امتحن ، أي : علم وعرف ، لأنَّ الامتحان تعرف الشيء ، والمعنى : عرف الله قلوبهم صالحة ، أي : كائنة للتقوى .

ثالثها : امتحن ، أي : أخلص،يُقال للذهب ممتحن ، أي : مخلص في النار .

وجعل الرازي كل هذه الوجوه محتملة كما يظهر من كلامه[١] ، ويُلاحظ أنَّ فيها قول ابن منظور .

وذكر القرطبي عدداً من الأقوال في ذلك ، حيثُ قال : (قال الفرَّاء ، أي : أخلصها للتقوى[٢] ، وقال الأخفش : أي : ختصها للتقوى[٣] ، وقال ابن عباس : امتحن الله قلوبهم للتقوى : طهرهم من كل قبيح ، وجعل في قلوبهم الخوف من الله والتقوى ، وقال عمر – رضي الله عنه – : أذهب الله عن قلوبهم الشهوات ، والامتحان افتعال ، من محنت الأديم محناً حتى أوسعته ، فمعنى امتحن الله قلوبهم للتقوى : وسعها وشرحها للتقوى ، وعلى الأقوال المتقدمة : امتحن قلوبهم فأخلصها ، كقولك امتحنت الفضة ، أي : اختبرتها حتى خلصت) [٤].

وعلى هذا فلا خلاف بين القرطبي وابن منظور ، والأقوال التي ذكرها القرطبي هنا ، وإن كانت متنوعة لفظاً إلا أنَّها غير مختلفة المضمون .

وقال ابن كثير في قوله : (ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ) : (أي : أخلصها لها ، وجعلها أهلاً ومحلاً) [٥] .

فلا خلاف بينه وبين ابن منظور على ذلك ، وإن كان ابن كثير أقل تفصيلاً من ابن منظور في هذا المعنى .

وقال الثعالبي : (أي : اختبرها فأخلصها واصطفاها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه ، وقال ابن عباس : أكرمها)[٦].

فوافق ابن منظور على ذلك ، مع أنَّ ابن منظور أكثر توسعاً منه .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٨/٩٩ ، ١٠٠) .

(٢) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٣/٧٠) .

(٣) انظر : معاني القرآن ، للأخفش ، (٢/٦٩٥) .

(٤)الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٦/٣٠٨ ، ٣٠٩) .

(٥) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤/٢٠٨) .

(٦) الجواهر الحسان ، للثعالبي ، (٩/٧٣) .

سبب النزول :

ذكر الطبري في سبب نزول هذه الآية أنَّه لما نزل قوله تعالى : (لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ)[1] فعد ثابت بن قيس[2] في الطريق يبكي ، فمرَّ به عاصم بن عدى بن العجلان[3] ، فقال ما يبكيك ؟ قال : هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت فِيَّ ، وأنا صيِّت ، رفيع الصوت ، فرفع عاصم ذلك إلى رسول الله – ﷺ – فدعا به ، فقال : أما ترضى أن تعيش حميداً ، وتقتل شهيداً ، وتدخل الجنة؟ قال : رضيت ، ولا أرفع صوتي أبداً على صوت رسول الله – ﷺ – فأنزل الله : (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ) الآية[4] . وقيل : نزلت في أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – لما كان منعها من غض الصوت ، والبلوغ به أخا السرار[5] .

المعنى العام للآية :

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ) إجلالاً له (أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ) ، أي : اختبرها فأخلصها واصطفاها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه ، وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – :أكرمها . (لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ) أي : مغفرة لذنوبهم ، وأجر عظيم لغضهم وسائر طاعاتهم[6] .

---

(١) سورة الحجرات ، الآية (٢) .

(٢) ثابت بن قيس : هو ثابت بن قيس بن شماس بن مالك بن امرئ القيس، يُكنى أبا أحمد . شهد أُحداً والخندق والمشاهد بعدها مع رسول الله – ﷺ – وكان خطيباً جهير الصوت . استشهد يوم اليمامة سنة (١٢هـ) . (انظر : المنتظم ، لابن الجوزي ، (٨٨/٤ ، ٨٩) ، وانظر : الآحاد والمثاني ، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني ، تحقيق : باسم فيصل أحمد الجوابرة ، دار الراية ، الرياض ، ط١ ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، (٤٦١/٣)) .

(٣) عاصم بن عدي بن العجلان : هو عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان بن حارثة بن ضبيعة بن حرام البلوي العجلاني ، حليف الأنصار ، كان سيد بني عجلان ، وهو أخو معن بن عدي ، يكنى أبا عمرو ، ويقال أبا عبدالله ، بدري وقيل : لم يشهدها وشهد أحداً وما بعدها مات سنة (٤٥هـ) . (انظر : الإصابة ، لابن حجر ، (٥٧٢/٣)) .

(٤) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ١٩٥ ، وانظر : جامع البيان ، للطبري ، (١١٩/٢٦) .

(٥) انظر : البحر المحيط ، لأبي حيان ، (١٠٦/٨) .

(٦) انظر : الكشف والبيان ، للثعلبي ، (٧٣/٩) ، وانظر : أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، (٢١٢/٥) .

النص رقم (٢٧٦)

يقول تعالى : [...وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ...][١] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (مَخَرَتِ السفينةُ تَمْخَرُ وتَمْخُر مَخْراً ومُخُوراً : جرَت تَشُقُّ الماءَ مع صوت ، وقيل : استقبلت الريح في جريتها ، فهي ماخرة ... وفي التنزيل : (وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ) يعنى : جَوارِي ، وقيل : المواخر التي تراها مقبلةً ومدبرةً بريح واحدة ، وقيل : هي التي تسمع صوت جريها ، وقيل : هي التي تشق الماء ، وقال الفرَّاء في قوله تعالى : (مواخر) : (هو صوت جرى الفلك بالرياح) [٢] ... قال أحمد بن يحيى : الماخرة : السفينة التي تمخر الماء ، تدفعه بصدرها) [٣] .

دراسة النص :

قال الطبري في تفسير هذه الآية : (يقول تعالى ذكره : وترى السفن في كل تلك البحار مواخر تمخر الماء بصدورها ، وذلك خرقها إياه إذا مرت ، واحدتها ماخرة . يُقال منه مَخَرَتْ وتَمْخَرُ وتَمْخُر مَخْراً ، إذا شقَّت الماء بصدرها) [٤].

فوافقه ابن منظور على ذلك ، غير أنَّ ابن منظور أكثر منه تفصيلاً في بيان المعنى اللغوي للمفردة . ولا عجب فإنَّ ذلك تخصصه .

وقال الرازي في معنى (مواخر) : (أي : ماخرات تمخر البحر بالجريان ، أي : تشق) [٥] .

---

(١) سورة فاطر، الآية (١٢). وتمام الآية:[وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَـٰذَا عَذۡبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأۡكُلُونَ لَحۡمًا طَرِيًّا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةً تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ] .

(٢) معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٣٦٨/٢) .

(٣) لسان العرب ، مادة (مخر) ، (١٦٠/٥) .

(٤) جامع البيان ، للطبري ، (١٢٤/٢٢) .

(٥) التفسير الكبير ، للرازي ، (١١/٢٦) .

فوافقه ابن منظور في المعنى كذلك .

وذكر القرطبي في معنى (مواخر) نحواً من الأقوال التي أوردها ابن منظور من بعده وزاد عليها ، ويمكن تلخيصها في الآتي : ١/ مواخر بمعنى جوارى من جرت تجرى . ٢/ بمعنى معترضة . ٣/ بمعنى مواقر*. ٤/ بمعنى تذهب وتجيء مقبلة ومدبرة بريح واحدة .

ثُمَّ قال : وأصلُ المَخْرِ شق الماء عن يمين وشمال ، مخرت السفينة تمخـرُ وتمخُرُ مَخْراً ومُخُوراً إذا جرت تشق الماء مع صوت(١).

وقال ابن كثير : (وترى الفلك فيه مواخر ، أي : تمخره وتشقه بحيزومها ، وهو مقدمها المسنم الذي يشبه جؤجؤ الطير ، وهو صدره ، وقال مجاهد : تمخر الريح السفن ، ولا يمخر الريح من السفن إلا العظام) (٢) .

فلا خلاف بينه وبين ابن منظور في ذلك .

وروى الصنعاني عن قتادة قوله : الفلك فيه مواخر : تجري مقبلة ومدبرة بريح واحدة(٣) .

وهذا أحد الأقوال التي ذكرها ابن منظور .

المعنى العام للآية :

(وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ)

ذكر الله – سبحانه – نوعاً آخر من بديع صنعه وعجيب قدرته ، والمراد بالبحران : العذب والمالح ، فالعذب الفرات الحلو ، والأُجاج المر ، والمراد بسائغ شرابه الذي يسهل انحداره في الحلق لعذوبته (وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا) وهو ما يصاد منهما من حيواناتهما التي تؤكل (وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا) كالخاتم والسوار والقلادة والخلخال ، وممَّا يُلبس حلية السلاح الذي يُحمل كالسيف والدرع

---

* قال السمعاني : مواقير ، أي : ممتلئة . (انظر : تفسير القرآن ، للسمعاني ، (٣٥٢/٤)).

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٨٩/١٠) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٥٥٢/٣) .

(٣) انظر : تفسير القرآن ، لعبدالرزاق الصنعاني ، (١٣٤/٣) .

ونحوهما (وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ) ، يقال : مخرت السفينة تمخر إذا شقت الماء، والمعنى : وترى السفن في البحرين شواق للماء ، بعضها مقبلة وبعضها مـــدبرة بريح واحدة (لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ) الله على ما أنعم عليكم به من ذلك(١) .

النص رقم (٢٧٧)

يقول تعالى : [فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ...](٢) .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (مَخِضَتِ المرأة مَخَاضاً ومِخَاضاً ، وهـــي مَـــاخِضٌ ... أخذها الطلق ، وكذلك غيرها من البهائم . والمَخَاضُ : وجع الولادة ، وكل حامل ضبها الطلق فهي مَاخِضٌ . وقولـــه – عـــزَّ وجـــل – : (فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ) المخاض : وجع الولادة ، وهو الطلق) (٣) .

دراسة النص :

لم يذكر الطبري معنى المخاض تفصيلاً في تفسير هذه الآية ، ولكنـــه ذكـــر بعض الروايات عن أهل التأويل تفيد أنَّه ما تجده المرأة من الطلق قبل الولادة(٤).

وعلى هذا فلا خلاف بينه وبين ابن منظور في ذلك .

ولا خلاف أيضاً بين ابن منظور والرازي الذي ذكر في معنى المخاض أنَّـــه من مخضت الحامل مخاضاً ، وهو تمخض الولد في بطنها ، وبيَّن أنَّ ذلـــك هـــو الطلق(٥) .

---

(١) انظر : فتح القدير ، للشوكاني ، (٣٤٢/٤ ، ٣٤٣) .

(٢) سورة مريم ، الآية (٢٣) . وتمام الآية : [فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا] .

(٣) لسان العرب ، مادة (مخض) ، (٢٢٨/٧ ، ٢٢٩) .

(٤) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٦٢/١٦ – ٦٥) .

(٥) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٧٣/٢١) .

كما وافق ابن منظور في ذلك الإمام القرطبي الذي قال : (وقرأ الجمهور : (المَخاض) بفتح الميم ، وابن كثير فيما روى عنه بكسرها ، وهو الطلق وشدة الولادة وأوجاعها . مخضت المرأة تمخض مَخاضاً ومِخاضاً ، وناقة ماخض ، أي : دنا ولادها) [١].

وفسر ابن كثير المخاض في هذه الآية بالطلق[٢] ، فوافق ابن منظور في ذلك.

وممَّن خالفه ابن منظور في ذلك من المفسرين الإمام الثعلبي ، حيثُ فسر المخاض بالحمل ، ثُمَّ ذكر القول الذي قال به ابن منظور ، وهو أنَّ معناها الطلق[٣].

وجوه القراءات :

رُوى عن ابن كثير أنَّه قرأ بكسر الميم في (المخاض) ، وقرأ الجمهور بفتحها[٤] .

المعنى العام للآية :

(فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ) أي : السيدة مريم العذراء ألجأها واضطرها ألم الطلق ، وتحرك الولد في بطنها إلى جذع النخلة لتستند إليه عند الولادة ، ولتستتر به ، والجذع ما بين العرق ومتشعب الأغصان من الشجرة ، وقد يُقال للغصن أيضاً جذع (يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا) ، أي : قبل هذا الوقت الذي لقيتُ فيه ما لقيت ، أو قيل هذا الأمر ، قالت ذلك استحياء من الناس ، وخوفاً من لائمتهم ، أو حذراً من وقوع الناس في المعصية بما يتكلمون فيها (وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا) ، أي شيئاً تافهاً شأنه أن يُنسى ولا يُعتد به أصلاً[٥] .

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٩٢/١١) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١١٧/٣) .

(٣) انظر : الكشف والبيان ، للثعلبي ، (٢١٠/٦) .

(٤) انظر : إملاء ما منَّ به الرحمن، للعكبري،(١١٢/٢)،وانظر:الجامع لأحكام القرآن،للقرطبي، (٩٢/١١) .

(٥) انظر : روح المعاني ، للألوسي ، (٨١/١٦ ، ٨٢) .

النص رقم (٢٧٨) و (٢٧٩) و (٢٨٠) و (٢٨١) و (٢٨٢)

يقول تعالى : [...وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ][(١)] .

ويقول تعالى : [فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ][(٢)] .

ويقول تعالى : [وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ][(٣)] .

ويقول تعالى : [وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا...][(٤)] .

ويقول تعالى : [وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ...][(٥)] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (وقوله تعالى : (وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ)، معناه يمهلهم * ، وطغيانهم : غلوهم في كفرهم ... وقوله تعالى : (فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ) فسره ثعلب ، فقال : معناه : في عَمَد طِوال ... وقال اللحياني : مَدَّ الأرضَ يمدها مَدّاً : بسطها وسوَّاها . وفي التنزيل العزيز : (وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ) ، وفيه : (وَٱلۡأَرۡض مَدَدۡنَٰهَا) ، ويقال : مددت الأرض مدّاً إذا زدت فيها تراباً أو سماداً من غيرها ليكون أعمر لها ، وأكثر ريعاً لزرعها ، وكذلك الرمال والسماد مداد لها

(١) سورة البقرة ، الآية (١٥) . وتمام الآية : [ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ] .

(٢) سورة الهمزة ، الآية (٩) .

(٣) سورة الانشقاق ، الآية (٣) .

(٤) سورة ق ، الآية (٧) . وتمام الآية : [وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ] . وقد ورد هذا الجزء من الآية أيضاً في سورة الحجر ،الآية (١٩) .

(٥) سورة طه ، الآية (١٣١) . وتمام الآية : [وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ] .

* وذكر ابن منظور في موضع آخر أنَّ معنى (يمدهم) : يُمْلِي لهم ويُلِجُّهم . (انظر : لسان العرب ، مادة (مدد) ، (٣٩٧/٣)) .

... ومدَّ بصره إلى الشيء : طمح به إليه . وفي التنزيـــل العزيـــز : (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجًا مِّنۡهُمۡ))[1] .

دراسة النصوص :

ذكر أبو جعفر الطبري اختلاف أهل التأويل في معنى قوله: (ويمـــدهم) فـــي آية البقرة على ثلاثة أقوال ، الأول : إنَّه بمعنى يملي لهم . الثاني : إنَّـــه بمعنـــى يزيدهم . الثالث : كان بعض نحويي البصرة يتأول ذلك أنَّه بمعنى : يمـــد لهـــم ، ويزعم أنَّ ذلك نظير قول العرب : الغلامُ يلعبُ الكعـــاب ، يُـــراد بـــه : يلعـــب بالكعاب، ثُمَّ بيَّن الطبري أنَّ أولى هذه الأقوال بالصواب أن يكـــون معنـــى قولـــه (ويمدهم) يزيدهم على وجه الإملاء والترك لهم في عتوهم وتمـــردهم ، ليـــزدادوا إثماً إلى إثمهم .

وفي آية الهمزة ذكر الطبري في معنى قوله (ممددة) عدة أقوال لـــيس فيهـــا القول الذي ذكره ابن منظور ، والأقوال هي : ١/ بمعنى : مغلقة مطبقة عليهم .

٢/ المعنى أنهم دخلوا في عمد ، ثُمَّ مدت عليهم تلك العمد بعماد .

٣/ قيل : هي عمد يعذبون بها في النار .

ثُمَّ بين الطبري أنَّ هذا القول الثالث هو أولى الأقوال بالصواب ، والله أعلـــم كيف تعذبيه إياهم بها ، ولم يأتنا خبر تقوم به الحجة بصفة تعذيبهم بها .

وقال الطبري في معنى مد الأرض في آية الانشقاق : وإذا الأرض بســـطت فزيد في سعتها ، وفي آية ق قال : والأرض بسطناها .

وفسَّر مد العينين في آية طه بالنظر[2] ، وهو معنى ما ذكره ابن منظور .

وعلى هذا يوافق ابن منظور الطبري في جميع المواضع عدا موضع الهمزة، ويُلاحظ في آية البقرة أنَّ الطبري أكثر تفصيلاً من ابن منظور في بيـــان معنـــى المفردة موضوع الدراسة .

---

(١) المرجع السابق ، مادة (مدد) ، (٣٩٧/٣) .

(٢) انظر: جامع البيان ، للطبري،(١٣٤/١)،(٢٩٥/٣٠ ، ٢٩٦) ، (١١٣/٣٠) ، (١٥١/٢٦) ، (٢٣٥/١٦)

وذكر الرازي في آية البقرة عدة أقوال في بيان معنى قولـــه : (ويمـــدهم) ، ومن بينها القول الذي قال به ابن منظور ، إلا أنَّه ردَّ هذا القول وفنده بقوله : ومن الناس من زعم أنَّه من المد في العمر والإملاء والإمهال ، وهذا خطأ .

وذكر الرازي في تفسير آية الهمزة وجهين ليس فيهمـــا الـــذي ذكـــره ابـــن منظور، أحدهما أنَّها عمد أُغلقت بها تلك الأبواب كنحو ما تغلق به الدروب ، وفي بمعنى الباء ، أي: أنَّها عليهم مؤصدة بعمد مدت عليها ، ولم يقل : بعمد ، لأنهـــا لكثرتها صارت كأنَّ الباب فيها . وثانيهما : أن يكون المعنى : إنَّها عليهم مؤصدة حال كونهم موثقين في عَمَدٍ مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص .

كما ذكر الرازي في بيان معنى آية الانشقاق وجهين أيضاً ، الأول : أنَّ المد مأخوذ من مدَّ الشيء فامتد ، وهو أن تُزال جبالها بالنسف ، ويُسَـــوِّى ظهرهـــا . الثاني أنَّه مأخوذ من مده بمعنى أمده ، أي : يُزاد في سعتها يوم القيامـــة لوقـــوف الخلائق عليها للحساب .

ولا تخرج التسوية ، وزيادة السعة في الأرض عن معنى البسط الذي ذكـــره ابن منظور .

وذكر الرازي في آية ق ما يفيد أنَّ المد بمعنى البسط والتسوية .

وذكر في آية طه وجهين عن أهل العلم في بيان المراد بمد العينين : الأول : أنَّ المراد منه نظر العين . قالوا : مد النظر تطويله ، وأن لا يكاد يرده استحساناً للمنظور إليه إعجاباً به . الثاني : ليس هو النظر ، بـــل هـــو الأســـف ، أي : لا تأسف على ما فاتك ممَّا نالوه من حظ الدنيا(١) .

ثُمَّ لم يرجح الرازي بين الوجهين . وعلى هذا يخالف ابن منظور الرازي في الموضعين الأول والثاني ، ويتفق معه في المواضع الثلاثة الأخرى ، إلا أنَّ ابـــن منظور ذكر في الموضع الخامس أحد قولي الرازي الذي لم يكن له اختيار واضح في ذلك .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٦٤/٢ ، ٦٥) ، (٩٠/٣٢) ، (٩٥/٣١) ، (١٣٥/٢٨) ، (١١٧/٢٢).

وقال القرطبي في معنى قوله : (ويمدهم) في آية البقرة : أي : يُطيل لهم المدة ، ويمهلهم ويُملى لهم كما قال : (إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا)[١] ، وأصله الزيادة .

وذكر القرطبي في آية الهمزة أنَّ النار مطبقة على أهلها ، أو مغلقة بعمد ممددة ، ولم يفصل في بيان المراد من قوله (ممددة) لكنه ذكر بعض أقوال أهل العلم في ذلك ، منها القول الذي أورده ابن منظور ، وهو تفصيلاً : إنَّ أبواب النار مطبقة عليهم ، وهم في عمد ، أي : في سلاسل وأغلال مطولة ، وهي أحكم وأرسخ من القصيرة .

ثُمَّ ختم القرطبي كلامه بقوله : والله أعلم ، فلم يكن له اختيار بين هذه الأقوال .

وبيَّن في آية الانشقاق أنَّ مد الأرض هو بسطها ودك جبالها ، وأحال في آية ق إلى ما ذكره في سورة الرعد* من أنَّ المد هو بسط الأرض طولاً وعرضاً .

وأحال أيضاً في بيان معنى مد العينين في آية طه إلى ما ذكره في سورة الحجر** ، حيثُ فسر ذلك بطمح البصر[٢] .

فوافق ابن منظور القرطبي في معاني المفردات – موضوع الدراسة – في جميع المواضع ، إلا أنَّ ابن منظور أقل تفصيلاً في آية الهمزة من القرطبي ، حيثُ ذكر ابن منظور أحد الأقوال التي نقلها القرطبي الذي لم يكن له اختيارٌ بين الأقوال .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٨٧) .

* وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : [وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۡهَٰرًا...] . سورة الرعد ، الآية (٣) . (انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٩/٢٨٠)) .

** وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : [لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجًا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ] . سورة الحجر ، الآية (٨٨) . (انظر : المرجع السابق ، (١٠/٥٦)) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (١/٢٠٩) ، (٢٠/١٨٦) ، (١٩/٢٧٠) ، (١٧/٦) ، (١١/٢٦١) .

وذكر ابن كثير في معنى (يمدهم) في آية البقرة قولين ، هما : ١/ يمــدهم : يملي لهم . ٢/ يمدهم يزيدهم .

ثُمَّ ذكر قول الطبري – آنف الذكر – الذي جمع بين هذين القولين ، أي : أنَّ المعنى : يزيدهم على وجه الإملاء والترك لهم في عتوهم وتمردهم .

ونقل ابن كثير في معنى العمد الممددة أقوال أهل العلم ، وفيهــا قــول ابــن منظور –آنف الذكر– ولم يرجح بين الأقوال .

وقال في آية الانشقاق في بيان معنى مد الأرض : أي : بُســطت وفُرِشــت ووسعت ، وقال في آية ق في ذلك : أي : وسعناها وفرشناها .

وفسر مد العنيين في آية طه بالنظر ، وهو معنى ما ذكره ابن منظــور فــي ذلك[١].

فوافق ابن كثير ابن منظور في جميع المواضع السابقة ، غير أنَّ ابن كثير لم يكن له اختيار واضح في آية الهمزة فيما يتعلق بمعنى العمد .

وقال السمعاني في تفسير قوله : (ويمدهم) : أي : يمهلهم حتى يستدرجهم .

وقال في (عمد ممددة) قيل: مطولة ، ويقال: ممدودة .

وذكر في معنى قوله : (وإذا الأرض مدت) أنَّه لا يبقى عليها جبل ولا شيء إلا دخل في جوفها ، وقيل : زيد في سعتها لتسعهم ، وعن بعضهم : غُيِّرت عــن هيئتها بالتبديل وغير ذلك .

وسكت السمعاني عن بيان معنى مد الأرض في آية ق ، مكتفياً بما ذكره في ذلك في سورة الحجر ، حيثُ بيَّن أنَّ معنى مد الأرض هو بسطها[٢].

كما سكت عن بيان المراد بمد العينين في آية طه[٣] ، مكتفياً بما ذكره فــي ذلك في سورة الحجر أيضاً من أنَّ معنى ذلك النظر[٤] .

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٥٣/١) ، (٥٤٩/٤) ، (٤٨٩/٤) ، (٢٢٣/٤) ، (١٧١/٣) .

(٢) انظر : تفسير القرآن ، للسمعاني ، (١٣٣/٣) . في تفسير الآية (١٩) من سورة الحجر .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (٥١/١) ، (٢٨١/٦) ، (١٨٦/٦ ، ١٨٧) ، (٢٣٦/٥) ، (٣٦٤/٣) .

(٤) انظر : المرجع السابق ، (١٥١/٣) . في تفسير الآية (٨٨) من سورة الحجر .

فلا خلاف بين السمعاني وابن منظور في جميع المواضع إلا في بعض الألفاظ المستعملة لبيان المعنى ، فالتوافق بينهما ليس لفظياً كله .

وجوه القراءات :

آية الهمزة :

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم : **(في عَمَدٍ)** بفتح العين والميم ، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي : **(في عُمُدٍ)** بضم العين والميم[١] .

سبب النزول :

آية طه :

ذكر السيوطي في سبب نزول هذه الآية عن أبي رافع قال : أضاف النبي – ﷺ – ضيفاً ، فأرسلني إلى رجل من اليهود أن أسلفني دقيقاً إلى هلال رجب ، فقال : لا ، إلا برَهْنٍ ، فأتيتُ النبي – ﷺ – فأخبرته ، فقال : أما والله ، إنِّي لأمين في السماء ، أمين في الأرض ، فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية[٢] .

المعنى العام للآيات :

١/ آية البقرة :

(ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ) يعني يجازيهم على استهزائهم ، والمراد المنافقون . (وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ) ، أي : يتركهم في ضلالتهم يتحيرون ويترددون، عقوبة لهم لاستهزائهم[٣].

٢/ آية الهمزة :

(فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةِۭ) إشارة إلى الحطمة ، نار الله الموقدة ، إنَّها عليهم مؤصدة في عمد ، فصارت العمد وصداً للباب كالقفل والغلق له ، وقيل : إنَّهم يدخلون في

---

(١) انظر : السبعة في القراءات ، لابن مجاهد، ص ٦٩٧ ، وانظر:حجة القراءات،لابن زنجلة ، ص ٧٧٣ .

(٢) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ١٤٧ .

(٣) انظر : بحر العلوم ، للسمرقندي ، (٥٦/١) .

عمد كالقصبة مجوفة الداخل ، وقيل : المعنى توضع أرجلهم في العمد على صورة القيد في الخشبة الممتدة يُشد فيها عدد من الأشخاص في أرجلهم .

ولعلَّ الذي هو أرجح في هذا المعنى أنَّ العمد بمعنى القصبة المجوفة تضيق عليهم ، كما في قوله تعالى : (وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا)[1] الآية[2] .

٣/ آية الانشقاق :

(وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ) ، أي : يوم القيامة ، وهو أن تزال جبالها ، وكل أمت فيها حتى تمتد وتتبسط ويستوي ظهرها،كما قال تعالى : (فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا * لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا)[3] أو من مدَّه بمعنى أمدَّه،أي: زيدت سعة وبسطاً[4].

٤/ آية ق :

(وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا) ، أي : بسطناها. (وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ) جبالاً ثوابت ، من رسا الشيء إذا ثبت . (وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ) ، أي : من كل صنف حسن[5] .

٥/ آية طه :

(وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ) الخطاب للنبي – ﷺ – ، أي : ولا تمد عينيك معجباً ، ولا تكرر النظر مستحسناً إلى أحوال الدنيا والممتعين بها من المآكل والمشارب اللذيذة والملابس الفاخرة وغير ذلك ، فإنَّ ذلك كله زهرة الحياة الدنيا جعلها الله فتنة

---

(١) سورة الفرقان : الآية (١٣) .

(٢) انظر : أضواء البيان ، للشنقيطي ، (١٠٢/٩) .

(٣) سورة طه ، الآيتان (١٠٦ ، ١٠٧) .

(٤) انظر : الكشاف ، للزمخشري ، (٧٢٦/٤ ، ٧٢٧) .

(٥) انظر : إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (١٢٦/٨) .

واختباراً ، ليعلم من يقف عندها ويغتر بها ، ومن هو أحسن عملاً . (وَرِزْقُ رَبِّكَ) العاجل من العلم والإيمان وحقائق الأعمال الصالحة والآجل من النعيم المقيم في جوار الرب الرحيم . (خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ) لكونه لا ينقطع(١) .

النص رقم (٢٨٣) و (٢٨٤) و (٢٨٥) و (٢٨٦) و (٢٨٧)

يقول تعالى : [وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ...](٢) .

ويقول تعالى : [...وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ...](٣) .

ويقول تعالى : [...وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ...](٤) .

ويقول تعالى : [...هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ..](٥) .

ويقول تعالى : [أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ](٦) .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (ومَدَّه في الغَيِّ والضلال يَمُدُّهُ مداً ومَدَّ له ... وأمَّده في الغي لغة قليلة . وقوله تعالى : (وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ) قراءة أهل الكوفة والبصرة يَمُدُّونَهم ، وقرأ أهل المدينة : يُمِدُّونهم ... ومَدَّ النَهْرُ النَهْرَ إذا جرى فيه.

---

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص (٥١٦ ، ٥١٧) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (٢٠٢) . وتمام الآية : [وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ] .

(٣) سورة لقمان ، الآية (٢٧) . وتمام الآية : [وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] .

(٤) سورة الإسراء ، الآية (٦) . وتمام الآية : [ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا] .

(٥) سورة آل عمران ، الآية (١٢٥) . وتمام الآية : [بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ] .

(٦) سورة المؤمنون ، الآية (٥٥) .

قال اللحياني : يُقال لكل شيء دخل فيه مِثْلُهُ فَكَثَّرُه : مَدَّه يَمُدُّه مداً . وفي التنزيل العزيز : (وَٱلْبَحْرِ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ) ، أي : يزيد فيه ماء من خلفه تجره إليه وتكثّره ... وقال الفرَّاء في قوله – عزَّ وجل – : (وَٱلْبَحْرِ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ) قال : تكون مِداداً كالمداد الذي يكتب به[1] . والشيء إذا مد الشيء فكان زيادة فيه ، فهو يمده ... ومددنا القوم : صرنا لهم أنصاراً ومدداً وأمددناهم بغيرنا ... وفي التنزيل العزيز : (وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ) . والمَدَدُ : ما مَدَّهم به أو أَمَدهم ... والجمع أمداد ... والمَدَدُ : العساكرُ التي تُلحَق بالمغازي في سبيل الله . والإمداد أن يُرْسِل الرجل للرجل مدداً . تقول : أمْدَدْنا فلاناً بجيش . قال الله –تعالى– : (هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ) ، وقال في المال : (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ) ... فالمدد ما أمددت به قومك في حرب أو غير ذلك من طعام أم عوان)[2] .

دراسة النصوص :

ذكر الطبري أنَّ قوله (يمدونهم) في آية الأعراف بمعنى يزيدونهم ، وذكر في هذه الكلمة قراءتين ، قراءة بعض المدنيين ، وهي بضم الياء : (يُمِدُّونهم) من أمددت . وقراءة عامة قراء الكوفيين والبصريين بفتح الياء ، أي (يَمُدُّونهم) من مددت ، ثُمَّ صوب الطبري القراءة بفتح الياء .

وفسَّر قوله : (والبحر يمده) بأن البحر له مداد ، وهو ما يُكتب به .

كما فسر الإمداد في آية الإسراء بالزيادة ، وأمَّا الذي في آية آل عمران فلم يتعرض له بالشرح والبيان ، وفسر المدد الذي في آية المؤمنون بالعطاء[3] .

(١) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٢/٣٣٠) .

(٢) لسان العرب ، مادة (مدد) ، (٣/٣٩٧ ، ٣٩٨) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٩/١٥٩ ، ١٦٠) ، (٢١/٨٠) ، (١٥/٣٠) ، (٤/٧٦) ، (١٨/٣١) .

فلم يخالف ابن منظور الطبري إلا في آية لقمان ، حيثُ يرى الطبري أنَّ المراد في الآية هو المداد الذي يكتب له ، وذلك هو مذهب الفرَّاء الذي ذكره عنه ابن منظور . أمَّا ابن منظور فيرى أنَّ المقصود مطلق الزيادة والكثرة .

ولا مقارنة بين ابن منظور والطبري في آية آل عمران لسكوت الطبري عن بيان معنى الإمداد فيها .

وفسر الرازي الإمداد في آية الأعراف بتقوية الوسوسة والإقامة عليها ، وذكر القراءتين الواردتين في قوله : (يمدونهم) .

كما فسر المدد الذي في آية لقمان بالكثرة ، حيثُ ذكر أنَّ المراد : لو مدت البحار الموجودة بسبعة أبحر أُخر ، والإشارة إلى المدد والكثرة ليس لانحصارها في سبعة .

ولم يتكلم الرازي عن معنى الإمداد في آيتى الإسراء وآل عمران .

وفسر الإمداد في آية المؤمنون بالعطاء(١) .

فلا خلاف بينه وبين ابن منظور فيما سبق إلا آيتى الإسراء وآل عمران فلا مقارنة فيهما بينهما ، حيثُ لم يبين فيهما الرازي معنى المفردة موضوع الدراسة .

ولم يذكر القرطبي في معنى قوله (يمدونهم) شيئاً ، لكنه ذكر القراءتين الواردتين في ذلك ، وقد أشرتُ إليهما سابقاً .

وبيَّن القرطبي في آية لقمان ، أنَّ المراد هو المداد الذي يُكتب به ، وسكت عن بيان المعنى في آيتى الإسراء وآل عمران . وفسر الإمداد بالعطاء في آية المؤمنون(٢).

فخالف ابن منظور القرطبي في آية لقمان ووافقه في آيتى الأعراف والمؤمنون ، ولا مقارنة بينهما في الإسراء وآل عمران .

وذكر ابن كثير أنَّ المد في آية الأعراف بمعنى الزيادة ، ولم يذكر اختلاف القراءات في قوله (يمدونهم).

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٨٢/١٥) ، (١٣٨/٢٥) ، (١٢٥/٢٠) ، (١٧٨/٨) ، (٩٢/٢٣) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣٥١/١٧ ، ٣٥٢) ، (٧٧/١٤) ، (٢١٧/١٠) ، (١٩٤/٤) ، (١٣١/١٢) .

وجمع ابن كثير في آية لقمان بين المعنيين ، وهما القول بأن المراد المداد ، والقول بأنَّ المراد المدد والكثرة ، حيثُ قال : وجعل البحر مداداً ، وأمـدَّه سبعة أبحر معه .

ولم يذكر ابن كثير معنى الإمداد في آيتي الإسراء وآل عمران .

وفسره في آية المؤمنون بالعطاء[1].

فلا خلاف بينه وبين ابن منظور فيما سبق إلا آيتى الإسراء وآل عمران ، فلا مقارنة فيهما بينهما .

وفسر النحَّاس قوله (يمدونهم) بأن معناه : يزيدونهم ، ولم يذكر فيه وجوه القراءات .

وجمع في آية لقمان بين معنى المداد ومعنى الإمداد الذي بمعنى الزيادة والكثرة .

ولم يذكر معنى الإمداد في آيات الإسراء وآل عمران والمؤمنون[2] .

فلا خلاف بين ابن منظور والنحاس في موضعي الأعراف ولقمان ، ولا مقارنة بينهما في بقية المواضع لسكوت النحَّاس عن بيان المعنى فيها .

وجوه القراءات :

١/ آية الأعراف :

اختلفوا في فتح الياء وضمها من قوله (يمدونهم) فقرأ ابن كثير وأبوعمرو وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي : (يَمُدُّونهم) بفتح الياء وضم الميم ، وقرأ نافع وحده : (يُمِدُّونهم) بضم الياء وكسر الميم[3] .

٢/ آية لقمان :

قرأ أبوعمرو : (والبحرَ يمده) بفتح الراء ، وقرأ الباقون بالرفع[4] .

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢/٢٨٠) ، (٣/٤٥٢) ، (٣/٢٦) ، (١/٤١٢) ، (٣/٢٤٨) .

(٢) انظر : معاني القرآن ، للنحَّاس ، (٣/١٢١) ، (٥/٢٩٢) ، (٤/١٢٣) ، (١/٤٩٦) ، (٤/٤٦٧) .

(٣) انظر : السبعة في القراءات ، لابن مجاهد ، ص ٣٠١ . وانظر : الكافي ، لابن شريح ، ص ١١٩ .

(٤) انظر : حجة القراءات، لابن زنجلة، ص ٥٦٦،وانظر:البدور الزاهرة ، لعبدالفتاح القاضي ، (٢/٦١٦) .

المعنى العام للآيات :

١/ آية الأعراف :

(وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ) المراد الجاهلون ، وإخوانهم الذين يمدونهم في الغى هم شياطين الجن ، وقد يكونون هم شياطين الإنس أيضاً ، إنهم يزيدون لهم في الضلال ، ولا يكلون ولا يسأمون ولا يسكتون ، وهم من ثَمَّ يحمقون ويجهلون ويظلون فيما هم فيه سادرين[1] .

٢/ آية لقمان :

يقول الله – تعالى – في هذه الآية : ولو أنَّ جميع أشجار الأرض جُعلت أقلاماً ، وجُعل البحر بسعته حبراً ومداداً ، وأمده سبعة أبحر معه ، فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لانتهت وفنيت تلك الأقلام والبحار وما انتهت كلمات الله ، لأنَّ الأشجار والبحار متناهية ، وكلمات الله غير متناهية[2].

٣/ آية الإسراء :

(ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ) الخطاب لبني إسرائيل ، أي : ثُمَّ أعدنا لكم الدولة والغلبة على أهل بابل أولي البأس الشديد ، ورددنا لكم القوة ، وأهلكنا أعداءكم وجعلناكم أكثر نفيراً ، أي : عدداً من الرجال ، وأمددناكم بالأموال والأولاد والسلاح بفضل طاعة الله والاستقامة على أمره[3] .

٤/ آية آل عمران :

(بَلَىٰٓۚ) يكفيكم ذلك ؛ لأنَّه أمدهم أولاً بألف ، ثُمَّ صارت ثلاثة، ثُمَّ صارت خمسة (إِن تَصۡبِرُواْ) على لقاء العدو (وَتَتَّقُوا) الله في المخالفة (وَيَأۡتُوكُم) ، أي : المشركون (مِّن فَوۡرِهِمۡ) وقتهم (هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ

(١) انظر : في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، مج٣ ، (١٤٢٠/٩) .

(٢) انظر : صفوة التفاسير ، لمحمد علي الصابوني (٤٧٦/٢ ، ٤٧٧) .

(٣) انظر: التفسير المنير ، لوهبة الزحيلي ، مج ٨ ، (٢٤/١٥) .

مُسَوِّمِينَ) ، أي : معلمين . وقد صبروا وأنجز الله وعده بأن قاتلت معهم الملائكة على خيل بلق ، عليهم عمائم صفر أو بيض أرسلوها بين أكتافهم(١) .

٥/ آية المؤمنون :

(أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ) يعني: أيظن هؤلاء المغرورون أنَّ ما نعطيهم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا ، ومعزتهم عندنا، كلا ليس الأمر كما يزعمون ، لقد أخطأوا في ذلك وخاب رجاؤهم ، بل إنَّما نفعل بهم ذلك استدراجاً وإنظاراً وإملاءً(٢) .

النص رقم (٢٨٨)

يقول تعالى : [...أَءِنَّا لَمَدِينُونَ](٣) .

قال ابن منظور : (ويقال للأمة : مدينة ، أي: مملوكة ، والميم ميم مفعول ... وكذلك قال ابن الأعرابي : ابن مدينة ابن أمة ... وقد فسر قوله تعالى : (أَءِنَّا لَمَدِينُونَ)، أي : مملوكون بعد الموت ، والذي قاله أهل التفسير : لَمَجْزِيُّون) (٤) .

دراسة النص :

ذكر الطبري أنَّ معنى قوله : (لمدينون) : لمحاسبون ومجزيون(٥) .

وذكر الرازي أيضاً أنَّ معنى المفردة : لمحاسبون ومجازون(٦) .

وقال القرطبي في هذا المعنى : (أي : مجزيون محاسبون بعد الموت) (٧).

وقال ابن كثير : (قال السديّ : محاسبون) (٨) .

---

(١) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٨٤.

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم،لابن كثير ، (٣/٢٤٨) .

(٣) سورة الصافات ، الآية (٥٣) . وتمام الآية : [أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ] .

(٤) لسان العرب ، مادة (مدن) ، (١٣/٤٠٣) .

(٥) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٣/٦٠) .

(٦) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٦/١٢١) .

(٧) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٥/٨٢) .

(٨) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤/١١) .

وجمع الثعالبي بين القولين ، فقال في تفسير هذه المفردة : (مجزيون ومحاسبون ومملوكون) [١] .

ولعل هناك علاقة بين المِلْك والمحاسبة والمجازاة ، فإنَّ من توابع الملكية أن يُحاسب المالك مملوكه على أفعاله .

وعلى هذا فلا خلاف بين ابن منظور وجميع هؤلاء المفسرين في معنى المفردة موضوع الدراسة .

وجوه القراءات :

قرأ عاصم : (أئذا متنا) ، (أئنا لمدينون) بالاستفهام في الأول، والإخبار في الثاني ، وقرأ نافع والكسائي ويعقوب وابن عامر وأبوجعفر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني ، والباقون بالاستفهام فيهما[٢] .

المعنى العام للآية :

هذه الآية والآيات قبلها حكاية عن أحد أهل الجنة الذي أخبر أنَّه كان له في الدنيا قرين مصاحب يقول له على طريقة التوبيخ بما كان عليه من الإيمان والتصديق بالبعث : أئنك لمن المصدقين بالبعث أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون ، أي: لمبعوثون ومجزيون ، من الدين بمعنى الجزاء ، أو لمسوسون ، يُقال : دانه ، أي : ساسه[٣] .

النص رقم (٢٨٩)

يقول تعالى : [...يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ...][٤] .

---

(١) الجواهر الحسان ، للثعالبي ، (١٤٥/٨) .

(٢) انظر : إتحاف فضلاء البشر ، للدمياطي ، ص ٤٧٣ .

(٣) انظر : إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (١٩٢/٧) .

(٤) سورة الأنفال ، الآية (٢٤) . وتمام الآية : [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (قال الله –تعالى– : (يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ) على فتح الميم . الجوهري : المَرْءُ : الرجل ، تقول : هذا مَرْءٌ صالحٌ ، ومررتُ بَمَرْءٍ صالح، ورأيتُ مرءاً صالحاً . قال : وضم الميم لغة : تقول : هذا مُرؤٌ ، ورأيت مُرْءاً ، ومررتُ بمُرْءٍ[1])[2] .

دراسة النص :

فسر الطبري (المرء) في هذه الآية بالمؤمن أو الكافر ، وذكر في إحدى الروايات أنَّه الإنسان[3] .

فلا خلاف من حيث المعنى بين ابن منظور والطبري .

كما فسر الرازي المرء بالمؤمن أو الكافر أيضاً[4] .

وأضاف القرطبي إلى سابقيه العبد أيضاً[5] .

وورد في تفسير ابن كثير والواحدي أنَّه الإنسان[6] .

فلا خلاف بين منظور وهؤلاء المفسرين في معنى (المرء) الذي ورد ذكره في هذه الآية .

المعنى العام للآية :

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ) بالطاعة (إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) من العلوم الدينية ، فإنَّها حياة القلب ، والجهل موته ، أو ممَّا يورثكم الحياة الأبدية في النعيم الدائم من العقائد والأعمال ، أو من الجهاد فإنَّه سبب بقائكم، إذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم ، أو الشهادة (وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ

(١) انظر : الصحاح ، للجوهري ، مادة (مرأ) ، (٧٢/١) .

(٢) لسان العرب ، مادة (مرأ) ، (١٥٧/١) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢١٥/٩) .

(٤) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١١٨/١٥) .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣٩٠/٧) .

(٦) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٩٩/٢) ، وانظر : الوجيز ، للواحدي ، (٤٣٦/١) .

بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ) تمثيل لغاية قربه من العبد ، وتنبيه على أنَّه مطلـع علـى مكنونات القلوب وتصفيتها قبل أن يحول الله بينه وبين قلبه بالموت أو غيـره ، أو تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه ، فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ، ويحـول بينه وبين الكفر إن أراد سعادته ، وبينه وبين الإيمان إن قضى شقاوته (وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ) فيجازيكم بأعمالكم[١].

النص رقم (٢٩٠) و (٢٩١) و (٢٩٢)

يقول تعالى : [...فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ][٢] .

ويقول تعالى : [مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ][٣] .

ويقول تعالى : [وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ][٤] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (والمَرِيجُ : المُلْتَوِي الأعْوَجُ ، ومَرِجَ الأمرُ مَرَجاً ، فهـو مَارِجٌ ومَرِيجٌ : الْتَبَسَ واختَلَطَ . وفي التنزيل : (فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ) يقـول : فـي ضلال ، وقال أبوإسحق : في أمرٍ مُختلِف مُلْتَبِسٍ عليهم ، يقولون للنبي مرة ساحر ، ومرة شاعر ، ومرة مُعَلَّمٌ مجنونٌ ، وهذا الدليل على أنَّ قوله : (مريجٌ) : مُلْتَبِس عليهم[٥] ... وأمْرٌ مَرِيجٌ : أي : مختلط ... والمَرْجُ : الخَلْطُ . ومَرَجَ الله البحرَيْن العَذْبَ والمِلْحَ : خلطهما حتى التقيا ... ابن الأعرابي : المَرْجُ : الإجراءُ ، ومنـه قوله تعالى : (مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ) ، أي : أجراهما ... والمارِجُ : الخِلْطُ . والمـارِجُ :

---

(١) انظر : أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، (٣/٩٩ ، ١٠٠) .

(٢) سورة ق ، الآية (٥) . وتمام الآية : [بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ] .

(٣) سورة الرحمن ، الآية (١٩) .

(٤) سورة الرحمن ، الآية (١٥) .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٥/٣٥) .

الشُّعْلةُ السَّاطِعةُ ذاتُ اللَّهب الشَّديد . وقوله تعـالى : (وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ) ، قيل : معناه الخِلْطُ ، وقيل : معناه الشُّعْلَة ... وقيل : المارج اللهب المختلطُ بسواد النار ... وفي حديث عائشة : (خُلِقت الملائكةُ من نورٍ ، وخُلق الجان مـن مارجٍ من نار) [١] . مارج النار : لهبها المختلط بسوادها) [٢] .

دراسة النص :

لم يخالف ابن منظور الطبري في آية ق ، فقد ذكر الطبري في تفسير الأمر المريج أنَّهم – أي أولئك المشركين – في أمر مختلط عليهم ملتبس لا يعرفون حقه من باطله .

ثُمَّ ذكر اختلاف عبارات أهل التأويل في تأويل ذلك – وإن كانت متقاربـات المعاني – على أقوال ، هي : ١/ المريج هو الشيء المنكر . ٢/ هو المختلـف . ٣/ هو الضلالة . ٤/ هو الملتبس . ٥/ هو المختلط .

ثم ذكر الطبري سبب قوله أنَّ هذه العبارات متقاربات المعـاني ، وهـو أنَّ الشيء إذا كان مختلفاً ملتبساً فهو مشكل ، وإذا كان كذلك كان منكراً وإذا كان غير معروف كان لا شك ضلالة ، لأنَّ الهدي بين لا لبس فيه .

وبيَّن الطبري أنَّ معنى قوله : (مرج) في آية الرحمن (١٩) : أرسل وخلى. ولعلَّ هذا هو معنى ما ذكره ابن الأعرابي من أنَّ معناه : الإجراء مِمَّا خالفهما فيه ابن منظور .

وبيَّن الطبري أنَّ معنى قوله : (مارج من نار) في آية الرحمن (١٥) : مـا اختلط بعضه ببعض من بين أحمر وأصفر وأخضر ، وذلـك هـو لهـب النـار ولسانه[٣] .

فلا خلاف بين ابن منظور والطبري على ذلك .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة – رضي الله عنها – بلفظ : (قـال رسـول الله – ﷺ – : خلقـت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم) . أخرجـه فـي : ٥٣– كتاب الزهد والرقائق ، ١٠– باب : في أحاديث متفرقة ، حديث رقم (٢٩٩٦) ، (٢٢٩٤/٤) .

(٢) لسان العرب ، مادة (مرج) ، (٣٦٥/٢ ، ٣٦٦) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٤٩/٢٦ – ١٥١) ، (١٢٨/٢٧) ، (١٢٥/٢٧) .

وذكر الرازي في معنى قوله : (أمر مريج) أنَّه مختلف مختلط ، وأورد قول الزجَّاج آنف الذكر .

كما ذكر في آية الرحمن (١٩) أنَّ المَرْج بمعنى الخلط ، وأنَّ قوله : (مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ) معناه :أرسل بعضهما في بعض ، وهما عند الإرسال بحيث يلتقيان ، ولكن الله –تعالى– منعهما عمَّا في طبعهما .

وبيَّن في الآية (١٥) أنَّ المارج هو المختلط ، وفيه وجهان : أحدهما أنَّ المارج هو النار المشوبة بدخان ، والثاني النار الصافية ، ثُمَّ ذكر أنَّ الوجه الثاني أصح من حيثُ اللفظ والمعنى(١) .

وعلى هذا فلا خلاف بين ابن منظور والرازي في المعاني اللغوية لهذه المفردات في الآيات الثلاث .

وذكر القرطبي أنَّ معنى قوله : (مريج) : مختلط ، ثم ذكر قول الزجَّاج الذي أورده ابن منظور ، ونسبه إلى الضحاك وابن زيد ، ثُمَّ ذكر نحواً من الأقوال التي ساقها الطبري ، وحكم عليها – كما فعل الطبري – بأنَّها متقاربة المعنى .

وبيَّن القرطبي في آية الرحمن (١٩) أنَّ مرج بمعنى خلى وأرسل وأهمل ، ويُقال : مرج خلط .

وذكر في آية الرحمن (١٥) أنَّ المارج هو اللهب ، وأورد قولاً نسبه لابن عباس أنَّ المارج خالص النار ، وعنه أيضاً : لسانها الذي يكون في طرفها إذا التهبت ، كما أورد قول الليث ، وهو أنَّ المارج هو الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد ، وأورد أقوالاً أخرى ذكر أنَّها متقاربة المعنى(٢) .

فلا خلاف في معاني هذه المفردات اللغوية بين ابن منظور والقرطبي في المواضع الثلاثة .

وبيَّن ابن كثير أنَّ المريج هو المختلف المضطرب الملتبس المنكر خلاله ، كقوله تعالى : (إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ * يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ)(٣).

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٣٣/٢٨) ، (٨٩/٢٩) ، (٨٧/٢٩) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٥/١٧) ، (١٦٢/١٧) ، (١٦١/١٧) .

(٣) سورة الذاريات ، الآيتان (٨ ، ٩) .

وأورد في آية الرحمن (١٩) قولاً لابن عباس أنَّ معنى قوله : (مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ) أرسلهما .

وذكر في آية الرحمن (١٥) أنَّ المارج من النار هو طرف لهبها ، ونسب ذلك إلى الضحاك عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وابن زيد(١) .

فلم يخالف ابن كثير ابن منظور في أحد هذه المفردات في الآيات الثالث .

وقال الشنقيطي في معنى قوله : (مريج) ، أي : مختلط ، وقال بعضهم : مختلف ، والمعنى واحد .

وذكر في معنى قوله : (مرج البحرين) في تفسير سورة الفرقان* أنَّ لفظة (مَرَجَ) تطلق في اللغة إطلاقين، الأول: بمعنى أرسل وخلى ، والثاني بمعنى خلط.

كما ذكر الشنقيطي أنَّ المارج هو اللهب الذي لا دخان فيه(٢).

فوافق ابن منظور في جميع ما سبق .

المعنى العام للآيات :

١/ آية ق :

(بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ) ، أي : جاء منكري البعث من الكفار بما هو أقبح من ذلك ، وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة وما تضمنته من الإخبار بالحشر وغير ذلك. (فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ) ، أي : مضطرب ؛ لأنَّهم تارة يقولون: شاعر ، وتارة ساحر ، وغير ذلك من أقوالهم ، وقيل: معناه منكر ، وقيل : ملتبس وقيل : مختلط(٣).

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤/٢٢٣) ، (٤/٢٧٣) ، (٤/٢٧٢) .

* وذلك في تفسير قوله تعالى : [وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا] . الفرقان ، الآية (٥٣) .

(٢) انظر : أضواء البيان ، للشنقيطي ، (٧/٤٣٨) ، (٦/٥٦) ، (٧/٤٩٩) .

(٣) انظر : التسهيل ، للكلبي ، (٤/٦٣) .

٢/ آية الرحمن (١٥) :

(وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ) ، وهو أبو الجن ، وقال الضحاك : هو إبليس (مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ) ، وهو الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه ، وقيل : ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت[١] .

٣/ آية الرحمن (١٩) :

(مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ) المراد بالبحرين : البحر العذب والبحر المالح ، فهما يلتقيان فيصب العذب في البحر المالح ، ويختلطان ويمتزجان ، ولكنَّ الله –تعالى– جعل بينهما برزخاً من الأرض ، حتى لا يبغي أحدهما على الآخر ، ويحصل النفع بكل منهما[٢].

النص رقم (٢٩٣)

يقول تعالى : [يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ][٣].

التفسير اللغويّ:

قال ابن منظور : (في التنزيل العزيز : (يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ) . قال المفسرون : المرجان صغار اللؤلؤ ، واللؤلؤ اسم جامع للحب الذي يخرج من الصدفة ، والمرجان أشد بياضاً ، ولذلك خُصَّ الياقوت* والمرجان فشبه الحور العين بهما** . قال أبوالهيثم : اختلفوا في المرجان ، فقال بعضهم : هو البُسَّذُ*** ، وهو جوهر أحمر ، يُقال: إنَّ الجن تلقيه في البحر) [٤].

---

(١) انظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٤/٢٦٨) .

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ٨٣٠ .

(٣) سورة الرحمن ، الآية (٢٢) .

* الياقوت : من الجواهر معروف ، فارسيّ معرب ، وهو أقسام كثيرة ، وأجوده الأحمر الرُّمَّاني . قال الحكماء : يجلب من سرنديب . (انظر : تاج العروس ، للزبيدي ، مادة (يقت) ، (٥/١٥٠)) .

** وذلك في قوله تعالى : (كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ) . سورة الرحمن ، الآية (٥٨) .

*** ذكر ابن كثير أنَّ هذه الكلمة فارسية . (انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤/٢٧٣)) .

(٤) لسان العرب ، مادة (مرجن) ، (١٣/٤٠٦) . وقد احتج ابن منظور للقول الأول ببيت الأخطل :

كأنَّما القُطْرُ مَرْجان تساقِطُهُ * إذا علا الرَّوْقَ والمَتْنَيْنِ والكَفَلا .

دراسة النص :

ذكر الطبري اختلاف أهل التأويل في صفة اللؤلؤ والمرجان ، وأورد لهم في ذلك عدة أقوال ، وهي : ١/ اللؤلؤ ما عظم من الدر ، والمرجان ما صغر منـــه . ٢/ المرجان هو البسذ . ٣/ المرجان من اللؤلؤ الكبار ، واللؤلؤ منها الصـــغار . ٤/ المرجان جيد اللؤلؤ . ٥/ المرجان حجر .

ثم قال الطبري مرجحا القول الأول : والصواب من القول في اللؤلؤ أنَّه هو الذي عرفه الناس مما يخرج من أصداف البحر من الحب ، وأمَّا المرجان فـــإني رأيتُ أهل المعرفة بكلام العرب لا يتدافعون أنَّه جمع مرجانة ، وأنَّه الصغار مـــن اللؤلؤ[(١)] .

وعلى هذا يوافق ابن منظور الطبري في معنى اللؤلـــؤ والمرجـــان ، إلا أنَّ الطبري عنده زيادة تفصيل كما هو واضح .

وقال الرازي : (اللؤلؤ كبار الدر ، والمرجان صغاره ، وقيل : هو الحجـــر الأحمر) [(٢)] .

فوافقه ابن منظور كذلك .

وذكر القرطبي ثلاثة أقوال في ذلـــك دون أن يختـــر أحـــدها ، وهـــي : ١/ المرجان عظام اللؤلؤ وكباره ، واللؤلؤ صغاره . ونسب هذا القول إلى علي وابن عباس رضي الله عنهم . ٢/ اللؤلؤ كبار اللؤلؤ ، والمرجان صغاره . ونسب هذا القول إلى علي وابن عباس أيضاً ، كما نسبه إلى الضحاك وقتادة . ٣/ المرجان : الخرز الأحمر . ونسبه إلى ابن مسعود[(٣)] .

فالذي يمكن قوله هنا هو أنَّ ابن منظور له موقف واضح ، حيثُ اختار أحد هذه الأقوال التي ذكرها القرطبي ولم يُرجح بينها .

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٣٠/٢٧ – ١٣٢) .

(٢) التفسير الكبير ، للرازي ، (٩٠/٢٩) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٦٣/١٧) .

وذكر ابن كثير نحواً من الأقوال التي أوردها الطبري في معنى المرجـــان ، إلا أنَّ ابن كثير لم يُرجِّح بينها(١) .

فيكون ابن منظور مختاراً لأحد هذه الأقوال التي أوردها بعده ابن كثير دون ترجيح .

وذكر أبو حيان كذلك نحواً من هذه الأقوال دون تـــرجيح ، وأضـــاف قـــول الزجَّاج ، وهو أنَّ المرجان حجر شديد البياض(٢) ، كما ذكر أنَّ المرجـــان اســـم أعجمي مُعَرَّب(٣) .

فيقال في أبي حيان ما قيل في ابن كثير .

وجوه القراءات :

قرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي : (يَخْرُجُ منهما) بنصب الياء وضم الراء ، وقرأ نافع وأبوعمرو : (يُخْرَج منهما) بضم الياء وفتح الراء.

ورُوِي عن أبي عمرو : (نُخرج) بنون مضـــمومة و (اللؤلـــؤَ والمرجـــانَ) بنصبهما(٤).

المعنى العام للآية :

(يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ) الضمير في (منهما) يعود على البحرين : العذب والمالح ، واللؤلؤ والمرجان إنَّما تخرج من البحر المالح ، وإنَّما جمعهمـــا، لأنَّه إذا خرج من أحدهما فقد أخرج منهما ، واللؤلؤ اسم جامع للحب الذي يخـــرج من البحر ، والمرجان صغاره ، وقيل غير ذلك(٥).

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٧٣/٤) .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٨٢/٥) .

(٣) انظر : البحر المحيط ، لأبي حيان ، (١٩٠/٨) .

(٤) انظر : السبعة في القراءات ، لابن مجاهد ، ص ٢٧٩ ، وانظر : الكافي في القراءات الســبع ، لابــن شريح ، ص ٢١٢ ، وانظر : البدور الزاهرة ، لعبدالفتاح القاضي ، (٧٤٢/٢) .

(٥) انظر : زاد المسير ، لابن الجوزي ، (١١٣/٨) .

النص رقم (٢٩٤) و (٢٩٥)

يقول تعالى : [وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ...][١] .

ويقول تعالى : [...بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ][٢] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (المَرَحُ : شدَّة الفَرَحِ والنشاط حتى يجاوزَ قَدْرَه ... وقيل : المَرَحُ التبختر والاختيال . وفي التنزيل العزيز : (وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا) ، أي : متبختراً مختالاً ، وقيل : المرح : الأشَرُ والبَطَرُ ، ومنه قوله تعالى : (بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ))[٣] .

دراسة النصين :

فسر الطبري المرح في آية الإسراء بالاختيال والاستكبار ، وفسره في آية غافر بالأشر والبطر[٤].

فوافقه ابن منظور في الموضعين .

وذكر الرازي في تفسير آية الإسراء أنَّ المرح شدة الفرح ، والمراد من الآية النهي عن أن يمشي الإنسان مشياً يدل على الكبرياء والعظمة ، ثمَّ أورد الرازي قول الزجَّاج الذي عرَّف المرح في الآية بالاختيال والفخر[٥]. أمَّا آية غافر فلم يبين في تفسيرها معنى المرح تفصيلاً[٦].

---

(١) سورة الإسراء ، الآية (٣٧) . وتمام الآية : [وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولاً] .

(٢) سورة غافر ، الآية (٧٥) . وتمام الآية : [ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ] .

(٣) لسان العرب ، مادة (مرح) ، (٥٩١/٢) .

(٤) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٨٨/١٥) ، (٨٥/٢٤) .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (١٩٧/٣) .

(٦) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٦٩/٢٠) ، (٧٦/٢٧) .

فوافقه ابن منظور في الموضع الأول ، ولا مقارنة بينهما في الموضع الثاني للسبب المذكور آنفاً .

وذكر القرطبي في معنى المرح في آية الإسراء أنَّه الخيلاء ، وهو شدة الفرح ، وقيل : التكبر في المشي ، وقيل تجاوز الإنسان قدره ، وقيل : هو البطر والأشر ، وقيل : هو النشاط .

ثُمَّ بيَّن القرطبي أنَّ هذه الأقوال متقاربة .

ونقل في تفسير آية غافر قول مجاهد وغيره ، حيثُ نسب إليهم أنَّهم عرَّفوا المرح بالبطر والأشر ، ونسب إلى الضحاك أيضاً قوله : الفرح السرور ، والمرح العدوان(١). وعلى هذا يوفقه ابن منظور في الموضعين .

وقال ابن كثير في معنى مشي المرح : أي : متبختراً متمايلاً مشي الجبارين . وفسر المرح في آية غافر بالأشر والبطر(٢).

فوافق ابن منظور في معنى المرح في الآيتين .

وقال الشنقيطي في تفسير آية الإسراء : وأصل المرح في اللغة شدة الفرح والنشاط ، وإطلاقه على مشي الإنسان متبختراً مشي المتكبرين ؛ لأنَّ ذلك من لوازم شدة الفرح والنشاط عادة .

ولم يبين الشنقيطي معنى المرح في آية غافر(٣).

وعلى هذا فإنَّه يتفق مع ابن منظور في آية الإسراء ، ولا مقارنة بينهما في آية غافر .

المعنى العام للآيتين :

١/ آية الإسراء :

(وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ...) الآية . قال : لا تمشِ فخراً وكبراً ، فإنَّ ذلك لا يبلغ بك الجبال ، ولا أن تخرق الأرض بفخرك وكبرك(٤).

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٦٠/١٠) ، (٣٣٣/١٥) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤١/٣) ، (٨٩/٤) .

(٣) انظر : أضواء البيان ، للشنقيطي ، (١٥٦/٣) ، (٣٩٤/٦) .

(٤)انظر : الدر المنثور ، للسيوطي ، (٢٧٨/٥) .

٢/ آية غافر :

(ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ) الآيـــة ، أي : تقـــول الملائكة لمن أشرك ممن استكبر عن آيات الله : هذا الذي أنتم فيه جــزاء علـــى فرحكم في الدنيا بغير الحق ومرحكم وأشركم وبطركم[١].

النص رقم (٢٩٦) و (٢٩٧)

يقول تعالى : [...وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ...][٢] .

ويقول تعالى : [...صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ...][٣] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (والمُرُودُ على الشيء : المُرُونُ عليه . ومَرَدَ على الكـــلام ، أي : مَرَنَ عليه لا يعبأُ به . قال الله –تعالى– : (وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ) . قال الفرَّاء : يُريد : مَرَنُوا عليه وجُرِّبُوا ، كقولك : تمردوا[٤] .

وقال ابن الأعرابي : المَرْدُ التطاول بالكبر والمعاصي ، ومنه قوله تعـــالى : (مَرَدُوا عَلَى ٱلنِّفَاقِ) ، أي : تَطَاوَلوا ... والتَّمْرِيدُ : التَّمْلِيسُ والتَّسْوِيةُ والتَّطْيِينُ . قال أبوعبيدة : الممرد بناء طويل[٥] . قال أبومنصور : ومنه قوله تعالى : (صَرْحٌ

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٨٩/٤) .

(٢) سورة التوبة ، الآية (١٠١) . وتمام الآيـــة : [وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ] .

(٣) سورة النمل ، الآية (٤٤) . وتمـــام الآيـــة : [قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ] .

(٤) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٤٥٠/١) .

(٥) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، (٩٢/٢) .

مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾ ، وقيل : الممرَّد المملَّس[1] ، وتمريد البناء تمليسه ... وبناء ممرَّد مطوَّل) [2] .

دراسة النصين :

قال الطبري في بيان معنى قوله : (مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ) : يقول : مرنوا عليه ودربوا به ، ومنه قيل : تمرد فلان على ربه ، أي : عتا ومرد على معصيته واعتادها .

وذكر في معنى الصرح الممرد أنَّه البناء المبني المشيد[3].

فوافقه ابن منظور بيان المعنى في الآيتين ، والطبري وإن لم يذكر في معنى الصرح الممرد أنه المملس أو المطول ، إلا أنَّه ذكر أنَّه المبني والمشيد ، وهو معنى التسوية والتطيين والتمليس الذي ذكره ابن منظور .

وذكر الرازي في آية التوبة أنَّ تمرد بمعنى عتا ، وأورد قول ابن الأعرابي -آنف الذكر- ثُمَّ أخبر أنَّ المعنى : ثبتوا على النفاق ، واستمروا فيه ولم يتوبوا ، وهو معنى قول ابن منظور .

وبيَّن الرازي في آية النمل أنَّ الممرد معناه المملس[4].

فوافقه ابن منظور في بيان المعنى في الموضعين .

وذكر القرطبي أنّ َقوله : (مردوا) معناه أقاموا ولم يتوبوا ، وقيل : لجوا فيه وأبوا غيره . وذكر القرطبي أنَّ المعنى متقارب ، وأصل الكلمة من اللين والملاسة والتجرد ، فكأنَّهم تجردوا للنفاق .

وهذا الذي ذكره القرطبي هنا هو معنى ما ذكره ابن منظور .

وبيَّن القرطبي في آية النمل أنَّ الممرد المحكوك المملس ، ومنه الأمرد ، وتمرَّد الرجل إذا أبطأ خروج لحيته بعد إدراكه ، والممرَّد أيضاً المُطوَّل[5].

---

(١) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (مرد) ، (١١٩/١٤) .

(٢) لسان العرب ، مادة (مرد) ، (٤٠٠/٣ ، ٤٠١) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٩/١١) ، (١٧٠/١٩) .

(٤) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٣٨/١٦) ، (١٧٢/٢٤) .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٤٠/٨ ، ٢٤١) ، (٢٠٩/١٣) .

فوافقه ابن منظور في المعنى في الآيتين .

وقال ابن كثير في آية التوبة : مردوا على النفاق ، أي : مرنوا واستمروا عليه . وقال في آية النمل : والممرد المبنى بناءً محكماً أملس[1].

وذكر الكلبي في تفسير آية التوبة معنى ما ذكره ابن منظور ، فقد قال الكلبي : مردوا على النفاق ، أي : اجترؤا عليه ، وقيل : أقاموا عليه .

كما وافق ابن منظور في آية النمل لفظياً حيث قال : والممرد الأملس ، وقيل : الطويل[2].

المعنى العام للآيتين :

١/ التوبة :

(وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ) أي : من القوم الذين حول مدينتكم من الأعراب منافقون (وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ) ومن أهل مدينتكم أيضاً أمثالهم أقوام منافقون (مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ) يعنى : مرنوا عليه ، يقال : تمرد فلان على ربه إذا عتا وتجبر ، ومنه الشيطان المارد ، وتمرد في معصيته ، أي : مرن وثبت عليها واعتادها ولم يتب منها (لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ) يعني أنَّهم بلغوا في النفاق إلى حيث أنك لا تعلمهم يا محمد مع صفاء خاطرك واطلاعك على الأسرار ، ولكن نحن نعلمهم لا تخفى علينا خافية وإن دقَّت (سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ) اختلفوا في العذاب الأول ، فقيل : هو فضحهم في الدنيا ، وتمييزهم بين الناس أنَّهم منافقون ، وقيل : غير ذلك* ، والعذاب الثاني هو عذاب القبر (ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ) ، وهو عذاب النار في الآخرة[3].

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢/٣٨٥) ، (٣/٣٦٧) .

(٢) انظر : التسهيل ، للكلبي ، (٢/١٨٣) ، (٣/٩٧) .

* وسيأتي إن شاء الله تفصيل الخلاف في العذاب الأول عند دراسة النص (٢٩٩) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٩/١١) . وانظر : لباب التأويل ، للخازن ، (٣/١٧٩ ، ١٨٠) .

٢/ آية النمل :

(قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَ) ، أي : بلقيس ملكة سبأ باليمن ، والصرح : القصر العظيم الفخم (فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةً وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَا) ، أي ظنته لجة ماء ، وهي الماء الغمر الكثير وكشفت عن ساقيها لتخوض فيــه .(قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ) ، أي : قال سليمان – عليه السلام – : إنَّه قصر مملس من الزجَّــاج الصافي .(قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي) ، أي : ظلمتُ نفسي بالشــرك وعبــادة الشمس . (وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) أي : وتابعتُ سليمان على دينه ، فدخلتُ في الإسلام مؤمنة برب العالمين[(١)] .

النص رقم (٢٩٨) و (٢٩٩) و (٣٠٠)

يقول تعالى : [...فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلاً خَفِيفًا فَمَرَّتۡ بِهِۦ ...][(٢)] .

ويقول تعالى : [...سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ...][(٣)] .

ويقول تعالى : [أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ...][(٤)] .

---

(١) انظر : صفوة التفاسير ، لمحمد علي الصابوني ، (٣٨٩/٢ – ٣٩٢) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٨٩) . وتمــام الآيــة : [هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلاً خَفِيفًا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ] .

(٣) سورة التوبة ، الآية (١٠١) . وقد سبق إتمام هذه الآية في دراسة النص رقم (٢٩٦) .

(٤) سورة القصص ، الآية (٥٤) . وتمام الآيــة : [أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (مَرَّ عليه وبه يَمُرُّ مَرّاً ، أي : اجتاز . ومَرَّ يَمُرُّ مَرّاً ومُرُوراً : ذهب ، واستمرَّ مثله ... وقوله – عزَّ وجل – : (فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلاً خَفِيفًا فَمَرَّتۡ بِهِۦ) ، أي : استمرت به . يعني المنيَّ ، قيل : قعدت وقامت فلم يثقلها ... وقوله – عزَّ وجل – : (سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ) ، قال : يُعذبون بالإيثاق والقتل ، وقيل : بالقتل وعذاب القبر ، وقد تكون التثنية هنا في معنى الجمع ، كقوله تعالى : (ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ)[1] ، أي : كَرَّات ، وقوله – عزَّ وجل– : (أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ) . جاء في التفسير أنَّ هؤلاء طائفة من أهل الكتاب كانوا يأخذون به ، وينتهون إليه ويقفون عنده ، وكانوا يحكمون بحكم الله بالكتاب الذي أُنزل فيه القرآن ، فلمَّا بعث النبي – ﷺ– وتلا عليهم القرآن ، قالوا : آمنَّا به ، أي : صدَّقنا به . إنَّه الحق من ربنا ، وذلك أنَّ ذكر النبي كان مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ، فلم يعاندوا وآمنوا وصدقوا ، فأثنى الله –تعالى– عليهم خيراً ، ويُعْطَون أجرهم بالإيمان بالكتاب قبل محمد ، وبإيمانهم بمحمد ﷺ)[2].

دراسة النصوص :

وافق ابن منظور الطبري الذي قال في قوله : (فمرَّت به) : يعني استمرت بالماء [المني] ، قامت به وقعدت ، وأتمت الحمل .

وذكر الطبري في آية التوبة فيما يتعلق بتعذيب المنافقين مرتين أنَّ المرة الأولى في الدنيا ، والأخرى في القبر ، ثُمَّ ذكر خلاف أهل التأويل في التي في الدنيا ما هي ؟ على أقوال كما يلي : ١/ هي فضيحتهم ، حيثُ فضحهم الله بكشف أمورهم وتبيين سرائرهم للناس على لسان رسول الله ﷺ . ٢/ القتل . ٣/السبي . ٤/ الجوع . ٥/ مصائبهم في أموالهم وأولادهم . ٦/ الحدود . ٧/ أخذ الزكاة من أموالهم . ٨/ عذابهم فيما يدخل عليهم من الغيظ في أمر الإسلام .

---

(١) سورة الملك ، الآية (٤) .

(٢) لسان العرب ، مادة (مرر) ، (١٦٥/٥ ، ١٦٦) .

ثُمَّ صوب الطبري أنَّ يقال : إن الله لم يضع لنا دليلاً نتوصل به إلى علم صفة ذينك العذابين ، وجائز أن يكون بعض ما ذُكر عن القائلين ، وليس عندنا علم بذلك ، على أنَّ قوله جلَّ ثناؤه : (ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ) دلالة على أنَّ العذاب في المرتين كلتيهما قبل دخولهم النار ، والأغلب من إحدى المرتين أنَّها في القبر .

فالطبري إذن لا يرى تخصيص قول دون قول ممَّا ذكر في المراد بالعذاب الأول ، ويرى أنَّ العذاب الثاني هو عذاب القبر ، أمَّا ابن منظور فقد ذكر قولين في ذلك ، ويظهر أنَّه يرى أنَّ العذاب الأول هو الإيثاق [وهو السبي] . والعذاب الثاني هو القتل ، مخالفاً بذلك الطبري .

ويُلاحظ أيضاً أنَّ الطبري أكثر تفصيلاً في إيراد الأقوال المختلفة لأهل التأويل .

أمَّا آية القصص فقد وافق فيها ابن منظور الطبري ، حيثُ ذكر الطبري في ذلك ما ذكره من بعده ابن منظور* (١) .

كما وافق ابن منظور الرازي الذي قال في معنى قوله : (فمرَّت به) ، أي : استمرَّت بالماء والحمل على سبيل الخفة ، والمراد أنَّها كانت تقوم وتقعد وتمشي من غير ثقل .

ونقل في آية التوبة ما قيل في المراد بالعذاب الأول ، وهي نحواً من الأقوال التي أوردها الطبري ، وأضاف الرازي : ١/ العذاب الأول هو الأمراض في الدنيا . ٢/ هو أنَّ الله يبتليهم بالدبيلة ، وهي سراج من نار يأخذ أحدهم حتى يخرج من صدره .

ثُمَّ ذكر الرازي أنَّ الأولى أن يُقال مراتب الحياة ثلاثة : حياة الدنيا وحياة القبر وحياة القيامة ، فقوله : (سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ) المراد منه عذاب الدنيا بجميع أقسامه ، وعذاب القبر ، وقوله : (ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ) ، المراد منه العذاب في الحياة الثالثة ، وهي الحياة في القيامة .

---

* وقد تركتُ إعادته تجنباً للتكرار والتطويل الممل .

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٤٣/٩) ، (٩/١١ – ١٢) ، (٨٩/٢٠) .

وعلى هذا فإنَّ الرازي يسلك مسلك الطبري ، ويرى عدم القول بتخصيص نوع معين من أنواع العذاب التي ذُكرت ، فخالفه في ذلك ابن منظور .

وفي آية التوبة ذكر الرازي ما ذكره من بعده ابن منظور ، إلا أنَّ هناك ثمة خلاف بينهما ، وهو معنى قوله : (أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ) ، حيثُ أورد الرازي فيه وجوهاً ، أحدها : أنَّهم يؤتون أجرهم مرتين بإيمانهم بمحمد – ﷺ – قبل بعثته وبعد بعثته . وثانيها : يؤتون الأجر مرتين . مرة بإيمانهم بالأنبياء الذين كانوا قبل محمد – ﷺ – ومرة أخرى بإيمانهم بمحمد – ﷺ – وثالثها : لمَّا آمن هؤلاء اليهود بمحمد – ﷺ – شتمهم المشركون فصفحوا عنهم ، فلهم أجر على الصفح ، وأجر على الإيمان .

ثُمَّ ذكر الرازي أنَّ القول الأول هو الأقرب(١) ، أمَّا ابن منظور فقال بالقول الثاني .

ووافق ابن منظور القرطبي في بيان معنى قوله : (فمرَّت به) ، حيثُ قال القرطبي : يعني المني ، أي : استمرت بذلك الحمل الخفيف ، يقول : تقوم وتقعد وتتقلب ولا تكترث بحمله إلى أن ثقل .

وفي آية التوبة ذكر القرطبي مثل ما ذكره الطبري والرازي في المراد بالعذاب الأول ، إلا أنَّ القرطبي لم يُرجح بين الأقوال ، ولم يكن له موقف واضح في ذلك .

والذي يمكننا قوله هو أنَّ القرطبي استوعب الأقوال التي قيلت في ذلك ، وفيها القول الذي ذكره من بعده ابن منظور .

ويرى القرطبي أنَّ المراد بالأجرين في آية القصص إعطاء أهل الكتاب أجرين ، وهم الذين آمنوا بكتابهم قبل النبي – ﷺ – وآمنوا بالنبي – ﷺ – مستدلاً على ذلك بما ثبت في صحيح مسلم عن أبي موسى – رضي الله عنه –(٢) أنَّ رسول الله – ﷺ

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٥/٧٣) ، (١٦/١٣٨) ، (٢٤/٢٢٤) .

(٢) أبوموسى : هو عبدالله بن قيس بن حضار ، أبوموسى الأشعري ، له صحبة كان عاملاً معلماً عالماً بالأحكام والأقضية ، صاحب القراءة والمزمار ، بعثه النبي – ﷺ – هو ومعاذ – رضي الله عنهما – إلى اليمن وأمرهما أن يعلما الناس القرآن . مات أبوموسى سنة (٤٤هـ) ، وفيه اختلاف . (انظر : حلية الأولياء ، لأبي نعيم الأصبهاني ، (١/٢٥٦) ، وانظر : مولد العلماء ووفياتهم ، لابن زبر الربعي ، (١/١٤٣)) .

– قال : (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ، وأدرك النبي – ﷺ – فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران ، وعبد مملوك أدى حق الله – تعالى – وحق سيده ، فله أجران ، ورجل كانت له أمة فغذَّاها فأحسن غذاءها ، ثم أدَّبها ، ثم أعتقها وتزوجها فه أجران) (١).

وعلى هذا يوافق ابن منظور القرطبي في آية القصص .

ولعل هذا الحديث يؤيد القول الذي قال به القرطبي ووافقه عليه ابن منظور .

ونقل ابن كثير أقوال بعض المفسرين في معنى قوله : (فمرت به) ومنها قول ابن منظور ، وهي : ١/ استمرت بحمله . ٢/ استخفته . ٣/ استبان حملها . ٤/ استمرت بالماء ، قامت به وقعدت .

ولا يخالف هذا القول الأول ، ولعله هو الصواب في ذلك لأنه هو المعنى اللغوي للمفردة .

وذكر ابن كثير في آية التوبة فيما يتعلق بتعذيب المنافقين مرتين ما ذكره من سبقه من المفسرين المذكورين دون ترجيح ، وفي هذه الأقوال قول ابن منظور .

ووافق ابن كثير ابن منظور فيما يتعلق بالأجرين في آية القصص ، فذكر ما ذكره ابن منظور في ذلك مستدلاً عليه بالحديث الذي في صحيح مسلم ، والذي أورده القرطبي كذلك(٢).

وقال الواحدي في معنى قوله : (فمرَّت به) : استمرت بذلك الحمل الخفيف ، وقامت وقعدت ولم يثقلها .

ولم يفصِّل في بيان المراد بالعذاب الأول في آية التوبة ، حيثُ قال في معنى قوله : (سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ) : بالأمراض والمصائب في الدنيا وعذاب القبر ، فخالفه ابن منظور في ذك ، ووافقه في آية الأعراف .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، في : ١– كتاب الإيمان ، ٧٠– باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد – ﷺ– إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ، حديث رقم (١٥٤) ، (١٣٤/١) . وفي رواية مسلم : ثُمَّ أَدَّبَها فأحسن أدبها ، وعلى هذا فعبارة : (فأحسن أدبها) ساقطة في تفسير القرطبي . وانظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣٣٧/٧) ، (٢٤١/٨) ، (٢٩٧/١٣) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٧٥/٢) ، (٣٨٦/٢) ، (٣٤٩/٣) .

كما وافقه في آية القصص في بيان المراد بالأجرين ، حيثُ ذكر الواحدي أنَّ المرة الأولى يؤتون أجراً بإيمانهم بكتابهم ، والمرة الثانية بإيمانهم بالقرآن[١].

وجوه القراءات :

آية الأعراف :

يُقرأ قوله : (فمرَّت به) بتشديد الراء من المرور ، و (فَمَارَت) بالألف وتخفيف الراء من المور ، وهو الذهاب والمجيء[٢] .

المعنى العام للآيات :

١/ آية الأعراف :

(هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ) يعني آدم . (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) يعني حواء (لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) يميل إليها ويستأنس بها . (فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا) كناية عن الجماع (حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا) ، أي : خفَّ عليها ، ولم تلق منه ما يلقى بعض الحوامل، وقيل : الحمل الخفيف المني (فَمَرَّتْ بِهِۦ) استمرت به إلى حين ميلاده ، وقيل : معناه : قامت وقعدت (فَلَمَّآ أَثْقَلَت) أي : ثقل حملها ، وصارت به ثقيلة (دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا) ، أي : ولداً صالحاً سالماً في بدنه (لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ) لآلائك ونعمائك[٣].

٢/ آية التوبة* :

٣/ آية القصص :

(أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ) المراد مؤمني أهل الكتاب ، يؤتون أجرهم مرتين بصبرهم على الإيمان بالتوراة ، والإيمان بالقرآن ، أو

---

(١) انظر : الوجيز، للواحديّ ، (٤٢٥/١) ، (٤٧٩/١) ، (٨٢٢/٢) .

(٢) انظر : إملاء ما منَّ به الرحمن ، للعكبري ، (٢٩٠/١) .

(٣) انظر : التسهيل ، للكلبي ، (٥٧/٢) ، وانظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٧٣/١٥) .

* سبق تفسيرها في دراسة النص رقم (٢٩٦) ، فأغنى عن إعادته .

بصبرهم على الإيمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله ، أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب (وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ) ، أي : يدفعون بالطاعة المعصية ، أو بالحلم الأذى (وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ) ، أي : يزكون[1].

النص رقم : (**٣٠١**) **و** (**٣٠٢**) **و** (**٣٠٣**) **و** (**٣٠٤**)

يقول تعالى : [...سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ][2] .

ويقول تعالى : [...فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ][3] .

ويقول تعالى : [...وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ][4] .

ويقول تعالى : [عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ][5] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (قوله عزّ وجل : (سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ) ، أي : محكم قوى ، وقيل : مُسْتَمِرٌ ، أي : مُرٌّ ، وقيل : معناه : سَيَذْهَبُ ويَبْطُلُ . قال أبو منصور : جعله من مَرَّ يَمُرُّ إذا ذهب[6]. وقال الزجّاج في قوله تعالى : (فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ) أي : دائم ، وقيل : أي : دائم الشُّؤم[7] ، وقيل : هو القوي في نحوسته ، وقيل : مستمر ، أي : مُر ، وقيل : مستمر نافذٌ ماضٍ فيما أُمِرَ به ، وسُخِّرَ له . ويُقال : مرَّ الشيء واسْتَمَرَّ وأمَرَّ من المرَارَة . وقوله تعالى : (وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ

---

(١) انظر : مدارك التنزيل ، للنسفي ، (٢٤٠/٣ ، ٢٤١) .

(٢) سورة القمر ، الآية (٢) . وتمام الآية : [وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ] .

(٣) سورة القمر ، الآية (١٩) . وتمام الآية : [إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ] .

(٤) سورة القمر ، الآية (٤٦) . وتمام الآية : [بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ] .

(٥) سورة النجم ، الآيتان (٥ ، ٦) .

(٦) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (مرر) ، (١٥/١٩٥) .

(٧) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجّاج ، (٥/٧١) .

وَأَمَرُّ) ، أي : أشدُّ مَرارة ... والمِرَّةُ : القُوَّة ، وجمعها : المِرَرُ . قال الله – عز وجل – : (ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ) ، وقيل : في قوله : (ذُو مِرَّةٍ) هو جبريل خلقه الله –تعالى– قويّاً ذا مِرَّة شديدة ... قال ابن السكيت : المِرَّة : القُوَّة ، قال : وأصل المِرَّة : إحْكامُ الفَتْلِ . يُقال : أمَرَّ الحبلَ إمراراً) (١).

دراسة النصوص :

ذكر الطبري أنَّ معنى قوله : (سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ) سحر ذاهب ، من قولهم : قد مرّ هذا السحر، إذا ذهب .

ذمَّ ذكر أنَّ بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يوجه قوله (مُّسْتَمِر) إلى أنَّه مستفعل من الإمرار ، من قولهم: قد مر الجبل إذا صلب وقوى واشتد ، وأمررتُهُ أنا إذا فتلته فتلاً شديداً ، ويقول : معنى قوله : (وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ) سحر شديد .

وفسِّر الطبري قوله : (فِي يَوۡمِ نَحۡسٍ مُّسۡتَمِرٍّ) بقوله : يقول : في يوم شر وشؤم استمر بهم البلاء والعذاب فيه إلى أن وافى بهم جهنم .

كما فسَّر قوله (أمر) بما يفيد أنَّ معناه أشد مرارة .

وذكر في قوله : (ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ) اختلاف أهل التأويل ، فنقل عن بعضهم أنَّه قال : معناه : ذو خلق حسن ، أي : منظر ، ونقل عن آخرين قولهم : بل معنى ذلك ذو قوة هو جبريل عليه السلام .

ثُمَّ جمع الطبري بين القولين ، فذكر أنَّ الصواب في ذلك هو قول من قال : عنى بالمِرَّة صحة الجسم ، وسلامته من الآفات والعاهات ، وإذا كان الجسم كذلك كان قويّاً ، ثُمَّ ذكر أنَّ المراد في الآية الشديد القوي ،وهو جبريل عليه السلام(٢).

---

(١) لسان العرب ، مادة (مرر) ، (١٦٩/٥ ، ١٧٠) .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٨٧/٢٧ ، ٨٨) ، (٩٨/٢٧) ، (١٠٩/٢٧) ، (٤٢/٢٧ ، ٤٣) .

وعلى هذا فلا خلاف بين ابن منظور والطبري إلا في الموضع الأول ، حيثُ يرى الطبري أنَّ السحر المستمر هو الذاهب ، واختار ابن منظور أن يكون المعنى : سحر محكم قوي ، مع ذكره للقول الذي اختاره الطبري ، ونسبه إلى أبي منصور الأزهري ، وذكر أقوالاً أُخرى .

وذكر الرازي أنَّ قوله : (سِحْر مُّسْتَمِرٌّ) فيه وجوه ، أحدها : دائم ، وثانيها : قوى . وثالثها : مر مستبشع . ورابعها : مار ذاهب ، فإنَّ السحر لا بقاء له.

فالوجه الأول الذي عند الرازي لم يذكره ابن منظور ضمن الأقوال التي ذكرها ، أضف إلى ذلك أنَّ ابن منظور كان له اختيار واحد ، وهو القول بأنَّ المستمر هنا معناه المحكم القوي خلافاً للرازي الذي لم يُرجح .

وذكر الرازي في قوله : (نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ) أنَّ فيه وجهان ، الأول بمعنى ممتد ثابت مدة مديدة ، من استمر الأمر إذا دام . الثاني بمعنى شديد من المِرَّة .

وهذين الوجهين ذكرهما ابن منظور أيضاً ، وزاد عليهما وجهين آخرين كما رأينا .

وذكر الرازي كذلك وجهين في بيان معنى قوله : (أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ) ، أحدهما : هو مبالغة من المر ، والمعنى أشد وآلم . وثانيهما أنَّ (أمرَّ) مبالغة في المار ، إشارة إلى الدوام ، والمعنى : أشد وأدوم .

والوجه الأول الذي ذكره هو الذي يقول به ابن منظور .

وفي آية النجم بيَّن الرازي معنى قوله (ذُو مِرَّةٍ) بأربعة وجوه ، أحدها : ذو قوة . ثانيها : ذو كمال في العقل والدين جميعاً . ثالثها : ذو منظر وهيبة عظيمة . رابعها : ذو خلق حسن .

وقد اختار الرازي الوجه الأول مبيناً أنَّ المراد شدة في جسمه ، أي : جبريل عليه السلام(١) .

فوافقه ابن منظور على هذا الاختيار، وإن كان الرازي قد فصَّل بذكر الوجوه المتعددة في المعنى .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٨/٢٩) ، (٤٢/٢٩) ، (٦١/٢٩) ، (٢٤٦/٢٨) .

وفسر القرطبي قوله : (سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ) بأنَّه سحر ذاهب ، من قولهم : مَـرَّ الشيء واستمر إذا ذهب ، ونسب هذا القول إلى بعض المفسرين ، ثُمَّ ذكر أقـوالاً أُخرى فيها القول الذي اختاره ابن منظور .

وبهذا تظهر لنا مخالفة ابن منظور له في ذلك .

أمَّا النحس المستمر فقد بيَّن القرطبي أنَّه بمعنى : دائم الشؤم ، ثُمَّ أورد فيـه نحواً من الأقوال التي نقلها ابن منظور .

فلا خلاف بينه وبين ابن منظور في ذلك .

ولم يُفصل القرطبي في معنى قوله : (وأمر) ، إلا أنَّه ذكر ما يُفهم منه أنَّـه أشد مرارة . وهو ما فسَّر به ابن منظور هذه المفردة .

ووافق ابن منظور القرطبي كذلك في معنى قولـه (ذُو مِرَّةٍ) ، حيـثُ ذكـر القرطبي أنَّ معناه ذو قوة ، والقوة من صفات الله –تعالى– وأصـله مـن شـدة الفتل[1].

ولكن – على ما يبدو – إنَّ هنالك خلافاً بينهما فيمن المراد بقوله : ذو مرة ، حيث ذكر القرطبي أنَّ المراد هو الله – عزَّ وجل – وذكر ابن منظور أنَّ المـراد هو جبريل عليه السلام .

وذكر ابن كثير قولاً واحداً من الأقوال التي ذكرها ابن منظور فـي معنـى قوله : (سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ) ، وهو أنَّ المعنى : سحر ذاهب أو باطـل مضـمحل ، لا دوام له .وقد خالف ابن منظور في هذا الاختيار .

ولم يُفَصِّل ابن كثير في معنى قوله (مستمر) في آية القمر (١٩) ، لكن ذكر ما يُفيد أنَّ المعنى : نحس دائم موافقاً لابن منظور في ذلك .

أمَّا قوله (أمر) فلم يتعرض له بالشرح والبيان ، فلا مقارنة بينهما فيه .

وذكر قولين في معنى قوله : (ذُو مِرَّةٍ) ، فقال : أي : ذو قوة ، والقول الآخر : ذو منظر حسن ، أو : ذو خَلْقٍ طويل حَسَن .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ، (١٢٧/١٧) ، (١٣٥/١٧) ، (١٤٦/١٧) ، (٨٥/١٧) .

ثم جمع ابن كثير بين القولين قائلاً : ولا منافاة بين القولين ، فإنَّه – عليه السلام [يُريد جبريل] ذو منظر حسن وقوة شديدة[١].

فلا منافاة بين قولي ابن منظور وابن كثير في ذلك .

وورد "في الدرالمنثور" أنَّ قوله: (سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ) بمعنى ذاهب .

فخالف السيوطي ابن منظور في ذلك .

ووافقه في آيتي القمر (١٩) و (٤٦) ، حيث فسر قوله (مستمر) بما معناه الدوام، وفسَّر قوله : (أمر) بما معناه شديد المرارة .

أمَّا آية النجم فقد خالفه فيها ،حيثُ ذكر أنَّ المِرَّة بمعنى الخَلْق الطويل الحسن، والذي وافقه فيه هو كون المراد به جبريل عليه السلام [٢].

سبب النزول :

١/ آية القمر [٣]:

أخرج الترمذي عن أنس – رضي الله عنه – قال : سأل أهل مكة النبي – صلى الله عليه وسلم – آية ، فانشق القمر بمكة مرتين ، فنزلت : (ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ)[٤] إلى قوله : (سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ)[٥] .

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ، (٢٦٤/٤) ، (٢٦٥/٤) ، (٢٦٧/٤)، (٢٤٨/٤).

(٢) انظر :الدر المنثور ، للسيوطي ، (٦٧٠/٧)، (٦٧٧/٧) ، (٦٨٢/٧) ، (٦٤٣/٧) .

(٣) الترمذي : هو أبوعيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن شداد ، الترمذي ، الضرير ، أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث . صنَّف كتاب الجامع والتواريخ والعلل تصنيف رحل عالم متقن ، وكان يُضرب به المثل في الحفظ والضبط. تلميذ لأبي عبدالله البخاري . توفي بقرية بوغ سنة (٢٧٩هـ) .

(انظر : الأنساب ، للسمعاني ، (٤٥٩/١، ٤٦٠) ، وانظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي ، (٢٠٧/٤)) .

(٤) سورة القمر ، الآية (١) .

(٥) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ٢٠٢.

والحديث أخرجه الترمذي في سننه في : ٤٨ – كتاب تفسير القرآن ، ٥٤ –باب : ومن سورة القمر، حديث رقم (٣٢٨٥) ، (٣٩٧/٥) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

المعنى العام للآيات :

١/ آية القمر (٢) :

(وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ) أي : وإن ير كفار قريش علامة واضحة ، ومعجزة ساطعة تدل على صدق محمد – ﷺ- يُعرضوا عن الإيمان (وَيَقُولُواْ سِحۡرٌ مُّسۡتَمِرٌّ) ، أي : ويقولوا هذا سحر دائم سحر به محمد أعيننا[١] .

٢/ آية القمر (١٩) :

(إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحًا صَرۡصَرًا) ، أي : أرسلنا على عاد قوم هود – عليه السلام – ريحاً عاصفة باردة شديدة الهبوب والصوت (فِي يَوۡمِ نَحۡسٍ مُّسۡتَمِرٍّ) ، أي : في يوم مشئوم دائم الشؤم ، استمر عليهم بشؤمه ، فلم يبق منهم أحد إلا هلك فيه[٢] .

٣/ آية القمر (٤٦) :

(بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ) ، أي : إنَّ القيامة موعد عذاب هؤلاء من كفار مكة أو كفار العرب على العموم ، وليس هذا العذاب الكائن في الدنيا بالقتل والأسر والقهر هو تمام ما وعدوا به من العذاب ، وإنَّما هو مقدمة من مقدماته ، وعذاب القيامة أعظم وأنكى، وأشد مرارة من عذاب الدنيا ، كما أنَّه عذاب دائم خالد[٣] .

٤/ آيتي النجم :

([عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ) ، أي : جبريل – عليه السلام – علَّم النبي – ﷺ- القرآن الكريم . (ذُو مِرَّةٍ فَٱسۡتَوَىٰ) هذا وصف لجبريل –عليه السلام –أي : هو ذو قوة وشدة في الخَلْق ، وذو حصافة في العقل ، ومتانة في الرأي[٤] .

---

(١) انظر : صفوة التفاسير ، للصابوني ، (٢٧٥/٣) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٢٧٨/٣) .

(٣) انظر : التفسير المنير ، لوهبة الزحيلي ، مج ١٤ ، (١٩٦/٢٧) .

(٤) انظر : المرجع السابق ، مج ١٤، (١٠٨/٢٧) .

النص رقم (٣٠٥) و (٣٠٦)

يقول تعالى : [فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ...][١] .

ويقول تعالى : [...فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ...][٢] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (والمَرْضُ والمَرَضُ : الشَّكُّ ، ومنه قوله تعالى : (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) ، أي : شك ونفاق وضعف يقين . قال أبوعبيدة : معناه شك[٣] . وقوله تعالى : (فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا) . قال أبوإسحق : فيه جوابان ، أي : بكفرهم كما قال تعالى : (بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ)[٤] . وقال بعض أهل اللغة : فزادهم الله مرضاً بما أنزل عليهم من القرآن فشكوا فيه كما شكوا في الذي قبله[٥] ... وقال ابن عرفة : المرض في القلب فتور عن الحق ، وفي الأبدان فتور الأعضاء ، وفي العين فتور النظر ، وعين مريضة : فيها فتور ، ومنه : (فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ) ، أي : فتور عمَّا أُمر به ونهي عنه ، ويقال : ظلمة) [٦] .

دراسة النصين :

ذكر الطبري في آية البقرة أنَّ أصل المرض السقم ، ثُمَّ يُقال ذلك في الأجساد والأديان .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٠) . وتمام الآية : [فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ] .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٣٢) . وتمام الآية : [يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا] .

(٣) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، (٢٨/١) .

(٤) سورة النساء ، الآية (١٥٥) .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٨٣/١) .

(٦) لسان العرب ، مادة (مرض) ، (٢٣٢/٧) .

ثُمَّ بين الطبري أنَّ المرض الذي ذكره الله – جلَّ ثناؤه – أنَّه في اعتقاد قلوب المنافقين هو شكهم في أمر محمد ، وما جاء به من عند الله ، وتحيرهم فيه . فلا هم به موقنون إيقان إيمان ، ولا هم له منكرون إنكار إشراك ، ولكنهم –كما وصفهم الله عزَّ وجل – مذبذبون بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

وفسَّر الطبري مرض القلب في آية الأحزاب بالضعف والتهاون بإتيان الفواحش . ثُمَّ ذكر قولين آخرين لأهل التأويل في ذلك ، وهما : ١/ المراد بمرض القلب هنا النفاق . ٢/ المراد شهوة إتيان الفواحش(١) .

فلا خلاف بين الطبري وابن منظور في ذلك إلا من حيثُ اللفظ .

وذكر الرازي في المراد بمرض القلوب في آية البقرة أنَّه يُحمل على ألم القلب ، وذلك أنَّ الإنسان إذا صار مبتلىً بالحسد والنفاق ومشاهدة المكروه ، فإذا دام به ذلك فربما صار سبباً لتغيير مزاج القلب وتألمه ، وحمل اللفظ على هذا الوجه حمل له على حقيقته ، فكان أولى من سائر الوجوه .

ذكر الرازي ذلك بعد إيراده لعدة وجوه في المراد بمرض القلوب هنا .

فخالف ابن منظور في ذلك .

وخالفه أيضاً في معنى مرض القلب الذي في آية الأحزاب ، حيث بيَّن الطبري أنَّ المرض في هذه الآية بمعنى الفسق(٢).

وذكر القرطبي أنَّ المرض في آية البقرة عبارة مستعارة للفساد الذي في عقائدهم ، وذلك إمَّا أن يكون شكّاً ونفاقاً ، وإمَّا جحداً وتكذيباً .

وبيَّن القرطبي أنَّ معنى قوله : (فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ) ، قيل : هو دعاء عليهم ، ويكون معنى الكلام : زادهم الله شكّاً ونفاقاً جزاءً على كفرهم وضعفاً عن الانتصار ، وعجزاً عن القدرة .

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١/١٢٠ – ١٢٢) ، (٣/٢٢) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢/٥٨ ، ٥٩) ، (٢٥/١٨٠) .

وقال القرطبي في آية الأحزاب في معنى مرض القلب : أي : شك ونفاق عن قتادة والسدى ، وقيل : تشوف لفجور ، وهو الفسق والغزل. قاله عكرمة ، وهذا أصوب ، وليس للنفاق مدخل في هذه الآية(١) .

فلا خلاف بين القرطبي وابن منظور إلا في الألفاظ فقط ، فإنَّ المعنى واحد.

ونقل ابن كثير الأقوال التي قيلت في معنى مرض القلوب الذي في آية البقرة ، وهي : ١/ المرض هنا الشك . ٢/ هو النفاق . ٣/ هو الرياء .

وذكر ابن كثير أنَّ الشك والنفاق بمعنى واحد ، ونقل قول عبدالرحمن بن زيد ين أسلم ، وهو أنَّ هذا المرض هو مرض في الدين ، وليس في الأجساد ، وهم المنافقون ، والمرض الشك الذي دخلهم في الإسلام فزادهم الله مرضاً ، قال : زادهم رجساً ، ثم حسَّن ابن كثير هذا القول .

وفسَّر مرض القلب في آية الأحزاب بأنَّ معناه : دغل(٢).

وأيضاً فلا خلاف بين ابن كثير وابن منظور في الموضعين ، إلا من حيثُ الألفاظ ، وأيضاً زاد ابن كثير معنى الرياء في الموضع الأول .

وقال البغوي في آية البقرة : (في قلوبهم مرض : شك ونفاق ، وأصل المرض الضعف ، سمى الشك في الدنيا مرضاً ، لأنَّه يضعف الدين ، كالمرض يضعف البدن) .

وفسَّر البغوي المرض في آية الأحزاب بالفجور والشهوة(٣) .

فوافقه ابن منظور في المعنى في الآيتين .

ولعلَّ القول بأنَّ المراد في آية البقرة هو الشك والنفاق ، والمراد في آية الأحزاب هو الفساد والفجور ، وهو فتور عمَّا أُمر به ونُهي عنه أقرب إلى الصواب ، والله أعلم .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٩٧/١) ، (١٧٧/١٤) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٩/١) ، (٤٨٣/٣) .

(٣) انظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٥٠/١) ، (٥٢٧/٣) .

المعنى العام للآيتين :

١/ آية البقرة :

(فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) أخبر الله –جل ثناؤه– أنَّ في قلوب المنافقين مرضاً ، وهو شكهم في أمر محمد – ﷺ – وما جاء به من عند الله ، وتحيرهم فيه. (فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا) هو نظير ما كان في قلوبهم من الشك والحيرة قبل الزيادة . (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ، أي : مؤلم بمعنى موجع. (بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ) بما كانوا يكذبون الله ورسوله والمؤمنين ، بقولهم بألسنتهم آمنا بالله وباليوم الآخر ، وهم في قيلهم ذلك كذبة ، لا ستسرارهم الشك والمرض في اعتقادات قلوبهم(١).

٢/ آية الأحزاب :

(يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ) خطاب لهن كلهن. (لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ) الله ، فإنكنَّ بذلك تفقن النساء ، ولا يلحقكن أحد منهن ، فكملن التقوى بجميع وسائلها ومقاصدها ، فلهذا أرشدهن إلى قطع وسائل المحرمات ، فقال : (فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ) ، أي : في مخاطبة الرجال فَتِلنَّ في ذلك ، وتتكلمن بكلام رقيق. (فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ) ، أي : مرض شهوة الحرام ؛ لأنَّ قلبه غير صحيح (وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا) ، أي : غير غليظ ولا جاف ، كما أنَّه ليس بليِّنٍ خاضع(٢).

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٢٤/١) .

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص (٦٦٣ ، ٦٦٤) .

النص رقم (٣٠٧) و (٣٠٨) و (٣٠٩) و (٣١٠) و (٣١١) و (٣١٢)

يقول تعالى : [إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ...][(١)] .

ويقول تعالى : [... فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ...][(٢)] .

ويقول تعالى : [...فَلا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا ...][(٣)] .

ويقول تعالى : [أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ][(٤)] .

ويقول تعالى : [فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ][(٥)] .

ويقول تعالى : [...فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ][(٦)] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (المَرْوُ : حجارةٌ بيضٌ بَرّاقة تكون فيها النار ، وتُقْدَح منها النار ... وبها سُميت المَرْوَة ، وهي جبل بمكة شَرَّفها الله –تعالى– ... ومَـروَةُ المَسْعَى التي تُذكر في الصَّفا ، وهي أحد رأسيه اللَّذين ينتهي السعي إليهما سُمَيت بذلك ... وفي التنزيل العزيز : (إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ) ... ومَاريتُ

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٥٨) . وتمام الآيـة : [إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ] .

(٢) سورة هود ، الآية (١٧) . وتمام الآيـة : [أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ] .

(٣) سورة الكهف ، الآية (٢٢) . وتمام الآية : [سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا] .

(٤) سورة النجم ، الآية (١٢) .

(٥) سورة النجم ، الآية (٥٥) .

(٦) سورة القمر ، الآية (٣٦) . وتمام الآية : [وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ] .

الرجل أماريه مِراءً إذا جادلته . والمِرْيَةُ والمُرْيَةُ : الشَّكُ والجَدَلُ (بالكسر والضم) وقرئ بهما قوله – عزَّ وجل – : (فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ) ... والامْتِرَاءُ في الشيء : الشك فيه ، وكذلك التماري . والمِرَاءُ : المُمَارَاة والجَدَلُ ، والمِرَاءُ أيضاً : من الامْتِراء والشك . وفي التنزيل العزيز : (فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا) ... وأصله في اللغة الجدال ، وأن يستخرج الرجل من مناظرة كلاماً ومعاني الخصومة وغيرها من مَرَيْتُ الشاة إذا حلبتُها ، واستخرجت لبنها ... وقوله – عزَّ وجل – : (أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ) وقرئ (أفتَمْرُونَهُ على ما يرى) ، فمن قرأ : (أفتمارونه) فمعناه : أفتجادلونه ... ومن قرأ : (أفتمرونه) ، فمعناه : أفتجحدونه ... المراء : الجدال . والتماري والمماراة : المجادلة على مذهب الشك والريبة ... وقال الفرَّاء في قوله – عزَّ وجل – : (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ) : (يقول : بأي نعمة ربك تُكَذِّبُ أنَّها ليست منه ، وكذلك قوله – عزَّ وجل – : (فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ)[1] . وقال الزجَّاج : والمعنى : أيُّها الإنسان بأي نعمة ربك التي تدلك على أنَّه واحد تتشكك[2])[3].

دراسة النصوص :

ذكر الطبري في بيان معنى (المروة) أنَّها الحصاة الصغيرة ، يجمع قليلها مروات ، وكثيرها : المرو ، مثل تمرة وتمرات وتمر . وإنّما عنى الله – تعالى ذكره – بقوله : (إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ) في هذا الموضع الجبلين المسمين بهذين الاسمين اللَّذين في حرمه دون سائر الصفا والمرو ، ولذلك أدخل فيهما الألف واللام .

---

(١) معاني القرآن ، للفرَّاء ، (١٠٣/٣) .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٦٣/٥) .

(٣) لسان العرب ، مادة (مرا) ، (٢٧٥/١٥ – ٢٧٨) .

وفسَّر الطبري المِرْيَة بالشك ، والتماري والمراء بالجدل ، وبيَّن القـراءتين في قوله : (أفتمارونه) ، فذكر أنَّ من قرأ بضم التـاء وإثبـات الألـف يعنـى : أفتجادلونه ، ومن قرأ بفتح التاء بغير ألف (أفتَمْرونه) فإنَّه يعنى : أفتجحدونه .

ثُمَّ ذكر الطبري أنَّهما قراءتان معروفتـان صـحيحتا المعنـى ، وذلـك أنَّ المشركين قد جحدوا أن يكون رسول الله رأى ما أراه الله ليلة أُسرى به وجـادلوا في ذلك ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وفسَّر الطبري قوله : (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ) بقوله : يقول تعالى ذكره : فبأي نعمات ربك يا ابن آدم التي أنعمها عليك ترتاب وتشك وتجادل .

كما فسَّر قوله (فتماروا) بالتكذيب لأجل الشك(١).

وعلى هذا فلا خلاف بين ابن منظور والطبري في معـاني المفـردات فـي جميع المواضع السابقة .

وذكر الرازي أنَّ الصفا والمروة علمان للجبلين المخصوصين ، وأنَّ أصـل اشتقاق المروة – في قول الخليل – أنَّه من الحجارة ، ما كان أبيض أملس صـلباً شديد الصلابة ، وفي قول غيره : هو الحجارة الصـغيرة ، يجمـع فـي القليـل مروات، وفي الكثير مرو ، أمَّا قوله (مرية) في آية هود ، فلم يتعرض لها الرازي ببيان المعنى .

وفسَّر التماري والمراء بما يفيد أنَّه بمعنى المناظرة والجدال . ولـم يـذكر القراءتين في قوله : (أفتمارونه) ، لكنَّه فسَّر ذلك بالمجادلة مع إيـراد الشـكوك . وفسَّر قوله (تتمارى) بالتشكك والجدال . ولم يُفسر قوله (فتماروا) بالقمر(٢).

وعلى هذا فابن منظور يتفق مع الرازي أيضاً في جميع المواضـع عـدا موضعي هود والقمر ، فقد سكت الرازي عن بيان المعنى فيهما ، وكذلك لم يذكر القراءة بفتح التاء وبدون ألف في قوله (أفتمارونه) .

---

(١) انظـر : جـامع البيـان ، للطبـري ، (٢/٤٣ ، ٤٤) ، (١٢/١٩) ، (١٥/٢٢٧) ، (٢٧/٤٩ ، ٥٠) ، (٢٧/٨٠) ، (٢٧/١٠٤) .

(٢) انظر: التفسير الكبير، للرازي،(٤/١٤٣)، (١٧/١٦٢)، (٢١/٩١)،(٢٨/٢٥٠)، (٢٩/٢٣) ، (٢٩/٥٤) .

وذكر القرطبي أنَّ المروة جبل معروف بمكة ، ومعناه في اللغة : الحجارة صليبها ورخوها الذي يتشظى وترق حاشيته ، وقيل : حجارة بيض براقة تكون فيها النار ، وذكر أقوالاً أخرى .

كما بيَّن أنَّ المرية بمعنى الشك ، والتماري والمراء بمعنى الجدل ، وذكر ثلاث قراءات في قوله : (أفتمارونه) ، الأولى : بفتح التاء من غير ألف (أفتَمرونه) على معنى : أفتجحدونه ، والثانية بضم التاء من غير ألف : (أفتُمرونه) ، أي : تريبونه وتشككونه ، والثالثة : (أفتمارونه) بألف ، بمعنى : أتجادلونه وتدافعونه . وقال في قوله : (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ) : أي : فبأي نعم ربك تشك ، والمخاطبة للإنسان المكذب . وفسَّر قوله : (فتماروا) بالشك[1] .

وعلى هذا يوافق ابن منظور القرطبي في جميع ما سبق ، إلا ما كان من القرطبي من زيادة القراءة الثالثة ، وهي بضم التاء من غير ألف ، وهذه ليست عند ابن منظور .

ولم يذكر ابن كثير شيئاً عن أصل اشتقاق كلمة المروة ، ولكنه ذكر ما يفيد أنَّها الجبل المعروف بمكة . وفسَّر المرية بالشك ، ولم يقل شيئاً عن معنى التماري والمراء في آية الكهف ، كما لم يبين معنى قوله (أفتمارونه) ، ولم يذكر وجوه القراءات في ذلك .

وقال في قوله (تتمارى) : أي : ففي أي نعم الله عليك أيها الإنسان تمتري وفسر التماري في آية القمر بالشك[2] .

وعلى هذا يتفق ابن كثير مع ابن منظور في آية البقرة وآية هود ، وإن كان ابن كثير لم يبين المعنى اللغوي لكلمة المروة .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٧٩/٢ ، ١٨٠) ، (١٨/٩) ، (٣٨٤/١٠) ، (٩٣/١٧) ، (١٢١/١٧) ، (١٤٤/١٧) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١٩٩/١) ، (٤٤١/٢) ، (٧٩/٣) ، (٢٥٠/٤") ، (٢٦٠/٤) ،(٢٦٧/٤) .

أمَّا آيتي الكهف والنجم (١٢) فلا مقارنة فيهما بينهما ، لسكوت ابن كثير عن بيان معنى المفردة موضوع الدراسة فيهما .

ولا خلاف بينهما في آيتي النجم (٥٥) والقمر ، وإن كان ابن كثير لم يـذكر معنى التماري في آية النجم (٥٥) .

وذكر ابن عطية أنَّ الصفا والمروة جبيلان بمكة ، وبيَّن أنَّ المـروة واحـدة المرو ، وهي الحجارة الصغار التي فيها لين .

وبيَّن أنَّ المرية بمعنى الشك ، والتماري والمراء بمعنى المشاككة . وذكـر القراءتين في قوله : (أفتمارونه) وذكر المعنى على كل قراءة بما وافقه فيـه ابـن منظور .

كما ذكر أنَّ التماري في آيتي النجم (٥٥) والقمر بمعنى التشكك[١].

وعلى هذا فلا خلاف بين ابن منظور وابن عطية في جميع المواضع .

وجوه القراءات :

١/ آية هود :

قرأ الحسن وقتادة بضم الميم في قوله (مرية) ، والباقون بالكسر[٢].

٢/ آية النجم (١٢) :

اختلفوا في قوله : (أفتمارونه) ، فقرأ حمزة والكسائي وخلـف ويعقـوب : (أفتمرونه) بفتح التاء وإسكان الميم من غير ألف ، وقرأ الباقون بضم التاء وفـتح الميم مع ألف بعدها[٣].

٣/ آية النجم (٥٥) :

قرأ أبوعمرو وحمزة والكسائي وخلف بإمالة الألف في قولـه : (تتمـارى) لوقوع الراء بعدها[٤].

---

(١)انظر :المحرر الوجيز،لابن عطية،(٢٢٨/١)،(٢٠٩/٣)،(٥٠٨/٣) ، (١٩٩/٥) ، (٢٠٩/٥) ، (٢١٩/٥) .

(٢) انظر : زاد المسير ، لابن الجوزي ، (٨٩/٤) .

(٣) انظر : النشر ، لابن الجزري ، (٢٨٣/٢) ، وانظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص ٦٨٥ .

(٤) انظر : إتحاف فضلاء البشر ، للدمياطي ، ص ١٠٧ .

سبب النزول :

آية البقرة :

أخرج البخاري عن عاصم بن سليمان[١] قال : سألت أنساً عن الصفا والمروة ، فقال : كنا نرى أنَّهما من أمر الجاهلية ، فلمَّا جاء الإسلام أمسكنا عنهما ، فأنزل الله : (إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ) الآية[٢] .

المعنى العام للآيات :

١/ آية البقرة :

(إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ) علمان لجبلين بمكة . (مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ) من أعلام مناسكه ومتعبداته . (فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ) الحج قصد البيت ، والعمرة زيارته على الوجهين المعروفين في النسك .(فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا) فلا إثم ولا مؤاخذة عليه أن يسعى بينهما ، ونزلت هذه الآية فيمن تحرج من السعى بين الصفا والمروة .(وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) ، أي : من فعل خيراً فإنَّ الله يشكره عليه ويثيبه به[٣].

---

(١) عاصم بن سليمان : أبوعبدالرحمن الأحول ، سمع أنساً وحفصة والحسن وابن سيرين – رضي الله عنهم – وسمع منه الثوري وشعبة . يقال : مولى بني تميم ، ويقال مولى عثمان بن عفان – ﷺ– . وثقه يحيى بن معين وأبوزرعة ، وقيل : صالح الحديث . مات سنة (١٤١هـ) ، وقيل : سنة (١٤٢هـ) ، وقيل : سنة (١٤٣هـ). (انظر: التاريخ الكبير ، لأبي عبدالله البخاري ، (٤/٤٨٥) ، وانظر : التاريخ الأوسط ، لأبي عبدالله محمد بن إبراهيم البخاري ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، مكتبة دار الوغى ، حلب والقاهرة ، ط١ ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، وانظر : الجرح والتعديل ، لعبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٢٧١هـ/١٩٥٢م ، (٦/٣٤٣)) .

(٢) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ٣٠ . والحديث في صحيح البخاري ، في : ٦٨- كتاب التفسير ، ٢٣- باب قوله : (إنَّ الصفا والمروة من شعائر الله) ، حديث رقم (٤٢٢٦) ، (٤/١٦٣٥) .

(٣) انظر : محاسن التأويل ، لمحمد جمال الدين القاسمي ، (٣/٣٤٣ – ٣٤٦) .

٢/ آية هود :

(أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ) قد بيَّن له دينه فتبينـــه. (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) أكثر المفسرين على أنَّ المراد به جبريل – عليه السلام – وقيل المراد لسان النبي – ﷺ – وقيل غير ذلك. (وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً) أراد به التوراة كانت إماماً ورحمة لمن اتبعها ، وهي مصدقة للقرآن ، شـــاهدة للنبـــي وقولـــه. (أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ) ، قيل: المراد المهاجرون والأنصار ، وقيل : الذين أسلموا من أهل الكتاب. (وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ) يعني بالرسول (مِنَ ٱلْأَحْزَابِ) وهـــم تحزَّبـــوا على النبي، أي : تفرقوا من قبائلهم واجتمعوا عليه من قـــريش وغيـــرهم (فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ) يصير إليه في الآخرة بتكذيبه. (فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ) ، أي : فلاتـــك في شك منه .(إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) يعني أهل مكة[(١)] .

٣/ آية الكهف :

(سَيَقُولُونَ) ، أي: المتنازعون في عدد الفتية في زمـــن النبـــي – ﷺ – أي: يقول بعضـــهم :هـــم (ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ) ، أي: بعضـــهم (خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ) والقولان لنصارى نجران* (رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ) ، أي: ظنّاً في الغيبـــة عنهم ، وهو راجع إلى القـــولين معـــاً . (وَيَقُولُونَ) ، أي : المؤمنـــون (سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ) وصف الأوَّلَين بالرجم دون الثالث ، وذلك دليـــل علـــى أنَّـــه

---

(١) انظر : تفسير القرآن ، للسمعانى ، (٤١٨/٢) . وانظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٤/١٢) ، وانظر : الوجيز للواحدي ، (٥١٦/١) .

* نَجْران : (بالفتح ثُمَّ السكون) . في عدة مواضع ، منها : نجران في مخاليف اليمن من ناحية مكة . قالوا : سميت بنجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، لأنَّه كان أول مـــن عمرهـــا ونزلها دخل أهل نجران في النصرانية . (انظر : معجم البلدان ، لياقوت الحموي، (٢٦٦/٥)) .

مرضي وصحيح. (قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٌ) . قال ابن عباس- رضي الله عنهما- : أنا من القليل ، وذكـــرهم ســـبعة . (فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا) ، أي : فلا تجادل فيهم إلا بمـــا أُنـــزل عليـــك.(وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدًا)، أي : ولا تطلب الفتيا فيهم من أهل الكتاب اليهود[١].

٤/ آية النجم (١٢) :

(أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ) يعني: أفتجادلون أيَّها المشركون محمـــداً – ﷺ – على ما يرى ممَّا أراه الله – تعالى – من آياته الكبرى[٢].

٥/ آية النجم (٥٥) :

(فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ) يعني: فبأي نعم ربك أيها الإنسان ، وقيل : أراد الوليد بن المغيرة . تتمارى ، أي : تشك وتجادل ، وقال ابن عباس- رضـــي الله عنهما – تكذب[٣].

٦/ آية القمر :

(وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ)، يعني لوط – عليه السلام – أنـــذر قومه بطشة الله بهم ، وهي عذابه الشديد قبل حلوله بهم إن لم يؤمنوا ، فما التفتـــوا إلى ذلك ، ولا أصغوا إليه ، بل شكوا في الإنذار ، ولم يصدقوه وكذبوه[٤].

---

(١) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص٣٨٤ .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٥٠/٢٧) .

(٣) انظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٢٥٦/٤) .

(٤) انظر : التفسير المنير ، لوهبة الزحيلي ، مج١٤ ، (١٨٦/٢٧) .

النص رقم (٣١٣)

يقول تعالى : [...وَمَزَّقۡنَـٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ ...][١] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (التَّمْزِيقُ : التَّخرِيقُ والتَّقطِيعُ ... والمُمَزَّقُ أيضاً مصدر كالتَّمْزِيق ، ومنه قوله تعالى : (وَمَزَّقۡنَـٰهُم كُلَّ مُمَزَّقٍ))[٢] .

دراسة النص :

وافق ابن منظور الطبري الذي قال في تفسير هذه الآية : (يقول : وقطَّعناهم في البلاد كل مقطع) [٣] . يريد التباعد والتفريق .

وذكر الرازي في تفسير هذه الآية ما يُفيد أنَّ المراد بالتمزيق التفريق[٤].

وهو معنى قول ابن منظور .

وذكر القرطبي أيضاً أنَّ التمزيق بمعنى التفريق[٥] .

فوافقه ابن منظور بالمعنى أيضاً .

وذكر ابن كثير أنَّ معنى التمزيق هنا هو تفريق الشمل[٦].

كما ذكر السعدي[٧] أيضاً أنَّ معناه التفريق[٨].

فوافقا معنى ما ذكره ابن منظور أيضاً .

---

(١) سورة سبأ ، الآية (١٩) . وتمام الآية : [فَقَالُواْ رَبَّنَا بَـٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَـٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَـٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ] .

(٢) لسان العرب ، مادة (مزق) ، (١٠/٣٤٢ ، ٣٤٣) .

(٣) جامع البيان ، للطبري ، (٢٢/٨٦) .

(٤) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٥/٢١٩) .

(٥)انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٤/٢٩١) .

(٦)انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣/٥٣٤) .

(٧) السعديّ : هو أبوعبدالله عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر آل سعدي ، من قبيلة تميم . ولد في بلدة عنيزة في القصيم سنة (١٣٠٧هـ) . تربي يتيماً ولكنه نشأ نشأة حسنة . حفظ القرآن وعمره ١١ سنة . من تصانيفه : تيسير الكريم الرحمن توفي سنة (١٣٧٦هـ) . (انظر : ترجمته في مقدمة تفسيره : تيسير الكريم الرحمن ، طبعة دار القلم بالقاهرة ، ص ٦) .

(٨) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ٦٧٧ .

المعنى العام للآية :

(فَقَالُواْ رَبَّنَا بَـٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا) وهم أهل قبيلة سبأ الذين كذبوا الرسل سئموا الراحة ، وبطروا النعمة ، فتمنوا أن تتباعد قراهم ليبعد سفرهم بينها.(وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ) بالكفر والبطر. (فَجَعَلۡنَـٰهُمۡ أَحَادِيثَ) لمن بعدهم يتحدثون بقصتهم (وَمَزَّقۡنَـٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ) وفرّقناهم في البلاد ، فصاروا يتمثل بهم في الفرقة ، وذلك أنهم ارتحلوا عن أماكنهم ، وتفرّقوا في البلاد. (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ) الذي فعلنا بهم (لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) ، أي : لكل مؤمن ، لأنَّ المؤمن هو الذي إذا ابتلي صبر ، وإذا أعطي شكر[(١)].

النص رقم (٣١٤) و (٣١٥)

يقول تعالى : [...وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ ...][(٢)].

ويقول تعالى : [رُدُّوهَا عَلَىَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ][(٣)] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (وقوله تعالى : (وَٱمۡسَحُوا بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ) فسره ثعلب فقال : نزل القرآن بالمسح ، والسنَّة بالغَسْل ، وقال بعض أهل اللغة : من خفض (وأرجلِكم) فهو على الجوار . قال أبو إسحق النحوي* :

---

(١) انظر : الوجيز ، للواحدي ، (٨٨٢/٢) ، وانظر : فتح القدير ، للشوكاني ، (٣٢٢/٤) .

(٢) سورة المائدة ، الآية (٦) . وتمام الآية : [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَـٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ] .

(٣) سورة ص ، الآية (٣٣) .

* يريد : أبا إسحق الزجّاج ، وقد سبقت ترجمته .

الخفض على الجوار لا يجوز في كتاب الله – عزَّ وجل – وإنَّما يجوز ذلك في ضرورة الشعر ، ولكن المسح على هذه القراءة كالغسل(١)، وممَّا يدل على أنَّه غسل أنَّ المسح على الرجل لو كان مسحاً كمسح الرأس لم يجز تحديده إلى الكعبين كما جاز التحديد في اليدين إلى المرافق . قال الله – عزَّ وجل – : (وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ) بغير تحديد في القرآن ، وكذلك في التيمم : (فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُ)(٢) من غير تحديد ، فهذا كله يوجب غسل الرجلين . وأمَّا من قرأ : (وَأَرۡجُلَكُم) فهو على وجهين : أحدهما أنَّ فيه تقديماً وتأخيراً ، كأنَّه قال : فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برؤوسكم ، فقدَّم وأخَّر ليكون الوضوء ولاءً شيئاً بعد شيء ، وفيه قول آخر : كأنَّه أراد : واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين ، لأنَّ قوله : إلى الكعبين قد دلَّ على ذلك كما وصفنا ... كما قال الشاعر .

يا لَيْتَ زَوْجَكِ قد غَدَا * متقلداً سَيْفاً ورُمْحاً(٣)

المعنى : متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً(٤) ... ومَسَحَ عُنُقه ، وبها يَمْسَح مَسْحاً : ضربها ، وقيل : قطعها ، وقوله تعالى : (رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ) يفسر بهما جميعاً ... قال الزجَّاج : ... لم يضرب سوقها ولا أعناقها

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٢/١٢٣) .
(٢) سورة المائدة ، الآية (٦) .
(٣) ورد هذا البيت الشعري غير منسوب بلفظ : ورأيت زوجك في الوغى متقلداً سيفاً ورمحاً في : خزانة الأدب وغاية الأرب ، لتقي الدين أبي بكر على بن حجة الحمويّ ، تحقيق : عصام شقيو ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م ، (٢/٢٧٥) . كما ورد في : درة الغواص في أوهام الخواص ، للقاسم ابن علي الحريري ، تحقيق : عرفات مطرجي ، مؤسسة الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ص ٨٠ .
(٤) لا خلاف بين الأئمة الأربعة في أنَّ الرجلين يجب فيهما الغَسْل إلى الكعبين في الوضوء . وأمَّا قوله : (وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ) ففيه قراءتان : قراءة الجمهور ، وهي بفتح اللام في أرجلكم عطفاً على الوجوه والأيدي ، أي : فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم ، ثُم قراءة حمزة وأبي عمرو ، وهي بالكسر للمجاورة . (انظر : الفقه على المذاهب الأربعة ، لعبدالرحمن الجُزَيْري ، (١/٦١) ، وانظر : روائع البيان ، لمحمد علي الصابوني ، (١/٥٣٣ ، ٥٣٤)) .

إلا وقد أباح الله له ذلك ، لأنَّه لا يجعل التوبة من الذنب بذنب عظيم . قال : وقال قوم : إنَّه مَسَحَ أعناقها وسوقها بالماء بيده . قال : وهذا ليس يشبه شغلها إيَّاه عن ذكر الله ، وإنَّما قال ذلك قوم ؛ لأنَّ قتلها كان عندهم منكراً ، وما أباحه الله فليس بمنكر ، وجائز أن يبيح ذلك لسليمان – عليه السلام – في وقته ، ويحظره في هذا الوقت[1])[2].

دراسة النصين :

ذكر الطبري القراءتين الواردتين في قوله : (وأرجلكم) ، وهما بنصب اللام وخفضها ، وبين أنَّ المراد على القراءة بالنصب : إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ، وأرجلكم إلى الكعبين ، وامسحوا برؤوسكم ، فهناك تقديم وتأخير ، والأرجل منصوبة عطفاً على الأيدي .

وذكر الطبري أنَّ من قرأ بالخفض تأول أنَّ الله إنَّما أمر عباده بمسح الأرجل في الوضوء دون الغسل ، وجعلوا الأرجل عطفاً على الرأس فخفضوها لذلك .

كما نسب الطبري إلى أنس – رضي الله عنه – أنَّه قال : نزل القرآن بالمسح والسنة الغسل[3].

وهذا الذي ذكره الطبري هنا يوافقه فيه ابن منظور ، مع تفصيل الطبري من حيث إيراد الروايات التفسيرية ، وتفصيل ابن منظور من الناحية اللغوية .

أمَّا آية ص فقد ذكر فيها الطبري اختلاف أهل التأويل في معنى مسح سليمان – عليه السلام – بسوق هذه الخيل الجياد وأعناقها ، وأورد لهم في ذلك قولين، الأول : إنَّ المراد بمسحها عقرها وضرب أعناقها ونسب هذا القول إلى الحسن والسدي . والثاني : المراد مسح أعرافها وعراقيبها بيده حبّاً لها . ونسب هذا القول إلى ابن عباس رضي الله عنهما .

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٢٤٩/٤) .

(٢) لسان العرب ، مادة (مسح) ، (٥٩٣/٢ – ٥٩٦) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٢٦/٦ – ١٢٨) .

ثُمَّ بيَّن أنَّ هذا القول الذي نسبه إلى ابن عباس أشبه بتأويل الآية ، وعلل ذلك بأنَّ نبي الله – سليمان عليه السلام – لم يكن ليعذب حيواناً بالعرقبة ، ويُهلك مالاً من ماله بغير سبب سوى أنَّه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها(١)*.

وعلى هذا لا يوافق ابن منظور الطبري في هذا الموضع ، لأنَّ ابن منظور يقول بأنَّ المسح معناه الضرب والقطع مستدلاً ومستشهداً على ذلك بقول الزجَّاج آنف الذكر .

وذكر الرازي اختلاف الناس في مسح الرجلين وغسلهما ، فذكر مذهب بعض أهل التفسير أنَّ الواجب فيهما المسح ، قال : وهو مذهب الإمامية من الشيعة . كما ذكر مذهب جمهور الفقهاء والمفسرين أنَّ فرضهما الغسل ، وذكر أيضاً مذهب أحد أئمة الزيدية : وهو وجوب الجمع بينهما ، وقول من قال : المكلف مخيرٌ بين المسح والغَسْل .

وذكر الرازي القراءتين الواردتين في قوله : (وأرجلكم) ، وبيَّن المعنى على كل قراءة .ثم ذكر مذهبه ، وهو القول بوجوب غسل الرجلين في الوضوء .

وهذا هو مذهب ابن منظور في ذلك .

وفي آية ص ذكر الرازي قول من قال : إنَّ المراد بالمسح القطع ، أي: قطع سلميان – عليه السلام – السوق والأعناق من تلك الخيول ، لأنَّها شغله عن ذكر الله.

ثُمَّ ردَّ الرازي هذا القول بكلام طويل جميل يذب به عن عصمة سيدنا سليمان – عليه السلام – ويرى أنَّ المراد هو حقيقة المسح تشريفاً لها(٢).

وقد خالفه ابن منظور في ذلك .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (١٥٦/٢٣) .

* ولعل هذا القول الذي صوبه الطبري هو الأصح في تفسير الآية ، لأنَّه الأقرب والأليق بعصمة الأنبياء – عليهم السلام – من الوقوع في مثل هذه الأخطاء . والله أعلم .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٢٧/١١ – ١٢٩) ، (١٧٩/٢٦ ، ١٨٠) .

وذكر القرطبي في آية المائدة وجوه القراءات في قوله (وأرجلكم) ، وأضاف على ما ذكر قراءة ثالثة ، وهي القراءة بالرفع * .

ثُمَّ ذكر أنَّ القراءة بالنصب على أنَّ الفرض في الرجلين الغَسْل دون المسح هو مذهب الجمهور والكافة من العلماء ، وهو الثابت من فعل النبي – ﷺ – ومن قرأ بالخفض أوجب المسح ، وذهب قوم ممَّن يقرأ بالكسر إلى أنَّ المسح في الرجلين هو الغسل . قال القرطبي : وهو الصحيح ، فإنَّ لفظ المسح مشترك يطلق بمعنى المسح ، ويطلق بمعنى الغسل .

وذكر القرطبي أيضاً أنَّ المسح– في الرأس إنَّما دخل بين ما يُغسل لبيان الترتيب .

إذن فالقرطبي يُرجح قول من قال بالغَسْل في الرجلين ، وهو ما ذهب إليه ابن منظور أيضاً .

وذكر القرطبي في آية ص في معنى المسح قولين : أحدهما أنَّه – عليه السلام – مسح سوقها وأعناقها بيده إكراماً منه لها . قالوا : كيف يقتلها وفي ذلك إفساد المال ، ومعاقبة من لا ذنب له . وثانيهما : أنَّ المسح هاهنا القطع ، وأنَّه قد أُذِن لسليمان – عليه السلام – في قتلها(١).

ولم أجد للقرطبي ترجيحاً لأحد القولين ، أمَّا ابن منظور فيظهر أنَّه يُرجح القول بالضرب والقطع .

وكذلك ابن كثير ذكر القراءتين الواردتين في قوله تعالى : (وأرجلكم) وهما القراءة بفتح اللام على أنَّ المراد الغسل ، وبكسرها على أنَّ المراد المسح .

ثم رجح ابن كثير القول بوجوب غسل الرجلين موافقاً بذلك ابن منظور .

وبيَّن ابن كثير المذهب في المراد بمسح سيدنا سليمان – عليه السلام – لسوق الخيل وأعناقها ، وذكر أنَّ اختيار ابن جرير – وهو أنَّ سيدنا سليمان –

---

* وصف الشنقيطي في "أضواء البيان" القراءة برفع اللام بأنها قراءة شاذة ، وهي قراءة الحسن ، ووصف قراءتي النصب والخفض بأنهما متواترتان . (انظر : أضواء البيان ، للشنقيطي ، (٣٣٠/١) ، وانظر في هذه القراءة الشاذة : مختصر في شواذ القرآن ، لابن خالويه ، ص ٣٧)) .

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٩١/٦ ، ٩٢) ، (١٩٥/١٥) .

عليه السلام – لم يكن ليعذب حيواناً بالعرقبة ، ويهلك مالاً من ماله بلا سبب سوى أنَّه اشتغل به عن صلاته ، بل المراد أنَّه جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حبّاً لها فيه نظر ، لأنَّه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ، ولاسيما إذا كان غضباً لله –تعالى– بسبب أنَّه اشتغل بها حتى خرج وقت صلاة العصر ، ولهذا لما خرج عنها لله – تعالى – عوَّضه الله – عزَّ وجل – ما هو خيرٌ منها ، وهو الريح(١).

هذا الكلام من ابن كثير فيه معنى اختياره القول بالضرب والقطع ، وهو اختيار ابن منظور أيضاً .

ورجح أبوالسعود قول الجمهور بوجوب غسل الرجلين في الوضوء قائلاً : ((وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ) بالنصب عطفاً على وجوهكم ، ويؤيده السنة الشائعة ، وعمل الصحابة ، وقول أكثر الأئمة والتحديد إذ المسح لم يُعهد محدوداً ، وقرئ بالجر على الجوار ... وفي الفصل بينه وبين أخواته إيماء إلى أفضلية الترتيب ، وقرئ بالرفع ، أي : وأرجلُكم مغسولةٌ) (٢).

ففي قوله بوجوب الغسل للرجلين يتفق مع ابن منظور .

كما يتفق مع ابن منظور في القول بأنَّ المسح في آية ص بمعنى القطع ، حيث ذكر أبو السعود القولين في ذلك مرجحاً القول بالقطع على القول بمسح سليمان – عليه السلام – على أعناق الخيل وسوقها بيده حبَّاً لها وإعجاباً بها ، حيثُ قال في هذا القول الثاني : وليس بذاك(٣) .

وجوه القراءات :

آية المائدة :

قرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص : (وأرجلَكم) بفتح اللام ، وحجتهم أنَّها معطوفة على الوجوه والأيدي ، فأوجبوا الغَسْل عليهما . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وأبوبكر : (وأرجلِكم) بالخفض عطفاً على الرؤوس(٤).

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢/٢٦ ، ٢٧) ، (٤/٣٥) .

(٢) إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (٣/١١) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، (٧/٢٢٦) .

(٤) انظر : حجة القراءات، لابن زنجلة،ص (٢٢١ – ٢٢٣) ، وانظر : النشر ، لابن الجزري ، (٢/١٩١) .

المعنى العام للآيتين :

١/ آية المائدة :

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ) ، أي : أردتم القيام إليها (فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ) يعني مع المرفقين. (وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ) وهما العظمان الناشزان من جانبي القدم (وَإِن كُنتُمۡ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ) فاغتسلوا .(وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ) ، أي : مرضاً يضره الماء ، أو مسافرين . (أَوۡ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ) ، أي : أحدث (أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ) بمعنى اللمس هو الجس باليد وبباقي البشرة ، وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – : هو الجماع . (فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءً) بعد طلبه (فَتَيَمَّمُوا) أقصدوا (صَعِيدًا طَيِّبًا) تراباً طاهراً (فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم) مع المرفقين (مِّنۡه) بضربتين ، والباء للإلصاق (مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٍ) ، أي : ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم .(وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ) من الأحداث والذنوب (وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ) بالإسلام ببيان شرائع الدين. (لَعَلَّكُم تَشۡكُرُونَ) نعمه[1].

٢/ آية ص :

(رُدُّوهَا عَلَيَّۖ) يعني سليمان – عليه السلام – طلب أن تُرد الخيل عليه فردُّها (فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ) ، أي : جعل يمسح أعرافها وعراقيبها بيده حبَّاً لها ، وهو الأقرب في تأويل الآية ، وقيل : معنى ذلك أنَّه عقرها ، وضرب أعناقها وسوقها لشغلها إياه عن صلاته بالنظر إليها[2].

---

(١) انظر : الوجيز ، للواحدي ، (٣١٠/١) ، وانظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ١٣٧ .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٥٦/٢٣) .

النص رقم (٣١٦)

يقول تعالى : [فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ][1] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (المَسَدُ : بالتحريك : اللّيف ... وقيل : هو الحبل المضفور المحكم الفتل ... وقال الزجَّاج في قوله – عزَّ وجل – : (قوله – عزَّ وجل – (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) جاء في التفسير أنها سلسلة طولها سبعون ذراعاً يسلك بها في النار[2] ، والجمع أمْسَادٌ ومِسَادٌ ... يعني – جل اسمه – أنَّ امرأة أبي لهب تسلك في سلسلة طولها سبعون ذراعاً ... الزجَّاج : المسد في اللغة الحبل إذا كان من ليف المُقْل* ، وقد يقال لغيره ... وقيل : حبلٌ مَسَدٌ ، أي : ممسود قد مُسِدَ ، أي : أجيد فتله مسداً ... ودل قوله – عزَّ وجل – : (حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) أنَّ السلسلة التي ذكرها الله –تعالى– فتلت من الحديد فتلاً محكماً ، كأنَّه قيل : في جيدها حبل حديد قد لُوي لياً شديداً) [3] .

دراسة النص :

نقل الطبري اختلاف أهل التأويل في معنى المسد ، فذكر لهم في ذلك عدة أقوال ، منها : ١/ هو حبال تكون بمكة . ٢/ هو الليف . ٣/ هو سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعاً. ٤/ هو الحديد الذي يكون في البكرة . ٥/ هو قلادة من ودع .

ثم قال الطبري : وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال هو حبلٌ جمع من أنواع مختلفة .

---

(١) سورة المسد ، الآية (٥) .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٢٨٩/٥) .

* قال الزجَّاج : المقل هو شجر الدوم . وانظر : المرجع السابق ، (٢٨٩/٥) .

(٣) لسان العرب ، مادة (مسد) ، (٤٠٢/٣ ، ٤٠٣) .

فالذي يُلاحظ من ذلك أنَّ الطبري أكثر تفصيلاً من ابن منظور في إيراد المعنى مع امتيازه عليه بالترجيح أيضاً[1] .

وذكر الرازي بعض الأقوال التي قيلت في المسد ، ثم قال : المسد هو المفتول سواء كان من الحديد أو من غيره ، والله –سبحانه وتعالى –أعلم[2] .

فامتاز الرازي بالترجيح أيضاً .

وفسر القرطبي المسد بالليف . قال : وقد يكون من جلود الإبل أو من أوبارها.

ثم ذكر لأهل التفسير نحواً من الأقوال التي ذكرها الطبري[3] .

فيلاحظ أنَّ القرطبي له موقف واضح في هذا المعنى ، وليس كذلك ابن منظور .

وبيَّن ابن كثير أنَّ المراد بالمسد مسد النار ، ثُمَّ ذكر الأقوال التي قيلت في ذلك[4] .

فخالف ابن منظور في هذا المعنى .

وفي رواية الصنعاني عن قتادة أنَّ المسد قلادة من ودع[5] .

فخالفه ابن منظور إذ لم يذكر هذا المعنى .

سبب النزول :

أخرج ابن جرير عن ابن زيد أنَّ امرأة أبي لهب كانت تُلقي في طريق النبي – ﷺ– الشوك،فنزلت:(تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ)[6]و(وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ)[7].

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٣٤٠/٣٠ ، ٣٤١) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٥٩/٣٢) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٤١/٢٠) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٥٦٥/٤) .

(٥) انظر : تفسير القرآن ، للصنعاني ، (٤٠٦/٣) .

(٦) سورة المسد ، الآية (١) .

(٧) سورة المسد ، الآية (٤) . وانظر : جامع البيان ، للطبري ، (٣٣٨/٣٠) ، وانظر : الدر المنثور ، للسيوطي ، (٦٦٧/٨) .

المعنى العام للآية :

(فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) إشارة إلى امرأة أبي لهب ، والجيد : العنق والمسد : الليف الذي تفتل منه الحبال ، وقيل : يكون من صوف ، وقيل : حبال من شجر ينبت باليمن تسمى بالمسد ، وقد تكون من جلود الإبل أو من أوبارها وقيل : هو سلسلة من نار ، وقيل غير ذلك .

قال الضحَّاك وغيره : كانت في الدنيا تعير النبي – ﷺ – بالفقر ، وهي تحتطب في حبل تجعله في عنقها ، فخنقها الله به ، فأهلكها ، وهو في الآخرة حبل من نار(١).

النص رقم (٣١٧) و(٣١٨) و (٣١٩) و (٣٢٠)

يقول تعالى :[...وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا](٢) .

ويقول تعالى : [...ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ...](٣) .

ويقول تعالى : [...فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ...](٤) .

ويقول تعالى : [...مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا...](٥) .

---

(١) انظر : فتح القدير ، للشوكاني ، (٥١٢/٥) .

(٢) سورة مريم ، الآية (٢٠) . وتمام الآية : [قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا] .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٢٧٥) . وتمام الآية : [ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ] .

(٤) سورة طه ، الآية (٩٧) . وتمام الآية : [قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا] .

(٥) سورة المجادلة ، الآية (٣) . وتمام الآية : [وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (ويُقال : مَسِسْتُ الشيءَ أَمَسُّهُ مَسّاً إذا لَمَسْتَهُ بيدك ، ثُمَّ استعير للأخذ والضرب ، لأنَّهما باليد ، واستعير للجماع لأنَّه لَمْسٌ ، وللجُنُون كأنَّ الجن مَسَّته ، يُقال : به مَسّ من جنون . وقوله تعالى : (وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٌ) ، أي : لم يمسسني على جهة تزوج (وَلَمۡ أَكُ بَغِيًّا) ، أي : ولا قربت على غير حد التزوج ... والمس : الجنون ، ورجل ممسوس : به مس من الجنون ... وفي التنزيل العزيز : (ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ) المس : الجنون ... وفي التنزيل العزيز: (فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ) ... وقوله: (لا مساس) : لا يُخالط أحداً ، حرّم مخالطة السامريّ عقوبة له ، ومعناه : لا أَمَسّ ولا أُمَسّ ، ويُكنى بالمساس عن الجماع . والمُمَاسّةُ : كناية عن المباضعة ، وكذلك التَّماس . قال تعالى:(مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا))(1).

دراسة النصوص :

قال الطبري في تفسير آية مريم : (يقول تعالى ذكره : قالت مريم لجبريل : أنَّى يكون لي غلام ؟ من أي وجه يكون لي غلام أمن قِبَلِ زوج أتزوج فأرزقه منه ، أم يبتدئ الله فِيَّ خلقه ابتداءً ، ولم يمسسني بشر من ولد آدم بنكاح حلال ، ولم أكن إذ لم يمسسني منهم أحد على وجه الحلال بغيّاً بغيتُ ففعلتُ ذلك من الوجه الحرام فحملته من زنا) (2).

وهذا القول الذي ذكره الطبري هنا هو معنى قول ابن منظور آنف الذكر .

وفسر الطبري المس في آية البقرة بالجنون ، وفسَّر قوله : (لا مساس) بأنَّ معناه : لا أمس ولا أُمَسّ ، ثم ذكر أنَّ موسى – عليه السلام – أمر بني إسرائيل

---

(1) لسان العرب ، مادة (مسس) ، (6/218 ، 219) .

(2) جامع البيان ، للطبري ، (16/62) .

أن لا يؤاكلوا السامريّ ولا يخالطوه ولا يبايعوه ، كما فسر المماسة في آية المجادلة بالنكاح[1].

وهو في جميع ذلك يوافقه ابن منظور .

وذكر الرازي في معنى آية مريم وجهين : أحدهما أنَّها جعلت المس عبارة عن النكاح الحلال ؛ لأنَّه كناية عنه لقوله تعالى : (مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ)[2] ، والزنا ليس كذلك .

وثانيهما أنها أعادت قولها : ولم أك بغياً ، مع أنَّه داخل في قولها : ولم يمسسني بشر لتعظيم حال الزنا ، كقوله تعالى : (حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ)[3] ، وقوله : (وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ)[4] .

وهذا الوجه الأول الذي ذكره الرازي هنا هو الذي يقول به ابن منظور .

وفسر الرازي المس في آية البقرة بالجنون .

وفسر قوله : (لا مساس) بثلاثة وجوه : الأول أنَّ المراد : إنِّي لا أَمَس ولا أُمَس . والثاني : المراد المنع من أن يخالط أحداً أو يخالطه أحد . قال الرازي : وهذا الوجه أحسن وأقرب إلى نظم الكلام من الأول .

والثالث : المراد مس النساء ، فيكون من تعذيب الله إياه انقطاع نسله ، فلا يكون له ولد* .

وفسر الرازي المماسة في آية المجادلة بالجماع[5].

فوافقه ابن منظور في معاني هذه المفردات في المواضع السابقة مع زيادة تفصيل عند الرازي فيما يتعلق بمعنى المساس .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (١٠١/٣) ، (٢٠٦/١٦) ، (٩/٢٨) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٣٧) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٢٣٨) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٩٨) .

* وعندي أنَّ الوجه الأول الذي يقضي بمنع المماسة يتضمن الوجهين الآخرين ؛ لأنَّه إذا مُنع من مماسة الآخرين فقد مُنع من مخالطتهم ، ومُنِع أيضاً من مس النساء .

(٥) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٧٠/٢١) ، (٧٧/٧) ، (٩٧/٢٢) ، (٢٢٤/٢٩) .

وقال الطبري في تفسير آية مريم : (ولم يمسسني بشر ، أي : بنكاح ، ولم أك بغياً ، أي : زانية . وذَكَرَتْ هذا تأكيداً ؛ لأنَّ قولها : لم يمسسني بشر يشمل الحلال والحرام) [1].

وفسر القرطبي المس في آية البقرة بالجنون أيضاً ، وذكر في قوله : (لا مساس) أنَّه يعنى : لا أمس ولا أُمس طول الحياة ، فنفاه موسى عن قومه ، وأمر بني إسرائيل ألا يخالطوه ولا يقربوه ولا يكلموه عقوبة له .

وذكر القرطبي أنَّ قوله (يتماسا) بمعنى الجماع[2].

فوافقه ابن منظور في معاني المفردات اللغوية في جميع المواضع .

وقال ابن كثير في تفسير آية مريم : (أي : فتعجبت مريم من هذا ، وقالت: كيف يكون لي غلام ، أي : على أي صفة يوجد هذا الغلام مني ، ولست بذات زوج ، ولا يتصور مني الفجور) [3].

وهو معنى ما ذكره ابن منظور في ذلك .

وفسر ابن كثير المس بالصرع ، ونقل قول ابن عباس – رضي الله عنهما– وهو أنَّه بمعنى الجنون .

وفسر قوله : (لا مساس) بأنَّ معناه : لا تماس الناس ولا يمسونك ، وفسَّر المماسة في آية المجادلة بالنكاح[4].

فلا خلاف بينه وبين ابن منظور في جميع ذلك .

وفسر الألوسي قوله : (وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) بقوله : إنَّ المعنى : لم يباشرني بالحلال رجل ، ولم أكن زانية .

كما فسَّر الألوسي المس في آية البقرة بالجنون ، وقوله (لا مساس) بأنَّ معناه النهي ، أي : لا تمسني ولا أَمَسَّك .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١١/٩١) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٣/٣٥٥) ، (١١/٢٤٠) ، (١٧/٢٨٣) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣/١١٦) .

(٤) انظر : المرجع السابق ، (١/٣٢٧) ، (٣/١٦٥) ، (٤/٣٢٢) .

وذكر في التماس في آية المجادلة أنَّه كناية عن الجماع[1].

فوافق ابن منظور في جميع ما سبق .

المعنى العام للآيات :

١/ آية مريم :

(قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) ، أي : قالت مريم – لجبريل – عليهما السلام – : كيف يكون لي غلام ؟ وعلى أي صفة يوجد هذا الغلام مني ، ولست بذات زوج ، ولا يتصور مني الفجور ، فلم أكن يوماً زانية تبغي الرجال بالأجر ، وجوابها هذا لم يكن عن استبعاد لقدرة الله –تعالى– ، ولكنها تريد أن تعلم هل سيكون هذا الولد مخلوقاً بخلق الله ابتداءً كآدم – عليه السلام – أم عن طريق زوج تتزوجه في المستقبل ؟[2] .

٢/ آية البقرة :

يُخبر الله –تعالى– في هذه الآية أنَّ الذين يتعاملون بالربا في الدنيا لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع من جنونه ، يتعثر ويقع ولا يستطيع أن يمشي سوياً ، وذلك هتكاً لهم وفضيحة بسبب استحلالهم ما حرمه الله ، وقولهم : الربا كالبيع فلماذا يكون حراماً ؟ فردَّ الله عليهم بأنَّه أحل البيع لما فيه من تبادل المنافع ، وحرم الربا لما فيه من الضرر الفادح بالفرد والمجتمع ، فمن بلغه نهي الله عن الربا ، فانتهى عن التعامل به فله ما مضى من التحريم ، وأمره موكول إلى الله ، ومن عاد إلى التعامل بالربا ، واستحله بعد تحريم الله له ، فهو من المخلدين في نار جهنم[3].

٣/ آية طه :

(قَال) يعني موسى للسامريّ (فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ) ، أي : ما دمت حيَّاً . (أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ) يعني : لا تخالط أحداً ، ولا يخالطك أحداً ،

---

(١) انظر : روح المعاني ، للألوسي ، (٧٧/١٦) ، (٤٩/٣) ، (٢٥٦/١٦) ، (٦/٢٨) .

(٢) انظر : التفسير المنير ، لوهبة الزحيلي ، مج٨ ، (٤٠٥/١٦) .

(٣) انظر : صفوة التفاسير ، لمحمد علي الصابوني ، (١٦٩/١ ، ١٧٠) .

وذلك بسبب اتخاذه العجل وعبادته . (وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ) ، أي : لا مذهب لك عنه ؛ بل توافيه يوم القيامة (وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا) يعنى : ما دمت عليه مقيما تعبده . (لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ) بالنار . (ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ) ، أي : لنذرينه (فِى ٱلْيَمِّ) في البحر (نَسْفًا) (١) .

٤/ آية المجادلة :

(وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟) ، أي : فيه بأن يخالفوه بإمساك المُظَاهر منها الذي هو خلاف مقصود الظهار من وصف المرأة بالتحريم، (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) ، أي : عليه عتق رقبة (مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا) المراد الوطء. (ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ) ، أي : ذلكم الحكم بالكفارة توعظون به (وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) لا تخفى عليه خافية(٢) .

النص رقم (٣٢١) و (٣٢٢) و (٣٢٣)

يقول تعالى : [وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ...](٣) .

ويقول تعالى : [...وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ...](٤) .

---

(١) انظر : لباب التأويل ، للخازن ، (٤/٢٦٧) .

(٢) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٧٢٥ ، وانظر : أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، (٥/٣٠٨ ، ٣٠٩) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية (١٧٠). وتمام الآية:[وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ] .

(٤) سورة الممتحنة، الآية (١٠). وتمام الآية:[يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ] .

ويقول تعالى : [...فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ...][(١)] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (ومَسَكَ بالشيء وأمسك به وتمسَّك وتَمَاسك واستَمسك ومَسَّك ، كُلَّه : احتَبسَ . وفي التنزيل : (وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ) ... بسكون الميم ، وسائر القراء : (يُمَسّكِون) بالتشديد ، وأمَّا قوله تعالى : (وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ) فإنَّ أبا عمرو وابن عامر ويعقوب الحضرمي قرأوا : (ولا تُمَسِّكوا) بتشديدها ، وخففها الباقون ، ومعنى قوله تعالى : (وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ) ، أي : يؤمنون به ويحكمون بما فيه . الجوهري : أمسكتُ الشيءَ وتَمَسَّكْتُ به ، واستمسكتُ به وامتسكتُ كله بمعنى : اعتصمتُ[(٢)] ... وفي التنزيل : (فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ))[(٣)].

دراسة النصوص :

ذكر الطبري القراءتين الواردتين في قوله : (يمسكون) ، وهما بتسكين الميم مع تخفيفها ، وبفتح الميم مع تشديد السين .

ثُمَّ بين الطبري المعنى ، حيثُ قال : ويعني بذلك : والذين يعلمون بما في كتاب الله ، وأقاموا الصلاة بحدودها ، ولم يضيعوا أوقاتها .

فلا خلاف بين ابن منظور والطبري من حيث المعنى ؛ لأنَّهم إذا عملوا بما في كتاب الله وحكَّموه فقد آمنوا به .

وبيَّن الطبري أنَّ معنى قوله : (وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ) : لا تمسكوا أيَّها المؤمنون بحبال النساء الكوافر وأسبابهن ، وهذا نهي من الله – تعالى –

---

(١) سورة لقمان ، الآية (٢٢) . وتمام الآية : [وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ] .

(٢) انظر : الصحاح ، للجوهري ، مادة (مسك) ، (١٦٠٨/٤) .

(٣) لسان العرب ، مادة (مسك) ، (٤٨٧/١٠ ، ٤٨٨) .

للمؤمنين عن الإقدام على نكاح النساء المشركات من أهل الأوثان ، وأمـرٌ لهـم بفراقهن .

ثُمَّ ذكر القراءتين الواردتين في قوله : (ولا تمسكوا) ، وهما بتخفيف السـين وبتشديدها ، وبيَّن أنَّهما قراءتان معروفتان ، ولغتان مشهورتان .

ولم يبين الطبري المعنى اللغوي لقوله : (استمسك) في هذا الموضع ، ولكنه بينه في سورة البقرة* بما يفيد أنَّه بمعنى الاعتصام[1].

فلا خلاف بين ابن منظور والطبري في بيان المعنى في الموضعين ، إلا أنَّ ابن منظور لم يذكر المعنى في آية الممتحنة ، واكتفى بذكر أوجه القراءات فقط .

وذكر الرازي القراءتين الواردتين في قوله : (يمسكون) ، ثُمَّ بيَّن المعنـى ، وهو التمسك بالكتاب .

والتمسك بالكتاب يعني الإيمان به والحكم بما فيه ، وهو ما ذكره ابن منظور في ذلك .

وذكر الرازي كذلك القراءتين الواردتين في قوله : (ولا تمسـكوا) ، وهمـا بالتخفيف والتشديد ، ثُمَّ بيَّن أنَّ المعنى : ولا تتمسكوا .

فوافقه ابن منظور في ذكر القراءتين ، غير أنَّ ابن منظور لم يبين المعنى .

أمَّا قوله : (استمسك) في آية لقمان فلم يذكر في بيانه شيء[2].

وعلى هذا فلا خلاف بينه وبين ابن منظور في الموضعين : الأول والثاني ، ولا مقارنة بينهما في الموضع الثالث .

وذكر القرطبي أنَّ المراد بالكتاب في آية الأعـراف التـوراة ، والمعنـى : يتمسكون بالعمل بها ، ثُمَّ ذكر القراءتين الواردتين في قوله : (يمسكون) ، وبـيَّن أنَّ قراءة التشديد أوْلى ؛ لأنَّ فيها معنى التكريـر والتكثيـر للتمسـك بكتـاب الله -تعالى- وبدينه.

---

* في تفسير الآية (٢٥٦) . انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٠/٣) .

(١) انظر : المرجع السابق ، (١٠٨/٩) ، (٧١/٢٨ ، ٧٣) ، (٧٩/٢١) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٣٧/١٥ ، ٣٨) ، (٢٥٦/٢٩) ، (١٣٥/٢٥) .

كما بيَّن القراءتين الواردتين في قوله : (وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ) ، وذكر أنَّ العصمة ما اعتصم به ، والمراد بها هنا النكاح .

أمَّا آية لقمان فلم يبين فيها معنى الاستمساك(١).

وعلى هذا فلا خلاف بين ابن منظور والقرطبي في آية الأعراف فمدلول كلامهما واحد .

وذكر القرطبي المعنى في آية الممتحنة ، ولم يذكره ابن منظور ، وذكر ابن منظور المعنى في آية لقمان، ولم يذكره القرطبي .

وذكر ابن كثير في بيان المعنى في آية الأعراف أنَّ المراد بالتمسك بالكتاب الاعتصام به ، والاقتداء بأوامره وترك زواجره ، وهو معنى ما ذكره ابن منظور في ذلك ، إلا أنَّ ابن كثير لم يذكر هنا وجوه القراءات .

وذكر أنَّ المعنى في قوله : (وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ) هو تحريم نكاح المشركات ، والاستمرار معهن ، ولم يذكر وجوه القراءات أيضاً .

أمَّا ابن منظور فقد ذكر القراءات ، ولم يذكر المعنى كما علمنا .

وفي آية لقمان بيَّن ابن كثير أنَّ المراد بالاستمساك الأخذ(٢) ، ولا منافاة بينه وبين الاعتصام الذي ذكره ابن منظور .

وزاد البغوي على القراءتين المشهورتين في قوله : (يمسكون) قراءة ثالثة نسبها إلى أُبَيْ بن كعب ، حيثُ قرأ : (والذين تَمَسَّكوا بالكتاب) على الماضي ، ثُمَّ وصف البغوي هذا الوجه من وجوه القراءات بأنَّه جيد ، لقوله تعالى بعد ذلك : (وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ)(٣) إذ قل ما يعطف ما ضي على مستقبل إلا في المعنى .

ثُمَّ قال : وأراد الذين يعملون بما في الكتاب .

ولا يعمل بما في الكتاب إلا المؤمنون به ، وهو ما ذكره ابن منظور في ذلك ، غير أنَّ البغوي ذكر قراءة ثالثة كما بينتُ .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣١٣/٧) ، (٦٥/١٨) ، (٧٤/١٤) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٦١/٢) ، (٣٥٢/٤) ، (٤٥١/٣) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية (١٧٠) .

ونقل البغوي وجوه القراءات في قوله : (ولا تمسكوا) ، ثُمَّ ذكر أنَّ المراد نهي الله –تعالى– المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات ، وذكر أنَّ معنى الاستمساك في آية لقمان معناه الاعتصام(١).

فوافقه ابن منظور في المعنى في الآيتين ، غير أنَّ ابن منظور لم يذكر المعنى في آية الممتحنة كما علمنا .

وجوه القراءات :

١/ آية الأعراف :

قرأ شعبة بسكون الميم وتخفيف السين في قوله : (يمْسِكون) ، وقرأ الباقون (يمَسِّكون) بفتح الميم وتشديد السين(٢).

٢/ آية الممتحنة :

قرأ البصري * : (تمَسِّكوا) بفتح الميم وتشديد السين ، والباقون بإسكان الميم وتخفيف السين(٣).

سبب النزول :

آية الممتحنة :

ذكر السيوطي في سبب نزول هذه الآية ما أخرجه الشيخان أنَّ رسول الله – ﷺ – لمَّا عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء من المؤمنات ، فأنزل الله : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ) إلى قوله : (وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ)(٤) .

---

(١) انظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٢١١/٢) ، (٣٣٣/٤) ، (٤٩٤/٣) .

(٢) انظر : الوافي في شرح الشاطبية ، لعبدالفتاح القاضي ، ص ٢٢٧ .

* يريد أبا عمرو زيَّان بن العلاء البصري ، وقد سبقت ترجمته .

(٣) انظر : التحفة المرضية ، لمحمد إبراهيم ،(٦٠٢/٢) ، وانظر : الحجة في القراءات السبع ، لابن خالويه ، ص ٣٤٤ .

(٤) أخرجه البخاري في حديث طويل رواه عن المسور بن مخرمة ، ومروان بن عبدالحكم في : ٥٨– كتاب الشروط ، ١٥– باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ، حديث رقم (٢٥٨١) ، (٩٧٤/٢) .

وذكر في رواية ابن عباس – ﷺ– أنَّه قال : أسلم عمر بن الخطاب – ﷺ – فتأخرت امرأته في المشركين ، فأنزل الله : (وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ)(١) .

المعنى العام للآيات :

١/ آية الأعراف :

(وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ) ، أي : الذين يعملون بما في كتاب الله من اليهود أو النصارى .(وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ) بحدودها ، ولم يضيعوا أوقاتها (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ) أجر عملهم الصالح(٢).

٢/ آية الممتحنة :

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّ) نزلت هذه الآية بعد صلح الحديبية الذي وقع على أن يُرد إلى أهل مكة من جاء من المؤمنين منهم ، فأنزل الله في النساء إذا جئن مهاجرات أن يمتحن ، فإذا حلفت إحداهن أنَّها ما خرجت إلا رغبة في الإسلام لم ترد إلى الكفار ، وهو قوله : (فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ) لأنَّ المسلمة لا تحل للكافر (لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ) يعني ما أنفقوا عليهن من المهر (وَلا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ)، أي : مهورهن (وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ) يعني إن لحقت بالمشركين واحدة من نسائكم فلا تتمسكوا بنكاحها (وَسۡـَٔلُوا) يعني المشركين (مَآ أَنفَقۡتُمۡ) من المهر (ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ) ، أي : ذلكم الحكم الذي ذكره الله هو حكم الله بيَّنه لكم ووضحه (وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) يعلم ما يصلح لكم من الأحكام ، فيشرعه بحسب حكمته ورحمته(٣).

---

(١) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص (٢١١ ، ٢١٢) .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٠٨/٩) .

(٣) انظر : الوجيز ، للواحدي ، (١٠٩٠/٢) ، وانظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعديّ ، ص ٨٥٧ .

٣/ آية لقمان :

(وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ) بأن فوض إليه مجامع أموره ، وأقبل عليه بكليته (وَهُوَ مُحۡسِنٌ) ، أي : في أعماله (فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ) ، أي : تعلق بأوثق ما يتعلق به من الأسباب ، وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بالطاعة بحال من أراد أن يترقى إلى شاهق جبل ، فتمسَّك بأوثق عرى الحبل المتدلي منه . (وَإِلَى ٱللَّهِ) لا إلى أحد غيره (عَـٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ) فيجازيه أحسن الجزاء[١].

النص رقم (٣٢٤)

يقول تعالى : [إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَـٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٍ نَّبۡتَلِيهِ...][٢] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (المَشْجُ والمَشِجُ والمَشَجُ والمَشِيجُ كل لونين اختلطا ، وقيل : هو ما اختلط من حمرة وبياض ، وقيل : هو كل شيئين مختلطين ، والجمعُ : أَمشاج ... ابن سيده : والمشيجُ اختلاط ماء الرجل والمرأة ، هكذا عُبر عنه بالمصدر ، وليس بقوي . قال : والصحيح أن يُقال : المَشِيْجُ ماء الرجل يختلط بماء المرأة[٣] . وفي التنزيل العزيز : (إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَـٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٍ نَّبۡتَلِيهِ) . قال الفرَّاء : الأمشاج هي الأخْلاطُ : ماء الرجل وماء المرأة والدمُ والعلقة ، ويقال للشيء من هذا : خِلْطٌ مَشِيج[٤])[٥].

دراسة النص :

ذكر الطبري في تفسير هذه الآية أنَّ الله – تعالى – خلق ذرية آدم – عليه السلام – من نطفة ، يعني : من ماء الرجل وماء المرأة ، وذكر أنَّ معنى الأمشاج هو الأخلاط ، واحدها مشج ومشيج .

---

(١) انظر : إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (٧٤/٧) .

(٢) سورة الإنسان، الآية (٢) .وتمام الآية: [إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَـٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٍ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَـٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا].

(٣) انظر : المحكم ، لابن سيده ، مادة (مشج) ، (٢٥٣/٧) .

(٤) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٢١٣/٣) .

(٥) لسان العرب ، مادة (مشج) ، (٣٦٧/٢) .

ثُمَّ ذكر الطبري أقوال أخرى كثيرةً لأهل التأويل في معنى الأمشاج ، ورجح القول المذكور آنفاً[(١)].

وعلى هذا فلا خلاف بينه وبين ابن منظور في ذلك .

وبيَّن الرازي أنَّ المشج في اللغة : الخلط ، والأمشاج : الأخلاط ، ثُمَّ ذكر الخلاف في معنى كون النطفة مختلطة ، فأورد عدة أقوال في ذلك ، وذكر – فيما ذكر – أنَّ الأكثرين على أنَّه اختلاط بنطفة الرجل لنطفة المرأة[(٢)].

وأيضاً لا خلاف بينه وبين ابن منظور في هذا المعنى .

وعرف القرطبي الأمشاج بالأخلاط ، واحدها مشج ومشيج ، وبيَّن أنَّ المراد هنا اختلاط النطفة (المني) بالدم ، وذكر نحواً من الأقوال التي أوردها سابِقَيْهِ في ذلك[(٣)].

فوافقه ابن منظور في معنى الأمشاج ، وخالفه في معنى النطفة الأمشاج.

وذكر ابن كثير أنَّ الأمشاج هي الأخلاط ، ونقل فقط قولاً واحداً نسبه إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – وهو أنَّ النطفة الأمشاج يعني ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا ، ثُمَّ ينتقل بعد من طور إلى طور ، وحال إلى حال ، ولون إلى لون[(٤)].

واكتفاء ابن كثير بقول ابن عباس فقط يدل على اختياره له ، وهو ما وافق به ابن منظور .

وذكر السيوطي أنَّ قوله : (مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ) يعنى أخلاط من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين الممتزجين[(٥)].

فوافق بذلك القول ابن منظور .

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٠٣/٢٩ – ٢٠٥) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٠٩/٣٠) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٢٠/١٩) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٥٤/٤) .

(٥) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٧٨١ .

المعنى العام للآية :

(إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ) يعني : ولد آدم (مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ) يعني من مني الرجل ومني المرأة إذا اختلطا في الرحم ، وقيل : اختلاط النطفة بالدم ، وقيل : العروق في النطفة ، وقيل : الأمشاج : الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، وقيل : غير ذلك (نَّبْتَلِيه) ، أي : نختبره بالأمر والنهي ، وقال بعض أهل العربية : هي مقدمة معناها التأخير ، مجازها : (فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا) لنبتليه ؛ لأنَّ الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخلقة[١].

النص رقم (٣٢٥) :

يقول تعالى : [...ٱهْبِطُوا مِصْرًا ..] [٢].

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (الجوهري : (مِصْر هي المدينة المعروفة ، تذكر وتؤنث ... والمِصْر واحد الأمصار) [٣] ... قال سيبويه في قوله تعالى : (ٱهْبِطُوا مِصْرًا) قال : بلغنا أنَّه يريد مِصْر بعينها ... قال أبوإسحاق : الأكثر في القراءة إثبات الألف ... وفيه وجهان جائزان ، يُراد به مصرٌ من الأمصار ؛ لأنَّهم كانوا في تيه ... وجائز أن يكون أراد مِصْرَ بعينها ، فجعل مصراً اسماً للبلد ، فصرف لأنَّه

---

(١) انظر : الكشف والبيان ، للثعلبي ، (٩٣/١٠ ، ٩٤) ، وانظر : التبيان في تفسير غريب القرآن ، لشهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ، تحقيق : فتحي أنور الدابلوي ، دار الصحابة للتراث ، مصر ، ط١ ، ١٤١٢هـ ، ص ٤٣٩ .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٦١). وتمام الآية: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ) .

(٣) الصحاح ، للجوهري ، مادة (مصر) ، (٨١٧/٢) .

مذكر، ومن قرأ مصر بغير ألف أراد مصر بعينها ... ولم يصرف لأنه اسم المدينة[١]... وقال الليث : المِصْر في كلام العرب كل كُورة تُقام فيها الحدود ، ويقسَّم فيها الفيء والصدقات من غير مؤامرة للخليفة) [٢].

دراسة النص :

ذكر الطبري قراءتين في قوله (مِصْرًا)، الأولى بتنوين المصر وإجرائه ، والثانية بترك التنوين ، وحذف الألف منه .

ثُمَّ بيَّن المعنى على كل قراءة ، حيث قال : فالذين نونوه وأجروه فإنَّهم عنوا به مصراً من الأمصار لا مصراً بعينه . قال : وقد يجوز أن يكون بعض من قرأ ذلك بالإجراء والتنوين عنده مصر البَلْدَة التي تُعرف بهذا الاسم ، غير أنَّه أجراها ونوَّنها اتباعاً منه خط المصحف . أمَّا الذي لم ينون مصر ، فإنَّه لاشك أنَّه عنى مصر التي تُعرف بهذا الاسم بعينها دون سائر البلدان غيرها .

ثمَّ بيَّن الطبري اختياره في ذلك ، حيثُ قال : والذي نقول به في ذلك أنَّه لا دلالة في كتاب الله على الصواب من هذين التأويلين ، ولا خبر عن الرسول يقطع مجيئه العذر ، وأهل التأويل متنازعون في تأويله ، وجائز أن يكون المراد مصر، وجائز أن يكون الشام ، ثمَّ رجّح الطبري القراءة بإثبات الألف والتنوين ؛ لأنَّها قراءة العامة ، ولاجتماع خطوط مصاحف المسلمين عليها[٣].

وعلى هذا يمكننا القول أنَّ كلاً من الطبري وابن منظور قد ذكر وجوه القراءات في المفردة ، وذكر المعنى على كل قراءة ، إلا أنَّ الطبري كان له موقفاً واضحاً في المعنى المراد ، وفي القراءة المختارة . ولم يفعل ذلك ابن منظور. وكذلك الرازي ذكر القراءتين ، وذكر المعنى على كل قراءة ، وهو وإن لم يكن له اختيار واضح في ذلك إلا أنَّه تَفَوَّق على ابن منظور بتفصيل أقوال المفسرين في المعنى المراد[٤].

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (١/١٣٠ ، ١٣١) .

(٢) لسان العرب ، مادة (مصر) ، (٥/١٧٦) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١/٣١٣ – ٣١٥) .

(٤) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٣/٩٣) .

ويُقال في القرطبي ما قيل في الرازي[١].

ورجَّح ابن كثير أن يكون المراد مصر من الأمصار ، وذلك بعد أن ذكر أوجه القراءات ، وذكر المعنى على كل قراءة ، متفوقاً على ابن منظور بالترجيح أيضاً[٢].

وكذلك الزمخشري ذكر القراءتين ومعناهما، وعنده أنَّ المعينين محتملان[٣]، وهو ما ذهب إليه أبوإسحاق الزجَّاج فيما نقله عنه ابن منظور آنفاً.

وجوه القراءات :

قرأ الحسن والأعمش:(مصر) بلا تنوين غير منصرف،ووقفاً بغير ألف، وهو كذلك في مصحف أُبي بن كعب وابن مسعود، وقراءة الباقين : (مصراً) صرفاً[٤].

المعنى العام للآية :

(وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ) المراد قوم موسى – عليه السلام – وهم بنو إسرائيل ، والطعام الواحد هو المن الذي كانوا يأكلونه والسلوى. (فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ) سله (يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا) ، وهو كل نبات لا يبقى له ساق (وَقِثَّآئِهَا) ، وهو نوع من الخضروات . (وَفُومِهَا)، وهو الحنطة (وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا) معروف. (قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ) ، أي : أخس وأوضع . (بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ)، أي : أرفع وأجل . فدعا موسى – عليه السلام – فاستجبنا له ، وقلنا لهم (ٱهْبِطُوا مِصْرًا) انزلوا بلدة من البلدان ، وقيل : المراد مصر فرعون بعينها (لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ) ، أي : فإنَّ الذي سألتهم لا يكون إلا في القرى والأمصار. (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ) ، أي : على اليهود الذين كانوا في عصر النبي – ﷺ – (ٱلذِّلَّةُ) يعني الجزية وزي اليهودية ، ومعنى ضرب الزلة

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٤٢٩/١) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١٠٢/١ ، ١٠٣) .

(٣) انظر : الكشاف ، للزمخشري ، (١٧٤/١) .

(٤) انظر :إتحاف فضلاء البشر، للدمياطي،ص ١٨٠،وانظر: إملاء ما من به الرحمن ، للعكبري، (٣٩/١) .

إلزامهم إيَّاها إلزاماً لا يبرح. (وَٱلۡمَسۡكَنَةُ) زي الفقر ، وأثـر البـؤس. (وَبَآءُو) احتملوا وانصرفوا .(بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ) ، أي : ذلك الضـرب والغضـب (بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ) التي أنزلت على محمد – ﷺ– .(وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ) ، أي : يتولون أولئك الذين فعلوا ذلك (بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ) ، أي : قتلاً بـالظلم. (ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ) ، أي : ذلك الكفر والقتل بشؤم ركـوبهم المعاصي ، وتجاوزهم أمر الله تعالى(١).

النص رقم (٣٢٦) و (٣٢٧) :

يقول تعالى : [وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ](٢).

يقول تعالى : [...وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ](٣).

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (المَطَرُ : الماء المنسكب من السَّحابِ ، والمَطَـرُ : مـاءُ السحابٍ، والجمعُ أمْطارٌ ... ومَطَرَتْهُم السماء تَمْطُرُهُمْ مَطْراً وأمْطَرَتْهم أصـابَتهُم بالمطرِ ، وهو أقبحها ... وناس يقولون : مَطَرتِ السـماء وأمْطـرتْ بمعنـى . وأمْطرهم الله مطراً أو عذاباً . ابن سيده : أمطرهم الله في العذاب خاصة كقولـه تعالى : (وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ) ، وقولـه –عـزَّ وجـل– (وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ) ، جعل الحجـارة كـالمطر لنزولهـا مـن السماء(٤))(٥).

---

(١) انظر : الوجيز ، للواحدي ، (١٠٩/١ ، ١١٠) ، وانظر : بحر العلوم ، للسمرقندي ، (٨٤/١) .

(٢) سورة الشعراء ، الآية (١٧٣) .

(٣) سورة الحجر ، الآية (٧٤) . وتمام الآية : [فَجَعَلۡنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ]

(٤) انظر : المحكم ، لابن سيده ، مادة (مطر) ، (١٦٦/٩) .

(٥) لسان العرب ، مادة (مطر) ، (١٧٨/٥) .

دراسة النصين :

فسّر الطبري المطر في آية الشعراء بالعذاب وهو الحجارة من سجيل التي أرسلها الله – تعالى – على من كفر من قوم لوط عليه السلام .

وفسَّر الإمطار في آية الحجر بالعذاب أيضاً ، وهو إرسال الحجارة على قوم لوط – عليه السلام – وذكر أنَّها حجارة من سجيل ، وهي من طين[1].

فلا خلاف بينه وبين ابن منظور في كون المراد من المطر والإمطار في الآيتين هو العذاب .

ولم يذكر الرازي شيئاً في معنى الإمطار والمطر في آية الشعراء ، لكنه بيَّن أنَّ الإمطار الذي في آية الحجر معناه: نوع من العذاب، وهو حجارة من سجيل[2].

فوافقه ابن منظور على المعنى في آية الحجر ، ولا مقارنة بينهما في آية الشعراء .

وفسَّر القرطبي المطر في آية الشعراء بالحجارة ، وردَّ ما يتعلق بإمطار الحجارة من سجيل إلى ما ذكره في سورة هود* حيثُ بيَّن أنَّ المراد بالعذاب هنا الرجم بالحجارة، وذكر أنَّ في التفسير : أمطرنا في العذاب ومطرنا في الرحمة[3].

ففي الموضعين يتفق معه ابن منظور في أنَّ الإمطار هو العذاب ، وهو الرجم بالحجارة .

وبيَّن ابن كثير أن الإمطار والمطر في آية الشعراء هو العذاب ، الذي أنزله الله –تعالى– على قوم لوط ، وهو حجارة من سجيل منضود ، وهو ما ذكره أيضاً في آية الحجر[4].

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٠٦/١٩) ، (٤٥/١٤) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٣٨/٢٤) ، (١٦١/١٩) .

* وذلك عند تفسيره للآية (٨٢) من سورة هود . (انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٨١/٩)).

(٣) انظر : المرجع السابق ، (١٣٣/١٣) ، (٤٢/١٠) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣٤٦/٣) ، (٥٥٦/٢) .

وذكر صاحب "المفردات" المعنى اللغوي لكلمة مطر، وقال فيما قال: وقيـــل: إنَّ المطر يُقال في الخير ، وأمطر في العذاب ، ثُم استشهد علـــى ذلـــك بـــبعض الآيات الكريمة ، وفيها الآيتين موضوع الدراسة(١).

وهو ما ذكره ابن منظور في ذلك .

المعنى العام للآيتين :

١/ آية الشعراء :

(وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم) ، أي : على قوم لوط (مَّطَرًا ۖ) نوع من المطر غير معهود، فقد كان حجارة من سجيل كما صرح به في قوله تعالى : (فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ)(٢)،(فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ) لم يُرد بالمنذرين قوماً بأعيانهم ، بل المراد جنس الكافرين(٣).

٢/ آية الحجر:

(فَجَعَلۡنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا) ، أي : قلبنا على قوم لوط الـــذين كفـــروا مـــدينتهم (وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ) تتبع فيها من شذ من البلد ، وهي حجارة من طين طبخ بالنار(٤).

---

(١) انظر : المفردات في غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد ، ص (٤٦٩ ، ٤٧٠) .

(٢) سورة هود ، الآية (٨٢) .

(٣) انظر : روح المعاني ، للألوسي ، (١١٧/١٩) ، وانظر : مدارك التنزيل ، للنسفي ، (١٩٦/٣) .

(٤) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ٤٣٣ ، وانظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والســيوطي ، ص ٣٤٣.

النص رقم (٣٢٨)

يقول تعالى : [ثُم ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ][(١)].

التفسير اللغوي:

قال ابن منظور : (والتَّمَطِّي : التبختر ومَدُّ اليدين في المشي ... وقوله تعالى : (ثُم ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ) ، أي : يتبختر ، يكون من المَطِّ والمَطْوِ ، وهما المدّ) [(٢)].

دراسة النص :

فسَّر الطبري التَّمَطِّي الوارد في هذه الآية بالتبختر في المشي[(٣)] ، وفسَّره الرازي بالتبختر والاختيال في المشي[(٤)] ، كما فسَّر القرطبي بالتبختر[(٥)].

فوافقهم ابن منظور جميعاً في المعنى المراد .

أمَّا ابن كثير فقد ذكر أن المعنى : جذلانا* أشراً بطراً كسلاناً ، لا همة له ولا عمل ، ثمَّ ذكر المعنى الذي ذكره ابن منظور[(٦)].

ولا أظن أنَّه يتفق مع ابن منظور إلا من حيثُ أنَّ هذه الأوصاف التي ذكرها هنا تؤدي إلى التبختر ، أو هي من آثار التبختر .

وفسّر الثعالبي التمطي بالتبختر أيضاً ، وذكر أنَّ اصله من المطا وهو الظهر، أي : يلوي مطاه تبختبراً ، وقيل : أصله يتمطط ، أي : يتمدد ، والمط هو المد[(٧)] ، وفي كلا الحاليين فالمعنى واحد ، وهو التبختر الذي ذكره ابن منظور.

---

(١) سورة القيامة ، الآية (٣٣) .

(٢) لسان العرب ، مادة (مطا) ، (١٥/٢٨٤ ، ٢٨٥) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٩/١٩٩) .

(٤) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٣٠/٣٠٥) .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٩/١١٤) .

* جذلاناً : الجَذَلُ : الفرح ، وبابه طرب ، فهو جَذْلَانُ . (انظر : مختار الصحاح ، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مادة (جذل) ، (١/٤٢)).

(٦) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤/٤٥٢) .

(٧) انظر : الجواهر الحسان ، للثعالبي ، (١٠/٩٠) .

المعنى العام للآية :

(ثُم ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ) ، قيل : المراد أبوجهل لم يصدق بـــالقرآن ، ولا صلى لله ، ولكن كذب وتولى ، ثمّ رجع إلى أهله يتبختر ، ويختال في مشيه ، أو من المط وهو الظهر ، فإنّه يلويه[1].

النص رقم (٣٢٩) و (٣٣٠) و (٣٣١) و (٣٣٢) و (٣٣٣)

يقول تعالى : [...إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ][2].

ويقول تعالى : [إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ][3].

ويقول تعالى : [...لا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا...][4].

ويقول تعالى : [...وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ][5].

ويقول تعالى : [إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا][6].

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (ومَعَ (بتحريك العين) : كلمة تضم الشيء إلى الشـــيء ، وهي اسم معناه الصحبة ، وأصلها : معاً ، وذكرها الأزهري في المعتلّ[7] ، قـــال

(١) انظر : معالم التنزيل ، للبغوي (٤٢٥/٤) ، وانظر : أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، (٤٢٤/٥) .

(٢) سورة البقـــرة الآيـــة (١٤) . وتمـــام الآيـــة : [وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ] .

(٣) سورة النحل ، الآية (١٢٨) .

(٤) سورة التوبة ، الآية (٤٠) ، وتمـــام الآيـــة : [إِلا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] .

(٥) سورة التوبة ، الآية (١١٩) ، وتمام الآية : [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ] .

(٦) سورة الشرح ، الآية (٦) .

(٧) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (معع) ، (١٢٣/١) .

محمد بن السري[١] : الذي يدل على أنّ (مَعَ) اسمٌ حركة آخره مع تحرك قبله، وقد يُسكَّن ويُنَونُ ، تقول : جاؤوا معاً . الأزهري في ترجمة معاً : وقال الليث: كُنَّا معاً معناه : كُنَّا جميعاً[٢]. وقال الزجَّاج في قوله تعالى : (إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ) نصب (معكم) كنصب الظروف ، تقول : أنا معكم ، وأنا خلفكم معناه : أنا مستقر معكم ، وأنا مستقر خلفكم[٣] ، وقال تعالى : (إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) ، أي : ناصرهم ، وكذلك قوله : (لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ) ، أي : الله ناصرنا، وقوله : (وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ) معناه : كونوا صادقين ، وقوله – عزَّ وجل – :(إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا) معناه: بعد العسر يسر) [٤].

دراسة النصوص :

قال الطبري في تفسير آية البقرة : إنَّا معكم ، أي : إنَّا معكم على دينكم، وظهراؤكم على من خالفكم فيه ، وأولياؤكم دون أصحاب محمد – ﷺ – إنَّما نحن مستهزئون بالله وبكتابه ورسوله وأصحابه .

ولم يذكر الطبري الجانب اللغوي لكلمة (مع) كما فعل ابن منظور ، ولكن هذا المعنى الذي ذكره هنا يفيد الضم والصحبة والمناصرة ، وهو معنى كلمة (مع) ولا مقارنة في آية النحل ، حيث لم يذكر الطبري شيئاً يتعلق بمعنى (مع) ، لكنه ذكر أنَّ قوله : (إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا) معناه : الله ناصرنا ، وهو ما ذكره ابن منظور.

---

(١) محمد بن السري : هو أبوبكر ابن السراج ، واسمه محمد بن السري البغدادي النحوي، صاحب الأصول في العربية . له مصنفات كثيرة منها : شرح كتاب سيبويه. أخذ عن المبرد وغيره ، وأخذ عنه السيرافي وغيره ، ونقل عنه الجوهري في صحاحه . كان مغرى بالطرب والموسيقى . توفي سنة (٣١٦هـ) .

(انظر : شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، (٢/٢٧٣) ، وانظر : البلغة، للفيروزأبادي ، (١/١٩٧) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (معو) ، (٣/٢٤٨) .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (١/٨٥) .

(٤) لسان العرب ، مادة (معع) ، (٨/٣٤٠ ، ٣٤١) .

وذكر الطبري في قوله : (وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ) أنَّ معناه : كونوا في الدنيا من أهل ولاية الله وطاعته تكونوا في الآخرة مع الصادقين.

فلم يفسر ابن منظور هذه الآية بما فسَّرها به الطبري.

وكذلك لم يذكر الطبري في آية الشرح أنَّ (مع) بمعنى بعد كما قال ابن منظور[1].

ولم يزد الرازي في تفسير قوله : (إِنَّا مَعَكُمْ) في آية البقرة على أن قال : معناه: الثبات على الكفر ، كما لم يزد في آية النحل على أن وصف معية الله – تعالى – للذين اتقوا بأنها معيته بالرحمة والفضل والرتبة .

ووصف المعية التي في آية التوبة (٤٠) بأنَّها معية الحفظ والنصرة والحراسة والمعونة، وقال في قوله : (وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ) : يعني مع الرسول – ﷺ – وأصحابه في الغزوات ، ولا تكونوا متخلفين عنها ، وجالسين مع المنافقين في البيوت.

وفسَّر الرازي (مع) في آية الشرح بأنَّ معناها : بعد بزمان قليل[2].

وبهذا لا يتفق ابن منظور مع الرازي إلا في آية التوبة (٤٠) وآية الشرح.

ولم يذكر القرطبي شيئاً يتعلق بمعنى (معكم) في آية البقرة ، لكنه وصف معية الله للذين اتقوا في آية النحل بأنها تكون بالنصر والمعونة والفضل والبر والتأييد ، كما وصف معية الله للرسول – ﷺ – وأبي بكر الصديق – رضي الله عنه – وهما في الغار بأنها معية بالنصر والرعاية والحفظ والكلاءة .

وفسَّر القرطبي قوله : (وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ) بقوله : أي كونوا على مذهب الصادقين وسبيلهم ، أمَّا (مع) في آية الشرح فلم يفسرها بشيء[3].

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١/١٢٩) ، (١٤/١٩٨) ، (١٠/١٣٦) ، (١١/٦٢) ، (٣٠/٢٣٥).

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢/٦٣) ، (٢٠/١١٤) ، (١٦/٥٣) ، (١٦/١٧٥) ، (٣٢/٧) .

(٣) انظر :الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (١/٢٠٦) ، (١٠/٢٠٣) ، (٨/١٤٦) ، (٨/٢٨٨) ، (٢٠/١٠٨).

وعلى هذا فإنَّ ابن منظور يوافق القرطبي في آيات النحل والتوبة (٤٠) والتوبة (١١٩) ، ولا مقارنة بينهما في آيتي البقرة والشرح .

وقال ابن كثير في قوله : (إِنَّا مَعَكُمْ) من آية البقرة فيما نقله عن ابن عباس – رضي الله عنهما – : إنَّا على مثل ما أنتم عليه ، وقال في المعية التي في آية النحل : أي معهم بتأييده ونصره ومعونته وهديه وسعيه ، وهذه معية خاصة ، وجعل المعية التي في آية التوبة (٤٠) هي معية التأييد والنصر.

وقال في تفسير قوله: (وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ) : أي : أصدقوا ، وألزموا الصدق تكونوا من أهله ، وتنجوا من المهالك .

أمَّا آية الشرح فلم يذكر فيها شيئاً يتعلق بمعنى (مع) [١].

وعلى هذا يتفق ابن كثير مع ابن منظور في آية النحل وآيتي التوبة ، ولا مقارنة بينهما في آية الشرح.

وقال السيوطي في "الدر المنثور" في تفسير قوله : (إِنَّا مَعَكُمْ) : أي : إنَّا على مثل ما أنتم عليه .

ولم يبين السيوطي معنى المعية في آيتي النحل والتوبة (٤٠) .

ونقل عن ابن عمر –رضي الله عنهما– في قوله: (وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ) أنَّه قال : مع محمد – ﷺ – وأصحابه.

ونقل عن مجاهد في آية الشرح أنه قال في المعنى : أتبع العسر يسرا[٢].

وهو بمعنى : بعد العسر يسر .

فعلى هذا يكون السيوطي متفقاً مع ابن منظور في آية الشرح فقط، ولا مقارنة بينهما في آيتي النحل والتوبة (٤٠) .

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (٥٢/١) ، (٥٩٣/٢) ، (٣٥٩/٢) ، (٤٠٠/٢) ، (٥٢٦/٤) .

(٢) انظر : الدر المنثور ، للسيوطي ، (٧٩/١) ، (١٨٠/٥) ، (١٩٤/٤) ، (٣١٦/٤) ، (٥٥٠/٨) .

سبب النزول:

آية الشرح :

ذكر السيوطي أنَّ سورة الشرح نزلت لمَّا عيَّر المشركون المسلمين بالفقر[(١)].

وأخرج ابن جرير عن الحسن قال : لما نزلت هذه الآية : (إِن مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا) قال رسول الله – ﷺ – : (أبشروا أتاكم اليسر . لن يغلب عسر يسرين)[(٢)].

المعنى العام للآيات :

١/ آية البقرة :

(وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا) الآية في المنافقين ، أي : وإذا رأوا المؤمنين أظهروا لهم الإيمان والموالاة نفاقاً ومصانعة. (وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ) أي : وإذا انفردوا برؤسائهم وكبرائهم أهل الضلال والنفاق (إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ) ، أي : نحن على دينكم ، وإنَّما نستهزئ بالقوم ، ونسخر منهم بإظهار الإيمان[(٣)].

٢/ آية النحل :

(إِن ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ) ، أي : اتقوا المثلة والزيادة في القصاص وسائر المناهي . (وَّٱلَّذِين هُم مُّحۡسِنُونَ) ، يعني: بالعفو عن الجاني ، وهذه المعية بالعون والنصرة والفضل والرحمة[(٤)].

---

(١) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ٢٣٢.

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٣٥/٣٠ ، ٢٣٦) .

وأخرج نحو هذا الحديث الحاكم في المستدرك في : ٢٧ – كتاب التفسير ، ٩٥ – تفسير سورة الم نشرح، حديث رقم (٣٩٥٠) ، (٥٧٥/٢) .

(٣) انظر : صفوة التفاسير ، للصابوني ، (٣٦/١ ، ٣٧) .

(٤) انظر : لباب التأويل ، للخازن (٦٤/٤) ، وانظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٩١/٣) .

٣/ آية التوبة (٤٠) :

(إِلا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ) ، أي : إن لم تنصروا رسوله فإنَّ الله ناصره ومؤيده كما تولى نصره عام الهجرة. (ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ) أي النبي – ﷺ – وأبوبكر الصديق – رضي الله عنه – في غار جبل ثور (إِذ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ) لا تخف (إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا) يؤيدنا بنصره وعونه وحفظه (فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ) ، أي : طمأنينته وتأييده ونصره . (عَلَيْهِ) عود الضمير على أبي بكر هو الأقوى. (وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا) ، أي : قوَّاه وآزره بالملائكة. (وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ) أي : المغلوبة (وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا) ، أي : الغالبة ، وهي كلمة : لا إله إلا الله أو الدعوة إلى الإسلام . (وَٱلله عَزِيزٌ) غالب في انتقامه وانتصاره (حَكِيمٌ) في أقواله وأفعاله(١).

٤/ آية التوبة (١١٩) :

الآيات التي قبلها تكلمت عن المخلفين الثلاثة الذين تخلفوا عن الرسول – ﷺ – في إحدى الغزوات ، وفي هذه الآية يقول تعالى : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ) أي : اتقوا وتجنبوا ما لا يرضاه الله –تعالى– من مخالفة الرسول – ﷺ – وكونوا مع الرسول وأصحابه في الغزوات ، ولا تكونوا متخلفين عنها(٢).

٥/ آية الشرح :

(إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا) إنَّ العسر لا يخلو من يسر يصاحبه ويلازمه ، وهذه الآية تكرير للتأكيد، أي إنَّ العسر متبوع بيسر آخر كثواب الآخرة ، وعد الله بذلك نبيه – ﷺ – وعليه قوله – ﷺ – (لن يغلب عسر يسرين) (٣).

(١) انظر : التفسير المنير ، لوهبة الزحيلي ، مج ٥ ، (٥٦٩/١٠ ، ٥٧٠) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، مج ٦ ، (٧٢/١١) .

(٣) انظر : في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، (٣٩٣٠/٦) ، وانظر : أنوار التنزيل ، للبيضاوي (٥٠٥/٥).

النص رقم (٣٣٤) و (٣٣٥)

يقول تعالى : [وَيَمۡنَعُون ٱلۡمَاعُونَ][1].

ويقول تعالى : [...وَءَاوَيۡنَٰهُمَا إِلَىٰ رَبۡوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ][2].

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (وفي التنزيل العزيز : (وَيَمۡنَعُون ٱلۡمَاعُونَ) رُوي عن علي – رضوان الله عليه – أنَّه قال : الماعون الزكاة ، وقال الفرَّاء : سمعتُ بعض العرب يقول: الماعون هو الماء بعينه[3] ... من جعل الماعون الزكاة فهو فاعولٌ من المعنى ، وهو الشيء القليل ، فسميت الزكاة ماعوناً بالشيء القليل لأنَّه يؤخذ من المال ربع عشره ، وهو قليل من كثير . والمعنى والماعون المعروف كله لتيسره وسهولته لدينا بافتراض الله تعالى إياه علينا ...والماعون : أسقاط البيت كالدلو والفاس والقدر والقصعة ... وقوله تعالى : (وَءَاوَيۡنَٰهُمَا إِلَىٰ رَبۡوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) . قال الفرَّاء : ذات قرار : أرض منبسطة، ومعين : الماء الظاهر الجاري ... وقيل : الماء العذب الغزير ، وكل ذلك من السُّهولة) [4].

دراسة النصين :

قال الطبري في تفسير قوله تعالى : (وَيَمۡنَعُون ٱلۡمَاعُونَ) : يقول : ويمنعون الناس منافع ما عندهم ، وأصل الماعون من كل شيء منفعته.

ثُمَّ ذكر اختلاف أهل التأويل في الذي عنى به من معاني الماعون في هذا الموضع ، على أقوال، وهي : ١/ الزكاة المفروضة ٢/ ما يتعاوره الناس بينهم من مثل الدلو والقدر ونحو ذلك . ٣/ المعروف ٤/ المال .

---

(١) سورة الماعون ، الآية (٧) .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية (٥٠) . وتمام الآية : [وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ] .

(٣) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٣/٢٩٥) .

(٤) لسان العرب ، مادة (معن) ، (١٣/٤٠٩ ، ٤١٠) .

ثُمَّ بين الطبري مذهبه في ذلك ، حيث قال : وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب إذ كان الماعون هو ما وصفنا قبل ، وكان الله قد أخبر عن هؤلاء القوم، وأنَّهم يمنعونه الناس خبراً عاماً من غير أن يخص من ذلك شيئاً أن يقال : إنَّ الله وصفهم بأنَّهم يمنعون الناس ما يتعاورونه بينهم ، ويمنعون أهل الحاجة والمسكنة ما أوجب الله لهم في أموالهم من الحقوق؛ لأنَّ كل ذلك من المنافع التي ينتفع بها الناس بعضهم من بعض(١)* .

يُلاحظ مما سبق أنَّ القول الرابع عند الطبري لم يذكره ابن منظور ، كما أنَّ القول الثاني عند ابن منظور لم يذكره الطبري .

ويُلاحظ أيضاً أنَّ الطبري تفوق على ابن منظور بالترجيح .

ووافق ابن منظور الطبري في تفسير قوله : (ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) ، حيثُ بيَّن أنَّ المعنى: ذات أرض منبسطة ، وذات ماء ظاهر لغير الباطن ، جارٍ(٢).

وذكر الرازي في تفسير الماعون أربعة أقوال ، هي : ١/ هو الزكاة ، لأن الله – تعالى – ذكره عقيب الصلاة ، فالظاهر أن يكون ذلك الزكاة . ونسب الرازي هذا القول إلى أبي بكر وعلى وابن عباس وابن الحنفية(٣) وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والضحاك رضي الله عنهم جميعاً.

٢/ هو اسم لما لا يُمنع في العادة ، ويسأله الفقير والغنى ، ويُنسب مانعه إلى سوء الخلق ولؤم الطبيعة كالفأس والقِدْر والدلو والغربال والقدوم ، ويدخل فيه

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري (٣١٣/٣٠ – ٣٢٠) .

* ولعل هذا القول الذي يراه الطبري هو الأقرب إلى الصواب في ذلك ، والله اعلم .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٢٧/١٨) .

(٣) ابن الحنفية : هو محمد بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنهما – أبو القاسم ، ابن الحنفية ، واسمها : خوله بنت جعفر من سبي اليمامة . ولد في صدر خلافة عمر بن الخطاب ، ورأى عمر ، وروى عن أبيه وعثمان وعمار وأبي هريرة وغيرهم . سمته شيعته المهدي ، وهم يزعمون أنه لم يمت ، ويعود بعد الغيبة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً . (انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي ، (٧٥/٤) ، وانظر : البدء والتاريخ ، لابن طاهر المقدسي ، (٧٤/٥) ، وانظر : تاريخ الطبري ، (١٦٢/٣)) .

الملح والماء والنار ، وأصحاب هذا القول قالوا : الماعون فاعول من المعن ، وهو الشيء القليل .

٣/ قول الفرَّاء : إنَّ الماعون هو الماء . قال : ولعله خصه بذلك؛ لأنَّه أعز مفقود ، وأرخص موجود .

٤/ هو حسن الانقياد والطاعة .

ثُمَّ قال الرازي مرجحاً القول الرابع : واعلم أنَّ الأولى أن يُحمل على كل طاعة يخف فعلها ، لأنَّه أكثر فائدة(١).

وعلى هذا فقد نقل ابن منظور نحواً من الأقوال التي عند الرازي الذي امتاز عليه بالترجيح أيضاً .

وفسَّر الرازي المعين في آية المؤمنون بالماء الظاهر ، الجاري على وجه الأرض(٢).وهو قول ابن منظور .

ونقل القرطبي في الماعون أقوالاً كثيرة لأهل العلم ، ترجع في مجموعها إلى ما ذكره الطبري والرازي ، ولا حاجة لإعادتها(٣).

ولم أجد للقرطبي ترجيحاً ، إلا أنه أكثر تفصيلاً من ابن منظور .

وفسر القرطبي المعين بالماء الجار الظاهر للعيون(٤).

فوافقه على ذلك ابن منظور .

ويرى ابن كثير أنَّ المراد بالماعون إعارة ما يُنتفع به ويُستعان به ، مع بقاء عينه ورجوعه إلى من أعاره ، ثم ذكر الأقوال الأخرى التي قيلت في ذلك(٥).

فتفوق على ابن منظور بالترجيح أيضاً ، ووافقه في معنى المعين ، حيثُ فسَّره بالماء الظاهر(٦) .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٠٨/٣٢ ، ١٠٩) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٩٠/٢٣) .

(٣) انظر : المرجع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢١٣/٢٠ – ٢١٥) .

(٤) انظر : المرجع السابق ، (١٢٧/١٥) .

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٥٥٦/٤ ، ٥٥٧) .

(٦) انظر : المرجع السابق ، (٢٤٧/٣) .

وذكر ابن الجوزي الأقوال التي قيلت في تفسير الماعون ، والتي ذُكرت سابقاً دون ترجيح[١].

وكذا فعل ابن منظور أوردها دون اختيار .

وذكر ابن الجوزي في المعين قول من قال : إنَّه الماء الجاري من العيون ، وقول من قال : هو الماء الظاهر[٢].

فوافقه ابن منظور في ذلك .

وجوه القراءات :

آية المؤمنون :

قرأ عاصم وابن عامر : (إلى رَبوة) بفتح الراء ، وقرأ الباقون : (رُبوة) بالرفع ، وهما لغتان[٣].

سبب النزول :

آية الماعون :

ذكر السيوطي في سبب نزول هذه الآية ما رُوى عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله : (فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ)[٤] الآية . قال : نزلت في المنافقين كانوا يُراؤون المؤمنين بصلاتهم إذا حضروا ، ويتركونها إذا غابوا ، ويمنعونهم العارية[٥].

المعنى العام للآيتين :

١/ آية الماعون :

(وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ) هذه إحدى صفات المصلين المقيمين لصلواتهم ولكنهم ساهون عنها ، ومضيعون لوقتها ، ومخلون بأركانها . والماعون في الجاهلية كل

---

(١) انظر : زاد المسير ،لابن الجوزي ، (٢٤٥/٩ ، ٢٤٦) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٤٧٥/٥) .

(٣) انظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص ٤٨٨ .

(٤) سورة الماعون ، الآية (٤) .

(٥) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ٢٣٥ .

عطية ومنفعة ، وفي الإسلام الزكاة والطاعة ، وهي ما ينتفع به المسلم من أخيه كالعارية والإغاثة ونحو ذلك ، وقال بعض العرب : هو الماء[1].

٢/ آية المؤمنون :

(وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً) ، أي : آية دالة على عظيم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس ، وكذلك تكلم في المهد. (وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٍ) ، أي : أرض مرتفعة : قيل : هي إيليا أرض بيت المقدس ، وقيل : دمشق ، وقيل : فلسطين والرملة ، وقيل : مصر. (ذَاتِ قَرَارٍ) مستقر من أرض منبسطة سهلة يستقر عليها ساكنوها ، وقيل : ذات ثمار وزروع ، ولذلك يستقر فيها ساكنوها. (وَمَعِينٍ) ، أي : وماء ظاهر جار[2].

النص رقم (٣٣٦) و (٣٣٧)

يقول تعالى : [...لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ...][3] .

ويقول تعالى:[وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقۡتًا وَسَآءَ سَبِيلاً][4] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (ابن سيده : المَقْتُ : أشَدُّ الإبغاضِ . مَقُتَ مَقَاتةً ، ومَقَتَه مَقْتاً : أبغضه ، فهو مَمْقُوتٌ ومَقيتٌ ... وقال قتادة في قوله : (لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ). قال: يقول: لَمقْتُ الله إيَّاكم حين دعيتم إلى الإيمان فلم تؤمنوا

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي، ص ٩٣٥ ، وانظر : غريب القرآن ، للسجستاني ، ص ٤٣٠.

(٢) انظر : إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (١٣٧/٦) .

(٣) سورة غافر ، الآية (١٠) . وتمام الآية : [إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ] .

(٤) سورة النساء ، الآية (٢٢) .

أكبر من مقتكم أنفسكم حين رأيتم العذاب . قال الليث : المَقْتُ بُغْضٌ عن أمر قبيح ركِبَه ، فهو مقيت ... الزجَّاج في قوله تعـالى: (وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقۡتًا وَسَآءَ سَبِيلاً) . قال : المقتُ : أشدُ البغض . المعنى : إنّهم أُعلموا أنَّ ذلك في الجاهلية كان يُقـال لـه : مقت ، وكان المولود عليه يُقال له المَقْتِيّ ، فأعلموا أنَّ هذا الذي حرم عليهم مـن نكاح امرأة الأب لم يزل منكراً في قلوبهم ، ممقوتاً عندهم[1] . ابن سيده : المقتـي الذي يتزوج امرأة أبيه ، وهو من فعل الجاهلية ، وتزويج المقت فعل ذلـك[2] ... وحرمه الإسلام) [3].

دراسة النصين :

وافق ابن منظور في معنى آية غافر الإمام الطبري الذي قال في تفسير هذه الآية – دون أن يبين معنى المقت – : (إنَّ الذين كفروا بالله يُنادَوْن في النار يـوم القيامة إذا دخلوها ، فمقتوا بدخولهموها أنفسهم حين عاينوا ما أعد الله لهم فيها من أنواع العذاب ، فيقال لهم : لمقت الله إياكم أيها القوم في الـدنيا إذ تـدعون فيهـا للإيمان بالله فتكفرون أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم لما حلَّ بكـم مـن سـخط الله عليكم)[4] .

وقال الطبري في آيـة النـاس : (إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقۡتًا وَسَآءَ سَبِيلاً) يعني : إنَّ نكاح آبائكم الذي كانوا ينكحونه في جاهليتهم كان فاحشة ومقتاً وسـاء سبيلاً إلا ما قد سلف منكم في جاهليتكم من نكاح لا يجوز ابتداء مثله في الإسـلام فإنَّه معفو لكم عنه) [5].

فالطبري وإن اتفق معه ابن منظور في المعنى إلا أنَّه لم يذكر معنى المقـت هنا أيضاً .

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٢/٢٦) .

(٢) انظر : المحكم ، لابن سيده ، مادة (مقت) ، (٦/٣٤٤) .

(٣) لسان العرب ، مادة (مقت) ، (٢/٩٠) .

(٤) جامع البيان ، للطبري ، (٢٤/٤٦) .

(٥) المرجع السابق ، (٤/٣١٨) .

وذكر الرازي في تفسير مقتهم أنفسهم ثلاثة وجوه ، أحدها : أنهم إذا شاهدوا القيامة والجنة والنار مقتوا أنفسهم على إصرارهم على التكذيب بهذه الأشياء في الدنيا . ثانيهما : أنَّ الأتباع يشتد مقتهم للرؤساء الذين دعوهم إلى الكفر في الدنيا ، والؤساء أيضاً يشتد مقتهم للأتباع ، فعبر عن مقت بعضهم بعضاً بأنهم مقتوا أنفسهم . ثالثها : إذا خاطبهم إبليس وهم في النار بقوله : (وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ)[1] إلى قوله : (ولوموا أنفسكم)[2] ففي هذه الحالة مقتوا أنفسهم .

ثم ذكر الرازي أنَّ في مقت الله لهم أيضاً وجهان ، الأول أنَّه حاصل في الآخرة ، والمعنى : لمقت الله لكم في هذا الوقت أشد من مقتكم أنفسكم في هذا الوقت ، والثاني – وعليه الأكثرون – : أنَّ التقدير لمقت الله لكم في الدنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم الآن[3].

وهذا القول الثاني الذي ذكره الرازي هنا هو الذي عليه ابن منظور فيما نقله عن قتادة ، لكن عند الرازي زيادة تفصيل .

وقال الرازي في آية النساء : (أعلم الله –تعالى– أنَّ هذا الذي حرمه عليهم كان لم يزل منكراً في قلوبهم ، ممقوتاً عندهم ، وكانت العرب تقول لولد الرجل من امرأة أبيه : مَقْتِيّ ، وذلك لأنَّ زوجة الأب تشبه الأُم) [4].

فوافقه ابن منظور على ذلك .

وذكر القرطبي في آية غافر قول من قال : المعنى : يُقال لهم : لمقت الله إياكم في الدنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقت بعضكم بعضاً يوم القيامة[5] وهو قول قتادة الذي نقله عنه ابن منظور .

ونقل القرطبي في آية النساء قول ابن الأعرابي عن نكاح المقت ، وهو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه إذا طلقها أو مات عنها . ونقل قول ابن عرفة أيضاً ،

---

(١) و (٢) سورة إبراهيم ، الآية (٢٢) .

(٣) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٣٤/٢٧ ، ٣٥) .

(٤) المرجع السابق ، (٢٠/١٠) .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٩٦/١٥) .

وهو أنَّ العرب كانت إذا تزوج الرجل امرأة أبيه فأولدها قيل للولد : المقتي . قال القرطبي: وأصل المقت : البغض ، من مقته يمقته مقتاً ، فهو ممقوت ومقيت(١).

فلا خلاف إذاً بين ابن منظور والقرطبي في ذلك.

ولا خلاف أيضاً في آية غافر بين ابن منظور وابن كثير الذي قال : يقول : لمقت الله أهل الضلالة حين عرض عليهم الإيمان في الدنيا فتركوه ، وأبوا أن يقبلوه أكبر ممَّا مقتوا أنفسهم حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة .

ونسب ابن كثير هذا القول إلى بعض أهل التفسير(٢).

وبيَّن ابن كثير في آية النساء أنَّ المقت هو البغض ، وأنَّ نكاح امرأة الأب أمر كبير في نفسه ، ويؤدي إلى مقت الابن أباه بعد أن يتزوج بامرأته .

ثم ذكر ما يفيد أنَّه حُرِّم في الإسلام ، وأنَّ من تعاطاه بعد هذا فقد ارتد عن دينه ، فيقتل ويصير ماله فيئاً لبيت المال(٣).

وعلى هذا فلم يخالف ابن كثير ابن منظور في هذا المعنى .

وذكر السيوطي في "الدر المنثور" بعض الروايات التي تبين معنى المقت في آية غافر تدور في مجملها حول مقت الذين كفروا أنفسهم يوم القيامة عند معاينة ما صاروا إليه من العذاب ، فقيل لهم : لمقت الله إياكم في الدنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم(٤).

فوافق السيوطي بذلك ابن منظور .

وذكر السيوطي في آية النساء ما يفيد تحريم نكاح إمرأة الأب ، وأنَّ ذلك فعل الجاهلية ، ونقل قول عطاء بن أبي رباح في معنى قوله : (ومقتا) ، وهو أنَّ الله – تعالى – يمقت عليه ، أي : على من فعل ذلك(٥).

فلا خلاف بينه وبين ابن منظور في ذلك .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، (١٠٤/٥ ، ١٠٥) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٧٣/٤ ، ٧٤) .

(٣) انظر : المرجع السابق ،(٤٦٩/١) .

(٤) انظر : الدر المنثور ، للسيوطي / (٢٧٧/٧) .

(٥) انظر : المرجع السابق ، (٤٧٠/٢) .

المعنى العام للآيتين :

١/ آية غافر :

(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ) ، أي : يوم القيامة ، وهم في النار ، وقد مقتوا أنفسهم حين عرضت عليهم سيئاتهم ، وعاينوا العذاب ، فيقال لهم : (لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ]) يعني : لمقت الله إياكم في الدنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم عند حلول العذاب بكم[١].

٢/ آية النساء :

(وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ) كان الرجل من العرب يتزوج امرأة أبيه من بعده ، وكان ذلك نكاحاً جائزاً في العرب ، فحرمه الله – تعالى– ، ونهى عنه (إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ) يعني : لكن ما قد سلف فإنَّ الله تجاوز عنه (إِنَّه) أي: ذلك النكاح (كَانَ فَٰحِشَةً) زنا عند الله (وَمَقۡتًا) بغضاً شديداً (وَسَآءَ سَبِيلاً) وقبح ذلك الفعل طريقاً[٢] .

النص رقم (٣٣٨)

يقول تعالى : [فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٍ...][٣].

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (المُكْثُ : الأناةُ واللَّبْثُ والانتظار ... وقول الله – عزَّ وجل – : (فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٍ...) . قال الفرَّاء : قرأها الناس بالضم ، وقرأها

---

(١) انظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٩٣/٤) .

(٢) انظر : الوجيز ، للواحدي ، (٢٥٨/١) .

(٣) سورة النمل ، الآية (٢٢) . وتمام الآية : [فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ] .

عاصم بالفتح : (فَمَكَثَ) ، ومعنى (غَيْرَ بَعِيدٍ) ، أي : غير طويل ، من الإقامة[1] . قال أبو منصور : اللغة العالية : مَكُثَ ، وهو نادر ، ومَكَثَ جائزة ، وهو القياس . قال : وتَمَكَّثَ ، إذا انتظر أمراً وأقام عليه ، فهو مُتمكّث منتظر[2] . وتَمَكَّثَ : تَلَبَّث . والمُكْثُ : الإقامةُ مع الانتظار والتلبث في المكان)[3].

دراسة النص :

قال الطبري في تفسير هذا الجزء من آية النمل : فمكث سليمان – عليه السلام – غير طويل من حين سأل عن الهدهد حتى جاء الهدهد .

ثم ذكر اختلاف القراء في قراءة قوله : (فمكث) ، فذكر أنَّ قراءة عامة قراء الأمصار سوى عاصم بضم الكاف ، وقرأ عاصم بفتحها . وكلتا القراءتين عند الطبري صواب ؛ لأنَّهما لغتان مشهورتان ، وإن كان الضم فيها أعجب إليه ، لأنَّها أشهر اللغتين وأفصحهما[4].

فوافقه بذلك ابن منظور ، وإن لم يذكر الطبري المعنى اللغوي للمكث .

وكذلك الرازي ذكر القراءتين الواردتين في قوله : (فمكث) ، وبيَّن أنَّ معنى (غَيْرَ بَعِيدٍ) ، أي : غير زمان بعيد ، ووصف مكثه بقصر المدة[5].

فوافقه على ذلك ابن منظور ، وإن لم يورد الرازي كذلك المعنى اللغوي لكلمة المكث .

أمَّا القرطبي فقد ذكر القراءتين ، ثم أورد المعنى اللغوي لكلمة (فمكث) . قال : ومعناه في القراءتين : أقام ، كما بيَّن معنى قوله : (غير بعيد) ، حيثُ قال : غير طويل[6] وبذلك يتفق معه ابن منظور .

---

(١) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٢/٢٩٠) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (مكث) ، (١٠/١٨٧) .

(٣) لسان العرب ، مادة (مكث) ، (٢/١٩١) .

(٤) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٩/١٤٧) .

(٥) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٤/١٦٣) .

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٣/١٨٠) .

وأمَّا ابن كثير ، فلم يذكر القراءتين ، ولا ذكر معنى المكث ، لكنه فسر قوله : (غَيْرَ بَعِيدٍ) بأن معناه : زمانٌ يسيرٌ[١] .

ولهذا يتفق مع ابن منظور في تفسير قوله : (غَيْرَ بَعِيدٍ) فقط من حيث المعنى.

وذكر ابن الجوزي القراءتين ، وأضاف قراءة ثالثة شاذة ، وهي قراءة ابن مسعود – رضي الله عنه – : (فتمكث) بزيادة تاء . ثُمَّ بيَّن المعنى ، وهو أنَّ الهدهد لم يلبث إلا يسيراً حتى جاء[٢].

فوافقه ابن منظور ، غير أنَّه أضاف قراءة ابن مسعود رضي الله عنه .

وجوه القراءات :

قرأ عاصم وحده (فَمَكَثَ) بفتح الكاف ، وقرأ الباقون : (فمكُث) بضمها[٣].

المعنى العام للآية :

(فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ) ، أي : ظل الهدهد – وهو أحد الطيور المسخرة لسيدنا سليمان – عليه السلام – غائباً زماناً يسيراً ثم عاد ، والمراد الدلالة على سرعة رجوعه خوفاً من سليمان – عليه السلام – (فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ) اطلعتُ على ما لم تطلع عليه ، والإحاطة : العلم بالشيء من جميع جهاته ، أي اطلع على حال سبأ . (وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ) وهي مدينة في اليمن ، والمراد أهلها ، سُميت باسم جدٍّ لهم ، وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، أبو قبيلة باليمن ، والنبأ اليقين هو الخبر المهم المحقق[٤].

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣/٣٦١) .

(٢) انظر : زاد المسير ، لابن الجوزي ، (٦/١٦٤) .

(٣) انظر : السبعة في القراءات ، لابن مجاهد ، ص ٤٨٠ ، وانظر : التيسير في القراءات السبع ، لأبي عمرو الداني ، ص ١٦٧ .

(٤) انظر : التفسير المنير ، لوهبة الزحيلي ، مج١٠ ، (١٩/٣٠٩ ، ٣١٠) .

النص رقم (٣٣٩)

يقول تعالى : [وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ][(١)] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (الليث : المَكْرُ احتيال في خُفية ... قال الله تعالى : (وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) قال أهل العلم بالتأويل : المكر من الله – تعالى – جزاء سُمي باسم مكر المجازى ، كما قال تعالى : (وَجَزَٰٓؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا)[(٢)] ، فالثانية ليست بسيئة في الحقيقة ، ولكنها سُميت سيئة لازدواج الكلام ، وكذلك قوله تعالى : (فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ)[(٣)] ، فالأول ظلم والثاني ليس بظلم ، ولكنه سمى باسم الذنب ليعلم أنَّه عقاب عليه ، وجزاء به ، ويجري مجرى هذا القول قوله تعالى : (يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ)[(٤)] و (ٱللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ)[(٥)] ممَّا جاء في كتاب الله – عزَّ وجل – ... قال ابن الأثير : (مكر الله إيقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه ، وقيل : هو استدراج العبد بالطاعات ، فيتوهم أنَّها مقبولة ، وهي مردودة ... وأصل المكر الخداع) [(٦)])[(٧)].

دراسة النص :

قال الطبري في معنى الآية : (يقول تعالى ذكره : وغَدَرَ هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض بصالح – عليه السلام – بمصيرهم إليه ليلاً ليقتلوه وأهله ، وصالح لا يشعر بذلك ، ومكرنا مكراً ، يقول : فأخذناهم بعقوبتنا إياهم وتعجيلنا العذاب لهم ، وهم لا يشعرون بمكرنا . وقد بينا فيما مضى معنى

---

(١) سورة النمل ، الآية (٥٠) .

(٢) سورة الشورى ، الآية (٤٠) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (١٩٤) .

(٤) سورة النساء ، الآية (١٤٢) .

(٥) سورة البقرة ، الآية (١٥) .

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير الجزري ، مادة (مكر) ، (٣٤٩/٤) .

(٧) لسان العرب ، مادة (مكر) ، (١٨٣/٥) .

مكر الله بمن مكر به ، وما وجه ذلك ، وأنه أخْذَه من أَخَذَه منهم علـــى غــرة أو استدراجه منهم من استدرج على كفره به ، ومعصيته إياه ، ثُمَّ إحلاله العقوبة بـــه على غرة وغفلة) [١].

فهذا الذي ذكره الطبري هنا هو معنى ما أورده ابن منظور في ذلك .

وذكر الرازي الخلاف في مكر الله –تعالى– في هذه الآيـــة علـــى وجـــوه ، أحدها – وهو الأقرب إلى ما ذكره ابن منظور في ذلك – أنَّ مكر الله – تعالى – إهلاكهم من حيثُ لا يشعرون ، شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة . ثانيهـــا : جاءوا بالليل شاهرين سيوفهم ، وقد أرسل الله – تعالى – الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة ، يرون الأحجار ولا يرون رامياً . ثالثها : أنَّ الله – تعـــالى – أخبر صالحاً بمكرهم فتحرز عنهم ، فذاك مكر الله –تعالى– في حقهم [٢].

وقال القرطبي بعد أن ذكر قصة هلاكهـــم : (ومكـــر الله مجـــازاتهم علـــى ذلك) [٣].

فوافقه ابن منظور في معنى مكر الله تعالى .

أمَّا ابن كثير فلم يبين معنى مكر الله –تعالى– في هذه الآية [٤] ، فـــلا وجـــه للمقارنة بينه وبين ابن منظور .

ووافق ابن منظور كذلك السمرقندي الذي ذكر أنَّ الله –تعالى– مكـــر بهـــم فقتلهم جزاءً لأعمالهم [٥].

المعنى العام للآية :

(وَمَكَرُوا مَكۡرًا) وغدروا غدراً حين قصدوا تبييت صالح والفتك به (وَمَكَرۡنَا مَكۡرًا) وجزيناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم (وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ) من حيثُ لا يحتسبون [٦].

(١) جامع البيان ، للطبري ، (١٩/١٧٣) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٤/١٧٤) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٣/٢١٧) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣/٣٦٩) .

(٥) انظر : بحر العلوم ، للسمرقندي ، (٢/٥٨٧) .

(٦) انظر : الكشف والبيان ، للثعلبي ، (٧/٢١٦) ، وانظر : روح المعاني ، للألوسي ، (١٩/٢١٤) .

النص رقم (٣٤٠) .

يقول تعالى : [...ٱعۡمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ...][١] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (والمكانة : التُّؤَدَةُ ، وقد تَمكَنَّ ومرَّ علـى مكينتـهِ ، أي : على تُؤَدَتِهِ ... قطرب[٢] : يقال : فلان يعمل على مكينته ، أي : علـى اتِّئـاده . وفي التنزيل العزيز : (ٱعۡمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ) ، أي : على حيالكم ونـاحيتكم ، وقيل : معناه : أي : على ما أنتم عليه مستمكنون ... ابـن سـيده : (والمكانـةُ : المَنْزِلةُ عند الملك)[٣])[٤].

دراسة النص :

قال الطبري في تفسير هذه الآية : (يقول تعالى ذكره لنبيه محمـد – ﷺ – : قل يا محمد لقومك من قريش الذين يجعلون مع الله إلهـا آخـر : اعملـوا علـى مكانتكم ، يقول : اعملوا على حيالكم وناحيتكم) [٥].

فوافقه ابن منظور على معنى المكانة في الآية لفظياً .

ووافق الرازي أيضاً ، حيثُ نقل عن صاحب "الكشاف" قوله : (المكانة تكون مصدراً ، ويقال : مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن ، وبمعنـى المكـان ، يقـال : مكان ومكانة ، ومقام ومقامة ، فقوله : اعملوا على مكانتكم ، يحتمـل : اعملـوا

(١) سورة الأنعـام ، الآيـة (١٣٥) . وتمـام الآيـة : [قُلۡ يَـٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِۗ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ] .

(٢) قطرب : هو محمد بن المستنير البصري ، الملقب قطرب ويقال : محمد بن أحمد. أخـذ النحـو عـن سيبويه ، وهو الذي لقبه قطرب لبكوره في الطب ، وإتيانه إليه بالأسحار ، والقطرب دويبة تسعى طول الليل لا تفتر ، وكان عالماً ثقة . من مصنفاته : الاشتقاق والأضداد ومعاني القـرآن وغيـر ذلك . توفي سنة (٢٠٦هـ) . (انظر : البلغة للفيروز أبـادي ، ص ٢١٤ ، وانظـر : الـوافي بالوفيات ، للصفدي ، (١٤/٥) ، وانظر : العبر ، لشمس الدين الذهبي ، (٣٥٠/١)) .

(٣) المحكم ، لابن سيده ، مادة (مكن) ، (٧٠/٧) .

(٤) لسان العرب ، مادة (مكن) ، (٤١٣/١٣) .

(٥) جامع البيان ، للطبري ، (٣٩/٨) .

على تمكنكم من أمركم ، وأقصى استطاعتكم وإمكانكم ، ويحتمل أيضاً أن يـراد : اعملوا على حالتكم التي أنتم عليها ، يقال للرجل إذا أُمر أن يثبت علـى حالـة : على مكانتك يا فلان ، أي : أثبت على ما أنت عليه ، لا تتحرف عنه) [1].

فكل ذلك ورد ذكره عند ابن منظور .

وذكر القرطبي أنَّ المكانة في الآية هي الطريقة ، والمعنى : اثبتوا على مـا أنتم عليه ، فأنا أثبت على ما أنا عليه ، وأُمروا بالثبات على كفرهم تهديداً لهم .

ثُمَّ ذكر القرطبي قول الزجَّاج ، وهو أن المكانة هي تمكنهم في الدنيا ، وذكر قولين آخرين أحدهما إنَّ (مكانتكم) بمعنى : ناحيتكم ، وثانيهمـا: إنَّهـا بمعنـى : موضعكم[2] ولا ينافي ما ذكره ابن منظور في هذا ما ذكره القرطبي .

وفسر ابن كثير قوله : (مكانتكم) بقوله : طريقتكم وناحيتكم[3].

فوافق بذلك ابن منظور .

ووافق ابن منظور عبدالرحمن بن أبي حاتم في روايته عن ابـن عبـاس – رضي الله عنهما – حيثُ قال في تفسير : (عَلَى مَكَانَتِكُمْ) : على ناحيتكم[4].

وجوه القراءات :

قرأ أبوبكر : (اعملوا على مكانتكم) على الجمـع ، وقـرأ البـاقون علـى (مكانتكم) أي : على تمكنكم وأمركم وحالكم[5].

المعنى العام للآية :

(قُل) يا أيها الرسول لقومك إذا دعوتهم إلى الله ، فامتنعوا من الانقياد لأمره ، واتبعوا أهواءهم: (يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ) ، أي : على نحوكم وحالتكم

---

(١) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٣/١٦٦ ، ١٦٧) ، وانظر : الكشاف ، للزمخشري ، (٢/٦٤) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٧/٨٩) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢/١٧٩) .

(٤) انظر : تفسير القرآن ، لابن أبي حاتم ، (٤/١٣٩٠) .

(٥) انظر:حجة القراءات ، لابن زنجلة،ص ٢٧٢ . وانظر : السبعة في القراءات ، لابن مجاهد، ص ٢٦٩ .

التي أنتم عليها ، ورضيتموها لأنفسكم (إِنِّي عَامِلٌ) على أمر الله ، ومتبع لمراضي الله تعالى (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ) أنا أو أنتم ، وهـذا من الإنصاف بموضع عظيم ، وقد علم أنَّ العاقبة في الدنيا والآخرة للمتقين ، وأنَّ المؤمنين لهم عقبى الدار. (إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ) فكل ظالم ، وإن تمتع في الدنيا بما تمتع به ، فنهايته فيه الاضمحلال والتلف[١].

النص رقم (**٣٤١**) :

يقول تعالى : [وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ...][٢].

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (المُكَاءُ (مخفف) : الصَّفير: مكاَ الإنسان يَمْكُو مَكْواً ومُكاءً: صَفَرَ بفيه . قال بعضهم : هو أن يجمع بين أصابع يديه ، ثُمَّ يُدخلها في فيه ، ثُمَّ يَصْفر فيها . وفي التنزيل العزيز : (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً) ابن السكيت : المُكَاءُ الصَّفير ، قال : والأصوات مضمومة إلا النِّداء والغناء ... الليث : كانوا يطوفون بالبيت عُراة يَصْفِرون بأفواههم ، ويُصفِّقون بأيديهم) [٣].

دراسة النص :

فسَّر الطبري المكاء بالصفير . قال : يُقال منه : مكايمكو مكواً ومكاءً ، وقد قيل: إن المكو أن يجمع الرجل يديه ، ثُمَّ يدخلهما في فيه ، ثُمْ يصيح[٤].

---

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ٢٧٤ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية (٣٥) . وتمام الآية : [وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ]

(٣) لسان العرب ، مادة (مكا) ، (١٥/٢٨٩) .

(٤) انظر : جامع البيان ، للطبري (٩/٢٤٠) .

فوافقه ابن منظور في معنى المكاء في هذه الآية .

ووافق كذلك الرازي الذي فسر المكاء بالصفير أيضاً نقلاً عن صاحبُ الكشاف(١) .

ووافق أيضاً القرطبي الذي ذكر في تفسير المكاء أنَّه بمعنى الصفير، ونسب ذلك إلى مجاهد والسدي وابن عمر رضي الله عنهم (٢).

ووافقه ابن كثير أيضاً ، حيثُ نَسَبَ إلى عدد من أهل التفسير أنهم فَسَّروا المكاء بالصفير ، وذلك بإدخال الأصابع في الأفواه(٣).

ونسب السمعاني إلى ابن عمرو وابن عباس والحسن – رضي الله عنهم– أنَّهم فسروه بالصفير أيضاً(٤).

فوافقه على ذلك ابن منظور.

يتضح ممَّا سبق أنَّ هنالك إجماعاً من المفسرين على هذا المعنى.

وجوه القراءات :

قرأ الكل : (وكان صلاتُهم) برفع : صلاتهم ، و (مكاءً وتصديةً) بالنصب. وفي رواية أبي بكر عن عاصم بنصب (صلاتَهم) ، ورفع : (مكاءٌ وتصديةٌ) (٥).

المعنى العام للآية :

(وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ) يعني : وما كان صلاة المشركين عند بيت الله العتيق (إِلَّا مُكَآءً) وهو الصفير بأن يجمع الرجل يديه ، ثم يدخلهما في فيه ، ثم يصيح. (وَتَصْدِيَةً) ، وهي التصفيق (فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ) يعني : العذاب الذي وعدهم به بالسيف يوم بدر بما كانوا يجحدون عذاب الله –تعالى– وتوحيده ورسالة النبي ﷺ (٦).

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٢٨/١٥) ، وانظر : الكشاف ، للزمخشري ، (٢٠٧/٢) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٤٠٠/٧) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣٠٧/٢).

(٤) انظر : تفسير القرآن ، للسمعاني ، (٢٦٣/٢) .

(٥) انظر : السبعة في القراءات لابن مجاهد ، ص ٣٠٥.

(٦) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٤٣/٩ ، ٢٤٤) .

النص رقم (٣٤٢) و (٣٤٣) :

يقول تعالى : [أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ...][1].

ويقول تعالى : [وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ...][2].

التفسير اللغوي :

والمَلأُ : الرؤساءُ ، سُمُّوا بذلك ؛ لأنَّهم مِلاءٌ بما يُحتاج إليه. والملأ : مهموز مقصور : الجماعة ، وقيل : أشراف القوم ووجُوهُهم ورؤساؤهم ومُقدَّمُوهم الذين يُرجع إلى قولهم . وفي الحديث : (هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟[3] يُريد الملائكة المقُرَّبين . وفي التنزيل العزيز : (أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ) ، وفيه أيضاً : (وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ))[4].

دراسة النصين :

فسَّر الطبري الملأ في آية البقرة بالوجوه والأشراف والرؤساء ، وفي آية الأعراف بالجماعة[5].

وكل ذلك ذكره من بعده ابن منظور في بيان معنى الملأ .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٤٦) . وتمام الآية : [أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ] .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (٩٠) . وتمام الآية : [وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ] . وقد ورد هذا الجزء من الآية أيضاً في سورة الأعراف ، الآية (١٢٧) ، وسورة المؤمنون ، الآية (٣٣) .

(٣) جزء من حديث طويل ، أخرجه الترمذي في سننه ، في ٤٨ – كتاب تفسير القرآن ، ٣٩ – باب ومن سورة ص ، حديث رقم (٣٢٣٣) ، (٥/٣٣٦) .

(٤) لسان العرب ، مادة (ملأ) ، (١/١٥٩) .

(٥) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢/٥٩٥) ، (٩/٣) .

وقال الرازي في آية البقرة : (الملأ : الأشراف من الناس، وهو اسم الجماعة كالقوم والرهط والجيش ، وجمعه : أملاء ... وأصلها من الملء ، وهـم الـذين يملأون العيون هيبة ورواء ، وقيل : هم الذين يملأون المكان إذا حضروا) [١].

وقال في آية الأعراف : (الملأ : الكبراء والسادات ... وهم الذين يمـلأون صدور المجالس ، وتمتلئ القلوب من هيبتهم ، وتمتلئ الأبصـار مـن رؤيـتهم، وتتوجه العيون في المحافل إليهم ، وهذه الصفات لا تحصل إلا في الرؤساء) [٢].

فما ذكره الرازي في الآيتين ذكره من بعده ابن منظور.

وذكر القرطبي في آية البقرة أنَّ الملأ الأشراف من الناس، كأنَّهم ممتلئـون شرفاً . قال : والملأ في هذه الآية القوم . لأنَّ المعنى يقتضـيه . والمـلأ : اسـم للجمع كالقوم والرهط.

ولم يزد في تفسير قوله : (وَقَالَ ٱلْمَلَأُ) على أن قال : أي قالوا لمن دونهم[٣].

فكأنَّه أراد أنَّهم أعلى وأشرف ممَّن خاطبوهم .

وعلى كل فلا خلاف بينه وبين ابن منظور في معنى الملأ.

أمَّا ابن كثير فلم يتعرض لبيان معنى الملأ في الآيتين[٤] ، فلا مقارنة بينـه وبين ابن منظور في ذلك .

وذكر صاحب "التبيان"[٥] في سورة البقرة أنَّ الملأ هم الأشراف والوجوه[٦] فوافق ابن منظور على ذلك .

---

(١) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٤٤/٦) .

(٢) المرجع السابق ، (١٢٢/١٤) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٤٣/٣) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣٠١/١) ، (٢٣٣/٢) .

(٥) وهو شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ، ثم المقدسي ، ولد سنة (٧٥٦هـ) ، واشتغل بالقاهرة، ومهر في الفرائض والحساب مع حسن المشاركة في بقية العلوم ، وله العجالة في استحقاق الفقهاء أيـام البطالة . توفي بالقدس سنة (٨١٥هـ) .

(انظر : طبقات الشافعية ، لابن قاضي شهبة ، (١٧/٤ ، ١٨)) .

(٦) انظر : التبيان في تفسير غريب القرآن ، للهائم المصري ، ص ١٣٢.

المعنى العام للآية :

١/ آية البقرة :

(أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ) الأشراف منهم. (إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ) حين قالوا لمشعون أو يوشع أو أشمويل: (ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) انهض للقتال معنا أميراً نصدر في تدبير الحرب عن رأيه (قَال) النبي : (هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ) ، يعني : هل قاربتم أن لا تقاتلوا ؛ أي : هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون وتجبنون. (قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) وأي داع لنا إلى ترك القتال (وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا) وذلك أنَّ قوم جالوت أسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين. (فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ) فلمَّا أُجيبوا إلى ملتمسهم. (تَوَلَّوۡا) أعرضوا عنه (إِلَّا قَلِيلاً مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ) وعيد لهم على ظلمهم بترك الجهاد(١) .

٢/ آية الأعراف :

(وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ) ، وهم الأشراف والكبراء الذين اتبعوا أهواءهم ، ولهوا بلذاتهم. (ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ) محذرين من اتباع شعيب: (لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ) هذا ما سولت لهم أنفسهم أنَّ الخسارة والشقاء في اتباع الرشد والهدى ، ولم يدروا أنَّ الخسارة في لزوم ما هم عليه من الضلال والإضلال(٢) .

---

(١) انظر : مدارك التنزيل ، للنسفي ، (١/١١٩) .

(٢) انظر : تسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص (٢٩٦ ، ٢٩٧).

النص رقم (٣٤٤) و (٣٤٥)

يقول تعالى : [...وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَـٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَـٰقٍ...][١] .

ويقول تعالى : [...خَشۡيَةَ إِمۡلَـٰقٍۖ ...][٢] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (والإمْلاقُ : الافتقارُ . قال الله –تعالى– : (وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَـٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَـٰقٍۖ) ... وأصلُ الإملاق : الإنفاق . يقال : أمْلَقَ ما معه إمْلاقاً ، ومَلَقَهُ مَلْقاً إذا أخرجه من يده ولم يحبسه ، والفقر تابعٌ لذلك ... والإملاقُ : كثرة إنفاق المال وتبذيره حتى يُورث حاجة ... قال الله –تعالى– : (خَشۡيَةَ إِمۡلَـٰقٍۖ) ، معناه : خشية الفقر والحاجة) [٣].

دراسة النصين :

فسر الطبري الإملاق في الآيتين بالفقر والإقتار[٤] .

فوافقه ابن منظور على ذلك .

ووافق الرازي الذي فسر الإملاق في الآيتين بالفقر[٥] أيضاً .

كما وافق القرطبي الذي ذكر في آية الأنعام أنَّ الإملاق هو العيلة والفقر ، وذكر قول من قال: إنَّ الإملاق : الإنفاق ، ويُقال : أملق ماله ، أي : أنفقه ،

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٥١) . وتمام الآية : [قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَـٰنًاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَـٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَـٰقٍۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ] .

(٢) سورة الإسراء ، الآية (٣١) . وتمام الآية : [وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَـٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَـٰقٍۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا] .

(٣) لسان العرب ، مادة (ملق) ، (٣٤٨/١٠) .

(٤) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٨٢/٨)، (٧٨/١٥) .

(٥) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٩٠/١٣) ، (١٥٧/٢٠) .

وذكر أيضاً في آية الإسراء أنَّ الإملاق هو الفقر وعدم الملك . قال : أمْلَق الرجل ، أي : لم يبق له إلا الملقات ، وهي الحجارة العظام الملس[1].

ونسب ابن كثير إلى ابن عباس وقتادة والسدي وغيرهم أنَّ الإملاق هو الفقر ، وهو ما فسر به الإملاق في آية الإسراء أيضاً[2] .

فوافق بذلك ابن منظور .

ووافق ابن منظور البيضاوي أيضاً ، حيثُ ذكر في تفسير الإملاق في الموضعين أنَّه بمعنى الفقر والفاقة[3].

المعنى العام للآيتين :

١/ آية الأنعام :

(قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ) للمشركين ، أي : أقرأ (مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ) وأحسنوا (وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم) بالوأد (مِّنْ إِمْلَـٰقٍ) من أجل فقر تخافونه. (نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ) الكبائر كالزنا (مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) ، أي : علانيتها وسرها (وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ) كالقود وحد الردة ورجم المحصن (ذَٰلِكُمْ) المذكور (وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) تتدبرون[4].

٢/ آية الإسراء :

(وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ) ، أي : مخافة فقر . كانوا يئدون بناتهم مخافة الفقر فُنهوا عن ذلك. (نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ) لا أنتم ، فلا تخافوا الفاقة بناءً على علمكم بعجزكم عن تحصيل رزقهم . (إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا) تعليل آخر ببيان أنَّ المنهي عنه في نفسه منكر عظيم ، والخطء : الذنب والإثم[5].

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٣٢/٧) ، (٢٥٢/١٠) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١٨٩/٢) ، (٣٩/٣) .

(٣) انظر : أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، (٤٦٥/٢) ، (٤٤٣/٣) .

(٤) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ١٩٠ .

(٥) انظر : إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (١٦٩/٥) .

النص رقم (٣٤٦) و (٣٤٧) و (٣٤٨)

يقول تعالى : [مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ][1] .

ويقول تعالى : [...مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ ...][2] .

ويقول تعالى : [فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ...][3] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (اللَّيْث : المَلِكُ هو الله تعالى وتقدَّس ، مَلِكُ المُلُوك ، له المُلْك ، وهو مالك يوم الدين ، وهو مليك الخلق ، أي : ربهم ومالكهم وفي التنزيل : (مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ) . قرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو وابن عامر وحمزة : (مَلِكِ يَوْم الدين ، بغير ألف ، وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب : (مالك) ، بألف ، وروى عبدالوارث[4] عن أبي عمرو : مَلْكِ يوم الدين ، ساكنة اللام ، وهذا من اختلاس أبي عمرو ... ومالك يوم الدين يملك إقامة يوم الدين ، ومنه قوله تعالى : (مَٰلِك ٱلۡمُلۡكِ) ... وأمَّا ملك الناس وسيد الناس ورب الناس ، فإنه أراد : أفضل من هؤلاء ، ولم يَرد أنهَّ يملك هؤلاء، وقد قال تعالى : (مَٰلِك ٱلۡمُلۡكِ) ... والملك معروف ، وهو يذكر ويؤنث كالسلطان ، وملك الله تعالى وملكوته : سلطانه وعظمته ... أبوإسحق في قوله – عزَّ وجل – (فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ) ، معناه تنزيل الله – تعالى – عن أن يوصف بغير القدرة[5])[6].

---

(١) سورة الفاتحة ، الآية (٤) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (٢٦) . وتمام الآية : [قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ] .

(٣) سورة يس ، الآية (٨٣) . وتمام الآية : [فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ] .

(٤) لم أعثر له على ترجمة .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٢٢٣/٤) .

(٦) لسان العرب ، مادة (ملك) ، (٤٩١/١٠ ، ٤٩٢) .

دراسة النصوص :

يُعدّ الطبري أكثر تفصيلاً من ابن منظور في بيان معنى قولــه : (مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ) ، وذكر وجوه القراءات فيه ، حيثُ ذكر أنَّ بعضهم يتلوه : (ملك يــوم الدين) ، وبعضهم يتلوه : (مالك يوم الدين) وبعضهم يتلوه : (مالك يــوم الــدين) بنصف الكاف .

ثُمَّ ذكر أنَّ تأويل قراءة من قرأ : (مَلِك يوم الدين) أنَّ لله الملك يــوم الــدين خالصاً دون جميع خلقه الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكــاً جبــابرة ينازعونــه الملك ، ويدافعونه الانفراد بالكبرياء والعظمة والسلطان ، فأخبر تعالى أنَّه المنفرد يوم الدين بالملك دون ملوك الدنيا الذين صاروا يوم الدين من ملكهــم إلــى ذلــة وصغار ، ومن دنياهم في المعاد إلى خسار . وأمَّا تأويل قراءة من قرأ : (مالــك يوم الدين) أنَّ أحداً لا يملك في ذلك اليوم معه حكماً كملكهم في الدنيا .

ثُمَّ صوب الطبري قراءة من قرأ : (مَلِكِ) بمعنى الملك ، فكل ملك مالــك ، وليس كل مالك ملكاً .

وبهذا الترجيح يمتاز الطبري على ابن منظور .

وفسَّر الطبري قوله : (مَـٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ) بأنَّه مالك ملك الدنيا والآخرة ، خالصاً دون غيره ، وبيَّن أنَّ معنى آية يس تنزيه الذي بيده ملك كل شيء وخزائنه[١].

فلا خلاف إذاً بين ابن منظور والطبري ، وإن اختلفت ألفاظهما في الوصول إلى المعنى ، فالمعنى واحد .

وقال الرازي في آية الفاتحة : أي : مالك يوم البعث والجزاء ، وذكر للقراء قراءتين في ذلك ، وهما القراءة بإثبات الألف ، أي : (مَالِك) ، والقراءة بدون ألف أي : (مَلِك) .

---

(١) انظر : جامع البيان للطبري ، (٦٤/١ ، ٦٥) ، (٢٢٢/٣) ، (٣٢/٢٣) .

وبيَّن الرازي في آية آل عمران أنَّ (مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ) معناه القادر على القدرة ، والمعنى : إنَّ قدرة الخلق على كل ما يقدرون عليه ليست إلاَّ بإقدار الله – تعالى – فهو الذي يُقدر كل قادر على مقدوره ، ويُمَلّك كل مالك مملوكه .

وذكر في آية يس أنَّ التسبيح هو التنزيه ، والملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والرهبوت(١).

وعلى هذا فلا نستطيع القول بأنَّ هناك خلافاً من حيث المعنى بين ابن منظور والرازي ، وإن كان هناك خلافاً لفظياً .

وذكر القرطبي اختلاف العلماء في آية الفاتحة . أيهما أبلغ مَلِك أو مَالِك ؟ فقيل : ملك أعمَّ وأبلغ من مالك ، إذ كل ملك مالك ، وليس كل مالك ملكاً ؛ ولأنَّ أمر الملك نافذ على المالك في ملكه حتى لا يتصرف إلا عن تدبير الملك ، وقيل : مالك أبلغ ؛ لأنَّه يكون مالكاً للناس وغيرهم ، فالمالك أبلغ تصرفاً وأعظم إذ إليه إجراء قوانين الشرع ، ثم عند زيادة التملك . ويميل القرطبي إلى القراءة بدون ألف وما ترتب عليها من معنى .

وذكر القرطبي في قوله (مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ) في آية آل عمران عدة أقوال ، منها إنَّ الملك النبوة ، وقيل : الغلبة ، وقيل : المال والعبيد ، وقيل : مالك العباد وماملكوا ، وقيل : مالك الدنيا والآخرة*.

وقال القرطبي في آية يس : نزه نفسه تعالى عن العجز والشرك ، والملكوت في كلام العرب بمعنى الملك(٢).

فما قيل في الطبري والرازي يقال أيضاً في القرطبي .

وقال ابن كثير في آية الفاتحة : قرأ بعض القراء : (مَلِك يوم الدين) وقرأ آخرون : (مالك) ، وكلاهما صحيح متواتر في السبع ، ويقال : (ملِك) بكسر اللام

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٩٢/١) ، (٥/٨) ، (٢٨/٢٦) .

* كل ما ذكر وما لم يُذكر يدخل في ملك الله تعالى ، إذ لا يخرج من ملكه تعالى شيءٌ ، والقول الأخير ، وهو : مالك الدنيا والآخرة يشمل ذلك جميعاً .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٣٩/١ ، ١٤٠) ، (٥٥/٤) ، (٦٠/١٥) .

وبإسكانها ، ويُقال : مليك أيضاً ، وأشبع نافع كسرة الكاف ، فقرأ : (ملكي يوم الدين) ، وقد رجح كلا من القراءتين مرجحون من حيثُ المعنى ، وكلاهما صحيحة حسنة ، وحُكي عن أبي حنيفة أنَّه قرأ : (مَلَكَ يوم الدين) على أنَّه فعل وفاعل ومفعول ، وهذا شاذ غريب جدّاً .

وقال ابن كثير أيضاً : وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه ؛ لأنَّه قد تقدم الإخبار بأنَّه رب العالمين ، وذلك عام في الدنيا والآخرة ، وإنَّما أضيف إلى يوم الدين ، لأنَّه لا يدعي أحد هنالك شيئاً ، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه .

وحكى ابن كثير عن بعضهم أنّه فسر : مالك يوم الدين بأنه القادر على إقامته .

ولم يزد في آية آل عمران على أن قال مفسراً عبارة : مالك الملك : أي لك الملك كله .

وقال في آية يس : أي تنزيه وتقديس وتبرئة من السوء للحى القيوم الذي بيده مقاليد السموات والأرض . قال : وهو الذي عليه الجمهور من المفسرين*(١).

وما ذكره ابن كثير هنا لا ينافي ما ذكره ابن منظور في ذات المعنى ، ولكن ابن كثير أفاض الكلام في بيان وجوه القراءات ، وفي بيان المعنى أيضاً في آية الفاتحة .

وكذلك ابن عطية أفاض في بيان القراءات الواردة في قوله : (مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ) وذكر المعنى على كل قراءة على نحو ما فعل ابن كثير .

وذكر ابن عطية في آية آل عمران قول قتادة : أنَّ الملك هنا ملك فارس والروم ، وقول مجاهد : إنَّ الملك في هذه الآية النبوة .

ثُمَّ قال : والصحيح أنَّه مالك الملك كله مطلقاً في جميع أنواعه .

وذكر في تفسير آية يس أنَّه تعالى نزه نفسه تنزيهاً عاماً مطلقاً ، والملكوت ضَبْط كل شيء والقدرة عليه(٢).

---

* هذا أفضل ما قيل في تفسير مالك الملك لعمومه .

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٥/١ ، ٢٦) ، (٣٥٧/١) ، (٥٨٤/٣) .

(٢) انظر : المحرر الوجيز ، لابن عطية ، (٦٨/١) ، (٤١٦/١) ، (٤٦٤/٤) .

فلا خلاف في هذه المعاني بينه وبين ابن منظور .

وجوه القراءات :

آية الفاتحة :

قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف : (مَالِك يوم الدين) بالألف مدّاً ، وقرأ الباقون : (ملك) بغير ألف قصراً[1].

المعنى العام للآيات :

١/ آية الفاتحة :

(مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ) ، أي : الجزاء ، وهو يوم القيامة ، وخُصَّ بالذكر ؛ لأنَّه لا ملكا ظاهراً فيه لأحد إلا لله – تعالى – ومن قرأ (مالك) فمعناه : مالك الأمر كله في يوم القيامة ، أو هو موصوف بذلك دائماً كغافر الذنب ، فصح وقوعه صفة لمعرفة[2].

٢/ آية آل عمران :

(قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ) يقول الله –تعالى– لنبيه – ﷺ– : قل اللهم أنت الملك المالك لجميع الممالك ، فصفة الملك المطلق لك ، والتصريف والتدبير كله لك ، ثُمَّ فصل بعض التصاريف التي انفرد بها البارئ – تعالى – فقال : (تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ) ، وفيه الإشارة إلى أنَّ الله –تعالى– سينزع الملك من الأكاسرة والقياصرة ومن تبعهم ، ويؤتيه أمة محمد – ﷺ – وقد فعل ، ولله الحمد (وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ) إنَّما خص الخير دون الشر بالذكر ؛ لأنَّ الآية في معنى دعاء ورغبة . (إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ) لا يمتنع عليك أمر من الأمور ، بل الأشياء كلها طوع مشيئتك وقدرتك[3].

---

(١) انظر : النشر ، لابن الجزري ، (٢١٣/١) ، وانظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص ٧٧ .

(٢) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٢ .

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ١٢٧ ، وانظر : التسهيل ، للكلبي ، (١٠٤/١) .

٣/ آية يس :

(فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) ، أي : تنزيه وتقديس وتبرئة من السوء للحي القيوم الذي بيده مقاليد السموات والأرض ، وإليه يرجع الأمر كله ، وله الخلق والأمر ، وإليه يرجع العباد يوم المعاد ، فيجازي كل عامل بعمله ، وهو العادل المنعم المتفضل(١).

النص رقم (٣٤٩) و (٣٥٠)

يقول تعالى : [...فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا](٢).

ويقول تعالى : [...حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...](٣).

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (وأمَلَّ الشيءَ : قاله فكُتِب . وأمْلاه كأَمْلَّه ، على تحويل التضعيف ، وفي التنزيل : (فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) ، وهذا من أملى . يُقال : أمَلَّ عليه شيئاً يكتبه ، وأملى عليه ، ونزل القرآن العزيز باللغتين معاً ، ويُقال : أمللتُ عليه الكتاب وأمليته.. والمِلّةُ : الشريعة والدين ... كمِلَّة الإسلام والنصرانية واليهودية، وقيل : معظم الدين ، وجملة ما يجيئ به الرسل ... وفي التنزيل العزيز : (حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)(٤).

دراسة النصين :

ذكر الطبري في تفسير آية الفرقان أنَّ المشركين بالله – تعالى – قالوا: هذا الذي جاءنا به محمد أساطير الأولين التي كانوا يسطرونها في كتبهم اكتتبها محمد

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٥٨٤/٣) .

(٢) سورة الفرقان، الآية(٥).وتمام الآية:[وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا] .

(٣) سورة البقرة، الآية (١٢٠). وتمام الآية : [وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ]

(٤) لسان العرب ، مادة (ملل) ، (٦٣١/١١) .

من يهود ، وبيَّن الطبري أنَّ معنى : تملى عليه تقرأ عليه ، من قــولهم: أمليــتُ عليك الكتاب وأمللت .

وفسَّر الملة في آية البقرة بأنَّها الدين، وجمعها الملل[1].

فوافقه ابن منظور في معنى المفردة في الآيتين .

وذكر الرازي في آية الفرقان أنَّ معنى (تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ) تُقرأ عليــه ، والمعنــى أنَّها كُتبت له ، وهو أُمي .

وفسَّر الملة في آية البقرة بالدين[2].

فوافقه ابن منظور في الآيتين .

وذكر القرطبي أنَّ قوله : (تملى) أصله تملل ، فأبدلت اللام الأخيرة ياء مــن التضعيف، والمعنى: اكتتبها ، فهي تُلقى عليه وتقرأ[3].

وفرَّق القرطبي في آية البقرة بين الدين وبين الملة والشريعة، حيــث قــال : (والملة اسم لما شرعه الله لعباده في كتبه ، وعلى ألسنة رســله ، فكانــت الملــة والشريعة سواء ، فأمَّا الدين فقد فرّق بينه وبين الملــة والشــريعة ، فــإنَّ الملــة والشريعة ما دعا الله عباده إلى فعله ، والدين ما فعله العباد عن أمره) [4].

ومع ذلك فلا خلاف بين ابن منظور والقرطبي في الموضــعين ، فــالتفريق الذي ذكره بين هذه المصطلحات تقتضيه ضرورة اللفظ فقط ، وإلا فــإنَّ معناهــا واحد، وحقيقتها واحدة .

وكذلك لا خلاف بين ابن منظور وابن كثير الــذي فَسَّــر قولــه تعــالى : (ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ) بأنَّ معناه : استنسخها فهي تُقرأ عليه .

وذكر في تفسير الملة في آية البقرة ما يفيد أنَّها بمعنى الدين[5].

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٨٣/٨) ، (٥١٧/١) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٤٥/٢٤) ، (٢٩/٤) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (٤/١٣) .

(٤) المرجع السابق ، (٩٣/٢، ٩٤) .

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣١٠/٣) ، (١٦٤/١) .

وقال السمعاني : وقوله (ٱكۡتَتَبَهَا) ، أي : طلب أن تُكتب له ؛ لأنَّه كان لا يكتب، وقوله : (فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ) أي تقرأ عليه) [١].

وقال في آية البقرة : (معناه : ولن ترضى عنك اليهود إلا باليهودية ، ولا النصارى إلا بالنصرانية ... والملة الطريقة) [٢].

فاتفق ابن منظور مع السمعاني في الآيتين ، وإن اختلفت ألفاظهما فيهما.

وجوه القراءات :

آية الفرقان :

قوله : (فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ) . قرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر وحمزة (فَهِي) بتحريك الهاء ،وقرأ الكسائي بتخفيف ذلك ، وإسكان الهاء[٣].

سبب النزول :

آية البقرة :

قال الواحدي : قال المفسرون : إنَّهم كانوا يسألون النبي – ﷺ– الهدنة، ويطمعونه أنَّه إن هادنهم ،وأمهلهم اتبعوه ووافقوه ، فأنزل الله –تعالى– هذه الآية.

قال : وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – : هذا في القبلة ، وذلك أنَّ اليهود بالمدينة ،ونصارى نجران كانوا يرجون أن يُصلي النبي – ﷺ– إلى قبلتهم ، فلمَّا صرف الله – تعالى – القبلة إلى الكعبة شق ذلك عليهم ، ويئسوا أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله – عزَّ وجل – هذه الآية .

وقال مقاتل : كان اليهود من أهل المدينة والنصارى من أهل نجران دعوا النبي – ﷺ– إلى دينهم ، وزعموا أنَّهم على الهدي فنزلت[٤].

---

(١) تفسير القرآن ، للسمعاني ، (٧/٤) .

(٢) المرجع السابق ، (١٣٣/١) .

(٣) انظر : السبعة في القراءات ، لابن مجاهد ، ص ١٥١.

(٤) انظر : العجاب ، لابن حجر ، (٣٧٢/١، ٣٧٣) ، وانظر : أسباب النزول ، للواحدي، ص ٢٧.

المعنى العام للآيتين :

١/ آية الفرقان :

(وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا) افترى الذين كفروا قولاً باطلاً، وهم يعلمون كذب أنفسهم فيما زعموه، وهو زعمهم أنَّ النبي – ﷺ– استنسخ القرآن من كتب الأوائل. (فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ) ، أي : تقرأ عليهم. (بُكۡرَةً وَأَصِيلًا) ، أي : في أول النهار وآخره[1].

٢/ آية البقرة :

(وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ) ، أي : لن ترضى عنك اليهود إلا باليهودية ، ولا النصارى إلا بالنصرانية ، والملة الطريقة ، والدين والشريعة (قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ) ، أي : هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى إلى الحق لا ماتدعون إليه. (وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم) ، أي : آراءهم الزائفة. (بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ) ، أي : الوحي أو الدين المعلوم صحته (مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ) يدفع عنك عقابه[2].

النص رقم (٣٥١) و (٣٥٢)

يقول تعالى : [مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ...][3].

ويقول تعالى : [وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا][4].

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (المَنْعُ : أن تحول بين الرجل وبين الشيء الذي يريده، وهو خلاف الإعطاء ، ويُقال : هو تحجير الشيء ... ورجلٌ مَنُوعٌ ومَانِعٌ ومَنَّاعٌ :

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣/٣١٠) .

(٢) انظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (١/١١٠) ، وانظر : أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، (١/٣٩٣) .

(٣) سورة ق ، الآية (٢٥) . وتمام الآية : [مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ] .

(٤) سورة المعارج ، الآية (٢١) .

ضَنينٌ مُمْسِكٌ . وفي التنزيل: (مَّنَّاعٍ لِّلۡخَيۡرِ) ، وفيه : (وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا) ... ابن الأعرابي : رجلٌ منوعٌ : يَمْنَعُ غيره ، ورجلٌ مَنِعٌ يمنع نفسه) [1].

دراسة النصَّين :

انصرف الطبري في تفسيره لآية ق إلى بيان معنى الخير ، ولم يتعرض إلى شرح كلمة مناع[2] ، فلا مقارنة بينه وبين ابن منظور في ذلك .

وقال الطبري في آية المعارج : ((وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا) ، يقول : وإذا كثر ماله ، ونال الغنى فهو منوعٌ لما في يده ، بخيل به ، لا ينفقه في طاعة الله ، ولا يؤدي حق الله منه) [3].

وهو معنى ما ذكره ابن منظور في معنى المنع .

وكذلك الرازي لم يبين المعنى اللغوي للمنع ، بل انصرف إلى بيان معنى الخير كما فعل الطبري.

فلا وجه للمقارنة بينه وبين ابن منظور في ذلك .

وفسر الرازي المنع في آية المعارج بمنع المعروف ، والشح بالمال[4].

فلم يخالف قولُ ابن منظور تفسيرَه .

ولم يتعرض القرطبي كذلك إلى المعنى اللغوي لكلمة (مناع) ، وفسَّر المنوع بأنَّه الذي إذا أصاب المال منع منه حق الله –تعالى– ، وفسره بالبخيل أيضاً[5].

ولا ينافي هذا ما ذكره ابن منظور ، ولا مقارنة بينهما في آية ق.

وقال ابن كثير في (مَّنَّاعٍ لِّلۡخَيۡرِ) : أي : لا يؤدي ما عليه من الحقوق، ولا بِرٌّ فيه ولا صلة ولا صدقة.

---

(١) لسان العرب ، مادة (منع) ، (٣٤٣/٨) .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري (١٦٦/٢٦) .

(٣) المرجع السابق ، (٧٩/٢٩) .

(٤) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٤٣/٢٨) ، (١١٤/٣٠) .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٧/١٧) ، (٢٩٠/١٨) .

وفسَّر المنوع بأنه الذي يبخل على غيره ، ويمنع حق الله تعالى[1].

فلا خلاف بينه وبين ابن منظور في الموضعين.

وعلى هذا يمكننا القول بأنَّ المفسرين اهتموا بالجانب التفسيري مراعين المعنى العام للآيات ، أمَّا ابن منظور فقد اهتمَّ بالجانب اللغوي للمفردات.

المعنى العام للآيتين :

١/ آية ق :

(مَّنَّاعٍ لِّلۡخَيۡرِ) الكلام عن كل من كفر بالنعمة والمنعم ، منحرف عن الطاعة، أي : مناع للزكاة ، وقيل : بخيل ، وقيل : مانع بني أخيه من الإيمان كالوليد بن المغيرة كان يقول لهم : من دخل منكم فيه لم أنفعه بشيء ما عشت ، والأحسن عموم الخير في المال وغيره (مُعۡتَدٍ مُّرِيبٍ) قال الحسن : شاك في الله ، أو في البعث ، وقيل : متهم . فهؤلاء يأمر بهم الله –سبحانه وتعالى– الملَكَين من ملائكة العذاب أن يلقوا في جنهم يوم القيامة على ما في الآية السابقة[2].

٢/ آية المعارج :

بيَّن الله –تعالى– في الآيات السابقة أنَّه خلق الإنسان هلوعاً ، وفسَّر الهلع بقوله : (إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا)[3] فيجزع إن أصابه فقر أو مرض ، أو ذهاب محبوب له من مال أو أهل أو ولد ، ولا يستعمل في ذلك الصبر والرضا بما قضى الله –تعالى– ، وإذا رزقه الله خيراً فلا ينفق ممَّا آتاه الله، ولا يشكر الله على نعمه وبره ، فيجزع في الضراء ، ويمنع في السراء ، واستثنى الله –تعالى– منهم المصلين كما في الآية بعدها[4].

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤/٢٢٧) ، (٤/٤٢٢) .

(٢) انظر : البحر المحيط ، لأبي حيَّان ، (٨/١٢٥) .

(٣) سورة المعارج ، الآيتان (٢٠ ، ٢١) .

(٤) انظر : تسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ٨٨٧.

النص رقم (٣٥٣) و (٣٥٤) و (٣٥٥) و (٣٥٦) و (٣٥٧) و (٣٥٨)

يقول تعالى : [...نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ][١].

ويقول تعالى : [وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٍ][٢].

ويقول تعالى : [...مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ ...][٣].

ويقول تعالى : [...لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ...][٤].

ويقول تعالى : [وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ][٥].

ويقول تعالى : [...وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ ...][٦].

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (المَنُون : الدَّهر ، وهو اسم مفرد ، وعليه قوله تعالى : (نَّتَرَبَّص بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ) ، أي : من الدَّهر ، ومنه قول أبي ذؤيب : أَمِنَ المَنُونِ وريبه تَتَوَجَّعُ[٧]. قال: أي : حوادث الدهر وريبه ، ويدل على صحة ذلك

(١) سورة الطور ، الآية : (٣٠) . وتمام الآية : [أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ] .

(٢) سورة القلم ، الآية : (٣) .

(٣) سورة يوسف ، الآية : (٩٠) . وتمام الآية : [قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ] .

(٤) سورة البقرة ، الآية : (٢٦٤) . وتمام الآية : [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ] .

(٥) سورة المدثر ، الآية : (٦) .

(٦) سورة البقرة ، الآية : (٥٧) . وتمام الآية : [وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ] .

(٧) انظر : شرح أشعار الهذليين ، لأبي سعيد السكري ، (٤/١) .

وقال أبوزيد عمر بن شبة : تقدم أبوذؤيب جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية التي يرثي فيها بنيه ، يعني قوله :

أمن المنون وريبه تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع

وهذه يقولها في بنين له خمسة أصيبوا في عام واحد بالطاعون رثاهم فيها .

(انظر : معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، (٣٠٨/٣) ، وانظر : الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر ، دار الفكر لبنان ، (٢٨٠/٦) ، وانظر : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني ، تحقيق: إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، (٢٠٣/٧))

قوله : والدَّهرُ لَيْس بمعتبٍ مَنْ يَجْزَعُ[١]... وقوله عزَّ وجل : (وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ) . جاء في التفسير غير محسوبٍ ، وقيل : معناه ، أي: لا يَمُنُّ الله عليهم به فاخراً أو معظماً كما يفعلُ بُخلاءُ المُنْعمِين ، وقيل: غير مقطوعٍ ، من قولهم : حبلٌ مَنِينٌ إذا انقطع وخلق ... قوله تعالى : (مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ) يحتملُ المَنُّ تأويلين : أحدهما إحسان المُحْسِنِ غير معتد بالإحسان ، يُقال : لَحِقَتْ فلاناً من فلانٍ مِنَّةٌ إذا لحقته نعمة باستنقاذ من قتل وما أشبهه ، والثاني : مَنَّ فلانٌ على فلانٍ إذا عظَّم الإحسان وفخر به ، وأبدأ فيه وأعاد حتى يُفسده ويُبَغِّضه ، فالأول حسن والثاني قبيح ، وفي أسماء الله –تعالى- : الحنَّان المنَّان ، أي : الذي يُنعم غير فاخر بالإنعام ... وقال ابن الأثير : هو المنعم المعطي من المنِّ في كلامهم بمعنى الإحسان إلى من لا يستثيبه ، ولا يطلب الجزاء عليه[٢]... وقوله عزَّ وجل : (لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ) المن هاهنا : أن تمن بما أعطيت وتعتد به ، كأنَّك إنَّما تقصد به الاعتداد ، والأذى: أن تُوبّخ المعطي ، فأعلم الله أنَّ المن والأذى يبطلان الصدقة ، وقوله عزَّ وجل : (وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ) أي : لا تُعْطِ شيئاً مقدَّراً لتأخذ بدله ما هو أكثر منه ... وقد يقع المنان على الذي لا يُعطي شيئاً إلا منَّه ، واعتدَّ به على من أعطاه وهو مذموم ، لأنَّ المنة تفسد الصنيعة ... ابن سيده : المَنُّ طلٌّ ينزل من السماء ، وقيل : هو شِبْهُ العسل كان ينزل على بني إسرائيل[٣] وفي التنزيل العزيز : (وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ))[٤].

دراسة النصوص:

فسَّر الطبري المنون بحوادث الدهر ، وقوله : (غَيْرَ مَمْنُونٍ) بأنَّ معناه : غير منقوص ولا مقطوع ، ثُمَّ ذكر قول مجاهد أنَّ ممنون : محسوب ، ولم يذكر المن من الله –تعالى- في آية يوسف ، ولا معنى المن من غيره في آية البقرة (٢٦٤) وذكر اختلاف أهل التأويل في معنى المن في آية المدثر على أقوال ،

---

(١) هذا هو عجز البيت – آنف الذكر – المنسوب لأبي ذؤيب . (انظر : شرح أشعار الهذليين ، لأبي سعيد السكري ، ٤/١))

(٢) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، لأبي الأثير الجزري ، مادة (منن) ، (٣٦٥/٤) .

(٣) انظر : المحكم ، لابن سيده ، مادة (منن) ، (٤٦٩/١٠) .

(٤) لسان العرب ، مادة (منن) ، (٤١٦/١٣ – ٤١٨) .

وهي : ١/ معنى ذلك لا تُّعطِ شيئاً لتُعطى أكثر منه . ٢/ معناه : لا تمنن عملك تستكثره على ربك. ٣/ معناه : لا تضعف أن تستكثر من الخير ، من قولهم : حبل منين إذا كان ضعيفاً .

ثُمَّ رجح الطبري قول من قال : معنى ذلك : ولا تمنن على ربك من أن تستكثر عملك الصالح* .

وذكر الطبري أيضاً اختلاف أهل التأويل في حقيقة المن الذي ورد ذكره في آية البقرة (٥٧) ، وأورد لهم أقوالاً كثيرة في ذلك ، منها أنَّ المن صمغة ، ومنها أنه شرابٌ كان ينزل على بني إسرائيل مثل العسل ، فيمزجونه بالماء ثم يشربونه ، ومنها أنَّه خبز الرقاق ، ومنها أنَّه الترنجبين**(١).

يُلاحظ من الأقوال السابقة أنَّ الأمر بين ابن منظور والطبري يدور بين ثلاث، فإمَّا أنَّ ابن منظور يتفق مع الطبري أو يخالفه ، وإمَّا أنَّه لا مقارنة بينهما لسكوت الطبري ، وإمَّا أنَّ الطبري أكثر تفصيلاً من ابن منظور.

وذكر الرازي أنَّ المنون هو اسم للموت ، من المن ، وهو القطع، والموت قطوع ، وقيل ريب المنون : حوادث الدهر.

وذكر الرازي أيضاً أنَّ في الممنون قولان ، أحدهما – وهو قول الأكثرين–: إنَّ المعنى غير منقوص ولا مقطوع . والقول الثاني – وهو قول مجاهد ومقاتل والكلبي – : إنَّ الأجر مقدّر عليك المنة .

وأيضاً لم يتعرض الرازي لمعنى المن في آيتي يوسف والبقرة (٢٦٤) . أمَّا المن في أية المدثر فقد ذكر فيه وجوهاً على نحو ما ذكره الطبري في ذلك ، وبيَّن أنَّ القول بأن المن هو العطاء على سبيل الاستكثار هو قول أكثر المفسرين.

---

* وعندي أنَّ القول الثالث هو الأقرب إلى الصواب ، والأليق بمقام النبي ﷺ . فالخطاب في هذه الآية موجه إليه عليه الصلاة والسلام .

** التُّرُنْجُبِين : طبيعته قريبة من العسل ، وهو طلٌّ يحدث في الهواء ، ويقع على أطراف الأشجار والأزهار. (انظر : تاج العروس ، للزبيدي ، مادة (عسل) ، (٤٧٢/٢٩))

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٣١/٢٧) ، (١٨/٢٩) ، (٥٥/١٣) ، (٦٤/٣) ، (١٤٨/٢٩–١٥٠) ، (٢٩٤/١ ، ٢٩٥) .

وفسر الرازي المن في آية البقرة (٥٧) : بأنَّه الترنجبين مثل الثلج[1].

يُلاحظ مِمَّا سبق أنَّ ابن منظور يخالف الرازي في آية الطور، وأنَّ الرازي ذكر قولين فقط من الأقوال الثلاثة التي ذكرها ابن منظور في معنى قوله : (ممنون) في آية القلم ، ولا مقارنة بينهما في آيتي يوسف والبقرة (٢٦٤) ، والقول الذي ذكر فيه الرازي أنَّه قول أكثر المفسرين في آية المدثر هو ما يراه من بعده ابن منظور ، أمَّا معنى المن في آية البقرة (٥٧) فقد وقع فيه الخلاف بينهما.

ونقل القرطبي عن أهل العلم أنَّ المنون بمعنى الموت ، وفي قول بعضهم بمعنى حوادث الأمور أو حوادث الدهر، وفسَّر قوله (ممنون) بأنَّ معناه مقطوع أو منقوص ، وذكر قول مجاهد بأنَّ معناه محسوب ، وقول الضحَّاك بأنَّ معناه غير مكدَّر بالمن . ولم يُفسر المن في آيتي يوسف والبقرة (٢٦٤) .

وذكر القرطبي أقوالاً كثيرة لأهل العلم في معنى المن في آية المدثر ، تدور كلها حول ما ذكره الطبري والرازي في ذلك ، وبيَّن القرطبي أنَّ أظهر هذه الأقوال قول ابن عباس : لا تعط لتأخذ أكثر ممَّا أعطيت.

وذكر القرطبي في آية البقرة (٥٧) في المراد بالمن نحو ممَّا ذكره الطبري في ذلك ، وزاد عليه : وقيل : المن مصدر يعم جميع ما منَّ الله به على عباده من غير تعب ولا زرع[2] .

فخالف ابن منظور القرطبي أحياناً ، ووافقه أحياناً أخرى ، ووسَّع القرطبي الكلام ، وفصَّل فيه في بعض المواضع .

وقال ابن كثير في معنى (رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ) ، أي : قوارع الدهر ، والمنون الموت ، وعنده أن (غَيۡرِ مَمۡنُونٍ) معناه غير مقطوع ، وذكر أيضاً قول مجاهد -آنف الذكر - ولم يذكر شيئاً يتعلق بمعنى المن في آيتي يوسف والبقرة (٢٦٤).

وفي آية المدثر ذكر بعض الأقوال التي قيلت في معنى قوله : (وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ) وفيها القول الذي ذكره ابن منظور مرجحاً إيَّاه .

---

(١) انظر:التفسير الكبير للرازي،(٢١٩/٢٨)،(٧٠/٣٠ ، ٧١)،(١٦٣/١٨)،(٤٤/٧)، (١٧١/٣٠) ، (٨٢/٣) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي، (٧٢/١٧) ، (٢٢٦/١٨) ، (٢٥٦/٩) ، (٨٥/٣) ، (٦٧/١٩) ، (٤٠٦/١) .

وذكر ابن كثير أيضاً نحواً ممَّا ذُكر في المن المراد في آية البقرة (٥٧) ، ثُمَّ ختم ذلك بقوله : والظاهر ، والله اعلم أنَّه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك ممَّا ليس بهم فيه عمل ولا كد ، فالمن المشهور إن أُكل وحده كان طعاماً وحلاوة ، وإن مُزج مع الماء صار شراباً طيباً ، وإن رُكب مع غيره صار نوعاً آخر ، ولكن ليس هو المراد من الآية وحده*(١) .

وعلى هذا فابن كثير يوافق ابن منظور في آية الطور، وذكر قولين ممَّا ذكره في آية القلم ، ولا مقارنة بينهما في آيتي يوسف والبقرة (٢٦٤) ، ووافقه أيضاً في آية المدثر ، وخالفه في آية البقرة (٥٧) .

سبب النزول :

آية الطور :

أخرج ابن جرير عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنَّ قريشاً لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي – ﷺ– قال قائل منهم : احبسوه في وثاق، ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من قبله الشعراء : زهير والنابغة(٢)، فإنَّما هو كأحدهم ، فأنزل الله في ذلك : ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾(٣).

المعنى العام للآيات :

١/ آية الطور :

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ ، أي : بل يقول كفار مكة كأبي جهل والوليد بن المغيرة وأصحابه: ﴿شَاعِرٌ﴾ يتقول الشعر من تلقاء نفسه . ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ﴾ ننتظر به ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ أوجاع الموت(٤).

---

* إذا كان المراد من الآية عموم المن فليس هناك حاجة إلى ذكر طائر السلوى،لأنَّه أيضاً مما أمتنَّ الله به عليهم.

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ، (٢٤٤/٤) ، (٤٠٣/٤) ، (٤٩٠/٢) ، (٣١٩/١) ، (٤٤٢/٤)، (٩٦/١) .

(٢) النابغة : هو حبان بن قيس بن عبدالله بن وحوح بن عدس ، ينتهي نسبه إلى جعدة بن كعب ، النابغة الجعدي، أمه خصفة ، امرأة من أهل هجر ، ويكنى النابغة أبا ليلي ، سمى النابغة لأنه أقام مدة لا يقول الشعر ، ثم نبغ فقاله . قال الجعدي الشعر في الجاهلية ، ثم أجبل دهراً ، ثم نبغ بعد في الشعر في الإسلام ، وكان أكبر من الذبياني. (انظر : الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ، (٥/٥)).

(٣) انظر : جامع البيان ، لابن جرير الطبري ،(٣١/٢٧) ، وانظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ٢٠١ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ، للفيروز آبادي ، ص ٤٤٤ .

٢/ آية القلم :

(وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ) الخطاب مع النبي – ﷺ – والمن : القطع أي أن أجر النبي – ﷺ – غير منقطع بسبب ما جاء به من الحق ، وقام به من البلاغ عن الله ، والصبر عليه(١).

٣/ آية يوسف :

(قَالُوٓا) أي : إخوة يوسف – عليه السلام – بعد أن عرفوه لما ظهر من شمائله متثبتين: (أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ) أنعم (ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ) بالاجتماع. (إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ) يخف الله ، ويصبر على ما يناله. (فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ) فيه وضع الظاهر موضع المضمر(٢).

٤/ آية البقرة (٢٦٤) :

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم) ، أي : أجورها (بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ) أي : كإبطال نفقة الذي ينفق ماله مرائياً للناس. (وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ) هو المنافق. (فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ) حجر أملس. (عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ) مطر شديد. (فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ) صلباً أملس لا شيء عليه. (لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ) عملوا ، أي : لا يجدون له ثواباً في الآخرة ، كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه لإذهاب المطر له. (وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ)(٣).

---

(١) انظر : أضواء البيان ، للشنقيطي ، (٨/٢٤٦ ، ٢٤٧) .

(٢) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص٣١٧ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص ٥٩ .

٥/ آية المدثر :

(وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ) الخطاب للنبي – ﷺ – أي : لا تضعف تستكثر ما حملناك من أعباء الرسالة ، وتستكثر من الخير ، من قولهم : حبلٌ منين أي ضعيف(١).

٦/ آية البقرة (٥٧) :

(وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ) ، أي : على بني إسرائيل ، سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه. (وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ). قيل : الترنجبين والسماني ، قيل : كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر إلى الطلوع، وتبعث الجنوب عليهم السماني. (كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ) على إرادة القول : (وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ) ، أي : لم يظلمونا، ولكن ظلموا أنفسهم بأن كفروا هذه النعم(٢).

النص رقم (٣٥٩) و (٣٦٠) و (٣٦١) و (٣٦٢) و (٣٦٣)

يقول تعالى : [...وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ](٣) .

ويقول تعالى : [فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ](٤) .

ويقول تعالى : [...وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ](٥) .

ويقول تعالى : [وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ](٦) .

---

(١) انظر : المحرر الوجيز ، لابن عطية ، (٣٩٣/٥) .

(٢) انظر : أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، (٣٢٦/١ ، ٣٢٧) .

(٣) سورة الحجر ، الآية (٥٦) . وتمام الآية : [قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ] .

(٤) سورة الزلزلة ، الآية (٧) .

(٥) سورة الروم ، الآية (٤٤) . وتمام الآية : [مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ] .

(٦) سورة الأنبياء ، الآية (٨٢) . وتمام الآية : [وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ] .

ويقول تعالى : [وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ...][1] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (التهذيب عن الكسائي قال : (مَنْ) تكون اسماً ، وتكون جحداً ، وتكون استفهاماً ، وتكون شرطاً ، وتكون معرفة ، وتكون نكرة ، وتكون للواحد والاثنين والجمع ، وتكون خصوصاً ، وتكون للإنس والملائكة والجن ، وتكون للبهائم إذا خلطتها بغيرها ... والجَحْدُ كقوله تعالى : (وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ) المعنى : لا يَقْنَطُ ، والاستفهام كثير ، وهو كقولك : من تعنى بما تقول ؟ والشرط كقوله تعالى : (فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرًا يَرَهُۥ) ، فهذا شرط ، وهو عام . ومن للجماعة ، كقوله تعالى : (وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ) ، وكقوله : (وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ) . وأمَّا في الواحد فكقوله تعالى : (وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ) فوحَّد ، والاثنين كقوله :

تَعالَ فإن عاهَدْتني لا تَخُونُني * نكن مثلَ مَنْ ياذِئبُ يَصْطَحِبَانِ*

قال الفرَّاء : ثنى يصطحبان ، وهو فعل لمن[2])[3].

---

(١) سورة محمد ، الآية (١٦) . وتمام الآية : [وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ] .

* نسب الأصفهاني هذا البيت الشعري بهذا اللفظ إلى الفرزدق ، وهو همام بن غالب بن صعصعة وقد وصفه بأنه كان يداخل الكلام ، وكان ذلك يعجب أصحاب النحو. (انظر : الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ، (٢٧٨/١٠ ، ٣١٠) . أمَّا في ديوان الفرزدق فقد ورد هذا البيت كالآتي : -

تَعَشَّ فإن واثَقْتَنِي لا تَخُونُني نكن مثلَ مَنْ ياذئبُ يَصْطَحِبانِ. يخاطب به ذئباً سطا على شاة له ، فأعطاه منها . (انظر : ديوان الفرزدق (أبوفراس همام بن غالب) تحقيق: كرم البستاني ، دار صادر للطباعة والنشر ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م (٣٢٩/٢)) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (من) ، (٤٧٢/١٥ ، ٤٧٣) ، وانظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (٦٠/٣) .

(٣) لسان العرب ، مادة (منن) ، (٤١٩/١٣) .

دراسة النصوص :

انصرف الطبري في جميع هذه الآيات – موضوع الدراسة – إلى تفسيرها وبيان معانيها دون الوقوف على مدلول (مَنْ) فيها[1].

وبالتالي فلا وجه للمقارنة بينه وبين ابن منظور في ذلك .

أمَّا الرازي فلم يتعرض لمدلول (مَنْ) في آيتي الحجر والزلزلة فقط ، وعلى هذا فلا يمكننا المقارنة فيهما بينه وبين ابن منظور .

وأمَّا آية الروم فقد قال فيها : قال : (فَعَلَيْه) فوحد الكناية ، وقال : (فلأنفسهم) جمعها إشارة إلى أنَّ الرحمة أعم من الغضب ، فتشمله وأهله وذريته ، أمَّا الغضب فمسبوق بالرحمة ، لازم لمن أساء .

وقال في آية الأنبياء : يحتمل أن يكون من يغوص منهم هو الذي يعمل سائر الأعمال ، ويحتمل أنَّهم فرقة أخرى ، ويكون الكل داخلين في لفظة (من) ، وإن كان الأول هو الأقرب .

كما قال في آية محمد : وقوله : (حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ)[2] على ما ذكرنا حمل على المعنى الذي هو الجمع ، ويستمع حمل على اللفظ[3].

وعلى هذا فيمكننا القول بأنَّ الرازي حام حول مدلول (مَنْ) في هذه الآيات الثلاث بما لم يُخالفه فيه ابن منظور وإن اختلفت ألفاظهما في ذلك .

وأمَّا القرطبي – فهو كالطبري – لم يُبيِّن مدلول (مَنْ) في هذه الآيات صارفاً اهتمامه إلى بيان معانى الآيات الكريمة[4].

وكذلك فعل ابن كثير فسر الآيات الكريمة دون أن يعرج على مدلول (مَنْ) فيها[5].

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٤٠/١٤) ، (٢٦٧/٣٠) ، (٥١/٢١) ، (٥٦/١٧) ، (٥٠/٢٦) .

(٢) سورة محمد ، الآية (١٦) .

(٣) انظر: التفسير الكبير، للرازي،(١٥٧/١٩) ، (٥٨/٣٢)،(١١٣/٢٥ ، ١١٤) ، (١٧٥/٢٢) ، (٥٠/٢٨) .

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي،(٣٦/١٠)، (١٥٠/٢٠)،(٤٢/١٤) ، (٣٢٢/١١) ، (٢٣٨/١٦) .

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٥٥٥/٢) ، (٥٤٠/٤) ، (٤٣٧/٣) ، (١٨٨/٣) ، (١٧٨/٤).

وعلى هذا فلا يمكن المقارنة بينهما وبين ابن منظور في ذلك .

وقال أبوحيان في آية الحجر : ومن يقنط ، وهو استفهام في ضمنه النفي. والنفي بمعنى الجحد الذي ذكره ابن منظور .

وعند أبي حيان أنَّ (مَنْ) في آية الزلزلة شرطية – كما يظهر ذلك من كلامه – وذكر أيضاً قول من قال بأنَّها موصولة لا شرطية .

أمَّا آية الروم فلم يذكر فيها شيئاً يتعلق بمدلول (مَنْ) ، وقال في آية الأنبياء : وجمع الضمير في (يغوصون) حملاً على معنى (مِنْ) وحسن ذلك تقدم جمع قبله.

ولم يذكر في آية محمد شيئاً يتعلق بمدلول من[1] .

وعلى هذا فلا يمكننا المقارنة بينه وبين ابن منظور في المواضع التي سكت فيها ، أمَّا المواضع الأخرى فقد أورد فيها ما يوافق به ابن منظور فيما يتعلق بمدلول (مَنْ) .

وجوه القراءات :

آية الحجر :

قرأ أبوعمرو والكسائي (ومن يقنِط) بكسر النون ، والباقون بفتحها[2] .

أسباب النزول :

١/ آية الزلزلة :

قال السيوطي : (أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال : لمَّا نزلت : (وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ)[3] الآية كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه ، وكان آخرون يرون أنَّهم لا يلامون على الذنب اليسير : الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك ، ويقولون: إنَّما وعد الله النار على

---

(١) انظر : البحر المحيط ، لأبي حيان ، (٤٤٧/٥) ، (٤٩٨/٨) ، (١٧٢/٧) ، (٣٠٩/٦) ، (٧٩/٨) .

(٢) انظر : التيسير في القراءات السبع ، لأبي عمرو الداني ، ص ١٣٦ . وانظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص ٣٨٣ .

(٣) سورة الإنسان ، الآية (٨) .

الكبائر ، فأنزل الله : (فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ)[1])[2] .

٢/ آية محمد :

عن ابن جريج[3] قال : كان المؤمنون والمنافقون يجتمعون إلى النبي – ﷺ– فيسمع المؤمنون منهم ما يقول ويعونه ، ويسمعه المنافقون فلا يعونه ، فإذا خرجوا سألوا المؤمنين : ماذا قال آنفاً ؟ فنزلت : (وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ) الآية[4] .

المعنى العام للآيات :

١/ آية الحجر :

بيَّن الله – تعالى – في هذه الآية الكريمة أنَّ نبيه إبراهيم – عليه السلام – قال للملائكة: إنَّه لا يقنط من رحمة الله – جلَّ وعلا – إلا الضالون عن طريق الحق . وذلك عندما بشرته الملائكة بأن الله سيرزقه غلاماً عليماً ، فاستفهم عن ذلك ، فأخبرته الملائكة بأنَّهم بشروه بالحق فلا يكن من القانطين[5].

٢/ آية الزلزلة :

(فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرًا يَرَهُۥ) المثقال هو الوزن ، والذرة هي النملة الصغيرة ، والرؤية هنا ليست برؤية بصر بل هي الجزاء . وذكر الله – تعالى – مثقال الذرة تنبيهاً على ما هو أكبر منها بطريق الأولى ، كأنه قال : من يعمل قليلاً أو كثيراً ، وهذه الآية هي في المؤمنين ، لأنَّ الكافر لا يجازى في الآخرة

---

(١) سورة الزلزلة ، الآيتان (٧ ، ٨) .

(٢) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ٢٣٣ ، وانظر : تفسير القرآن ، لابن أبي حاتم ، (٣٤٥٦/١٠) .

(٣) ابن جريج : هو أبو الوليد عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج الرومي ، ثم المكي ، مولى بني أمية ، أخذ عن عطاء وطبقته ، وهو أول من صنف الكتب بالحجاز ، كان من أوعية العلم . توفي سنة (١٥٠هـ) . (انظر : المنتظم ، لابن الجوزي ، (١٢٤/٨) ، وانظر : شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، (٢٢٦/١) ، وانظر : العبر ، لشمس الدين الذهبي ، (٢١٣/١)) .

(٤) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ١٩٣ .

(٥) انظر : أضواء البيان ، للشنقيطي ، (٢٨٣/٢) .

على حسناته ، فهي لم تقبل منه . واستدل أهل السنة بهذه الآية على أنَّه لا يخلد مؤمن في النار ؛ لأنَّه إذا خلد لم ير ثواباً على إيمانه ، وعلى ما عمل من الحسنات[1].

٢/ آية الروم :

(مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥ) كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار ، لأنَّ من كان ضاره كفره فقد أحاطت به كل مضره (فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ) أي : يسوون لأنفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينغصه عليه . ويجوز أن يريد : فعلى أنفسهم يشفقون[2].

٣/ آية الأنبياء :

(وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ) أي : وسخرنا لسليمان – عليه السلام – من الشياطين (مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ) في البحار ، ويستخرجون له من نفائسها. (وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَ) ، أي : غير ما ذكر من بناء المدن والقصور ، واختراع الصنائع الغريبة. (وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ) من أن يزيغوا عن أمره ، أو يفسدوا على ما هو مقتضي جبلتهم[3].

٤/ آية محمد :

(وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ) ، أي : من هؤلاء الكفار ، وهم المنافقون ، يستمعون قول النبي – ﷺ – فلا يعونه ولا يفهمونه تهاوناً به وتغافلاً (حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ) من الصحابة (مَاذَا قَالَ) محمد (ءَانِفًاۚ) يعني الآن (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ) فلم يؤمنوا (وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ) في الكفر والنفاق[4].

---

(١) انظر : التسهيل ، للكلبي ، (٢١٣/٤) .

(٢) انظر : الكشاف ، للزمخشري ، (٤٨٩/٣) .

(٣) انظر : إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (٨٠/٦ ، ٨١) .

(٤) انظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (١٨١/٤) .

النص رقم (٣٦٤) و (٣٦٥) و (٣٦٦) و (٣٦٧)

يقول تعالى : [...وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ ...](١) .

ويقول تعالى: [...أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ...](٢) .

ويقول تعالى: [وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ...](٣) .

ويقول تعالى: [وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً...](٤) .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (الفرَّاء : تكون (مِنْ) ابتداء غاية ، وتكون بعضاً ، وتكون صلةً . قال الله – عزَّ وجل – : (وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ) ، أي : ما يعذب عن عمله وزن ذرة ... قال : (مِنْ) صلة هاهنا(٥)... الجوهري : تقول العرب : ما رأيته من سنة ، أي : منذ سنة . وفي التنزيل العزيز : (أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ) . قال : وتكون (مِنْ) بمعنى على ، كقوله تعالى : (وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ) ، أي : على القوم(٦) ... وتكون (مِنْ) بمعنى البدل كقول الله –تعالى– :(وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً)،معناه : ولو نشاء لجعلنا بدلكم) (٧).

---

(١) سورة يونس ،الآية (٦١) . وتمام الآية : [وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ] .

(٢) سورة التوبة ، الآية (١٠٨) . وتمام الآية : [لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ] .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية (٧٧) . وتمام الآية : [وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ] .

(٤) سورة الزخرف ، الآية (٦٠) . وتمام الآية : [وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ] .

(٥) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (١/٤٧٠) .

(٦) انظر : الصحاح ، للجوهري ، مادة (منن) ، (٦/٢٢٠٩) .

(٧) لسان العرب ، مادة (منن) ، (١٣/٤٢١ ، ٤٢٢) .

دراسة النصوص :

بَيَّن الطبري في معنى آية يونس أنَّه لا يخفي على ربك علم أصغر الأشياء، وإن خف في الوزن .

وقال في آية التوبة : وقيل : معنى قوله من أول يوم مبدأ أول يـــوم ، كمـــا تقول العرب : لم أره من يوم كذا ، بمعنى : مبدؤه .

ومبدأ بمعنى منذ التي ذكرها ابن منظور .

كما فسر الطبري (مِنْ) في آية الأنبياء بأنَّ معناها على ، ويرى أنَّ (مِنْ) في آية الزخرف بمعنى البدل[1].

فوافقه ابن منظور في جميع ذلك .

وبيَّن الرازي أنَّ المعنى في آية يونس أنَّه لا يبعد ولا يخرج عـــن علـــم الله شيء يساوي وزنه ذرة ، والذر صغار النمل.

أما آية التوبة فلم يتكلم فيها بشيء يتعلق بمعنى (مِنْ) ، ونقل في آية الأنبياء قولاً لأبي عبيدة ، وهو أن (مِنْ) بمعنى على .

أمَّا آية الزخرف فبين فيها أنَّ معنى قوله : (لجعلنا منكم ملائكة) لولدنا منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم في الأرض كما يخلفكم أولادكم[2].

فجعل الرازي الخلف بولادة الملائكة من البشر ، وليس بالتبديل .

فلم يخالفه ابن منظور إلا في هذا الموضع ، كما أنه لا مقارنة بينهما في آية التوبة .

وبيَّن القرطبي في آية يونس أنَّ (مِنْ) صلة ، والمعنى: وما يعزب عن ربك وزن ذرة ، أي : نميلة حمراء صغيرة،كما بيَّن في آية التوبة أنَّ(مِنْ) بمعنى منذ ، وقال في آية الأنبياء:قال أبوعبيدة (مِنْ) بمعنى على، وقيل : المعنى : فانتقمنا له .

وفسر القرطبي (مِنْ) في آية الزخرف بأنَّ معناها بدلاً منكم[3].

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٣٠/١١) ، (٢٦/١١) ، (٥٠/١٧) ، (٨٩/٢٥) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٩٩/١٧) ، (١٥٤/١٦) ، (١٦٨/٢٢) ، (١٩١/٢٧) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣٥٦/٨) ، (٢٦٠/٨) ، (٣٠٦/١١) ، (١٠٥/١٦) .

فلم يخالفه ابن منظور في شيء من معاني (مِنْ) في المواضع السابقة.

ولم يتعرض ابن كثير إلى مدلول (مِنْ) في آيتي يونس والتوبة ، ولم يذكر أنَّ (مِنْ) في آية الأنبياء بمعنى على ، حيثُ قال : ونصرناه من القوم ، أي : ونجيناه وخلصناه منتصراً من القوم .

وجعل ابن كثير (مِنْ) في آية الزخرف بمعنى البدل(1).

وعلى هذا فلا يُوافق ابن منظور إلا في هذا الموضع الأخير ، أمَّا في موضع الأنبياء فقد خالفه ، ولا مقارنة بينهما في آيتي يونس والتوبة .

وقال الثعلبي في آية يونس : (مِنْ) صلة ، معناه : وما يعزب عن ربك وزن ذرة ، وهي النملة الحمراء الصغيرة .

ونقل في آية التوبة قول من قال : إنَّ (مِنْ) بمعنى منذ ، ولم يُفسر (مِنْ) في آية الأنبياء بأن معناها على ، بل قال : ونصرناه : منعناه من القوم .

ويرى أنَّ (مِنْ) في آية الزخرف بمعنى البدل(2).

وعلى هذا فإنَّ ابن منظور يوافقه في جميع المواضع السابقة عدا موضع الأنبياء ، فإنَّه يخالفه فيه .

وجوه القراءات :

آية يونس :

قرأ الكسائي : (وما يعزِب) بكسر الزاي ، ووافقه الأعمش . وقرأ الباقون بضمها ، وهما لغتان في مضارع عزب(3).

المعنى العام للآيات :

1/ آية يونس :

(وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ) ، أي : ما تكون في أمر في تلاوة قرآن ، والخطاب للرسول – ﷺ– . (وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ) تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم. (إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا) رقباء مُطلعين عليه. (إِذْ

---

(1) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢/٤٢٣) ، (٢/٣٩٠) ، (٣/١٨٦) ، (٤/١٣٣) .

(2) انظر : الكشف والبيان ، للثعلبي ، (٥/١٣٦) ، (٥/٩٤) ، (٦/٢٨٤) ، (٨/٣٤١) .

(3) انظر : إتحاف فضلاء البشر ، للدمياطي ، ص٣١٦ .

﴿تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تخوضون فيه وتندفعون. ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ ولا يبعد عنه ، ولا يغيب عن علمه ﴿مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ﴾ موازن نملة صغيرة أو هباء. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، أي : في الوجود والإمكان ، فإنَّ العامة لا تعرف ممكناً غيرهما. ﴿وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾ ، أي : في لوح محفوظ(١).

٢/ آية التوبة :

﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ﴾ نهى الله – تعالى – رسوله – ﷺ – أن يأتي مسجد الضرار ويصلي فيه ، فكان رسول الله – ﷺ – لا يمر بطريقه. ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ﴾ ، قيل : هو مسجد قباء ، وقيل مسجد النبي – ﷺ – بالمدينة. ﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ كانوا يستنجون بالماء. ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾ ، أي : بالماء أو من الذنوب والشرك(٢).

٣/ آية الأنبياء :

﴿وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ﴾ ، أي : على القوم ، والمراد نوح – عليه السلام – ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ﴾ يعنى: كذبوا نوحاً بما أنذرهم من الغرق. ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ يعني : كانوا كفاراً فأغرقنا منهم الصغير والكبير، فلم يبق منهم أحد إلا هلك بالطوفان(٣).

٤/ آية الزخرف :

﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ﴾ ، أي : بني إسرائيل ، يعني : لو نشاء لأهلكناكم ، وجعلنا بدلاً منكم ملائكة. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ﴾ يكونون خلفاء منكم ، يعمرون الأرض ويعبدونني ويطيعونني ، وقيل : يخلف بعضهم بعضاً(٤).

---

(١) انظر : أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، (٣/٢٠٦) .

(٢) انظر : التسهيل ، للكلبي ، (٢/٨٥) ، وانظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢/٣٩١) .

(٣) انظر : بحر العلوم ، للسمرقندي ، (٢/٤٣٣) .

(٤) انظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٤/١٤٣) .

النص رقم (٣٦٨) و (٣٦٩) و (٣٧٠) و (٣٧١)

يقول تعالى : [... فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا...](١) .

ويقول تعالى : [...فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ...](٢) .

ويقول تعالى : [وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ...](٣) .

ويقول تعالى : [مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ...](٤) .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (وتكون* للجنس كقوله تعالى : (فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا)، فإن قيل : كيف يجوز أن يقبل الرجل المهر كله ، وإنّما قال منه ؟ فالجواب في ذلك أنَّ (مِنْ) هنا للجنس ، كما قال تعالى : (فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ) ، ولم نؤمر باجتناب بعض الأوثان ولكن المعنى : فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن ، وكلوا الشيء الذي هو مهر ... قال الجوهري : وقد تدخل (مِنْ) توكيداً لغواً . قال : قال الأخفش : ومنه قوله تعالى : (وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ

---

(١) سورة النساء ، الآية (٤) . وتمام الآية : [وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا] .

(٢) سورة الحج ، الآية (٣٠) . وتمام الآية : [ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ] .

(٣) سورة الزمر ، الآية (٧٥) . وتمام الآية : [وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ] .

(٤) سورة الأحزاب ، الآية (٤) . وتمام الآية : [مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ] .

* يُريد (مِنْ) . (انظر : لسان العرب مادة (منن) ، (٤٢٢/٣١) .

حَوْلِ ٱلْعَرْشِ) ، وقـــال : (مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ) ، إنَّمـــا أدخل (مِنْ) توكيداً ، كما تقول : رأيت زيداً نفسَهُ[1])[2].

دراسة النصوص :

لم يبين الطبري مدلول (مِنْ) في آية النساء ، ولا في آية الحج ، لكنه قال في آية الحج : فإن قال قائل : وهل من الأوثان ما ليس برجس حتى قيل : فــاجتنبوا الرجس منها ؟ قيل : كلها رجس ، وليس المعنى ما ذهبت إليه في ذلــك ، وإنَّمــا معنى الكلام : فاجتنبوا الرجس الذي يكون من الأوثان ، أي : عبادتها .

وقال في آية الزمر : واختلف أهل العربية في وجه دخول (مِنْ) في قولـــه : (حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ) والمعنى : حافين حول العرش ، فقال بعض نحويي البصرة : أُدخلت (مِنْ) توكيداً ، والله أعلم ، وقيل : (حول) وما أشبهها ظــروف تدخل فيها (مِنْ) وتخرج.

ثُمَّ صوب الطبري القول بأنَّ (مِنْ) بمعنى التوكيد .

ولم يبين الطبري مدلول (مِنْ) في آية الأحزاب[3] .

وعلى هذا فإنَّ ابن منظور يوافقه في المواضع التي بيَّن فيها مدلول (مِـــنْ) ، ولا مقارنة بينهما في المواضع التي سكت فيها عن بيان ذلك .

وقال الرازي في آية النساء : (مِنْ) في قوله (مِنْه) لــيس للتبعــيض ، بــل للتبيين ، والمعنى : عن شيء من هذا الجنس الذي هو مهر ، كقولـــه : (فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ) ، وذلك أنَّ المرأة لو طابت نفسها عن جميع المهر حــلَّ للزوج أنَّ يأخذه بالكلية .

---

(١) انظر : الصحاح ، للجوهري ، مادة (مــنن) ، (٢٢٠٩/٦) ، وانظــر : معــاني القــرآن ، للأخفــش ، (٤٣٠/١) .

(٢) لسان العرب ، مادة (منن) ، (٤٢٢/١٣) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٤١/٤) ، (١٥٥/١٧) ، (٣٨/٢٤) ، (١١٨/٢١) .

أمَّا آيتي الزمر والأحزاب فلم يبين فيهما مدلول مِنْ[1] .

وعلى هذا فإنَّ ابن منظور يتفق معه في آيتي النساء والحج ، ولا مقارنة بينهما في آيتي الزمر والأحزاب .

ولم يتعرض القرطبي للكلام عن مدلول (مِنْ) في آية النساء ، ولكنه قال في آية الحج : (مِنْ) في قوله : (من الأوثان) ، قيل : إنَّها لبيان الجنس ، فيقع نهيه عن رجس الأوثان فقط ، ويبقى سائر الأرجاس نهيها في غير هذا الموضع .

ويحُتمل أن تكون لابتداء الغاية ، فكأنَّه نهاهم عن الرجس عامّاً ، ثُمَّ عيَّن لهم مبدأه الذي منه يلحقهم ، إذ عبادة الوثن جامعة لكل فساد ورجس ، ومن قال : إنَّ (مِنْ) للتبعيض قلب معنى الآية وأفسده .

وقال في آية الزمر : ودخلت (مِنْ) على (حول) ، لأنَّه ظرف ، والفعل يتعدى إلى الظرف بحرف وبغير حرف ، وقال الأخفش : (مِنْ) زائدة ، أي : حافين حول العرش ، فمنْ توكيد .

أمَّا آية الأحزاب فلم يذكر القرطبي فيها شيئاً يتعلق بمعنى (مِنْ) [2].

وعلى هذا فإنَّ ابن منظور يتفق مع القرطبي في آية الحج ، وإن كان القرطبي قد ذكر فيها وجهين لمدلول (مِنْ) أحدهما قول ابن منظور .

أمَّا آية الزمر فقد خالف ابن منظور فيها القرطبي ، إذ لم يعتبر القرطبي أنَّ (مِنْ) فيها زائدة للتوكيد ، بل دخلت على الظرف متعديّاً بها الفعل .

ولا وجه للمقارنة بين ابن منظور والقرطبي في آيتي النساء والأحزاب .

ولم يبين ابن كثير مدلول (مِنْ) في آية النساء ، وذكر في آية الحج أنَّ (مِنْ) لبيان الجنس ، أي : اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان .

وأيضاً لم يذكر ابن كثير في آيتي الزمر والأحزاب شيئاً يتعلق بمدلول (مِنْ)[3].

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٤٨/٩) ، (٢١/٢٧) ، (١٦٦/٢٥) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٤/٥) ، (٥٤/١٢) ، (٢٧٨/١٥) ، (١١٦/١٤) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٥٢/١) ، (٢١٩/٣) ، (٦٩/٤) ، (٤٦٦/٣) .

فلا وجه للمقارنة بينه وبين ابن منظور في جميع المواضـع عـدا موضـع الحج، فإنَّه وافقه فيه .

وذكر أبوحيَّان في آية النساء أنَّ ظاهر (مِنْ) للتبعيض ، وفيه إشارة إلـى أنَّ ما تهبه يكون بعضاً من الصداق . ويرى أنَّ (مِنْ) في آية الحج لبيـان الجـنس، وذكر في آية الزمر قولين ، أحدهما : إنَّ (مَنْ) زائـدة ، وذكـر أنَّ ذلـك قـول الأخفش، أي : حافين حول العرش . وثانيهما : إنَّ (مِنْ) لابتداء الغاية ولم يـرجح أبوحيان أحد القولين .

ولم يذكر شيئاً عن مدلول (مِنْ) في آية الأحزاب[1].

وعلى هذا فهو يخالف ابن منظور في آية النساء ، ويوافقه في آيـة الحـج، ويزيد عليه قولاً آخر في آية الزمر ، ولا وجه للمقارنة بينهما في آية الأحزاب.

أسباب النزول :

١/ آية النساء :

قال الثعلبي : قيل : إنَّ أُناساً كانوا يتأثمون أن يرجع أحدهم في شـيء ممَّـا ساق إلى امرأته ، فقـال الله – تعـالى – : (فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا)[2].

٢/ آية الأحزاب :

أخرج الترمذي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : قام النبي – ﷺ– يوماً يُصلي فخطر خطرة ، فقال المنافقون الذين يصلون معه : ألا تـرى أنَّ لـه قلبين . قلباً معكم ، وقلباً معه ، فأنزل الله : (مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ)[3].

---

(١) انظر : البحر المحيط ، لأبي حيّان ، (١٧٥/٣) ، (٣٤٠/٦) ، (٤٢٥/٧) ، (٢٠٧/٧) .

(٢) انظر : العجاب ، لابن حجر (٨٣٠/٢) ، وانظر : الكشف والبيان ، للثعلبي ، (٢٥٠/٣) .

(٣) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ١٧١.

والحديث أخرجه الترمذي في سننه في : ٤٨ – كتاب التفسير ، ٣٤ – باب : ومن سـورة الأحـزاب، حديث رقم (٣١٩٩) ، (٣٤٨/٥) ، وقال الترمذي : حديث حسن .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق ضعيف عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة قالوا : كان رجل يُدعى ذا القلبين ، فنزلت[1].

المعنى العام للآيات :

١/ آية النساء :

(وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ) خطاب للأزواج ، وقيل : للأولياء ؛ لأنَّ بعضهم كان يأكل صداق وليته، وقيل : نهى عن الشغار . (نِحۡلَةٗ) عطية منكم لهنّ ، أو عطية من الله ، وقيل : معنى (نحلة) ، أي : شرعة وديانة . (فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ) إباحة للأزواج أو الأولياء أن يأخذوا ما دفعه النساء من صدقاتهن عن طيب أنفسهن . (فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا) عبارة عن التحليل ، ومبالغة في الإباحة : من قولك هنؤ الطعام ومرؤ إذا كان سائغاً لا تنغيص فيه[2].

٢/ آية الحج :

(ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ) ، أي : أحكامه وسائر ما لا يحل هتكه ، وقيل : الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف ، وقيل : الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام. (فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ) ، أي : فهذا التعظيم خير له ثواباً في الآخرة. (وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ) وهي الأزواج الثمانية على الإطلاق (إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ) تحريمه كالميتة ، وما أُهل به لغير الله تعالى. (فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ) أمر باجتناب ما هو أقصى الحرمات. (وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ) تعميم بعد تخصيص ، فإنَّ عبادة الأوثان رأس الزور ، والزُّور من الزَّوْر، وهو : الانحراف[3] .

(١) انظر : تفسير القرآن ، لابن أبي حاتم ، (٣١٣٠/١٠) .

(٢) انظر : التسهيل ، للكلبي ، (١٣٠/١) .

(٣) انظر : إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (١٠٥/٦) .

٣/ آية الزمر :

(وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ) ، أي : محدقين محيطـين. (يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ) ، أي : بأمر ربهم ، وقيل : يسـبحون حامـدين لـربهم. (وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ) ، أي : بالعدل. (وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) يعنى : وقال : أهل الجنة: الحمد لله رب العالمين(١).

٤/ آية الأحزاب :

يقول تعالى موطئاً قبل المقصود المعنوي أمراً معروفاً حسيّاً ، وهو أنَّه كمـا لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه ، ولا تصير زوجته التي يُظـاهر منهـا بقوله : أنت عليَّ كظهر أمي أمًّا له ، كذلك لا يصير الدَّعي ولداً للرجل إذا تبناه ، فدعاه إبنـاً لـه، فقـال:(مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ) وهـذا النفي الأخير هو المقصود ، فإنَّها نزلت في شأن زيد بن حارثـة – رضي الله عنه – مـولى النبي – صلى الله عليه وسلم– . كان النبي – صلى الله عليه وسلم– قد تبناه قبل النبوة ، حتى قيل له : زيد بن محمد فأراد الله – تعالى – أن يقطع هـذا الإلحـاق. (ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ) يعنـى تبنيكم لهم لا يقتضي أن يكون أبنـاً حقيقيـاً .(وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ) العـدل (وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ) ، أي : الصراط المستقيم(٢).

---

(١) انظر : تفسير القرآن ، للسمعاني ، (٤/٤٨٤) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٣/٤٦٦ ، ٤٦٧) .

النص رقم (٣٧٢) و (٣٧٣) و (٣٧٤) و (٣٧٥)

يقول تعالى : [...مِّن مَّنِيٍّ يُمۡنَىٰ][١] .

ويقول تعالى : [...إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ...][٢] .

ويقول تعالى : [وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ...][٣] .

ويقول تعالى : [وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ][٤] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (والمَنيُّ (مشدد) : ماء الرجل : وفي التنزيل العزيز : (مِّن مَّنِيٍّ يُمۡنَىٰ) ، وقرئ بالتاء عل النطفة ، والياء على المَنيَّ ... وتَمَنِّى الكتاب : قرأهُ وكتبه . وفي التنزيل العزيز : (إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ) ، أي : قرأ وتلا فألقى في تلاوته ما ليس فيه ... والتَّمَنّي التِّلاوة . وتَمَنَّى إذا تلا القرآن ... والتلاوة سميت أمنية ؛ لأن تالي القرآن إذا مرَّ بآية رحمة تمنَّاها ، وإذا مرَّ بآية عذاب تَّمنَّى أن يُوقَّاه . وفي التنزيل العزيز : (وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ) . قال أبوإسحق : معناه : لا يعلمون الكتاب إلا تلاوة ، وقيل : إلا أمانيَّ إلا أكاذيب ، والعرب تقول : أنت إنَّما تَمْتَنى هذا القول ، أي : تختلقه . قال : ويجوز أن يكون (أَمَانِيَّ) نسب إلى أن القائل إذا قال ما لا يعلمه فكأنَّه إنما يَتَمَنَّاه[٥] ... ومَنَاةُ : صخرة ، وفي الصحاح : ضم كان لهذيل وخزاعة بين مكة

---

(١) سورة القيامة ، الآية (٣٧) . وتمام الآية : [أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيٍّ يُمۡنَىٰ] .

(٢) سورة الحج ، الآية (٥٢) . وتمام الآية : [وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ] .

(٣) سورة البقرة، الآية (٧٨).وتمام الآية : [وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ] .

(٤) النجم ، الآية (٢٠) .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (١/١٤٣) .

والمدينة[1]، يعبدونها من دون الله ، من قولك : مَنَوْتُ الشْيءَ ، وقيل : مناةُ اسم ضم كان لأهل الجاهلية . وفي التنزيل العزيز : (وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ))[2].

دراسة النصوص :

فسر الطبري المني الذي ورد ذكره في آية القيامة بأنَّه ماء الرجل ، وذكر القراءتين الواردتين في قوله (يمنى) ، وهما : القراءة بالتاء ، أي : تمنى النطفة ، والقراءة بالياء ، بمعنى : يمنى المني .

ونقل الطبري كذلك اختلاف أهل التأويل في معنى قوله : (تَمَنَّى) ، فذكر لهم قولين في ذلك ، أحدهما : إنَّ التمني من النبي – ﷺ – ما حدثته نفسه من محبته مقاربة قومه في ذكر آلهتهم ببعض ما يحبون*، وثانيهما : إنَّ معنى ذلك : إذا قرأ وتلا أو حدث .

ثُمَّ رجح الطبري هذا القول الثاني .

وفي آية البقرة ذكر الطبري الأقوال الثلاثة التي عند ابن منظور ، ثُمَّ رجح منها القول بأنَّ المراد بالأماني تخلق الكذب وتخرصه وافتعاله .

ونقل في آية النجم قول قتادة ، وهو أنَّ مناة واللات والعزى آلهة كانت بقديد[3] وكانوا يعبدونها ، وذكر أيضاً قول ابن زيد ، وهو أنَّ مناة بيت كان بالمشلل** يعبده بنو كعب ، وقال : كان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول : اللات والعزى ومناة الثالثة أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها[4].

---

(١) انظر : الصحاح ، للجوهري ، مادة (منى) ، (٢٤٩٨/٦) .

(٢) لسان العرب ، مادة (منى) ، (٢٩٤/١٥ – ٢٩٧) .

* واستبعد وقوع ذلك من النبي – ﷺ – لعصمته .

(٣) قديد : اسم موضع قرب مكة ، وسميت قديد لتقدد السيول بها ، وهي لخزاعة . (انظر : معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، (٣١٣/٤) ، وانظر : معجم ما استعجم ، لأبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري ، تحقيق : مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ ، (١٠٥٤/٣)) .

** المُشَلَّل : (بالضم ثم الفتح) ، والشل : الطود ، وهو جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر . (انظر : المرجع السابق الأول ، (١٣٦/٥)) .

(٤) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٠١/٢٩) ، (١٨٩/١٧ ، ١٩٠) ، (٣٧٥/١) ، (٥٩/٢٧ ، ٦٠) .

وعلى هذا فلا خلاف بين الطبري وابن منظور في معاني هذه المفردات في الآيات السابقة ، غير أنَّ الطبري – بصفته مفسراً – أكثر تفصيلاً في بيان هذه المعاني من ابن منظور ، كما امتاز على ابن منظور في بعض المواضع بالترجيح أيضاً .

وذكر الرازي في آية القيامة في معنى المني ما يفيد أنَّه ماء الرجل ، وبيَّن كذلك القراءتين في قوله (يمنى) ومعناهما بما وافقه فيه ابن منظور .

وذكر الرازي في آية الحج أنَّ التمني جاء في اللغة لأمرين ، أحدهما تمني القلب ، والثاني القراءة .

وأورد الأقوال الثلاثة التي عند ابن منظور فيما يتعلق بمعنى قوله (أماني) في آية البقرة ، وقد أوردها الطبري كذلك.

ثُمَّ بين الرازي أنَّ الأَوْلى حملها على القراءة .

وفي آية النجم ذكر الرازي أنَّ مناة صنم الصفا ، وهي صخرة كانت لهذيل وخزاعة(١).

فلا خلاف بينه وبين ابن منظور في المواضع السابقة ، غير أنَّه في آية النجم ذكر قولاً واحداً من القولين اللذين أوردهما ابن منظور .

وذكر القرطبي معنى المني ، والقراءتين الواردتين على قوله (يمنى) ، والمعنى على كل قراءة بما وافقه فيه ابن منظور .

وبيَّن القرطبي أنَّ التمني في آية الحج معناه القراءة والتلاوة ، ويرى أنَّ الأماني في آية البقرة جمع أمنية ، وهي التلاوة أيضاً .

ونقل القرطبي في آية النجم قول الجوهري في "الصحاح" ، وهو أنَّ مناة اسم صنم كان لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة(٢).

وعلى هذا فلا خلاف بينه وبين ابن منظور في جميع المواضع السابقة .

---

(١)انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٠٧/٣٠) ، (٤٥/٢٣) ، (١٢٧/٣ ، ١٢٨) ، (٢٥٥/٢٨) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١١٧/١٩) ، (٧٩/١٢) ، (٦/٢) ، (١٠٢/١٧) .

ووافق ابن كثير ابن منظور في معنى المني في آية القيامة إلا أنَّ ابن كثير لم يورد القراءتين في قوله (يمنى) .

ونقل في آية الحج قول من قال: إنَّ التمني هو الحديث ، وقول من قال : هو التلاوة والقراءة .

وذكر في آية البقرة الأقوال الثلاثة التي قيلت في تفسير (الأماني) ، ثُمَّ بيَّن أنَّ الأشبه بالصواب قول الضحاك عن ابن عباس – رضي الله عنهما – ، وهو أنَّ (الأماني) بمعنى الأكاذيب .

وقال في آية النجم : وأمَّا مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة ، وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ، ويهلون منها للحج إلى الكعبة[1] .

فلا خلاف بين ابن كثير وابن منظور في ذلك جميعاً إلا أنَّ ابن كثير أكثر بياناً وتفصيلاً وترجيحاً من ابن منظور .

ووافق الخازن[2] كذلك ابن منظور في معنى المني ، إلا أنَّه لم يورد أيضاً وجوه القراءات ومعانيها في وقوله (يمنى) .

وخالفه في آية الحج حيثُ فسر التمني بما يحبه الإنسان ويشتهيه ويريده ، ويحدث به نفسه .

وذكر الخازن في آية البقرة أحد أقوال ابن منظور ، وهو أنَّ الأماني جمع أمنية ، وهي التلاوة .

ونقل جميع الأقوال التي قيلت في (مناة) ، ومن بينها الأقوال التي ذكرها ابن منظور[3].

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٥٣/٤) ، (٢٣١/٣) ، (١١٧/١ ، ١١٨) ، (٢٥٤/٤) .

(٢) الخازن : هو علي بن محمد بن إبراهيم ، علاء الدين ، أبوالحسن ، الشافعي ، خازن كتب خانقاه السميساطية بدمشق . ولد ببغداد سنة (٦٧٨هـ) وسمع الحديث ، وكان صالحاً خيراً . جمع وألف ، فمن تأليفه تفسير القرآن المسمى : لباب التأويل في معاني التنزيل ، وشرح عمدة الأحكام ومقبول المنقول ، وكان صوفياً بالخانقاه المذكورة . توفي سنة (٧٤١هـ) . (انظر : شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، (١٣١/٦) ، وانظر : الوفيات ، لابن رافع السلامي ، (٣٧١/١)).

(٣) انظر : لباب التأويل ، للخازن ، (٣٣١/٦) ، (٣٦٠/٤) ، (١٠١/١) ، (٤٨/٦) .

وجوه القراءات :

١/ آية القيامة :

قرأ ابن كثير ونافع وأبوبكر عن عاصم وحمزة والكسائي : (من مني تمنى) بالتاء ، وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم (يمنى) بالياء[(١)].

٢/ آية النجم :

قرأ ابن كثير : (مناءة) مهموزة ممدودة ، وقرأ الباقون : (مناة) بغير همز ، وهما لغتان[(٢)].

أسباب النزول :

١/ آية الحج :

ذكر السيوطي عن محمد بن كعب القرظي أنَّه – ﷺ – قرأ : (وَٱلنَّجۡمِ) [(٣)] إلى (أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ)[(٤)] ، فألقي عليه الشيطان : تلك الغرانيق* العلى ، وإنَّ شفاعتهن لترتجى ، فمازال مهموماً حتى أنزل الله : (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ) الآية[(٥)].

٢/ آية البقرة :

أخرج الطبري من طريق ابن جريج عن مجاهد في هذه الآية : (وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ) . قال ناس من اليهود لم يكونوا يعلمون شيئاً ، وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما في كتاب الله – تعالى – ويقولون : هو من الكتاب . أماني يتمنونها[(٦)].

---

(١) انظر : السبعة في القراءات ، لابن مجاهد ، ص ٦٦٢ .

(٢) انظر : حجة القراءات ، لابن زنجلة ، ص ٦٨٥ .

(٣) سورة النجم ، الآية (١) .

(٤) سورة النجم ، الآية (١٩) .

* الغُرْنَيق : بضم الغين ، وفتح النون ، من طير الماء ، طويل العنق ، والجمع : الغرانق والغرانيق والغرانقة . هذا أصل الكلمة في اللغة ، وقد أطلقت على الأصنام أيضاً . (انظر : الصحاح ، للجوهري ، مادة (غرق) ، (١٥٣٧/٤)) .

(٥) انظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ١٣٨ ، وانظر : أسباب النزول ، للواحدي ، ص (٣٠٢ – ٣٠٤).

(٦) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٣٧٥/١) ، وانظر : العجاب ، لابن حجر ، (٢٧٠/١) .

المعنى العام للآيات :

١/ آية القيامة :

(أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةً مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ) ألم يكن هذا الإنسان المنكر قدرة الله على إحيائه من بعد مماته ، وإيجاده من بعد فنائه نطفة ، يعني ماءً قليلاً في صلب الرجل من مني(١).

٢/ آية الحج :

(وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ) ، أي : قرأ : (أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ) في قراءته ما ليس من القرآن ممَّا يرضاه المرسل إليهم ، وقد قرأ النبي – ﷺ – في سورة النجم بمجلس من قريش : (أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ * وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ) فألقى الشيطان على قراءته من غير علمه – ﷺ – به : تلك الغرانيق العلا ، وإنَّ شفاعتهن لترتجى ، ففرحوا بذلك ، ثم أخبره جبريل – عليه السلام – بما ألقاه الشيطان على قراءته من ذلك ، فحزن ، فسُلِّي بهذه الآية ليطمئن. (فَيَنسَخُ ٱللَّهُ) ، أي : يبطل (يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ) يثبتها. (وَٱللَّهُ عَلِيمٌ) بإلقاء الشيطان ما ذكر (حَكِيمٌ) في تمكينه ، يفعل ما يشاء(٢).

٣/ آية البقرة :

(وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ) هم ناس من اليهود لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئاً ، وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما في كتاب الله – تعالى – ويقولون : هو من الكتاب ، ما هي إلاَّ أماني يتمنونها(٣).

---

(١) انظر : المرجع السابق الأول ، (٢٠١/٢٩) .

(٢) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٤٤١ .

(٣) انظر : الدر المنثور ، للسيوطي ، (٢٠٠/١) .

٤/ آية النجم :

(وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ) ، أي : أخبرونا عن هذه الأشياء التي تعبدونها من دون الله – عز وجل – هل لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العـــزة . واللات والعزى ومناة أصنام لهم كانوا يعبدونها ، وكانت منـــاة صـــخرة لهـــذيل وخزاعة ، وقيل : لثقيف(١).

النص رقم (٣٧٦) و (٣٧٧) و (٣٧٨) :

يقول تعالى : [لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٍ...](٢).

ويقول تعالى : [...فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ](٣).

ويقول تعالى : [...مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيًّا](٤).

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (مَهَدَ لنفسه يَمْهَدُ مَهْداً : كَسَبَ وعَمِلَ. والمِهَادُ : الفِراش . وقد مَهَدْتُ الفِراشَ مَهْداً : بَسَطْتُه ووَطَّأتُهُ . يُقال للفِراش مهـــاد لوِثارَتِـــه . وفـــي التنزيل : (لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٍ) ... ومنه قولـــه تعـــالى : (فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ) ، أي : يُوَطِّئُون ... والمَهْدُ : مَهْدُ الصبيّ ، وَمَهْدُ الصبي : موضعه الذي يُهَيَّأُ له ويُوَطَّأُ لينام فيـــه . وفـــي التنزيـــل : (مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيًّا)(٥).

---

(١) انظر : مدارك التنزيل ، للنسفي ، (١٨٩/٤) .

(٢) سورة الأعراف،الآية(٤١).وتمام الآية:[لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٍۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ]

(٣) سورة الروم ، الآية (٤٤) . وتمام الآية : [مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ] .

(٤) سورة مريم ، الآية (٢٩) . وتمام الآية : [فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيًّا] .

(٥) لسان العرب ، مادة (مهد) ، (٤١٠/٣ ، ٤١١) .

دراسة النص :

قال الطبري في آية الأعراف في بيان معنى المهاد : وهو ما امتهدوه ممَّا يُقعد عليه ، ويضطجع كالفراش الذي يُفرش ، والبساط الذي يُبسط .

وقال في آية الروم : فلأنفسهم يمهدون ، يقول : فلأنفسهم يستعدون ويسوون المضجع ليسلموا من عقاب ربهم .

وقال في آية مريم : وقيل : إنَّه عنى بالمهد في هذا الموضع حجر أُمه(١).

فلم يخالف ابن منظور الطبري في معنى هذه المشتقات في المواضع الثلاثة، غير أنَّ الطبري يُعْنَى بالناحية التفسيرية ، وأمَّا ابن منظور ، فإنَّه يهتم بالناحية اللغوية فقط ، وكذلك تكلم في آية مريم عن المعنى اللغوي للمهد تعميماً ، وأمَّا الطبري فقد بيَّن المراد في هذه الآية من المهد .

وفسَّر الرازي المهاد في آية الأعراف بالفراش ، ويرى أنَّ قوله : (يَمۡهَدُون) في آية الروم معناه ما يُمهد المؤمن لفعله الخير وعمله الصالح ، وهو الجزاء الذي يجازيه به الله تعالى .

وبَيَّن الرازي الخلاف في معنى المهد في آية مريم ، فذكر في ذلك قولين ، أحدهما : إنَّ المهد ما يُعد للصبي ، وثانيهما : إنّ المراد حجر أمه(٢).

وعلى هذا فلا خلاف بينه وبين ابن منظور في معاني هذه المفردات اللغوية وإن اختلفت الألفاظ ، مع اهتمام ابن منظور بالجانب اللغوي فقط .

وفسّر القرطبي المهاد بالفراش ، وفصَّل القول في تفسير قوله : (يَمۡهَدُون)، حيثُ قال : (وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ) ، أي : يُوطئون لأنفسهم في الآخرة فراشاً ومسكناً وقراراً بالعمل الصالح، ومنه مهد الصبي ، والمهاد الفراش ، وقد مهدتُ الفراش مَهْداً بسطته ووطأته ، وتمهيد الأمور : تسويتها ، وإصلاحها، وتمهيد العذر بسطه وقبوله ، والتمهد التمكن ، وعن مجاهد : فلأنفسهم يمهدون . قال : في القبر.

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٨٢/٨) ، (٥١/٢١) ، (٧٩/١٦) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٦٤/١٤) ، (١١٤/٢٥) ، (١٧٨/٢١) .

وذكر القرطبي كذلك القولين في المراد بالمهد في آية مريم ، وهما : القول بأنّ المهد سرير ، والقول بأنَّه هنا هو حجر الأم[1].

وأيضاً فلا خلاف بينه وبين ابن منظور في جميع المواضع مع تفصيل القرطبي – إضافة إلى الجانب اللغوي – في الناحية التفسيرية .

ونقل ابن كثير في آية الأعراف في معنى المهاد قول محمد بن كعب القرظي، وهو أنَّ المهاد الفرش . ولم يذكر غيره فدلّ على اختياره له .

أمَّا آية الروم فلم يبين فيها معنى قوله : (يمهدون) ، وذكر في آية مريم ما يفيد أنَّ المهد هو ما يهيأ للصبي ، والمعنى : من هو موجود في مهده في حال صباه وصغره[2].

فوافق ابن منظور في آيتي الأعراف ومريم ، ولا مقارنة بينهما في آية الروم. وبَيَّن ابن الجوزي أنَّ المهاد هو الفراش ، ويمهدون: يوطئون. قال : وقال مجاهد : يسوون المضاجع في القبور.

وذكر ابن الجوزي في تفسير المهد قولين : هما : ١/ الحِجر ٢/ سرير الصبي المعروف[3].

فلا خلاف بينه وبين ابن منظور على ذلك .

المعنى العام للآيات :

١/ آية الأعراف :

(لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ) ، أي : للكفرة والمكذبين ، يعني جهنم فراش لهم ومسكن ومضجع يتمهدونه . (وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) جمع غاشية ، وهي ما يغشى الإنسان ، أي : يغطيه ويستره من جهة فوق كاللحف . (وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ) لأنفسهم جزاءً وفاقاً ، وما ربك بظلام للعبيد[4].

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٠٧/٧) ، (٤٢/١٤) ، (١٠٢/١١) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢١٥/٢) ، (٤٣٧/٣) ، (١٢٠/٣) .

(٣) انظر : زاد المسير ، لابن الجوزي ، (١٩٩/٣) ، (٣٠٧/٦) ، (٢٢٨/٥) .

(٤) انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية ، (٤٠١/٢) ، وانظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ٢٨٩.

٢/ آية الروم* .

٣/ آية مريم** .

النص رقم (٣٧٩) و (٣٨٠) و (٣٨١) و (٣٨٢)

يقول تعالى : [...يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِى ٱلۡوُجُوهَ ...](١).

ويقول تعالى : [يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ](٢).

ويقول تعالى : [...وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً](٣).

ويقول تعالى : [فَمَهِّلِ ٱلۡكَـٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ...](٤).

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (والمُهْلُ : اسمٌ يجمع معدنيَّات الجواهر. والمهُلُ : ما ذاب من صُفْر أو حديد . والمُهْلُ والمُهلَة : ضَرْبٌ من القطران مَا هِيٌّ رقيق يشبه الزيت ، وهو يضرب إلى الصفرةِ من مَهَاوَتِهِ ، وهو دسِم تُدْهَنُ به الإبل في الشتاء ... وقوله – عزَّ وجل – : (يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلۡمُهۡلِ) يُقال : هو النُّحاس المذاب ... والمُهْلُ أيضاً : القَيْحُ والصَّدِيدُ ، وقال الزجَّاج : في قوله – عزَّ وجل

* سبق تفسيرها في دراسة النص رقم (٣٦١) .

** سبق تفسيرها أيضاً في دراسة النص رقم (١٢٠) .

(١) سورة الكهف ، الآية (٢٩) . وتمام الآية : [وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡ ۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِى ٱلۡوُجُوهَ ۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا] .

(٢) سورة المعارج ، الآية (٨) .

(٣) سورة المزمل ، الآية (١٤) . وتمام الآية : [يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً] .

(٤) سورة الطارق ، الآية (١٧) . وتمام الآية : [فَمَهِّلِ ٱلۡكَـٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدًۢا] .

- : (يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ) قال : المهل: دُرْدِيُّ الزيت* [1] ... وقال الفـرَّاء في قوله تعالى : (وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴿١٤﴾) : (الكثيب : الرَّمْل، والمهيلُ : الذي يحرك أسفله فينهال عليه من أعلاه) [2]... وقال اللَّيْثُ : المَهْلُ : السـكينة والوقـار ... وقـال الله - عـزَّ وجـل - : (فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ) ... أي : أنظرهم) [3].

دراسة النصوص :

ذكر الطبري اختلاف أهل التأويل في معنى المهل الذي ورد ذكره في آيـة الكهف على أقوال ، وهي : ١/ المُهْل : كل شيء أذيب وانماع ٢/ هو القيح والدم الأسود وعكر الزيت . ٣/ هو الشيء الذي قد انتهى حرَّهً .

ثُمَّ قال الطبري : وهذه الأقوال وإن اختلفت بها ألفـاظ قائليهـا فمتقاربـات المعنى، وذلك أنَّ كل ما أُذيب من رصاص أو ذهب أو فضة فقد انتهى حرَّه ، وأنَّ ما أوقدت عليه من ذلك النار حتى صار كدردي الزيت فقد انتهى حرَّهً .

وبيَّن الطبري في آية المعارج أنَّ المهل هو الشيء المذاب، وذكر قول مـن قال : هو عكر الزيت ، وقول من قال : هو حُمرةٌ يتحول إليها لون السـماء يـوم القيامة .

وفسَّر الطبري المهيل في آية المزمل بأنه ما حُرك أسفله فانهال عليـه مـن أعلاه، وفسَّر الإمهال في آية الطارق بالإنظار وعدم العجلة[4].

وعلى هذا فابن منظور يتفق مع الطبري في المواضع السابقة مع الاخـتلاف في الألفاظ في بعض المواضع ، وأيضاً فالطبري أكثر تفصيلاً .

* دُرْديُّ الزيت وغيره : ما يبقى من أسفله . (انظر : مختار الصحاح ، لأبي بكر الرازي، (٨٥/١).

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٥/ ١٧٢) .

(٢) معاني القرآن ، للفرَّاء ، (١٩٨/٣) .

(٣) لسان العرب ، مادة (مهل) ، (٦٣٣/١١ - ٦٣٥) .

(٤) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٣٩/١٥ ، ٢٤٠) ، (٧٣/٢٩) ، (١٣٦/٢٩) ، (١٥٠/٣٠) .

وذكر الرازي في المُهل الذي في آيتي الكهف والمعارج نحواً من الأقوال التي أوردها الطبري ، وهي ما ذكره ابن منظور أيضاً .

وفسر الرازي المهيل في آية المزمل بأنه سائلاً قد أسيل ، يقال : تراب مهيل ومهيول ، أي : مصبوب ومسيل .

وذلك لا ينافي ما ذكره ابن منظور من أنَّ المهيل الذي يحرك أسفله فينهال من أعلاه .

وبيَّن الرازي أنَّ الإمهال في آية الطارق بمعنى الرفق والتؤدة وعدم الإعجال. وهو معنى الإنظار الذي ذكره ابن منظور[1].

وذكر القرطبي في معنى المهل في آيتي الكهف والمعارج أيضاً مثل الأقوال التي نقلها الطبري والرازي وقال في آية الكهف : والمعنى في هذه الأقوال متقارب. وقال في معنى المهيل في آية المزمل : والمهيل الذي يمر تحت الأرجل . قال الضحاك والكلبي : المهيل هو الذي إذا وطئته بالقدم زلَّ من تحتها ، وإذا أخذت أسفله انهال .

وفسر القرطبي الإمهال في آية الطارق بالإنظار والتأخير وعدم التعجيل[2].

فوافقه ابن منظور في ذلك جميعاً .

وكذلك ابن كثير نقل في آيتي الكهف والمعارج ما قيل في معنى المهل ، ثم قال في آية الكهف : وهذه الأقوال ليس شيء منها ينفي الآخر ، فإنَّ المهل يجمع هذه الأوصاف الرذيلة كلها ، فهو أسود منتن غليظ حار ، ولهذا قال : (يشوى الوجوه) ، أي : من حره .

ولم يفسر ابن كثير قوله (مهيلاً) في آية المزمل ، وفسر الإمهال في آية الطارق بالإنظار وعدم العجلة[3].

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٠٣/٢١) ، (١١١/٣٠) ، (١٦٠/٣٠) ، (١٢٢/٣١) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣٩٤/١٠) ، (٢٨٤/١٨) ، (٤٧/١٩) ، (١٢/٢٠) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٨٢ ، ٨٣) ، (٤٢١/٤) ، (٤٣٨/٤) ، (٤٩٩/٤) .

فوافق ابن منظور في ذلك عدا آية المزمل إذ لا وجه للمقارنة فيها بينهما ، لسكوت ابن كثير عن بيان معنى المهيل فيها .

وذكر الشنقيطي الأقوال التي ذكرها أهل العلم في معنى المهل ، وذلك في آيتي الكهف والمعارج ، وفيها الأقوال التي عند ابن منظور .

أمَّا آية المزمل فلم يبين فيها معنى المهيل ، ولم يبين معنى الإمهال أيضاً في آية الطارق(1) .

وعلى هذا فلا وجه للمقارنة بينه وبين ابن منظور في هاتين الآيتين .

المعنى العام للآيات :

١/ آية الكهف :

(وَقُلِ) يا محمد لمن جاءك من الناس: (ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡ) يعني ما آتيتكم به من الإسلام والقرآن (فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ) تخيير معناه التهديد (إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا) هيأنا (لِلظَّٰلِمِينَ) الذين عبدوا غير الله تعالى (نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا) ، وهو دخان يحيط بالكفار يوم القيامة (وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ) ممَّا هم فيه من العذاب والعطش (يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ) كمذاب الحديد والرصاص في الحرارة (يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَ) حتى يسقط لحمها ، ثُمَّ ذمة فقال: (بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ) هو (وَسَآءَتۡ) النار (مُرۡتَفَقًا) منزلاً(2) .

٢/ آية المعارج :

(يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ) ، أي : كدرديُّ الزيت ، وذلك يوم القيامة . شُبه السماء به في سوادها وانكدار أنوارها ، وقيل : هو ما أذيب من الفضة ونحوها ، شبه السماء به في تلونه(3).

---

(١) انظر : أضواء البيان ، للشنقيطي ، (٣/٢٦٩) ، (٨/٢٦٧) ، (٨/٣٥٩) ، (٨/٤٩٠) .

(٢) انظر : الوجيز ، للواحدي ، (٢/٦٥٩ ، ٦٦٠) .

(٣) انظر : التسهيل ، للكلبي ، (٤/١٤٦) .

٣/ آية المزمل :

(وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ) يوم القيامة مع صلابتها وارتفاعها (كَثِيبًا) رملاً مجتمعاً (مَّهِيلا) منثوراً ، من هيل هيلاً ، إذا نثر وأسيل[١].

٤/ آية الطارق :

(فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدًۢا) ، أي : لا تستعجل عقابهم . وقوله (أمهلهم) بمعنى : مهلهم ، فهو بدل منه للتأكيد ، أو تكرير بلفظ آخر للتأكيد . وقوله (رويداً) ، أي : قليلاً . وفي ذلك وعيد شديد للكافرين بأنَّ ما يصيبهم قريب ، سواء كان في الحياة الدنيا ، أو فيما بعد الموت ، ثُمَّ فيه الوعد للنبي – ﷺ– بل لكل داع إلى الحق الذي جاء به أنَّه سيبلغ من النجاح ما يستحقه عمله ، وأنَّ المناوئين له هم الخاسرون[٢].

النص رقم (٣٨٣) و (٣٨٤) و (٣٨٥)

يقول تعالى : [وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ][٣] .

ويقول تعالى : [أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ][٤] .

ويقول تعالى : [أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ...][٥] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (وفي التنزيل العزيز : (وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ) . قال الفراء: المهين هاهنا الفاجر[٦] ، وقال أبوإسحق : هو فعيل من المهانة وهي القلة

(١) إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (٥٢/٩) .

(٢) انظر : محاسن التأويل ، للقاسمي ، (٦١٢٦/١٧) .

(٣) سورة القلم ، الآية (١٠) .

(٤) سورة المرسلات ، الآية (٢٠) .

(٥) سورة الزخرف ، الآية (٥٢) . وتمام الآية : [أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ] .

(٦) انظر : معاني القرآن ، للفرَّاء ، (١٧٣/٣) .

. قال : ومعناه هاهنا القلة في الرأي والتمييز[1] . ورجلٌ مهينٌ من قوم مُهَنَاء ، أي : ضعيف . وقوله – عزَّ وجل – : (أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ) ، أي : من ماء قليل ضعيف . وفي التنزيل العزيز : (أَمْ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ) والجمع مهناء ، وقد مَهُنَ مَهَانَةً)[2].

دراسة النص :

ذكر الطبري أنَّ معنى المهين في آية القلم الضعيف ، ووجه بعضهم معناه إلى الكذَّاب .

وفسر الطبري كذلك الماء المهين في آية المرسلات بالنطفة الضعيفة ، والمهين في آية الزخرف بالضعيف أيضاً[3].

وعلى هذا فلا خلاف بينه وبين ابن منظور في معنى المفردة في المواضع الثلاثة مع شيء من الاختلاف في ذكر معاني المهين في آية القلم .

وذكر الرازي في معنى المهين في آية القلم وجهين ، أحدهما قول الزجَّاج –آنف الذكر– ، والثاني أنَّ معناه : الكذاب .

واكتفى في بيان معنى الماء المهين في آية المرسلات أن يذكر أنَّ المراد به النطفة .

وذكر في معنى المهين في آية الزخرف أنَّه الفقير الضعيف[4].

فلا خلاف بينه وبين ابن منظور فيما سبق ، غير أنَّه سكت عن بيان معنى المهين في آية المرسلات .

ووسع القرطبي في تفسير لفظ المهين في آية القلم ، وذكر في ذلك عدة أقوال ، منها : ١/ المهين : الضعيف القلب ٢/ الكذاب ٣/ المكثار في الشر

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (١٦٠/٥) .

(٢) لسان العرب ، مادة (مهن) ، (٤٢٥/١٣) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٢/٢٩) ، (٢٣٥/٢٩) ، (٨٢/٢٥) .

(٤) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٧٤/٣٠) ، (٢٣٩/٣٠) ، (١٨٧/٢٧) .

٤/ الفاجر العاجز ٥/ الحقير عند الله ٦/ الذليل ٧/ الوضيع ٨/ قليل الرأي والتمييز .

وفسر القرطبي الماء المهين بأنَّه الضعيف الحقير ، وهو النطفة ، وفسر المهين في آية الزخرف بأنه من لا عز له لحقارته وضعفه(١).

فابن منظور على ذلك يتفق مع القرطبي وإن كان القرطبي أكثر توسعاً منه في آية القلم .

واعتقدُ أنَّ هذه المعاني التي ذكرها ترجع كلها إلى معنى الضعف .

وذكر ابن كثير في آية القلم أنَّ المهين هو الكاذب لضعفه ومهانته ، وذكر قول مجاهد ، وهو أنَّه الضعيف القلب ، وقول الحسن ، وهو أنَّه المكابر .

وفسر المهين في آية المرسلات بأنَّه الضعيف ، وفي آية الزخرف بأنَّه الحقير وذكر قول من قال : يعني ضعيف ، وقول من قال : يعني لا ملك له ولا سلطان ولا مال(٢).

وكل هذه الألفاظ – على ما بينتُ سابقاً – مترادفة من حيثُ المعنى ، تؤدي في مجموعها إلى معنى الضعف .

فلا خلاف إذاً بين ابن منظور وابن كثير .

وقال البغوي في آية القلم : قوله : (مهين) ضعيف حقير ، قيل : هو فعيل من المهانة ، وهي قلة الرأي والتمييز ، وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – : كذاب ، وهو قريب من الأول ، لأنَّ الإنسان إنَّما يُكذب لمهانة نفسه عليه .

وفسر البغوي الماء المهين بالنطفة دون أن يُعرِّج على معنى المهين ، وفسر المهين في آية الزخرف بالضعيف الحقير(٣).

فلم يخالفه ابن منظور فيما سبق ، غير أنَّه لم يذكر معنى المهين في آية المرسلات .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٣١/١٨) ، (١٥٩/١٩) ، (٩٩/١٦) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٠٤/٤) ، (٤٦١/٤) ، (١٣١/٤) .

(٣) انظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٣٧٧/٤) ، (٤٣٣/٤) ، (١٤٢/٤) .

سبب النزول :

آية القلم :

أخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله : (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ) قال: نزلت في الأخنس بن شريق.

وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد في قولــه : (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ) قال : هو الأسود بن عبد يغوث(1).

المعنى العام للآيات :

١/ آية القلم :

(وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ) الخطاب للنبي – ﷺ– أي : ولا تطــع كثيــر الحلف في الحق والباطل ، فإنَّ ذلك يدل على عدم استشعار عظمة الله – عز وجل – وهو أُم كل شر عقداً وعملاً ، وذكر بعضهم أنَّ كثير الحلف مذمومة ولو فــي الحق ، لما فيها من الجرأة على اسمه جلَّ شأنه ، والمهين: حقير الرأي والتدبير ، وقيل : المهين : الوضيع لإكثاره من القبيح ، من المهانة ، وهي القلة ، وقيل : هو المكثار في الشر ، وقيل : هو الكذاب(2).

٢/ آية المرسلات :

(أَلَمْ نَخْلُقكُّم) يا معشر المكذبين (مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ) من نطفة ضعيفة(3).

---

(١) الأسود بن عبديغوث : هو الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وهو ابن خال النبي – ﷺ– وكان من المستهزئين . كان يقول للنبي – ﷺ– : أما كلمت اليوم من السماء يا محمد ؟ وما أشبه ذلك ، فخرج من أهله فأصابه السموم فاسود وجهه ، فلمَّا عاد لم يعرفوه وأغلقوا الباب دونه ، فرجع متحيراً حتى مات عطشاً . (انظر : الكامل فــي التــاريخ ، لأبــي الحســن الشــيباني ، (٥٩٢/١)). وانظر : في سبب النزول : تفسير القرآن ، لابن أبي حاتم ، (٣٣٦٤/١٠) .

(٢) انظر : روح المعاني ، للألوسي ، (٢٧/٢٩) .

(٣) انظر : تنوير المقباس ، للفيروز آبادي ، ص ٤٩٧ .

٣/ آية الزخرف :

(أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٌ) ، أي : قال فرعون لقومه : بل أنا خير (مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ) أي : لا عز له ، فهو يمتهن نفسه في حاجاته. (وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) يعني ما كان في لسانه من العقدة . يريد موسى عليه السلام(١) .

النص رقم (٣٨٦) و (٣٨٧) و (٣٨٨) و (٣٨٩) و (٣٩٠) و (٣٩١) و (٣٩٢) و (٣٩٣) و (٣٩٤)

يقول تعالى:[وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ](٢) .

ويقول تعالى : [فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ...](٣) .

ويقول تعالى : [فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ...](٤) .

ويقول تعالى : [مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ](٥) .

ويقول تعالى : [...فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ](٦) .

ويقول تعالى : [وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ](٧) .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٩٩/١٦) .

(٢) سورة النساء ، الآية (٢٢) . وتمام الآية : [وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقۡتًا وَسَآءَ سَبِيلًا] .

(٣) سورة النساء ، الآية (١٥٥) . وتمام الآية : [فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقٍّ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا] .

(٤) سورة الحجر ، الآية (٩٤) . وتمام الآية : [فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ] .

(٥) سورة المسد ، الآية (٢) .

(٦) سورة البقرة ، الآية (١٧٥) . وتمام الآية : [أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ] .

(٧) سورة طه ، الآية (١٧) .

ويقول تعالى : [مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ...][(١)] .

ويقول تعالى : [...مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ ...][(٢)] .

ويقول تعالى : [...ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ...][(٣)] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (التهذيب : قال أهل العربية (ما) إذا كانت اسماً فهي لغير المميزين من الإنس والجن ، ومن تكون للمميزين ، ومن العرب من يستعمل (ما) في موضع مَنْ ، من ذلك قوله – عزّ وجل – : (وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ) . التقدير : لا تنكحوا من نكح آباؤكم ... قال الكسائي : تكون (ما) اسماً ، وتكون جحداً ، وتكون استفهاماً، وتكون شرطاً ، وتكون تعجباً ، وتكون صلة ، وتكون مصدراً ... وتجئ (ما) صلة يريد بها التوكيد ، كقول الله – عزَّ وجل – : (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ) ، وتجيء مصدراً كقول الله – عزَّ وجل – : (فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) ، أي : فاصدع بالأمر ، وكقوله – عز وجل – : (مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ) ، أي : وكَسْبُهُ . وما التعجب كقوله : (فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ) ... والاستفهام بما من الله لعباده على وجهين : هو للمؤمن تقرير ، وللكافر تقريع وتوبيخ ، فالتقرير كقوله – عزَّ وجل –

---

(١) سورة فاطر ، الآية (٢) . وتمام الآية : [مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ] .

(٢) سورة النساء ، الآية (٦٦) . وتمام الآية : [وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا] .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٦٩) . وتمام الآية : [قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ] .

لموسى : (وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ) ، قرره الله أنها عصا كراهة أن يخافها إذا حولها حية ، والشرط كقوله – عزَّ وجل – : (مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٍ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ) ، والجحد كقوله : (مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنۡهُمۡ ۖ) ، وتجيء (ما) بمعنى أي ، كقول الله – عزَّ وجل – : (ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَا ۚ) . المعنى : يبين لنا أيُّ شيء لونها[1])[2].

دراسة النصوص :

لم يذكر الطبري في آية النساء (٢٢) أنَّ (ما) بمعنى مَنْ ، بل ذكر أنها بمعنى المصدر ، والمعنى : ولا تنكحوا نكاح آبائكم النساء ، ليدخل في النهي جميع ما كان من مناكح آبائهم التي كانوا يتناكحونها في جاهليتهم .

ولم يتكلم الطبري في آية النساء (١٥٥) عن مدلول (ما) ، ولكنه ذكر ما يفيد أنها صلة زائدة ، حيثُ فسر قوله (فبما نقضهم) بأنَّ معناه : فبنقضهم .

وذكر في آية الحجر أنَّ (ما) بمعنى المصدر ، أمَّا (ما) التي في آية المسد فلم يذكر فيها شيئاً .وذكر في (ما) التي في آية البقرة (١٧٥) قولين ، أحدهما : إنَّها بمعنى الاستفهام ، والثاني : إنَّها للتعجب ، ثم رجح القول بأنَّها للتعجب .

كما بين الطبري في آية طه ما يفيد أنَّ (ما) للاستفهام التقريري ، ولم يذكر شيئاً عن مدلول (ما) التي في آية فاطر ، وذكر في آية النساء (٦٦) أنَّ (ما) للنفي ، ولا شك أنَّ معناه الجحد . وذكر في آية البقرة (٦٩) أنَّ (ما) بمعنى : أيّ[3] .

إذن فابن منظور لم يخالف الطبري فيما سبق إلا في موضع واحد ، وهو موضع النساء (٢٢) ، أمَّا بقية المواضع فقد وافقه فيها ، فيما عدا المواضع التي سكت فيها الطبري ، فلا مقارنة فيها بينهما .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (ما) ، (٦٢٦/١٥) .

(٢) لسان العرب ، مادة (ما) ، (٤٧٣/١٥) .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٣١٩/٤) ، (١٠/٦) ، (٦٩/١٤) ، (٣٣٧/٣٠) ، (٩١/٢ ، ٩٢) ، (١٥٤/١٦) ، (١١٥/٢٢) ، (١٦١/٥) ، (٣٤٤/١) .

وذكر الرازي في آية النساء (٢٢) ما يفيد أنَّ (ما) بمعنى مَنْ ، وفي آية النساء (١٥٥) بيَّن اتفاقهم على أنَّ (ما) صلة زائدة ، والتقدير : فبنقضهم ميثاقهم .

وذكر الرازي في آية الحجر في معنى (ما) قولين : الأول أن تكون (ما) بمعنى الذي ، والثاني أن تكون (ما) مصدرية ، أي : فاصدع بأمرك وشأنك . ولم يرجح الرازي بين القولين . وذكر أنَّ (ما) في آية المسد موصولة أو مصدرية ، والمراد كسبه أو مكسوبه . وذكر في (ما) التي في آية البقرة (١٧٥) قولين ، أحدهما : إنَّها للاستفهام ، وهو اختياره . والثاني: إنَّها للتعجب . وفي آية طه ذكر الرازي أربعة وجوه رابعها قوله : فائدة هذا السؤال أن يقرر عنده أنها [أي : العصا] خشبة حتى إذا قلبها ثعباناً لا يخافها [يريد موسى عليه السلام] . ولم يذكر الرازي في (ما) التي في آية فاطر أنَّها الشرطية ، ولكن بيَّن أنَّ معناها (إن) ، وهي الشرطية .

وذكر ما يفيد أنَّ (ما) في آية النساء (٦٦) للنفي ، والنفي معناه الجحد . ولم يبين في آية البقرة (٦٩) مدلول (ما) [(١)] .

وعلى هذا فابن منظور لا يخالف الرازي إلاَّ في موضع البقرة (١٧٥) ، أمَّا سائر المواضع فقد وافقه فيها ، عدا آية البقرة (٦٩) ، إذ لا وجه للمقارنة فيها بينهما ، لسكوت الرازي عن بيان مدلول (ما) فيها .

واختار القرطبي ففي آية النساء (٢٢) أن تكون (ما) بمعنى الذي ومن ، ورد القول بأنَّها مصدرية ، وبيَّن أنَّ (ما) التي في آية النساء (١٥٥) زائدة مؤكدة ، والمعنى : فبنقضهم ميثاقهم . ونقل في آية الحجر قول من قال : إنَّ (ما) مع الفعل بمنزلة المصدر ، أي : فاصدع بالأمر . وجوَّز في آية المسد أن تكون (ما) بمعنى الذي ، وأن تكون مع الفعل مصدراً . وذكر في آية البقرة (١٧٥) أن مذهب الجمهور ومنهم الحسن ومجاهد أنَّ (ما) معناه التعجب ، وهو مردود إلى المخلوقين ، كأنَّه قال : اعجبوا من صبرهم عل النار ، ومكثهم فيها . قال

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (١٨/١٠) ، (٧٧/١١) ، (١٧٠/١٩) ، (١٥٦/٣٢) ، (٢٥/١٥ ، ٢٦) ، (٢٣/٢٢) ، (٤/٢٦) ، (١٣٤/١٠) ، (١٠٥/٣) .

القرطبي : وقيل : (ما) استفهام منه التوبيخ . وقال في آية طه : ومقصود السؤال تقرير الأمر .

وذكر أنَّ (ما) في آية فاطر بمعنى الذي ، ولم يذكر شيئاً عن مدلول (ما) في آية النساء (٦٦) . وذكر أنَّ (ما) في آية البقرة (٦٩) استفهامية ، ولكن لم يبين أنَّها بمعنى أي[١].

وعلى هذا فابن منظور يوافق القرطبي في جميع ما سبق إلا آية النساء (٦٦) فلا مقارنة فيها بينهما لسكوت القرطبي فيها عن مدلول (ما) .

ولم يتكلم ابن كثير عن مدلول (ما) في آية النساء (٢٢) ، ولكن يظهر من كلامه أنَّه يختار القول بأنَّ معناها مَنْ ، ولم يذكر كذلك شيئاً يتعلق بمعنى (ما) في آيات النساء (١٥٥) والحجر والمسد ، أمَّا آية البقرة (١٧٥) فقد ذكر فيها ما يفيد أنَّ (ما) للتعجب ، وفي قول بعضهم للاستفهام .

كما بين في آية طه أنَّ (ما) يقصد بها الاستفهام للتقرير ، ولم يبين شيئاً عن (ما) في آيات فاطر والنساء (٦٦) والبقرة (٦٩) [٢].

إذن فابن كثير يوافق ابن منظور فقط في آيات النساء (٢٢) والبقرة (١٧٥) وطه ، أمَّا سائر المواضع الأُخرى فلا مقارنة فيها بينهما لسكوت ابن كثير عن معنى (ما) فيها .

وجوه القراءات :

آية النساء :

قرأ ابن عامر : (إلا قليلاً منهم) نصباً ، وقرأ الباقون : (إلا قليلٌ منهم) بالرفع ، وكذلك هي في مصاحفهم[٣].

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١٠٣/٥) ، (٧/٦) ، (٦١/١٠) ، (٢٣٨/٢٠) ، (٢٣٦/٢) ، (١٨٦/١١) ، (٣٢١/١٤) ، (٢٧٠/٥) ، (٤٥٠/١) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٦٩/١) ، (٥٧٤/١) ، (٥٦٠/٢) ، (٥٦٥/٤) ، (٢٠٧/١) ، (١٤٥/٣) ، (٥٤٧/٣) ، (٥٢٣/١) ، (١٠٩/١) .

(٣) انظر : النشر ، لابن الجزري ، (١٨٨/٢) ، وانظر : السبعة في القراءات ، لابن مجاهد ، ص ٢٣٥ .

أسباب النزول :

١/ آية النساء (٢٢) :

أخرج ابن أبي حاتم عن رجل من الأنصار قال : توفي أبو قيس بن الأسلت[١] ، وكان من صالحي الأنصار ، فخطب ابنه قيس امرأته ، فقالت : إنمَّا أعدك ولداً ، وأنت من صالحي قومك ، فأتت النبي – ﷺ – وأخبرته ، فقال : ارجعي إلى بيتك ، فنزلت هذه الآية : ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[٢].

٢/ آية المسد :

قال ابن مسعود – رضي الله عنه – لمَّا دعا رسول الله – ﷺ– أقربيه إلى الله – عزَّ وجل – قال أبو لهب : إن كان ما يقول ابن أخي حقّاً فإني أفتدي بمالي وولدي ، فقال الله –عزَّ وجل – : ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾[٣] .

المعنى العام للآيات :

١/ آية النساء (٢٢)* :

٢/ آية النساء (١٥٥) :

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ﴾ ، أي : فبسبب نقض اليهود الميثاق الذي أخذه الله عليهم فأحلوا حرامه ، وحرموا حلاله .﴿وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ الدالة على صدق أنبيائه ﴿وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ كزكريا ويحيى – عليهما السلام – ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بغير ذنب

---

(١) أبوقيس بن الأسلت : واسم الأسلت عامر بن جشم بن وائل الأوسي ، واختلف في اسمه ، فقيل : صيفي ، وقيل : الحارث ، وقيل : عبدالله ، وقيل : صرمة . ذكر ابن سعد عن الواقدي ، قالوا : لم يكن أحد من الأوس والخزرج أوصف لدين الحنيفية ، ولا أكثر مساءلة عنها من أبي قيس بن الأسلت .
(انظر : الإصابة ، لابن حجر ، (٣٣٤/٧)) .

(٢) انظر : تفسير القرآن ، لابن أبي حاتم ، (٩٠٩/٣) ، وانظر : لباب النقول ، للسيوطي ، ص ٦٦ ، وانظر : العجاب ، لابن حجر ، (٨٥١/٢) .

(٣) انظر : زاد المسير ، لابن الجوزي ، (٢٦٠/٩) .

* سبق تفسيرها في دراسة النص (٣٣٧) .

(وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ) ، أي : مغلفة بغلاف ، فلا يصل إليها شيء ممَّا تدعوا إليه (بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ) بل ختم الله عليها بسبب كفرهم بعيسى وموسى – عليهما السلام – فلا يصل إليها نور الهداية . (فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً) إلا إيماناً قليلاً من بعضهم(١).

٣/ آية الحجر :

(فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) الخطاب للنبي – ﷺ– ، أي : فاجهر بالأمر ، من صدع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً ، أو افرق بين الحق والباطل ، وأصله الإبانة والتمييز (وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ) ، أي : لا تلتفت إلى ما يقولون ، ولا تبال بهم ، ولا تتصد للانتقام منهم(٢).

٤/ آية المسد* :

٥/ آية البقرة :

(أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ) ، أي : اليهود اعتاضوا عن الهدى ، وهو نشر ما في كتبهم من صفة الرسول وذكر مبعثه ، والبشارة به من كتب الأنبياء واتباعه وتصديقه ، استبدلوا عن ذلك الضلالة وهو تكذيبه ، والكفر به، وكتمان صفاته في كتبهم. (وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ) ، أي : اعتاضوا عن المغفرة بالعذاب (فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ) يخبر تعالى أنهم في عذاب شديد عظيم يتعجب من رآهم فيه من صبرهم على ذلك مع شدة ما هم فيه من العذاب والنكال والأغلال ، فالعياذ بالله تعالى من ذلك(٣).

---

(١) انظر : التفسير المنير ، لوهبة الزحيلي ، مج٣ ، (٣٦٦/٦) .

(٢) انظر : إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (٩٢/٥) .

* سبق تفسيرها في دراسة النص رقم (٥٦) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٠٧/١) .

٦/ آية طه :

(وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ) سأله ليريه عظيم ما يفعله في العصا من قلبها حية ، فمعنى السؤال تقرير أنَّها عصا ، فيتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها وبعده ، وقيل : إنَّما سأله ليؤنسه ويبسطه بالكلام(١).

٧/ آية فاطر :

(مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٍ) كرزق ومطر (فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ) من ذلك (فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ) ، أي : بعد إمساكه (وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ) الغالب على أمره (ٱلۡحَكِيمُ) في فعله(٢).

٨/ آية النساء (٦٦) :

(وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ) ، أي : على هؤلاء المنافقين من اليهود (أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ) كما كتبنا ذلك على بني إسرائيل. (أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم) كما كتبنا ذلك على المهاجرين. (مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ) للمشقة فيه مع أنَّه كان ينبغي أن يفعلوه (وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ) ما يؤمرون به من أحكام القرآن. (لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ) في معاشهم ، وفي ثوابهم. (وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا) منهم لأنفسهم في الدين، وتصديقاً بأمر الله(٣).

٩/ آية البقرة (٦٩) :

(قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَا) استفهام معناه : أي شيء لونها ؟ وذلك في قصة قتيل بني إسرائيل وأمر الله – تعالى – لهم أن يذبحوا بقرة ، فسألوا موسى – عليه السلام – عن لون هذه البقرة تعنتاً منهم على أنفسهم. (قَالَ إِنَّهُۥ

---

(١) انظر : التسهيل ، للكلبي ، (١٢/٣) .

(٢) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ، ص ٥٧١ .

(٣) انظر : الوجيز ، للواحدي ، (٢٧٢/١ ، ٢٧٣) .

يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا) الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه. (تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ) لحسنها ، والسرور لذة في القلب عن حصول نفع أو توقعه[1].

النص رقم (٣٩٥) و (٣٩٦) و (٣٩٧) و (٣٩٨) و(٣٩٩)

يقول تعالى : [لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًا...][2] .

ويقول تعالى : [...وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ ...][3] .

ويقول تعالى : [...فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ][4] .

ويقول تعالى : [...يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ ...][5] .

ويقول تعالى : [...يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا...][6] .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (المَوْتُ والمَوَتَانُ ضِدُّ الحَيَاةِ ... وقال الزجّاج : المَيْتُ : المَيِّتُ بالتشديد إلا أنَّه يخفف ، يُقال : مَيْتٌ ومَيِّتٌ ، والمعنى واحد ، ويستوي فيه

---

(١) انظر : مدارك التنزيل ، للنسفي ، (٥٠/١) .

(٢) سورة الفرقان ، الآية (٤٩) . وتمام الآية : [لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا] .

(٣) سورة إبراهيم ، الآية (١٧) . وتمام الآية : [يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ] .

(٤) سورة البقرة ، الآية (١٣٢) . وتمام الآية : [وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ] .

(٥) سورة الحديد ، الآية (١٧) . وتمام الآية [ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ] .

(٦) سورة مريم ، الآية (٢٣) . وتمام الآية [فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا] .

المذكر والمؤنث . قال تعالى : (لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا) ، ولم يقل : مَيْتَةً[١] .

وقوله تعالى : (وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ) إنَّما معناه ، والله أعلم : أسباب الموت ، إذ لو جاءه الموتُ نفسُه لماتَ به لا محالة ... وقوله تعالى: (فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ) . قال أبوإسحق : إن قال قائل : كيف ينهاهم عن الموت ، وهم إنَّما يُماتون ؟ قيل : إنَّما وقع هذا على سعة الكلام ، وما تُكْثِر العربُ استعماله . قال : والمعنى : الزموا الإسلام ، فإن أدرككم هذا الموت صادفكم مسلمين[٢] ... والموت يقع على أنواع بحسب أنواع الحياة ، فمنها ما هو بإزاء القوة النامية الموجودة في الحيوان والنبات كقوله تعالى : (يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ) ، ومنها زوال القوة الحسية ، كقوله تعالى : (يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا))[٣].

دراسة النصوص :

قال الطبري في آية الفرقان : لنحي به بلدة ميتاً ، أرضاً قحطة لا تنبت ، وقال : بلدة ميتاً ، ولم يقل : ميتة، لأنَّه أريد بذلك: لنحي به موضعاً ومكاناً ميتاً .

وقال في آية إبراهيم : يقول : ويأتيه الموت من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وشماله ، ومن كل موضع من أعضاء جسده ، وما هو بميت، لأنَّه لا تخرج نفسه فيموت فيستريح ، ولا يحيا لتعلق نفسه بالحناجر ، فلا ترجع إلى مكانها.

وبيَّن الطبري أنَّ المراد في آية البقرة : لا تفارقوا هذا الدين ، وهو الإسلام أيام حياتكم ؛ وذلك أنَّ أحداً لا يدري متى تأتيه منيته ، فلا تفارقوا الإسلام ، فتأتيكم مناياكم ، وأنتم على غير الدين ، فتموتوا وربكم ساخط عليكم فتهلكوا .

كما بيَّن أنَّ المراد في آية الحديد أنَّ الله يحي الأرض الميتة التي لا تنبت شيئاً بعد موتها ، يعني : بعد دثورها ودروسها .

وذلك معناه زوال القوة النامية الموجودة في النبات .

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (٤/٤٠) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (١/١٨٥) .

(٣) لسان العرب ، مادة (موت) ، (٢/٩٠ – ٩٢) .

ولم يفسر الطبري الموت في آية مريم بشيء خلاف زوال القوة الحسية[1].

ممَّا سبق ذكره يتبين لنا عدم مخالفة ابن منظور للطبري في معاني هذه المفردات – موضوع الدراسة – فيما عدا آية إبراهيم –كما هو ظاهر – وأيضاً فإنَّ ابن منظور يهتم بالجانب اللغوي للمفردات، بينما يركز الطبري جهده في توضيح المعنى العام .

وبيَّن الرازي في آية الفرقان أنَّ الله –تعالى– قال : (بَلْدَةً مَّيْتًا) ، ولم يقل : ميتة ، لأنَّ البلدة في معنى البلد .

وقال في آية إبراهيم : والمعنى : إنَّ موجبات أحاطت به من جميع الجهات ، ومع ذلك فإنَّه لا يموت ، وقيل : من كل جزء من أجزاء جسده .

ولعلَّ موجبات الموت هي أسبابه .

وذكر الرازي أنَّ المراد في آية البقرة بعثهم على الإسلام ، وهم مأمورون به في كل حال حتى لا تعاجلهم المنية وهم لم يبادروا إليه ، فيفوتهم الظفر بالنجاة.

ولم يذكر في آيتي الحديد ومريم شيئاً عن حقيقة الموت ، ولكنه ذكر في آية الحديد ما يفيد منه أنَّ المقصود من الموت زوال القوة النامية الموجودة في النبات ، وذكر في آية مريم أنَّ المراد من الموت ما هو بإزاء القوة الحسية الموجودة في الإنسان[2].

وعلى هذا فلا خلاف بين الرازي وابن منظور في جميع المواضع السابقة .

وقال القرطبي في آية الفرقان : وقال : ميتاً ، ولم يقل : ميتة ، لأنَّ معنى البلدة والبلد واحد ، وقيل : أراد بالبلد المكان .

ونقل القرطبي في تفسير آية إبراهيم قول ابن عباس ، وهو أنَّ المراد يأتيه أسباب الموت من كل جهة .

وقال في آية البقرة : إيجاز بليغ ، والمعنى : الزموا الإسلام ، ودوموا عليه ولا تفارقوه .

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢١/١٩) ، (١٩٦/١٣)، (٥٦١/١) ، (٢٩٩/٢٧) ، (٦٦/١٦) .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٧٩/٢٤) ، (٨٢/١٩) ، (٦٧/٤) ، (٢٠١/٢٩) ، (١٧٣/٢١) .

وفسر القرطبي آيتي الحديد ومريم بما فسرهما به ابن منظور من بعده[١].

فلم يخالف ابن منظور القرطبي في شيء ممَّا سبق.

وتكلم ابن كثير في آية الفرقان عن معنى البلدة الميتة ، ولم يذكر شيئاً عن التأنيث والتذكير في قوله (ميتاً) .

وذكر في آية إبراهيم أنَّ المراد من الموت أنواع العذاب الذي يعذبه الله بها يوم القيامة في نار جهنم ، وليس منها نوع إلا يأتيه الموت منه لو كان يموت ، ولكن لا يموت .

وقال ابن كثير في آية البقرة : أي : أحسنوا في حال الحياة ، والزموا هذا ليرزقكم الله الوفاة عليه ، فإنَّ المرء يموت غالباً على ما كان عليه ، ويبعث على ما مات عليه .

وفسر ابن كثير كذلك الموت الذي في آيتي الحديد ومريم بما فسره به ابن منظور[٢] .

فوافق ابن كثير ابن منظور ، وإن كان هناك بعض الاختلاف اللفظي أحياناً وأيضاً لم يذكر ابن كثير ما يتعلق بالتذكير والتأنيث في موضع الفرقان .

وذكر ابن الجوزي في آية الفرقان القراءة الأخرى في قوله (ميتاً) ، وهي بتشديد الياء .

كما نقل قول الزجَّاج – آنف الذكر – وهو أنَّ لفظ البلدة مؤنث ومع ذلك قيل : ميتاً ، لأنَّ معنى البلدة والبلد سواء . قال : وقال غيره : إنما قال ميتاً ، لأنه أراد بالبلدة المكان .

وفسر ابن الجوزي الموت في آية إبراهيم بأنَّه هم الموت وكربه وألمه .

وقال في آية البقرة : يريد : الزموا الإسلام ، فإذا أدرككم الموت صادفكم عليه .

وكذلك فسر الموت في آيتي الحديد ومريم بما فسره به ابن منظور[٣].

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي، (٥٦/١٣)، (٣٥٢/٩) ، (١٣٦/٢) ، (٢٥٢/١٧) ، (٩٢/١١).

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ، (٣٢٢/٣) ، (٥٢٨/٢) ، (١٨٦/١) ، (٣١٢/٤) ، (١١٨/٣).

(٣) انظر : زاد الميسر ، لابن الجوزي ، (٩٤/٦) ، (٣٥٣/٤) ، (١٤٩/١) ، (١٦٩/٨) ، (٢٢٠/٥) .

وبهذا يتطابق تفسير ابن منظور لهذه المفردات مع تفسيره لها ، إلا ما جاء عنه في آية إبراهيم ، حيث لم يصرح بأن المراد أسباب الموت .

وجوه القراءات :

آية الفرقان :

شدد ياء (ميتاً) أبوجعفر ، والباقون بإسكانها [1] .

المعنى العام للآيات :

١/ آية الفرقان :

(لِّنُحۡـِيَ بِهِۦ) ، أي : بما أنزلنا من الماء الطهور (بَلۡدَة مَّيۡتًا) بإنبات النبات ، والتذكير ، لأنَّ البلدة بمعنى البلد (وَنُسۡقِيَهُۥ) ، أي : ذلك الماء الطهور عند جريانه في الأودية ، أو اجتماعه في الحياض والمنافع أو الآبار (مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا) ، أي : أهل البوادي ؛ ولذلك نكر الأنعام والأناسي ، وتخصيصهم بالذكر ، لأنَّ أهل القرى والأمصار يقيمون بقرب الأنهار [2].

٢/ آية إبراهيم :

(يَتَجَرَّعُهُۥ) أي : يتحسى ذلك الجبار المعاند للحق الماء الصديد ، لا بمرة واحدة ، بل جرعة لمرارته وحرارته. (وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ) ولا يتقارب أن يسيغه ، فكيف يسيغه؟ والسوغ : جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس. (وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ) ، أي : أسبابه من الشدائد ، فتحيط به من جميع الجهات ، وقيل : من كل مكان من جسده (وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ) فيستريح (ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ) ومن بين يديه (عَذَاب غَلِيظٌ) ، أي : يستقبل في كل وقت عذاباً أشد مما هو عليه ، وقيل : هو الخلود في النار ، حبس الأنفاس [3] .

---

(١) انظر : اتحاف فضلاء البشر ، للدمياطي ، ص ٤١٨ .

(٢) انظر : إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود ، (٢٢٤/٦) .

(٣) انظر : معالم التنزيل ، للبغوي ، (٢٩/٣) ، وانظر : أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، (٣٤٣/٣) .

٣/ آية البقرة :

(وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ) ، أي : ووصى الخليل – عليه السلام – أبناءه باتباع ملته (وَيَعْقُوبُ) ، أي : وكذلك يعقوب – عليه السلام – أوصى بملة إبراهيم – عليه السلام – (يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ) ، أي : اختار لكم دين الإسلام ديناً ، وهذا حكاية لما قال إبراهيم ويعقوب – عليهما السلام – لأبنائهما (فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) ، أي : اثبتوا على الإسلام حتى يدرككم الموت وأنتم متمسكون به(١).

٤/ آية الحديد :

(ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ) ، أي : يصلح الأرض ، فاعتبروا بذلك (بَعْدَ مَوْتِهَا) يعني : بعد يبسها وقحطها ، فكذلك يحي القلوب بالقرآن ، ويصلحها بعد قساوتها حتى تلين كما أحيا الأرض بعد موتها بالمطر (قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ) ، أي : العلامات في القرآن. (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) يعني : لكي تثوبوا إلى عقولكم ومراشدكم(٢).

٥/ آية مريم*

النص رقم (٤٠٠)

يقول تعالى : [يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا](٣) .

التفسير اللغويّ :

قال ابن منظور : (ومَارَ يَمُورُ مَوْراً : إذا جعل يَذْهبُ ويَجيءُ ويتردّد . قال أبومنصور : ومنه قوله تعالى : (يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ

---

(١) انظر : صفوة التفاسير ، للصابوني ، (٩٤/١) .

(٢) انظر : بحر العلوم ، للسمرقندي ، (٣٨٥/٣) ، وانظر : محاسن التأويل ، للقاسمي ، (٥٦٨٤/١٦).

* سبق تفسيرها في دراسة النص رقم (٢٧٧) .

(٣) سورة الطور ، الآيتان (٩/١٠) .

سَيًّا)[١] قال في "الصحاح": تَمُوجُ مَوْجاً ، وقال أبو عبيدة : تَكَفَّأُ ، والأخفش مثله[٢]... ومَارَ الشيءُ يَمُورُ مَوْراً : اضطَّرب وتحرك)[٣].

دراسة النص :

ذكر الطبري أنَّ معنى قوله : (تمور) تدور وتكفأ ، ثُمَّ ذكر قولاً آخر لأهل التأويل ، وهو أنَّ مور السماء تشققها[٤].

وبذلك يوافقه ابن منظور بما نقله عن أبي عبيدة ، وكذلك وسع ابن منظور في الجانب اللغوي ، ووسع الطبري في الجانب التفسيري .

وبيَّن الرازي أنَّ مور السماء هو خروجها عن مكانها تتردد وتموج[٥].

فوافقه ابن منظور على ذلك فيما ذكره ، وفيما نقله عن صاحب الصحاح .

وقال القرطبي في ذلك : (قال أهل اللغة : مار الشيء يمور موراً إذا تحرك وجاء وذهب كما تتكفأ النخلة العيدان ، أي : الطويلة ... وقال الضحاك : يموج بعضها في بعض ، مجاهد : تدور دوراً ... وقال ابن عباس : تمور السماء يومئذ بما فيها وتضطرب ، وقيل : يدور أهلها فيها) [٦].

وهذه الأقوال التي ذكرها القرطبي هنا هي ما أورده ابن منظور في ذلك ، إلا القول الأخير الذي ذكره ابن عباس ، وهو أنَّ المعنى : دوران أهل السماء فيها فنسب المور إلى أهل السماء ، وليس إلى السماء ذاتها ، وذلك لم يذكره ابن منظور .

وأورد ابن كثير قول ابن عباس وقتادة في ذلك ، وهو أنَّ مور السماء هو تحركها تحريكاً ، ونقل عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أيضاً أنَّه قال : هو

---

(١) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري ، مادة (مور) ، (٢٩٧/١٥) .

(٢) انظر : الصحاح ، للجوهري ، مادة (مور) ، (٨٢٠/٢) ، وانظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، (٢٣٠/٢) ، وانظر : معاني القرآن ، للأخفش ، (٦٩٧/٢) .

(٣) لسان العرب ، مادة (مور) ، (١٨٦/٥) .

(٤) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (٢٠/٢٧ ، ٢١) .

(٥) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٢٠٨/٢٨) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٦٣/١٧) .

تشققها ، وعن مجاهد أنها تدور دوراً ، وعن الضحاك : استداراتها وتحركها لأمر الله ، وموج بعضها في بعض(١).

وكل هذه المعاني التي ذكرها ابن كثير قد أوردها ابن منظور كذلك ، وقال الألوسي : (تمور : تضطرب ، كما قال ابن عباس ، أي : ترجح ، وهي في مكانها وفي رواية عنه : تشقق ، وقال مجاهد : وأصل المور التردد في المجيء والذهاب ، وقيل : التحرك في تموج) (٢).

فلا خلاف بينه وبين ابن منظور في ذلك .

المعنى العام للآية :

(يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا) وذلك يوم القيامة ، أي : تدور السماء وتضطرب ، وتدوم حركتها بانزعاج وعدم سكون. (وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا) ، أي : تزول عن أماكنها ، وتسير كسير السحاب وتتلون كالعهن* المنفوش ، وتبث بعد ذلك حتى تصير مثل الهباء ، وذلك كله لعظم هول يوم القيامة ، فكيف بالآدمي الضعيف(٣).

النص رقم (٤٠١) و (٤٠٢)

يقول تعالى : [...أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ...](٤) .

ويقول تعالى : [...أَن تَمِيدَ بِكُمْ...](٥) .

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٢٤١/٤) .

(٢) روح المعاني ، للألوسي ، (٢٩/٢٧) .

* العِهْنُ : صوفٌ مصبوغٌ ، (انظر : غريب القرآن ، لأبي بكر السجستاني ، ص ٣٤٨) .

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص ٨١٤ .

(٤) سورة المائدة ، الآية (١١٤) . وتمام الآية : [قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ] .

(٥) سورة النحل ، الآية (١٥) .وتمام الآية : [وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] .

التفسير اللغويّ:

قال ابن منظور : (مَادَ الشيءُ يَمِيدُ : زاغ وزكا ، ومِدْتُه وأَمَدْتُّه : أعطيتُّه ... والمائدةُ : الطعامُ نفسُهُ وإن لم يكن هناك خِوَانٌ* ، مشتق من ذلك ، وقيل : هي نفس الخِوَان ... قال أبوعبيدة : وفي التنزيل العزيز : (أَنزِل عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ) المائدة في المعنى مفعولة ، ولفظها فاعلة ، وهي مثل : عيشة راضية ، بمعنى مرضية ، وقيل : إنَّ المائدة من العطاء[١] ... المُمْتَاد ، أي : المتفضل على الناس ، وهو المستعطي المسؤول ، ومنه المائدة ، وهي خوان عليه طعام .. وقال أبوإسحاق : الأصل عندي في مائدة أنَّها فاعلة ، من ماد يميد إذا تَحرَّك[٢] ، وقال أبوعبيدة : سُمّيت المائدة: لأنَّها مِيدَ بها صاحبُها ، أي : أُعطِيها وتُفُضِّل عليه بها[٣] ... قوله : (أَن تَمِيدَ بِكُمۡ) تحرَّك بكم وتَزَلْزَل) [٤] .

دراسة النصين:

قال الطبري في بيان معنى المائدة : (وأمَّا المائدة فإنَّها الفاعلة ، من مَادَ فلان القوم يميدهم ميداً إذا أطعمهم ومارهم ... الممتاد : المستعطي ، فالمائدة المطعمة سُميت الخوان بذلك ؛ لأنَّها تطعم الأكل ممَّا عليها) [٥] .

فلم يخالفه ابن منظور في معنى المائدة ، كما لم يخالفه في معنى الميد . قال الطبري: (والمَيْدُ : هو الاضطراب والتكفؤ ، يقال : مَادتِ السفينة تميد ميداً إذا تكفأت بأهلها ومالت ، ومنه الميد الذي يعتري راكب البحر ، وهو الدوار) [٦] .

---

* الخِوَانُ : هو ما يُوضع عليه الطعام عند الأكل .

(انظر : لسان العرب ، مادة (خون) ، (١٤٦/١٣) ، وانظر : مختار الصحاح ، لأبي بكر الرازي ، مادة (خون) ، ص ٨١) .

(١) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، (١٤٥/١) .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجَّاج ، (١٧٩/٢) .

(٣) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، (١٤٥/١) .

(٤) لسان العرب ، مادة (ميد) ، (٤١١/٣ ، ٤١٢) .

(٥) جامع البيان ، للطبري ، (١٣١/٧) .

(٦) المرجع السابق ، (٩٠/١٤) .

فلا فرق بين الاضطراب والتكفؤ الذي ذكره الطبري ، والتحرك والتزلــزل الذي ذكره ابن منظور .

وقال الرازي في معنى المائدة : (قال الزجَّاج : المائدة فاعلة ، من ماد يميد، إذا تحرَّك ، فكأنَّها تميد بما عليها ، وقال ابن الأنباري : سُميت مائدة لأنها عطية، من قول العرب : ماد فلانٌ فلاناً يميده ميداً ، إذا أحسن إليه ، فالمائدة علـــى هــذا القول فاعلة ، من الميد ، بمعنى : معطية ، وقال أبوعبيدة : المائدة فاعلة ، بمعنى مفعولة ، مثل عيشة راضية ، وأصلها مميدة ، ميد بهــا صــاحبها ، أي أعطيهــا وتُفضِّل عليه بها) [١] .

وفسَّر الرازي المَيْد في آية النحل بالحركة والاضطراب يميناً وشمالاً [٢] .

فوافقه ابن منظور في الموضعين .

وفسَّر القرطبي المائدة والمبد بما فسرهما به المفسرون الســابقون ، ونحــواً ممَّا ذكر ابن منظور من بعده[٣] .

ولم يخالف ابن كثير الذي اقتصر على تعريف المائدة بأنَّها الخِــوَان عليــه طعام، ولم يزد على ذلك .

كما فسَّر المَيْد في آية النحل بالاضطراب[٤] .

وفسَّر الثعلبي كذلك المائدة والميد بما فسرهما من بعده ابن منظور[٥] .

المعنى العام للآيتين :

١/ آية المائدة :

(قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ) قال ذلــك عندما سأله الحواريون نزول المائدة ، فأراد إلزامهم الحجــة بكمالهــا (تَكُون لَنَا

(١) التفسير الكبير ، للرازي ، (١٠٨/١٢) .

(٢) انظر : المرجع السابق ، (٧/٢٠) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٣٦٧/٦) ، (٩٠/١٠) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١١٧/٢) ، (٥٦٦/٢) .

(٥) انظر : الكشف والبيان ، للثعلبي ، (١٢٥/٤) ، (١١/٦) .

عِيدًا) أي: يكون يوم نزولها عيداً نعظمه ، وقيل : العيد السرور العائد ، ولــذلك سُمي العيد عيداً .(لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا) ، أي : عيداً لمتقدمينا ومتأخرينا ، وقيل : يأكل منها أولنا وآخرنا. (وَءَايَةً مِّنكَ) دالة على كمال قدرتك ، وصحة نبوتك (وَٱرْزُقْنَا) المائدة والشكر عليها (وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ) ، أي : خير من يرزق ؛ لأنَّــه خــالق الرزق ، ومعطيه بلا عِوَض[1] .

٢/ آية النحل :

(وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ) هذا من نعم الله – عزَّ وجل – على خلقه ، وهو إلقاؤه الجبال في الأرض لتثبت ولا تتحــرك ، فقــال : (أَن تَمِيدَ بِكُمْ) ، أي : لئلا تميل بكم وتضطرب . (وَأَنْهَٰرًا) ومن النعم كذلك إجراؤه الأنهار فــي الأرض لخلقه (وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) وطرقاً يسلكها الناس، ويسيرون فيها مــن قطــر إلى قطر في طلب حاجاتهم[2] .

النص رقم (٤٠٣) و (٤٠٤) و (٤٠٥) :

يقول تعالى : [...حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ...] [3] .

ويقول تعالى : [وَٱمْتَٰزُوا ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ][4] .

ويقول تعالى : [تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ...][5] .

---

(١) انظر : أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، (٢/٣٨٠ ، ٣٨١).

(٢) انظر : أضواء البيان ، للشنقيطي ، (٢/٣٦٠ ، ٣٦١) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية (١٧٩) . وتمام الآيــة : [مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ] .

(٤) سورة يس ، الآية (٥٩) .

(٥) سورة الملك ، الآية (٨) . وتمام الآية : [تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ].

التفسير اللغوي :

قال ابن منظور : (المَيْزُ : التمييز بين الأشياء . تَقول : مِزْتُ بعضه من بعض فأنا أمِيزه مَيْزاً ، وقد أماز بعضه من بعض ،ومِزْتُ الشيء أميزه ميزاً : عزلته ، وفَرَزْتُه ... ابن سيده . (ماز الشيء ميزاً وميزه ومَيَّزَهُ : فصل بعضه عن بعض) [1] . وفي التنزيل العزيز : (حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ) قُرئ : يميز ، من مَازَ يَمِيزُ ، وقُرِئ : يُمَيِّز ، من مَيَّزَ يُمَيِّزُ ... وتَمَيَّزَ القومُ وأمتازوا : صاروا في ناحية . وفي التنزيل العزيز : (وَٱمْتَٰزُوا ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ) ، أي : تميَّزوا ، وقيل : أي انفردوا عن المؤمنين. واستماز عن الشيء : تباعد منه ... وتَمَيَّزَ من الغَيْظِ : تَقَطَّعَ . وفي التنزيل العزيز : (تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ)[2] .

دراسة النصوص :

انصرف الطبري إلى تفسير آية آل عمران دون أن يُعرّج على بيان المعنى اللغوي للفظة (يميز) ، ولم يذكر القراءات الواردة فيها كذلك .

وذكر في آية يس أنَّ قوله : (امتازوا) معناه : تميَّزوا ، وهي افتعلوا ، من ماز يميز . وذكر قول من قال : إنَّ معناه عُزلوا من كل خير ، ثُمّ بيَّن تأويل الكلام، وهو : تَميَّزُوا من المؤمنين أيُّها الكافرون بالله ، فإنَّكم واردون غير موردهم، داخلون غير مدخلهم .

وفسَّر الطبري آية الملك بقوله : تكاد جهنَّم تتفرق وتتقطع من الغيظ على أهلها[3] .

فوافقه ابن منظور في هذه المعاني اللغوية والتفسيرية ، ولا يقارن بينهما في آية آل عمران .

وذكر الرازي في آية آل عمران القراءتين الواردتين على قوله : (يميز) ، إحداهما بتشديد الياء ، والأخرى بالتخفيف مع فتح الياء الأولى وكسر الميم. قال :

---

(١) المحكم ، لابن سيده ، مادة (ميز) ، (٩٧/٩) .

(٢) لسان العرب ، مادة (ميز) ، (٤١٢/٥، ٤١٣).

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري (١٨٧/٤) ، (٢٢/٢٣ ، ٢٣) ، (٢٩/ ٥) .

وهما لغتان ، يُقال : مِزْتُ الشيء بعضه من بعض فأنا أميــزه ميــزاً أو أميــزه تمييزاً.

وبيَّن الرازي أنَّ معنى قوله : (وامتازوا) : امتازوا في أنفسكم وتفرقوا ، ولم يفسر قوله (تميز) في آية الملك ببيان معناه اللغوي[1] .

وعلى هذا يوافقه ابن منظور في آية آل عمران ، ويوافقه بالمعنى دون اللفظ في آية يس .

أمَّا آية الملك فلا مقارنة فيها بينهما .

ووسع القرطبي في بيان المعنى اللغوي لكلمة (يميز) ، فذكر فيها القــراءتين وبيَّن أنَّ قراءة التشديد من (ميز) ، وقراءة التخفيف من ماز يميز . قال : يُقال : مِزتُ الشيء بعضه من بعض أميزه ميزاً ،وميزته تمييزاً ، إذا فرقت بين شــيئين، ومنه امتاز القوم : تميز بعضهم عن بعض ، ويكاد يتميز : يتقطع .

وبيَّن في آية يس أن المراد من أمر المجرمين بالامتياز أن يخرجوا من جملة أهل الجنة ، ثُمَّ ذكر أقوال أهل التفسير في ذلك .

وقال في آية الملك في معنى (تميز) : يعني تنقطع ، وينفصل بعضــها مــن بعض . قاله سعيد بن جبير ، وقال ابن عباس والضحاك وابن زيد : تتفرق[2] .

وعلى هذا فلا خلاف بينه وبين ابن منظور في الآيات الثلاث .

وقال ابن كثير في قولــه : (حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ) : أي : حتــى يخرج المؤمن من الكافر. ولم يذكر القراءتين الواردتين في قوله : (يميز) .

وبيَّن أنَّ المعنى في آية يس هو أنَّ الله – تعالى – يأمر الكفار يوم القيامة أن يتميزوا عن المؤمنين في موقفهم فيصيرون صدعين فرقتين .

وقال في آية الملك : أي يكاد ينفصل بعضها من بعض مــن شــدة غيظهــا عليهم، وحنقها بهم[3] .

فلا خلاف من حيث المعنى بينه وبين ابن منظور في جمع ما سبق.

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، (٩٠/٩) ، (٨٤/٢٦) ، (٥٦/٣٠) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٨٩/٤) ، (٤٦/١٥) ، (٢١٢/١٨) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٤٣٣/١) ، (٥٧٧/٣) ، (٣٩٨/٤) .

وذكر الزمخشري أنَّ معنى آية آل عمران : حتى يعزل المنافق عن المخلص، وذكر القراءتين في قوله : (يميز) ، وذكر أنَّ قوله : (امتازوا) في آية يس معناه : انفردوا عن المؤمنين ، وكونوا على حدة ، وفسَّر التميز في آية الملك بالتقصف[1] .

فلم يخالفه ابن منظور من حيث المعنى في المواضع الثلاثة .

وجوه القراءات :

اختلفوا في فتح الياء وضمها ، والتخفيف والتشديد في قوله : (حتى يميز) فقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبوعمرو وابن عامر بفتح الياء الأولى ، وتخفيف الياء الثانية .

وقرأ حمزة والكسائي بضم الياء الأولى ، وتشديد الثانية[2] .

سبب النزول :

آية آل عمران :

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال : قالوا : إن كان محمد صادقاً فليخبرنا بمن يؤمن منا ومن يكفر ، فأنزل الله : (مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ) الآية[3] .

المعنى العام للآيات :

١/ آية آل عمران :

(مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ) من التباس المنافق بالمؤمن (حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ) ، أي : المنافق من المؤمن ، ففعل ذلك يوم أحد؛ لأنَّ المنافقين أظهروا النفاق بتخلفهم. (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ) فتعرفوا المنافق من المؤمن قبل التمييز (وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ) ،

---

(١) انظر : الكشاف ، للزمخشري ، (٤٧٣/١) ، (٢٥/٤) ، (٥٨٣/٤) .

(٢) انظر : النشر ، لابن الجزري ، (١٨٤/٢) ، وانظر : السبعة في القراءات ، لابن مجاهد، ص ٢٢٠.

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، (١٨٨/٤) ، وانظر : تفسير القرآن، لابن أبي حاتم، (٨٢٤/٣) ، وانظر : الدر المنثور ، للسيوطي ، (٣٩٣/٢) ، وانظر : العجاب ، لابن حجر ، (٧٩٨/٢) .

أي : يختار لمعرفة ذلك من يشاء من الرسل ،وكـــان محمـــد – عليـــه الصـــلاة والسلام – ممن اصطفاه الله بهذا العلم. (فَـَٔامِنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ) بصفة الإخلاص. (وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ) النفاق .(فَلَكُم أَجۡرٌ عَظِيمٌ) في الآخرة[1] .

٢/ آية يس :

(وَٱمۡتَـٰزُوا ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ) يُخبر الله –تعالى– في هذه الآية عمَّا يـــؤول إليه حال الكفار يوم القيامة من أمره لهم أن يمتـــازوا ، بمعنـــى يتميـــزون عـــن المؤمنين في موقفهم ، فيصيرون فرقتين[2] .

٣/ آية الملك :

(تَكَاد تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ) ، أي : تكاد نار جهـــنم ، أو تقتـــرب أن تتقطـــع ، وينفصل بعضها من بعض من شدة غضبها على الكفار ، وحنقها بهم[3] .

---

(١) انظر: الوجيز ، للواحدي ، (٢٤٥/١) ، وانظر : مدارك التنزيل ، للنسفي ، (١٩٤/١) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (٥٧٧/٣) .

(٣) انظر : التفسير المنير ، لوهبة الزحيلي ، مج ١٥ ، (١٧/٢٩) .

الخاتمة

أختمُ هذا البحث العلمي بما ابتدأتُه به أولاً أنِ الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، وكما يحب ربنا ويرضى ، فالشكر لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلوات ربي الطيبات ، وتسليماته الزاكيات على أفضل مبعوث إلى الناس بالرحمات ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان حتى الممات .

في ختام هذا البحث ، وبعد الدراسة الشاملة للموضوع ، والتنقيب المضني في معجم لسان العرب لابن منظور الإفريقي ، وفي كتب التفاسير المختلفة وغيرها من الكتب المساعدة في دراسة الموضوع ، لعله من المناسب – في هذا المقام – أن أُبين أهم ما توصلتُ إليه من نتائج وملاحظات تتعلق بموضوع هذه الدراسة ، وهو معجم لسان العرب ، وتمثل هذه النتائج في مجموعها ملخصاً للبحث ، وهي:

١/ جمع ابن منظور مادة معجمه في اللغة من خمسة مصادر ، هي : تهذيب اللغة للأزهري ، ومحكم ابن سيده ، وصحاح الجوهري ، وحواشي ابن بري ، ونهاية ابن الأثير . أفرغ محتويات هذه الكتب في معجمه مع بعض الاختصار والتبويب والترتيب ، وقد ذكر محاسن ومساوئ هذه المعاجم ، ورتب معجمه ترتيب الصحاح .

٢/ اختط ابن منظور لنفسه في لسان العرب منهجاً واضحاً سار عليه في جميع كتابه ، فهو لم يكتف بشرح معاني الكلمات اللغوية فقط ، وإنَّما استعان بالنحو والصرف إمعاناً في التوضيح ، كما اهتم كثيراً بذكر الشواهد العربية ، فاستشهد على المعاني بالقرآن الكريم وتفسيره ، وبيان وجوه القراءات فيه ، واستشهد كذلك بالحديث النبوي الشريف ، وأشعار العرب وأمثالهم وخطبهم ، كما كان له اتجاهاً فقهياً ، فيذكر أحياناً بعض الأحكام الفقهية ، ومذاهب العلماء فيها ، وعالج في مواضع قليلة من معجمه بعض مسائل العقيدة ، فصار كتابه بحق موسوعة علمية يستفيد منها اللغوي والأديب والمفسر والمحدث والفقيه وصاحب العقيدة .

٣/ فسر ابن منظور في معجمه كثيراً من الآيات القرآنية أو جزءاً منها أو بعض المفردات في الآيات إلا أنَّ المفسرين – بالمقارنة معه – يُعدُّون أكثر بياناً

وتفصيلاً منه لشروح الآيات الكريمة ، ولا عجب فهم أصحاب الشأن وأهل الاختصاص في التفسير ، وإن كان أحياناً –وفي حالات قليلة– يحدث العكس ، فيكون ابن منظور هو الذي يفصل ويوضح ، وذلك إذا اقتضت الناحية اللغوية هذا التفصيل .

٤/ لم تصرف ابن منظور منزلة العلماء الذين استفاد من كتبهم عن أن يبدي رأيه أحياناً ، أو يتطوع ببعض التفسيرات والإضافات ، أو يخالف بعض آراء من التزم مناهجهم مع وجاهتها .

٥/ إذا أورد ابن منظور بعض أقوال أهل اللغة أو غيرهم في الاستشهاد على المعاني في شرح بعض المواد اللغوية ولم يعارضها أو يردها ، ولم يذكر ما ينافيها من الأقوال تعتبر من قوله ورأيه ، ولذلك تعاملتُ معها على أنَّها قول ابن منظور ورأيه .

٦/ بعد الدراسة الشاملة في معجم لسان العرب تبين لى أنَّه موسوعة علمية غنية جداً بالعلوم المختلفة ، فهو لم يكتف بالنواحي اللغوية فقط ، وإنَّما دعَّمه صاحبه بالموضوعات العلمية المختلفة التي ما زالت بحاجة إلى بحوث ودراسات، وفيه فوائد عظيمة لمن أراد الانتفاع بها .

وختاماً توصي الباحثة ببذل المزيد من البحوث والدراسات العلمية في هذا المعجم رغم كل هذه الدراسات التي خُدِم بها من قِبَل أهل التفسير وأهل الحديث، فإنَّ هذه الاجتهادات لم توصد الباب أمام الباحثين ، لأنَّه ما زال بحاجة إلى اجتهادات أخرى ، وإضافات جديدة من طلاب العلم والمعرفة ، مثلاً في جانب القراءات والفقه والعقيدة وغير ذلك .

وتوصي الباحثة جميع الباحثين بتحري الدقة والأمانة في جميع هذه البحوث والدراسات .

وأسأل الله الكريم أن يتقبل مني هذا العمل ، ويجعله خالصاً لوجهه ، ويضعه في ميزان حسناتي ، وفي موازين كل من ساهم في إنجازه وإخراجه ، وينفع به إنَّه تعالى خير مسئول وأفضل مأمول .

الباحثة

الفهارس العامة

١ – فهرس الآيات القرآنية .

٢ – فهرس الأحاديث النبوية والآثار.

٣ – فهرس الأعلام المترجم لهم في البحث.

٤ – فهرس المواد اللغوية .

٥ – فهرس الأبيات الشعرية.

٦ – فهرس المصادر والمراجع .

٧ – فهرس الموضوعات

أولاً : فهرس الآيات القرآنية :

السورة ورقمها	الآيـــــــة	رقم الآية	الصفحة
الفاتحة (١)	﴿مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾	٤	٧٣٥،٧٣٨ ،٧٣٤
	﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾	٧	٣٦٦،٣٦٧، ٣٦٥
البقرة (٢)	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾	٦	٢٢٦
	﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ﴾	١٠	٦٦٥،٦٦٧ ،٦٦٤
	﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾	١٤	٧٠٨ ،٧٠٧ ،٧٠٦ ٧١٠، ٧٠٩
	﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾	١٥	٦٣٠،٧٢٣، ٦٢٥
	﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتًا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ﴾	٢٨	٣٥٨
	﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾	٣٧	٢٩١ ، ٢٩٠
	﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ	٥٧	٧٥١،٧٤٦ ،٧٤٥

الصفحة	رقم الآية	الآيـــــــة	السورة ورقمها
		وَٱلسَّلْوَىٰ)	
٦٩٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢	٦١	(وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ)	
٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٩١ ، ٧٩٢	٦٩	(قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ)	
٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤، ٣٣٥،٣٣٧	٧١	(قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ)	
٧٦٧، ٧٧١،٧٧٢	٧٨	(وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ)	
١٩٧	٨١	(بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ)	
٤٤٥، ٤٤٩، ٤٥٠،	٨٨	(وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ)	
٢٢٨ ، ٢٣٠	٨٩	(وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ)	

السورة ورقمها	الآيـــــــة	رقم الآية	الصفحة
	﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾	٩٨	٦٨٨
	﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ﴾	١٠١	١٢٤
	﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	١١٦	٢٧٦ ، ٢٧٣
	﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾	١٢٠	٧٤٢ ، ٧٣٩
	﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ﴾	١٢٤	٢٨٩،٢٨٧ ،٢٨٦
	﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾	١٢٧	٢٨٧
	﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾	١٢٨	٢٨٧
	﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾	١٢٩	٢٨٧
	﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ	١٣٢	٢٩٦ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٧

السورة ورقمها	الآيـــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	ٱصۡطَفَىٰ)		
	(فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ)	١٣٧	٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧
	(وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ)	١٤٣	٩٥، ٩٨ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥
	(إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ)	١٥٨	٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٣
	(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ)	١٥٩	١٤٢، ٤٤٥، ٤٥١
	(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ)	١٦١	٤٤٧
	(أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِ)	١٧٥	٧٨٤، ٧٨٥، ٧٩٠
	(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي	١٧٨	١٣٠ ، ١٣٣

الصفحة	رقم الآية	الآيـــــــــة	السورة ورقمها
		ﭐلۡقَتۡلَى)	
١٣٠ ، ١٣٢	١٨٣	(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ)	
٣٨٩ ، ٣٩٠، ٣٩٥	١٨٧	(أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ)	
٧٢٣	١٩٤	(فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ)	
٥٦٣ ، ٥٦٥	١٩٦	(وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِ)	
٤١٦ ، ٤١٩	٢٠٤	(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ)	
٤١٩	٢٠٥	(وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ)	
٢٥٠	٢٠٨	(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ)	
١٩٣، ١٩٤	٢١٦	(كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ)	

السورة ورقمها	الآيـــــــة	رقم الآية	الصفحة
	(لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ)	٢٢٥	٤٥٤، ٤٥٨، ٤٦٠
	(وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ)	٢٣٤	٥٧٦
	(وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ)	٢٣٥	٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤، ٣٢٥
	(لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ)	٢٣٦	٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥
	(مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ)	٢٣٧	٦٨٨
	(حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ)	٢٣٨	٦٨٨
	(وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم)	٢٤٠	٥٧٦ ، ٥٨١
	(وَلِلْمُطَلَّقَـٰتِ مَتَـٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ)	٢٤١	٥٧٠، ٥٧١ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤
	(أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ	٢٤٦	٧٢٩، ٧٣٠

السورة ورقمها	الآيـــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	مُوسَىٰ)		
	(ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ)	٢٥٥	١٧٢ ، ١٧٤
	(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ)	٢٦٤	٧٤٥، ٧٤٦، ٧٥٠
	(لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ)	٢٧٣	٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣
	(ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى)	٢٧٥	٦٨٦ ، ٦٨٧
	(يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ)	٢٧٦	٦١٤ ، ٦١٥
	(وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ)	٢٨٠	٣٤٦
	(وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ)	٢٨٤	١٩٩

السورة ورقمها	الآيـــــــة	رقم الآية	الصفحة
	﴿ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾	٢٨٥	١٩٥
	﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾	٢٨٦	١٩٦
آل عمران (٣)	﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ﴾	٢٦	٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٨
	﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا﴾	٣٧	٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦١
	﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾	٣٩	٣٠٢
	﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾	٤٤	٢٥٩
	﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ﴾	٤٥	٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣
	﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾	٤٦	٣٢٧
	﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ﴾	٤٩	٣١٢

السورة ورقمها	الآيـــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	(ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ)	٧٢	٢٣٥
	(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ)	١٠٠	٢٤٤
	(وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ)	١٠١	٢٤٢ ، ٢٤٤
	(فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَا)	١٠٣	٢٤٤
	(كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ)	١١٠	٣٤٧، ٣٤٨،٣٤٩
	(بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم)	١٢٥	٣٦٢، ٦٣٣،٦٣٦
	(لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ)	١٢٧	٧٦ ، ٧٩
	(ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ)	١٣٤	٢١١ ، ٢١٢

الصفحة	رقم الآية	الآيـــــــــة	السورة ورقمها
٦١١ ، ٦١٣	١٤١	﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾	
٣٦٢، ٣٦٣	١٤٦	﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ﴾	
٦١١، ٦١٣،٦١٤	١٥٤	﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾	
٦٢٨	١٧٨	﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ﴾	
٨٠٢، ٨٠٣ ، ٨٠٤، ٨٠٥،٨٠٦	١٧٩	﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ﴾	
٧٦١، ٧٦٤،٧٦٥	٤	﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾	النساء (٤)
٢٧٧ ، ٢٧٨	١٢	﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ﴾	
٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧٢٠، ٧٨٤،٧٨٥	٢٢	﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ﴾	
١٣١	٢٣	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾	

السورة ورقمها	الآيـــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾	٢٤	١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ٥٦٦، ٥٦٧،٥٦٩، ٥٧٠
	﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾	٣١	١٠٤، ١٨٧، ١٨٨، ٤٩٤
	﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾	٤٥	٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤
	﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾	٤٦	٥٩
	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾	٤٧	٤٤٥، ٤٤٦
	﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم﴾	٦٦	٧٨٥، ٧٨٦، ٧٩١
	﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ﴾	٨٥	٢٥٥
	﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾	٩٩	٣٤٧، ٣٤٨

الصفحة	رقم الآية	الآيـــــــة	السورة ورقمها
٥٥٢، ٥٥٣ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦	١٣٥	(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ)	
٢٣٣	١٣٧	(إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرًا)	
٢٣٥	١٣٨	(بَشِّرِ ٱلۡمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا)	
٧٢٣	١٤٢	(يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمۡ)	
٦٦٤، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٩، ٧٩٠	١٥٥	(فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَـٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ)	
٢٩٢ ، ٢٩٤	١٦٤	(وَرُسُلًا قَدۡ قَصَصۡنَـٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلًا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ)	
٢٧٧، ٢٧٨، ٣٠٤	١٧٦	(يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَـٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ)	
٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨	٣	(حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ)	المائدة (٥)

السورة ورقمها	الآيــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	(يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ)	٤	٢٦٩ ، ٢٧٢
	(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ)	٦	٢١٤ ، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٨٢، ٦٨٣
	(أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ)	٣٣	٦٥
	(إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ)	٤٤	٢٣٦
	(وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ)	٤٥	١٣٠، ١٣٢
	(قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ)	٦٠	٤٤٨
	(يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ)	٦٧	١٦٠
	(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ)	٨٧	٥٦٩
	(وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ	٨٩	٤٥٧

السورة ورقمها	الآيـــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ)		
	(إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ)	١١٠	٣١١، ٣١٢، ٣١٣
	(قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ)	١١٤	٧٩٩، ٧٨٠، ٧٨١ ، ٧٨٢
الأنعام (٦)	(وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا)	٨	٣٩٠
	(وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ)	٩	٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨
	(وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ)	١٧	٢١٠
	(قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ)	٣٣	١٦٤، ١٦٦
	(وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ)	٦٠	٣٩٧
	(قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن	٦٥	٣٨٩، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٧

السورة ورقمها	الآيـــــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	فَوْقِكُمْ)		
	(وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)	٩٤	٢٧٧
	(بَدِيعُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ)	١٠١	٢٢٠
	(لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَارَ ۖ)	١٠٣	١٦٠
	(وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا)	١٠٩	٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٨
	(قُلْ يَاقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)	١٣٥	٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧
	(قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ)	١٥١	٧٣٢، ٧٣٣
	(مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ)	١٦٠	١٩٧
	(وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ)	١٦٤	١٩٧

السورة ورقمها	الآيـــــــة	رقم الآية	الصفحة
الأعراف (٧)	﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾	١٢	٣٦٥، ٣٦٧
	﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾	٢٣	٢٩٠، ٢٩١
	﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾	٤١	٧٧٣، ٧٧٥
	﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾	٤٣	١١٠
	﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾	٥٤	٣٤١
	﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾	٥٧	٤٧٧، ٢٧٨
	﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾	٩٠	٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١
	﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾	١١٧	٤٧٩ ، ٤٨٠
	﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾	١٤٣	٢٩٤
	﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾	١٤٥	٥١٣، ٥١٨

السورة ورقمها	الآيــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	مَّوْعِظَةً)		
	(سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ)	١٤٦	١١٥
	(وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا)	١٥٤	٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٤٠، ٥٤٤
	(وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ)	١٧٠	٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٤، ٦٩٦
	(أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ)	١٧٢	٦٠
	(وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا)	١٧٥	٥٠٥
	(وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ)	١٧٦	٥٠٣، ٥٠٥، ٥٠٦
	(لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ)	١٨٧	٢٠٩
	(هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)	١٨٩	٣٩٠، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٧

السورة ورقمها	الآيـــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	(وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ)	٢٠٢	٦٣٢ ، ٦٣٦
الأنفال (٨)	(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ)	٢٤	٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠
	(فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ)	٣٢	٦٠٠
	(وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ)	٣٣	٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣
	(وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟)	٣٥	٧٢٧ ، ٧٢٨
التوبة (٩)	(بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم)	١	٥٦
	(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ)	٣٤	٣١٣، ٣١٤ ، ٣١٧ ، ٣١٨
	(إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا)	٣٦	٢٥٠
	(إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟)	٤٠	٧٠٦، ٧٠٧، ٧١١

الصفحة	رقم الآية	الآيـــــــة	السورة ورقمها
٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩١	٥٨	(وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ)	
١٣٨	٦٠	(وَفِي ٱلرِّقَابِ)	
٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٧	٦٩	(كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةً وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلاً وَأَوۡلَٰدًا)	
٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩١	٧٩	(ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ)	
١٠٣	٨٤	(وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓ)	
٦٤٩، ٦٥١،٦٥٠، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٦	١٠١	(وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ)	
٧٥٧ ، ٧٦٠	١٠٨	(لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ)	
٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١١	١١٩	(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ	

السورة ورقمها	الآيـــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	ٱلصَّٰدِقِينَ)		
	(وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا)	١٢١	٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٧
يونس (١٠)	(قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)	٥٨	٥٢٨ ، ٥٣١
	(وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ)	٦١	٧٥٧، ٧٥٩، ٧٦٠
	(قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ)	٧٨	١١٣، ١١٤، ٤٦١، ٤٦٢
	(وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلاً)	٨٨	٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٧
هود (١١)	(وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا)	٣	٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٨١
	(أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ)	١٧	٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٤

السورة ورقمها	الآيـــــــة	رقم الآية	الصفحة
	(وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَـٰمًا)	٦٩	٣٨٣ ، ٣٨٥
	(قَالُواْ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ)	٨١	٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٤
	(فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا)	٨٢	٧٠٤
يوسف (١٢)	(وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ)	١٨	١٦٩
	(وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا)	٢٥	٤٢٣ ، ٤٢٤
	(فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا)	٣١	٨٨
	(إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ)	٣٦	٥٣٧
	(إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ)	٤٣	٥٣٨

السورة ورقمها	الآيـــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	(فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ)	٨٠	٨٣ ، ٨٤
	(قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى)	٩٠	٧٤٥، ٧٤٦، ٧٥٠
	(وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا)	١٠٠	٥٤٤
	(حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ)	١١٠	١٥٢
الرعد (١٣)	(وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا)	٣	٦٢٨
	(وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ)	٦	٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠٥
	(وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ)	١٣	٦١٦ ، ٦١٧
	(مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا	٣٥	٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٧

السورة ورقمها	الآيــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾		
إبراهيم (١٤)	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾	٤	٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٧
	﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾	١٧	٧٩٢، ٧٩٣، ٧١٨
	﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾	٢٢	٢٣١، ٢٣٢، ٧١٨
	﴿وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾	٥٠	٤٦٦
الحجر (١٥)	﴿لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾	٧	٥٢١، ٥٢٣
	﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾	٢١	٤٧٩
	﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾	٢٢	٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩
	﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾	٥٦	٧٥١، ٧٥٢
	﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٍ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ﴾	٦٥	٤٦٤

السورة ورقمها	الآيــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	(فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ)	٧٤	٧٠٢ ، ٧٠٤
	(لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ)	٨٨	٦٢٨
	(فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ)	٩٤	٧٨٤، ٧٨٥، ٧٩٠
النحل (١٦)	(وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا)	١٥	٧٩٩، ٧٨٠، ٧٨٢
	(وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ)	٥٨	٢١٣
	(لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ)	٦٠	٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٧
	(وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ)	٦٨	٥٤٨
	(وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ)	٧٦	٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥

الصفحة	رقم الآية	الآيـــــــــة	السورة ورقمها
٣٢٥ ، ٣٢١	٨١	﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ﴾	
٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٨، ٤٠٩	١٠٣	﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾	
٣٨٩، ٣٩٠ ، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٧	١١٢	﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾	
١٥١	١١٦	﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا﴾	
٧٠٦، ٧٠٧، ٧١٠	١٢٨	﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾	
٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٦	٦	﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾	الإسراء (١٧)
٥٤٥، ٥٤٩	٧	﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ﴾	
١٢٧	١٣	﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾	
١٨٣	٢٣	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ	

السورة ورقمها	الآيـــــــة	رقم الآية	الصفحة
	إِحۡسَٰنًاۚ)		
	(وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ)	٣١	٧٣٢، ٧٣٣
	(وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ)	٣٧	٦٤٧، ٦٤٨
	(وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ)	٤٦	٣٢١ ، ٣٢٦
	(قُل كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا)	٥٠	٩٣ ، ٩٤
	(أَو خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ)	٥١	٩٣، ٩٤
	(وَإِذ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا)	٦٠	٤٤٥ ، ٤٤٦
	(قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ)	٦٢	١٨٩، ١٩٠
	(أَو تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا)	٩٢	٢٠٣ ، ٢٠٤
	(أَوَلَم يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ	٩٩	٢٢٥

السورة ورقمها	الآيـــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	قَادِرٌ)		
	(وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ)	١٠٤	٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٢
	(وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا)	١٠٨	٥٣٦، ٣٥٧، ٥٤٣
الكهف (١٨)	(مِّن لَّدُنْهُ)	٢	٤٢١
	(سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ)	٢٢	٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٤، ٦٧٥
	(وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ)	٢٩	٧٧٦، ٧٧٩
	(وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ)	٤٩	٤٣١
	(قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى)	٧٦	٤٢٠
	(جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ)	٧٧	٣٣٣
	(وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ)	٨٢	٣١٣، ٣١٤، ٣١٦
	(فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ)	١١٠	٤٨٣

الصفحة	رقم الآية	الآيـــــــة	السورة ورقمها
٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٩، ٦٩٠	٢٠	﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ﴾	مريم (١٩)
٦٢٣، ٦٢٤، ٧٩٢، ٧٩٣	٢٣	﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا﴾	
٣٤٥، ٧٧٣	٢٩	﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا﴾	
٢٧٣، ٢٧٧	٩٥	﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾	
٤١٦، ٤٢٠	٩٧	﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا﴾	
٦٢٥	١٣	﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ﴾	طه (٢٠)
٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٦	١٥	﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾	
٧٨٤، ٧٨٦، ٧٩١	١٧	﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾	
٨٦، ٨٧	٧١	﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾	

الصفحة	رقم الآية	الآيـــــــــة	السورة ورقمها
٦٨٦، ٦٨٧ ، ٦٩٠ ، ٦٩١	٩٧	﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾	
٥٩٩، ٦٠٤	١٠٤	﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾	
٦٣١	١٠٦	﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾	
٦٣١	١٠٧	﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾	
٤٣٠	١٢٩	﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾	
٥٠٦، ٥٠٧، ٥١١، ٥١٢	٣	﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ﴾	الأنبياء (٢١)
٥٠٦، ٥٠٧، ٥١٢	١٧	﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾	
٤٦٦	٣٩	﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ﴾	
٢٦٨، ٢٦٩	٤٢	﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾	

الصفحة	رقم الآية	الآيـــــــة	السورة ورقمها
٤٦٥	٤٦	(وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ)	
٧٥٧، ٧٦٠	٧٧	(وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ)	
٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٦	٨٠	(وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ)	
٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٦	٨٢	(وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ)	
٣٦٥ ، ٣٦٨	٩٥	(وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ)	
٥٩٩	٩٨	(إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ)	
٥٩٢	١٤	(إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ)	الحج (٢٢)
٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٧	٢٥	(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ)	

السورة ورقمها	الآيـــــــة	رقم الآية	الصفحة
	(ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ)	٣٠	٧٦١، ٧٦٥
	(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ)	٥٢	٧٦٧، ٧٧١، ٧٧٢
	(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ)	٧٣	٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣
المؤمنون (٢٣)	(وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ)	٥	٥٧٠
	(إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ)	٦	٥٧٠
	(تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ)	٢٠	٤٠٣
	(وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ)	٥٠	٧١٢، ٧١٣، ٧١٦
	(أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ)	٥٥	٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٧
	(أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ)	٦١	٥٤٤
	(وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ)	٧٦	٣٥٦ ، ٣٥٧

السورة ورقمها	الآيــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	(تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ)	١٠٤	٤٦٥
	(فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ)	١١٦	١٩٠ ، ١٩١
النور (٢٤)	(إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ)	١١	٩٩، ١٠٠، ١٠١
	(إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ)	١٥	٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٦
	(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ)	٢٧	٥٨
	(لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَـٰعٌ لَّكُمْ ۚ)	٢٩	٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٨
	(إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ)	٣٢	١٣٨
	(وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ)	٣٣	١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩
	(أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ	٤٠	٣٣٢، ٣٣٤،

السورة ورقمها	الآيـــــــة	رقم الآية	الصفحة
	مَوۡجٌ)		٣٣٥، ٣٣٧
	(إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ)	٦٢	٤١٤
	(لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضًا)	٦٣	٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١
الفرقان (٢٥)	(وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ)	٥	١٢١، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢
	(وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا)	١٣	٦٣١
	(ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ)	٣٤	١٨٧
	(وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتًا)	٤٧	٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٧
	(لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمًا)	٤٩	٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٦
	(وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ)	٥٣	٦٤٣

الصفحة	رقم الآية	الآيـــــــــة	السورة ورقمها
٤٥٤، ٤٥٥، ٤٦١	٧٢	(وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا)	
٤٣٠	٧٧	(قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ)	
٤٣٣	٨٤	(وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ)	الشعراء (٢٦)
٧٤، ٧٥، ٧٦	٩٤	(فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ)	
٧٦	٩٥	(وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ)	
٧٠٢، ٧٠٤	١٧٣	(وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ)	
أ	١٩٢	(وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)	
أ	١٩٣	(نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ)	
أ	١٩٤	(عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ)	
أ	١٩٥	(بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ)	
٥٧٦، ٥٨٠، ٥٨٢	٢٠٥	(أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ)	
٥٧٦، ٥٨٠، ٥٨٢	٢٠٦	(ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ)	

السورة ورقمها	الآيـــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	(مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ)	٢٠٧	٥٨٠
النمل (٢٧)	(وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ)	٦	٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٦
	(فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ)	٢٢	٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢
	(قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ)	٢٩	١٧٧ ، ١٧٩
	(قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ)	٤٠	١٩٢
	(قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن)	٤٤	٦٤٩ ، ٦٥٢
	(وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)	٥٠	٧٢٣، ٧٢٤
	(إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا)	٨١	٥٩
	(وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ)	٨٢	٢٩٧

السورة ورقمها	الآيـــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	٨٧	٢٧٣، ٢٧٦
القصص (٢٨)	﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ﴾	٨	٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٤٣
	﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَ﴾	٩	٥٣٨
	﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ﴾	٢٣	٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٩
	﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ﴾	٤٨	٢٢٣، ٢٢٤
	﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾	٥٤	٢٥٦، ٦٥٣،٦٥٢، ٦٥٤، ٦٥٧، ٦٥٨
	﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾	٧٨	٣٧٦
العنكبوت (٢٩)	﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ﴾	١٢	٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣١

الصفحة	رقم الآية	الآيــــــة	السورة ورقمها
٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٦، ٧٧٣، ٧٧٤	٤٤	(مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ)	الروم (٣٠)
٦٠٥	٥٥	(وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ)	
٥٠٦، ٥٠٧، ٥١٢، ٥١٣	٦	(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ)	لقمان (٣١)
٦٩٢، ٦٩٧	٢٢	(وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ)	
٦٣٢، ٦٣٣	٢٧	(وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ)	
١٦٠، ٢٠٩	٣٤	(إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ)	
٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٤، ٧٦٦	٤	(مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ)	الأحزاب (٣٣)
٤١٤	١٣	(إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ)	
١٨٥	٣١	(وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا)	

الصفحة	رقم الآية	الآيـــــــــة	السورة ورقمها
٦٦٤، ٦٦٧	٣٢	(يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ)	
٤٨٣	٤٤	(تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ)	
١٤٠، ١٤٢	٦٨	(رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا)	
٥٢٤	٣	(لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ)	سبأ (٣٤)
٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٨	٤	(لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ)	
٢٠٦	٩	(إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا)	
٦٧٦، ٦٧٧	١٩	(فَقَالُوا رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ)	
٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٥	٣١	(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ)	
٥٠٢	٤٦	(إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)	

السورة ورقمها	الآيـــــــة	رقم الآية	الصفحة
فاطر (٣٥)	(مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ)	٢	٧٨٥، ٧٨٦، ٧٩١
	(وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ)	١٢	٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣
يس (٣٦)	(وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ)	٥٩	٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٦
	(وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ)	٦٧	٣٤٣، ٣٤٤
	(إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ)	٨٢	٤٥٤
	(فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ)	٨٣	٧٣٤، ٧٣٩
الصافات (٣٧)	(لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ)	٨	٥٩
	(فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ)	١١	١١٨، ٤٢٧، ٤٢٩
	(وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ)	٢٤	٣٦٥، ٣٦٦
	(مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ)	٢٥	٣٦٥ ، ٣٦٦، ٧٠
	(إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ)	٣٥	٩١

السورة ورقمها	الآيـــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	(يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٍ مِّن مَّعِينِۭ)	٤٥	٦٨
	(بَيۡضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ)	٤٦	٦٨، ٦٩، ٤٢٥
	(كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٌ مَّكۡنُونٌ)	٤٩	٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤
	(أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ)	٥٣	٦٣٧
	(قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ)	٥٦	٥٣٦، ٥٣٧، ٥٤٤
	(وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ)	١٠٨	٤٣٦
	(سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ)	١٠٩	٤٣٦
	(كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ)	١١٠	٤٣٦
	(وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ)	١٢٣	٥٥٩، ٥٦١
	(فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ)	١٤٢	٥٢١
ص (٣٨)	(صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ)	١	٤٩٨
	(كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ)	٣	٣٧٧، ٣٨٠
	(أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن	٨	٤٩٣، ٤٩٨

الصفحة	رقم الآية	الآيـــــــة	السورة ورقمها
		ذِكۡرَىٰ)	
٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٢	٢٣	(إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ)	
٦٧٧، ٦٧٨، ٦٨٣	٣٣	(رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسۡحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ)	
٥٧	٥٨	(وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ)	
٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢	٥	(خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ)	الزمر (٣٩)
٧٦١، ٧٦٦	٧٥	(وَتَرَى ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ)	
٧١٦، ٧٢٠	١٠	(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ)	غافر (٤٠)
٤٨١، ٤٨٥	١٥	(رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِى ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ)	
٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٧، ٥٨٨	٣٩	(يَـٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَـٰعٌ)	

السورة ورقمها	الآيـــــــة	رقم الآية	الصفحة
	(لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ)	٥٧	١١٨
	(وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ)	٦٠	١٠٩، ١١٠، ١١١
	(ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ)	٧٥	٦٤٧، ٦٤٩
فصلت (٤١)	(وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ)	٥	٤٥٠
	(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ)	٢٦	٥٩، ٤٥٤، ٤٦١
	(ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ)	٣٤	٤٨٦
	(وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)	٣٥	٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٦
	(سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ)	٥٣	٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٥
الشورى	(فَاطِرُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ	١١	٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٦، ٥٩٥، ٥٩٤

الصفحة	رقم الآية	الآيـــــــة	السورة ورقمها
		أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا)	(٤٢)
٥٤٥	١٥	(فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ)	
٤٣٨	١٩	(ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ)	
٧٢٣	٤٠	(وَجَزَٰٓؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ)	
١٥٧	٤٧	(ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ)	
١٦٠	٥١	(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ)	
٦٤	٤	(وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ لَدَيْنَا)	الزخرف (٤٣)
٢٩٥	٢٦	(إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ)	
٢٩٥	٢٧	(إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ)	
٢٩٥	٢٨	(وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)	

السورة ورقمها	الآيــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾	٥٢	٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٤
	﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ﴾	٥٦	٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٤
	﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ﴾	٥٧	٥٩٩، ٦٠٣
	﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾	٥٩	٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٤
	﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ﴾	٦٠	٧٥٧، ٧٦٠
	﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ﴾	٧١	٣٢٩، ٣٣٢
الدخان (٤٤)	﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾	٤٣	٤٤٨، ٤٥٠
	﴿طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ﴾	٤٤	٤٤٨، ٤٥٠
الأحقاف (٤٦)	﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ﴾	١٢	٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٨

السورة ورقمها	الآيـــــــة	رقم الآية	الصفحة
	(وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ)	٢٠	٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٨، ٥٨١
	(أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ)	٣٣	٤٥٣
محمد (٤٧)	(مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ)	١٥	٤٢٥
	(وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ)	١٦	٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٦
	(وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ)	٣٠	٤١٣، ٤١٥
الفتح (٤٨)	(وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ)	١٤	٣٥٠
	(هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ)	٢٥	٥٣٢، ٥٣٥، ٥٣٦
	(مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ)	٢٩	٥٩، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٧، ٥٩٨

السورة ورقمها	الآيـــــــــة	رقم الآية	الصفحة
الحجرات (٤٩)	(لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ)	٢	٦٢٠
	(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ)	٣	٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠
	(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن)	١١	٤٧٣، ٤٧٥، ٤٧٦
	(قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا)	١٤	٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩
ق (٥٠)	(قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ)	١	٦٠٥، ٦٠٦، ٦١٠
	(بَلۡ عَجِبُوٓاْ)	٢	٦١٠
	(بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ)	٥	٦٤٠، ٦٤٣
	(وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ)	٧	٦٢٥، ٦٣١
	(مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ)	١٨	٤٦٧
	(وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ)	٢٣	٤٢٣، ٤٢٤
	(مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ)	٢٥	٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤

السورة ورقمها	الآيــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾	٣٨	٤٥٢
الذاريات (٥١)	﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾	٨	٦٤٢
	﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾	٩	٦٤٢
	﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾	٥٨	٥٨٨، ٥٩٠
الطور (٥٢)	﴿وَٱلطُّورِ ﴾	١	١٢٦
	﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾	٢	١٢٦
	﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴾	٩	٧٩٧ ، ٧٩٩
	﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴾	١٠	٧٩٧ ، ٧٩٩
	﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾	٣٠	٧٤٥، ٧٤٨، ٧٤٩
	﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾	٤١	١٢٨، ١٢٩، ١٣٠
	﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ﴾	٤٤	٢٠٣، ٢٠٤
النجم (٥٣)	﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾	١	٧٧١
	﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾	٥	٦٥٨ ، ٦٦٣

السورة ورقمها	الآيـــــــة	رقم الآية	الصفحة
	(ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ)	٦	٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٣
	(مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ)	١١	١٥٨
	(أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ)	١٢	٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٥
	(وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ)	١٣	١٦٠
	(أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ)	١٩	٣٩٩، ٤٠٢، ٧٧١
	(وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ)	٢٠	٧٦٧، ٧٦٨، ٧٧٣
	(ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ)	٣٢	١٠٣، ١٠٥، ٤٩٢، ٤٩٣
	(أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ)	٣٣	١٥٠
	(وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ)	٣٤	١٤٨، ١٤٩، ١٥٠
	(أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ)	٣٥	١٥٠
	(ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ)	٤١	١٥٠
	(فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ)	٥٥	٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٥
	(أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ)	٥٧	٢٠٩
	(لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ)	٥٨	٢٠٩

السورة ورقمها	الآيــــــــة	رقم الآية	الصفحة
القمر (٥٤)	(ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ)	١	٦٦٢
	(وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٌ مُّسۡتَمِرٌّ)	٢	٦٥٨، ٦٥٩،٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣
	(إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحًا صَرۡصَرًا فِي يَوۡمِ نَحۡسٍ مُّسۡتَمِرٍّ)	١٩	٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦٣
	(إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٍ)	٣٤	٤٦٤
	(وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ)	٣٦	٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٥
	(بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ)	٤٦	٦٥٨، ٦٦٠، ٦٦٣
	(وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ)	٥٠	٤٨٧ ، ٤٨٨
الرحمن (٥٥)	(فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ)	١١	٣٠٨
	(وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ)	١٥	٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٤
	(مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ)	١٩	٦٤٠، ٦٤٤
	(يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ)	٢٢	٦٤٤، ٦٤٦
	(فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ)	٣٧	٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥
	(فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ)	٣٩	٣٧٦

السورة ورقمها	الآيـــــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾	٥٨	٦٤٤
الواقعة (٥٦)	﴿لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾	٢	١٥٦
	﴿فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا﴾	٦	٣٥٣، ٣٥٤
	﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ﴾	٤٣	١٨٠
	﴿لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ﴾	٤٤	١٧٩
	﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ﴾	٦٣	٥٨
	﴿ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾	٦٤	٥٨
	﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾	٧٧	١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ٥١٤
	﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾	٧٨	١٨١، ٥١٤
الحديد (٥٧)	﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ ﴾	٦	٣٤١
	﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم﴾	١٢	٢٥٧
	﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ﴾	١٧	٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٧
	﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ﴾	٢٠	٢٤٠

السورة ورقمها	الآيـــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	وَتَفَاخُرٌ)		
	(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ)	٢٨	٢٥٥، ٢٥٦، ٣٧٤
	(لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٍ)	٢٩	٣٦٥
المجادلة (٥٨)	(وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ)	٣	٦٨٦، ٦٨٧، ٦٩١
	(إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ)	٥	٧٦، ٧٧
الحشر (٥٩)	(مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا)	٥	٥٤٩
الممتحنة (٦٠)	(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ)	١٠	٢٤٧، ٢٤٩،٢٤٨، ٦٩١، ٦٩٤،٦٩٢، ٦٩٥، ٦٩٦
المنافقون	(نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ)	١	٤١٤

السورة ورقمها	الآيـــــــة	رقم الآية	الصفحة
(٦٣)	﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾	٥	٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦
	﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾	٨	٤١٤
التغابن (٦٤)	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ﴾	٢	٦٠
الملك (٦٧)	﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾	٤	٦٥٣
	﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ﴾	٨	٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٦
	﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	١٤	٤٣٨، ٤٤١
	﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا﴾	٢٢	٧٠، ٧٣
القلم (٦٨)	﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾	٣	٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٥٠
	﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾	١٠	٧٨، ٧٨٣
الحاقة (٦٩)	﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ	١٧	٣٨١، ٣٨٢

الصفحة	رقم الآية	الآيــــــــة	السورة ورقمها
		فَوۡقَهُمۡ)	
١٥٧	١	(سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ)	المعارج (٧٠)
١٥٧	٢	(لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ)	
٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٩	٨	(يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ)	
٤٤٢، ٤٤٤	١٥	(كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ)	
٤٤٢ ، ٤٤٤	١٦	(نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ)	
٧٤٤	٢٠	(إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا)	
٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤	٢١	(وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا)	
١٠٧، ١٠٨	٢٢	(وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا)	نوح (٧١)
٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨	١٩	(وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا)	الجن (٧٢)
٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٩	٢٢	(قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ)	
٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٩	٢٣	(إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ	

السورة ورقمها	الآيـــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	وَرَسُولَهُۥ)		
المزمل (٧٣)	(يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً)	١٤	١٣٩، ٣٥٣،٣٥٤، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٨٠
المدثر (٧٤)	(وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ)	٦	٧٤٥، ٧٤٦، ٧٥١
	(ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدًا)	١١	٣٥٢
	(كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدًا)	١٦	٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٣
	(لَوَّاحَةٌ لِّلۡبَشَرِ)	٢٩	٥١٣، ٥١٤،٥١٥، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦
	(إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ)	٣٥	١١٩
	(كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ)	٣٨	١٩٧
القيامة (٧٥)	(لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ)	١	٣٦٥
	(وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ)	٢٩	٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٣
	(إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ)	٣٠	٤٧٠
	(فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ)	٣١	٣٦٧

السورة ورقمها	الآيـــــــة	رقم الآية	الصفحة
	(ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ)	٣٣	٧٠٥، ٧٠٦
	(أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ)	٣٧	٧٦٧ ، ٧٧٢
الإنسان (٧٦)	(إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ)	٢	٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩
	(إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا)	٥	٢٤٥ ، ٢٤٧
	(وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ)	٨	٧٥٤
	(وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً)	١٧	٣٥٠
	(إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا)	٢٢	٣٥٠
المرسلات (٧٧)	(أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ)	٢٠	٧٨٠ ، ٧٨٣،٧٨١
	(أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا)	٢٥	٢٢١ ، ٢٢٣
	(أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا)	٢٦	٢٢١ ، ٢٢٣،٢٢٢
النبأ (٧٨)	(وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا)	١٦	٤٦٨، ٤٦٩
	(لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا)	٢٣	٣٨٣ ، ٣٨٤

السورة ورقمها	الآيـــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا﴾	٢٨	١٦١ ، ١٦٣
	﴿وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابًا﴾	٣٣	٢١٧
	﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾	٣٥	١٦١ ، ١٦٤
عبس (٨٠)	﴿فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾	١٠	٥٠٦ ، ٥٠٧
التكوير (٨١)	﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾	١١	٢٠٧ ، ٢٠٨
	﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾	١٥	٣١٨
	﴿ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾	١٦	٣١٨
	﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾	١٧	٣١٩
	﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ﴾	٢٦	٣٥٨
الانفطار (٨٢)	﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾	٦	١٦٩
	﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَـٰفِظِينَ﴾	١٠	٥٠٠
	﴿كِرَامًا﴾	١١	٥٠٠
المطففين	﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ﴾	٢	٣٦٠

السورة ورقمها	الآيـــــــة	رقم الآية	الصفحة
(٨٣)	﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾	٣	٣٦٠
الانشقاق (٨٤)	﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾	٣	٦٢٥ ، ٦٣١
	﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾	٦	١٦٩
البروج (٨٥)	﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾	١٥	٦٠٥، ٦٠٦، ٦١٠
	﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾	٢١	٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦١٠
	﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾	٢٢	٥١٣ ، ٥١٧
الطارق (٨٦)	﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾	٤	٤٩٣ ، ٥٠٠
	﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾	١٥	٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠
	﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾	١٦	٣٣٨ ، ٣٤٠
	﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾	١٧	٧٧٦، ٧٧٧، ٧٨٠
الغاشية (٨٨)	﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً﴾	١١	٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٩، ٤٦٠
	﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾	١٤	٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١
الفجر (٨٩)	﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾	١٤	٥٣٢، ٥٣٤
	﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾	١٩	٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٧

السورة ورقمها	الآيــــــــة	رقم الآية	الصفحة
البلد (٩٠)	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾	٤	٨٠
	﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا﴾	٦	٣٨٥، ٣٨٨
	﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾	١١	٣٦٥ ، ٣٦٧
الليل (٩٢)	﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾	١٤	٤٤٢ ، ٤٤٥
الضحى (٩٣)	﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾	٣	١٦٩
الشرح (٩٤)	﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾	١	١٦٩
	﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾	٦	٧٠٦، ٧٠٧، ٧١٠، ٧١١
التين (٩٥)	﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾	٧	١٦٧
العلق (٩٦)	﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾	١	١٦٩
	﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾	٦	٢٦٧
	﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾	٩	٢٦٧
	﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾	١٠	٢٦٧
	﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾	١٥	٢٦٦، ٢٦٨
	﴿كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾	١٦	٢٦٧

السورة ورقمها	الآيـــــــــة	رقم الآية	الصفحة
الزلزلة (٩٩)	(بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا)	٥	٥٤٤
	(فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرًا يَرَهُۥ)	٧	٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٥
	(وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ)	٨	٧٥٥
(التكاثر (١٠٢)	(أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ)	١	١٤٣، ١٤٥
	(حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ)	٢	١٤٣ ، ١٤٥
الهمزة (١٠٤)	(فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةِۭ)	٩	٦٢٥ ، ٦٣٠
الماعون (١٠٧)	(فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ)	٤	٧١٥
	(وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ)	٧	٧١٢، ٧١٥
الكوثر (١٠٨)	(إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ)	١	١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨
المسد (١١١)	(تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)	١	٢٠٣، ٥٠٠، ٥٠٢، ٦٨٥
	(مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ)	٢	٢٠٠، ٢٠١، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٩
	(وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ)	٤	٢٠٣، ٦٨٥
	(فِي جِيدِهَا حَبۡلٌ مِّن مَّسَدِۭ)	٥	٦٨٤، ٦٨٦
الإخلاص	(قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ)	١	٢٢٠

السورة ورقمها	الآيـــــــــة	رقم الآية	الصفحة
(١١٢)	(ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ)	٢	٢٢٠
	(وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ)	٤	٢١٨

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية والآثار :

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
١	(أبشروا أتاكم اليسر. لن يغلب عسر يسرين)	٧١٠
٢	(أتت امرأة النبي – ﷺ – فقالت : ادع الله أن يدخلني الجنة)	١٧٣
٣	(أطيب ما يأكل الرجل من كسبه ، وولده من كسبه)	٢٠٠
٤	(ألا نختصي ؟ فنهانا عن ذلك)	٥٦٩
٥	(ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك)	٥٦٩
٦	(آمين خاتم رب العالمين)	٦٥
٧	(آمين درجة في الجنة)	٦٥
٨	(إنَّ أبا جهل قال للنبي – ﷺ –: إنَّا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به)	١٦٦
٩	(إنَّ أبغض الرجال إلى الله الألَدُّ الخَصِمُ	٤١٦
١٠	(أنا دعوة أبي إبراهيم)	٤٣٦
١١	(إنَّ أم الكتاب هي فاتحة الكتاب)	٦٤
١٢	(إنَّ الأوس والخزرج ذكروا ما كان منهم في الجاهلية ، فثار بعضهم إلى بعض بالسيوف)	٢٤٢
١٣	(إنَّ رسول الله – ﷺ – حرق نخل بني النضير وقطع ، وهي البويرة)	٥٥١
١٤	(إنَّ رسول الله – ﷺ – قال لقريش : إنَّه ليس أحد يُعبد من دون الله فيه خير)	٦٠٣
١٥	(إنَّ رسول الله – ﷺ – لمَّا عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء من المؤمنات)	٢٤٩، ٦٩٥
١٦	(إنَّ الكوثر نهر في الجنة أشد بياضاً من اللبن)	١٤٥
١٧	(إنَّ من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر لم يدخل الجنة)	٩١
١٨	(إنَّ النبي – ﷺ – جاء إلى أبي طلحة فرأى ابنه مكبوتاً)	٧٩
١٩	(إنَّ النبي – ﷺ – كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده)	٩٨
٢٠	(إنَّه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه . إنّهَ ليس كفراً ينقل عن الملة)	٢٣٦
٢١	(آية المنافق ثلاث : إذا حدَّث كذب)	٤١٨
٢٢	(بُعثتُ بالحنيفية السمحة السهلة)	٦٠

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
٢٣	(بينما رسول الله – ﷺ – يُقسم قسماً إذ جاءه ذو الخويصرة فقال : أعدل)	٤٩١
٢٤	(ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه)	٦٥٦
٢٥	(جاء أبوسفيان إلى النبي – ﷺ – فقال : يا محمد أنشدك الله والرحم قد أكلنا العِلْهَز)	٣٥٧
٢٦	(جاء بشير الأنصارى بابنه النعمان إلى النبي ﷺ)	٦٠
٢٧	(جاء جبريل إلى النبي – ﷺ – فاستأذن عليه فأذن له)	٢٧١
٢٨	(حكم الآية باق ، وهو الاعتداد بالحول)	٥٧٨، ٥٧٩
٢٩	(خلقتُ عبادي حنفاء)	٦٠
٣٠	(خُلِقَت الملائكة من نور ، وخُلِقَ الجان من مارج من نار)	٦٤١
٣١	(رؤي النبي – ﷺ – كأنَّه متحير ، فسألوه عن ذلك)	٥٨٠
٣٢	(زنى رجل من اليهود وامرأة ، فقالوا : اذهبوا بنا إلى هذا النبي ، فإنَّه مبعوث للتخفيف)	٢٣٨
٣٣	(سأل أهل مكة النبي – ﷺ – آية ، فانشق القمر بمكة مرتين)	٦٦٢
٣٤	(سألت أنساً عن الصفا والمروة ، فقال : كنَّا نرى أنَّهما من أمر الجاهلية)	٦٧٣
٣٥	(سألت رسول الله – ﷺ – : هل رأيت ربك؟ فقال : نورٌ أنَّى أُراه؟)	١٦١
٣٦	(صعد رسول الله – ﷺ – ذات يوم على الصفا فنادى : يا صباحاه ، فاجتمعت إليه قريش)	٥٠٢
٣٧	(في إرفاق ضعيفهم وسد خلتهم)	٦١
٣٨	(قال أبوجهل بن هشام : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة)	٥٤٢
٣٩	(قال يا رسول الله ، وما المقام المحمود ؟)	١٧٦
٤٠	(قام النبي – ﷺ – يوماً يصلي ، فخطر خطرة)	٧٦٤
٤١	(قلتُ لعائشة – رضي الله عنها – : يا أمتاه ، هل رأى محمد – ﷺ – ربه؟ فقالت : لقد قفَّ شعري ممَّا قلت)	١٦٠
٤٢	(كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة ، فيدعى ببعضها)	٤٧٥
٤٣	(كان رجل يلت السويق لهم)	٣٩٩

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
٤٤	(كان رسول الله – ﷺ – إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه)	١٠١
٤٥	(كان المشركون يطوفون بالبيت ، ويقولون : غفرانك غفرانك)	٥٤٢
٤٦	(كنا نغزو وليس لنا نساء ، فرخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل)	٥٦٩
٤٧	(لا تسبقني بآمين)	٦٥
٤٨	(لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة خردل من كبر)	١٠٩
٤٩	(لمَّا عُرج بالنبي – ﷺ – إلى السماء قال : أتيت على نهر)	١٤٦
٥٠	(لمَّا نزلت : ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ قال رسول الله – ﷺ – : هــو نهر في الجنة)	١٤٦
٥١	(لمَّا نزلت آية الصدقة كنَّا نتحامل على ظهورنا ، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير)	٤٩١
٥٢	(لمَّا نزلت هذه الآية: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ دخل قلوبهم منها شيء)	١٩٩
٥٣	(ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثل أم الكتاب)	٦٤
٥٤	(ما كان الرفق في شيء إلا زانه)	٦١
٥٥	(مجدني عبدي)	٦٠٧
٥٦	(مرض أبوطالب ، فجاءته قريش وجاءه النبي ﷺ)	٤٩٨
٥٧	(من مس الحصى فقد لغا)	٤٥٥
٥٨	(ناوليني المجيد)	٦٠٦
٥٩	(هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ يريد الملائكة المقربين)	٧٢٩
٦٠	(ولا يدخل النار من في قلبه مثل ذلك من الإيمان)	١٠٩
٦١	(ولكن الكِبْرَ مَنْ بَطِرَ الحق)	١١٠

ثالثاً : فهرس الأعلام المترجم لهم

م	اسم العلم	الصفحة
١	إبراهيم بن علي بن تميم (أَبوإسحق الحصري)	٤١
٢	إِبراهيم بن محمد بن السري (أَبو إِسحق الزجَّاج)	٥٧
٣	أبوجبير بن الضحاك بن خليفة (الأَنصاري)	٤٧٥
٤	أَبوزرعة بن عمرو بن جرير بن عبدالله(البجلي)	٢٩٧
٥	أبوقيس بن عامر (الأَسلت)	٧٨٩
٦	أُبي بن كعب	٥٨
٧	أَحمد بن حبيب بن جرير (ابن عبدربه)	٤١
٨	أَحمد بن علي بن محمد (ابن حجر العسقلاني)	٣٧
٩	أَحمد بن علي (الخطيب البغدادي)	٤٢
١٠	أَحمد بن علي (الرازي أبوبكر الجصاص)	٣٠٢
١١	أحمد بن فارس بن زكريا	٥٣
١٢	أحمد بن محمد (أَبو جعفر النَّحَّاس)	٧٥
١٣	أحمد بن محمد (أَبو الحسن البزي)	١٥٤
١٤	أحمد بن محمد (أَبوطاهر السلفي)	٣١
١٥	أَحمد بن محمد بن إبراهيم (أَبوإسحق الثعلبي)	٥٦٨
١٦	أحمد بن محمد الهائم المصري (شهاب الدين)	٧٣٠
١٧	أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد (أَبوبكر البغدادي)	٣٣٨
١٨	أَحمد بن يحيى بن سيَّار (ثعلب الشيباني)	٥٩
١٩	أحمد بن يوسف (التيفاشي)	٣٨
٢٠	الأخنس بن شريق (أَبوسلمة الثقفي)	٤١٩
٢١	أَروى بنت حرب بن أمية (أم جميل)	٢٠٣
٢٢	أسلم (أَبورافع القبطي)	٢٧١
٢٣	إسماعيل بن حمَّاد (الجوهري)	٤٩

م	اسم العلم	الصفحة
٢٤	إسماعيل بن عبدالرحمن (أَبو محمد السدي)	١٢٥
٢٥	إسماعيل بن عمر بن كثير (أَبو الفداء)	٦٩
٢٦	الأسود بن عبد يغوث بن وهب	٧٨٣
٢٧	أُمية بن أبي الصلت (أبوالحكم الثقفي)	٢٢٨
٢٨	أنس بن مالك بن النضر (أبوحمزة الأنصاري)	٥٤٢
٢٩	أيوب بن شادي بن مروان (نجم الدين)	١١
٣٠	البراء بن عازب بن الحارث	٩٨
٣١	بشر بن البراء بن معرور (الأنصاري)	٢٣٠
٣٢	بشير بن سعد بن ثعلبة (الأنصاري)	٦٠
٣٣	بلعام بن باعوراء	٥٠٥
٣٤	توران شاه بن أيوب بن شادي (شمس الدولة)	١١
٣٥	ثابت بن قيس بن شماس (أبومحمد)	٦٢٠
٣٦	جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام (الأنصاري)	٢٨٢
٣٧	حبان بن قيس بن عبدالله (النابغة الجعدي)	٧٤٩
٣٨	الحجاج بن يوسف بن الحكم (الثقفي)	٥١٩
٣٩	حُرقوص بن زهير (ذوالخويصرة التميمي)	٤٩١
٤٠	حسان بن ثابت	٦٢
٤١	الحسن بن أبي الحسن يسار (البصري)	١٥٢
٤٢	الحسن بن سعيد (أبوالعباس المطَّوِّعي)	٢٨١
٤٣	الحسن بن عرفة بن يزيد (العبدي)	٥٠٧
٤٤	الحسن بن هانئ (أبونواس البصري)	٤٠
٤٥	الحسين بن عبدالله بن سينا (الشيخ الرئيس)	٤٤
٤٦	الحسين بن مسعود (أبومحمد البغوي)	٨٥
٤٧	حفص بن سليمان (أبوعمر السدي)	٢٢٠

م	اسم العلم	الصفحة
٤٨	حمزة بن حبيب (أبوعمارة الزيَّات)	١٠٦
٤٩	حويطب بن عبدالعزي بن أبي قيس	١٣٧
٥٠	خلف بن هشام بن ثعلب (أبومحمد البغدادي)	١٢٣
٥١	الخليل بن أَحمد (الفراهيدي)	٤٧
٥٢	خليل بن أيبك (الصفدي)	٣٧
٥٣	خويلد بن خالد بن محرث (أبوذؤيب الهذلي)	٦٣
٥٤	داود بن سلمة (الأنصاري)	٢٣٠
٥٥	دحية بن خليفة (الكلبي)	٣٩٨
٥٦	رويفع بن ثابت	٢٢
٥٧	زنكي بن أقسنقر (عماد الدين)	٩
٥٨	زهير بن أبي سلمى	٦٢
٥٩	زياد بن معاوية بن جابر (النابغة الذبياني)	٤٢٨
٦٠	زيد بن سهل بن الأسود (أبوطلحة الأنصاري)	٧٩
٦١	سعد بن مالك بن سنان (أبوسعيد الخدري)	٤٩١
٦٢	سعيد بن أوس بن ثابت (أبوزيد الأنصاري)	٣٧٧
٦٣	سعيد بن جبير بن هشام (الأسدي)	١٣٣
٦٤	سعيد بن مسعدة (المجاشعي الأخفش)	١٧٠
٦٥	سعيد بن المسيب (أبومحمد)	١٨٠
٦٦	سلام بن مشكم (القرظي)	٢٣٠
٦٧	سليمان بن الأشعث (أبوداود السجستاني)	٢٠٢
٦٨	سهل بن محمد (أبومحمد السجستاني)	٥٢٤
٦٩	سيد قطب إبراهيم	١١٤
٧٠	السيد محمود شهاب بن صلاح الدين عبدالله (الألوسي)	٨٧
٧١	شجرة الدر الصالحية (عصمة الدين)	١٢

م	اسم العلم	الصفحة
٧٢	شريح بن الحارث بن قيس(أبوأُمية القاضي شريح)	٥٧٢
٧٣	شعبة بن عياش بن سالم (أبوبكر)	١١٢
٧٤	شمر بن حمدويه (أَبو عمر الهروي)	٢٣١
٧٥	شيركوه بن شادي بن مروان (أسد الدين)	٩
٧٦	صبيح (مولى حويطب بن عبدالعزي)	١٣٧
٧٧	صخر بن حرب بن أُمية (أبوسفيان)	٣٥٧
٧٨	صفوان بن المعطل (السلمي)	١٠٢
٧٩	الضحاك بن مزاحم (أبوالقاسم)	٦٨
٨٠	طلحة بن مصرف (الهمداني)	١٢٣
٨١	عاصم بن أبي النجود (العدوي)	١٤٠
٨٢	عاصم بن سليمان (أبوعبدالرحمن الأحول)	٦٧٣
٨٣	عاصم بن عدي (ابن العجلان)	٦٢٠
٨٤	عبدالحق بن غالب (ابن عطية الأندلسي)	٧٢
٨٥	عبدالرحمن بن أبي بكر (جلال الدين السيوطي)	١٤٧
٨٦	عبدالرحمن بن زيد بن أسلم (العدوي)	٥٧٤
٨٧	عبدالرحمن بن علي (أبوالفرج ابن الجوزي)	١٠٦
٨٨	عبدالرحمن بن محمد (ابن أبي حاتم الرازي)	٥٤٢
٨٩	عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف (الثعالبي)	٩٧
٩٠	عبدالرحمن بن ناصر (أبوعبدالله السعدي)	٦٧٦
٩١	عبدالرحيم بن الطفيل	٣٢
٩٢	عبدالرزاق بن همام (أبوبكر الصنعاني)	٥٠٥
٩٣	عبدالقاهر بن عبدالرحمن (أبوبكر الجرجاني)	٣٧٩
٩٤	عبدالكريم بن محمد بن منصور (السمعاني)	٣٩
٩٥	عبدالله بن أبي بن سلول	١٠٣

م	اسم العلم	الصفحة
٩٦	عبدالله بن أحمد (ابن البيطار)	٣٨
٩٧	عبدالله بن أحمد بن بشير بن زكوان	٢٨٩
٩٨	عبدالله بن أنيس بن أسعد (أبويحيى)	٤٠٧
٩٩	عبدالله بن بري بن عبدالجبار	٥٠
١٠٠	عبدالله بن خليفة	١٧٣
١٠١	عبدالله بن رؤبة بن لبيد (العجاج)	٦٣
١٠٢	عبدالله بن الزبعري بن قيس (القرشي)	٦٠٤
١٠٣	عبدالله بن زيد (أبوقلابة الجرمي)	٥٧٢
١٠٤	عبدالله بن سلام بن الحارث (الإسرائيلي)	٢٥٣
١٠٥	عبدالله بن عامر (اليحصبي)	١١٧
١٠٦	عبدالله بن عمر (ناصر الدين البيضاوي)	١٥٧
١٠٧	عبدالله بن قيس (أبوموسى الأشعري)	٦٥٥
١٠٨	عبدالله بن قيس بن زيادة (ابن أم مكتوم)	٥١٠
١٠٩	عبدالله بن كثير بن المطلب	١١٢
١١٠	عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج (الرومي)	٧٥٥
١١١	عبدالملك بن محمد بن إسماعيل (أبومنصور الثعالبي)	٤١
١١٢	عتبة بن خيثمة (أبوالهيثم النيسابوري)	١٥٨
١١٣	عثمان بن جني (أبوالفتح)	١٩٦
١١٤	عثمان بن سعيد بن عبدالله (ورش)	٤٤٤
١١٥	عثمان بن محمد بن أحمد (امرؤ القيس)	٤١٠
١١٦	عقبة بن عمرو (أبومسعود الأنصاري)	٤٩١
١١٧	علي بن أحمد (أبوالحسن الواحدي)	١٣٧
١١٨	علي بن إسماعيل (ابن سيده الأندلسي)	٤٨
١١٩	علي بن بسام (أبوالحسن الشنتريني)	٣٩

م	اسم العلم	الصفحة
١٢٠	علي بن الحسين (أبوالفرج الأصبهاني)	٣٨
١٢١	علي بن الحسين بن علي(ابن المقير)	٣٢
١٢٢	علي بن الحسين بن هبة الله (ابن عساكر)	٣٩
١٢٣	علي بن حمزة (أبوالحسن الكسائي)	٨٣
١٢٤	علي بن عبدالكافي (تقي الدين السبكي)	٣٥
١٢٥	علي بن المبارك (اللحياني)	١٦١
١٢٦	علي بن محمد بن إبراهيم (علاء الدين الخازن)	٧٧٠
١٢٧	عمرو بن بحر (أبوعثمان الجاحظ)	٤٠
١٢٨	عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه)	٣٧٩
١٢٩	عمرو بن هشام بن المغيرة (أبوجهل)	٧٢
١٣٠	قتادة بن دعامة (أبوالخطاب السدوسي)	٦٤
١٣١	قطز بن عبدالله المعزي (سيف الدين)	١٢
١٣٢	الليث بن نصر بن سيار	٧٤
١٣٣	المبارك بن أبي الكرم محمد (ابن الأثير الجزري)	٥١
١٣٤	مجاهد بن جبر (أبوالحجاج المكي)	٧٢
١٣٥	المحسن بن علي بن محمد (التنوخي)	٤٠
١٣٦	محمد الأمين بن محمد المختار (الشنقيطي)	٢٠٢
١٣٧	محمد بن أحمد (أبوعبدالله القرطبي)	٦٩
١٣٨	محمد بن أحمد (أبوالقاسم الكلبي)	٩٠
١٣٩	محمد بن أحمد (الأزهري)	٢٨
١٤٠	محمد بن أحمد بن عثمان (شمس الدين الذهبي)	٣٤
١٤١	محمد بن أحمد (جلال الدين المحلي)	١٧٧
١٤٢	محمد بن اسحق بن يسار (المطلبي)	٨٤
١٤٣	محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (أبوعبدالله البخاري)	٢٠٢

م	اسم العلم	الصفحة
١٤٤	محمد بن جرير (أبوجعفر الطبري)	٦٨
١٤٥	محمد بن زياد بن الأعرابي (أبوعبدالله الهاشمي)	١٢٨
١٤٦	محمد بن السائب (أبوالنضر الكلبي)	٨٤
١٤٧	محمد بن السري (أبوبكر ابن السراج)	٧٠٧
١٤٨	محمد بن سيرين (أبوبكر)	١٣٨
١٤٩	محمد بن عبدالرحمن بن محيصن (السهمي)	١٠٨
١٥٠	محمد بن عبدالله بن أحمد (أبوبكر ابن العربي)	٣٠٦
١٥١	محمد بن علي بن أبي طالب (ابن الحنفية)	٧١٣
١٥٢	محمد بن علي (الشوكاني)	٩٢
١٥٣	محمد بن عمر (فخر الدين الرازي)	٦٩
١٥٤	محمد بن عيسى بن سَوْرَة (أبوعيسى الترمذي)	٦٦٢
١٥٥	محمد بن القاسم (أبوبكر ابن الأنباري)	١١٣
١٥٦	محمد بن كعب بن سليم	٨٤
١٥٧	محمد بن المتوكل (رويس أبوعبدالله اللؤلؤي)	٨٣١
١٥٨	محمد بن محمد بن مصطفى (أبوالسعود العمادي)	١٠٥
١٥٩	محمد بن محمد بن مكرم (قطب الدين)	٣٦
١٦٠	محمد بن محمود بن الحسن (ابن النجار البغدادي)	٤٢
١٦١	محمد بن المستنير البصري (قطرب)	٧٢٥
١٦٢	محمد بن مسلم (ابن شهاب الزهري)	٥٧٢
١٦٣	محمد بن يزيد بن عبدالأكبر(المبرد)	٧٧
١٦٤	محمد بن يوسف بن علي (أبوحيان الأندلسي)	١١١
١٦٥	محمد جمال الدين بن محمد بن سعيد (القاسمي)	٢٤٦
١٦٦	محمود بن زنكي بن أقسنقر (نور الدين)	٩
١٦٧	محمود بن عمر (الزمخشري)	٥٣

م	اسم العلم	الصفحة
١٦٨	مرتضى بن حاتم	٣١
١٦٩	مصطفى بن عبدالله (حاجي خليفة)	٤٤
١٧٠	معاذ بن جبل (أبوعبدالرحمن الأنصاري)	٢٣٠
١٧١	معمر بن المثنى (أبوعبيدة التيمي)	٣٤٥
١٧٢	مقاتل بن حبان (أبوبسطام النبطي)	٥٨٦
١٧٣	مقاتل بن سليمان (أبوالحسن الأزدي)	٧٥
١٧٤	منصور بن محمد (أبوالمظفر السمعاني)	٧٨
١٧٥	موسى بن سالم بن حسان (أبوجهضم الحميري)	٥٨٠
١٧٦	نافع بن عبدالرحمن (أبورويم الليثي)	١٦٦
١٧٧	نصر بن محمد (أبوالليث السمرقندي)	١٤١
١٧٨	النضر بن الحارث بن علقمة	٥١١
١٧٩	النعمان بن بشير بن سعد (أبوعبدالله الأنصاري)	٦٠
١٨٠	هشام بن عمار (أبوالوليد السلمي)	١٥٩
١٨١	الوليد بن المغيرة بن عبدالله	١٥٠
١٨٢	وهب بن منبه بن كامل	٥٦٠
١٨٣	يحيى بن زياد بن عبدالله (الفرّاء)	٥٦
١٨٤	يحيى بن وثاب (الأسدي)	٦٠٦
١٨٥	يعقوب بن يوسف بن عمر (أبومحمد الحربي)	١٠١
١٨٦	يوسف بن أيوب بن شادي (صلاح الدين الأيوبي)	٨
١٨٧	يوسف بن عمرو بن يسار(أبويعقوب الأزرق)	١٢٣
١٨٨	يوسف بن المخيلي	٣٢

رابعاً : فهرس المواد اللغوية

م	المادة اللغوية	الصفحة
١	أثر	٦٢
٢	أخر	٥٧
٣	أطط	١٧٣
٤	أمم	٦٤
٥	أمن	٦٥
٦	أنس	٥٨
٧	بجل	٣٢٧
٨	برأ	٥٦
٩	بوق	٦٢
١٠	تمم	٦٣
١١	جبة	٢٣٦
١٢	جذل	٧٠٥
١٣	جرب	٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥
١٤	جشن	٣٩٣
١٥	حفي	٤٤٠
١٦	حمم	٢٣٦
١٧	حمض	٩٠
١٨	حنف	٦٠
١٩	حوف	٦٠
٢٠	ختل	٣٣٨
٢١	خون	٨٠٠
٢٢	دهر	٧٤
٢٣	رفق	٦١

م	المادة اللغوية	الصفحة
٢٤	زرع	٥٨
٢٥	سبل	٥٨٣
٢٦	سمع	٥٩
٢٧	شتت	٥٧
٢٨	طسم	٦٣
٢٩	عسل	٧٤٧
٣٠	عصب	١٠٢
٣١	علز	٤٧٢
٣٢	علهز	٣٥٧
٣٣	عمر	٢٨
٣٤	غرق	٧٧١
٣٥	فسس	١٤
٣٦	فسط	١٦
٣٧	قسم	٦٣
٣٨	قلس	٥٧٤
٣٩	قين	٤٠٨
٤٠	كأس	٦٨
٤١	كان	٣٥٦
٤٢	كبب	٧٠ ، ٧٤
٤٣	كبت	٧٧
٤٤	كبد	٨١
٤٥	كبر	٨٣، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٨، ١١٩
٤٦	كتب	١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٦

م	المادة اللغوية	الصفحة
٤٧	كثب	١٣٩
٤٨	كثر	١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٦
٤٩	كدا	١٤٨
٥٠	كدب	١٧٠
٥١	كذب	١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٧٠
٥٢	كرس	١٧٣
٥٣	كرم	١٧٧، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠، ١٩٢
٥٤	كره	١٩٤
٥٥	كسب	١٩٧ ، ٢٠٠
٥٦	كسف	٢٠٤
٥٧	كشط	٢٠٧
٥٨	كشف	٢٠٩
٥٩	كظم	٢١١ ، ٢١٣
٦٠	كعب	٢١٤ ، ٢١٧
٦١	كفأ	٢١٨
٦٢	كفت	٢٢١
٦٣	كفر	٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧
٦٤	كفف	٢٥٠
٦٥	كفل	٢٥٥ ، ٢٥٨
٦٦	كفي	٢٦٢
٦٧	كلا	٢٦٦
٦٨	كلأ	٢٦٨
٦٩	كلب	٢٧٠

م	المادة اللغوية	الصفحة
٧٠	كلل	٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤
٧١	كلم	٢٨٦ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠
٧٢	كمل	٣٠٣
٧٣	كمّ	٣٠٨
٧٤	كمم	٣٠٨
٧٥	كمه	٣١١
٧٦	كنز	٣١٤
٧٧	كنس	٣١٩
٧٨	كنن	٣٢٢
٧٩	كهل	٣٢٧
٨٠	كوب	٣٣٠
٨١	كود	٣٣٣
٨٢	كور	٣٤١
٨٣	كون	٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤
٨٤	كيد	٣٣٣ ، ٣٣٨
٨٥	كيف	٣٥٨
٨٦	كيل	٣٦٠
٨٧	كين	٣٦٢
٨٨	لا	٣٦٦ ، ٣٦٧
٨٩	لات	٣٧٨ ، ٣٧٩
٩٠	لأك	٣٨١
٩١	لبث	٣٨٣
٩٢	لبد	٣٨٦
٩٣	لبس	١٨٣

م	المادة اللغوية	الصفحة
٩٤	لتت	٣٩٩
٩٥	لحب	٤١٠
٩٦	لحد	٤٠٣
٩٧	لحف	٤١٠
٩٨	لحن	٤١٣ ، ٤١٤
٩٩	لدد	٤١٦
١٠٠	لدن	٤٢٠
١٠١	لدى	٤٢٣
١٠٢	لذذ	٤٢٥
١٠٣	لزب	٤٢٧
١٠٤	لزم	٤٣٠
١٠٥	لسن	٤٣٤
١٠٦	لطف	٤٣٩
١٠٧	لظي	٤٤٢
١٠٨	لعن	٤٤٦
١٠٩	لغب	٤٥٢
١١٠	لغا	٤٥٥
١١١	لفت	٤٦٢
١١٢	لفح	٤٦٥
١١٣	لفظ	٤٦٧
١١٤	لفف	٤٦٩
١١٥	لقا	٤٨٢
١١٦	لقب	٤٧٣
١١٧	لقح	٤٧٧

م	المادة اللغوية	الصفحة
١١٨	لقف	٤٧٩
١١٩	لقي	٤٨٢
١٢٠	لمح	٤٨٧
١٢١	لمز	٤٨٩
١٢٢	لمم	٤٩٣ ، ٤٩٤
١٢٣	لها	٥٠٧
١٢٤	لهب	٥٠٠
١٢٥	لهث	٥٠٣ ، ٥٠٤
١٢٦	لوح	٥١٤
١٢٧	لوذ	٥١٩
١٢٨	لوم	٥٢١ ، ٥٢٤ ، ٥٢٩ ، ٥٣٢ ، ٥٣٧ ، ٥٤٥
١٢٩	لون	٥٥٠
١٣٠	لوى	٥٥٣
١٣١	ليت	٥٥٦
١٣٢	ليس	٥٥٩
١٣٣	ما	٧٨٦
١٣٤	متع	٥٦٤ ، ٥٦٧ ، ٥٧١ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٨٣
١٣٥	متن	٥٨٩
١٣٦	مثل	٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٦٠٠
١٣٧	مجد	٦٠٦ ، ٦٠٧
١٣٨	محص	٦١١ ، ٦١٢
١٣٩	محق	٦١٤
١٤٠	محل	٦١٦
١٤١	محن	٦١٨

م	المادة اللغوية	الصفحة
١٤٢	مخر	٦٢١
١٤٣	مخض	٦٢٣
١٤٤	مدد	٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٣٣
١٤٥	مدن	٦٣٧
١٤٦	مرا	٦٦٩
١٤٧	مرأ	٦٣٩
١٤٨	مرج	٦٤١
١٤٩	مرجن	٦٤٤
١٥٠	مرح	٦٤٧
١٥١	مرد	٦٥٠
١٥٢	مرر	٦٥٣ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩
١٥٣	مرض	٦٦٤
١٥٤	مزق	٦٧٦
١٥٥	مسح	٣٠٠ ، ٦٧٩
١٥٦	مسد	٦٨٤
١٥٧	مسس	٦٨٧
١٥٨	مسك	٦٩٢
١٥٩	مشج	٦٩٧
١٦٠	مصر	٦٩٩ ، ٧٠٠
١٦١	مطا	٧٠٥
١٦٢	مطر	٧٠٢
١٦٣	معع	٧٠٦ ، ٧٠٧
١٦٤	معن	٧١٢
١٦٥	معو	٧٠٧

م	المادة اللغوية	الصفحة
١٦٦	مقت	٧١٧
١٦٧	مكا	٧٢٧
١٦٨	مكث	٧٢١
١٦٩	مكر	٧٢٣
١٧٠	مكن	٧٢٥
١٧١	ملأ	٧٢٩
١٧٢	ملق	٧٣٢
١٧٣	ملك	٧٣٤
١٧٤	ملل	٧٣٩
١٧٥	من	٧٥٢
١٧٦	منع	٧٤٣
١٧٧	منن	٧٤٦ ، ٧٥٢ ، ٧٥٧ ، ٧٦١ ، ٧٦٢
١٧٨	مني	٧٦٨
١٧٩	مهد	٧٧٣
١٨٠	مهل	٧٧٧
١٨١	مهن	٧٨١
١٨٢	موت	٧٩٣
١٨٣	مور	٧٩٨
١٨٤	ميد	٨٠٠
١٨٥	ميز	٨٠٣
١٨٦	نفض	٥٨٣
١٨٧	نفي	٦٥
١٨٨	نكف	٩١
١٨٩	وبر	٣٥٧
١٩٠	يقت	٦٤٤

خامساً : فهرس الأبيات الشعرية :

م	أول البيت وقافيته		القائل	الصفحة
١	ابعث إلى عبدك	سواك	ابن منظور	٢٦
٢	ابني لا تهمل نصيحتي	ترشدِ	تقي الدين السبكي	٣٥
٣	احفظ كتاب الله	محمَّدِ	تقي الدين السبكي	٣٥
٤	أمن المنون	من يَجْزَعُ	أبوذؤيب الهذلي	٧٤٥
٥	إنَّ الولاية	العاقل	تقي الدين السبكي	٣٦
٦	بالله إن جزت	فاك	ابن منظور	٢٦
٧	تعال فإن عاهدتني	يصطحبانِ	الفرزدق	٧٥٢
٨	تعال نحقق	ونتوبُ	ابن منظور	٢٧
٩	تَعَشَّ فإن واثقتني	يصطحبانِ	الفرزدق	٧٥٢
١٠	توهَّم فينا الناس	وقلوبُ	ابن منظور	٢٧
١١	حُكمٌ بحق	باطل	تقي الدين السبكي	٣٦
١٢	الحمدُ لله	بغير سلم	ابن رؤبة العجَّاج	٦٣
١٣	حملي وحملك ذنباً	فينا	ابن منظور	٢٧
١٤	طلبوا صُلحنا	حين بقاء	————	٣٧٨
١٥	على لا حبٍ	جرجرا	امرؤ القيس	٤١٠
١٦	العلم قال الله	فاجهد فيه	شمس الدين الذهبي	٣٤
١٧	كأنَّما الفُطْرُ	والكَفَلا	الأخطل	٦٤٤
١٨	ماذا يضركَ	يظنون	ابن منظور	٢٧
١٩	ما قتلوه على ذنب	ولم يكن	حسان بن ثابت	٦٢

م	أول البيت وقافيته		القائل	الصفحة
٢٠	الناسُ قد أثموا	وتدرينا	ابن منظور	٢٦
٢١	وإذا المنية أنشبت	لا تنفعُ	أبوذؤيب الهذلي	٦٣
٢٢	وارفع إلى الرحمن	وتعُّبدِ	تقي الدين السبكي	٣٥
٢٣	واسلك سبيل الشافعي	وأحمدِ	تقي الدين السبكي	٣٥
٢٤	واعلم أصول الفقه	المؤيد	تقي الدين السبكي	٣٥
٢٥	واقطع عن الأسباب	وأحْمُدِ	تقي الدين السبكي	٣٦
٢٦	وألَدَّ ذي حَنْقٍ عليَّ	مِرْجَلِ	سعد بن ناشب	٤١٧
٢٧	وتعلم النحو	مسدَّدِ	تقي الدين السبكي	٣٥
٢٨	وحذار من نصب الخلاف	فقيهِ	شمس الدين الذهبي	٣٤
٢٩	ورأيت زوجك	ورُمْحاً	ــــــــ	٦٧٨
٣٠	ورب هذا الأثر	لمَّا يُطْسَمِ	ابن رؤبة العجاج	٦٣
٣١	وظنوا وبعض الظن إثم	ذنوب	ابن منظور	٢٧
٣٢	ولا يحسبون الخير	ضربة لازبِ	النابغة الذبياني	٤٢٨
٣٣	والمرء ما عاش	الأثر	كعب بن زهير	٦٢
٣٤	يا قاتلَ اللهُ قوماً	الفطنِ	حسان بن ثابت	٦٢
٣٥	يا ليت زوجك	ورُمْحاً	ــــــــ	٦٧٨

سادساً : فهرس المصادر والمراجع :

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : كتب التفسير وعلوم القرآن :

١	إبراز المعاني في حرز الأماني في القراءات السبع ، أبوشامة عبدالرحمن بن إسماعيل ابن إبراهيم ، تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، شركة مكتبة مصطفى، مصر .
٢	إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدالغني الدمياطي ، تحقيق : أنس مهرة ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٩هـ.
٣	أحكام القرآن ، أبوبكر محمد بن علي الرازي الجصَّاص ، تحقيق : محمد الصاق قمحاوي ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .
٤	أحكام القرآن ، أبوبكر محمد بن عبدالله ابن العربي ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا، دار الفكر ، بيروت .
٥	إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبوالسعود محمد بن محمد العمادي ، دار إحياء التراث ، بيروت .
٦	إرشاد المبتدئ وتذكرة المنتهي في القراءات العشر ، أبوالعز محمد بن الحسين الواسطي القلانسي ، تحقيق : عثمان محمد غزال ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م .
٧	الأساس في التفسير ، سعيد حوّى ، دار السلام ، القاهرة ، ط ١، ١٤٠٥هـ.
٨	أسباب النزول ، أبوالحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، دار المنار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، في ذيل بالمصحف الشريف .
٩	أصول القراءات ، أبوالعباس أحمد بن عمر الحموي ، تحقيق : عبدالكريم محمد الحسن بكار ، دار القلم ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ.
١٠	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، تحقيق : محمد عبدالعزيز الخالدي ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٢٧هـ ، وطبعة دار الفكر ، بيروت ، بتحقيق مكتب البحوث والدراسات ، ١٤١٥هـ.

١١	إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات ، أبوالبقاء عبدالله بن الحسين العكبري ، تحقيق : إبراهيم عطوة عوض ، المكتبة العلمية ، باكستان .
١٢	أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي ، دار الفكر ، بيروت .
١٣	بحر العلوم ، أبوالليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي ، تحقيق : محمود مطرجي، دار الفكر ، بيروت .
١٤	البحر المحيط ، أبوحيان محمد بن يوسف الأندلسي ، تحقيق : عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوَّض وآخرون، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧م.
١٥	البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، عبدالفتاح القاضي ، دار الصحابة، طنطا، ٢٠٠٣م .
١٦	التبيان في تفسير غريب القرآن ، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم ، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي ، دار الصحابة للتراث ، مصر ، ط ١، ١٤١٢هـ.
١٧	تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة ، محمد بن محمد بن الجزري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ.
١٨	التحفة المرضية في تحرير وجمع القراءات السبع من طريق الشاطبية، محمد إبراهيم محمد سالم ، دار البيان العربي ، مصر ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ.
١٩	التسهيل لعلوم التنزيل ، محمد بن أحمد بن محمد الكلبي ، دار الكتاب العربي، لبنان، ط٤ ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
٢٠	تفسير ابن أبي حاتم ، عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ، تحقيق : أسعد محمد الطيب ، المكتبة العصرية ، صيدا .
٢١	تفسير أسماء الله الحسنى ، أبوإسحاق إبراهيم بن محمد بن سهل الزجَّاج ، تحقيق: أحمد يوسف الزجَّاج ، دار الثقافة العربية .
٢٢	تفسير الجلالين ، جلال الدين محمد بن أحمد المحلى وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي . دار الحديث ، القاهرة ، ط١.
٢٣	تفسير القرآن ، أبوالمظفر منصور بن محمد السمعاني،تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم ابن عباس ، دار الوطن ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

٢٤	تفسير القرآن ، عبدالرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق : مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٠هـ.
٢٥	تفسير القرآن العظيم ، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير ، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ .
٢٦	التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١هـ.
٢٧	تفسير مجاهد ، أبوالحجاج مجاهد بن جبر المخزومي ، تحقيق : عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي ، المنشورات العلمية ، بيروت .
٢٨	تفسير مقاتل بن سليمان ، أبوالحسن مقاتل بن سليمان بن بشير ، تحقيق : أحمد فريد، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ.
٢٩	التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، وهبة الزحيلي ، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .
٣٠	تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، للفيروزأبادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٣١	التيسير في القراءات السبع ، أبوعمرو عثمان بن سعيد بن عمرو الداني، تحقيق: أوتو تريزل ، دار الكتاب العربي،بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٣٢	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: ابن عثميمين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، وطبعة دار القلم، القاهرة ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .
٣٣	جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبوجعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت ، ١٤٠٥هـ.
٣٤	الجامع لأحكام القرآن ، أبوعبدالله محمد بن أحمد القرطبي ، دار الشعب، القاهرة.
٣٥	الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي ، بيروت .
٣٦	الحجة في القراءات السبع ، أبوعبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه ، تحقيق: عبدالعال سالم مكرم ، دار الشروق ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠١هـ .
٣٧	حجة القراءات ، أبوزرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة ، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٣٨	حرز الأماني ووجه التهاني (المعروف بالشاطبية) ، أبوالقاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي،المكتبة الثقافية،بيروت ، ط ١، ١٤١٢هـ.
٣٩	الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٣م.
٤٠	دروس في ترتيل القرآن الكريم ، فائز عبدالقادر شيخ الزور ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، ط ١٠ ، ١٤١٨هـ.
٤١	دقائق التفسير ، أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية ، تحقيق : محمد السيد الجليند ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ.
٤٢	روائع البيان في تفسير آيات الأحكام ، محمد علي الصابوني ، مكتبة الغزالي، دمشق، سوريا ، ط٣ ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٤٣	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبوالفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي ، دار إحياء التراث ، بيروت .
٤٤	زاد المسير في علم التفسير ، عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٤هـ.
٤٥	زهرة التفاسير ، محمد أبوزهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
٤٦	السبعة في القراءات ، أبوبكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي، تحقيق: شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط ٢ ، ١٤٠٠هـ.
٤٧	شرح الشاطبية (إرشاد المريد إلى مقصود القصيد) ، علي محمد الضباع، مطبعة الفجر الجديد ، القاهرة .
٤٨	صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ط ١٠.
٤٩	العجاب في بيان الأسباب ، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبدالحكيم محمد الأنيس ، دار ابن الجوزي ، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .
٥٠	غاية المريد في علم التجويد ، عطية قابل نصر ، مكتبة كنوز المعرفة ، جدة، ط ٧، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .
٥١	غريب القرآن ، أبوبكر محمد بن عزيز السجستاني ، تحقيق: محمد أديب عبدالواحد، دار شيبة ، جمران ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٥٢	فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار الفكر ، بيروت .
٥٣	في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ط ٣٦ ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
٥٤	الكافي في القراءات السبع ، أبوعبدالله محمد بن شريح الرعيني ، تحقيق: أحمد محمود عبدالسميع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٥٥	الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبوالقاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق : عبدالرازق المهدي ، دار إحياء التراث ، بيروت .
٥٦	الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أبوإسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق: أبي محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م .
٥٧	لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الخازن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
٥٨	لباب النقول في أسباب النزول ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار إحياء العلوم ، بيروت .
٥٩	مجاز القرآن ، أبوعبيدة معمر بن المثنى التيمي ، تحقيق : محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .
٦٠	محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط١، ١٣٧٦هـ.
٦١	المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز ، أبومحمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق : عبدالسلام عبدالشافي محمد ، دار الكتب العلمية، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
٦٢	مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، أبوعبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه، مكتبة المتنبي ، القاهرة .

٦٣	مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي ، بهامش تفسير الخازن ، دار الفكر .
٦٤	معالم التنزيل ،أبومحمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق : خالد عبدالرحمن العك، دار المعرفة ، بيروت .
٦٥	معاني القرآن ، أبوجعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحَّاس ، تحقيق: محمد علي الصابوني ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط١، ١٤٠٩هـ.
٦٦	معاني القرآن ، أبوالحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي الأخفش ، تحقيق: عبدالأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٦٧	معاني القرآن ، أبوزكريا يحيى بن زياد الفرَّاء ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٦٨	معاني القرآن وإعرابه ، أبوإسحاق إبراهيم بن محمد الزجَّاج ، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ.
٦٩	المفردات في غريب القرآن ، أبوالقاسم الحسين بن محمد ، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ، لبنان .
٧٠	النشر في القراءات العشر ، أبوالخير محمد بن محمد بن الجزري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .
٧١	الوافي في شرح الشاطبية ، عبدالفتاح القاضي ، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط٤ ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .
٧٢	الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبوالحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، ط١.

ثالثاً : كتب السنة وعلوم الحديث :

٧٣	الجرح والتعديل ، عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط١، ١٢٧١هـ/ ١٩٥٢م .

٧٤	سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث أبوداود السجستاني ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الفكر .
٧٥	سنن الترمذي ، أبوعيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث ، بيروت .
٧٦	صحيح ابن خزيمة ، أبوبكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، تحقيق: مصطفى محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
٧٧	صحيح البخاري ، أبوعبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، بيروت ، ط٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٧٨	صحيح مسلم ، أبوالحسين مسلم بن الحجَّاج النيسابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث ، بيروت .
٧٩	العلل المتناهية ، عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤٠٣هـ.
٨٠	عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري ، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث ، بيروت .
٨١	غريب الحديث ، أبوسليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي ، تحقيق: عبدالكريم إبراهيم العزباوي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ.
٨٢	غريب الحديث ، أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: عبدالمعطي أمين قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤٠٥هـ.
٨٣	فتح الباري شرح صحيح البخاري ، الجزء الخاص بالقرآن ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق: محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت.
٨٤	الكامل في ضعفاء الرجال ، أبوأحمد عبدالله بن عدي الجرجاني ، تحقيق: يحيى مختار غزاوي ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٣، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
٨٥	مجمع الزوائد ، علي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الريَّان للتراث ، القاهرة، ١٤٠٧هـ.
٨٦	المستدرك على الصحيحين ، أبوعبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٨٧	مسند أحمد بن حنبل ، أبوعبدالله أحمد بن حنبل الشيباني ، مؤسسة قرطبة، مصر.
٨٨	مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، أبوالفضل عياض بن موسى اليحصبي، المكتبة العتيقة .
٨٩	المعجم الكبير ، أبوالقاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.
٩٠	النهاية في غريب الحديث والأثر ، المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ، تحقيق: الطاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية، بيروت ، ١٣٩٩هـ.
٩١	نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار ، محمد بن علي الشوكاني، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٣م.

رابعاً : كتب العقيدة والفرق :

٩٢	الإبانة عن أصول الديانة ، علي بن إسماعيل أبوالحسن الأشعري، تحقيق: فوقية حسين محمود ، دار الأنصار ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٩٧هـ.
٩٣	الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : أحمد عصام الكاتب ، دار الآفاق الجديدة، بيروت ، ط ١، ١٤٠١هـ.
٩٤	أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات ، مرعي بن يوسف الكرمي ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط ١، ١٤٠٦هـ.
٩٥	شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٤، ١٣٩١هـ.
٩٦	الغنية في أصول الدين ، أبوسعيد عبدالرحمن بن محمد المتولي ، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية .
٩٧	لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة ، عبدالملك بن عبدالملكين يوسف، تحقيق: فوقية حسن محمود ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ٢، ١٩٨٧م.

٩٨	الملل والنحل ، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٣٩٦هـ.
٩٩	منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ، محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: عطية محمد سالم ، الدار السلفية ، الكويت ، ط ٤، ١٤٠٤هـ.
١٠٠	المواقف في علم الكلام ، عضد الدين عبدالرحمن الإيجي ، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧م.

خامساً : كتب الفقه :

١٠١	الأُم ، أبوعبدالله محمد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢، ١٣٩٣هـ.
١٠٢	بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، أبوالوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي، دار الفكر ، بيروت.
١٠٣	الدراري المضية شرح الدرر البهية ، محمد بن علي الشوكاني، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٠٧هـ.
١٠٤	الفقه على المذاهب الأربعة ، عبدالرحمن الجُزَيْري ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
١٠٥	المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، أبومحمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١، ١٤٠٥هـ.

سادساً : كتب السير والتاريخ والتراجم :

١٠٦	أبجد العلوم الواشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، صديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبدالجبار زكار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨م.
١٠٧	الآحاد والمثاني ، أبوبكر أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية ، الرياض ، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
١٠٨	أخبار أبي حنيفة ، القاضي أبوعبدالله حسين بن علي الصيمري ، عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ .
١٠٩	الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، أبوعمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر ، القاهرة .
١١٠	أسد الغابة في معرفة الصحابة ، أبوالحسن علي بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق: الشيخ خالد طرطوسي ، دار الكتاب ، بيروت ، ط ١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١١١	الإصابة في تمييز الصحابة ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
١١٢	الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤، ١٩٧٩.
١١٣	أعيان القرآن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع ، خليل مردم بك، لجنة التراث العربي ، بيروت ، ط ١، ١٩٧١م.
١١٤	الأغاني، أبوالفرج الأصفهاني ، تحقيق: سمير جابر ، دار الفكر، لبنان.
١١٥	الأنساب ، أبوسعد عبدالكريم بن محمد السمعاني ، تحقيق: عبدالله عمر البارودي، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٨م.
١١٦	البد ء والتاريخ ، المطهر بن طاهر المقدسي ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.
١١٧	البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت ، ط١، ١٩٦٦م.
١١٨	البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمد بن علي الشوكاني ، دار المعرفة ، بيروت .
١١٩	بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت .
١٢٠	البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ، تحقيق: محمد المصري ، جمعية إحياء التراث ، الكويت ، ط١، ١٤٠٧هـ.
١٢١	تاريخ ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم ، بيروت، ط ٥، ١٩٨٤م.
١٢٢	تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي ، إبراهيم حسن ، القاهرة، ط٧، ١٩٦٥م.
١٢٣	التاريخ الأوسط ، أبوعبدالله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمود إبراهيم زايد ، مكتبة دار الوعي ، حلب والقاهرة ، ط١ ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
١٢٤	تاريخ بغداد ، أبوبكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية ، بيروت.
١٢٥	تاريخ دمشق ، أبوالقاسم علي بن الحسن بن هبة الله ، تحقيق: عمر بن غرامة العمري، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥م.

١٢٦	تاريخ القراء العشرة ورواتهم ، عبدالفتاح القاضي ، مكتبة القاهرة ، القاهرة، ١٩٩٨م.
١٢٧	التاريخ الكبير ، أبوعبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر .
١٢٨	تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، جمال الدين الشيَّال، دار المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٦٧م.
١٢٩	تاريخ المماليك البحرية ، علي إبراهيم ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ٣، ١٩٦٧م.
١٣٠	ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس، دار الهجرة ، الرياض ، ط٢، ١٤١١هـ.
١٣١	حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبونعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٤، ١٤٠٥هـ.
١٣٢	الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق: محمد عبدالمعيد،مجلس دائرة المعارف،حيدر أباد،ط٢، ١٣٩٢هـ.
١٣٣	الديباج المذهب في أعيان المذهب ، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري، دار الكتب العلمية ، بيروت.
١٣٤	الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبوالحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
١٣٥	ذيل تذكرة الحفاظ ، محمد بن علي بن الحسن الحسيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
١٣٦	ريح النسرين فيمن عاش من الصحابة مائة وعشرين ، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: عدنان أحمد مجود ، دار الوفاء ، جدة – السعودية ، ط١، ١٤٠٥هـ.
١٣٧	سلاجقة إيران والعراق ، عبدالنعيم محمد حسنين ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٠م.
١٣٨	سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ.

١٣٩	شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبدالحي بن أحمد بن العماد الحنبلي، تحقيق: عبدالقادر ومحمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ.
١٤٠	الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، منشورات دار المكتبة ، بيروت .
١٤١	طبقات الشافعية ، أبوبكر بن أحمد بن قاضي شهبة ، تحقيق: الحافظ عبدالعليم خان، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١، ١٤٠٧هـ.
١٤٢	طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين علي بن عبدالكافي السبكي ، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو ، هجر للطباعة والنشر، ط ٢، ١٤١٣هـ.
١٤٣	طبقات الفقهاء ، أبوإسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، تحقيق: خليل الميس، دار القلم ، بيروت .
١٤٤	طبقات المفسرين ، أحمد بن محمد الأدنروي ، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم ، السعودية ، المدينة المنورة ، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
١٤٥	طبقات المفسرين ، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي ، تحقيق: علي محمد عمر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
١٤٦	طبقات المفسرين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : علي محمد عمر، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١، ١٣٩٦هـ.
١٤٧	العبر في خبر من غبر ، شمس الدين محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت،الكويت،ط٢، ١٩٨٤م.
١٤٨	عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، محمود رزق سليم، مكتبة الآداب ومطبعتها ، الجمامير ، ط٢، ١٣٨١هـ.
١٤٩	عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، أبوالعباس أحمد بن القاسم السعدي، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة ، بيروت .
١٥٠	الفهرست ، أبوالفرج محمد بن إسحاق النديم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٥١	فوات الوفيات ، محمد بن شاكر الكتبي ، تحقيق : علي محمد يعـوِّض الله ، وعـادل أحمد عبدالموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٠م.
١٥٢	قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ، أحمد مختـار العبـادي ، دار النهضـة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٩م .
١٥٣	الكامل في التاريخ ، ابن الأثير علي بن محمد الشيباني ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٦م .
١٥٤	كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى بن عبدالله (حاجي خليفـة) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ.
١٥٥	مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، أبومحمد عبدالله ابن أسعد اليافعي ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط ٤، ١٩٧٩م.
١٥٦	المستدرك على معجم المؤلفين ، عمـر رضـا كحالـة ، مؤسسـة الرسـالة ، ط١، ١٤٠٦هـ.
١٥٧	معجم الأدباء ، ياقوت بن عبدالله الحموي ، دار الكتـب العلميـة ، بيـروت ، ط١، ١٤١١هـ.
١٥٨	معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق: بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط وصـالح مهدي عباس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١، ١٤٠٤هـ.
١٥٩	المعين في طبقات المحدثين ، شمس الدين محمد بن أحمد الـذهبي ، تحقيـق: همـام عبـدالرحيم سـعيد ، دار الفرقـان ، عمـان ، الأردن ، ط١، ١٤٠٤هـ.
١٦٠	المقتني في سرد الكنى ، محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي ، تحقيق: محمد صالح عبدالعزيز المراد ، الجامعة الإسلامية ، المدينـة المنـورة، ط١، ١٤٠٨هـ.
١٦١	المقصد الأرشد في ذكر أصحاب أحمد ، برهان الدين إبراهيم بن محمد بـن مفلـح، تحقيق : عبدالرحمن بن سليمان العثيمين ، مكتبة الرشد ، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

١٦٢	المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، دار صادر، بيروت ، ط١، ١٣٥٨هـ.
١٦٣	من ذيول العبر ، شمس الدين محمد بن أحمد ابن قايماز الذهبي، تحقيق: صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت .
١٦٤	المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، ط بولاق ، ١٢٧٠هـ.
١٦٥	موسوعة البصرة الحضارية (الموسوعة التاريخية) ، جامعة البصرة ، المركز الثقافي، البصرة ، ١٣٨١هـ.
١٦٦	موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ط٤، ١٩٧٩م .
١٦٧	مولد العلماء ووفياتهم ، محمد بن عبدالله ابن زبر الربعي ، تحقيق: عبدالله أحمد سليمان الحمد ، دار العاصمة ، الرياض ، ط ١، ١٤١٠هـ.
١٦٨	النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جمال الدين أبوالمحاسن يوسف بن تغري بردي ، وزارة الثقافة ، مصر .
١٦٩	نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ، عبدالمنعم ماجد، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٤م
١٧٠	الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٤٢٠هـ.
١٧١	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق: إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت .
١٧٢	الوفيات ، محمد بن رافع السلامي ، تحقيق: صالح مهدي عباس وبشار عوَّاد معروف، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١، ١٤٠٢هـ.

سابعاً : كتب اللغة والأدب والمعاجم :

١٧٣	أساس البلاغة ، أبوالقاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
١٧٤	إصلاح المنطق ، أبويوسف يعقوب بن إسحق بن السكيت، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤.
١٧٥	الإيضاح في علوم البلاغة ، محمد بن عبدالمنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني، ط٣.

١٧٦	البيان والتبيين ، أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق: المحامي فوزي عطوى، دار صعب ، بيروت .
١٧٧	تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٧٦م.
١٧٨	التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١، ١٤٠٥هـ.
١٧٩	تهذيب اللغة ،أبومنصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق: علي محمد النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٧م.
١٨٠	جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية ، بيروت .
١٨١	خزانة الأدب وغاية الأرب ، تقي الدين أبوبكر علي بن حجة الحموي، تحقيق: عصام شقيو ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، ط١، ١٩٨٧م.
١٨٢	الخصائص : أبوالفتح عثمان بن جني ، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ٢.
١٨٣	درة الغواص في أوهام الخواص ، القاسم بن علي الحريري، تحقيق: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب ، بيروت ، ط١، ١٩٩٨م .
١٨٤	ديوان امرئ القيس ، شرح وتحقيق: حنَّا الفاخوري، دار الجيل، بيروت،ط١، ١٤٠٩هـ.
١٨٥	ديوان الحماسة ، محمد عبدالقادر سعيد الرافعي التبريزي، دار القلم ، بيروت.
١٨٦	ديوان العجَّاج ، عبدالملك بن قريب الأصمعي، تحقيق: سعدي ضنَّاوي ، دار صادر ، بيروت ، ط١، ١٩٩٧م .
١٨٧	ديوان الفرزدق ، أبوفراس همام بن غالب ، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر للطباعة والنشر ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.
١٨٨	ديوان المتنبئ ، أبوالبقاء العبكري ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي ، دار المعرفة ، بيروت .
١٨٩	ديوان النابغة الذبياني ، شرح وتقديم : عباس عبدالساتر ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

١٩٠	صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، القلقشندي أحمد بن علي الفزاري، تحقيق: عبدالقادر زكّار ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨١م.
١٩١	الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حمّاد الجوهري ، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤، ١٩٩٠م.
١٩٢	شرح أشعار الهذليين ، أبوسعيد الحسن بن الحسين السكري ، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة .
١٩٣	شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، عبدالرحمن البرقوقي ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٧٨م .
١٩٤	شرح ديوان كعب بن زهير ، أبوسعيد الحسن بن الحسين السكري، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة .
١٩٥	العين ، أبوعبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال.
١٩٦	كتاب سيبويه ، أبوالبشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط١.
١٩٧	لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ .
١٩٨	المثل السائر ، أبوالفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد ابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٥م.
١٩٩	مجمع الأمثال ، أبوالفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري ، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد ، دار المعرفة ، بيروت .
٢٠٠	المحكم والمحيط الأعظم ، أبوالحسن علي بن إسماعيل بن سيده ، تحقيق: عبدالحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٢٠١	مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
٢٠٢	المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية ، بيروت .
٢٠٣	المعاجم العربية ، عبدالسميع محمد أحمد ، مطبعة مخيمر ، ط١، ١٩٦٩م.

٢٠٤	المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها ، إميل يعقوب ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨١م.
٢٠٥	معجم البلدان ، ياقوت بن عبدالله الحموي، دار الفكر ، بيروت .
٢٠٦	المعجم العربي نشأته وتطوره ، حسين نصَّار ، دار مصر للطباعة ، الفجالة، ط٤، ١٩٨٨م .
٢٠٧	معجم ما استعجم ، أبوعبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي ، تحقيق: مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٣، ١٤٠٣هـ.
٢٠٨	المكتبة العربية والمعاجم ، أمين أبوليل ، دار البركة للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط١، ٢٠٠٥م.
٢٠٩	يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق: مفيد محمد قمحية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤٠٣هـ.

سابعاً : فهرس الموضوعات :

الموضوع	الصفحة
استهلال	أ
إهداء	ب
شكر وتقدير	ج
مقدمة البحث	١
التمهيد : عصر ابن منظور	٨
الباب الأول : التعريف بابن منظور وكتابه "لسان العرب"	١٩
الفصل الأول : التعريف بابن منظور	٢٠
المبحث الأول : حياته ونشأته	٢١
المطلب الأول : اسمه وكنيته ولقبه ونسبه	٢١
المطلب الثاني : مولده ونشأته ووفاته	٢٣
المبحث الثاني : مكانته العلمية وعقيدته ومذهبه	٢٦
المطلب الأول : مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه	٢٦
المطلب الثاني : عقيدته ومذهبه	٢٨
المبحث الثالث : شيوخه وتلاميذه ومؤلفاته	٣١
المطلب الأول : شيوخه وتلاميذه	٣١
المطلب الثاني : آثاره ومؤلفاته العلمية	٣٦
الفصل الثاني : التعريف بلسان العرب	٤٣
المبحث الأول : وصف اللسان ومصادره	٤٤
المطلب الأول : وصف اللسان	٤٤
المطلب الثاني : مصادر اللسان	٤٦
المبحث الثاني : ظواهر ومميزات اللسان	٥٢
المبحث الثالث : منهج تأليف اللسان	٥٦

الموضوع	الصفحة
الباب الثاني : دراسة النصوص القرآنية الواردة في لسان العرب	٦٦
الفصل الأول : دراسة النصوص القرآنية الواقعة في حرف الكاف	٦٧
الفصل الثاني : دراسة النصوص القرآنية الواقعة في حرف اللام	٣٦٤
الفصل الثالث : دراسة النصوص القرآنية الواقعة في حرف الميم	٥٦٢
الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات	٨٠٧
الفهارس العامة :	٨٠٩
١/ فهرس الآيات القرآنية	٨١٠
٢/ فهرس الأحاديث النبوية والآثار	٨٤٤
٣/ فهرس الأعلام المترجم لهم في البحث	٨٤٧
٤/ فهرس المواد اللغوية	٨٥٥
٥/ فهرس الأبيات الشعرية	٨٦٣
٦/ فهرس المصادر والمراجع	٨٦٥
٧/ فهرس الموضوعات	٨٨٢

تم بحمد الله